أحمد حماني

صراع بين السنة والبدعة

أو

القصة الكاملة للسطو بالإمام الرئيس عبد الحميد بن باديس

الجزء الأول

نشر



الاهـــــــداء

الى اللذين عاشا متحابـين فى اللـه متصافيين فى العشرة ، متعاونين عـلى البـر والتقوى . وكانا ـ فى حياتهما ـ مثال الصدق والصفاء ، والطهر والوفاء . والعمل الصالح الجاد النافع المتواصل في تواضع وإخلاص وإنكار للذات ، وتفان فى أداء الواجبات ، فى خدمة الله والأمة والوطن .

الى من كان لهما أكبر أثر فى حياتي وفى حياة كثير من الناس ـ بما بذلا من تضحيات غالية ، وبما سال مـن دمهما فى سبيل اللـه .

الى أكرم الناس عنـدي ، وأعزهم عـلي ، وأحبهم الي ، الى عبد الحميد بن بـاديس ، وأحمد بوشمـال أقدم هذا العمـل المتـواضع .

أحمـد حمـاني

بسم الله الرحمن الرحيم

صلى الله على محمد النبي الكريم

رب يسِّر وأعن

هذا الكتاب

مقدمة :

إن الحمد لله، نحمده، ونستعينه، ونستغفره، ونعوذ به من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا ، من يهد الله فلا مضل له،ومن يضلل فلا هادي له ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، وأشهد ان محمدا عبده ورسوله ، أما بعد؛ فإن خير الحديث كتاب الله ، وخير الهدي هدي محمد صلى الله عليه وسلم ، وشر الأمور محدثاتها ، وكل بدعة ضلالة (*) ·

واما بعد ، فهذا كتاب : (صراع بين السنة والبدعة أو القصة الكاملة للسطو بالإمام الرئيس عبد الحميد بن باديس) أردنا منه أولا أن يكون بابا من كتاب يتحدث عن الحركة الإصلاحية الحديثة في الجزائر،فأبى إلا أن يكون كتابا كاملا في حجم محترم ، وكاد يكون مستقلا عن أصله بموضوعاته المتشعبة ، وجوانبه المتفرعة ، وفصوله المتعددة،وأحداثه المتنوعة ، وصفحاته الكثيرة ·

(*) بهذه الخطبة من الآثار النبوية كان ابن باديس رحمه الله يبتدي دروسه للعامة غالبا ·

في هذا الكتاب سيجد القارىء فصلا طويلا عن السنة والبدعة وعــن الصراع بينهما منذ فجر الاسلام وحتى الآن وموقف أئمة الإسلام الأعلام من السنة يلتزمونها قولا وفعلا، ويعضون عليها بالنواجذ . ومن البدعة يمقتونها ويحذرون منها ويهينونها ويبذلون كل وسعهم لطمس معالمها وإخفات صـوت أهلهــا .

وسيجد القارىء كيف نشأت الحركة الإصلاحية الحديثة وكيف امتدت الى بلادنا ، وماذا أثرته في نهضتنا ، وفي نجاح أمتنا في استرجاع شخصيتها والقضاء على عوامل فنائها ، وستبرز أمامه شخصية زعيم الإصلاح بـبلادنا الشيخ عبد الحميد بن باديس ، وماذا عمـل لإحياء السنة وإماتة البدعـة . وما بذل في ذلك من مساعي حميدة ، وماذا لقي من اذى شديد في نفســه وماله ومن الذى قـام في وجهه واعترض سبيله . وما هـي الدواعي العلنية والبواعث السرية ؟ سيجد القارىء القصة الكاملة لحادثة مريبة هي حادثـة السطو بالشيخ عبد الحميد بن باديس ذات مساء من شتاء 1345 هـ (1926 م) وكانت حادثة مدبرة بأحكام وقعت مـن المعتدين عـن عمد وتربص وسبـق أصرار وكادت تؤدى بحياته وتؤدى الى ذبحه كما تذبح الشاة، لولا ان نجـاه الله من يد الجاني ... لو لا .

ما هي الأسباب القريبة والبعيدة لهذا السطو ؟ كيف ومتى وأين وقع ؟ من هو الجاني وما هو مصيره ومن كان وراءه يدفعه لاقتراف إثمه ؟ ما هي حقيقة فرقته الدينية وحقيقتهم السياسية ؟ شخصيات عجيبة ! ؛ أقوال خطيرة ولوازم فظيعة ، وتهـم شنيعة ، وجهل كبـير ، وإصرار عجيب ، هل ماتت فكرتهم الباطنية وبدعتهم في القول بالحلول وبوحدة الوجود ؟ أم هي ما تزال كامنة تحاول الظهور والعودة الى ميدان الحياة والرواج ؟ من هـم فرسانها بالأمــس ؟

اتصالات مريبة بأهـل الريب والتخريب في الخارج وفي الداخل، دور الاستعمار الكريه في الحماية والرعاية والتأييد لكل ما يهدم الاسلام ويسبب للمسلمين الخراب والدمار ، إغلاق المساجد في وجوه العلماء المصلحين مـن دعاة السنة وإماتة البدعة ، وبناة النهضة الاسلامية الوطنية واليقظة القومية العربية ـ وفتح أبوابها ـ بل فتـح أبواب الثكنات العسكرية لـ (تحضين)

البدع و (تفريخها) وتمكين أهلها من كامل حريتهم لنشرها والإعلان بها فى مظاهرات بالشوارع ٠

ثروة فكرية عظيمة من النثر الفني الأدبي والعلمي ، ومن الشعر العربي الفحل، المشرق البيان ، المتين البنيان، الرائع على مدى الزمان ٠

هذا ما نحاول أن نقدمه فى هذا الكتاب معروضا بأمانة مع التحري والتدقيق والشرح ـ اذا لزم شرح ـ والتحقيق ٠

وقد تعرضنا لبعض التراجم أثناء العرض حاولنا فيها ان نعرف بها تعريفا صحيحا برجال عظماء منا لعبوا أدوارا أساسية فى نهضتنا ، وكان لهم اثر عظيم على أمتنا ، فمنهم من اجتهد فأصاب . ومنهم من اجتهد فأخطأ ، ولا يتهم أحد فى عقيدته ، ولا تحوم شبهة حول قصده ، وفى عرضنا لمواقفهم اعتراف بفضلهم وتسجيل لآثارهم ، ولم نقصد ان نؤرخ لهم، فان للتاريخ أربابه المختصين به ، وما نحن الا بعض الشاهدين على ما سمعنا ورأينا ، فاذا كان للمؤرخين فيما روينا معونة على أداء مهمتهم فذلك ما يسعدنا . وان وقع سهو أو خطأ فان الانسان معرض للغفلات والنسيان، وعليهم ان يدفعوا ذلك بحجة وبرهان ٠

وما هذه المحاولة منا فى التنويه بأستاذنا ، وإمام المصلحين فينا، سوى مجهود صغير نشارك به من سبقنا من الأساتذة الجامعين لآثاره المنوهين بأخباره ، وفى طليعتهم أخونا الكريم الوزير المصلح العظيم الشيخ عبد الرحمن شيبان . فقد بذل مجهودا كبيرا فى إحياء آثار الشيخ والتنويه بشأنه والمحافظة على ذكره بالقول والفعل وبالاسلوب الأمثل ، ولا أعني انه أمر بنشر مجالس التذكير من تفسير بعض آيات القرآن التى كتبها أستاذنا بقلمه ، ونشرها فى شهابه ، أو شرح أحاديث نبوية منتقاة ووكل الإشراف عليها وتحقيقها واعدادها للنشر لأكفإ الرجال لعالم كبير تنازل عن أعماله الخاصة المفيدة لأداء هذا الواجب الأكيد . وهو أخونا العلامة محمد الصالح الصديق عضو المجلس الاسلامى الأعلى والمؤلف الشهير، بمشاركة تلميذين نجيبين من تلاميذ ابن باديس الثقات وأوفاهم له وأنبههم ذكرا الشيخ على شنتير ، والشيخ علي مرحوم، وكلاهما من اعضاء المجلس الاسلامى الأعلى ، فجاء عملهم كاملا متقنا

بريئا مما يتعرض له مثله من تشويه وتحريف ، لا أعنى هذا فقط ـ وان كان لا يستهان به ـ ولكن أعني ان الشيخ شيبان كان حريصا شديد الحرص على إحياء ذكرى ابن باديس وتثبيت شخصيته وأخلاقه لا فى فكرة أجيالنا ، ولكن فى أنفسهم وأخلاقهم، بامره ان يعتمد أئمتنا وعلماؤنا فى التربية الاسلامية الصحيحة والقومية الوطنية لناشئتنا وأجيالنا على هذه الآثار الشاهدة بعظمة شخصية شيخنا ، اذ لا يكفي فى ذلك الخطب والمحاضرات فى الاحتفالات السنوية تقال وتسمع، وانما الذى يفيد هو تقديم مثل هذه الآثار لابن باديس التى تربط شخصيته بكتاب الله وسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم ؛ وقد رأيت الأخ شيبان يستنطق الأئمة في حفل رسمي وبحضور أكبر المسؤولين فى الدولة عمن يملك منهم تفسير ابن باديس حتى اذا كان الجواب سلبيا أظهر حسرته الكبرى ، ثم أمر بتوفيره لهم وأمرهم أن يعتمدوا عليه ، ثم رأيت من بعد ذلك بعض هؤلاء الشبان المعتادين بيوت الله الثائرين على الأوضاع الفاسدة فى الدين وفي الاخلاق يلقى درسا على الجمع الكبير الذى غص به احد مساجد الجمعة موضوعه عباد الرحمن ، وبتفسير ابن باديس ، فأعجبت به ورأيته قد وفق فى أدائه، وبرهن على حسن فهمه، وأداه بروح من نفحات شخصية ابن باديس ، وآمنت أن ما أراده شيبان قد أدركنا بعضه .

ثم انه ما فعل ذلك لأغراض شخصية أو منافع مادية ، ولكن لإيمان عميق وتفهم دقيق ، وحب مكين لشخصية ابن باديس ولدوره العظيم فى خدمة دينه وأمته ووطنه ، ولاقتناع تام باننا اذا ربينا أجيالنا على منهاجه وأحيينا فيهم مبادئه فى التربية والتعليم نكون قد وجهناهم على أقوم خطة فى الاعتزاز بالدين وبالقومية الصحيحة ، وبالوطنية العميقة السليمة، وبالجامعة المتينة لشملنا المبنية على أقانيم ثلاثة هى الدعامة القومية والأساس المتين لوحدتنا والضمان الأكيد لوجودنا أمة قوية عظيمة : (**الإسلام ديننا ، العربية لغتنا ، الجزائر وطننا**) .

وعبد الحميد عاش للاسلام ، والعربية ، والجزائر ، وهو منا وإلينا، فهو الشخصية الجزائرية القوية المصلحة الجامعة التى يمكن ان نجد فيها المثل الأعلى والقدوة الحسنة لأبنائنا مثل ما يجد الآخرون فى شخصياتهم العظمى، وقد أنعم الله به علينا فلنشكر الله على نعمته ، وقد امتن الله سبحانه على

المسلمين جميعهم ، وعلى العرب انه بعث فيهم رسولا من أنفسهم يتلو عليهم آياته ويزكيهم ، وان هذا الرسول ـ من أنفسهم ـ عزيز عليه عنتهم، حريص عليهم، بالمؤمنين رؤوف رحيم . فمن نعم اللــه على أمة ان يكون الرجل القوي الأمين القدوة منهم. والأخ شيبان مقتنع بهذا وطالما صرح بأن علينا أن نشكر اللــه الذى انعم علينا بابن باديس وأمثاله ، ولو لم يكن لنا لكان علينا (ان نشتريه) يقول هذا ردا على من عمى عليه الحق ، أو استكثر مـن اهتمامنا بابن باديس وعنايتنا العظمى بآثاره وذكراه مع القصد الصحيح من ذلك ، والخطأ الواضح فى اعتراض ذلك عن حسن نية أو عن سوء نية ، فلو كان ما نفعله لابن باديس ـ بعد وفاته ـ تحكما منا وتحزبا ـ وحاشا اللــه ـ لكان حكمة ما فعلنا ونعما هو ، ولكن الرجل من عباد الله المؤمنين المتقين ، جاءته العناية من الله الذى وعد فى كتابه العزيز انه سيجعل ـ برحمته ـ للمؤمنين العاملين الصالحات ودا فاذا أحب عبدا ورضي عنه نودى فى السماء بـذلك فاحبه أهل السماء ووضع له القبول فى الأرض ، وهذا ما كان ـ ان شاء الله ـ لابن باديس، فعبثا يحاول الشيطان ان يطفىء نور الله بالفم !

ومن قبل عناية الشيخ شيبان بآثار ابن باديس وتعميمها للانتفاع بهـا سبق الأخ الشيخ محمد الصالح رمضان أحد نجباء تلاميذه بمحاولة أولى نشر فيها من إملاء الشيخ ابن باديس على طلابه فى علم التوحيد . واعتمد فيهـا أسلوبا رائعا مفيدا مدعما بحجج من كتاب الله وسنة رسول الله صلى الله عليه وسلـم، مجنبة للناشئة من عقـم (براهين) كلامية مبنية على المنطـق والفلسفة اليونانية .

ثم كان أول من جمع ونشر تفسير ابن باديس ـ مجموعا ـ فهذا عمـل مشكور نرجو ان يجدد طبع أكبر كمية ممكنة من العقائد اذا كانت قد اختفت مـن السـوق .

ثم جاء من بعده الدكتور عمار طالبي فحاول ان يجمع كل آثار ابن باديس ويخرجها فى كتاب نفيس كان الفضل فى نشره لصديقنا الاستاذ (أبو داود) والأستاذ مرازقة الكتبيين الناشرين بالجزائر ، ولكن هذا الكتاب مع الأسف لم يكن وافيا بالغرض؛ فكم ترك مما كتبه ابن باديس ، أو كتب عنه وكـاد يقتصر على ما كتب فى مجلة الشهاب الشهرية، ولم يعرج ـ الا قليلا ـ عـلى

ما كان له من آثار فى المنتقد أو فى الشهاب الأسبوعى ، أو فى جرائد جمعية العلماء : السنة ، والشريعة ، والصراط ، والبصائر ، وله فيهن افتتاحيات ومقالات كثيرة ما تزال بموضوعاتها حية الى الآن ٠

وجاء من بعدهما الدكتور رابح تركي فعالج بروح الدراسة العميقة والبحث العلمي جانبا من جوانب شخصية ابن باديس وأعماله ، جانب التربية والتعليم، فوفق فى عمله ، واستحق الشكر عليه ٠

كل هؤلاء ــ وغيرهم ــ سبقوا الى الميدان مشكورين،وبقيت جوانب كثيرة تحتاج الى القاء الضوء عليها،ومنها هذا الجانب الذى عالجناه فى هذا الكتاب، فمع أهميته بقى مجهولا لا يكاد يذكر إلا عرضا مع أهميته البالغة فى حياة أمتنا وحياته،اذ كان بداية انقلاب خطير فى تاريخ النهضة القومية وانتصارها الديني والفكري والسياسى ، وفى بروز شخصيته ٠

لقد كاد ابن باديس يدفع حياته الغالية ثمنا لإخلاصه وإتقانه لعمله ونصحه لأمته وشجاعته ٠

فنحن نلقي ضوءا على هذا الجانب من حياته ونقدمه تداركا على من سبقنا ولحاقا بقافلتهم مع الاعتراف بفضلهم وشكرهم على عملهم،ومن لم يشكر الناس لم يشكر الله ٠

ثم لا يسعني ـ قبل ختام هذه الكلمة ــ إلا ان أنوه بما يبذله الأخ الكريم عبد الحميد عياط من مجهودات عظيمة مثمرة فى سبيل بث الثقافة الاسلامية والوعي القومي فى خدمة وطنه على أسس سليمة ، وتلك احدى المهام التى كتبها على نفسه عبد الحميد الأول . وكانت الوسائل محدودة،والمال نزرا، والامكانيات تكاد تكون بدائية ، ومع ذلك فقد كان لعمله المتواضع مفعول ثورة كبرى قلبت الأوضاع ٠ ولا شك ان"دار البعث"التى يشرف عليها عبد الحميد الثاني بحكمة وحنكة وحزم وقوة وسداد راي واخلاص كامل ــ ان شاء الله ــ لله وللوطن ستؤدى مهمتها على أكمل الوجوه ، ولابد أن يظهر اثرها ولو بعد حين ٠

ومن فضل هذا الآخ انه طلب مني ــ منذ بضع سنوات ــ ان أقدم له ما أشاء لطبعه ونشره ثقة بأخيه وحسن ظن ، فوقع ذلك فى نفسي ، ولكن الظروف

لم تساعدني ، غير ان كتابه الأخير الذى عين لي موضوع تاريخ ابن باديس وألح فيه على تناول حركته العلمية الاصلاحية،مشاركة فى إحياء ذكراه على أكمل الوجوه من تلاميذه وإخوانه،دفعني الى العمل،ورأيت المشاركة من أوكد الواجبات ، وسأقدم له ما أستطيع فى هذا الموضوع وفى غيره ان شاء اللـه مما كتبت وأنتجت من محاضرات وفتاوى ومقالات ·

واني أسأل اللـه الكريم،رب العرش العظيم،ان يهدينا،ويصلح بالنـا ، ويسدد خطانا ، ويلزمنا كلمـة التقوى، ويجعلنا ـ فى عصرنا ـ احـق بها وأهلها انه سميع مجيب ، رحمان رحيم ، وصلى اللـه على محمد وعلى آله ، وصحبه ، والذين اتبعوا منهاجهم الى يـوم الـدين ، وسلام عـلى المرسلين ، والحمد للـه رب العالمين ·

احمـد حمـاني



القسم الأول

السنـــة والبـــدعـة

الحمد لله رب العالمين ، والعاقبة للمتقين ، ولا عدوان إلا على الظالمين ٠

كلمة السنة تطلق ــ لغة ــ عن الطريقة ، سنة كل أحد ما عهدت منـــه المحافظة عليه والإكثار منه كان ذلك في الامور الحميدة أو غيرها (1) ٠ وقال الخطابي : (أصلها الطريقة المحمودة ، فاذا أطلقت انصرفت اليهـا ، وقـــد تستعمل فى غيرها مقيدة) ٠

وقال بعضهم : (السنة هى الطريقة المعتادة سواء كانت حسنة أو سيئة) وبرهن على ذلك بما صح فى الحديث الشريف من قوله صلى الله عليه وسلم : (من سن سنة حسنة كان له أجرها وأجر من عمل بها الى يوم القيامة ، ومن سن سنة سيئة كان عليه وزرها ووزر من عمل بها الى يوم القيامة) وقوله : (لتتبعن سنن من قبلكم شبرا بشبر وذراعا بذراع) الحديث رواه البخاري ٠ ففى كل من الحديثين أطلقت على الحسن والسيء من طرائق السلوك ٠

وللسنة استعمال فى اصطلاح المحدثين وفى اصطلاح الفقهاء ، فهى عند المحدثين (أثر عن النبي صلى الله عليه وسلم من قول أو فعل أو تقرير أو صفة خلقية أو خلقية أو سيرة سواء قبل البعثة أو بعدها ، وفى اصطلاح الأصوليين ما نقل عن النبي صلى الله عليه وسلم من قول أو فعل أو تقرير) (2) ٠

---

(1) الامدى ــ فى الاحكام ــ مبحث السنة ٠

(2) كتاب السنة للدكتور مصطفى السباعى ، ص 47 ٠

والأمثلة لا تخفى ، فمثال القول : (بني الاسلام على خمس) ومثال الفعل ما نقل عنه من صفات الصلوات ، ومناسك الحج ، وآداب الصيام، ومثال التقرير ما وقع أمامه من فعل أصحابه ولم ينكر عليهم مثل ما وقع يوم قريظة عندما قال لهم : (لا يصلين العصر أحدكم إلا فى بني قريظة) فان بعضهم فهم انه يريد من ذلك حثهم على السعي والتعجيل لا تاخير الصلاة عن وقتها، فلما حل وقتها صلوها مخالفين ظاهر الأمر ، وفهم بعضهم النهي عن إيقاع الصلاة قبل الوصول فأخروها حتى بلغوا قريظة بعد غروب الشمس فصلوها ، وقد أقر النبي صلى الله عليه وسلم كل فريق من الفريقين على ما أداه اليه اجتهاده فى فهم النص . ومثاله أيضا ان خالد بن الوليد أكل أمامه لحم الضب فلم ينكر عليه .

وتطلق فى اصطلاح الفقهاء - على ما ليس بواجب مما فعله صلى الله عليه وسلم وواظب عليه وتركه فى بعض الأحيان لغير عذر ، وهذا ما يأتي فى قولهم مثلا : (سنن الوضوء ، سنن الصلاة) فهى (ما ثبت عن النبي صلى الله عليه وسلم من غير افتراض ولا وجوب، وتقابل الواجب وغيره من الأحكام الخمسة) (3) .

وتطلق السنة - فى اصطلاح الفقهاء - أيضا على ما يقابل البدعة ، ومن ذلك قولهم : (طلاق السنة كذا، وطلاق البدعة كذا) (4) والمراد بطلاق السنة ما جاء موافقا لما جاء فى السنة من طلاق المرأة فى طهر لم يمسها فيه طلقة واحدة من غير أن يتبعها بطلقة أخرى حتى تخرج من عدتها ، وبطلاق البدعة ما خالف شيئا من ذلك كأن يطلقها فى حيض ، أو طلقتين فى كلمة أو ثلاثا الخ . . .

فالمراد بالسنة - المقابلة للبدعة - ان يكون الفعل موافقا لما جاءت به الشريعة من فعل أو ترك أعم من ان يكون واجبا أو مندوبا أو مباحا ، فصاحب البدعة هو من خلاف ما جاء عن صاحب الشريعة صلى الله عليه وسلم أعم من ان يكون مأمورا به أو منهيا عليه .

---

(3) السنة 48 .

(4) ارشاد الفحول للشوكانى مبحث السنة .

ومن اخترع شيئا من عنده ليعبد اللـه به فهو مبتدع ، ومن ترك شيئا مباحا يريد ان يتقرب بتركه الى الله فهو مبتدع،يبين ذلك ما صح من ان بعض اصحاب النبي صلى الله عليه وسلم اجتمعوا واستقلوا ما يتعبدون به وأرادوا ان يجتهدوا فى العبادة فالتـزم بعضهم ان يقوم الليل ـ تهجدا ـ ولا ينام ، والتزم آخر ان يصوم الدهر ولا يفطر ، وعزم ثالث ان لا يقرب امرأة ويختصي، وقال رابع انا لا آكل اللحم ، فلما سمع بهم رسول الله صلى الله عليه وسلم غضب وخطب فقال : (ما بال أقوام يقترحون أشياء ليست فى كتاب اللـه ولا فى سنة رسول الله ، اما أنا فاني أقوم وأنام وأصوم وأفطر ، وآكل اللحم وأتزوج النساء ، فمن رغب عن سنتي فليس مني) رواه البخاري ٠

فمن الواجب ان يتهم المرء رأيه ، ولو زين له وان يتبع نبيه فى كل ما جاء به لأنه أعرف منه بمصلحته ٠

بعثـــة الأنبيـــاء

وانما وجب اتباع النبي فى كل ما جاء به لأنه هو الذى عينه ربنا لهدايتنا وعصمه ، فاتباعه خير ونجاة،والمخالفة عن أمره شر وهلاك ٠ فقد بعث اللـه النبيئين الى خلقه هادين ومهتدين ، مبشرين ومنذرين،لئلا يكون للناس عـلى الله حجةٌ بعد الرسل ، وانزل معهم الكتاب من عنده ، وجعل طاعته من طاعة رسوله ومعصيته من معصيته : « **وما ارسلْنا من رسول الا ليُطاعَ بإذن الله** ، « **من يَطع الرسولَ فقد أَطاعَ الله ومن تولىَّ فما أَرسلناك عليهمْ حفيظاً** » ٠

وكان محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم ـ خير خلقه ـ خاتم النبيئين وإمام المرسلين ، ارسله الله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ، فبلّغ رسالته،وأدّى أمانته ، وجاهد فى الله حق جهاده ـ وشهد الله له،وكفى به شهيدا ـ بالتبليغ والجهاد ، فقال تعالى : « **اليومَ اكملتُ لكُم دينَكُم وأَتممْتُ عليكُم نعمتِي ورَضِيتُ لكمُ الاسلامَ ديناً** » بعد ان قال من قبل : « **يَاأيُّها الرسُولُ بلّغ ما أُنزل اليكَ من ربك ، وان لم تَفْعل فما بلَّغْت رسالاَتهِ ، والله يعصِمُكَ من الناس** » فلو ترك رسول الله صلى الله عليه وسلم حرفا مما أوحي اليه لم يبلغه لما صحت الشهادة بأن الله قد أكمل دينه وأتم به علينا نعمته ٠ فآية إكمال الدين التى نزلت قبل وفاة رسوله صلى الله عليه وسلم بنحو تسعين

يوما أعظم شهادة بالتبليغ شهد له بها مولاه الذى استشهده فى حجة الوداع بقوله : أثناء خطبته (اللهم فاشهد) وقد أعلن الله رضاه عن رسوله وعن الذين جاهدوا معه فى قوله : « **لكنِ الرسولُ والذين آمنوا معَه جَاهدُوا بأَموالهمْ وأَنفسهمْ ، وأُولئك لهُم الخيراتُ وأولئكَ همُ المفلحُونَ** » ٠

لهذا كان خير القرون ذلكم القرن ، وخير الناس ـ فداهم أبي وأمي ـ أولئك الناس الذين رضي الله عنهم ورضوا عنه ٠ ولهذا كانت سنة خلفائه الراشدين ـ من بعده سنة لنا أوصى باتباعها والاقتداء بها ،كما أوجب الله الاقتداء به فى قوله : « **لقدْ كانَ لكُم فى رسولِ اللهِ إسوةٌ حسنةٌ** » وقوله : « **ومَا آتاَكُم الرسولُ فخذُوه ومَا نهاَكُم عنهُ فانتهُوا** » وكان مما أتى به وجوب التزام سنته ، وسنة الخلفاء الراشدين المهديين من بعده فى قوله : ـ فى الحديث الصحيح ـ فعليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين ٠٠٠ » ٠

ان محمدا صلى الله عليه وسلم جاء ليبلغ ما أنزل اليه من ربه ، وقد آتاه الله القرآن ومثله معه ، فهو يبين لنا القرآن ، ويشرع الأحكام فيما يوحى اليه ، فمهمة رسول الله صلى الله عليه وسلم العظمى هى بيان ما أنزل اليه من القرآن كما قال تعالى : « **وأَنزلنا اليكَ الذكرَ لتبيّنَ للناسِ ما نُزّل إليهم** » لأن القرآن الكريم فيه المجمل وفيه المبهم مما يحتاج الى بيان وتوضيح من صاحب الرسالة ولا يجوز ان يبقى دون بيان،ولا يؤخر البيان عن وقت الحاجة ٠

فالله سبحانه أوجب الصلاة والزكاة بقوله تعالى : « **وأَقيمُوا الصَّلاة وآتوا الزكاة** » والصلاة المأمور بها فى الآية مجملة ، اذ الصلاة ـ فى لغة العرب ـ الدعاء فما هى الصلاة التى أمرنا بها فى هذه الآية وفى غيرها ؟ لقد بين ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم بما يجب علينا منها فى اليوم والليلة وبين كيفيتها ، وعدد ركعاتها ، وأوقاتها وأقوالها ، وأفعالها ، والنوافل منها والسنن ، بين ذلك بأقواله وبأفعاله وقال : (صلوا كما رأيتموني أصلي) ٠

وما قيل فى الصلاة يقال مثله فى الزكاة فانها جاءت فى الآية مجملة فبين رسول الله صلى الله عليه وسلم نصابها ومقدارها ، وما تجب فيه من الأموال ومالا ، وهكذا الصيام ، وهكذا الحج الواجب بقوله تعالى : « **ولله على الناسِ حجّ البيتِ من استطاعَ إليه سبيلاً** » بينه بقوله ، وبفعله ـ فى حجة الوداع ـ وقال (خذوا عني مناسككم) ٠

وكما بين الرسـول عليه الصلاة والسلام ما انزل اليه فانه كان يشرع الأحكام بما يوحى اليه ، فكل ما جاء به وبلغه الى الثقلين فهو من عند اللـه ولا يجوز الشك فيه ولا التردد عنده ، ومن فعل ذلك كان من الهالكين ، ففي الحديث عن أبى رافع انه صلى اللـه عليه وسلم قال : (لا الفين أحدكم متكئا على أريكته يأتيه الأمر من أمري مما أمـرت به أو نهيت عنه فيقول لا أدري، ما وجدنا فى كتاب الله اتبعناه (زاد فى حديث المقداد ألا وإن ما حرم رسول الله صلى الله عليه وسلم مثل ما حرم الله) (5) ·

ومما شرعه الله لنتعبده به ، ونتقرب اليه بفعله ذكره ، قال تعـالى : « **يأيها الذين آمنوا اذكُروا اللَّهَ ذكراً كثيراً وسبِّحوهُ بكرةً وأصيلاً** »· وقال : « **واذكروا اللَّه في أَيام معدوداتٍ** » · وقال فى معرض المدح والوعد بالمغفرة والأجر العظيم « **والذاكرينَ اللهَ كثيراً والذاكراتِ** » ·

وقال فى أولي الألباب انهم : « **الذِين يذكُرون اللَّهَ قياماً وقعـوداً وعـلى جنوبِهم ويتفكَّرون فى خلقِ السماوَات والأرضِ** ··· » ·

وأفضل أنواع ذكر الله ما ذكره به الأنبياء والمرسلون مما ورد فى كتاب الله ، وما صحت روايته عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وقد جاء فى الحديث : (أفضل ما قلته أنا والنبيئون من قبلي لا الـه الا الله) والصلاة على النبي صلى اللـه عليه وسلم مما يذكر اللـه به لأنها دعاء للـه ان يرحم عبده ورسوله ويعلي درجته،ولما جاء الأمر بها فى قوله تعالى : « **يأيُّها الذِين آمنـوا صلوًا عليـه وسلِّموا تسليماً** » لـم يبادر الصحابة ـ وهـم البلغاء الفصحاء لاختراع صلوات من عندهم وتأليف كـلام من وضعهم ، لكنهم جاءوا اليـه وقالوا : (يا رسول الله كيف نصلي عليك ؟) فعلمهم الصلاة الإبراهيمية وهي مشهورة معلومة يصلى بها عليه المؤمنون فى تشهدهم فى الصلاة،ومما روى من صيغها (اللهم صل على محمد وآل محمد كما صليت على ابراهيم وبارك على محمد وآل محمد كما باركت على ابراهيم انك حميد مجيـد) (6) · فأفضل صلاة على النبي ما علمه لأصحابه ، والقول بأن صلاة أخرى تفوقها ـ كصلاة

---

(5) الشفاء للقاضي عياض ، ج 2 ، ص 17 فى فصل مخالفة أمره بدعة ·
(6) الشفاء : ج 2 ، ص 69 من فصل كيفية الصلاة عليه ·

الفاتح المزعومة ـ بـل تعدل ختمات من القرآن ـ انما هو وحي من الشيطان ونسبتها الى النبي وانه علمها لمنتحلها ليبلغها لاتباعه زور وبهتان ، ومن افظع ما يفتريه إنسان ، لأنـه اتهام للنبي بأنه كتم شيئا من الرسالة وذلك أجهـل الجهـــل .

اتبـاع السنـة حتــم :

لا يتحقق إيمان المسلم حتى يتبع رسول الله صلى الله عليه وسلم فيما جاء به ويذعن اليه ، ويرضى به ، وقد زعم قوم من أهل الكتاب انهم : « **أبناءُ الله وأَحِبَّاؤُه** » ولم يتبعوا رسول الله مع ما جاءهم من الأمر فى كتبهم فقال فيهم : « **قُل إن كنتمْ تُحبُّون اللهَ فاتَّبعوني يحْبِبْكُم اللّه** » . ورد بعض المنافقين ما حكم به رسول الله صلى الله عليه وسلم فانزل الله فيهم « **فلاَ وربِّك لا يؤمنُون حتَّى يُحَكِّموكَ فيماَ شجَر بينَهُم ثمَّ لا يجِدُوا فى أَنفُسهم حرجًا ممَّا قضيْتَ ويُسلِّموا تَسليماً** » ورد حكم الرسول علامة الارتياب كما يبين قوله تعالى : « **وإذَا دُعُوا الى الله ورسُوله لِيحكُمَ بينهم إذاَ فريقٌ منهم مُعرِضون وان يكُنْ لهم الحَقُّ يَأتوا اليهِ مُذعِنين ، أَفِي قلوُبهم مَرضٌ أَم أرتَابوا أَمْ يخافون أن يَحِيفَ اللّـه عليهـم ورسولُهُ بلْ أوُلئكَ همُ الظّالمُونَ** » .

ورسول الله صلى الله عليه وسلم أسوتنا وقدوتنا فى كل تصرفاتنا ، فما فعله فعلناه وما تركه ونهى عنه تركناه ، قال تعالى : « **لَقدْ كانَ لكُم فى رسولِ الله إِسْوةٌ حسنةٌ لمن كانَ يرجُو اللّهَ واليومَ الآخرَ** » وقال : « **وما آتَاكُم الرسولُ فخذوُه وما نهاكُم عنه فانتَهوُا ، واتقوُا اللّهَ** » .

فاتباع السنة فلاح ونجاح ، ومخالفتها ضلال وهلاك ، قال الخليفة العادل عمر بن عبد العزيز : (سن رسول الله صلى الله عليه وسلم وولاة الأمور بعده سننا الأخذ بها تصديق بكتاب الله ، واستعمال لطاعة الله،وقوة على دين الله، ليس لأحد تغييرها ولا تبديلها ولا النظر فى رأي من خالفها،من اقتدى بها فهو مهتد ، ومن انتصر بها فهو منصور ، ومـن خالفها واتبع غير سبيل المؤمنين ولاه اللهما تولى وأصلاه جهنم وساءت مصيرا) (7) .

---

(7) الشفاء : ج 2 ، ص 13 .

وقد يكون الفعل فى ذاته مشروعا مرغوبا فيه اذا جاء على وجهه اعتبر من أجل الطاعات وأعظم القربات كالصلاة والتهجد والصوم ، ولكنه اذا لم يفعل على مقتضى ما جاء به رسول الله صلى الله عليه وسلم : فى وقته أو فى كيفيته أو فى الغلو فى العبادة به ، كان بدعة ، لأنه خالف سنته فانقلب الى معصية ، وعدوان ، يغضب الله ولا يرضيه ويستوجب عقابه لاثوابه ·

قال تعالى : « **فليحذر الذين يخالفون عن أمره أن تصيبهم فتنة أو يصيبهم عذاب أليم** » اذ مخالفة الرسول شقاق له ومحادة ، والله يقال : « **ومن يشاقق الرسول من بعد ما تبين له الهدى ويتبع غير سبيل المؤمنين نوله ما تولى ونصله جهنم وساءت مصيراً** » ·

وروى القاضى أبو بكر بن العربى فى الأحكام أن سفيان بن عيينة قال : (سمعت ملك بن أنس وأتاه رجل فقال : يأبا عبد الله من أين أحرم ؟ قال : من ذى الحليفة ، من حيث أحرم رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقال : انى أريد أن أحرم من المسجد ، فقال : لا تفعل فاني أخشى عليك الفتنة ، قال : وأي فتنة فى هذا ؟ وانما هى أميال أزيدها ، قال : وأي فتنة أعظم من ان ترى انك سبقت الى فضيلة قصر عنها رسول الله صلى الله عليه وسلم ، انى سمعت الله يقول : « **فليحذر الذين يخالفون عن أمره أن تصيبهم فتنة أو يصيبهم عذاب أليم** » (8) ·

ولعن ابن مسعود رضي الله عنه : (الواشمات والمستوشمات والمتنمصات المتفلجات للحسن المغيرات خلق الله ، فجاءته امرأة فقالت ··· بلغني انك لعنت كيت وكيت فقال : وما لي لا ألعن من لعنه رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو فى كتاب الله،فقالت المرأة لقد قرأت ما بين لوحي المصحف فما وجدته فقال : لئن كنت قرأتيه لقد وجدتيه) ، قال تعالى : « **وما آتاكم الرسول فخذوه ،وما نهاكم عنه فانتهوا** » والحديث فى مسلم ·

ورأى عبد الرحمن بن يزيد محرما عليه ثيابه فنهاه ، فقال ائتنى بآية فقرأ عليه الآية السابقة ·

---

(8) أحكام القرآن عند تفسير هذه الآية ·

وكان طاووس يصلى ركعتين بعد العصر فقال له ابن عباس ـ أى نهاه عن فعلها ـ فقال طاووس انما نهى عنهما ان تتخذا سنة ، فقال ابن عباس قـد نهى رسول اللـه صلى الله عليه وسلم عن صلاة بعد العصر فلا أدرى أتعذب عليهما أم تؤجر لأن الله تعالى قال : « **وما كان لمؤمنٍ ولا مُؤمنةٍ إذا قضى اللـه ورسولُه أمراً أن تكون لهُم الخِيَرَةُ من أمَرهم** » (9) .

(9) أصول الفقه للخضرى ، ص 239 بتصرف قليل .

البدعة والتغليظ فيها

كل ما خرج عن سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم القولية أو الفعلية أو الاقرارية ، وخالف طريقته وهديه وما جاء به من الدين فهو بدعة لأنه جاء على غير مثال مما شرعه الله ورسوله للخلق ٠

والبدعة ـ لغة ـ مأخوذة من مادة (بدع) ـ الاختراع على غير مثال سابق ومنه قوله تعالى : « **بديعُ السموات والأرض** » أى مخترعهما على غير مثال سابق ، وقوله : « **قلْ ما كنتُ بدْعًا من الرُّسل** » ما كنت أول من جاء بالرسالة من الله الى العباد بل تقدمنى كثير من الرسل ، ويقال ابتدع فلان بدعة يعني اخترع طريقة لم يسبقه اليها سابق ، ومن هذا المعنى سميت البدعة بدعة فاستخراجها للسلوك عليها هو الابتداع وهيئتها هى البدعة ، وقد يسمى العمل المعمول على ذلك الوجه بدعة ، فمن هذا سمي العمل الذى لا دليل عليه فى الشرع بدعة (*) ٠

وقد رد الشارع البدعة وحذر منها وحكم عليها بانها فى النار ، ففى الحديث الصحيح انه صلى الله عليه وسلم قال : (من أحدث من أمرنا ما ليس منه فهو رد) أى مردود على صاحبه ، وفى صحيح البخاري انه صلى الله عليه وسلم حدث ان الله لعن من أحدث حدثا فى المدينة أو آوى محدثا ، ولا يختص لعن المحدث بمن كان فى المدينة ، وانما ذكرت للغليظ ٠

وفى حديث العرباض بن سارية بعد ان حث على التزام سنته وسنة الخلفاء المهديين من بعده حذر من البدعة وحكم عليها بالنار فقال : (فعليكم بسنتى

(*) راجع الاعتصام للشاطبى ٠

وسنة الخلفاء الراشدين ، عضوا عليها بالنواجذ ، واياكم ومحدثات الامـور فان كل بدعة ضلالة) زاد في حديث جابر : (وكل ضلالة في النار) .

وقـد عرف العلماء البدعة بانها : (طريقـة في الـدين مخترعة تضاهي الشرعية يقصد بالسلوك عليها المبالغة في التعبد لله سبحانه) .

فالصحابة الذين اجتمعوا ـ وهم خيار الخيار ـ رأوا أنفسهم مقصرين في العبادة فأرادوا ان يقترحوا الاجتهاد في التهجد وفي الصيام وفي ترك اللذات والشهوات المباحة تقربا الى الله وما كتب الله ذلك عليهم ، نهاهم الله ورسوله عن الإقدام عليها ، وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم فيها : (فمن رغب عن سنتي فليس مني) ، وهذا وعيد شديد لا أعظم منه ، ان يتبرأ منه رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وقد سماه الله في كتابه اعتداء اذ أنزل فيه قوله تعـالى : « **يأيها الذين آمنوا لا تُحَرّموا طيباتِ ما أحلَّ اللهُ لكم ولا تَعْتَدُوا ان الله لا يحب المُعْتَدِين** » .

وانما سماه اعتداء لأن التشريع لا يكون الا من الله أو من رسول اللـه بأمره واذنه،وهو اذا وقـع من غيرهما من نـوع الشرك كما تدل عليه الآيات كقوله تعالى : « **قلْ أرَأَيتُم ما انزلَ اللهُ لكم من رِزقٍ فجعلتُم منهُ حَرَاماًوحَلالاً، قل آللّهُ أَذِن لكم أم على الله تَفترون** » وقوله : « **أمْ لهُم شركاءُ شَرَعُوا لهم من الدّين ما لمْ يَأذنْ بهِ اللّهُ** » وقوله في أهل الكتاب : « **اِتّخَذوا أحبارَهم ورهبانَهم أرباباً من دون الله** » روى الترمذي وغيره من حديث عدي بن حاتم رضي الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال له : « اما انهم لم يكونوا يعبدونهم ولكنهم كانوا إذا أحلوا لهم شيئا استحلوه واذا حرّموا عليهم شيئا حرموه» (1)

قال أبو بكر بن العربي : (فيه دليل على ان التحريم والتحليل لله وحده وهذا مثل قوله : « **ولاَ يُحرِّمون ما حرَّم اللهُ ورسولُه** » بل يجعلون التحريم لغـــيره) اهـ .

فالمبتدع كل من اخترع ما يتقرب به الى اللـه بفعل أو بترك ، كأن يترك تناول ما أحل الله له تناوله من غير عذر شرعي،كما تقدم فيمن أراد ان يترك

---

(1) الاحكام لابن بكر بن العربي ، الطبعة الاخيرة ـ دار المعارف ، بـيروت ، ص 927 .

أكل اللحم تقربا ـ في زعمه ـ الى الله أو يترك مقاربة النساء ، والاختصاء ، وهذا مثل ما وقع لقوم عيسى عليه السلام فيما ابتدعوا من رهبانية لم تكتب عليهم أرادوا بها ابتغاء وجه الله وخالفوا سننه في الخلق والعمران،فلم ينفعهم اختراعهم ، وقال الله فيهم : « **وجَعلْنا في قلوب الذين اتَّبعوه رأْفَةً ورحمة ، ورهبانيَّةً ابتدعوها ما كتبناها عليهم الا ابْتغَاء رضوانِ اللهِ فما رعَوْها حق رعايتها ، فآتينا الذين آمنوا مِنهم اجْرَهم وكثيرٌ منهم فاسقون** » فآل أمرهم الى الفسق وذلك عكس ما أرادوه من الترهب ، وهو مشاهد واقع .

قال أبو اسحاق الشاطبي «تارك المطلوبات الشرعية ندبا أو وجوبا على ضربين احدهما ان يتركها لغير التدين ، إما كسلا أو تضييعا أو ما أشبه ذلك ، فهذا الضرب راجع الى المخالفة للأمة فان كان في واجب فمعصية ، وان كان في ندب فليس بمعصية اذا كان الترك جزئيا ، فان كان كليا فمعصية (2) .

والثاني ان يتركها تدينا،فهذا الضرب من قبيل البدع حيث تدين بضد ما شرع الله ... » ثم قال : (.. فقوله في الحد ـ أي حد البدعة ـ طريقة مخترعة تضاهي الشرعية يشمل البدعة التركية كما يشمل غيرها) ثم قال : (ان المبتدع معاند للشرع مشاق له ، لان الشارع قد عين لمطالب العباد طرقا خاصة وقصر الخلق عليها بالأمر والنهي والوعد والوعيد،وأخبر ان الخير فيها ، وان الشر في تعديها الى غير ذلك لأن الله يعلم ونحن لا نعلم ، وانما ارسل الرسول رحمة للعالمين) اهـ .

فالمبتدع راد لهذا كله،فانه يزعم ان ثم طرقا أخر ليس ما حصره الشارع بمحصور ولا ما عينه بمتعين كأن الشارع يعلم ونحن أيضا نعلم ، بل ربما يفهم من استدراكه الطرق على الشارع انه علم ما لم يعلمه الشارع ، وهذا ان كان مقصودا للمبتدع فهو كفر بالشريعة والشارع ، وان كان غير مقصود فهو في ضلال مبين(3) .

وعن ابن الماجشون ـ من اصحاب مالك ـ قال : سمعت مالكا يقول : (من ابتدع في الاسلام بدعة يراها حسنة فقد زعم ان محمدا خان الرسالة،لأن الله

---

(2) الاعتصام ، ج 1 ، ص 25 .
(3) الاعتصام ، ج 1 ، ص 29 .

يقـول « **اليـوم اكملت لكم دينكم** » فما لم يكـن يومئذ دينا فلا يكون اليوم دينـــا) (4) ٠

ثم قال الشاطبى : (ان المبتدع قد نزل نفسه منزلة المضاهى للشارع ٠٠٠ وصير نفسه نظيرا ومضاهيا حيث شرع مع الشارع وفتح للخلاف بابا ، وانه متبع لهواه ، والله يقول : « **٠٠ ولا تطِعْ من أغفَلْنا قلبَه عن ذِكرِنا واتَّبَع هواه** » فجعل الأمر محصورا بين أمرين : اتباع الذكر واتباع الهوى ، وقال : « **ومن أضلُّ ممَّن اِتبعَ هواه** » تأملوا هذه الآية فهى صريحة فى ان من لم يتبع هدى اللـه فى هوى نفسه فلا أحد أضل منه ، وهذا شأن المبتدع فانه اتبع هواه بغير هدى من الله ، وهدى الله هو القرآن (5) ٠

وعن ابن مسعود فى قوله تعـالى : « **يوْم تبْيَضُّ وجـوهٌ وتسْوَدُّ وجوه** » (تبيض وجوه أهل السنة وتسود وجوه أهل البدعة) (6) ٠

بغـض السلـف للبـدعة وأهلهـــا

ما زالت البدعة ممقوتة مبغوضة لأن رسول اللـه صلى اللـه عليه وسلم حذر منها وجعلها فى النار ، وأول مـن أبغضها من بعده صحابته ، ثم الذين اتبعوهم باحسان من عهدهم الى الآن ٠

ففى الصحيح ان حذيفة رضي الله عنه قال : (يا رسول اللـه هل بعد هذا الخير شر ؟ قال : نعم قوم يستنون بغـير سنتي ويهتدون بغير هديي) ، وعن أبى هريرة ـ رواه ابن وضاح ـ ان رسول اللـه صلى الله عليه وسلم قال : (سيكون فى أمتى دجالون كذابون يأتونكم ببدع من الحديث لم تسمعوه انتم ولا أباؤكم فإياكم وإياهم ، لا يفتنونكم) وروى أيضا عن عائشة : (من اتى صاحب بدعة ليوقره فقد اعان على هدم الاسلام) وعن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال : (اتبعوا آثارنا ولا تبتدعوا فقد كفيتم) وعنه انه قال : (عليكم بالعلم قبل ان يقبض ٠٠٠ وستجدون أقواما يزعمون انهم يدعون الى كتاب الله ٠ وقد نبذوه وراء ظهورهم فعليكم بالعلم واياكم والتبدع والتنطع

(4) الاعتصام ، ج 1 ، ص 28 ٠
(5) راجع الاعتصام ص 30 وما بعدها ٠
(6) الاعتصام ، ص 35 ٠

والتعمق، وعليكم بالعتيق ... لا تبتدعوا ولا تنطعوا ولا تعمقوا وعليكم بالعتيق خذوا ما تعرفون ودعوا ما تنكرون ، القصد فى السنة خير من الاجتهاد فى البدعة) (7) .

ومن أقوال مالك بن انس رضى الله عنه : (لا يصلح آخر هذه الأمة الا بما صلح به أولها) وانما صلح أولها بالتزام كتاب الله وسنة رسول الله ، وكان كثيرا ما ينشد :

وخير أمور الناس ما كان سنة   وشر الأمور المحدثات البدائع

وعن الحسن بن أبي الحسن : لا تجالس صاحب بدعة فانه يمرض قلبك ، وعن أبى قلابة — وهو من الفقهاء ذوى الألباب — (لا تجالسوا أهل الأهواء ولا تجادلوهم فاني لا آمن ان يغمسوكم فى ضلالتهم ويلبسوا عليكم ما كنتم تعرفون) .

وقال عمر بن عبد العزيز فى خطبة له : (الا واني لست بمبتدع ولكني متبع) .

المتصوفة والبدعة

من أهل التصوف علماء عرفوا كتاب الله وسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم فالتزموا الحق واستقاموا على الطريقة كما أمر الله فى قوله : « **فاستقم كما أمرت ومن تاب معك ولا تطغوا** » وأي طغيان أعظم من الخروج عن سنة رسول الله (ص) . هؤلاء العلماء القرآنيون المقتدون برسول الله صلى الله عليه وسلم مقتوا البدعة وأهلها وحذروا منها ومنهم .

قال أبو القاسم القشيرى — وهو عمود نحلتهم — : (انهم انما اختصوا باسم التصوف لانهم انفراد به عن أهل البدع (8) . وقال الفضيل بن عياض وهو من أجل عبادهم) .

(من جلس مع صاحب البدعة لم يعط الحكمة) ، وقال أبو بكر بن سعدان من أصحاب الجنيد : (الاعتصام بالله هو الامتناع من الغفلة والمعاصي والبدع والضلالات) (9) .

---

(7) انظر الاعتصام صفحة : 54 — 55 وما قبلهما وما بعدهما من الجزء الاول.
(8) الاعتصام : ص 63 .
(9) الاعتصام : ص 67 .

وقال الجنيد ـ وهو إمامهم الاعظم ـ (مذهبنا مقيد بالكتاب والسنة ومن لم يحفظ القرآن ويكتب الحديث لا يقتدى به فى هذا الامـر، لأن علمنا مقيـد بالكتاب والسنة) (10) ٠

وسئل أبو علي الروزبارى عمن يسمع الملاهي ويقول : هى لي حلال لأني قـد وصلت الى درجة لا يؤثر في اختلاف الأحوال فقـال : نعـم ، ولكن الى سقـــر ! (11)

وقد نقل أبو اسحاق الشاطبي كثيرا من أقوالهم ثم قال : (كلامهم فى هذا الباب يطول،وقد نقلنا من جملة ممن اشتهر منهم ما ينيف عن أربعين شيخـا جميعهم يشير أو يصرح بان الابتداع ضلال، والسلوك عليه تيه، واستعماله رمي فى عماية ، وانه مناف لطلب النجاة،وصاحبه غير محفوظ،وموكول الى نفسه، ومطرود عن نيل الحكمة ، وان الصوفية الذين نسبت اليهم الطريقة مجمعون على تعظيم الشريعة،مقيمون على متابعة السنة،غير مخلين بشيء من آدابها بعـد الناس عن البدع وأهلها) (12) ٠

هـل فى البـدع مستحسـن ومستهجـن ؟

كذلك قال بعضهم ، ونسب الى عز الدين بن عبد السلام وانه قسم البدع الى مستحسنة وغير مستحسنة،وجعلها مما تعتريه الأحكام الخمسة:الوجوب ، والندب ، والحرام ، والكراهة ، والإباحة ، وضرب مثلا لما هو واجـب منهـا بجمع المصحف وكتابته، وبالعلوم الحادثة لخدمة الشريعة ، ولكن ظاهر الحديث ـ بـل صريح نصه ـ ينفي هذا التقسيم لأنه عليه الصلاة والسـلام يقول : (كل بدعة ضلالة ، وكـل ضلالـة فى النار) فليس فى البـدع مستحسن لا يقبحه الشرع ، بل كل بدعة فهى مقبوحة ٠

واما جمـع المصحف والعلوم الشرعية والمساعدة عـلى خدمـة الشريعة فلا يصدق عليها تعريف البدعة ٠

---

(10) الاعتصام : ص 69 ٠
(11) الاعتصام : ص 70 ٠
(12) الاعتصام : ص 71 ٠

بل يصدق على جمع المصحف وكتابته انه سنة أوصى الرسول عليه الصلاة والسلام بالتزامها وحث عليها فى قوله صلى الله عليه وسلم : (فعليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين) وجمع المصحف مما اجمع عليه الخلفاء الأربعة؛ شرع فيه أبو بكر وعمر وأكمله عثمان ، وصرح على انه لو لم يفعل قبله لفعله ، فتسميته بدعة ـ اذا صحت ـ تسمية مجازية ، كذلك جمع عمر الناس فى صلاة التراويح على قارئ واحد سماه بدعة مجازا ، والا فهى سنة بقول الرسول صلى الله عليه وسلم ، وبفعله وتركها النبيء (ص) شفقتة على أمته ان تفرض عليهم فلما أمن الفرض أمر بها عمر، وكذلك وضع علم النحو ، فقد كان بأمر من علي بن أبى طالب لأبى الأسود الدؤلي كما هو مذكور فى تاريخ النحو،ومثل النحو غيره من علوم العربية ، وكذلك علم أصول الدين، وعلم أصول الفقه ، كل هذه لا يصدق عليها انها بدع ·

فان البدعة (عبارة عن طريقة فى الدين مخترعة تضاهي الشرعية بقصد بالسلوك عليها المبالغة فى التعبد لله سبحانه) (13) ·

فالبدعة خاصتها انها خارجة عما رسمه الشارع ، وبهذه الخاصة ينفصل عنها كل ما يظهر لبادى الرأي انه مخترع مما هو متعلق بالدين ، فعلم النحو والصرف واللغة ، وأصول الفقه ، وأصول الدين وكل العلوم الخادمة للشريعة ان لم توجد فى الزمان الأول ، فان أصولها موجودة ، فبالنحو يتوصل للنطق الصحيح بألفاظ القرآن ، وبعلوم اللسان يهتدى الى الصواب فى الكتاب والسنة،وبأصول الفقه يمكن استقراء كليات الأدلة لتكون نصب عين المجتهد والطالب ·

وتصنيفها على الوجه الذى صنفت عليه مخترع حقا ، ولكن فى الحديث ما يدل على جواز الإقدام عليه وحتى لو سلم انه لا دليل عليه بالخصوص ، فالمصلحة المرسلة تقتضيه والشرع ـ بجملته يدل على اعتباره ـ فليس ببدعة البتة ·

برهان ذلك اننا لو اعتبرنا ذلك بدعة للزم ان يكون جمع المصحف وكتابته قبيحا ، وهو باطل بإجماع ، فليس اذاً ببدعة ، فلابد له من دليل شرعي ،

---

(13) الاعتصام : ص 19 ·

وليس له دليل شرعي الا المصلحة وهو ماخوذ من جملة الشريعة ، واذا ثبت جزئي في المصلحة المرسلة ثبت مطلق المصلحة واستدل بها ، لهذا لا ينبغي ان يسمى وضع كل علم متصل بالشريعة بدعة ، فلا النحو ببدعة،ولا أصول الفقه ، ولا أصول الكلام ، ولا غير ذلك ٠

قال الشاطبي في هذا المبحث النفيس : (من سماه بدعة فإما على المجاز كما سمى عمر بن الخطاب رضي اللـه عنه قيام الناس في ليالي رمضان بدعة ، وإما جهـلا بمواقع السنة والبدعة فلا يكون قـول مـن قال ذلك معتدا بـه ولا معتمدا عليه) ٠

واما المضاهاة للشرعية الواردة في تعريف البدعة فان المراد ان المبتدع يشابه ببدعته الأعمال الشرعية ، والحقيقة انها ليست كذلك،كمن نذر الصيام قائما ، ومن نذر الانقطاع للعبادة ، ومن نذر الاقتصار في الأكل على صنف ، وكمن التزم كيفية خاصة معينة كالذكر بهيئة اجتماع على صوت واحـد ، وكالتزام عبادات معينة في أوقات معينة ليس لها أصل في الشريعة كصـوم نصف شعبان وقيام ليلته ، فالمبتدع يضاهي بها السنة ليلبس بها على الغير، (لذلك تجد المبتدع ينتصر لبدعته بأمور تخيل التشريع ولو بدعوى الاقتداء بفلان المعروف منصبه في أهل الخير) (14) ٠

وقد يكون باعث المبتدع على ابتداعه ان يبعث في النفوس النشاط ، فقد تمل النفوس وتسأم العبادات الرتيبة ، فاذا جدد لها أمر لا تعهده حصل لها نشاط آخر لا يكون لها مع البقاء مع الأمر الأول كما قيل : (لكل جديد لذة) ٠

قال الشاطبي : (وقد تبين بهذا القيد ـ يعني قيد المضاهاة للشرعية ، ان البدع لا تدخل في العادات ، فكل ما اخترع مـن الطرق في الدين ممـا يضاهي المشروع ـ ولم يقصد به التعبد ـ فقد خرج عن هذه التسمية كالمغارم الملزمة على الأموال وغيرها على نسبة مخصوصة ، وقدر مخصوص مما يشبـه فرض الزكوات ، ولم يكـن اليها ضرورة ، وكذلك اتخاذ المناخل ، وغسـل اليدين بالاشنان وما اشبه ذلك من الأمور التي لم تكن من قبل فانها لا تسمى بـدعـا ٠٠٠) ٠

---

(14) الاعتصام : ص 21 ، ج 1 وما بعدها ٠

ومما تقدم يتبين ان البدعة واحدة قبيحة كلها ، ضلالة كلها ، فى النار هى وصاحبها ، وليس فيها مستحسن بل كل ابتداع مستهجن ، وما يتوهم انه بدعة كجمع المصحف وكتابته وكالعلوم التى تخدم الشريعة ليس ببـدعة أصلا بل قامت على شرعيتها أدلة الشريعة ، واما الأمور العادية فأصلها الإباحة وهى خاضعة للضروزة ، والمصلحة ، مجارية لها .   واللـه أعلـم .



التـآمر بالمعـروف والتنـاهي عـن المنكـر
مـن نصـر السنـة وقمـع البـدعة

أوجب اللـه على الأمـة الاسلامية التآمر بالمعروف والتناهي عن المنكـر لحراسة مجتمعهم عـن الآفات الطارئة ودوام سلامتهم فى دينهـم وأخلاقهـم واستقامتهم فى تصرفاتهم ، وقـد شرع ذلك ووجب بمثـل قـوله تعـالى : « **ولْتَكُن منكمْ أمةٌ يدعُون الى الخير ويأمرون بالمعروف وينهَوْن عن المنكرِ وأولئك هم المفلحون** » ، وقـوله : « **كُنتمُ خيرَ امـَّة أُخرِجَت للناس تامرون بالمعروف وتنهون عـن المنكر وتؤمنون باللـه** » ومـدح فى كتابـه المتآمرين بالمعروف المتناهين عن المنكر فى قوله تعالى : « **مِنْ اهل الكتاب امةٌ قائمةٌ يتلوُن آيـاتِ الله آناءَ الليلِ وهم يسجدون يؤمنون بالله واليوم الآخر ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر ويُسَارعون فى الخيرات وأولئك من الصَّالحين** » .

وفى الحديث الصحيح عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه انه صلى الله عليه وسلم قال : « من رأى منكم منكرا فليغيره بيده فان لم يستطع فبلسانه فان لم يستطع فبقلبه وذلك أضعف الإيمان » .

وقـد جاء التحذير والوعيد بالعقاب الشديد لمن أخلـوا بهذا الواجب ، وتركوا التآمر بالمعروف أو انهمكوا فى فعل المنكر أو سكتوا عنه ، قال تعالى : « **لُعِنَ الذين كفروا من بني إسرائيل على لسان داوُد وعيسى ابن مريم ، ذلك بما عصَوا وكانوا يعتدون ، كانوا لا يَتَنَاهَوْن عن منكر فعلوُه لبئْس ما كانوا يفعلون** » . وانما قص اللـه علينا ذلك من شأنهم لنعتبر بهم ونحذر أن يقع

لنا مثل ما وقع لهم من عصيان الله ، أو من العدوان أو من السكوت عن المنكرات ٠ وقد جاء التحذير الخاص بنا الموحى به الى نبينا فبلغه الينا فيما رواه أبو هريرة رضي الله عنه انه صلى الله عليه وسلم قال : (لتأمرن بالمعروف ولتنهون عن المنكر أو ليسلطن الله عليكم شراركم فيدعو خياركم فلا يستجاب لهم) ٠

وهذه الوظيفة الجليلة ـ فى مجتمع المسلمين ـ خير ضمان لاستقامتهم ودوام حراسة يقظة لأخلاقهم ، من ان يتطرق اليها الخلل والفساد ، ويقوم بها جميع المسلمين كل بما يستطيع فى محيطه وحسب علمه ومعرفته ، ثم يختص بها طائفة منهم استعدت لذلك ، وتسلحت بالعلم والمعرفة ، وبالشجاعة والإخلاص ، وهم العلماء الذين ورثوا النبوة فى القيام بالدعوة ، ورفع الله درجتهم ، وجعلهم فى هذه الأمة كأنبياء بنى إسرائيل ٠

ومنذ عصر الصحابة رضوان الله عنهم كان هؤلاء العلماء يؤدون واجبهم كل بما استطاع ، فانه لما بدا قرن الشيطان ، وظهرت البدع واقبلت الفتن سجلوا مواقف خالدة،فبادروا بالإنكار وأدوا مهمتهم ، ولاشك ان من أشد أنواع المنكر ظهور البدع ، لان البدعة تهدد الشريعة نفسها بتشريعات جديدة فى المسلمين يحدثها المبتدعون ٠ وكان من أول ما ظهر من البدع القول بالقدر وهو أصل الاعتزال ، وبلغت فتنة المعتزلة أوجها حينما اجبروا المسلمين على القول بخلق القرآن ، وكذلك كان من البدع تأويل آيات القرآن على غير وجهها ورفع السلاح على أهل القبلة ، وشق الطاعة،وتفريق الجماعة ، وقتل النفس التى حرم الله الا بالحق ٠

الصراع المستمر :

ان الصراع بين السنة والبدعة لقائم مستمر منذ القديم ، وعلى مدى الأجيال والقرون ، لأنه ـ فى الحقيقة ـ صراع بين الشريعة وقيامها ، ودوامها واستمرارها نقية كما جاء بها صاحبها ، وبين محاولة هدمها وتحريفها ، ومحق دولتها وأهلها ٠

فعلهـا فى افتـراق الكلمـة :

فالعلماء لم يسكتوا عنها ، بل كانوا منذ عهد الصحابة ، وعلى طول الزمن وحتى الآن يعلنون إنكارها والحرب عليها وعلى أهلها ، لما جاء عن النبي صلى الله عليه وسلم فى لعن من أحدث حدثا فى المدينة أو آوى محدثا ، ولا مفهوم لتقيده بالمدينة وانما جاء للتغليظ · وانما لعن صاحب البدعة لأن عمله مـن أكبر الدواعي لفتنة المسلمين وانحرافهم عن الطريق السوي والمحجة البيضاء وافتراق كلمتهم ، ومن هذا حذرهم كتاب الله وسنة رسول الله ·

قال الله سبحانه : « **وأَنَّ هذا صراطي مستقيماً فاتَّبِعُوه ولا تَتَّبعوا السبُلَ فتَفرَّق بكم عن سبيله ذلكم وصاكم به لعلكم تتقون** » وقال : « **إن الذين فرَّقوا دينَهم وكانوا شيعاً لستَ منهم فـي شيءٍ** » وقال : « **ولا تكُونُوا كالذين تَفرَّقوا واختلفوا من بعد ما جاءَهُم البيِّنَاتُ وأولئك لهم عذابٌ عظيمٌ** » · قال قتـادة – من أهل التفسير – (يعني أهل البدع) ومثله عن ابن عباس رضي اللـه عنهمـا ·

وخطب عثمان رضي الله عنه ، وهو ولي الأمر وأمير المؤمنين ، وقد أمروا بالسمع والطاعة ولو تأمر عليهم عبد حبشي ، فشاغب عليه مشاغبون وقطعوا كلامه وتراموا بالبطحاء فارتفع صوت من بعض حجر أمهات المؤمنين تقول : (ألا ان نبيكم قد برىء ممن فرق دينه وتحزب) وتلت الآيـة : « **إن الذيـن فرَّقوا دينَهم وكانوا شيعا** » الآية · والمتكلمة هى أم المؤمنين هند بنت أبى أمية – أم سلمة – رضي الله عنها : وكانت من أعلم علماء الصحابة رضوان اللـه عنهـم (1) ·

ومنعا لوقوع الخلاف والفتنة بين المسلمين – لما يترتب على ذلك من الفشل وذهاب القوة والدولة – أمر رسول اللـه صلى الله عليه وسلم أمته بالسمع والطاعة لأمرائهم كما جاء فى حديث العرباض بن سارية رضى اللـه عنهم ، وحذرهم من الخلاف والفتنة فقال : « أوصيكم بتقوى الله ، والسمع والطاعة لولاة الأمر وان كان عبدا حبشيا ، فانه من يعش منكم فسيرى اختلافا كثيرا ، فعليكم بسنتي » الحديث ·

---

(1) انظر تفسير هذه الآية فى المنار والاعتصام ·

وفى الموطا ان قوما يأتون الحوض ـ يوم القيامة ـ بعلامة المؤمنين التى يختص بها أهل هذه الأمة بسبب وضوئهم للصلوات فيراهم النبي صلى الله عليه وسلم ويدعوهم للورود ، ولكنهم يذادون عنه كما يذاد البعير الضال ، فيناديهم النبي صلى الله عليه وسلم قائلا : « ألا هلُم ، ألا هلُم ، ألا هلُم » . فيقال : « انهم قد بدلوا بعدك،فأقول فسحقا ، فسحقا ، فسحقا » اهـ حمله جماعة من العلماء على أنهم أهل البدع . وهذا معنى براءته منهم وتنكره لهم .

لأجل هذا الحديث وأمثاله عدت العلماء كل الفرق التى خالفت السنة وخرجت عنها ـ قولا ، أو فعلا ، أو اعتقادا وسلوكا ـ من الفرق المبتدعة . ومقتوا البدعة فيهم ، ونصحوهم ، وحاولوهم ان يفيئوا الى المنهاج السوي كتاب الله وسنة رسوله .

ثم ان هذه الفرق انقسمت على نفسها :

فمنهم مقتصد حاول أن يدرك الحق ويهتدي اليه ، ومنهم ظالم لنفسه بالغلو والعناد مما أدى ببعض هؤلاء الغالية الى الخروج عن الاسلام بأقوال رهيبة واعتقادات زائغة ناهيك من يزعم ان للقرآن ظاهرا وباطنا ، الظاهر جاء ليعلمه الناس والباطن انما يعلمه الائمة المعصومون ، ومنهم من بلغ به الكفر الى الزعم بان جبريل أخطأ فى تبليغ الرسالة فنزل بالقرآن على محمد وقد أمر ـ فى زعمهم ـ ان ينزل به على علي ، فهؤلاء ليسوا بمسلمين . ومن أشنع اقوال الغلاة وكيدهم لإبطال الشريعة الإسلامية ، وتحطيم دولة المسلمين تهجمهم على الصحابة وحتى الكبار منهم رضوان الله عنهم أجمعين وشتمهم ، ورميهم بالكذب ، ونزع صفة العدالة عنهم والأمانة ، وإقدامهم على سفك الدماء واستباحة الأعراض والأموال بغير حق . وتبرير ذلك وتحبيذه شبيه بفعل فاعله ، فما اغنى العاقل عنه .

وقد أخبر رسول الله صلى الله عليه وسلم ان أمته ستفترق على بضع وسبعين فرقة لا تنجو منهن سوى فرقة واحدة هى التى تمسكت بسنته ولزمت جماعة المسلمين . وقد افترقت أمته بالفعل كما أخبر . وربما ادعت كل فرقة أنها وحدها الفرقة الناجية المستثناة فى الحديث ، فلا يلتبسن الأمر على أحد لأن الميزان الذى تعرف به هذه الفرقة وتمتاز به عن غيرها ـ موجود فى القرآن

وفي حديث حبيب الرحمن ، فالله سبحانه يقول : « **فإن تنازعْتُم فى شىء فرُدُّوه الى الله والرسول ان كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر ذلك خيرٌ واحسنُ تأويلًا** » ٠ والحديث يرشد الى التمسك بالسنة عند الاختلاف ٠ وبها النجاة ٠

فمن زعم ان للقرآن ظاهرا يعلمه الناس لأنه بلغ إليهم ، وباطنا قد اختص به الائمة أو غيرهم كائنا من كان فقد ابتدع وافترى ، ونسب الكتمان لصاحب الشريعة ٠

ومن أشنع البدع التى سببت افتراق المسلمين ، وأحدثت فيهم الفتنة مزاعم القدرية وهم أصل الاعتزال،ولما سمع بمقالهم عبد الله بن عمر رضي الله عنهما أنكر عليهم أشد الإنكار ، وتبرأ منهم وحدث عن أبيه عمر بن الخطاب بحديث جبريل ، فى الاسلام والإيمان والإحسان ، وفى خصال الإيمان جاء قول نبينا (ص) يخاطب جبريل : (وتؤمن بالقدر خيره وشره) وقد صدقه جبريل فيما قال ٠ فمن قال بالقدر ـ كقول المعتزلة فهو مبتدع ، ومن قال بعلم الباطن كالباطنية والرافضة فهو مبتدع ومن أغرق فى شتم الصحابة واذايتهم ، ورميهم بالبهتان المفترى فهو مبتدع ، كيف وقد رضي الله عن أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم ورضوان الله عنهم ولم نعلم أنه سخط عليهم بعد الرضى ، ومدحهم وأعلن أنهم المفلحون والصادقون قال تعالى : « **لكنِ الرسولُ والذين آمنُوا معَه جاهدوا بأموالهم وأنفسهم وأولئك لهُم الخيْرَاتُ وأولئك هم المفلحُون** » وفى آية الحشر شهد للمهاجرين بالصدق وللأنصار بالفلاح ، ولم نعلم أنه ذمهم بعد هذه الآيات ، بل مات رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو عنهم راض ، فلا يغتاظ منهم ولا يبغضهم ولا يقع فى اعراضهم الا من سفه نفسه أو سكن النفاق قلبه ، قال تعالى : « **محمدٌ رسول الله والذين معه أشدَّاء على الكفارِ رُحَمَاء بينهم** » ٠ ثم قال : « **ليَغِيظَ بهم الكفارَ** » ، ولهذا قال مالك فيمن اعتاظ منهم (ليس له فى فىء المسلمين نصيب) لأن الله ذكر اهل الفىء وهم المهاجرون الصادقون الذين أخرجوا من ديارهم وأموالهم ، والأنصار المفلحون وهم الذين تبوأوا الدار والإيمان من قبلهم ، ثم الذين جاءوا من بعدهم ـ الى يوم القيامة ـ وهؤلاء يقولون : « **ربَّنا اغفر لنا ولإخواننا الذين سبقونا بالإيمان ولا تجْعلْ فى قلوبنا غِلًّا للذين آمنوا ربنا إنك رؤوف رحيم** » هؤلاء هم أهل الفىء ، ولا حق لغيرهم ، ونحن ـ والحمد

لله ـ من الذين جاءوا من بعدهم.ثم ان هؤلاء الأصحاب هم الذين حملوا إلينا الرسالة فبلغوا إلينا القرآن وسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم . وكانوا عليها أمناء عدولا ، وهم كالنجوم يهتدى بهم فى ظلمات البر والبحر ، والقدح فيهم وشتمهم لا يقع فيه الا ملحد يضمر الشر للاسلام والمسلمين ، أو جاهل أحمق لا يدري ما يصنع ، أو غبي أعماه الحقد الدفين ، ولا يعلم ما يقول ، ولا يقدر نتائج ما يعتقد ، وبه يتفوه ، فالرافضة وهم المتجرئون على الصحابة انما تأسست فرقتهم وشاعت نحلتهم بقصد هدم دولة العرب ، ومحو ديانة الاسلام، وقد حقـق هذا الدكتور حسن ابراهيم حسـن فى كتابه الجليـل (الدولة الفاطمية) وبرهن عليه بوثائق تاريخية ، وبأعمال أتوها من سفك الدماء فى الحرم والعبث بالحجر الأسود كما فعله القرامطة ٠

أن الاسلام مبني عـلى القـرآن والسنة،وعـن هؤلاء الأصحاب رويناهما واخذناهما ، وماذا يبقى لنا لو صدقنا الذين طعنوا فى أبي بكر ، وعمـر ، وعثمان ، وعلي،والحسن،والحسين ، وسعد ، وطلحة . والزبير،وعبد الرحمن ابن عوف ، وعائشة الصديقة بنت الصديق ، وابن عباس،ومعاوية ، وعمرو ابن العاص ، وعبد الله بن عمرو ، وأبي هريرة ، وأبي موسى الاشعري وغيرهم كثـير ممن ادركتهم الفتنة فاجتهدوا،سواء أخطأوا أو أصابوا ، وما أحـد من هؤلاء الذين ذكرتهم الا وفى المبتدعة من يقدح فيه ولا يرضى عنه ، والمكثرون من الحديث كأبي هريرة ، وابن عباس ، وابن عمر ، وعائشة ، وأبى سعيد، وجابر بن عبد الله،لم يسلم واحد منهم من قالة السوء،تعلنها فيه الغالية مـن الفرق الضالة ، حاشا المعتدلين ٠

فماذا يبقى لنا مـن حديث رسول اللـه إن اتهمنا هؤلاء وأولئك ورددنا حديثهم ؟ لا شك ان الجراءة عليهم أو على أحـدهم تؤدي الى التهمة وتذهب الثقة وتعرض بنيان الدين الى الانهيار ، وذلك ما يسره ويصر عليه كل فاجـر كفـــار ٠

والفرقة الناجية ـ حقا ـ تعلن رضاها عن جميعهم ، وترضى عنهم ، وتتأول ما شجر بينهم،وتسأل لهم الرحمة والمغفرة من الله ، وذلك ما وعد الله به المتقين من عباده فى قوله « : **ونزَعْنا ما فى صدورهم من غلٍّ إخواناً على سُرُر متقابلين لا يمسُّهم فيها نصَبٌ وما هم منها بِمُخْرَجِين** » ٠ فالقرآن الكـريم أرشدنا ،

ونحن واقفون على ما أوقفنا عليه ، وهو الذى يقول : « **تِلك أمَّةٌ قد خلتْ لها ما كسَبَت ولكم ما كسَبْتُم ولا تُسْأَلون عما كانوا يعملون** » .

كان أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم يجهرون بإنكار البدعة اذا ذر قرنها ، كما رأينا ابن عمر رضي الله عنه لما بلغه قول القدرية ، ومثله علي بن أبى طالب الذى نكل بالمنحرفين الغلاة وتبرأ منهم . وكذلك غيرهما من الصحابة ، الأمناء الذين رووا لنا ما سمعوه من صاحب الشريعة بكل صدق وأمانة ، فمن سعادة المرء أنه اذا علم من نفسه شيئا مما جاء عن الرسول صلى الله عليه وسلم بادر بالتوبة والإنابة والإقلاع ـ فورا ـ عنه ، وقد غادر الزبير ـ رضي الله عنه ـ ميدان المعركة فورا لما ذكره علي فتذكر ، ومن شقاء المرء ان يبادر الى إنكار الحديث واتهام الصحابي فى روايته ! وما قوله لو صح الحديث وكان الرسول قد نطق به حقا ؟

التابعون لأهل القرن الأول واتباعهم وقفوا من البدعة وأهلها موقف الأصحاب لا تأخذهم فى الله لومة لائم ، كانوا يؤدون وظيفة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر بكل إخلاص وأمانة وشجاعة ، ينصحون لله ولكتابه ولرسوله ولائمة المسلمين وعامتهم ، ويقبلون كل إذاية تلحقهم فى أبدانهم وأموالهم وأعراضهم ولا يخونون الله ورسوله . فابو حنيفة النعمان أبى ان يتولى القضاء للظالمين فسجن وامتحن وصبر وثبت .

والإمام مالك اتهم الرأي ، واعلن انه لا يوخذ قول أحد بالتسليم الا قول النبي صلى الله عليه وسلم فقال : (كلكم راد ومردود عليه إلا صاحب هذا القبر) ، وكان يجهر بالحق ، دخل على الخليفة العظيم هرون الرشيد فوجده يلاعب وزيره أو أحد عظماء دولته الشطرنج ـ أو لعبة أخرى ـ فقال له أحق هذا يا أمير المؤمنين ؟ قال الخليفة (لا) فقال الإمام (فماذا بعد الحق إلا الضلال) فأقلع الخليفة عن اللعبة وأقسم الا يعود . ولما رأى من عبد الرحمن بن مهدي ما ظنه بدعة ـ ولم يزد على ان جعل رداءه مطويا فى مسجد رسول الله (ص) بينه وبين القبلة وهو فى صف الصلاة ـ فأمر به مالك الى السجن لأنه ظنه صاحب بدعة . وهكذا غير المنكر بيده . وافتى بأن يمين المكره لا تلزم ، وروى فى ذلك حديثا وذلك هو المعروف من قواعد الشريعة والمفهوم من قوله تعالى : « **مَن كَفَر بالله من بعدِ إيمانه ـ إلا منْ أُكْرِه وقلبُهُ مطمئنٌ بالإيمان** .. »

الآيـة • فلم تعجب فتواه أمـير المدينة لأنه كان يكره الناس عنـد البيعة ان يحلفوا أيمانا مغلظة بالوفاء ، فيها الطلاق والعتاق ، وانما يكـون الانتخاب (وهو مقتضى البيعة) بالرضى لا بالإكراه ، وساله ان يرجع عن فتواه ، ويتنكر لما رواه ، فابى الإمام ان يرجع عـن فتواه وان يتنكر لما روى ، أبى ان يخون الأمانة ، فان المفتى مبلغ عن صاحب الشريعة ، وتعرض للضرب ، حتى انخلعت يداه وثبت وصبر محتسبا •

وكذلك وقع للإمام الشافعي ، حمل معتقلا من بلد بعيد الى بغداد • ثـم دفع اللـه عنه الشر ونجاه ، وقد مات بعض أصحابه من بعده فى فتنة القول بخلق القرآن • وجاء دور الإمام أحمد بن حنبل رضي الله عنه وقد اشتد ساعد القدرية وتمكنوا من الدولة والوزارة ، وأقنعوا الخليفة المأمون بمذهبهم الباطل فوضع ثقله كله فى كفة ميزانهم الخاسر ، وجعل هو ووزيره الفاجر احمـــد ابن أبى داود وعصابته يجبرون العلماء عـلى القـول بخلق القرآن ، ونفـى الصفات ، وذلك ما لم يرو عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ولم يعهد من الخلفاء فى مدة تزيد على قرنين من الزمن •

ولكن العلماء الربانيين ــ وعـلى رأسهم الإمام أحمد بن حنبـل ــ وقفوا كالشجى فى حلاقيمهم ، وقالوا لبدعتهم جهرا (لا) هذه بدعة كريهة ، ونحلة فاسدة ، وقول باطل ، وأنتم المبطلون •

وتعرضوا للأذى الشديد ، فمنهم البر الشهيد ، ومنهم من تحمل الضرب والعذاب ، والهوان نصيبه من الجلادين والاعوان حتى جاء الفرج بعد حين ، فى خلافة المتوكل بعد عهد المامون والمعتصم والواثق ، وبعد بضعة عشر عاما من الظلم والعذاب رفع المتوكل العذاب والمحنة على العلماء فانفرجت الأزمـة واستحق الثناء بالجميل •

فالامام أحمد ــ رحمه اللـه ــ من الأبطال الذين وقفوا فى وجـه البدعة وصمدوا فى الميدان صمود الرجال •

ومـن هؤلاء الرجـال أبو الحسن الاشعرى ــ حفيـد الصحابى الجليـل أبى موسى الأشعرى رضي الله عنهما ، فقد نشأ على مذهب الاعتزال حتى حذق فنونه ، وحفظ حججه ،وعرف أسراره ،ثم هداه الله الى الحق ، والى الصراط

المستقيم ، وبان له متاهات أقواله ، وضلال رجاله،فتاب منه وأناب ، وناظر شيخه أبا علي الجبائي بواسطة عجوز اتخذها آلة فأفحمه وقطعه ·

ثم أعلن انسلاخه من مذهب الاعتزال ، وتصدى له ينقض نسجه عروة فعروة ، ويناظر رجاله فيفحمهم ، ويسطو بدلائلهم وبراهينهم فيأتى عليها · وجاء من بعده أبو بكر بن الطيب الباقلاني ، فصنع بهم مثل ما صنع أبو الحسن، وبفضل هذين الرجلين وامثالهما قضى على بدعة المعتزلة ، وأراح الله منها البلاد والعباد ·

وكفى بها سوء أنها جرأت السياسة أن تتدخل فى المسائل العلمية،وتجبر العلماء على اعتناق نظريات علمية لم يقتنعوا بها ، ويوم كانوا هم الضعفاء لم يصبهم شيء ، بل سئل عنهم كبار العلماء : أكفارٌهم ؟ فأجابوا هم من الكفر فروا ، وما زاد الحسن البصري ـ عندما خالفه إمامهم الأول وناقشه على أن قال له (اعتزل مجلسنا)·ومن قول الحسن ـ فيما قيل ـ جاءهم لقب الاعتزال·

ومن عجيب الأمور أن المستشرقين من الأوروبيين ، ومقلديهم (القرود) من العرب المعاصرين يرفعون نحلة الاعتزال اليوم ، ويزعمون لأبنائنا انهم هم العلماء (الأحرار) وان أهل السنة (الجامدين) قد أصابوهم بالمكروه وقضوا على مذهبهم ! والحق ان المعتزلة هم الذين ظلموا ، وأقنعوا الخليفة بالتدخل ، فأطلق المأمون يد وزيره أحمد بن أبى داود يقتل ويعذب وينكل بكل من خالف رأيهم · وحتى لو كان رأيا مصيبا لما جاز له ذلك ، فانما وسيلة العلم الاقناع بالحجة والبرهان ، وما فائدة الاذعان اذا كان خضوعا للإكراه والتعذيب ، فما هو الا ادهان ، لكن رأيهم كان بلاء ومصيبة ، عاد عليهم ـ من بعد ـ بالوبال والخسران ، وكان سببا لانقراضهم ·

ومن أعظم الرجال الذين صارعوا البدعة والمبتدعين ، وتحملوا فى سبيل ذلك البلاء المبين شيخ الاسلام أحمد بن تيمية وتلميذه شمس الدين ابن قيم الجوزية ، وقد مات كلاهما أثناء القرن الثامن للهجرة النبوية (الرابع عشر للميلاد) وقد نبغ ابن تيمية ـ وأصله من شمال العراق ـ فى دمشق ، وقد أحاطت بالاسلام والمسلمين البلايا والمحن فى عصره ، فسل السيف واللسان والقلم ، وجاهد في الله حق جهاده ، فى معارك الميدان بجانب الملك الناصر ابن قالوون ضد التتار ، وضد المبتدعة وضد الصليبيين وضد الخونة المتعاونين

معهم . كما جـرد اللسان والقلم ، وأعلنها حربا شعواء على البدع والفـرق الضالة من أهـل الأهواء كالرافضة والباطنية مـن المنتسبين الى الاسـلام ، وكالنصارى واليهود المتقوّلين عليه ـ يرد مذاهبهم ، ويفند حججهم ، وقـد اصطدم بالجمود والجحود من علماء عصره ، ومن العامة التى انحرفت عـن التوحيد،والتبس عليها الامـر، وارتكبت أفعال الشرك ـ وان نطقت الالسـن بكلمة الاخلاص والتوحيد ـ فامتحن رحمه الله على يد ولاة السوء ، وبتحريض الجامدين والجهلة من العلماء والقضاة ، ونقل الى مصر معتقلا ، ودخل السجن مرارا منها فى القاهرة بضعة عشر شهرا ، ثم أفرج عنه ولكنه عاد اليه بعـد سنوات ، واعتقل آخر مرة ، وحكم عليه بأقسى عذاب ينال السجين ـ واسأل به خبيرا ـ وهو تجريده من الكتب ومن كل أدوات الكتابة حتى مات رحمه الله فى قلعة دمشق عام 728 هـ ـ 1328 م .

ولكنه ترك ثروة علمية عظيمة ما تزال تفتك بالبدعة وأهلها حتى الآن،كما أنه ترك تلاميذ نال بعضهم ـ كابن القيم ـ بعض ما ناله من سجن وتعذيب، فهذا الامام العظيم ـ رحمه اللـه ـ من الذين عاشوا حياتهم كلها فى الجهاد بالنفس والمال ، وباللسان والقلم،لنصر الاسلام والسنة،ومحق الكفر والبدعة، والاخلاص فى الدين « **وما أُمِرُوا إلا ليعبدوا اللَّهَ مُخلِصِين له الدِّين** » .

وفى مغربنا لم يخـل عصر من العصور مـن أمثال هؤلاء العلماء الأعلام ، القائمين بالحق ، الظاهرين على المبتدعين ، فقد ثبتوا ثبوت الرواسى أمـام تيار المبتدعة الذين جاءوا من (الشرق) ببدعة القول بخلق القرآن ، ولم يغن هؤلاء ان الدولة كانت دولتهم ، والريح ريحهم ، فتصدى لهم الإمام سحنون ومشائخه وتلاميذه ، وأذاقوهم الهوان والخزي بالإعراض والتحدي . ثـم جاءت الباطنية مـن بعد هؤلاء ، وأعلنوا مذهبهم النكر ، والجهر بالسوء مـن القول فى الصحابة ، فثبت العلماء فى وجوه بدعهم،وأفتوا العامة بالثورة عليهم، ورفعوا السلاح مع الثائرين ضدهم ، ولو لم يكن (*) ممن يرضون لأنه من أهل القبلة بينما كانت الباطنية ـ عندهم ـ من الكافرين . وما زالوا يطاردونهم

(*) خرج العلماء ثائرين مـع أبى يزيد صاحب الحمار ، وكان اباضيا نكاريا انه من أهـل القبلة ، بينما كان الباطنية عندهم كفارا ، وقد مكر بهـم أبو يزيد فى المعركة ـ فاخذه الله بغدره .

سرا وعلانية ، حتى ارتحلوا عن القيروان ، وغيروا مكان عاصمة ملكهم ودولتهم واستخلفوا الصنهاجيين ينوبون عنهم ، وتمكن احد عظماء أهل السنة وهو الشهم الجزائرى الاصل ابن أبي الرجال من تربية المعز بن باديس الأمير الصنهاجي على الحق ، على السنة وكره البدعة،حتى اذا اشتد ساعده ووجد الفرصة سانحة اعلن براءته التامة من البدعة وأهلها ، والاستقلال عن دولتها ٠ وكل دولة من دولنا المغربية قامت على دعوة دينية تنصر السنة ، وتقاوم البدعة وأهلها ، كدولة المرابطين التى كانت تدعى دولة الفقهاء ، ودولة الموحدين ، وقد نبغ تحت ظل هؤلاء الدول وأمرائها كبار علماء السنة وأنصارها ٠ من هؤلاء ـ غير من ذكر من أهل القيروان ـ أبو عمر بن عبد البر ، والقاضي أبو بكر بن العربى ، وأبو محمد بن حزم ، والقاضي عياض ٠ وما تزال كتب هؤلاء الائمة الأعلام تعمر خزائن الأمصار فى كل الأقطار ، وهى نبراس المهتدين بالسنة توضح لهم سبيل الحق وتفضح البدعة وتعرفها لهم ٠

ومن هؤلاء الأعلام من تأخر بهم الزمان ، ولكنهم لم يقصروا عن الأولين وان عدوا من المتأخرين ، ولا نستطيع ـ فى هذه العجالة إحصاءهم ، ولكن نذكر واحدا منهم وهو العلامة أبو اسحاق ابراهيم بن موسى الشاطبي الغرناطي ٠

وغرناطة ـ فى الأندلس ـ عاصمة مصرها ومقر سلفنا من الصنهاجيين وكانت لهم دار ملك ، ثم كانت آخر عواصم الاسلام ٠

عاش أبو اسحاق الشاطبي أثناء القرن الثامن للهجرة ، وتوفى بغرناطة عام سبعمائة وتسعين (القرن الرابع عشر الميلادى) وطلب العلم فى عواصمنا المغربية ، ومنها تلمسان ، وأخذ العلم عن أُسلافنا ، ومنهم الامام المحقق عالم أهل وقته الشريف أبو عبد الله التلمساني ، وأبو عبد الله المقري ، والامام الجليل الرحالة الخطيب ابن مرزوق الجد ، والامام المحقق الأُصولي أبو علي منصور بن محمد الزواوي ، وغير هؤلاء من علماء الاندلس ومراكش،وألف كتبا جليلة لم يؤلف قبلها ولا بعدها فى فنها خير منها ٠ من ذلك كتابه (الموافقات) فى أصول الفقه ومقاصد الشريعة ٠ وهو كتاب نفيس وسمه العلماء بانه (جليل القدر جدا لا نظير له ، يدل على إمامته وبعد شأوه فى

العلوم سيما علم الاصول ، قال عنه شيخه ابن مرزوق (كتاب الموافقات من أنبل الكتب) (2)· وقال محمد رشيد رضا : كتاب الموافقات لاند له فى بابه ·· وكتاب الاعتصام لاند له فى بابه تعرض فيه الى تحرير مسائل البدع والابتداع مما ينفع المسلمين فى أمر دينهم وأمر دنياهم،ويكون أعظم عون لدعوة الاصلاح الاسلامى على سعيهم · وقد كتب كثير من العلماء فى البدع ··· وما رأينا أحدا منهم هدي الى ما هدى الله أبو اسحاق الشاطبى من البحث العلمى الاصولى فى هذا الموضوع وتقسيمه الى أبواب يدخل فى كل واحد منها فصول كثيرة ··· (3)

ثم قال عنه العلامة الشيخ محمد رشيد رضا : لولا ان هذا الكتاب ألف فى عصر ضعف العلم والدين فى المسلمين لكان مبدأ نهضة جديدة لإحياء السنة وإصلاح شؤون الأخلاق والاجتماع،ولكان المصنف - بهذا الكتاب وبصنوه كتاب (الموافقات) الذى لم يسبق الى مثله سابق أيضا - من أعظم المجددين فى الاسلام ، فمثله كمثل الحكيم الاجتماعى عبد الرحمن بن خلدون كل منهما جاء بما لم يسبق الى مثله ، ولم تنتفع الأمة - كما كان يجب بعلمه (4) ·

والملاحظة أنهما عاشا فى عصر واحد ، واشتركا فى بعض مشائخهما الجزائريين كالشريف التلمساني ، ومات ابن خلدون بعده بالقاهرة أوائل القرن التاسع - بعد بضعة عشر سنة من وفاة الشاطبي ، وكان إنتاج هذا العلامة من أكبر الاسلحة الفعالة فى أيدي المصلحين ، يحيون به السنة ، ويهاجمون البدعة ويخزون أهلها · وبذلك عد هذا الامام فى قافلة الطائفة الظاهرة على الحق لا يضرهم من خالفهم ·

---

(2) من ترجمة أبى اسحاق فى كتاب نيل الابتهاج لاحمد بابا التنبوكى ·
(3) من مقدمة الطبعة الاولى من كتاب الاعتصام ، وبقلم محمد رشيد رضا ·
(4) المصدر المذكور ·

انكار على البدعة فى العصر الحديث

وجاء العصر الحديث بعد أن طال الأمد على المسلمين وقست قلوب كثير منهم ، وفسقوا عن أمر ربهم ، وعمت الجهالة ، وكلت الهمم ، وتنكر الكثير للسنة وأهلها ، وباضت البدعة وفرخت . وازدهرت وتبخترت ، وذهبت الصولة وضعفت الدولة ، واصبحت أوطان المسلمين نهبا للمعتدين ينقصونها من أطرافها ويعيثون فيها ــ وفى أهلها ــ وما احتلوه منها فسادا ٠

والى جانب ما كان فيهم من البدع القديمة ، التى أصبحت عند كثير منهم من صميم الدين ، نشأت نحل جديدة بعضها على أسس جديدة وبعضها أساسه قديم ، ومن هذه النحل فرقة البابية ، وبنتها البهائية فى فارس والشرق الاوسط،ثم القاديانية فى الهند،وكلها تعمل لهدم الاسلام وتقويض أركانه والاتيان على بنيانه متعاونة مع أعداء الاسلام من المبتدعة ومن المستعمرين ٠

وهكذا اصطبغت مقاومة البدع ، والجهر بالاصلاح والدعوة الى السنة بلون جديد ، ودخل فى هذه المقاومة للبدعة ــ حفظا لكيان الاسلام ــ مقاومة الاطماع الاجنبية ودسائس الدول الاستعمارية واحباط مكائدها ضد المسلمين وأوطانهم ٠

وكان هذا أهم مظاهر النهضة التى قادها جمال الدين الافغانى ومدرسته التى خلفه فيها وقادها معه فى حياته ، ثم من بعد مماته محمد عبده ، ومحمد رشيد رضا ، ومن هذه المدرسة تفرعت حركتنا الاصلاحية التى قادها الامام الرئيس عبد الحميد بن باديس فانها ربطت الدين بالسياسة ، وجعلت مطاردة

البدعة فى الدين مرتبطة بمطاردة نفـوذ المستعمرين وتوهين أركان بنيانهم والقضاء على عملائهم ٠

أول صوت ارتفع بالإصلاح والإنكار على البدعة والمبتدعين ووجوب الرجوع الى كتاب الله والتمسك بسنة رسول اللـه صلى اللـه عليه وسلم ونبذ كل ابتداع ومقاومة اصحابه ، جاء مـن الجزيرة العربية وأعلنه فى الناس الامام محمد بن عبد الوهاب أثناء القرن الثامن عشر (1694 ـ 1765) وقد وجدت دعوته أمامها المقاومة الشديدة حتى انضم اليها الامير محمد بن السعود وجرد سيفه لنصرتها والقضاء على معارضيها فانتصرت ٠

ولما كانت نشـأة هـذه الدعوة فى صميم البـلاد العربية ونجحت عـلى خصومها الأولين فى جزء منها ، وكانت مبنية على الدين وتوحيد الله سبحانه فى ألوهيته وربوبيته ومحو كل آثار الشرك ـ الذى هو الظلم العظيم ـ والقضاء على الأوثان والأنصاب التى نصبت لتعبد من دون الله أو تتخذ للتقرب بها الى اللـه ، ومنها القباب والقبور فى المساجد والمشاهد ـ لما كان ذلك فقد فهـم أعداء الاسلام قيمتها ومدى ما سيكون لها من أبعاد فى يقظة المسلمين ونهضة الأمة العربية التى هى مادة الاسلام وعزه،اذ ما صلح أمر المسلمين أول دولتهم الا بما بنيت عليه هذه الدعوة ، وقد قال الامام مالك : (لا يصلح آخر هـذه الأمة الا بما صلح به أولها) ٠

لهذا عزموا على مقاومتها وسخروا كل إمكانياتهم المادية والفكرية للقضاء عليها ، وحشدوا العلماء القبوريين الجامدين أو المأجورين للتنفير منها وتضليل اعتقاداتها ، وربما تكفير أهلها ، كما جندوا لها الجنود وأمدوها بكل أنـواع أسلحة الفتك والدمار للقضاء عليها ٠

تحرش بها الانكليز ، والعثمانيون،والفرس،واصطدموا بها،وانتصر عليهم السعوديون فى بعض المعارك،فالتجأت الدولـة العثمانية الى مصر،وسخـرت لحربها محمد عـلي وابناءه ـ وهو الذى كانـوا سخروه لحرب دولة الخلافة وتوهينها ـ وكان قـد جـدد جيشـه عـلى أحدث طـراز عنـد الاوروبيين آنذاك ، فاستطاع الجيش المصري ان يقضى على هذه القوة الناشئة،وظنوا انهم استراحوا منها ، وكان مـن الجرائم المرتكبة ان أمـير هذه الامـارة السلفية

المصلحة أسر وذهب به الى مصر ، ثم منها الى اسطمبول حيث أعدم كما يعدم المجرمون .

وهكذا يكون هذا الامير المسلم السلفي المصلح من الذين سفكت دماؤهم فى نصر السنة ومقاومة البدعة رحمه الله .

وفى هذه الفترة ارتفعت أصوات أخرى لتأييد السنة ومخاصمة البدعة ومحاولة إيقاظ المسلمين والنهوض بهم وتجنيبهم الوقوع بين مخالب الدول الاستعمارية وصيانة أوطانهم .

وأهم هذه الأصوات وأعظمها صوت الامام جمال الدين الأفغانى ومدرسته وكانت حياته حتى مماته لتحقيق هذه الأغراض ، فقد حاول ذلك فى الافغان فاستطاعت المكائد الانقليزية ان تخرجه منها ، ثم انتقل الى اسطمبول وحاول الاصلاح فلم يقدر عليه ، واخرج منها فاستقر فى مصر بضعة أعوام ، وفيها استطاع ان يثبت دعائم مبادئه ، ويكون تلامذة منهم محمد عبده فى الدين والسياسة ، وسعد زغلول فى الوطنية والسياسة ، وما زالت به المكائد الاستعمارية الفرنسية والانكليزية حتى اخرج من مصر ، ثم من الهند التى التجأ اليها ، وساح فى أوروبا (باريس ـ لندن ـ روسيا ـ المانيا) وذهب الى ايران فقام بعمل عظيم أدى الى طرده من طرف الشاه .

وحيثما حل ترك ثورة فى الأفكار وحركة فى الرجال حتى حل أخيرا باسطمبول للمرة الأخيرة وبقى فيها أسيرا حتى أدركه أجله فى العقد الثاني من القرن الرابع عشر (1314 هـ) أواخر القرن التاسع عشر الميلادى (1897 م) . وعلى طريقته وأسلوبه فى التفكير قاوم محمد عبده البدعة والنفوذ الاستعمارى ، وزج به فى السجن ، وذاق غصص النفي ، ولكنه كان القوي الرابط الجاش ، وقد ترك فى مقاومة البدعة اثرين عظيمين ، أولهما تلميذه الكبير محمد رشيد رضا ، وثانيهما تفسيره للقرآن الكريم الذى ألقى منه تفسير نحو خمسة أجزاء كان يكتب خلاصتها ويحققها ويتممها تلميذه الوفي الشيخ محمد رشيد رضا فلما توفى الإمام رحمه الله عام 1323 هـ (1905 م) استمر الشيخ محمد رشيد رضا فى مواصلة كتابة التفسير على أروع مثال حتى انتهى الى قوله تعالى : ـ حكاية لقول نبيه يوسف عليه السلام ـ **« ربِّ قد آتَيْتَني مِن الملك وعلَّمتنى من تأويل الأحاديث فاطرَ السموات والارض**

انت وليّ في الدنيا والآخرة توفّني مسلماً وألحِقني بالصّالحين » لبى نداء ربه والتحق بالرفيق الأعلى ، وكان ذلك عام 1354 هـ (1935 م) ٠

ان هذين العلمين الشامخين (محمد عبده ، ومحمد رشيد رضا) من أعظم دعاة السنة ومقاومي البدعة ، وان في تفسير المنار الذى اشتركا في إنتاجه ـ وكان الفضل الأكبر للثاني في إخراجه ـ لم يأت تفسير قبله ولا بعده على مثاله ، وقد كان له الأثر الكبير في النهضة الاسلامية واليقظة الشرقية والحركة القومية السياسية المبنية على الدين الصحيح السليم من البدع والخرافات ، ومن الجحود والجمود ٠

ان حركتنا الإصلاحية ـ التى قامت في بلادنا وبدأت أعمالها ببدء أعمال ابن باديس وانتصابه عام 1332 هـ (1914 م) ـ فرع لهذه الحركة المتصلة ـ بجمال الدين الأفغاني ـ ومحمد عبده ، ومحمد رشيد رضا ، ولا نعني انها كانت متصلة بهم عاملة بوحيهم مدبرة منهم ، فقد كانت مستقلة تمام الاستقلال عنهما من هذه الناحية ، انما نعني انها كانت متأثرة بهما ، سائرة ـ في الاصلاح الديني والدنيوي ـ على منهاجهما في الاعتماد على كتاب الله ، وإحياء سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وإماتة البدعة ، والإنكار على أهلها ، ودعوة الأمة الى اليقظة والنهضة الشاملة ، والتخلص من كل اثر للجمود والجحود والتخلف الفكري ، وبث التعليم القوي باحياء اللغة والنخوة الاسلامية العربية ، والمحافظة على الوحدة الوطنية على أساس سليم تقبله الأمة ويمليه الدين : « إنما المؤمنُونَ إخْوَةٌ » « المسلم أخو المسلم » فما جمعته يد الله لا تفرقه يد الشيطان ٠

وقد كان لهذه الدعوة التى لم تكن قولية فحسب، بل كانت قولا وعملا وسعيا وجهادا متواصلا وتضحيات عزيزة ، وآلاما جسمية ونفسية ، كان لها الأثر الأكبر والحظ الأوفر فيما وصلت أمتنا اليه ، ولولا ان هذه الحركة مهدت للثورة المسلحة التى نشبت عام 1374 هـ (1954 م) لما قدر لها ان تجد من النجاح الباهر ما وجدته ، ان هذه الحركة قضت على الجمود ، وعلى التخلف الفكري ، وعلى البدع الملصقة بالدين من خنوع وخضوع أمام القبور والقباب، وتقديم البخور والنذور لها ، وللأشجار والأحجار ، والخوف من الأرواح الشريرة ، وعبادة الجن ، والسمع والطاعة العمياء لأصنام بشرية تأكل وتشرب

وتبول وتتغوط ، وتمرض وتموت ، ومع ذلك فهى تدعو الناس لعبادتها،وتزعم لها (ان الكون فى قبضتها ونزول المطر بيدها ، والنفع والضر من اثرها وفى قدرتها ، ثـم تزعم للشعب ان سلطة الدولـة الاستعمارية من سلطة اللـه وسلطة الله لا تقاوم ، وان التسليم لها تسليم لله ، والرضى بأحكامها رضى بقدر الله ، فما عليها ـ أى الأمة ـ الا ان تصبر لقضاء اللـه ، فإذا شاء الله جعلهم يرتحلون من عند أنفسهم ويتركون لنا الوطن من بعدهم ٠

مثل هذه الأفكار كانت رائجة يحتضنها (مشائخ) ويروجون لها،تحميهم هذه السلطة الاستعمارية المنتفع الأكبر من رواجها ، وكان لها الدور الكبير فى تنويم الأمة واستبلاه البسطاء ، ويزعمون ان أكثر من 90٪ من الأمة كان خاضعا لهم فى هذا السلطان ، وقد أكده الشيخ أبو يعلى الزواوي رحمه الله فى بعض مقالاته ٠

ان هذه الحركة ـ كما تقدم ـ بدأت فعلا بشروع الإمام ابن باديس فى عمله ، ثم أخذ يشتد ساعدها منذ عام 1343 هـ (1925 م) ، ولما وقع الاعتداء عليه عام 1345 هـ (1926 م) قفزت الى الامام خطوات جبـارة ، واصبحت مبادئها الدينية المعتمدة على كتاب الله وسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم وتأييد السنة والتزامها وإنكار البدعة ومحاربتها ، ومباديها الوطنية القومية التى دستورها المجمل (الاسلام ديننا ، العربية لغتنا ، الجزائر وطننا) ، كل ذلك على لسان الجماهير ، والتزام كل المشتغلين بالحركات ٠ بهذا تطهر الجو تماما وقضى على الشعوذة والتدجيل ، وتحررت النفوس من السلط التى كانت تخضع لها ، والعقول من السلط التى كانت تخشاها ، ورجع للإنسان الجزائري كل قـوته واعتباره وقيمته الدينية والخلقية ، وشجاعته العربية الاسـلامية ٠

ان الجنرال الاستعماري للجيش الفرنسي الذى كلف بإخماد الثـورة فى الأوراس عام 1955 م وهو الجنرال بارلانج قد اعترف بهذا عام 1955 م فى تصريح لبعض الصحف الفرنسية عن سر إخفاقه فى الجزائر فيما نجح فيه فى المغرب،فقال فى ذلك:انه فى المغرب اعتمد على سلطة (المشائخ) فى التأثير عـلى الجماهير ٠ هذا ما صرح بـه مضيفا إليـه قولـه : « اما فى الجـزائر

فانــه لا وجود لهــؤلاء المشائخ ولا سلطة لهــم عــلى الجماهير » · كان هــذا عــام 1955 م ، اما قبــل ذلــك فقــد كان لهــم السلطة العظمــى حتــى فى تنفيذ الجرائم وقتل العلماء كما وقعت محاولة السطو بالشيخ ابن باديس ، وكان أتباعهم يملأون السهول والجبال ويقدرون بمئات الألوف وبنسبة مئوية مرتفعة ·

ولو لم يكن لرجال هذه الحركة السنية السلفية من الفضل ســوى هذا لكفاهم فخرا وأعلى شأنهم فى العالمين ذكرا ، ولكنهم ـ لما أذن مؤذن الثــورة والحرب حي على الجهاد ، حي على الحرية والرشاد ، حي على العزة والسداد ـ لم ينكلوا ولم تكتب الخيانة على أحد منهم،بل كتبت الشهادة لكثير منهم ، وعلى رأس الشهداء الشيخ العــربى التبسى ، والشيخ أحمد بوشمال ، والشيــخ أحمد حوحو ، والشيخ محمد العدوي ، والشيخ محمد الزاهي ، وكــل هؤلاء من معهد ابن باديس فحسب فضلا عن غيرهم من الأساتذة ورجال الجمعيات والنوادي ، والحركات فى سائر أنحاء الوطن ·

اما أبناؤهم من النسب ، وامــا ابناؤهم الروحيون وتلاميذهم المنتشرون فلا عد لهم ولا إحصاء ، منهم من قضى نحبه ومنهم من ينتظر وما بدلوا تبديلا.

ولا نذكر هذا تبجحا ولا تعصبا أو تحزبا ، فقد بطلت كل حزبية بمجىء جبهة التحرير ، وانما نذكره تنبيها للذين أعماهم حقد دفين أو تعصب مقيت ، أو جهل فظيع ، فأصبحوا يقررون الخطأ ويعلمونه للأجيال ، والعقب فيهم من يتساءل ما موقف العلماء من الثورة ؟

الطــائفة الظاهـــرة :

نحن أمة إسلامية ، وهذا الوطن ـ بلا شك ـ دار إسلام ، وقد بشـــر النبي صلى اللــه عليه وسلم بالنصر والظهور إذ قال ـ فيما رواه عنه المغيرة ابن شعبة رضي الله عنه ـ (لا تزال طائفة من أمتي ظاهرين حتى يأتيهم أمر الله وهم ظاهرون) رواه البخاري ومسلم وغيرهما ·

قالت العلماء:(ظاهرين عــلى الناس أى غالبين منصورين وهــم جيوش الاسلام أو العلماء الآمرون بالمعروف الناهون عن المنكر حتى يأتيهم أمر الله أى يوم القيامة وهم ظاهرون على من خالفهم) قال ذلك المناوي ·

ثم قال في شرحه على الجامع الصغير : (فيه معجزة بينة ، فان أهل السنة لم يزالوا ظاهرين في كل عصر الى الآن ، فمن حين ظهرت البدع على اختلاف صنوفها من الخوارج والمعتزلة والرافضة وغيرهم لم يقم لاحدهم دولة ولم تستمر لهم شوكة بل كانوا كلما أوقدوا نارا للحرب اطفأها الله بنور الكتاب والسنة ، فلله الحمد والمنة) اهـ . ثم قال : (قال بعضهم ويحتمل ان هذه الطائفة مؤلفة من أنواع من المؤمنين ، منهم شجعان ومنهم فقهاء ، ومنهم محدثون ، ومنهم زهاد وغير ذلك ، ولا يلزم كونهم من قطر واحد) اهـ . وقال : (وزعمت المتصوفة ان الاشارة اليهم : لزموا الاتباع بالاحوال واغناهم عن الابتداع) اهـ

والمرجح ان هذه الطائفة هي الواردة في قوله تعالى : « **وَلْتَكُنْ منكم أمةٌ يَدعُون الى الخيْرِ ويأمُرُون بالمعروف وينهَوْن عن المنكر وأولئك هم المفلحُون** » والمفلحون هم الظاهرون المنتصرون .

والآمرون بالمعروف الناهون عن المنكر لم يكتفوا بالسنة يقومون بها ، ولكنهم يبلغون الدعوة الى غيرهم،ويحضونهم على الاتباع،ويحذرونهم من الابتداع،وهم الذين يجدون من يخالفهم ويعترض سبيلهم ، ويقاوم تأثيرهم .

ولا تجد صاحب بدعة ومقترف معصية الا وهو يهابهم ـ في نفسه ـ ويقرأ حسابهم حتى لوسطا بهم وأوقع فانه لا يستقر على حال ، وربما توقع انتقاما من الله ويوشك أن يأخذه الله أخذ عزيز مقتدر .

واننا لنجد الخلفاء والملوك والأمراء يهابون الصدام بينهم وبين القائمين بالمعروف الناهين عن المنكر وخصوصا اذا كانوا من العلماء الربانيين ، والصلحاء المتقين،الذين تجردوا من أغراض دنياوية وأخلصوا عملهم لله ، فانه لا ينفع معهم ترغيب ولا يهابون ترهيبا ، وقد كانت كلمة العالم (اتق الله) تدوي في آذانهم وتترك الصدى العميق في نفوسهم .

اما المتصوفة فاهل السنة منهم معدودون في العلماء الفقهاء الآمرين بالمعروف الناهين عن المنكر ، اما اذا لزموا صوامعهم واعتزلوا الناس يعبدون ربهم فمن يخالفهم حتى يظهروا عليه ؟

وبالاجماع من الفقهاء والمتصوفة انه لا يكون فى هذه الطائفة صاحب بدعة يضاهى بها الشريعة ويريد ان يصرفهم عنها ببدعته إلى ضلال مبين ·

أرجو ان تكون هذه الطائفة التى أعلنت هذه الحركة الاصلاحية فى الجزائر وقادتها حتى بلغت بأمتنا ـ ان شاء اللـه ـ شاطىء السلامة ، وايقظت فيها العزة والكرامة،وتحملت فى سبيل ذلك ما كتب الله على المؤمنين من فتنة،ليعلم الله الذين صدقوا ويعلم الكاذبين ـ من هذه الطائفة الظاهرة الى يوم القيامة . ابن باديس سالت دماؤه ، والتبسي واحمد بوشمال وإخوانهم نالوا الشهادة، والابراهيمي ذاق عذاب السجون والهوان والغربة والشتم والترهب والعزلة ·

وإخوان لهم ذاقوا مثلهم فى سبيل الله ورضوا بقضاء الله غير منتظرين الجزاء الأوفي إلا منه ·

نسأل الله الكريم ان يثبتنا بالقول الثابت فى الحياة الدنيا وفى الآخرة، ويلحقنا بالصالحين غير مبدلين ولا مغيرين ·



الدعـوة الإصلاحية وزعيمها ابن بـاديس

منذ أن عاد عبد الحميد ابن باديس الى الجزائر من رحلة الحج 1332 هـ 1914 م ـ موطنا العزم على خدمة بلاده وامته ـ شرع في عمله الذى قصـد اليـه بإيمان متين ، وعزم صادق ، وإرادة صلبه ، وحزم وتصميم ، مع آمال فسيحة ، ومقاصد نبيلة كبيرة :

ان يسترجع دينه قوته ونفوذه على النفوس نقيا كما بلغه الرسول الأمين عليه الصلاة والتسليم ٠ وان يعود لأمته ما قد ذهب من عز ومجد أثيل،ودولة موحدة،وسيادة كاملة ، وأن يكون وطنه حرا مستقلا كما كان ، وكما هو حق كل وطن وأمة فى الحرية والوجود ٠

ولم يكن يجهل ما يعترض طريقه من مصاعب جمة يجبَ التغلب عليها ، ومن عقبات كأداء عليه تذليلها وتعبيدها ، ومن أشواك واخزة لابد من تطهير المسالك منها ٠

كان يدرك أن أمامه « الحالة التعيسة التى بلغنا اليها ٠٠٠ من جهل وفقر وسقم وظلم وإذلال » (1) وكان فى الجزائر « شباب أنساه التعليم الاستعماري لغته وتاريخه ومجده وقبح له دينه وقومه ، وقطع له من كل شيء ـ الا منه ـ أمله ، وحقره فى نفسه تحقيرا ٠٠٠ شباب جاهـل أكلتـه الحانات والمقاهى والشوارع ، ومن وجد العمل منه لا يرى نفسه الا آلة متحركة فى ذلك العمل لاهم له من ورائه فى نفسه فضلا عن شعوره بأمر عام (2) ، ومن حفظه اللـه

(1) ابن باديس ـ الشهاب ، صفر 1356 هـ ـ أبريل 1937 م ٠
(2) ابن باديس ـ الشهاب ، محرم 1357 هـ ـ مارس 1938 م ٠

للاسلام والعروبة من هؤلاء الشباب أقبل على تعلمها لكنه تعلم سطحي لفظي خال من الروح لا يعتـز بماض ولا يألم بحاضر ولا يطمح لمستقبل ، اللهـم الا افراد قلائل » (3) ·

أما الأمة الجزائرية فقد كانت فيها أصول الحيوية القومية والعزة الدينية والكرامة الانسانية ، ولكن لشدة ما « عركتها البلايا والمحن ··· استخذت وذلت وسكتت على الضيم ورئمت للهوام (4) · وبرغم ما بينها مـن روابط الوحدة المتينة ـ فقد عملت فيها يــد الطريقة المحركة تفريقا وتشتيتا حتى تركتها أشلاء لا شعور لها ببعضها ولا نفع . تتخطفها وحوش البشرية من هنا ومـن هنالك بسلطان القـوة عـلى الأبدان ، أو سلطان الدجـل على العقول والقلـوب » (5) ·

كل ذلك عليه ان يفكر فيه وان يعمل لانقاذ شعبه ووطنه من شروره ، كما يفكر المؤمن القوي الذى لا يدخل اليأس قلبه ، والوطني المخلص الذى بـــاع حياته بحياة وطنه ·

وقد خطط لعمله ، وهو مدرك لخطورة ما هو مقدم عليه ، ومقدر كـــل التقدير لما سيصادفه من عراقيل ، لقد قرر ـ بحكمة وحزم ـ ان يأتي شعبه من أقرب الطرق للنجاح ، وأبعدها تأثيرا في النفوس ، وأضمنها في الوصول الى الغاية ، هذه الطريقة هي بث التعليم السليم النافع المفيد لاصلاح العقائد وتقويم السلوك ، وقبل اعلان الدعوة العامــة ، لذلك يجب اعـداد الاعوان والدعاة ، كانت هذه خطة قد رسمها كما كتب بخط يده ·

انها خطة بطيئة حقا ولكنها مضمونة النتيجة · قال :

« **مضينا على ما رسمنا من خطة وصمدنا الى ما قصدنا من غاية وقضيناها عشر سنوات في الدرس لتكوين نشء** علمي لم نخلط به غيره من عمل آخـر فلما كملت العشر وظهرت ـ بحمد الله ـ نتيجتها **رأينا واجبا علينا ان نقوم**

---

(3) المصدر المذكور ·
(4) رئمت ألفت وعطفت ·
(5) المصدر السابق : شهاب ، محرم 1357 هـ ·

بالدعوة العامة الى الاسـلام الخالص والعلـم الصحيح : الى الكتاب والسنة وهدي صالح سلف الأمة ، وطرح البدع والضلالات ومفاسد العادات (6) ٠

اذا ، فقد كان الطـور الاول المرسوم فى الخطة هو تكوين نشء علمي ، يعني جنودا للدعوة العامة ، ولما آن أوان بدء الطور الثاني حاول ان يكـون جمعية للعلماء عام 1924 م ، ثم أنشأ لهذا الطور الصحافة الاسلامية ، والطباعة الوطنية لضمان استمرارها واستقلالها ، فأنشأ جريدة (المنتقد) وبرز العدد الأول منها يوم عيد النحر 1343 هـ 11 جويلية 1925 م معلنا هذه الدعـوة، فعطلتها السلطة الاستعمارية بعد بروز 18 عددا منها فقط ، فأخرج (الشهاب) لتؤدي نفس مهمتها . وقد استمرت تصدر حتى قيام الحرب العالمية الثانية ٠ عام 1939 ٠

وقد أعلن فى صدرها « الحـق فوق كل أحد ، والـوطن قبل كل شيء » واتخذ شعاره فى الإصلاح الديني قول إمـام اهـل السنة مالـك بن أنس : « لا يصلح آخر هذه الأمة الا بما صلح به أولها » ٠

كما اتخذ ـ شعارا له فى الإصلاح الدنيوي ـ يعني السياسي ـ كلمة منه يوارى به غرضه النهائي ـ هى « الحـق والعدل والمؤاخاة فى إعطـاء جميع الحقوق للذين قاموا بجميع الواجبات » ٠

وقد شرح المبدأين بنفسه اذ قال : عن المبدأ الثاني ما نصه : « إن المبدأ الذى أسست عليه هذه الصحيفة هو **وجوب إعطاء جميع الحقوق لمن يقـوم بجميع الواجبات** ٠ ومن حقوق الجزائريين تمثيلهم فى البرلمان مثل إخوانهم الاوروبيين ٠ **فالتمثيل البرلماني واحد من الحقوق الكثيرة الداخلة** تحت ذلك المبدأ العام » ، نشر ذلك فى الشهاب 108 الصادر فى 5 صفر 1346 هـ ـ 14 أوت 1927 م وضح به قول من قال : انه أسس لمبدإ التمثيل البرلماني ، ولم يكن ابن باديس ليقنع لأمته بمثله ٠ وما كان يؤمن بامكان التحصيل عليه ، وانما كان يريد إقامة الحجة على الخصم ٠

---

(6) عن جريدة السنة من مقال « عبداويون ثم وهابيون ٠٠٠ » نقله الدكتور طالبى فى كتابه عن ابن باديس ٠

وقال عن المبدإ الأول :

« وكما أسست هذه الصحيفة لخدمة المبدإ السياسي المتقدم اسست لخدمة مبدإ ديني : وهو الرجوع بالمسلمين الى جوهر دينهم الأصلي البريء من جميع الضلالات والخرافات والتعصبات ، المحرر للعقول ، المهذب للنفوس ، والساعي بالانسانية الى الصراط المستقيم ، الى سعادة الدارين ، **ولما كانت الطرق في في معظم أمرها منبعا لكثير من هذه المهلكات** ، وقف الشهاب لها وقفاته المعروفة لنقدها ومحاولة إصلاحها » اهـ ٠

هذا المبدأ الديني يقتضي تطهير النفوس ، من كل كدر، وتحرير العقول ، وتصحيح العقائد، ومحاربة كل تأخر ، ومن ذلك محاربة الضلالات والخرافات والتعصب المقوت ، وقد حكم بأن الطرق الصوفية ومشائخها « منبع لكثير من هذه المهلكات » ٠ ولكنه لم يشأ ان يفاجئهم بالإعلان العام لهذا أثناء الطور الأول ، واضطر أن يصانعهم ـ ليتمكن منهم ـ بما لا يضر المبدأ ، وان يدخل في « قطعانهم » فظن بعض « السذج » أنه كان منهم ! وتجرأ صاحب « حياة كفاح » فزعم أنه السبب في « هدي » ابن باديس ! وانقاذه من الطرقية !

واذا أردنا شهادة صحيحة في الموضوع فلنعد الى ما كتبه بقلمه ـ وهو كثير ، والى ما كتبه تلاميذه عنه مثل الأستاذ محمد الهادي السنوسي رحمه الله الذى ارتحل الى قسنطينة في بداية الطور الأول عام 1916 ـ وما بعدها الى نحو 8 سنوات ، فقد شهد أنه طهر عقله من الخرافات والضلالات الطرقية ، وسجل ذلك في ترجمته لنفسه في كتابه (شعراء الجزائر في العصر الحاضر) ومثله ما كتبه في نفس الكتاب الأستاذ محمد سعيد الزاهري رحمه الله وما تركه من طابع قوي في نفسه ، من تربية دينية ووطنية صحيحة ٠ ويجب ان نتذكر أن الشيخ السعيد الزاهري من تلاميذ الشيخ ابن باديس هو أول من جعل جريدته « الجزائر » تضع في صدرها ـ شعارا لها ـ « الجزائر للجزائريين » ٠

أول صدام عنيف بين الإصلاح والحلول

أول من اصطدم به ابن باديس ـ من (الصوفية) ومشائخها ـ الطريقة العليوية وشيخها أحمد بن عليوة المستغانمي ٠

ويتبين للدارس المتمعن أن هذا الصدام : دواعيه شاملة للهدفين اللذين أعلن ابن باديس أنه يعمل لهما فى الميدانين الديني والدنيوي ، وقد تيقن بخطورة هذه الطريقة فيهما ٠

أما الهدف الديني فقد تيقن الخطورة مما تروجه الطريقة من مبادىء الباطنية والدعوة الى مذهب الحلول ووحدة الوجود ٠

وأما الهدف السياسي فهو اتصالها بالقوى الاستعمارية والتحالف معها ، والتعاون بينهما على العمل المنسق للنجاح المزدوج ٠

وقد بينا هذا فى قسم « اتصالات مريبة » من هذا الكتاب وسقنا عليه الأدلة والشواهد ، ولكنا فى هذا الفصل نعجل بنقل اعتراف منشور فى كتابهم « الشواهد والفتاوى » يدل على مدى ما بلغ اليه التعاون والتناصر والتلاحم ٠

قال صاحب هذا الكتاب فى ترجمته للشيخ عده بن تونس ـ وهو العضد الأيمن للشيخ ابن عليوة فى حياته ، وخليفته بعد مماته ٠

« انه انخرط فى سلك العسكرية الفرنسية ـ على ما يقتضيه القانون الجبري ـ ، وصار مقره القشلة بدل المسجد،فعكف على عمله الذى هو من عادته ، وكان يستعطف من حوله من أفراد الجند ليستميلهم الى العمل بالدين ويحبب لهم الذكر والذاكرين ، الى ان صارت كلمة الإخلاص ـ يعني بها كلمة (الله) ـ تذكر ليلا نهارا داخل القشلة بأصوات مرتفعة ، ثم اشتدت الرغبة فى الذكر على الأسلوب المعتاد عند الفقراء الى ان استحسن رؤساء الجند من الفرنسيين تلك الأنغام فالزموا الجند ان يكرر كلمة الإخلاص بتلك الصيغة فى حال مشيهم النظامي ورجوعهم من التعاليم الرسمية اليومية ، يدخل المدينة بكلمة الاخلاص يتقدمهم فضيلة السيد عدة مع من كان معه من الفقراء ، وبلغني انه لما انتقل الى مدينة رأس الماء من حدود الصحراء فعل ما يقرب من ذلك من جهة تصيير من حوله من العساكر في صفة الذاكرين، فكان مكثهم بالمسجد أكثر من مكثهم فى غيره » (7) ٠

---

(7) الشواهد والفتاوى ، ص 169 ٠

وبينما كان يصنع مع هؤلاء القوم مثل هذا فى صميم القشلات العسكرية والقلاع كان العلماء يطاردون من المساجد ، ويحذر من الرحمانية وإخوانها، وخصوصا فى بلاد القبائل،لأنها اخرجت الشيخ ابن الحداد ، وولده الشيخ عزيز ، فالقوم كانوا يعدون « العليوية » لخلافتهم ويصدرون أوامرهم للجنود ليلتزموا « ذكرهم » وطقوسهم ، ويعلنون ذلك فى المدن والشوارع .

ان هذه « المناورات » لم تكن لتخفى عـلى مثل ابن باديس ممن نـــذروا أنفسهم لخدمة الأمة والسعي فى اصلاح أمورها الدينية والدنيوية ، ولم يكن من الهين مهاجمة العليويين مباشرة وبكل صراحة فى مثل هذا الميدان الحرج ، فان الظروف كانت شديدة ، والاستعمار كان فى أوج طغيانه وعتوه ، وكانت فرنسا تتبجح ـ انها خرجت من الحرب العالمية الكبرى بأكبر وأقوى جيش يرى فى العالم .

لهذا رأينا ان ابن باديس ركـــز هجومه الساحق على الجانب الديني ، واستطاع ان يضرب هو وحزبه الضربات الماحقة ، وقد مكنهم « العليويون » من ذلك .

فقـد كان ابن عليـوة قد آلت اليه مشيخة زاوية (درقاوة) بمستغانم بوصية من شيخه محمد بن الحبيب البوزيدي المتوفى عام 1909 م ، ولكـن الشيخ ابن عليـوة كان طموحا جـدا ، فجدد الطريقة ، وأدخـل على نظامها وطقوسها وعلى دعايتها تغييرا شاملا مما جعلها تنسب اليه بدلا من نسبها الى الدرقاوي أو الشاذلي ، وخرج بها من مستغانم لتنتشر فى الآفاق .

وقد نشطت على يـده نشاطا هائـلا وامتدت دعوتها باسمها الجديد فى أنحاء الوطن الجزائرى وحتى خارج الجزائر ، كالمغرب،وتونس،والشام،واليمن، وبريطانيا ، وفرنسا ، وبعض أوطان أوروبا .

وفى داخل الوطن كادت تبتلع الطرق الصوفية وخططت ـ أو خطط لها ـ ان تزاحم فى بلاد القبائل ـ الطريقة الرحمانية ، وتخلفها فى اتباعها ، لأنـه تبين للمستعمرين ان (الرحمانية) لا يؤمن جانبها فى القبائل .

ومن بين التجديدات التى اعلنها الشيخ ابن عليوة اعتناقه لمبدإ الحلول ، ووحدة الوجود ، وزعمه فى اشعاره العامية انه (هو الله) وانه (ليس سواه) وأثر عنه بيته الشهير :

فتشـــت عليـــك يـاللـــه   لقيـت روحـي انــا اللـــه !

وفي عام 1920 م نشر ديوانه المطبوع في تونس ـ وأعلن فيه بمذهبه هذا وكرر هذا المعنى في كثير من اشعاره ، كما جاء فيه أقوال مما يؤذي رسـول اللـه صلى اللـه عليه وسلم ، ولما سئل عنها ابن عليوة اعتذر عنها بانه رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو في (سكرة) من سكراته ، وتقدم منه في ذلة وخضوع فوجد منه ترفعا وتدللا فقال فيه تلك آلابيات وفيها يتهدد رسول الله صلى الله عليه وسلم ويتوعده انه ان مات بالشوق اليه فلا عذر له ينجيه ! وانه سيحاكمه الى الله وينتصر عليه ، وفي عبس التي تهدده ـ صلى الله عليه وسلم ـ ما يساعد عليه · وزعم انها « شطحة » من شطحاته !!

ورفعت هذه الأبيات الى الشيخ عبد الحميد ، سئل عن حكم من يقولها ، وهل يصح ان يوجه الى رسول الله صلى الله عليه وسلم مثلها ؟

فتردد في الجواب أولا ثم استخار الله وكتب في الرد على صاحبها رسالة علمية صغيرة الحجم غزيرة العلم عنوانها : « **جواب سؤال عن سوء مقال** » ·

وقد انتهى من تحرير الجواب في شهر ذي الحجة 1340 هـ (1922 م) وارسل بها الى كبار علماء تونس والجزائر والمغرب فاطلعوا عليها ووافقوا على ما جاء فيها ، وضللوا من فاه بمثل هذا الكلام ، ومـن هؤلاء العلماء مـن تونس : الشيخ محمد النخـلي ، والشيخ بلحسن النجار ، والشيخ الطاهـر ابن عاشور ، والشيخ محمد الصادق النيفر ، والشيخ معاوية التميمي ؛ ومن الجـزائر الشيخ شعيب بن عـلي التلمساني ، والشيخ مولود بـن الموهوب القسنطيني ؛ ومن علماء المغرب الشيخ العابد بن أحمد بن سودة ، والشيـخ محمد بن العربي ، والشيخ عبد القادر بن محمد بن عبد القادر · كما قرظها غير هؤلاء في الصحف والمجلات كمجلة الفتح القاهرية ·

وكانت صدمة عنيفـة أصابت طريقـة العليوية وشيخها ، وشككت في عقيدته ، ونبهت جمهور الأمة الى ما يبثه حتى اضطروا الى تأليف كتاب جمعوا فيه الشهادات من العلماء والقضاة والمفاتي والنواب والمجالس والاعيان بصحة إسلام الشيخ وسلامة عقيدته · ولكنه مع ذلك لم يسحب ديوانه من الرواج ، وتركه في السوق وفيه ـ من الضلال والقول بالحلول ووحدة الوجود ومن

سوء القول ــ أضعاف اضعاف ما جاء فى حق الرسول صلى الله عليه وسلم ٠ وما زال به ذلك حتى الآن ٠

وتأسست الصحافة الوطنية ، فتوالت الحملات على الخرافات والاباطيل ، وعلى رواج الدعوة الى مذهب الباطنية وما فيها من القول بالحلول ووحــدة الوجود ، واشترك فى الكتابة فحول العلماء والكتاب والمفكرين من الجـزائر وتونس والمغرب ٠ وكان من أشد الكتاب عنفا على القوم « بيضاوى » فحاولوا أن يعرفوا من هو ؟ فابت ادارة الشهاب أن تكشف للعليويين اسمه ، فقرروا ان ينفذوا وعيدهم فى زعيم المصلحين وامامهم الشيخ عبد الحميد بن باديس ٠

السطــو بالأستــاذ ابن بــاديس

وهكذا عقدوا اجتماعا لهم بمستغانم ، وقرروا ان يغتالوا الشيخ بن باديس وارسلوا اليه فدائيا منهم يدعى ممين ــ أو ميمان ــ محمد الشريف مـن دوار الجعافرة بلدية مجانة دائرة برج بوعريريج ولاية سطيف اليوم ، فسافر لأداء مهمته الكريهة من مستغانم على بعد نحو 300 كلم غربي العاصمة ، وركـب القطار من الجزائر بتذكرة ذهاب واياب ، فوصل الى قسنطينة ، وشرع ــ مع اثنين آخرين أو ثلاثة من أعوانه ــ بترصد الشيخ والتحقق فى معرفة مسكنه وتحركاته وأوقاته ٠ ثـم أقـدم مسـاء 9 جمادى الآخرة 1345 هـ الموافق 14 ديسمبر 1926 م على محاولته الآثمة ٠ فاصابه بضربتين عـلى رأسه وصدغه من هراوة وأدماه ، وحاول أن يسل موسي من نوع « بوسعادي » ليجهز عليه ولكن الله سبحانه نجاه منه ، وأبطل كيده ٠

لقد هزت هذه المحاولة جميع الأوساط ، وفضحت مدبريها فضيحة لا مثيل لها ، وكانت بحق بداية فصل جديد فى انتصار الإصلاح والسنة ، وانهـزام التعصب والبدعة والباطنية ٠

والحق ان هذه الحادثة أثمرت ثروة أدبية من النثر الفني ومـن الشعر : مباحث علمية وأدبية ودينية راقية ، وقصائد شعرية رائقة ٠ ورغم التأثـير الذى أحدثته فى زمنها هذه الحادثة وما قيل فيها من النثر ومن الشعر ــ لا فى الجزائر فحسب ، ولكن فى المغرب وتونس أيضا ــ فقد بقيت مغمورة ، مطوية بين صفحات الصحف والمجلات ، وها قد مر على حدوثها ما يقرب من سنتـين

عاما ولا يكاد يعرف عن تفاصيلها أحد من المهتمين بتاريخ نهضتنا الثقافية والوطنية شيئا ·

ومن حق جيلنا الحاضر ، وأجيالنا المقبلة وكل باحث عن الحقيقة أن يطلعوا على أحداث تاريخهم بالتدقيق،ويعرفوا ما بذله أسلافهم من جهد وبلاء وعرق ودماء حتى وصلنا الى ما نحن عليه اليوم ·

ان جريدة « الشهاب » الأسبوعية الصادرة فى السنوات 45 ـ 46 1347 هـ (26 ـ 27-1928 م) تحتوي على صفحات رائعة فى موضوع الصراع الفكري العنيف وابطاله : صراع ديني بين السنة والبدعة،وبين العقل والخرافات ، وبين التقدم والانحطاط ، وصراع قومه سياسى بين الاندماج وأعوانه والدعاة اليه ، وبين الوطنيين المخلصين الذين يحكمون عليه بأنه الموت الحقيقى للأمة ، ويفضلون البقاء فى الانحطاط والخرافات والتأخر على تقدم مع الاندماج اذا كان لابد من الاختيار !

وقد عدنا الى هذه الأعداد الصادرة فى ذلك الزمن ، ومنها نقلنا صفحات نثرية وشعرية مما حف بهذه الحادثة ، ودعمناها بفصول جديدة ، وتعاليق مفيدة ، تشتمل على إيضاحات وشروح ضرورية ، تزيد النصوص والأحداث بيانا حتى لا تقتصر قراءتها على مجرد الاطلاع والمتعة ، ولكن تتجاوز ذلك الى الاستفادة واثراء المعلومات بالنسبة للطلبة ·

هل الصراع مستمر ؟ وهل من المعقول تأليه البشر ؟

قد يخطر ببال بعض الناس أن هذه صفحات ينبغي أن تطوى،ومن الغلط نبشها واعادتها الى الحياة ·

والجواب أن هذه الضلالة قد رفعت رأسها من جديد وانتهزت الصحوة الاسلامية فى شبابنا ، وعودتهم الى حظيرة المساجد يعمرونها ، والى حلقات الدراسات الاسلامية يعقدونها ، والى المكتبات ينقبون فيها عن الكتاب الاسلامي يلتهمونه ، فأخذت تزرع فى السوق الكتب التى تنشر هذا الضلال ، وتروجه بين الغافلين أو الجهال · فقد نشر فى ديوان الشيخ ابن عليوة ـ بصورة كبيرة له ـ نصوص خطيرة وبخطوط كبيرة مشكولة وكتب عنه :

أنه عارف بالله ، وملقن لاسمه الاعظم · وفى اشعاره **أنه الله** ، **وليس سواه** وان الوجود كله هو الله · ويقول :

تيهتنى فى ذاتك ــ **وغبت فيك يا لله** ــ ظهرت صفاتك ــ منك وفيك يا للـه
دخلت للمعنى ــ منك وفيك يا للـه ــ **ناديت من أنا** ؟ ــ **لست سواك يا الله**

أفى هذا العصر ، ومع كل هذه الاضواء يقول (عبد) عاجز أنه هو الله ، وليس سواه ، ثم يجد من يعتقد صحة قوله ويسميه العارف باللـه : الملقن لاسمه الاعظم ، مع أنه قد مات كمثل أستاذه ولحق به تلميذه وخليفته مـن بعده ، وكلاهما ادعى مثل مدعاه ــ تعالى الله عن ذلك علوا كبيرا ·

وفى كتاب منسوب اليه وان كـان تحريره وأسلوبه يعلو عن تعبيراته ، ولكن ما فيه من الضلالات يشبه شعره ــ واسمه « البحر المسجور فى تفسير القرآن بمحض النور » يقول عن القرآن الكريم :

« من المومنين من فتح الله بصيرته يراه الآن يتنزل به الروح الامين · واذا قـرأه يقرأه مـن امام مبين ، واعظمهم درجة من يتلقاه مـن ارحم الراحمين وقليل ما هم » اهـ

وهذه جراءة لم يتـح لاحد ــ فيما مضى ــ أن يعلن بمثلها فى قـوم مـن المسلمين فتروى عنه وتطبع وتروج ·

انها تؤدى بقائلها والمصدق به الى الاستغناء عن رسالة محمد صلى اللـه عليه وسلم ، اذا كان (المؤمـن) يأخذ القرآن مـن الامـام المبـين .ـ « اللوح المحفوظ هو الامام المبين » قال تعالى : « **وكل شيء أحصيناه في امام مبين** » ، قال قتادة ومجاهد وابن زيد « أراد اللوح المحفوظ (8) أو يأخذ مباشرة مـن أرحم الراحمين ، فانه ليس من أمة محمد ، لان أمة محمد أخذت القرآن منه عليه الصلاة والسلام ، اخذه الصحابة مباشرة وكتبوه ورووه ، وبلـغ الى من لم يكن حاضرا نزوله ومن جاء بعده برواية بلغت حد التواتر فى كل كلمة منه وكل حرف ، وهو عليه الصلاة والسلام لم يأخذ القرآن ــ مباشرة ــ من اللوح المحفوظ ولا تلقاه مباشرة من الله ، وانما تلقاه من لدن حكيم عليم بواسطة

---

(8) تفسير الشوكانى لسورة يس ·

أمين الوحي جبريل عليه السلام ، كما انبأنا علام الغيوب « **وانه لَتنزيلُ ربِّ العالمين ، نَزَلَ به الروحُ الأمين على قلبِك لتكون من المُنْذِرين ...** » .

ان هذه الدعوى خطيرة جدا لأنها تؤدى الى ان الوحي لم ينقطع بختم الرسالة ، فمن يقرأ اللوح المحفوظ ، ومن يتلقى عن اللـه فهو يوحى اليـه « **وما كان لبشرٍ أن يكلّمَه اللـهُ الاَّ وحياً او من وراءِ حِجابٍ أو يُرسل رسُولا فيوحِي بإذنه ما يشاء** » . ونحن المسلمين نعتقد ان الوحي قد انتهى بختم الرسالة ، ولكن (القاديانية) تزعم غير ذلك وتدعي أن الوحي نزل على غـلام أحمد ميزا القادياني ، وانه رسول ، وان الوحي لم ينقطع ولا ينقطع . وبهذا كفرهم العلماء ، وأخرجوهم من حظيرة الاسلام وجماعة المسلمين لقوله تعالى : « **ما كان محمدٌ أبَاَ أحَـدٍ من رجالكم ، ولكنْ وسولَ اللـهِ وخاتـمَ النبئين** » . وقوله صلى الله عليه وسلم : « لا نبي بعدي » وهذا مما هو معلوم من الدين بالضرورة ، وجاحده كافر بلا شك،ولو قـال صراحة لإخوانه « أنا نبي » أو يمكن أن يوجد نبي بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم ، لما بقي معه احد من الاتباع ، أما ان يقول فيهم : « ان فى المؤمنين من يتلقى القرآن مـن ارحـم الراحمين » فانه عمى عليهم ، ولم يصارحهم .

ان ادعاء استمرار الوحي بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم هو مذهب (القاديانية) وكانت جريدة الشهاب قد أثبتت الصلة الموجودة بين العليويين والقاديانية باعتراف جريدتهم البلاغ ونشرها رسالة من احد دعاتهم ، وهاجمت الشهاب الطائفتين معا ، فسكتت العليوية ، ولم يتبرأوا من التهمة . وهـذه الدعوى من شيخهم تثبت اتهام الشهاب (9) ، ولم ينشر هذا الكتاب فى حياة ابن باديس ، ولو نشر لما احتاج الى دليل آخر ليبرهن على أن مذهب القاديانية يتلاقى مع مذهبهم فى هذه النقطة .

وفى نفس هذا الكتاب يقـول أيضا :

« هكذا الواحد منا مهما تقوى يقينه وانشرح باطنه فيما يسمعه من ألفاظ القرآن فلا يراه الا كلاما يكلمه الله به فى ذلك الحال . وقد كان لى تصيب من

---

(9) انظر فصل « اتصالات مريبة » من هذا الكتاب .

ذلك والحمد لله ـ فكنث مهما يطرق سمعي كلام اللـه فترتعد بوادري عن الفحص حتى كأني أسمع حسيسا من بقيـة صلصلة الجرس ـ ثم يقـول : « وبهذه **الخاصية اطلعني الله على البعض من جواهره** » (10) وهذه الجواهر في زعمه هي التي نشرها في كتابه ·

اذاً ، فالوحي عنده لم ينقطع ، والقرآن الذي يتلوه ليس هو الذي بلغـه محمدا ووصل الينا بطريق التواتر ، وانما يقرأه من اللوح المحفوظ مباشرة أو يتلقاه ـ كما تلقاه محمد ـ من أرحم الراحمين، بل مقامه في زعمه أعلى لأن محمدا أنزله على قلبه الروح الأمين ·

وكما كان رسول الله قد يأتيه الوحي كصلصلة الجرس يأتيه هو كذلك ! وان الله أطلعه على البعض من جواهره ·

ان هذا الضلال والفساد مما ينسبه الباطنية لائمتهم المعصومين ، فهؤلاء القـوم ـ اذا ـ ظنوا أن الجو قد خلا لهم من العلماء الذين عليهم ان يـردوا باطلهم ، وظنوا أن لهم ان يبيضوا ويفرخوا ، وينقروا ما شاءوا ان ينقروا ، فقد خاب ظنهم ، وساء فالهم،وأقل ما يفعل أن ترسل عليهم صواعق احرقت سلفهـــم ·

ان في هذا الكتاب كثيرا مما يبين حالهم ، ويكشف ضلالهم ويحذر المؤمنين من أقوالهم وأفعالهم ، ويبـين رأي كبـار العلماء · فيهم وفيما حاولوا ترويجه بالامس واستعملوا في سبيل بلوغ أهدافهم ـ لا اللحي والشطحات والحضرات فقط ولكن حتى المـدى والدبابيس فلم يفلحوا ولن يفلحوا؛ فالسنة منصورة والبدعة مقهورة ·

ولعلنا بهـذا نلفت اليهم انظار علمائنا لينتبهوا الى خطر مـا يريدون ان يبثوه في شبيبتنا وعامتنا · وعـلى كـل منا أن يؤدي ما يجب عليه كما أداه اسـلافنـا ·

وقد آن لنا ان نترك القارىء يتابع القصة في فصولها واللـه الهادي الى سواء السبيل وعليه اتكالنا ·

---

(10) انظر مقدمة كتابه « التفسير المسجور » ·

رسالة جواب سؤال

بهذه الرسالة نشبت المعركة الدينية القومية بين الاصلاح والسلفية من جهة وبين الطرقية والبدعة والجمود من جهة أخرى وكان من أطوارها محاولة السطو بالشيخ ابن باديس رحمه الله ·

وهذه فصولها :

رسالة جواب سؤال عن سوء مقال

للعلامة السلفي الاستاذ عبد الحميد بن باديس حفظه الله

عقائد نقية ، أدلة جلية ، كلمات نبيلة ، نقول جليلة بيان لعظيم مقام النبوة والرسالة ، ولضلال من خاطب ذلك المقام بخطاب الجهالة ، قرظها عشرة من كبار العلماء بتونس والجزائر والمغرب الأقصى ، وعلق على مواضع منها العلامة الجليل القاضي الشيخ شعيب التلمساني ·

بسم الله الرحمن الرحيم

وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم تسليما

السؤال :

ما قول سادتنا العلماء - رضي الله عنهم - وأدام النفع بهم في رجل يزعم أنه قطب الزمان الفرد ، وان الكل دونه ، وانه العارف المسلك ، الى غير ذلك من أعلى صفات العارفين ، وأسمى درجات الكاملين ، ثم يقول مخاطبا للنبي - صلى الله عليه وآله وسلم - بما نصه :

ان مت بالشوق منكد	ما عذر ينجيك
ان تبق فى هجرى زائد	للمولى ندعيك
من هو بالملك موحد	ينظر فى أمرك
عبس بالقول تساعد	ما نرجوه فيك

ولما قيل له فى هذه الأبيات قال : ألسن المحبين اعجمية • فهل يعد خطابه هذا سوء أدب ؟ وهل تجوز مخاطبة النبي - صلى الله عليه وآله وسلم - بمثله ؟ وهل صدور مثله من شأن العارفين الكاملين ؟ وهل يقبل منه ما اعتذر به من عجمة ألسن المحبين ؟ أفيدونا مأجورين ان شاء الله تعالى من رب العالمين والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته • انتهى

الجواب :

الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره ونعوذ به من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا ، من يهده الله فلا مضل له،ومن يضلل فلا هادي له ، وصلى الله على

سيدنا محمد الذى أدبه الله فأحسن تأديبه ، ووفر من كل خير وكمال على جميع العالمين نصيبه ، وعلى آله الطاهرين ، وأصحابه الهادين والمهتدين ، والتابعين لهم باحسان الى يوم الدين ·

أما بعد ـ فقد وقفت على سؤالكم وتأملت من جميع فصوله ، وأحطت خبرا ان شاء الله ـ تعالى ـ بلفظه ومدلوله ، وهممت أن لا أجيبكم عنه بحرف واحد لما أعلم من تصميم أكثر العامة على العناد فيما اعتقدوه من الباطل ، وسكوت أكثر الخاصة من التصريح بالانكار عليهم ، والارشاد لهم ، وتهافت بعض الطلبة القاصرين ، على تسويد صحفهم وصحائفهم بشبهات يسمونها بأفواههم دلائل وأجوبة عن متبوعيهم من الجاهلين ، يحشونها بالاحاديث الضعيفة والموضوعة والتأويلات الباطلة الممنوعة ، والروايات المدخولة عمن ليس قوله حجة على الناس فى الدين وانما غايته ـ اذا ثبت عنه ذلك وحسن به الظن ـ أن يؤول على وجه صحيح يقبله الشرع · ثم يردون بمثل هذا على الآيات البينة والاحاديث الثابتة وعمل السلف الصالح المشهود لهم بالخيرة على لسان المعصوم · أفمع هؤلاء ينفع الكلام أو يحسن الجواب ؟ لكنني تذكرت ما جاء فى وعيد الكاتمين ، وفى وعد من بذل الجهد فى نصح إخوانه المسلمين ، ورجوت أن لا أعدم أنصارا على الحق ، واخوانا متكاتفين فى نصرة الدين ، من عدول حملة العلم الذين ينفون عنه تحريف الغالين ، وانتحال المبطلين ، وتأويل الجاهلين ، فاستخرت الله ـ تعالى ـ وحررت لكم هذا الجواب فى مقدمة وأربعة فصول وخاتمة ، غير قاصد ـ علم الله ـ شخص أحد بالنقص ، ولا خارج بعون الله ـ تعالى ـ عن جادة الفهم من دلالة الظاهر والنص ، والله أسأل أن ينفع به المسترشدين،ويهدي به غير المعاندين،ويفت به أعضاد المفسدين ،آمين ·

المقـدمـة :

فى وجوب الأدب مع النبى ـ صلى الله عليه وسلم اجماعا وأبدا وعلى كل حال

أجمع علماء الملة من جميع الفرق على وجوب الادب مع النبى ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ حيا وميتا كما يجب الايمان به حيا وميتا للنصوص القطعية

فمن ذلك كقوله تعالى : « **إنا أرسلنَاك شاهداً ومبشِّراً ونذِيراً لِتؤمنوا بالله ورسوله وتعزِّرُوه وتوَقِّروه** » الآية · وقوله تعالى : « **يأيها الذين آمنوا لا تُقَدِّموا بين يدي اللَّهِ ورسُولِهِ** » · وقوله تعالى : « **يأيها الذين آمنوا لاَ ترْفَعوا أصواتَكم** » الآية · وعلى هذا كانت سيرة السلف الصالح معه ـ عليه الصلاة والسلام ـ فى الحياة وبعد الممات ، روى الترمذى عن انس ـ رضى الله تعالى عنه ـ كان يخرج على أصحابه من المهاجرين والانصار وهم جلوس فيهم أبو بكر وعمر ـ رضى الله عنهما ، فلا يرفع احد منهم اليه بصره الا أبو بكر وعمر فانهما كانا ينظران اليه وينظر اليهما ويتبسمان اليه ويبتسم اليهما ، وجاء من غير وجه ان أصحابه كانوا حوله كانما على رؤوسهم الطير حتى كانوا من تعظيمه وتوقيره يهابونه فلا يسألونه ، فيحبون ان يأتى الاعرابي الجاهل فيسأله ، ولما ناظر أبو جعفر المنصور مالكا فى المسجد النبوي ورفع صوته ، قال له مالك : لا ترفع صوتك فى هذا المسجد فان الله تعالى أدب قوما فقال : « **لاَ ترفعوا أصواتَكم** ··· » الآية · ومدح قوما فقال : « **ان الذينَ يغضُّون أصواتهم** ··· » الآية · وذم قوما فقال : « **ان الذِينَ يُنَادُونك مِن وراء الحُجُرات أكثرُهم لا يعقِلون** » (1) · وان حرمته ميتا كحرمته حيا ، فاستكان لهما أبو جعفر (2) · وقد كان مالك ـ رحمه الله تعالى ـ اذ ذكر النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ يتغير وينحنى حتى يصعب ذلك على جلسائه ·

---

(1) أى فيما يعلوه محلك الرفيع وما يناسبه من التعظيم ، الجلال المحلى ، ومعنى الرفيع : العلى القدر والمحفوظ من اساءة الادب ، اهـ · صاوى ، نعم اذا كان من يقول لشيخه لم لا يفلح فكيف بالتجاسر على خير الخلق على الاطلاق بالاطباق صلى الله عليه وآله وسلم ·

(2) وقال تعالى : « **لا تجْعَلوا دعاءَ الرَّسول بينَكُم كدعاءِ بعضِكم بعضاً** » ، بان تقولوا يا محمد بل قولوا يا نبي الله يا رسول الله فى لين وتواضع وخفض صوت ، اهـ · محلى قوله : لا تجعلوا دعاء الرسول أي نداءه بمعنى لا تنادوه باسمه فتقولوا يا محمد ولا بكنيته فتقولوا يا أبا القاسم بل نادوه وخاطبوه بالتعظيم والتكريم والتوقير بان تقولوا يا رسول الله يا نبى يا امام المرسلين يا رسول رب العالمين يا خاتم النبيين · واستفيد من الآية انه لا يجوز نداء النبى بغير ما يفيد التعظيم لا فى حياته ولا بعد وفاته ، فبهذا يعلم ان من استخف بجنابه صلى الله عليه وسلم فهو كافر ملعون فى الدنيا والآخرة · قوله : ونخفض الصوت أى لقوله تعالى : « **يا أيها الذين آمنوا لا ترفعوا أصواتَكم فوقَ**

وكان جعفر الصادق كثير الدعابة والتبسم ، واذا ذكر عنده النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ اصفر ، والواقف على سير السلف الماضيين والعلماء المتقدمين يجد فيها كثيراً من هذا في مراعاة حرمته ـ صلى الله عليه وسلم ـ وشدة التأدب مع جنابه الشريف ، ومن أكثر الناس محافظة على الادب وتحريضا عليه ووصاية به شيوخ الزهد والعلم من أئمة التصوف العارفين كرجال الرسالة القشيرية الذين ابقى الله بعظيم فضله على الاسلام وجميل صنعه لنصرة الدين كلامهم حجة على كل من ينتسب الى طريقتهم في مثل هاته الازمان ، قال في الرسالة عن عبد الله بن المبارك : نحن الى قليل من الادب احوج منا الى كثير من العلم ، وعن أبي علي الدقاق : من صاحب الملوك بغير أدب اسلمه الجهل الى القتل ، وقال أبو حفص الحداد : التصوف كله أدب لكل وقت أدب، ولكل حال أدب، ولكل مقام أدب، فمن لازم الأدب بلغ مبلغ الرجال، ومن حرم الأدب فهو بعيد من حيث يظن القرب، ومردود من حيث يرجو الوصال. وقال : حسن الأدب في الظاهر عنوان حسن الأدب في الباطن (3) ·

الفصل الاول :

في بيان خروج كلامه عن دائرة الأدب المرعية، وتهجمه على الحضرة النبوية

قال :

ان مت بالشوق منكمد ما عذر ينجيك

أي حق للعبد الحقير ، على السيد الجليل الكبير ، حتى يطالبه بالاعتذار اليه اذا لم يأته ، أم كيف ساغ لهذا المسكين ان يقول له لا عذر ينجيك ، ممن ينجيه هذا العذر ان لو كان ينجيه ، امن اللوم في سلك والعتاب

صوت النبي ولا تجهروا له بالقول كجهر بعضكم لبعض ان تحبط اعمالكم وانتم لا تشعرون » · صاوى محشى الجلالين بالحرف . وفي الشفا ما نصه قال : قال ابراهيم التيمي : واجب على كل مؤمن متى ذكره صلى الله عليه وسلم أو ذكر عنده ان يخضع ويخشع ويتوقر ويسكن من حركته ويأخذ في هيبته وفي جلاله بما كان يأخذ به نفسه لو كان بين يديه صلى الله عليه وسلم ويتأدب بما أدبه الله ، مثل قوله تعالى : « لا تجعلوا دعاء الرسول بينكم ··· الخ ، ولا ترفعوا أصواتكم ··· » وغيره كما تقدم · اهـ

(3) وقيل : من يتأدب ساد ومن لم يتأدب طرد عن الباب ·

لاجلك ؟ من انت يا هذا حتى يعتذر سيد الاولين والآخرين لك ، ثم لا ينجيه من التقصير فى حقك عـذر عندك ، لقد وضعت نفسك واللـه فى غير محلها وجهلت مقام النبوة وجلالة منصبها ·

قـــال :

ان تبـق فى هجـري زائـــد لـلمـــولى نـدعيـــك

مـن هـو بالملـك مـوحـد ينظـــر فـى أمـــرك

أي حق لك على النبي ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ حتى صرت تخوفه بانك تدعوه وتشكو به الى الله ـ تعالى ـ لينظر فى أمره ، وهل يتصور منه ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ تقصير فى حق أحد حتى يشكو به الى الله ـ تعالى ـ حاشا ذلك الجناب الكريم ، والنبي الرؤوف الرحيم (4) · ان يقصر فى خير لأحد فى حال حياته وبعد مماته وكيف ذلك وهو الذى قال له اللـه تعالى : « **لعلّك باخِعٌ نفسَك ألاّ يكونوا مؤمنين** » (5) ، وهو الذى لما تعرض عليه فى قبره اعمال أمته يستغفر للمذنبين ، لكنك يا مسكين توهمته كعظماء الدول الذين يقصرون مع من دونهم فيخوّفون بمن فوقهم . على انـه لم يكن من أدب العبيد ان يهددوا الوزير بسلطة الأمير. فاين انت يا هذا حتى من آداب الوزراء والسلاطين بله الأنبياء والمرسلين ·

قـــال :

عبـــس بـالقـــول تســاعـــد مـــا نـــرجـــوه فيــــك

هذا تعريض للنبى ـ صلى اللـه عليه وسلم ـ بما خاطبه اللـه تعالى فى سورة ابن أم مكتوم ، وتخويف له بما يلحقه ان قصر مع هذا المسكين مـن العتاب واللوم ، واحتجاج عليه بالقرآن ، والزام له بالقبول والاتيان ، وهذا تهجم عظيم ، وتجاسر شديد ، لا يقدم عليه عامة المؤمنين ، فكيف بمن يزعم انه خاصة العارفين ·

---

(4) القائل انما أنا قاسم والله يعطى ··· الخ

(5) وقال تعالى : « **لقد جاءكم رسولٌ من انفسكم عزيزٌ عليه ما عنِتُّم حريصٌ عليكم بالمؤمنين رؤوف رحيم** » ·

الفصـــل الثـــانـــى

فى بيان حرمة مخاطبة النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ بمثل هذا الخطاب

قد اشتمل صدر هذا الكلام على نفي قبول العذر من النبى ـ صلى اللـه عليه وسلم ـ وذلك يستلزم أن له عليه حقا أن وقع فيه تقصير احتيج معه الى العذر ثم لا يقبل منه · وعلى أنه يرفع دعوى لينظر فى أمره ، وهذه التهجمات القبيحة التى لا تصدر من العبيد الى السادة هى لا شك أقوى فى سوء الادب من مجرد رفع الصوت الذى نهى الله تعالى عنه وجعله سببا فى حبوط الاعمال فتكون قطعا أحق بالمنع والتحريم ، وما أشبه طلب هذا الرجل القبول والاتيان بهـذا الخطاب المزعج الغليظ : بأولئك الذين نـادوه من وراء الحجرات ولـم يصبروا حتى يخرج اليهم ، بل هو أشد ، لان القوم كانوا حديثى عهد بجاهلية لم يخالطوا المسلمين ولا تأدبوا بآداب الاسلام · وهذا يدعى منزلة الاوليـاء والصالحين ، ثم يأتى بما لا يصدر من العامة الجاهلين ، فيا ليته تأدب فى الخطاب ، خير شفيع لوصل سببه ، لكن الغرور والغفلة ، أعظم أسباب المحنة عياذا بالله · واما آخـر كلامه فقد اشتمل على طامـة عظمى وجـرأة كبرى بتعريضه للنبى ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ فى سورة عبس على ما تقدم بيانه فى آخر الفصل الأول ، وهذا فى سوء الأدب ادخل ، وفى الحرمة أشد لان صاحبه قد اعتقد تقصيرا من النبى ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ فعرض له هو به وخوفه من أن يقصر معه مثل ذلك التقصير فيلام عليه مثل ذلك اللوم كبرت كلمة والله خرجت من في هذا المغرور المسكين ، ولا حول ولا قوة الا بالله،ولا توفيق الا به · فان قلت هذه قصة جاءت فى القرآن وخبر ذكره الله تعالي · قلنا فالجواب عن ذلك ما قاله الامام الحافظ خزانة العلم وقطب المغرب أبو بكر بن العربى فى سورة (ص) من كتاب الاحكام · قال : للمولى أن يذكر ما شاء من أخبار عبيده ويستر ويفضح ويعفو ويأخذ ، وليس للعبد أن ينبز فى مولاه بما يوجب عليه اللوم ، فكيف بما عليه فى الادب والحد ، وان الله تعالى قد قال فى كتابه لعباده فى بر الوالدين « **فلا تقُل لهما أفٍّ** » فكيف بما زاد عليه ، فما ظنك بالأنبياء وحقهم أعظم ، وحرمتهم أكد ، وأنتم تغمسون ألسنتكم فى اعراضهم ، ولو قررتم فى أنفسكم حرمتهم لما ذكرتم فصتهم اهـ ·

وما بعد هذا البيان بيان ، وان هذا الكلام لكاف وحده عند اللبيب المنصف فى

جواب ما تقدم من السؤال · ومن عقائد الايمان مما يجب علينا فى حق الانبياء والمرسلين ـ عليهم الصلاة والسلام ـ ان لا نخاطبهم بما خاطبهم الله تعالى به ولا نذكر فى كلامنا شيئا مما عوتبوا عليه لا بالتلويح ولا بالتصريح الا بحكاية لفظ القرآن والحديث ، وأما اللـه تعالى فانه يخاطبهم بما شاء ، لانهم عباده وصفوته من خلقه ، لهم من كمال المعرفة به ما ليس لغيرهم ، وله عليهم مـن الفضل العظيم ما لا مطمع فيه لسواهم ، وأما نحن فموقفنا معهم موقف العبيد مع السادة ، فيجب علينا معهم اعتقاد الحرمة واكبار الجانب ، ولزوم الادب ، فى الاقوال والافعال ، وجميع الاحوال ، ولا يجوز لنا ونحن خدامهم واتباعهم أن نذكرهم أو نخاطبهم بما خاطبهم بهم ربهم ومالكهم ، فما أبعدنا واللـه عن ذلك المقام ، وقد ذكر هذه العقيدة الامام الحافظ أبو بكر بن العربى فى كتبه منها قوله فى سورة (الاحزاب) من كتاب الاحكام : « وعهدنا اليكم عهدا لـن تجدوا له ردا ، ان أحدا لا ينبغى أن يذكر نبيا الا بما ذكره الله لا يزيد على ذلك » اهـ · وقال الامام الصوفي أبو عبد الله بن الحاج فى كلامه على المواسم من كتاب المدخل : وقد قال علماؤنا ـ رحمة الله عليهم ـ وان من قال عن نبي من الأنبياء فى غير التلاوة والحديث أنه عصى أو خالف فقد كفر، نعوذ بالله من ذلك) اهـ · ونقل هذا الكلام عنه الشيخ محمد الزرقاني فى قسم الخصائص من شرحه للمواهب وسلمه : ولا يخفى ان حكم التعريض فى هذا المقام حكم التصريح · فنعوذ باللـه ـ بالدين وتوقع فى سوء الأدب مع سيد المرسلين، ولا حول ولا قوة الا بالله العلى العظيم ·

الفصـــل الثـالـث

اعلم ان السادة العارفين هم ارسخ الناس قدما فى محبة النبى ـ صـلى اللـه عليه وآلـه وسلم ـ وتعظيم حرمته ، ومراعاة شريف جانبه ، وتعزيره وتوقيره وبره ، تجد ذلك فى صلواتهم عليه ، وفى ادعيتهم لله تعالى عند ذكره والتوسل به ، وفى مناجاتهم له عند الشوق اليه ، وفى تأليفهم عند الكلام فى حقه ، وهذه أشياء مروية عنهم ، معروفة منهم ، لا تحتاج الى شاهد ولا تخفى على طالب ، بل هم أكثر الناس أدبا مع شيوخهم ومربيهم ومريديهم ، بل هم آدب الناس من جميع الناس ، قال قائلهم : من لا ادب له لا شريعة له ولا ايمان له ولا توحيد له ، وكتبهم بهذا طافحة،وسيرهم أصدق شاهد عليه ، فمعاذ الله

ان يكون مرتكب ما تقدم مع الاصرار عليه من عامة عامتهم فضلا عن ان يكون ممن فوق ذلك اذ لا نشك ان ذلك الخطاب الغليظ الجافى لا يقوله المؤمن العامى الباقي على فطرة الإيمان ، فضلا عن أهل الخصوصية والعرفان ، ومن لا يراعى الادب فى خطاب سيد المرسلين ، كيف يصلح ان يكون من العارفين المسلكين ؟ اذ من لا يؤدب نفسه كيف يؤدب غيره ؟ ومن لم يؤمن على آداب الخطاب كيف يؤمن على ما يدعيه من مقامات الكاملين ؟ قال أبو بزيد البسطامى ـ رحمه الله تعالى ـ لبعض أصحابه : قم بنا حتى ننظر الى هذا الرجل الذى قد شهر نفسه بالولاية وكان رجلا مقصودا مشهورا بالزهد ، فمضينا اليه فلما خرج من بيته ودخل المسجد رمى ببصاقة تجاه القبلة فانصرف أبو زيد ولم يسلم عليه ، وقال : هذا غير مامون على أدب من آداب رسول الله ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ فكيف يكون مأمونا على ما يدعيه ؟ اهـ · فانظر يا أخي رحمك الله بانصاف إلى هذا العارف الكبير كيف وزن الرجل بميزان الشرع فطرحه لاخلاله بأدب واحد من الآداب ـ كيف بنا لا نطرح هذا المتهجم على رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ بقبيح التعريض وسوء الخطاب ؟! قال أبو أسحاق الشاطبى فى كتاب الاعتصام اثر كلام أبى يزيد المتقدم : هذا أصل ، أصله أبو يزيد ـ رحمه الله تعالى ـ للقوم ، وهو ان الولاية لا تحصل لتارك السنة ، وان كان ذلك جهلا منه (6) فما ظنك به اذ كان عاملا بالبدعة كفاحا ! اهـ · ونقول : فما ظنك به اذا كان يتهجم على الحضرة النبوية بمثل ذلك الخطاب الذى لا نظير له فى كلام صغار المنتسبين ، وعامة المداحين الجاهلين فضلا عن كلام العارفين ؟ وقال الشيخ عبد الغني النابلسي فى شرحه لكتاب الطريقة المحمدية ، عند كلام أبى يزيد المتقدم : أن الله ـ تعالى ـ لا يؤمن على أسراره وأنواره الا من أمنه أولا على الأخلاق المرضية ، والآداب المحمدية ـ « **اللَّهُ أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسَالَتَهُ** » ـ والحكمة وضع الشيء فى موضعه ، وهى ملازمة لافعال الله ـ تعالى ـ لا ينفك عنها فعل من أفعاله تعالى ألبتة ، وليس من الحكمة وضع الولاية والكمال فى المنتهك للحرمة والتارك للآداب ، بل الحكمة تقتضي عقابه لا ثوابه أو العفو عنه لا المدح منه اهـ · فلا نشك بعد هذا فى بطلان دعواه الواسعة المضادة لتهجمه واصراره على سوء الادب مع رسول

---

(6) يعنى ان الولى من لا يكون للشرع عليه اعتراض ·

اللـه ـ صلى اللـه عليه وآله وسلم ـ ولا دليل على حال المرء مثل كلامه ولا أصدق على قلبه من ترجمان لسانه (7) ·

الفصـــل الـــرابع

فى بطـلان عـذره بعجمـة السـن المحبـين

اعلموا ان خـير هذه الامـة هم أحبها فى نبيها وهـم أهل القرون الثلاثة المشهود لهم بالخيرية على لسان المعصوم وعلى قدر حبهم فيه كان تعظيمهم له وأدبهم معه ·

لما نزل قوله تعالى : « **لا ترفعوا اصواتكم** ··· » الآية ، قال أبو بكر ـ رضى الله تعالى عنه : ـ والله لا اكلمك بعدها الا كاخي السرار ، وصار عمر ـ رضي الله تعالى عنه ـ لا يسمعه حتى يستفهمه ، ولزم ثابت بن قيس ـ رضي اللـه تعالى عنه بيته وكان جهير الصوت مخافة ان يحبط عمله ، حتى اعتذر للنبي ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ فعذره وبشره بالجنة فانزل فيهم وفي أمثالهم « **ان الذين يغضُّون اصواتهم** ··· » الآية · هؤلاء هم الحجة على الخلق ، وهم الذين لا يبلغ من جاء بعدهم مدا أحدهم ولا نصيفه ، وهذا أدبهم وهم سادات المحبين ، وقد كانت ألسنتهم ـ والله ـ فصيحة فى العلم والآداب منزهة عن كل ما يعاب ، فما بال هذا المسكين يركب ذلك الركب الصعب ويخرق سياج الادب ، ويعتذر بعجمة ألسن أهل الحب ، كلا واللـه ، لقد تجاسر على أهل المحبة الحقيقيين وافترى عليهم ، وادعى عليهم ما ليس فيهم ثم لا يجد أبـــدا نظيرا لكلامه عند واحد منهم ، وان اقتدى ببعض المغرورين المتعجرفين ممن لم نعلمهم حتى الآن ، فالحجة من الكتاب والسنة وسيرة السالف الصالح وشيوخ الطريقة المتقدمين قاطعة به وبأمثاله اجمعين،والحمد لله رب العالمين ·

الخاتمـة فى نصيحـة نافعـة ووصيـة جامعـة

اعلموا جعلكم الله من وعاة العلم ، ورزقكم حلاوة الادراك والفهم ، وجملكم بعزة الاتباع ، وجنبكم ذلة الابتداع ، ان الواجب على كل مسلم فى كل مكان وزمان ان يعتقد عقدا يتشربه قلبـه،وتسكن له نفسه ، وينشرح له صدره ،

---

(7) ما فيك يظهر على فيك ـ وكل اناء بالذى فيه يرشح ·

ويلهج به لسانه ، وتنبنى عليه أعماله ، ان دين الله تعالى من عقائد الايمان ، وقواعد الاسلام ، وطرائق الاحسان انما هو فى القرآن والسنة الثابتة الصحيحة وعمل السلف الصالح من الصحابة والتابعين وأتباع التابعين ، وان كل ما خرج عن هذه الأصول ولم يحظ لديها بالقبول ـ قولا كان أو عملا أو عقدا أو احتمالا فانه باطل من أصله ـ مردود على صاحبه ـ كائنا من كان فى كل زمان ومكان ـ فاحفظوها واعملوا بها تهتدوا وترشدوا ان شاء الله تعالى ، فقد تضافرت عليها الأدلة ـ من الكتاب والسنة ـ وأقوال أساطين الملة ـ من علماء الأمصار ـ وائمة الأقطار ـ وشيوخ الزهد الأخيار ـ وهى لعمر الحق لا يقبلها الا أهل الدين والإيمان ـ ولا يردها الا أهل الزيغ والبهتان · والله اسأل التوفيق لى ولكم ولجميع المسلمين،والخاتمة الحسنة،والمنزلة الكريمة فى يوم الدين،آمين،والحمد لله رب العالمين ·

قال مؤلفه عبد الحميد بن باديس عفا الله عنه : فرغت من تحريره بين عشية يوم الاثنين وصبيحة يوم الثلاثاء السادس والعشرين والسابع والعشرين من ذى الحجة الحرام عام 1340 هـ ·

التقاريظ

نثبتها هنا على حسب ورودها فى التاريخ

تقريظ محمد النخلي :

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله وعلى آله ، اما بعد : فاني اطلعت على الرسالة التى حررها الفاضل العالم ابننا الشيخ عبد الحميد ابن باديس احد المتطوعين بجامع الزيتونة (عمره الله) جوابا عن سؤال فى حق من خاطب النبي ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ خطاب جفاء وغلظة، فوجدتها رسالة حافلة بالنصوص الصحيحة المطابقة لما سئل عنه مطابقة العام لبعض أفراده ، ايده الله بروح منه،وأعانه على القيام بوظيفة الإرشاد فى تلك البلاد المتعطشة لكثير من نظرائه الناسجين على منواله ·

ولنا مقالة فيما وقفنا عليه من تأليف هذا الرجل الذى ظهر بتلك الناحية، والله المسؤول أن يجعلنا من الفرقة الناجية · وكتبه فقير ربه محمد النخلي خادم العلم الشريف لطف الله به فى 5 صفر الخير عام 1341 هـ ·

تقـريظ بلحسـن النجـار :

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيدنا محمد أفضل المرسلين وعلى آله وصحبه اجمعين ، هذا وقد وقفت على الجواب الذى حرره العلامة الفاضل السرى الكامل ابننا الشيخ عبد الحميد بن باديس فى شأن الأبيات التى سئل عنها ، فاذا هو لباب الحق الذى لا يرهقه نزاع ، وما على الشمس غطاء ، ولا على الصبح قناع ، كثر الله من أمثاله فى العلماء العاملين ، وألهم ذلك المتعجرف رشده كي يستبين سبيل المهتدين ، والى الله المشتكى من أناس يتنكبون الواضحة السمحاء ويتتبعون بنيات الطريق ويتطرفون فى مجاهل السبل بغير علم ، ويتدهورون فى مهواة الضلال · فان أولئك من الذين عيرهم الله بقوله : « **قل هل نُنَبِّئكم بالأَخسرين أَعمالا الذين ضلَّ سعيُهم فى الحياة الدنيا وهم يَحسبون أَنهم يُحسنُون صُنعاً** » · والله المسؤول ان يوفقنا لصالح الاعمال· حرره فقير ربه بلحسن النجار فى 6 ربيع الانوار سنة 1341 هـ.

تقـريظ محمد الطاهـر بن عاشـور :

الحمد لله مؤيد الحق بالحجج الساطعة ، ومزهق روح الباطل بالصوارم القاطعة ، والمضيء بشمس العلم مهامه الجهالة الشاسعة ، والصلاة والسلام على سيدنا محمد المرسل بالدعوة النافعة ، والواجب تعظيمه على كل من آمن به وتابعه ، وعلى آله وصحبه وكل من ذاد صاحب بدعة ودافعه ، اما بعد فانى طالعت هاته الرسالة الحافلة التى ألفها العالم الفاضل نبعة العلم والمجادة ، وقريع التحرير والاجادة ابننا الذى افتخر ببنوته الينا ، واتمثل فيها بقول الساعة (··· ولا هو بالابناء يشرينا) الشيخ سيدي عبد الحميد بن باديس فى تقويم من جرأه جهله على خطاب الحضرة النبوية ، بما تجاوز حدود الآداب الدينية واخطأ الباب الذى رام التطفل عليه من أبواب الصوفية ، فوجدتها رسالة قد أودعها مؤلفها صريح الحق ومحضه ، واكثر فيها من المعانى ما أوجز لفظه ، أكثر الله أمثاله فى المسلمين ، من العلماء المرشدين ، وكتب فى 17 صفر سنة 1341 هـ محمد الطاهر بن عاشور قاضي تونس لطف الله به ·

تقـريظ محمـد الصـادق النيفـر :

الحمد لله ملهم الحق من اجتباه من المرشدين ، ومدحض الباطل بهديه المستبين ، والصلاة والسلام على سيدنا ومولانا محمد روح العالمين ، ومحوز

دائرة عباد اللـه المخلصين ، وباب الله الموصل لجميع السالكين ، القائـل :
لا تزال طائفة من أمتى على الحـق ظاهرين ، وعلى آله واصحابه والتابعين ،
اما بعد ، وفى كل حي بنو سعد فقد اتحفني الابن الروحي ، والأخ النصوحي
العلامة المدقق ، ومن هو بكل فضيلة متصف ومتعلق ، عمدة المغرب الأوسط
والصاعقة على الدجاجلة الطراريس ، الأستاذ سيدي عبد الحميد بن باديس ،
اتحفه الله بكل فضيلة ، وازاح بعلومه وتحريراته كل رذيلة ، بالاطلاع على
هاتـه الرسالة الحافلة ، التى هـى بتحقيق جواب ذلـك السؤال الكافلة ،
ولا يخامر عقـل مسلم فضلا عن عالم أو سألك ان ينال قيد انملة من ولايـة
أو سعادة دون ترام على الاعتاب النبوية ، وتفاذ بأدب فى حب الطلعة المحمدية
ولكنها الاهواء اعمت ، وتفنن فى الاراجيف والتدجيل أصمت ، أهكذا تكون
الشطحات ان كان لك ذوق يا صاحب الأبيات الباردات ، واما انا وان كنت
لست مطلعا عـلى حالك ولا ما أنت فيـه . ولكن كـلام الشخص عنوان عـلى
ما انطوى عليه فارجع لرشدك وافق من حال سكرك ، واسلك طريق سادات
مضوا ، واقبل نصيحة الشيخ عبد الحميد ، فما لك والله عنها محيد ، وانت
أيها المجيب كثر اللـه من نصراء الحـق امثالك واحسن عقبى حالنا وحالك
بحوله وطوله لا رب غيره .

حرره : خادم العلم محمد الصادق النيفر فى اشرف الربيعين سنة 1341 هـ

تقـريظ معـاوية التميمـي :

اطلعت رعاك الله أيها الأخ الغيور على ما سأله به يراعكم ، ذائدا عن الملة
الحنيفية ، وعلى ما نسجته ألمعيتكم الصائبة العبقرية ، فى الرد على من وجـه
الخطاب للطلعة المحمدية ، بتلك الأبيات ، وماحوته من الترهات ، فتعتصم به
سبحانه من الوقوع فى الزلات ، وجدته من العمل المبرور ، والصنيع المشكور .
ناهيك به صنيع يذب عن حمى المصطفى ، ويزيد الذين اهتدوا هدى ، فللـه
أنت من عالم تحرير ، ومحام خبير ، ولكن عذيري يا أخى من أهل هذا الزمان
فانه ما جرأ هؤلاء الناس عـلى التفوه بمثل هذه الاباطيل بكل قحـة ودعارة
الا رؤيتك السواد الأعظم من الأمـة الاسلامية المسكينة فى انقياد تام لهم ـ
واظنها دسيسة قديمة تمكنت حلقاتها ـ يتحرون خطاهم ، ويرون رضا الخالق

مقرونا برضاهم ، فيزيدون في الاستغراق ، ويخلقون من ضروب الدجل والنفاق ، ما تهتز له السبع الطباق .

ويقدر انقيادهم لهؤلاء القوم تراهم يبتعدون من أولى العلم ابتعاد السليم من ذى العاهة ، أو الخطيب من الفهآهة ، ويستنهض بعضهم بعضا فى الابتعاد وزد على ذلك ما استفحل من الداء الدفين فى أهل العلم من الولوع بالتشاكس وهو الانتقاد ، فى كل عمل ما كانت صبغته وبهذا ومثله تسنى لأولئك الانتصار وراجب بضاعة القوم .

فقلت ادعوك للجلى لتنصرنى   وانت تخذلنى فى الحادث الجلل

كتبه معاوية التميمى تحريرا في ربيع الثانى عام 1341 هـ .

تقريظ شعيب بن علي بن عبد الله :

بسم الله الرحمن الرحيم ، وصلى الله على سيدنا ومولانا محمد وعلى آله وسلم تسليما ، الحمد لله على جميل التوفيق والشكر لله على الهداية لاقوم طريق . والصلاة والسلام على أشرف من وحده وعبده القائل من يرد الله به خيرا يفقهه فى الدين ويلهمه رشده وعلى آله واصحابه أولى العناية بدين الله وتابعيهم من العلماء العاملين وكمل العارفين المؤيدين بتأييد الله ، اما بعد : فقد اطلعنى الجهبذ الامام ، واحد الائمة الاعلام ، المحرر المجيد ، ذى الخلق السنى الحميد ، انيس كل جليس ، الشيخ سيدى الحاج عبد الحميد ابن باديس ، على ما علقه على أبيات من خاطب ـ النبى صلى الله عليه وآله وسلم بقوله :

ان مت بالشوق منكمد   ما عذر ينجيك

فالفتيه الحق الذى فيه لا يستراب ، والمنهج الاقوم الذى لا شك فيه ولا ارتياب فحمدت الله على ان وفقه لذلك وأرشده لسلوك تلك المسالك فانه مشى على أصول سليمة وقواعد مستقيمة يجب الرجوع اليها والاعتماد عليها ، فمن حاد عنها ضل وهلك وخرج عن نهج السلف الصالح ، وغير سبيلهم سلك ، فجزاه الله عن الاسلام والمسلمين خيرا ووقاه والمحبين وأنصار الدين سوءا وضيرا

بحرمة اكمل المرسلين سيدنا ومولانا محمد عليه وعلى آله افضل الصلوات وازكى التسلمات الى يوم الدين آمين والحمد لله رب العالمين .

عبد ربه شعيب بن على بن عبد الله وفقه الله .

تقـريظ محمد المولود بن الموهوب :

الحمد لله الذى جعل الادب الصادق مع سيدنا المصطفى دليل على الحب ـ وجعل حبـه الكامل علامة على رسوخ الايمان والقرب ـ والصلاة والسلام التامان عليه كما يليق به من الله ـ ما تلى ويتلى : « **قُل ان كنتم تُحبُّون اللَّهَ فاتَّبعوني يُحْبِبْكم الله** » وعلى آله وأصحابه الذين حازوا به عظيم الجاه ـ . اما بعد،فقد اطلعنى الأخ فى الله العلامة فرع الكمال وزبدة الأصول ذو الانس والتانيس السيد عبد الحميد بن باديس عـلى جوابه الشافي ونقله الصافي وكيله الوافي ، بل ونعم الحسام الكافي لقطع رقبة ذلك الذى قاده الخناس بزمام الوسواس حتى نطق بتلك العبارة المحزنة الدالة على انه ذو إفلاس ـ وزين له ان اقبال الجهال عليه لا يكمل الا بتلك الجسارة العظمى على الجناب الاحمى ـ وافضل المخلوقات قدما ـ فوجدته سلسبيلا معينا ـ كالعسل المصفى للعلماء العاملين ـ من بحر شريعة الأمين يجرى ـ فلله در الباديسى المؤيد بما قاله الكل كالامام الأخضرى .

وقـال بعض السـادة الصـوفيةْ ... مقـالـة جـليـلـة صفيـةْ
اذا رأيـت رجـلا يطـيرُ ... أو فـوق مـاء البحر قـد يسيرُ
ولـم يقـف عنـد حدود الشـرعِ ... فـانـه مستـدرج وبـدعـي
واعلـم بان الخـارق الروحـاني ... لتـابـع السنـة والقـرآنِ
والفـرق بـين الإفـك والصوابِ ... يعـرف بـالسنـة والكتـابِ
والشـرع ميـزان الأمـور كلهـا ... وشـاهـد بفـرعهـا وأصلهـا
والشرع نور الحـق منه قد بدا ... وأنفجرت منـه ينابيـع الهـدى
وقـال بعـض أوليـاء اللـهِ ... السـالكـين لطـريـق اللـهِ
مـن ادعـى مـراتب الجمـالِ ... ولـم يقـم بـأدب الجـلالِ
فارفضـه انـه الفتـى الدجـالُ ... ليس لـه التحقيـق والكمـالُ

ومـــن تحـــلى بحـــلى المعـــالي ولحـــدود اللـــه لـــم يبـــال

ففـــر منـــه انـــه شيطـــانُ مخـــادع ملبـــس خـــوانُ

قال البيهقي في مناقب الشافعي ـ رضي اللـه عنه ـ المحدثات ضربان : مـا أحدث مخالفا كتابا أو سنة أو اثرا أو اجماعا فهذه بدعة وضلالة ، ومـا احدث من الخير لا يخالف شيئا من ذلك فهذه محدثة غير مذمومة ، وقال الاستاذ البكرى ـ رضى الله عنه ـ فى الوصية الجليلة ان أهل الطريق يجب عليهم ان لا يخطوا خطـوة ينكرها الشرع عليهم ، فان من خالف الشريعة المحمدية تاه وضل عن الطريقة المرضية ، فالشريعة أصل والحقيقة فرعها ، فمن لـم يحكم الاصل لا ينتفع بالفرع ، اهـ . قال سيدى عبد القادر الجيلالى ـ رضى اللـه عنه ـ : كل حقيقة ردت شريعة فهى زندقة وكـل ظاهر يخالف باطنا فهو باطل ، اهـ .ـ وقال سيدى ابراهيم الدسوقى ـ رضى الله عنه ـ : طريقنا هذا مضبوط بالكتاب والسنة ، فمن أحدث فيه ما ليس فى الكتاب والسنـة فليس هو منا ولا من اخواننا ونحن بريئون منه فى الدنيا والآخرة ولو انتسب الينا بدعواه ، اهـ . وقال أبو زيد ـ رضى اللـه عنه ـ : لو ان رجلا يبسط مصلاه على الماء وتربع فى الهواء فلا تغتروا به حتى تنظروا كيف تجدونه عند الامر والنهي ، اهـ . وفى مناهج السعادات : قيل للرسول ـ صلى الله عليه وآلـه وسلم ـ متى أكون مؤمنا ، وفى لفـظ آخر : مؤمنا صادقا ، قال : اذا احببت الله ، قيل : ومتى أحب الله ، قال اذا حببت رسوله ، فقيل : ومتى احب رسوله ، قـال : اذا اتبعت طريقته، واستعملت سنته، وأحببت بحبـه، وابغضت ببعضه، وواليت بولايته، وعاديت بعداوته . وقال سهل التسترى : عليكم بالاقتداء بالاثر والسنة فانى اخاف أنه سيأتى عن قليل زمان اذا ذكر انسان النبي ـ صلى اللـه عليه وسلم ـ فى جميع أحـواله ذموه ونفروا عنه وتبرأوا منه وأذلوه وأهانوه ، اهـ . فاين هذا مما نحن فيه من إساءة الأدب مع سيد الكائنات ! اللهم لا حول ولا قوة الا بك ، فبشراك يا أيها الباديسي لقد أسعدك اللـه بالدفاع عن حرمة الرسول كسيدنا حسان بن ثابت وغيره مـن الفحول ، وبعدا لمن تشبه بالسالكين كذبا ، وما قرع الباب بيد آداب مع سيد الاحبـاب .

هيهـات ان تدرك المنـى بشقشقة   طـورا اليك وطورا طـوع تلقين

ان السيوف سيوف اللـه قاطعـة   والمصطفى حبـه فرض من الديـن

ألا اتئدوا عـرف المركوب معتبرا   لـدى السبـاق حفـائر الميادين

نسأله تعـالى ان يحفظنا من دسائس الدجالين فى حسن سنة سيد المرسلين صلى الله عليهم اجمعين آمين ، حرره الفقير الى رحمة علام الغيوب محمد المولود ابن الموهوب المفتى المالكي والمدرس بقسنطينة فى الخامس عشر مـن شعبان 1341 هـ ٠

تقريظ العابد بن احمد بن سـودة :

الحمد للـه وكفى ، وسلام على عباده الذين اصطفى ، أما بعد؛ فقد طالعت السؤال والجواب فنعم الجواب وبئس السؤال ، لان التعظيم والمحبة الكاملة كلها فى اتباع سنة مولانا رسول الله ــ صلى الله عليه وسلم ، قال تعـالى : « **وَمَا آتاكُم الرسولُ فخذُوه وما نهَاكم عنه فانتهوُا واتقوُا اللـَّه** » ٠ وقال : ــ صلى الله عليه وآله وسلم ــ : « تركتكم على المحجة البيضاء ليلها كنهارها لا يزيغ عنها الا هالك » ولما طالعت رسالة الشيخ الإمام فخر الاقران رئيس علماء قسنطينة العلامة الجامع مولانا السيد عبد الحميد بن باديس القسنطينى ألفيتها البحر الزاخر ، ونقولها كالانجم الزواهر ، والله يديم حفظه وارتقاءه ٠

وعليه يوافق عبد ربه سبحانه العابد بن أحمد بن سودة القرشى لطف الله بـــه ٠

تقـريظ محمد بن العـربي :

حمدا لمن جعل الحـق مع أهـل التحقيق ، ومن عـلى من شاء بالتوفيق ، والصلاة والسلام على سيد الانبياء والرسل والملائكة ، القائل تركتكم عـلى المحجـة البيضاء ليلها كنهارها لا يزيغ عنها الا هالك ، وعلى آلـه وأصحابه الاعلام ، ما قال قائل ربى الله ثم استقام ٠ أما بعد؛ فالذى أدين الله به واعتقده هو ما سطره سيدنا العلامة المشارك الدر النفيس السيد عبد الحميد بن باديس لانه مؤسس المبنى صحيح اللفظ والمعنى لم يبق فيه قول لقائل ، ولا تشوف لمراجعة مجيب أو سائل ٠

وعليه يوافق عبد ربه محمد بن العربى لطف الله به ٠

تقريظ عبد القادر بن محمد بن عبد القادر :

حمدا لمن جعل البيان سحرا ، ورفع بالفصاحة أقواما فكان لهم بين الناس قدرا ، نحمده سبحانه على ان ارسل الينا رسله تترا ، ونصلي على سيدنا محمد بحر البحور الزواخر ، وعلى آله وأصحابه وعترته وحزبه أهل النصوص الزواجر ـ أما بعد ـ فقد أوقفني خلنا الحميم الصادق ٠ الخل الموافق المنور العالم جميل الاخلاق والاوصاف ، سيدى عبد الحق بن وطاف ، على رسالة الشيخ الامام الهمام عالم الديار القسنطنية الايوان النفيس ، السيد عبد الحميد بن باديس ، فالفيتها فريدة فى بابها جمعت النقول الصحيحة والاستدلالات اللطيفة :

العلم قال الله قال رسوله   قال الائمة من ذوي العرفان

فما العلم الا الكتاب والسنة ، لا الشطحات الكاذبة والادعاءات الفاسدة :

والدعاوى ما لم يقيموا عليها   بينات أبناؤها أدعياء

فما لنا الا اتباع سنة مولانا الرسول ومن خالف سنة مولانا الرسول ، فالسيف مسلول (فما لنا الا اتباع أحمدا) وغاية المقول فيها :

ذى المعالى فليعلون من تعالى   هكذا هكذا والا فلالا

ولما فاح مسك الختام قلت بلفظ قريب شامل من بحر مجزوء الكامل :

جاءت الي رسالة   عني بها الكدر انتفى
جمعت أمورا جمة   قلبي اليها قد هفا
ألفاظها درية   سمعي بها قد شنفا
ولها معان أصبحت   بالفعل تحكي القرقفا
من قاسها بالبدرو   شمس الضحى ما أنصفا
شكرا لحضرة سيدي   عبد الحميد المقتفا
علامة الدنيا الذى   أضحى شريفا مشرفا
وله علي الشكر فر   ض عنه لن أتخلفا

قاله وكتبه خديم الحديث الاستاذ عبد القادر بن محمد بن محمد بن عبد القادر السودى القرشى الله وليه ومولاه ، حرره بفاس حامدا ومصليا ٠

المقرظون ، أسماؤهم ووظائفهم وبلدانهم :

1 ـ العلامة النظار المفكر المستقل زعيم النهضة الفكرية لجامع الزيتونة الشيخ محمد النخلي رحمه الله ٠

2 ـ العلامة الاصولى البحاث الجامع الشيخ النجار المفتي المالكي حفظه الله

3 ـ العلامة المحقق الغواص النقاد الشيخ الطاهر بن عاشور عميد مجلس الشورى المالكي بتونس وقاضي الجماعة بها سابقا حفظه الله ٠

4 ـ العلامة المحقق الفقيه النوازلي المتفنن الشيخ الصادق النيفر قاضى الجماعة بتونس حفظه الله ٠

5 ـ العلامة المشارك الأديب البارع الشيخ معاوية التميمي المدرس بالزيتونة حفظه الله ٠

6 ـ العلامة الفقيه المشارك الشيخ شعيب بن عبد الله القاضى سابقا بتلمسان والمتقاعد الآن ، حفظه الله ٠

7 ـ العلامة المتفنن الالمعى المفكر الشيخ المولود بن الموهوب المفتي المالكي بقسنطينة والمدرس بمدرستها ، حفظه الله ٠

8 ـ العلامة الكبير المؤلف الشيخ العابد بن أحمد بن سودة القرشي خطيب المسجد الادريسى بفاس وقاضى الجديدة سابقا ، حفظه الله ٠

9 ـ العلامة المشارك الشيخ محمد العربي المدرس بالقرويين ، حفظه الله ٠

10 ـ العلامة المحدث المسند الرحالة الشيخ عبد القادر بن محمد بن عبد القادر السودي القرشي المدرس بالقرويين بفاس ، حفظه الله ٠

تبيان :

هذه الابيات المسؤول عنها لم تزل الى اليوم فى ديوان ناطقها شيخ الطريقة العليوية بين أتباعه بعلمه ورضاه وتقريره مع ما فيه مما هو مثلها أو أشد فى معاني أخرى ٠ والله يهدى من يشاء الى صراط مستقيم (1) ٠

---

(1) قد اختفت هذه الابيات اليوم ولكن القصيدة التى جاءت فيها ما زالت بآخر طبعة من الديوان وفيها ما يؤاخذ عليه ٠

رد الفعـــــل :

لابد من رد الفعل من القوم ، فكان قولا وعملا ، وهو ما نقصه :

كان أول رد فعل لهذه اللهجة المحكمة والدعوة الموفقة ، المدعمة بالأدلـة الشرعية من آيـات قرآنية وأحاديث نبـوية ، وبتأييد أعظم علماء الزيتونية التونسيين ، وعلماء المغرب القرويين ، وعلماء الجـزائر المصلحين والرسميين – ان ألفوا كتابا سموه (الشهائد والفتاوى فيما صح لدى العلماء من أمـر الشيخ العلاوى) . والكتاب – يبرهن كما يـدل عليه اسمه – عـلى مقدار ما أصابهم من الفزع والرعب لأن أمر شيخهم قد أصبح فى شك وبلبلة ، ويحتاج الى من يشهد له بالإيمان والصلاح .

ومؤلف هذا الكتاب هو السيد محمد بن عبد الباري التونسى ، وقد طبعوه بمدينة تونس فى (المطبعة التونسية) الكائنة فى زقاق البلاط ، حيث كانت تطبع جريدة (الزهرة) اليومية . اما المـؤلف فقد كان مجهولا فى الاوساط العلمية الزيتونية .

ومثله كثير ، ممن يسخر فيتسخر، ويستأجر فلا يأبى أن يجيب .

اشتمل كتابه – الذى بلغت صفحاته 256 – على شهائد – كما يقـول – صادرة « من أكابر العلماء من نحو القضاة والمفاتي وأكابر المدرسين ، ومنها من نحو المتطوعين والمرشحين ، ومنها من أعضاء المجالس البلدية وأعيان البلدان، ومنها ما هو من أعيان الاتباع من الفقهاء والفضلاء ! » (1) .

واذا كانت شهادات العلماء أو المحاكم يستأنس بها فما دخـل المجالس البلدية التى تتركب من العامة وممن لا صلة له بالشريعة فى الموضوع ؟

على ان هذه « الشهائد » لا تخرج عن تمجيد الشيخ واطرائه ، والاشادة بسيرته وفضله وتدينه وتقـواه واثـره فى اتباعه « الطيبين » . فالشيخ ذو مكانة سامية وسيرة مرضية يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر (2) . وهو كما

---

(1) كتاب الشهائد والفتاوى صفحة 7 الطبعة الاولى .
(2) المصدر المذكور ، الشهادة الاولى من محكمة مستغانم ، ص 10

جاء فى الشهادة الثانية من مفتى مستغانم « مالكي المذهب ، أشعرى العقيدة ، شاذلي الطريقة يحضر الجماعة والجمعة ويرغب فى الخير » (3) ·

وهكذا تستمر هذه الشهادات من أولها الى آخرها على وتيرة واحدة مع الهجوم أحيانا على (خصومه) ونعتهم باقبح النعوت ·

وفى الشهادة الاخيرة يذكر صاحبها أن الشيخ يستحق الشكر والثناء من كل مسلم لما قام به :

« من جلائل الأعمال خصوصا إحياء السنة وإماتة البدعة ، وارشاد الأمة لعمل الصالحات ، وفعل الخيرات ··· مزاياكم ظهرت كالشمس فى (رابعة) ـ كذا ـ النهار الا على من على بصره غشاوة » (4) ·

والملاحظة أن هذه الشهادة الاخيرة صادرة من الحاج محمود ابن الحاج مصطفى التبسي « وقد كان زاول معلوماته بمدينة مصر ، ويكفيه منقبة تجوله فى طلب العلم » (5) ·

فكل ما حواه الكتاب لا يكاد يخرج عن مثل ما ذكرناه ، وقد طبع الكتاب واخرج للناس فى أوائل سنة 1343 هـ ·

ولكن يظهر انه لم يغن القوم شيئا لما فيه من باطل وزور ، ففى بعض الشهادات ما ينسب البدعة وينوه بها ويحتج لشرعيتها كالخلوة ، والحضرة، وشد الرحال لغير المساجد الثلاثة ، وانظر الى الشهادة الأخيرة التى تشيد بإحيائه السنة وإماتته البدعة ، وهذا ما لا يدعيه العليوية لأنهم يتمسكون بالانتساب الى « المتصوفة » · ولهم طريقة خاصة بهم غير طريقة السلفيين ·

ولأن حجة ابن باديس وحزبه كانت واضحة مدعومة بنصوص نطق بها الشيخ ونشرها ، وروجها ، وانه ما لم يتب منها ، أو يتبرأ من قولها ،

---

(3) المصدر المذكور ، ص 13 ·
(4) المصدر المذكور ، ص 237 ·
(5) المصدر المذكور ، ص 237 من الهامش ·

ويسحبها من السوق فهى لازمة له ، عليه تبعتها ، ويتحمل أمام الله والناس وزرها · ولا يسلم من هجمات الدعاة الى الحق حماة السنة ، وخصوم البدعة·

في أواخر 1343 هـ ـ 1925 م برزت صحافة الاصلاح ، كما برزت نسخ طبق الأصل من «ابن باديس»، وقد تكون لهجتها أشد وأقسى، ومنها «بيضاوى» المحرر فى المنتقد وفى « الشهاب » فقرروا أن يتجاوزوا الرد الكتابي الى الرد العملي ، وبحثوا عن شخصية « بيضاوى » فلم يعرفوه فصمموا على أن يكون الضحية ابن باديس نفسه ، وهكذا دبرت مكيدة السطو بابن باديس ونفذت ·



السطو بالشيخ عبد الحميد بن باديس

كاد الاستاذ الامام الرئيس عبد الحميد بن باديس ـ رحمه الله ـ يدفع حياته الغالية ثمنا لصدعه بالحق ، وقيامه بالواجب ٠ وشجاعته فى الدفاع عن آيات الله ٠ وسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ومقامه ٠

فقد دبرت مكيدة شنيعة ضد حياته ، وشرع المعتدون فعلا فى اقتراف جريمتهم لولا ان حماه الله وانقذه ٠ ومع ذلك فقد شج وجهه ، وسالت دماؤه وذلك مساء يوم 9 جمادى الآخرة 1345 هـ الموافق 14 ديسمبر 1926 م ٠

وقد طلع العدد 75 من الشهاب ، الذى صدر يوم 11 جمادى الآخرة ـ 16 ديسمبر ، وفيه صفحة كاملة تعلن بحروف غليظة :

تـوحـش عليــــوي ٠٠٠

انـتـظـــــــــروا ٠٠٠

فى العـدد المقبـل

السطو الذى وقع على الاستاذ العلامة الشيخ عبد الحميد بن باديس فى طريق داره بعد خروجه من درس التفسير من أحد المربين فى الخلوة العليوية ٠

ما لهم لا يفقهون ؟

أيحسب الطرقيون العليويون أن يذهب الشهاب بذهاب أستاذنا ؟

وفى العدد الموالى ـ عدد 76 من الشهاب الصادر يوم الخميس 18 جمادى الآخرة 1345 هـ الموافق 21 ديسمبر 1926 م ذكرت تفاصيل عن هذه الجريمة البشعة ، وهذا نص ما نشر :

بيـــــان

فــاجعـــة الفتـــك بالأستــاذ

في ليلــة الاربعاء 9 جمادى الثانية الساعة السابعة مســاء ، كمن احــد الأوباش للاستاذ العلامة الشيخ عبد الحميد بن باديس في طريق داره بعــد خروجه من درس القرآن العزيز ، وفاجاه بضربتين بدبوسة ، الاولى على الرأس والثانية تحت العــين ، وكانت الأولى قوية للغاية أراد بهــا الجاني اسقــاط الاستاذ للقضاء عليه ٠

ولكــن الالطاف الربانية ساعدت الاستاذ ، أمسك لــه اليــد التي فيهــا الدبوسة ، واليد التي يسل في الموسى بها،وبقيا يتدافعان في وسط الــدرج المؤدية هبوطا لداره في مكان خال من المارة ، وصعودا للنهج العام الذى تكثر فيه المارة إلى أن انتصر الأستاذ وصعد به وهو يستغيث حتى ان صار الجاني يحاول الهروب بعد أن كان يحاول القتل ، ولقوة الضربتين فشل الأستاذ ، وهرب له داخل الزنقة وكانت ذات مخرجين ، فأمر الاستاذ الفازعين ان يسدوا عليه المخرجين لئلا يهرب ،ثم شرع الأستاذ في البحث مع آخرين فوجده أحد الباحثين في دهليز في الدار التي بها مسكن الاستاذ وشاهد الموسي بيــــده فألقى القبض عليه ، بعد إمساك يده التي بها الموسى ٠

وتناوله كل أحد من الحاضرين وأرادوا الفتك به لرؤيتهم الأستاذ في ذلك الحال مخضبا بالدماء ، لكن الاستاذ منعهم من ذلك ٠

ثم أتــى البوليس وأمسك الجاني وسار الجميع إلى كوميسارية القســم الثاني ، وبعد سؤاله عن اسمه أجاب : ممين محمد الشريف بن محمد من أهالي جعافرة حوز مجانة دائرة برج بوعريريج،وبعد تفتيشه وفحصه وجدوا تحته ورقة الرجوع في السكة الحديدية للجزائر ، وسبحة عليوية ، وبوجود ذلك تحته مع هيئة لحيته ، الهيئة المخصوصة لإخوان ابن عليوة،تبين أنه من أتباعه وانه سخر منه أو ممن يقوم مقامه للفتك بالأستاذ والقضاء على حياته ٠

ووقتئذ زج في السجن ، وسير بالأستاذ في العربة التي أتى بها من موقع القضية الى الطبيب الجراحي فضمد له الجرح ورجع الى داره في مظاهرة كبيرة من جميع الطبقات ٠

وتحقق أن الجاني من أتبـاع ابن عليوة الصوفي العصري ··· كما اننا تحققنا ان مع الجاني ثلاثة أو أربعة من اتباع الشيخ المربي ··· وكلهم أتوا للفتك بالأستاذ حسبما تلقيناه من بعض جيرانه،لأنه قبل وقوع ما ذكـــر بيومين ـ كثر ترددهم على هذا الجار وسؤالهم لـه عن سكن الشيخ وأوقات رواحه ليعرفوا الزمان والمكان المناسب للفتك ·

وبالفعل وقع ما ذكر ، ولما وقع البحث من ادارة الكوميسارية أدى ذلـك الجار شهادته وعرف الجاني انه من أولئك السائلين الذين ترددوا على محله لأخذ الارشادات عن محل سكن الشيخ وعن أوقات غدوه ورواحه ·

والحمد لله ان سلم الله الاستاذ وفضح كيد الخائنين ، وللناس أن يحكموا على هاته الطريقة ـ بعد صدور هذا من اهلها ـ بما يشاءون » اهـ ·

هذا ما نشرته جريدة الشهاب اثر الفاجعة ، في بساطة الاسلوب الصحفي الوافي بالغرض البعيد عن التأنق وأظنه من انشاء السيد أحمد بوشمال رحمه اللـه تلميذ الأستاذ وشريكه في أعماله ومدير مجلة الشهاب وأحد مؤسسي المطبعة الاسلامية الجزائرية ، ثم خليفة الاستاذ ـ من بعد وفاته ـ في رئاسة جمعية التربية والتعليم الاسلامية وفروعها بولايـة قسنطينة ، وفي مشاريع النهضة بها ·

شجـاعة وقـوة بدنيـة وروحيـة :

نري فيما جاء في الخبر ان الاستاذ ابن باديس أمسك بيدي الجاني ، اليد التي تمسك بالهراوية ، واليد التي تمسك بالموسى ، وتدافع معه في الـدرج هبوطا وصعودا ، واستطاع أن يصعد به الى الشارع العام،وحينئذ افلت منه ، ومع ضعفه من أثر الضربتين وافلات الجاني بقي في يقظة يبحث عن عدوه مع الباحثين حتى وجدوه ، وما زالت الموسى بيده ولم يخش ان يعود الى محاولته · والذي يعرف المكان ـ جيـدا ـ يعرف مقدار الخطر الذي كان يهدد الشيخ ، والحرج الذي تعرض له ، فان السلم صعب المرتقى جدا ، وربما كان ضيقه مما سبب نجاة الاستاذ لأن الجاني قد يعوق حركته بالهراوة ذلك الضيق · ثـم ان الاستاذ كان نحيف الجسم لا يقوى ـ عادة ـ على دفع صائل مهاجم ضخم الجثة ـ فيما يروى ـ مفاجيء بضرباته ·

عـزيمة وتصميـم : حيـاة الفـرد لأجـل مـواطنيه

ولا شك أن هذه القوة البدنية التى منحها فى تلك اللحظة ـ رغم نحافة جسمه ـ مع شجاعة ادبية روحية مما نجاه من هذا الخطر الذى هدد حياته ، ووصل الى درجة محاولة الفتك بـه ، وكل ذلك لم ينـل مـن أقدامه وعزمه وتصميمه على المضي فى طريقه ·

ففى عدد الشهاب نفسه 76 الذى ذكر فيه نبأ العدوان ، والذى صدر بعد أسبوع واحد من محاولة الفتك ـ 18 جمادى الاخيرة 1345 هـ ـ 23 ديسمبر 1926 م نجد افتتاحة العدد عبارة عن كلمة معبرة منقولة عن الشاعر الهندي العالمى طاغور ، نشرت بحروف غليظة واستوعبت الصفحة الاولى ، وهذا نصها :

كلمـــات العظمـــاء :

« للحياة معنى فسيح نبيل لذلك الرجل الذى يحيا من أجل فكرة أو مبدإ وان الألم ليتضاءل بقدر اتساع ذلك المعنى ··· والحياة النبيلة الطيبة هى التى يحيا الفرد فيها لأجل مواطنيه ، لأجل المجتمع ، لأجل الناس جميعا » ·

الأخطـار التى تهـــدد خـادم الأمـــة

ثم فى العدد الموالى وهو عدد 77 الذى صدر فى 25 جمادى الاخيرة 1345 هـ الموافق 30 من ديسمبر 1926 م نجد افتتاحية العدد كلمة أخرى منقولة عـن مجلة الهلال لزعيم سياسي فرنسي هو السيد كايو من رؤساء الحكومة الفرنسية السابقين ، وقد نشرت أيضا بحروف غليظة وهذا نصها :

كلمـــات العظمـــاء :

« ان من يريد أن يخدم الأمة ويقودها يجب ان يكون متقدما عنها ، وقد عرفنا بالتجربة أن الجلادين (المكلفون بقتـل المجرمين) يقفون عـلى الدوام ينتظرون مثل هذا الخادم المتقدم ، ولكن هذا الحظ السيء يجب الا يمنع أحدا من اظهار الناس على أخطائهم وانذارهم بالاخطار التى تتهددهم » ·

(الهلال) م· جوزيف كايو رئيس وزراء فرنسا سابقا

وقد كان ابن باديس حقا يحيا من أجل ذلك المعنى الفسيح النبيل ، الحياة الطيبة النبيلة من أجل مواطنيه ومجتمعه والناس جميعا ·

وكان لا يجهل الأخطار التى يتعرض له المتقدم على جماعته ، ولا تمنعه هذه الأخطار من صدعه بما أمره به دينه ، وعمله وخلقه .

هذا ما قاله بلسان حاله ، فى نقله لهاتين الكلمتين عن بعض عظماء عصره وقال بلسان قلمه ـ وقد نشر عقب الخبر الذى روى فاجعته فى عدد 76 من الشهاب بعد تمهيد من الجريدة وهذا نص ذلك :

شكر عام للإحساس العام

تهاطلت على الادارة البرقيات والكتب من جميع جهات القطر ومن تونس الشقيقة بالتهنئة بسلامة الاستاذ والاستياء من توحش الجاني العليوي ، مثلما تواردت وفود القسنطينيين من جميع طبقاتهم على داره،فجاءنا من جنابه ما يلي :

« انني أشكر ـ الشكر الجم ـ الأمة الجزائرية جمعا، على ما أظهرته من العطف والشعور نحو شخصي الضعيف بما رأيت من القسنطينيين كلهم ، وما تلقيته من الكتب والبرقيات من جميع الجهات ، وأشكر كذلك الأمة التونسية العزيزة التى لا يفصلنا عنها غير الاعتبارات السياسية ، من فاصل الحدود .

« انني وايم الله لأرى نفسى أحقر وأقل من هذا الاعتناء ، ولكنني أسر وأبتهج عندما أعلم ان هذا الشعور العام دليل على ما فى قلوب المسلمين من المكانة العظيمة لكلمة الحق ، وسمعة الدين اللذين ما أوذيت الا فى سبيلها من طائفة تدعى الخصوصية فى الاسلام وتبعث أتباعها يسطون على الأبرياء بالظلم والعدوان .

« فهذا العاجز يكرر شكره ـ بلسان الحق والدين لأهل هذا الشعور الطاهر الشريف،سائلا من الله تعالى أن يزيده رسوخا فى قلوبهم على مدى الأيام » .

عبد الحميد بن باديس

فحتى ـ فى تلك الحالة المؤلمة كان انما يفكر فى المبدإ الذى يعيش من أجله : الصدع بالحق ، وخدمة الدين ، ويأسف جد الأسف الا يفهم الدين من يدعي فيه الاختصاص .

شـاهد عيـان يـروى الحـادث

حينما وقع الحادث ــ منذ ما يزيد على خمسين عاما ــ كان الشيخ ابن باديس رحمه الله ــ محاطا ــ فى معهده العلمى ــ بأسود الشرى من أبناء الجزائـر انحدروا اليه ــ والتفوا حوله ــ من جبال الجزائر المنيعة وسهولـها الخصبة ، وهضابها المرتفعـة ، وصحاريها الفسيحة،وما منهم الا مـن يفـديه بالنفس والنفيس ، ويخاطر من أجله أشد المخاطرات ، ولكنهم فوجئوا بما أصابه ٠

وكانوا يتلقون عنه الدين الصحيح ، والتربية السليمة ، والوطنية الصادقة وفنون العلم ، والادب الجم ، كان يستقبلهم أو يستجلبهم ويرعاهم ، ويسهر على راحتهم ، وكانوا عنده أغلى من كل غال فى الحياة ، يكادون يكونون عـلى فطرتهم (البدوية) لم يتصنعوا ولم تفسدهم (تطرية) الحضارة ٠

فلما سمعوا بما وقع له دهشوا ثم اسرعوا اليه محتارين وجلين ومشفقين متسائلين ، ورغم ما كان فيه ــ تلك الليلة من ألم جسمى ونفسى فقد اذن لهم وتحدث معهم ، وانبسط اليهم ، وأشرق وجهه بابتسامات ٠

وقد فكرت أن انقـل صورة حيـة عن هذه الحادثة فالتجأت الى الاستاذ العلامة الشيخ محمد الصالح بن عتيق فوجدت عنده الخبر اليقين ، وكان يتكلم عن هذه الحادثة وكأنها وقعت بالامس القريب مع ألم وحسرة فطلبت منه ان يقصها بقلمه فاستخرج نصها من ذكريات حياته وهذا ما جاء فيها ٠

محـاولة اغتيـال الأستـاذ الإمـــام
عبـــد الحميـــد بـن باديـــس
(مأخـوذ مـن ذكريـــات حيـــاة)

فى الرابع عشر من شهر ديسمبر 1926م (9 جمادى الاخيرة 1345هـ) وقعت محاولة اغتيال شنيعة كادت تودى بحياة الأستاذ الامام من طرف أحد المجرمين المنتسبين لإحدى الطـرق الصوفية الغـلاة بالجـزائر ، بإيعـاز مـن الادارة الاستعمارية التى ضاقت ذرعا بنشاط الأستاذ فى الميدان الإصلاحي والوطني، وكانت تعتمد بالدرجة الاولى على بعض هذه الطرق والزوايا ، وتحرص عـلى هؤلاء الأنصار و (الأحباب) فى دعم نفوذها ، والحفاظ على سمعتها وتحميهم من حركة الاصلاح التى كانت تحارب البدع والخرافات التى ألصقوها بالاسلام، وجعلوا منها طقوسا جافة ميتة ، كما جعلت منهم أداة طيعة فى يد أعداء الوطن والاسلام الصحيح ، فاتفقت مصلحة هـؤلاء وأولئك على التخلص مـن هـذه الحركة الجادة وذلك بالقضاء على قائدها ورائدها الأستاذ الإمام ، فتآمروا على اغتياله ، وكلفوا أحـد أولئك المخدرين مـن حثالـة الزاوية وزودوه بالمـال و (البركة) ودعوه الخير (ويمكرون ويمكر الله والله خير الماكرين) .

جاء هذا المجرم من مدينة مستغانم وركب من الجزائر ـ كما دلت عليـه بطاقة السفر ـ وترصد ـ ليلا ـ الشيخ ـ فى التاريخ المذكور ـ فى طريقـه الى منزله بعـد درس التفسير ، وبينما كـان الشيخ يسير فى غفلـة متلفعـا ببرنوسه فى طريق ضيق ودروج وعرة اذا به يفاجأ بهراوة تقع على رأسه ثم على صدغه ، وهنا تتداركه الألطاف الإلهيـة وتنتشله من براثن هذا الوحش الهائج وتبعث فى الاستاذ قـــوة خارقة للعادة فينبرى للدفاع عن نفسه فى شجاعة وإيمان ، ويمسك بصاحبه الضخم وكانه عصفور صغير ويصعد بـه عدة درجات بمكان ضيق حتى أوصله للطريق العام ، ويصيح مستنجدا فيبلغ صوته الى جماعة كانت جالسة بمكان قريب منه فيهرعون اليه مستصرخين : نحن هنا ، نحن معك يا شيخ !

اما المجرم فقد استطاع ان ينفلت ويلوذ بالفرار ! والى أيـن ؟ الى سقيفة منزل الشيخ ، ولعله كان ينوى الاجهاز عليه بطعنة من سكين كانت معه،ولكن

خاب ظنه وخذلته (بركة) الزاوية فعثروا عليه هناك ، وكادوا يفتكون به لولا تدخل الشيخ الذى قال لهم دعوه لا تمسوه بسوء،فليس الذنب ذنبه،فما هو الا صخرة مرسلة ، وآلة مستعملة . وقد شاع الخبر بسرعة فى البلد فجاءت الجموع تستطلع الخبر وتتأكد من حياة الأستاذ ، وطلبوا رؤيته ، ولكن الأهل المشفقين منعوهم من الدخول حسب أوامر الطبيب،وحرصا على راحة الاستاذ الذى كان فى شبه اغماء متأثرا بما أصابه .

« **لهُمْ دارُ السَّلامِ عند ربّهم وهُو وليُّهم** » .

وبلغ الخبر الى طلبته فجاءوا وجلين مسرعين ، منتعلا وحافيا ، وقد أصابهم الهلع والحزن،حتى بلغوا منزل الشيخ وطلبوا رؤيته فمنعوا من ذلك ولكنهم أصروا على ضرورة رؤيته ، وقد علا نحيبهم ، فوصل ضجيجهم الى مسمع الأستاذ فأذن لهم بالدخول وكنت فيهم .

دخلنا فقابلنا بابتسامة لطيفة وقال : أتذكرون درسنا الليلة فى تفسير قوله تعالى : « **لهُم دارُ السَّلامِ عند ربّهم وهو وليُّهُم بما كانوا يعملون** » ؟ فقلنا : نعم والحمد لله على سلامتك ، والله ولينا ووليك ، وانه لنعم المولى ونعم النصير .

كنا ننظر اليه والدم يضرج جبهته وهم يمسحونه ، وهنا نطق أحد تلاميذه وهو السيد مبروك بن القداري من فرجيوة (فج مزالة) ولاية جيجل الآن فقال : بلغنا ـ يا سيدي ـ انك منعت الناس من ضرب المجرم ؟ فقال : نعم لأنه لم يكن الذنب ذنبه ، فقال المبروك : والله العظيم لو كنت حاضرا ورأيته لقتلته ، ولما سمعت لنهيك ، فضحك الأستاذ . « وكان هذا التلميذ نفسه من أبناء الزوايا ... »

وسألناه كيف وقعت الحادثة ؟ فأخبرنا أنه اشتبك معه فى الدرج بعد ما أصابته ضربة الهراوة ، واستطاع ان يحمله ويصعد به الدرج الضيق الى الطريق العام .

ثم قال : أتدرون كيف تغلبت عليه ؟ فقلنا : هى أعجوبة ، قال : الأمر هين ! ان الرجل بدوى لا يعرف المشي على الدرج خصوصا الضيق منها ، أما

أنا فاني متعود عليه ، فهذا هو السر كما ترون . لكنه فى الحقيقة لم يكن كل السر ، وانما هى عناية الله وحفظه لأوليائه كما نطقت الآية « **وهُو وليُّهم** » .

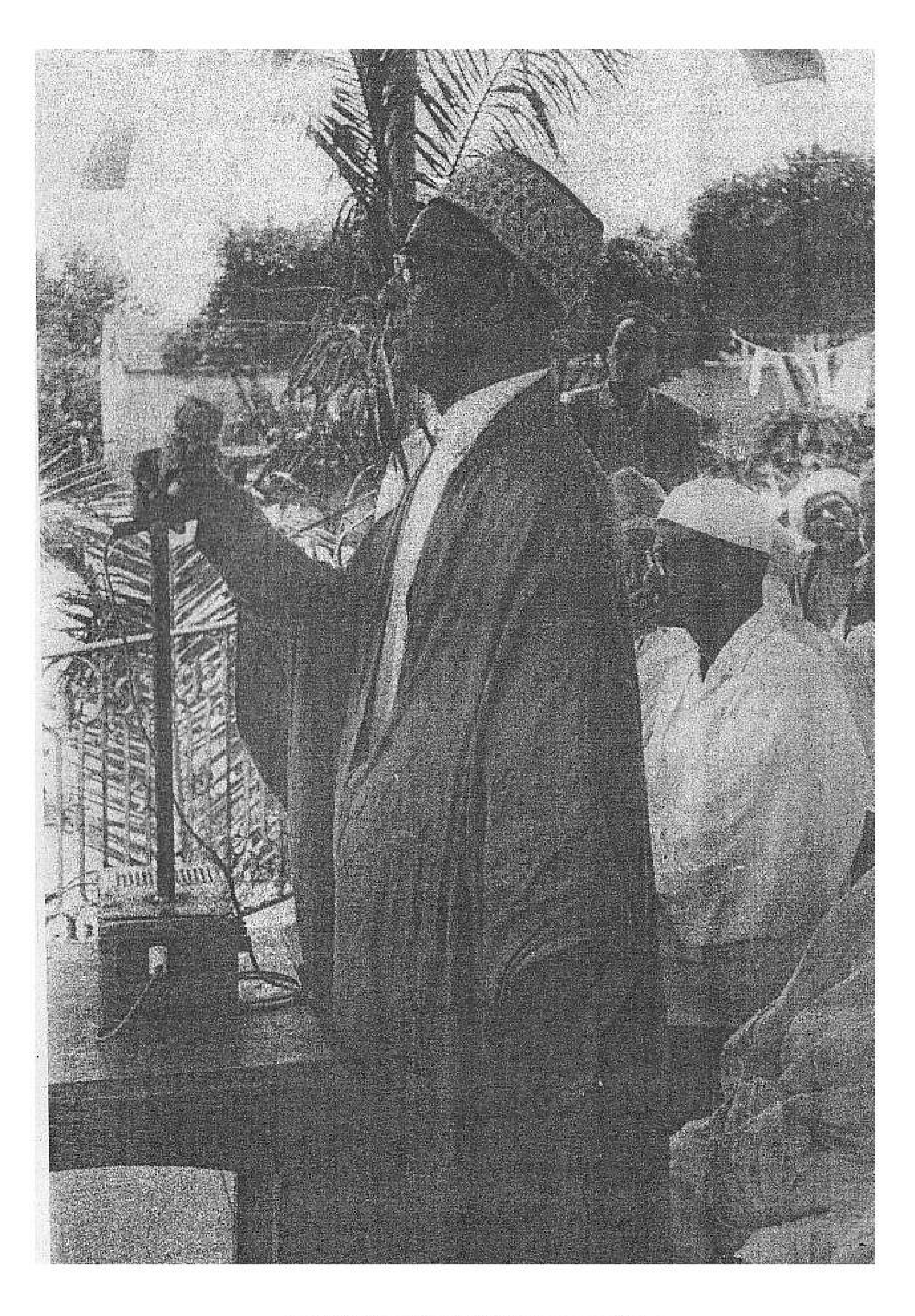
ثم خرجنا مودعين من طرفه سائلين له الشفاء والعافية ، وأعيننا دامعة ، وقلوبنا دامية . وأذكر انه لم ينم أحد منا فى تلك الليلة بل قضينا ليلتنا فى الكلام على الحادثة والتعليق عليها .

(نقلا عن مذكرات حياة) محمد الصالح بن عتيق

من هو الاستاذ ابن عتيق ؟

والاستاذ محمد الصالح بن عتيق ـ راوي الحادثة ـ من ألمع تلاميذ ابن باديس ومدرسته ، وهو من عائلة شهيرة بجبال الميلية الشامخة المخضرة ، نزح منها الى ميلة فحفظ القرآن وتلقى المبادىء الاولى على الشيخ محمد ابن معنصر الميلي ، وعلى الشيخ مبارك رحمهما الله ، ثم التحق بدروس الشيخ ابن باديس فكان أثيرا عنده يصحبه أحيانا ويعتمد عليه فى تنفيذ بعض مآربه، ثم انتقل الى تونس حيث أكمل دراسته العليا بتحصيله على شهادة (العالمية) وكانت تدعى (التطويع) عام 1932 م ، ثم انتصب بمدينة الميلية فأسس بها مدرسة وعمت بوجوده الحركة فى الجبال ، ثم نقله الأستاذ ابن باديس الى (قلعة بنى عباس) القريبة من (برج مجانة) موطن المعتدي،فانتعشت تلك الجهات كلها وطمست كثيرا من آثار الفساد الديني والاجتماعي،ووجد من أبناء القلعة جنودا صادقين وجعل منهم ـ حيثما كانوا ـ خير أعوان على النهضة الاسلامية العربية .

ولما فتحت أبواب فرنسا للعمال الجزائريين ـ بعد انتصار الواجهة الشعبية وبعد ان كانت مغلقة على مر السنين ، ولما اغترب آلاف منهم طلبا للمعاش تبين لابن باديس واخوانه من العلماء مقدار الخطر الذى يهددهم فى دينهم وقوميتهم ، فأرسل اليهم طائفة من خيرة طلابه وأعوانه فأسسوا مدارس ونوادى لهم فى باريس ، وليون ، وسانت ايتيان ، وليل ، وغيرها من أهم المدن الصناعية فى فرنسا ، وكان على رأس البعثة المرحوم الشيخ فضيل الورتلاني ، ومن أعضائها الشيخ صالح بن عتيق ، والشيخ سعيد صالحي ، والشيخ حمزة بوكوشة ، والشهيد الشيخ محمد الزاهي ، والشيخ الهادي



الشيخ محمد الصالح بن عتيق

السنوسي وغيرهم ، فازدهرت الحركة وأدت ثمـارها اليانعة ، ولكن عطلتها الحرب العالمية الثانية ، ثم استؤنفت بعدها بقيادة الشهيد الأستاذ الربيع بوشامـة ، والأستاذ سعيـد البيباني ـ بوتقجيرت ـ والاستاذ عبد الرحمن اليعلاوي رحمهم الله،وأدت خدمات جليلة للثورة داخـل الجزائر وخارجها ، وكان العقيد عمـر عميروش رحمه اللـه من رجالها اذ كان هو رئيس جامعة الشعب التابعة للجمعية ٠

رجع الشيخ ابن عتيق الى الوطن واستأنف نشاطه،وروى لنا ان الشيـخ ابن باديس كان ـ بعد اعلان الحرب ـ يتهيأ للثورة،وانه زاره سرا الى الميلية ، وسأله عن مدى استعداد الشعب لها هناك فأجابه : (ان رجالنا رجال بارود) فأمره بالاستعداد والكتمان ، ولكن عاجلته المنية بعد قليل ٠

وقبيل انتهاء الحرب العالمية الثانية استأنف نشاطه عام 1944 م فانتقل بأمر من الرئيس الشيخ البشير الابراهيمى الى مدينة تيارت،فأسس بها مدرسة كبرى وحركة ناشطة،وبقى فيها الى عـام 1950 م،فانتقل الى مدينة سكيكدة فافتتح فيها مدرسة كبرى وعمت حركته كل الشمال ٠

ولما تأسس أول فرع ثانوي لمعهد ابن باديس فى الوطن ، وذلك بالميلية (معهد خطاب) نقـل لإدارته وبقى يشرف عليه حتى عـام 1954 فانتقل الى (البليدة) وأشرف على الأعمال الإصلاحية والتعليمية هنالك ، وكان على اتصال دقيق بكبار رجال الثورة وجنودها وهم الذين كانوا يعمرون المساجد فى دروس الوعظ ، والنشاط أثناء تنفيذ الأعمال ، ومن هؤلاء الذين كانوا يتصلون بـه الثائر البطل والشهيد الكبير سويداني بوجمعة رحمه الله ،كما حدثنى،وكذلك كثير من الجنود والفدائيين،واستمر الأمر كذلك الى يناير 1956 م وأخـذ بعض الغلاة من الفرنسيين يدبرون لاغتياله ، ولكن السلط الفرنسية عاجلت باعتقاله وتوجيهه نحو (البرواقية) ٠ وكان ذلك اثر رحلة (ڤي مولي) الى الجزائر، وتغلب غلاة أعداء الجزائر على أمره وخضوعه لشروطهم ، فاعتقل كثير من العلماء ومن لهم كلمة مسموعة فى الاوساط الشعبية ، وكانت للشيخ رحلة طويلة فى المعتقلات ابتدأت فى البرواقية ومرت بآفلو ، واركو ، وبوسوي ، والدويرة وأخيرا سيد الشحمي أو الشامى بقرب مدينة وهران ، وممن صاحبوه وصادقوه فى بعض هذه المعتقلات الشهيد عيسات ايدير مؤسس اتحاد العمال

الجزائريين ومن العلماء المشائخ سعيد صالحي ، ومحمد الشبوكي صاحب نشيد (جزائرنا يا بلاد الجدد ، نهضنا نحطم عنك القيود) وعمر شكيري ، واحمد بن سحنون؛ومن المثقفين الثوريين الدكاترة : بوعياد ، وجناس ، وعروة وابن عربية،والاستاذان : زرطال وزعيبك ، وهؤلاء كلهم كانوا يؤدون واجبهم فى إلقاء الدروس والمواعظ والمحاضرات،ويحولون المعتقلات الى مدارس تهذيبية تثقيفية تحفظ فى المسجونين روحهم الاسلامية الوطنية،وتبث فيهم الثقافة الحقة ،وتدفع عنهم الروح الانهزامية الاستسلامية،وتقاوم تعاليم المستعمرين ومكائدهم لتحطيم روح المقاومة . وكانت هذه مهمة هؤلاء الوطنيين فى المعتقلات هى نفس المهمة التى قام بها اخوانهم فى السجون كالحراش،والبراوقية، وتازولت ، وقسنطينة ، ووهران ، وهم الذين كانوا يشرفون على تنظيم صفوف المسجونين وإضراباتهم ، وهذا ما يجعلها تنتقل بهم من معتقل الى آخر ، ومن سجن الى مثله ، وما زال الامر هكذا الى انبلج فجر الاستقلال وأشرقت شمسه ٠

واثناء هذه المدة فى المعتقلات ضعف بصر الشيخ ابن عتيق حتى آل الى فقده تماما ، وبعد الاستقلال أجريت له عملية القرنية فارتد بصيرا ، والحمد لله،فاستأنف نشاطه وتولى مناصب دينية وتعليمية ، وقام بمسؤوليات سياسية فى الحزب ذات أهمية ٠

وهو اليوم عضو بالمجلس الاسلامى الأعلى يوالي نشاطه فى القاء الدروس والمواعظ ، وخطب الجمعة ، ويعقد الرحلات الى أقصى الشرق والغرب والجنوب، فيؤدى مهمته على أحسن ما يرام وبفعالية ابن العشرين،مع انه ـ والسر بيننا ؟ ـ تجاوز السبعين ٠

ان الشيخ صالحا خير مثال لطلبة ومدرسة ابن باديس : ايمان قوي ، ودين صحيح ، وخلق متين ، وعلم غزير ، ووطنية صادقة ، وكفاءة نادرة، وعمل دائم مستمر مع تواضع جم ، وانكار للذات ، ووفاء للأصدقاء والإخوان، واخلاص فى العمل ، حفظه الله وأمد فى عمره ٠

الصحافة العربية وحادثة الاعتداء :

كانت ـ وما تزال ـ حوادث العدوان مثار اهتمام الرأي العام،فما بالك ان كان هذا فى رجل ينتسب الى الدين ويعتبر من أفذاذ علماء المسلمين ، ولعل

الله سبحانه قدر أن يكون ما سال من دم ابن باديس سببا فى رفعة شأنه وانتشار دعوته وانتصار حزبه ·

من جملة المهتمين بالحادث الصحف العربية ولم تكن كثيرة بالجزائر وكانت معدومة بالمغرب ، ولكنها كانت فى تونس أوفر وأكثر ·

وقد كتبت الشهاب فى عددها 78 الصادر فى رجب 1345 هـ ، الموافق 6 جانفى 1827 م ، تحت العنوان أعلاه ما نصه :

(قد اتحدت كلمة الصحافة العربية الجزائرية والتونسية على استنكار واستفظاع ما أتاه الجاني العليوي بإيعاز من رجال طريقته وعدوه جانيا على العلم والصحافة والحرية وكلهم لفتوا نظر الحكومة الجزائرية الى ما يجب عليها من تتبع أصول الجناية وإنزال صارم العقاب بكل متسبب فيها وتشديد المراقبة على هاته الطائفة التى تعتمد فى نشر مبادئها الباطلة على القتل وسفك الدماء ·

ونحن نشكر لهؤلاء الرصفاء الكرام قيامهم بواجبهم وإحساسهم نحو الأستاذ المعتدى عليه ، ونرجو ان تقوم الحكومة بواجبها مثل ما قامت الصحافة بواجبها· هذا، وسننشر فى اعداد آتية ملخص أقوال رصفائنا الكرام) اهـ·

وهذه الكلمة نشرت والاستاذ ما زال طريح الفراش لم يعد الى نشاطه، وفى آخرها ما لم يكن ليكتبه بقلمه ، وكيف يرجو من الحكومة ان تقوم بواجبها فى حفظ الأمن ـ وان عنى بها السلطة القضائية وشرطتها ـ والادارة الفرنسية هى الساهرة على بث الفزع والقلق والرعب والفتنة بين المسلمين ! ومع ذلك فيصح كتابة مثل هذا كما اجمعت عليه الصحافة إقامة للحجة عليها وتشريكا لها فى المسؤولية ·

كما ان متابعة نشر خلاصة عن أقوال الصحافة لم يقع الوفاء به،لأن فيه تنويها بالمعتدى عليه،واشهارا مجددا ، ولم ينشر الشهاب الا ما فيه نقاش علمي وثروة ثقافية أو أدبية ، أو ما فيه فائدة فى تسجيل الأحداث والأخبار فى الموضوع ·

حـول حادثـة الفتـك العلويـة :

نتابع فيما يلي ـ من الكتاب ـ ما كتب عن الحادثة ونشرته (الشهـاب) بالأصالة أو بالنقل ؛ ففي باب الأخبار كتبت (الشهاب) في عددها 78 الصادر في رجب 1345 هـ ـ جانفي 1927 م ، تحت العنوان أعلاه ما نصه :

وردت على الادارة كتب عديدة في السؤال عن صحة الأستاذ وسير النازلة أما سير النازلة فان الجاني اعترف بان السبحة والدبوس والموسى له ، وانه أحد العلويين وأنكر جميع ما نسب اليه ·

وقد أدى الأشخاص الأربعة الذين كانوا أول من قبض عليه في سقيفـة دار الأستاذ شهادتهم ، وكذلك جار الأستاذ الذى جاءه الجاني واثنان معـه يسألون عن محل سكنى الأستاذ ، ولما واجهه الأستاذ عرفه بشخصه،والبحث لا يـزال جاريـا ·

وأما صحة الأستاذ فقد تماثل للشفاء والحمد لله ، وأخبرنا انه سيفتح دروسه يوم السبت أو الأحد القابل ان شاء الله ، اهـ ·

ويستفاد من هذا انه رحمه الله لازم الفراش ما يقرب من أربعة أسابيع (14 ديسمبر ـ 9 جانفي) ونحن نعلم ـ بما نعرفه عنه ـ انه لا يكاد يصبر على فراق دروسه والاتصال بتلاميذه حرصا عليهم وعلى إفادتهم ، وهكذا نراه بمجرد أن تماثل للشفاء عزم على استئناف درسه ·

البلاغ الجزائري وحادثـة الاعتـداء :

لا شك أن القارىء مشوق الى معرفة موقف العليويين ـ الرسمي ـ مـن حادثة الاعتداء ، وخاصة بعد أن اتجهت أصابع الاتهام اليهم،بل والى شيخهم نفسه،وقامت دلائل تدعم هذا الاتهام ·

والجواب انهم يوم وقوع الاعتداء لم تكن لهم صحيفة رسمية ولكنهم كانوا بصدد الإعداد لها ، وقد أصدروا بعد بضعة أيام فقط جريدتهم الناطقـة باسمهم وعنوانها (البلاغ الجزائرى) ·

وفي العدد الأول لم تذكر شيئا عنها ، ولكنها في العدد الثاني ذكـرت أشياء ووقعت في تناقضات عجيبة،وتبرأت من الحادثة،وبرأت شيخهم،وروت

على لسانه أسفه وحزنه لما وقع ، ولكنها لم تذكر شيئا عن الجاني ، واستمر هذا موقفها منه حتى بعد صدور الحكم ضده وثبوت إدانته ، وهذا ما لاحظته عليها جريدة الشهاب من بعد وسجلته عليها ·

وقد نشرت الشهاب مقالا باسم (الادارة) تعرف بالبلاغ وتنتقد موقفها وتعجب من اضطرابها،وذلك فى عددها 80 الصادر فى 16 رجب 1345 هـ ، الموافق 20 جانفى 1927 م ، وهذا نصه :

« **البـــلاغ الجزائـــرى :**

حمل إلينا البريد بهذا الاسم الكبير العدد الأول والثاني معا من صحيفة ذات ورقة واحدة صدرت بالعاصمة بتاريخ 24 ديسمبر 1926 م ، قال عنها أصحابها انها جريدة علمية ، إرشادية ، دفاعية ·

وقالوا : انها تصدر يوم الجمعة من كل أسبوع ، قرأناها ففهمنا معنى علمية ارشادية ولم نستطع فهم معنى دفاعية لاول مرة ـ لذهاب الذهن فى ذلك مذاهب شتى غير أننا ـ بعد مطالعتنا للعدد الثاني منها ـ أدركنا الغرض الذى من أجله أسست هذه الجريدة وفهمنا جيدا معنى (دفاعية) ·

وأكد لنا ما فهمناه ـ وقد يفهمه كل الناس معنا ـ ان صدور هذه الورقة جاء بعد حادثة السطو على أستاذنا الباديسي بتسعة أيام فقط ! وهى لعمري عجلة يحمد عليها رجال هذه الجريدة ويشكـــرون،وما رجالها إلا العليويون (بالفعل) أو (بالنسبة الصحيحة) والجريدة بأفرادها ـ فى الحالين ـ وجموعها (تكسيرا وسلامة) عليوية لا غير ! !

تصدر الجريدة كما قالوا وتطبع بالمطبعة العليوية ببلـــدة مستغانم،ومما استلفت أنظارنا عند مطالعة العدد الأول منها وجعلنا نتعجب كثيرا من حسن الصدف اذ رأينا كلمات لكتابها فى مدحها وتزكيتها جاءت فى نفس هذا العدد من هؤلاء الكتاب الذين هم مختلفون مسكنا وبلادا ! فلم ندر اطلع القوم عليها فى عالم الغيب قبل بروزها فقرظوها بعد أن راقت لديهم،أم كانوا جميعـــا مع مصدري هذه الجريدة على ميعاد واتصال تام (كما هو شأنهم فى كل أمر هم عليه متفقون)،فكان العدد الأول منها كاملا حتى فيما يلزمه من تقريظ من

يشهد له من أهله ! وكم تكون هذه الشهادة نافعة وصالحة سيـــما اذا كان الشاهد والمشهود له ولدي بطن واحدة في يوم واحد !

اما نحن فلا بسعنا الا ان نتقدم بواجب التهانى والتبريك لكل من تهمه مثل هذه الجريدة الدفاعية، ونتمـــنى لها ان يتحقق معـــنى اسمها فيهـا ! ولاننا قشها فى شىء من برنامجها الذى ظاهر ألفاظه الرحمة وباطنها عند علام الغيـــوب ···

وبودنا أن تكون كل دفاعات (طريقة العليويين) من قبيل ما جـــاء فى جريدتهم لا تتجاوز حد المحاجة بالكلام والقول الى ازعاج من يتفاهم معهـــا (بالعصا والموسى !··) ·

نعم أهمنا ـ بادىء بدء ـ موقفنا مع هذه الرصيفة الجديدة أول هجـوم تقرر فى خارطتها ـ باسم الدفاع ـ فقد كتبت فى العدد الثانى منها تحـت عنوان (الشهاب ···) ما لا نقول فيه وعنه ، الا انه كلام مركب يشبه كلام المحامي الكبير (1) ··· وهو ان كانت عليه مسحـــة من أسرار الغوثانيـــة والقطبانية مقبول من هذه الجريدة ومعول عليه فى الجملة ·

قالت فى ابتداء هذا الفصل المعنون عليه بهذا العنوان : (كنا اعربنا فى عددنا الفارط عن استيائنا عما لحقنا من الاسف من أجل السطو الواقع على الشيخ عبد الحميد بن باديس وما كان بودنا ان يؤذى مثله » ·

ورغما عن دلالة هذه الجمل على المعنى المسوقة له وعما اخطرته ببالنا من قولهم (كاد المريب أن يقول خذوني) راجعنا العدد الاول كلمة كلمة وحرفا حرفا ، فلم نجد به لا تصريحا ولا تلويحا ولا رمزا ولا اشارة (ولو على مذهب الصوفية) شيئا مما قالته ودل عليه منطوق هذه الجمل ومفهومها ، فعلمنا أن هذا الفصل المضحك قد بدىء ـ قبل كل شىء ـ بالكذب الحبريت تضليـــلا للافكار واحتجاجا بخلاف الواقع ، وأن فى صدور مثل هذا فى جريدة كهذه فى أول هجوم أو دفاع من دفاعاتها لعجيب غريب ·

---

(1) يشير بهذا الى كلمة وردت فى مقال للأستاذ ابى يعلى الزواوي ينوه فيها بالشيخ العليوى ويزعم انه خير من يمكن ان يدافع عن الأمة مسموع الكلمة لدى الحكام ، ويمكن ان يقنع حتى رئيس الجمهورية !··

وقالت : (أما ما لحق الاستاذ العليوى من الاستياء ـ وتالله ـ لكان ابلغ ما ينبغى أن يلحق المؤمن على المؤمن ، وما كان قولنا هذا عن مداهنة أو نفاق) هنا تذكرنا قول المثل (صاحبنا يقرئك السلام) وشكرنا الرصيفة المؤمنة... على شهادتها لاستاذنا عبد الحميد بانه مؤمن ، وقرأنا قولــــه عــز وجــل : « ومن يَقتُل مؤمنا متعمِّداً فجزاؤه جهنم خالداً فيها وغضِبَ اللهُ عليه ولعَنَـه وأَعَدَّ له عذابا عظيما » .

وكما شكرنا شيخ هذه الجريدة على ما ابداه أو لحقه من الاستياء الذى تجلت لنا أهميته فى هذا التصريح النفيس ... أما بقية ما اشتمل عليه هذا الفصل المختوم بتوقيع (البلاغ) فكله هجوم على الشهاب ومحاولة لتبرئة طريقة هذه الجريدة وشيخها من تبعة الاعتداء على الاستاذ عبد الحميد بن باديس بجمل وكلم هى من جنس ما تقدم ، وحيثيات وتوجيهات واحتمالات ونظريات يقــدر ان يحتج بها كل مجرم فى تبرئة نفسه ، ولكن الحقيقة التى يتوجه اليها البحث (الحقيقى) غير ما يقوله المجرمون ، وقد كانت آخر حجة اختتمت بها الجريدة فصلها هذا كأول ما افتتحت به من الكذب الصريح (المكرر) حيث قالت :

(وقد كنا نبهناها (أى الشهاب) على انه لحقنا من الأسف من أجل هاته الواقعة بقدر ما لحقها وان أبت الا سلوكها فان لكل وجهة هو موليها) كذا قالت هذه الجريدة ولم تستح ولم تخجل من ذكرها غير الواقع مرتين ، ومن راجع عددها الاول لا يجد به أثرا لهذا التنبيه أو ما لحق المنبه من الاسف !

وكفى فى الحكم على هذه الورقة ـ أن يرى مبصر ويسمع واع ـ كيف ابتدأت واختتمت فصل دفاعها بالكذب المحض وغير الواقع فى كل ما قالوه وما اعتقدوه بازاء هذا العمل الذى اجترحوه ؟ والى الله تصير الأمور .

« الادارة »

صحيفــة الشــورى والاعتــداء :

من الصحف العربية التى اهتمت بالحادث ونشرت عنه الصحيفة العربية الكبرى (الشورى) .

وكانت جريدة العالم العربى بحق يصدرها الكاتب الكبــــير ، والصحفي الخطير الأستاذ (محمد علي الطاهر) الفلسطينى فى القاهرة،وقد امتاز بوطنيته

الملتهبة وقلمه السيال ، ولهجته الصريحة ، وأسلوبه الناري ، وقسوته على المستعمرين ، وعلى العملاء والخونة والمنافقين ٠

ولما بلغه نبأ الاعتداء الاثيم كتب عنه في جريدته ، ونقلت جريدة الشهاب ما كتب تحت عنوان (صدى الاعتداء) في عدد 87 الصادر في 6 رمضان 1345 هـ ـ الموافق 10 مارس 1927 م ، وهذا نص ما قالت الشهاب :

الجزائر ـ الاعتداء على رجل كبير :

تحت هذا العنوان نشرت رصيفتنا (الشورى) ما يلي :

(**اعتدى أحد الأشرار على الأستاذ العلامة الشيخ عبد الحميد بن باديس زعيم شبان الجزائر ونهضتها الأدبية ، وقد هجم الشقي الذى اتضح انه من أرباب الطرق المشعوذة على الأستاذ بنبوت كبير وضربه به عدة ضربات فتمكن الاستاذ من القبض على سلاحه والاستغاثة بالناس ثم سيق المجرم الى مركز الشرطة حيث بدىء التحقيق ٠**

فنحن نهنىء الأستاذ بالسلامة من شر هذا المجرم ، ونرجو ان تجعله العدالة عبرة لكل من تحدثه نفسه بارتكاب الاعتداء على الناس) ٠

مجلة الفتح والاعتداء :

كما نشرت عنه مجلة (الفتح) التى كانت تصدر بالقاهرة ويشرف عليها المفكر الكبير والكاتب العظيم الاستاذ محب الدين الخطيب ، وكانت حاملة لواء السلفية بالشرق مع اختها مجلة (المنار) لمجتهد العصر العلامة السيد محمد رشيد رضا وقد مهدت للخبر بكتابتها تقريظا لرسالة الاستاذ ابن باديس ونشرت كل ذلك مجلة الشهاب فى عدد 87 بتاريخ 6 رمضان 1345 هـ ـ الموافق 10 مارس 1927 م ، فقالت ما يأتي :

رسالة جواب سؤال عن سوء مقال :

تحت هذا العنوان نشرت رصيفنا مجلة الفتح وهى لسان العلماء الأزهريين ما يلي :

(جاءتنا من المغرب الأوسط (الجزائر) رسالة نافعة ـ ان شاء الله ـ ألفها العلامة السلفي الأستاذ الشيخ عبد الحميد بن باديس من كبار العلماء

المصلحين فى الديار المغربية ، أجاب فيها على سؤال قدم اليه من أحد الغيورين على صفاء الدين الاسلامي وجلال الدين المحمدي يستفتيه فى حكم أبيـــات عامية يتغنى بها بعض المنتسبين الى الطرق الصوفية زاعما فيها انه مغرم بحب النبيء صلى الله عليه وسلم ، وانه يطلب اليه عليه السلام الا يهجره والا فانه يحاكمه الى الله تعالى ، وهو معنى سخيف وهذر لا يليق بمقام النبوة ولا يتفق مع دعوى الحب المزعوم ٠

فكتب الاستاذ العلامة الشيخ عبد الحميد بن باديس جوابا على ذلك يتألف من مقدمة فى وجوب الأدب مع النبيء صلى الله عليه وسلم فى كل حـال ، وفصل أول فى بيان خروج صاحب الابيات العامية عن دائرة الادب المرعية ، وفصل ثان فى بيان حرمة مخاطبة النبيء صلى الله عليه وسلم بمثل ذلـك الخطاب ، وفصل ثالث فى ان هذا المقال لا يصدر من العارفين ، وفصل رابع فى بطلان ما اعتذر به صاحب الابيات وهو أن « ألسنة المحبين أعجميـة » وخاتمة تتضمن نصيحة نافعة ووصية جامعة ٠

وقد كتب كبار علماء المغرب تقاريظ لهذه الرسالة تؤيد ما أجاب بـه الاستاذ المؤلف الذى ما برح يجاهد فى مقاومة خرافات ألبسها الجاهلـون لباس الدين وليست منه حتى أوذي فى هذا السبيل على جلالة قدره ، واعتدى عليه فى الشهر الماضى بعض المنتسبين الى الطرق ممن عجزوا عن الحجـة فلجأوا الى وسائل الاجرام . هدى الله المسلمين الى فطرة دينهم الذى لا حياة لهم الا به ٠



سطو جديد بالسيد أحمد بوشمال

ـ اعتداء جديد على أصحاب الشهاب ـ

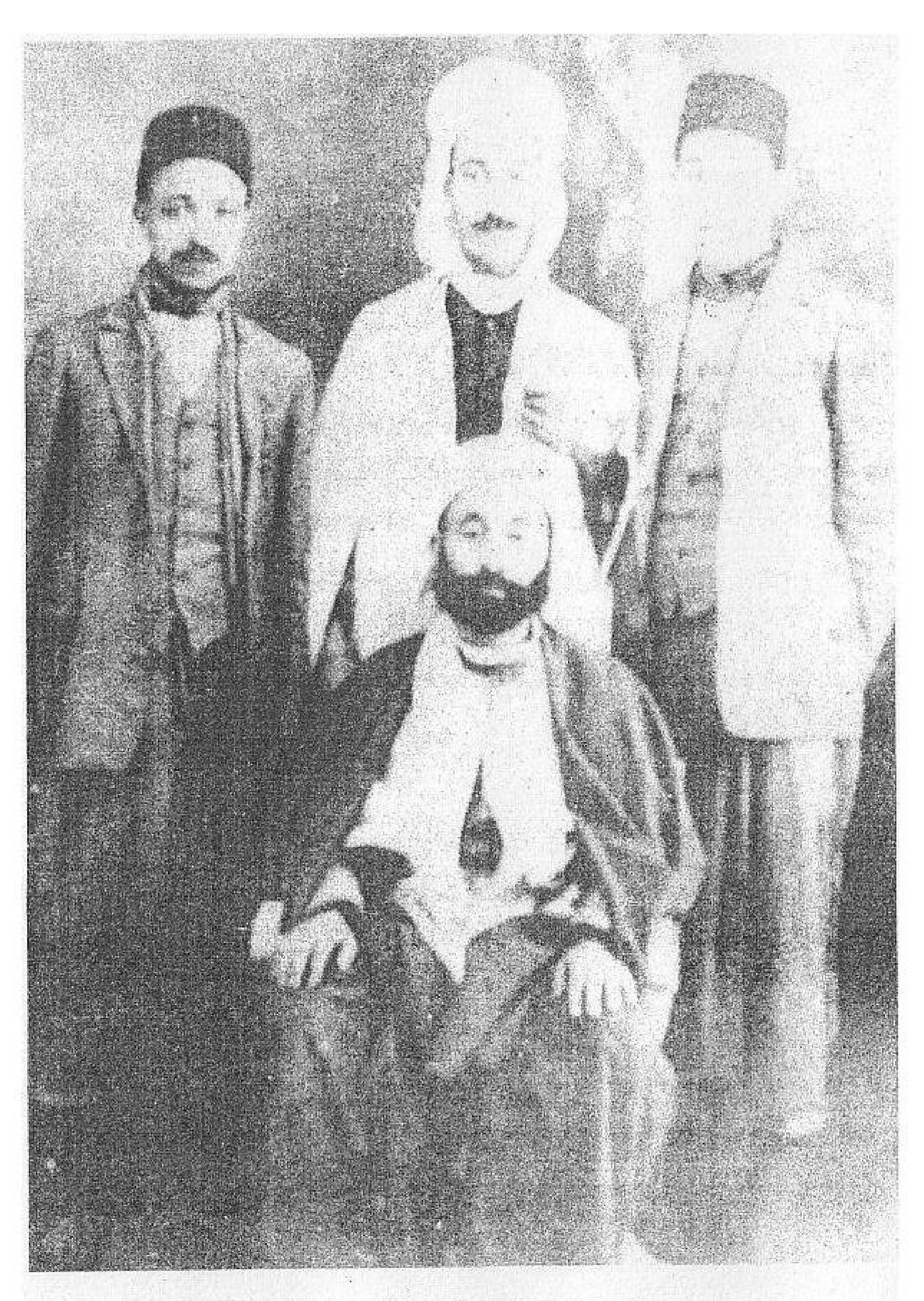
عجز عن القول فاضطر الى الضرب ـ شأن الاوباش

بعد العدوان على الامام عبد الحميد بن باديس باشهر وقع الاعتداء على السيد أحمد بن اسماعيل بوشمال مدير الشهاب وشريك ابن باديس في أعماله، وعضده الأيمن، وأمين سره منذ ابتداء حركته، وخصوصا حركة الصحافة والتعليم .

ولد السيد أحمد بن اسماعيل بوشمال بمدينة قسنطينة عام 1899 م ـ فهو اقل من الإمام ابن باديس بعشرة أعوام ـ ونشأ بها وحفظ القرآن في جامع سيدي ياسمين ـ بين سيدي جليس ورحبة الصوف ـ ولما شرع الأستاذ ابن باديس في القاء دروس العربية والدين كان من تلاميذه الأولين واشتغل ـ في صغره بصناعة الأحذية الأهلية ـ شأن أمثاله من ابناء البلد في تعلم صنعة ، ثم مارس التجارة ولازم دروس الأستاذ الامام .

ولما عزم الشيخ على إنشاء الصحافة الوطنية الصادقة واعداد مطبعة لضمان سيرها المنتظم قدم له بوشمال خدمة جليلة حيث تبرع أن يكون محله التجاري مكانا للمطبعة الاسلامية الجزائرية وهو الكائن اليوم بنهج عبد الحميد بن باديس بحي الاربعين شريفا وكان يدعى من قبل نهج (أليكسيس لامبير) .

وقد حدثني مدير المطبعة الاخ خليل (الزواوي) بن القشي عن السبب في تأسيس المطبعة والصحافة قال : كنت أعمل بمطبعة (النجاح) وبيني وبين اسماعيل مامي رئيس التحرير النجاح صلة قرابة ـ وأتقنت فن الطباعة، وكان الشيخ يكتب في (النجاح) فصولا تحت إمضاء مستعار، وقد يتحاشى



(أسرة المطبعة الجزائرية الاسلامية)

فى الأمام الامام الشيخ عبد الحميد بن باديس
وخلفه من اليمين الى اليسار السادة :
خليل (الزواوى) بلقشى ـ أحمد بوشمال ـ اسماعيل صحراوى .

الاعلان عن اسمه،ولكن انباء هذه المقالات كانت تصل الى الادارة الاستعمارية فتعرف أسرارها وأحيانا قبل ان تنشر ، فكان الشيخ يتألم ، وذات يوم قلت له : لماذا لا تنشيء لنفسك صحيفة تكون لسان حال حركتك،وتنشيء مطبعة لها ؟ اننى أعدك ان أترك عملي بمطبعة (النجـــاح) وأتعـــاون معك • قال : فأجابنى انه سيفكر فى الأمر ويتخذ قراره بعد الاستخارة ، ثم أعلن قبولـه واختيار الذين يعملون معه ومنهم تلميذه الكبير الشيخ مبارك الميلي رحمه الميلى وتأسست عصبة (المطبعة الاسلامية الجزائرية) أول أمرها من الســـادة : 1 ـ عبد الحميد بن باديس ، 2 ـ أحمد بوشمال ، 3 ـ اسماعيل صحراوي ، 4 ـ عبد الحفيظ صويلح (الجنان) ، 5 ـ خليل (الزواوي) بن القشى ، وهذا الأخير هو مديرها وهو الوحيد الباقي بالحياة ـ أمد الله فيها ـ ولظـــروف مالية قاهرة أنسحب من الجماعة الشيخ عبد الحفيظ الجنان بعد حين لوفاة والده المرحوم الشيخ صالح الجنان معلم القرآن فى سيدي فتح الله برحبة الصوف وهو أول من اعطى كتّابه وصغاره للشيخ لالقاء دروسه الدينية العربية ، وكان من تلاميذه الشيخ عبد الحفيظ نفسه • وكان يقوم بالعمل فى المطبعة السيد الصحراوي والسيد ابن القشى •

وقد اصدر الشيخ من بعد تأسيس الطباعة جريدته الأولى (المنتقــد) صدر منها 18 عددا ثم عطلت فاصدر اثرها جريدة (الشهاب) ثم تحولت مجلة وبقيت تصدر من عام 1925 حتى كان آخر عدد برز منها فى أوت 1939م وقد حجزته السلطة الفرنسية لأنه نشر مقالا للمرحوم المازني عنوانه (العرب ثمانون مليون ولكنهم لا يريدون أن يخيفوا أحدا) •

وكان هؤلاء النخبة من الشبان أطوع للشيخ عبد الحميد بن باديس من أبنائه وبنانه وعلى رأسهم الشهيد أحمد بوشمال ينوب عنه فى كل المشاكل التى تعرض له ويقدم نحره دون نحره ، وصدره دون صدره ، فلما أسس الجريدة كان هو المدير ، ولما أسس من بعد (جمعية التربية والتعليم) كان بوشمال رئيس قسم الشبان ، فلما توفى عبد الحميد بن باديس تولى رئاسة الجمعية،وبقى يتحمل هذه المسؤولية حتى أوقفت فرنسا نشاطها عام 1957 قبل استشهاده بسنة واحدة ، وكما كان محل ثقة ابن باديس فى حياته كان كذلك من بعده محل الثقة لخليفته الشيخ محمد البشير الابراهيمى واخوانه

الشيخ مبارك الميلي ، والشيخ العربي التبسى ، والشيخ محمد خير الدين ، وغيرهم ، عليه اعتمادهم فى كثير من شؤون الحركة ، والى رأيه مرجعهم فى الاستشارة وفى تأسيس الجمعيات والمدارس بسائر أنحاء القطر ، ولهـــذا انتخب عضوا فى المجلس الاداري لجمعية العلماء عام 1946 م ، وقام بتنظيم شؤونها المالية مع الشيخ خير الدين ، ثم مع الشيخ عبد اللطيف سلطاني ، وعندما أسس معهد عبد الحميد بن باديس عام 1947 م ، لعب الدور الأكبر فى تحقيق مشروعه ، ثم فى تأسيس دار الطلبة التى دشنت عام 1953 م ، وكانت ـ من بعد قيام الثورة ـ مقرا من مقرات قيادة أعمالها فى المدينـــة ، وقد تحمل مسؤولية المقتصد فى معهد ابن باديس ، وفى أيام الإضراب الذى أعلنته الجبهة فى أواخر يناير 1957 م ، بقى فى دار الطلبة مع التلاميذ للإشراف على (حياتهم) المادية والمعنوية الى نهايته ، وترك عائلته من النساء والعجائز ورضيع عمره بضعة أشهر هو وحيده ٠

كما انه سخر المطبعة لخدمة الثورة ، وقد سمعته يحمد الله ويشكره على ان أمد فى حياته حتى رأى مطبعة الشيخ ابن باديس تقوم بخدمة الثـــورة الجزائرية المسلمة وتحقق غرضا من أغراض الشيخ ، وبقى يمارس أعمالـه السرية فى خدمة الثورة وخصوصا مع الشهيد صالح بوذراع أحد أساتذة مدرسة التربية ، والشهيد مسعود بوجريو المتعاون معه فى مدرسة سيـدى مبروك ومسؤول الكشافة الاسلامية ، وكلاهما كان على رأس الحركة الفدائية بقسنطينة وضواحيها ٠ ثم اعتقل لأول مرة فى 17 من شهر أوت 1957 م ، فلم ينطق بحرف يفيد العدو ولا شهد عليه أحد بشىء فأطلق سراحه ، ثم اعتقل من جديد فى ربيع عام 1958 م ، وأطلق سراحه ،ثم اعتقل للمرة الأخيرة فى 13 سبتمبر 1958 م ، وكان ذلك آخر العهد به ، وقد بلغنا انه عذب عذابا أليما حتى بلغ به الأمر الى تمني الموت والى دفع الجلادين الى اغتياله ، كـان يحقرهم ويشتم دولتهم أمامهم ويستفزهم ويبصق عليهم مما يدفعهم الى قتله وهذا ما فعلوه ، فانه لم يظهر له اثر منذ اعتقاله ، وكان مصيره كمصير صديقه العلامة الشهيد الشيخ العربي التبسي الرئيس الثاني لجمعية العلماء ومديـر المعهد رحمه الله ، وكمصير الشيخ محمد العدوي المدرس بالمعهد ، وكمصير الشيخ أحمد حوحو الامين العام للمعهد ، كلهم اختطف ، وعذب ، وأعدم ،

وقد قدم المعهد أبطالا للشهادة منهم هؤلاء وكثير غيرهم ، كما قدم أبطـــالا للفداء وللجندية بلغوا مناصب عظمى فى القيادة وما زال بعضهم بالحيـــاة ، ولا نتبجح بعمل من مات أو بقى بالحياة ، ولكن نذكر هذا من باب ذكـــر النعمة التى أمر الله بالتحدث بها « **وأما بنعمةِ ربك فحدّثْ** » وأى نعمة أعظم من أن يؤدى الانسان واجباته فى خدمة دينه وأمته ووطنه ، ويدفع حياتــه ثمنا لذلك ، ثم يتحقق له ما اراده ٠

وهذا المقال عن هذا الاعتداء الجديد نشر بالشهاب 6 رمضان 1345 هـ ـ الموافق 10 مارس 1927 م ٠ فلم يمر سوى نحو 3 أشهر على الاعتداء الاول الذى كان هدفه صاحب الشهاب حتى عقبه الاعتداء الثانى على مديره ٠

وقد كتب المقـال تحت عنوان (عجز عن القول ٠٠٠) وهو بقلم الشهيد بوشمال نفسه :

قال رحمه الله : (**عجز عن القول فاضطر الى الضرب شأن الأوباش**) ٠

من الافاضل الذين اجتمعت بهم فى بلدة الجلفة الشيخ بن عبد السلام الباش آغة ، فكان منه اعتراض ، ومني دفاع عن خطتنا الدينية فى هدوء ٠ واذا برجل طويل القامة اسمر اللون ، اعتلى المشيب لحيته بوسام العلم (1) ونشان الافتخار جلس يبحلق (2) في بعينيه بدون سلام ! وولج فى الحديث معنا بدون نظام ، ففهمت من لهجته وابعاده شقة الخلاف بيننا ، وان المفاهمة مع الذى لا يرى الحق الا لجانبه ـ عنادا وتكبرا وخصوصا مع شاب ـ عسيرة النـــوال ٠

---

(1) كانت الادارة الاستعمارية سخية جدا بالأوسمة توزعها على عملائها وتعمر بشاراتها ـ صدورهم ، ومن سخريتها بهم أنها تعطى وسام الشرف لمـــن لا شرف له ، ووسام العلم لمن لا علم عنده !

ونيشان الافتخار يعطيه باي تونس لكل من زاره من الخارج بترشيح من وزير خارجيته ، وهو المقيم الفرنسى ، الذى بيده كل شيء فيها،وكثيرا من الموسمين يزهون على بني قومهم بهذه الاوسمة ، ويعلقونها على صدورهم ٠

(2) كلمة « يبحلق » كلمة قسنطينية معناها ينظر بأعين مفتوحة بدهشـــة وتثبت وفضول ٠

سألنى الباش آغة ما قولكم فى مسألة تجديد العهد (3) ! فقلت ــ تباعدا عن النزاع ــ ان وظيفتي ــ الآن ــ هى تجديد اشتراككم ، واعمدة الشهاب تتشرف بنشر سؤالكم ، وهى رحبة لردود الرادين ٠

ثم التفت للموصوف المزين الصدر بالاوسمة ورغبـــت منه تشريفنـــا باسمه (4) فاجابنى بعنف : لا اعطى اســـمى للمتعجرفين ٠ قلت : لمـــاذا متعجرفين ؟

فنطق واحد ــ دخيل أيضا ــ بأبيات معناها أن كل من أتى بفكرة جديدة فهو يدعى زنديق !

فأجبته : لا مذهبا جديدا نريد نشره ، ولا غاية للشبيبة الا اصلاح الامة ، وجمع كلمتها على الصالح العام وإنقاذ هذا النشء من براثن الجهل والجوع والأوســـاخ ٠

وأشرت الى ولد واقف امامنا يطلب قوتا ، ومثله كثير اذ لا مؤسسة خيرية بهاته البلدة ٠٠٠

ثم هممت بكتابة وصل السيد الباش آغة وفى ذمته أربعة شهور فقال : هاته الجريدة (انتاعكم) ياخذها ٠٠٠

فاجابه صاحب الدكان الذى نحن جالسون فيه :

امالا ٠٠٠ على ضلال ؟ ؟

قال : هذا هو مذهبكم ٠

ولم يبق لى الا ختم هذا المجلس بهاته الكلمة (5) :

---

(3) المسلم منذ ينطق بالشهادتين يأخذ على نفسه عهدا وميثاقا ألا يعبد إلا الله ولا يشرك به شيئا ، وأن يقيم أركان الاسلام ، ويتقي الله في السر والإعلان، ولكن مشائخ الطرق لا يكتفون بهذا حتى ياخذوا على كل (خوني) من إخوانهم عهد الطريق ، ولعل هذا المراد فى السؤال ٠

(4) حق له ان يسأله لانه تدخل فى الكلام وشارك فيه ٠

(5) يفهم من هذا أن الباش آغة امتنع من دفع ما عليه من دين للشهاب،ويعلن معارضته لخطته ليبرر شحه وأكله أموال الناس بالباطل ، وموقفه هذا هو الذى شجع رفيقه على الاعتداء بالضرب ٠

لا مذهب لنا جديدا ، وخلاف المذاهب رحمة للمسلمين فى الفروع ، ولم يجلب على الامة ما جلبه عليها الا هذا الافتراق الطرقى الذى نحن بصـــدد ازالته ، وولجنا لاجله هذا الطريق الصعب وقلنا الحق الذى أغضب كثيرا من النـــاس

أفلا يكون المسلم مسلما الا اذا جدد العهد وصار تابعا أو خادما لاحـــد الاشيـــاخ ؟

ايه ! انا نرى ونسمع ـ وقد رأينا وسمعنا ـ أعمال وأقوال الذين جددوا هذا العهد ٠٠٠ !

فما سمع هذا الكلام ـ المخلوق الذى ستعرفه حتى قام ووجه الى ضربتين لولا تباعدي منهما لوقعتا عليّ ، وأخذ يقول : لا تستحي ، تسب الأولياء وتقول هذا الكلام أمام الباش آغة (6) ، وشرع فى سرد ألفاظ السب والبذاءة فى ملإٍ من الناس مجتمعين أمام الدكان ٠

خلته فى تلك الساعة ـ مع هيئته ووساماته ـ مـن أخس الاوباش (7) الذين لم يعرفوا للتربية معنى ، ولا للآداب اسما ٠

وتعوذت بالله من الحمق والتكبر والطغيان والافتراء وتلطيخ اعـــراض الابرياء لتضليل البسطاء ليبقوا عبيدا أشقياء ٠

لم يكفه ذلك ، بل احب ان يغرى بى الحاضرين بقوله :

« لو أحببت لسلطت عليك عشرة من هؤلاء ليفتكوا بك » يعني دونكم ، فيه ـ ولكنهم كانوا أعقل منه ، فوقفوا بينى وبينه ، فانصرفت.وانا أقول : لا أحبِ ان أكون مجنونا مثلك فآسانى أحدهم بقوله : هذا هو صاحبكم الذى قلتم له : « حشلف ياحشلاف » ٠

---

(6) يقول هذا لارضاء سيده الباشاغة حتى ترضى عنه فرنسا !
(7) الأوباش جمع الوبش ، وهم سفلة الناس واخلاطهم ٠

عجبت من قوله وأخذتنى الريبة حيث كنت أظـــن ان هذا المخلـــوق صبايحى (8) قديم ، أو دائرة (9) متقاعد مغرور فاذا هو قاضى يحكم بـــين الناس ، ويصلح بين المتخاصمين ... ! ومؤلف أيضا ... !

ما الحامل له على هذا الجرم ؟ لقد ألقى بنفسه فى صف الجناة الأوباش !

قال صاحبي : لا غرابة ، وقص علي من حديث (القلاقليـــة) ما ازال عجبي واستسمح قرائي فى عدم ذكره .

وقد بلغني ان السيد الباش آغة انبه على فعلته المخالفة للآداب وازرائه بوظيفتـه (10) .

احمـــد بوشمـــال

اثـــر الحادثـــة وسببـــه :

تركت هذه الحادثة اثرا اليما في احساس الشيخ عبد الحميد لما اصاب مدير مجلته ولكون المعتدى يحتل منصبا دينيا خطيرا فى مجتمع المسلمـــين ولهذا علق عليها بقوله :

(الشهاب) يسؤنا — والله — ان يكون فى هيئة القضاء المحترمة مـــن تنحط تربيته الى هذا المقدار ، وان كنا نعلم شذوذ هذا الرجل فيها بهـــذه

---

(8) كان فى الجيش الفرنسي فرقة (الصبايحية) أو (السباييس) يمتازون بضخامة الاجسام ، ويركبون الخيول — فهم فرقة من الخيالة . ولا شك ان اسمهم من غارات الصباح ، لانهم يصبحون العدو . هذه الفرقة تتكون من المتطوعين فى الجيش الفرنسى ويكثر هذا النوع فى ناحية الجلفة وفى ناحيـة عين البيضاء وفى الجريد التونسى لان القوم فى هذه الجهات كلها فرسان .

(9) دائرة يطلق على اعوان الحكام فى البلديات الممتزجة ينفذون تعليمات المتصرف وأصل الكلمة أن قبيلتين من قبائل وهران كانوا تعاونوا مع الفرنسيين وتجندوا لخدمتهم وهما الزمالة والدوائر . وكانت لهم سمعة سيئة جدا ، وفى الامثال العامية : (صاحب الكلب وما تصاحب الدايرة . وخذ بنت عمك ولو كان حايرة) .

(10) لابد من مثل هذه الكلمة لفصل الباشاغا عن مسؤولية الاعتداء ، حتى لا ينضم الى المعتدي ويقف الى جانبه ويقدم تقريره « الرسمي » فتسوء العاقبة أكثـــر .

الاخلاق ، وما كنا لنشرفه بالمقالة والملامة كالاحرار ، وهو من أهل الضرب والعصا ··· لولا انه رجل دفعته غيرته المرابطية ·· . وهمته الطرقية فدخل ميدان الكتابة والتأليف أيضا ··· فتمسك به أولئك الغرقى الذين يتمسكون حتى بخيوط الخيال ، وتبجحت به تلك الفئة التى ترى فخرها وانتصارهـا في كل كويتب ونويظم يضرب على نظمتها ويكثر سوادها ، فرفعت أصواتها منوهة به وبكتاباته الخرافية التى وجدت فيها الضالة التى كانت تنشدها ، حتى رجا صاحب الضالة (هداه الله) ان تحى طريقـــة الجنيد السالـــك بخرافات حشلاف ···

فوجب علينا بعد هذا كله ان نذكر هذه الواقعة ليعلم من ينظر الامـور بعقل وانصاف مقدار من تنتصر به تلك الفئة ومقدار تحري كاتبها فى مقالاته وان القوم يلتجؤون لأيديهم عندما تقطع السنتهم من جانبهم العليـــوي الى قاضيهم حشلاف ·

الى الأمــــام :

كل هذه الآلام ، والمحن الجسام ، لم تثن عزم ابن باديس وصحبه الكرام ولم تزدهم الا اندفاعا الى الأمام ·

فبعد أشهر قليلة كملت لهم السنة الثانية فى ميدان إعلان الدعـــوة بالصحافة الوطنية ، ودخلوا فى السنة الثالثة بالعدد الـ : 100 من الشهاب ، وفى صدره بشرى بالعيد السعيد ـ عيد النحر ـ وتقديم « خالص التهنئـة والتبريك لأبناء الاسلام عموما ولقرائه وأنصاره وحزب الاصلاح الدينى فى شمال افريقيا خصوصا ··· داعيا الله تعالى أن يعيده على الجميع بالهنـــاء والسعادة والمجد والسيادة » هذا ما جاء فى التهنئة ·

وقد جعل افتتاحيته فى الحديث عن ختام السنة الثانية من عمر الشهاب واستقبال السنة الثالثة منوها بالماضى وما كان من أحداثه ، متطلعا نحـــو المستقبل فى ثقة وثبات · وهذا نص ما قال :

« الشهـاب » بعـد عامـين

الى الخطــوة الثالثـــة !

مضت على الشهاب سنته الثانية ، وكانت سنة ابتلى فيها أصحابه وزلزلوا زلزالا شديدا ·

أصيبوا فى أبدانهم ، وفى أموالهم ، وفى أعراضهم · فما ضعفوا وما استكانوا وصبروا صبرا جميلا ·

تنمر لهم قوم لدعوتهم السياسية ـ وما هى الا وجوب تسوية الجزائريين بسائر « أبناء » فرنسا فى الحقوق كما سووا بهم فى الواجبات ـ فرموهم بالفكرة الشرقية بالتعصب للجامعة الاسلامية ، وبالعلاقات الاجنبية ـ رميا ليس معه ما يشبه البرهان ، ولقد كادوا ان ينالوهم بسوء لولا سعي صادق تؤيده الحجة ويحوطه الاخلاص من جهة « الشهاب » وعقول كبيرة تهديها الحكمة ويقودها الانصاف من جهة من بأيديهم أزمة الامور هنا وهنالك ·

وتنكر لهم قوم لدعوتهم الدينية ، وما هى الا لزوم الرجوع الى الكتاب والسنة بالاهتداء بهما فى جميع الاعمال ، والتحاكم اليهما عند كل نزاع ـ فرموهم بالافك ، وحاولوا ـ لو استطاعوا ـ بهم الفتك ، وخرجوا معهم عن دائرة العلم التى تضيق عن غير أهله الى دائرة أخرى تسع كل قوال ···

ولو كانوا فى جموعهم الكثيفة ، وأموالهم الكثيرة ومنزلتهم عند العامة منذ قرون ـ على شيء من الحق لقضوا على هاته الجماعة فى أمد قريب ـ لكن الله ـ وله الحمد ـ يحق الحق ويبطل الباطل ، ويدافع عن الذين ، آمنوا وينصر من نصره ، ان الله قوى عزيز · فذهب افك الافاكين هراء فى الهواء ، وآب جميع الفتاكين بالخيبة والعناء ، وثبت الشهاب نجما ساطعا يزيد قراؤه ومشتركوه ولا ينقصون ·

صحيفة أسستها فئة قليلة ، بمالية ضئيلة لتخدم مبدأين عظيمين وتثبت أمام القوة والمال والكثرة ، فقضت عامين من حياتها ، ماضية على خطتها ، غير خاضعة ولا متملقة ولا مستعينة بزيارات ولا هدايا ··· ولا اكتتاب ، ولا إعانات ··. هذه ـ والكلمة (بشهادة الله) للحقيقة والتاريخ ـ هى صحيفة (الشهاب) ·

واذا كان لذلك من سبب فهو صدق الدعوة واحقيتها والاخلاص فيها والثقة بالله ، ثم بأهل الفطر السليمة ، والافكار المستنيرة فى تأييدها · واذا كان لذلك من فضل فهو لكتاب هذه الصحيفة بتونس والجزائر ، والمغرب الاقصى ، والازهر الشريف ، ولانصارها بهاته الاقطار ·

واليوم ـ ان شاء الله تعالى بتلك الدعوة الحقة الصادقة ، وبذلك الاخلاص التام ، وبتلك الثقة الكاملة ، يدخل الشهاب سنته الثالثة ، راجيا للامـــة الجزائرية كلها فى وجهتها السياسية ان تنال جميع حقوقها حتى تكون عضوا حيا عاملا فى الجسد الفرنسوى العظيم ، وفى وجهتها الدينية ان تفقه دينها بفقه الكتاب والسنة ، وان تهتدى بهما اهتداء سلف الامة لا غلو ولا تقصير ، وان تسلك الى ذلك طريق التفاهم بأدب وتعقل ، والتناصح بحب وشفقـــة واخــــلاص » ·

الادارة

حركاتنـــا ذاتيـــة :

كذلك كانت اتهامات أعداء النهضة القومية آنذاك ســـواء من الجانـب الاستعماري وعملائه وسدنته ، أو من الجانب الخـــرافي المستغل للغفلـة والجمود · فكل من يتحرك يتهم بان حركته ليست ذاتية وانما هو (عميل) للجامعة الاسلامية ، أو الدول الشرقية ـ وكانت الوهابية هى التي خرجت منتصرة فى العشرينات ، فلما هاجمت الصحف المغربية الفرنسية اللســـان (الشهاب) و (البرق) زعمت انهما تعملان بايعاز من (السعودية) ثـم تحولت النهضة من الشرق الاسلامي الى الشرق الاوروبى ، فكان من التهـم العمل للشيوعية ·

واتضح لكل الناس ان (تحرك) الجزائريين (ذاتى) وانهـــم كسائـر الشعوب يعملون للنهوض والتخلص من العبودية الاستعمارية ، الا بالنسبة للفرنسيين فانهم ـ حتى آخر لحظات حرب التحرير ـ كانوا يتهمون المحاربين بـ : (العمالة) لغيرهم ·

لقد أشار الشهـاب الى مـا أصـاب جماعته في أبدانهـم ، وأموالهـــم وأعراضهم ، فاما فى أبدانهم فقد سالت دماؤهم ـ بالفعل ـ وكاد يقضى على زعيمهم · وروعوا ترويعا يكفى ان يصد غيرهم عن متابعة الطريق · وأصيبوا فى أموالهم بالنفقات الباهضة ـ لمثل من كان فى وضعيتهم ـ على مشاريعهم، وكانت المداخيل لا تغطى النفقات ، وليس لهم موارد أخرى · وحتى بعـــد انتصار الفكرة ونجاحها فى الثلاثينات كان الشيخ عبد الحميد يتناول مرتبا

أسبوعيا من المطبعة والشهاب ـ مائة فرنك فقط ـ وحتى بعد موته رحمه الله بقى هذا المرتب يخرج من الميزانية ويدفع كصدقة عنه ، هذه حقيقة ربما تذكر لأول مرة ٠

وأما ما أصابهم فى اعراضهم فقد كانت جرائد خصومهم مليئة بسوء القول وقذف المحصنات الغافلات المؤمنات ، واشاعة الفاحشة فى الذين آمنوا ، كانت البلاغ الجزائرى ثم المعيار وغيرهما تتولى كبر ذلك وترو جه ٠

و (الشهاب) ـ وكتابها ـ تتصامم عنه ولا تبيح ان تنشر مثله ٠ فلما بلغ السيل الزبى أسس بعض كتاب الاصلاح جريدة (سفيهة) مثل جريدة (المعيار) فكالوا لها بصاعها وخاطبوها بلهجتها ، وجروا معها فى ميدانها فظفروا بها وانتصروا عليها ، واحرقت (الجحيم) المعيار وأصحابه « **ولمن انتصر بعد ظلمه فاولئك ما عليهم من سبيل** » ٠

ومن عجيب الامر أن ما روجته (المعيار) و (البلاغ) واصحابهما فى الوسط وراج فى ألسنة السفهاء ، حتى وقع فيه بعض ذوى الغفلات ، ورمزوا اليه فى (المؤلفات) ٠٠٠ وآذوا به الأحياء والأموات ، ولو التفتوا حولهم لكان فى (وضعيتهم) عبرة رادعة لهم عن مثله ، ولو اتقوا الله وتأدبوا بآداب الاسلام الحقة لكان لهم غنى عن الاشارة اليه ولو رمزا ، حفظا لكرامة صديق عزيز يدعون الوفاء له ، قال تعالى يؤدب المؤمنين ويعلمهم :

« **لولاَ إذ سَمِعتمُوه ظَنَّ المؤمنوُن والمؤمناتُ بأنفُسهم خيراً وقالوُا هَذا إفكٌ مبينٌ لولا جاءوُا عليه بأَربعةِ شُهَداءَ فإذْ لمْ يأتوا بالشهداءِ فاولئِكَ عندَ الله هم الكاذبون** »

ونحب أن نلفت نظر النبهاء ان المقال صدر فى ظروف عسيرة كشف عن بعضها، وقد ورد فيه تعبيرات تقتضيها تلك الظروف الحرجة ، وهى تدفع شرا وتلقم الدساسين حجرا ، ولا تلحق بالمبدإ ضرا ٠

منها قول الشهاب (تسوية الجزائريين بسائر أبناء فرنسا) ٠ فليس فى ذلك اعتراف بان الجزائريين من (أبناء) فرنسا بدليل أنهم غير (أبناء) فرنسا ولكن ولما كلفوا بالقيام بجميع الواجبات فانهم استحقوا جميع الحقوق ، وهذا

منطق قانوني لا يدفع ، ودفعه من خصومهم يكذب (دعوى) هي قائمة منهم باصرار ، ويثير حفيظة (المظلومين) ، ويهيجهم ، ويبعثهم على الحركة والمقاومة. وفي مقال آخر وضح الشهاب غرضه بأبين من هذا منشدا عليه قول الشاعر العربي القديم يعلن رفضه للضيم :

واذا تكـون كريهـة أدعى لهـا واذا يحاس الحيس يدعى جندب

فالنتيجة التي كان ابن باديس يسعى اليها ـ بمثل هذا ـ هي ان يثـور الشعب على هذا الوضع الفاسد لدفع الضيم ويعلن بلسان حاله وفعله ومقاله ما أعلنه نفس هذا الشاعر في قصيدته تلك :

هذا ـ وجدكم ـ الصغار بعينـه لا أم لي ان كـان ذاك ولا أب

وهذا ما كان بالفعل ابتداء من عام 1945 م ، غداة انتهاء الحرب العالميـة الثانية ، واستمر حتى عام 1962 م ، فقضى الأمر،وتم النصر،والحمد لله ·

وكذلك القول في عبارة (لتكون عضوا حيا في الجسد الفرنسي !) فما كان الشهاب وأصحابه يسلمون بأن الجزائر عضو في هذا الجسد ، وقد أعلن لما حان الوقت بان (الجزائر ليست فرنسا ، ولا تريد أن تكون فرنسا،ولا تستطيع أن تصير فرنسا ولو أرادت) · وليس هذا قول صحفي فقط في مقال ، ولكن هذا ما أكده ابن باديس أمام لجنة رسمية برلمانية جاءت للبحث والتقصي عن الحالة في الجزائر، فأبرز أحد اعضائها عددا من مجلة الشهاب وسأل ابن باديس بما فحواه ـ وهو يريد توريطه ، وإقامة الدليل على انفصاليته ·

هل تقولون وتعتقدون أنه يوجد في الجزائر شعبـان اثنان مختلفـان جزائـري وفرنسي ؟

فأجاب نعم ، هو الواقع ، هذا مبدأ جريدتي · وقد أيده في قوله هذا بقية أعضاء العلماء في حضرة الوفد ·

وكان الغرض من السؤال إثبات تهمة (الانفصالية) المتهم بها ! فهـذه الكلمات الموهمة التي وردت في هذه الافتتاحية جاءت في مقال كتب عام 1927م في ظروف أعرب عنها المقال نفسه ، فلابد منها لإحباط مكائد من اشار اليهم وأشتكى من دسائسهم ؟

ما مع مثلك يتكلم يا جـودى ...!

لم يكتف حشلاف باستعمال يده ولسانه فى الاعتداء على السيد أحمـــد بوشمال مدير الشهاب ، ولكن رفع قلمه وراسل جريدة النجاح لسان حال القياد والباشغوات والقضاة ! يزيف الحقائق ، ويتمادى فى الشتم ، فكتبت ادارة الشهاب كلمة فى عددها 88 الصادر يوم الخميس 14 رمضان 1345 هـ، الموافق 17 مارس 1927 م ، تحت العنوان أعلاه تقول :

(نشر الشهاب (الحادثة الحشلافية) كما وقعت بالصدق والصراحة المعروفين فيه فنشر (النجاح) مقالا من الجزائر تحت عنوان (تزييف دعوى) بامضاء هذا المذكور . خرج فيها من التزييف الى السب والقذع والافتراء مما تتنزه الأقلام عن رقمه ، والصحف الراقية عن نشره . تاخر العدد الماضى من الشهاب فما وصل الجزائر الا عشية الجمعة ، وقد علمنا بوجود المقال فى إدارة جريدته يوم السبت فهل أتى فى طيارة خاصة،أم هيء مـن قبـــل،أم خلـق بنهـج القصبـة (1) ؟

(1) القصبة مكان بقسنطينة فيه كانت مطبعة وإدارة (النجاح) واذا كانت مجلة الشهاب ـ التى بها ذكر خبر الحادثة ـ وصلت الى الجزائر مساء يـــوم الجمعة فلا يمكن ان يصل الرد عليه الى قسنطينة ـ بعد قرائته فى الجزائر ـ يوم السبت الا اذا حمل فى طائرة خاصة ، وكان البريد لا يحمل فى الطائرة لقلة استعمالها . فلابد اذا ـ ـ اذا ـ صحت نسبته الى كاتبه الحشلافى ان يكون هيء من قبل ، أو يكون قد هيء بجريدة النجاح نفسها فى نهج القصبة بقسنطينة . وهو أقرب ، وكان مامي اسماعيل ومحرروه مستعدين للكتابة ضد أنفسهم اذا قبضوا الثمن ، وبهذا صارحني اسماعيل ذات يوم لما لمته على نشر مقال ضدي وليس بيني وبينه سوء فقال : « عفا الله عنه » الفلـوس ! هات مائة فرنك وأكتب الرد علي وفى هجوي ما شئت أنشره لك ! قلت أتفعل هذا ؟ قال : أي والله !

اما ما لا شك فيه فهو دخول أصبع الادارة بالتحليل والتتميم الــذى لا يخفى على من يفرق بين أساليب الكتابة ولهجات الكلام ، فهنيئا بهذا الكاتب البذىء الجديد فلتوسع أعمدتها لسبه وقذعه وما وعد او توعد بنشره عن زعماء حزب الاصلاح الدينى ورجاله (جماعة الملاحدة أعداء الملة والدين وخصوم أولياء الله الصالحين) (2) كما يقول المذكرون ·

ولتتحمل باكتافها العريضة مسؤولية ذلك أمام الشرع والقانون والادب العام كما تحملت مسؤولية ما زفر به كاتب من كتابها فى شأن تونس الخضراء مستهزئا فقال :

خدعوها بقولهم حسنــاء ـ وهى خلو من الجمال بلراء (3)

هذا ومديرها (4) حسنة من حسنات تونس وعلمائها ، وجنابه لا ينكر ذاك · وما عندنا شيء من بضاعة القذف والسفه فنكيل منها لهذا المذكـور

---

(2) هذا ما كان يتهم به الخرافيون حزب الاصلاح · فاذا انكروا ان (الاولياء) يتصرفون فى الكون وينفعون ويضرون ، ويعطون ويمنعون قيل لهم : انكــم تنكرون الاولياء وينشدون عليهم قول الجوهرة :

وأثبتــن للأوليـــا الكرامـــة ومـن نفاهـا فانبـذن كلامـه !

(3) صدر البيت لشوقي رحمه الله يقول :

خـدعوها بقولهـــم حسنـــــاء والغـــواني يغــرهن الثنـــاء

ويقول بعده :

أتــراهــا تنــاسـت اسـمي لمــا كثــرت فى غـرامهـا الأسمـاء

وأما الكاتب المستهزىء بتونس فاظنه الكاتب الشاعر القسنطينى محمد الصالح خبشاش وكان محررا بإدارة النجاح ومترجما لها الأخبار وأديبا كاتبا شاعرا ، ولكنه ابتلى بالكحول فاضطر الى ان يسخر قلمه فيما لا يؤمن بـه ، ولم يكفه النجاح حتى نشر مقالات فى جريدة (النهضة) بتونس ، وكان لها مشرب النجاح، وقد كتب عنها ذات يوم كاتب جزائرى ـ عبابسة فى صحيفته مقالا تحت عنوان : مسيلمـــة وسجـــاح أو النهضــة والنجـاح

(4) ومدير النجاح هو الشيخ عبد الحفيظ بن الهاشمي من مشائخ زاويـة طولقة وهو عالم متخرج من الزيتونة تولى الافتاء ، وكان يجالس الشيـــخ عبد الحميد بن باديس ولا يؤمن بالخرافات ولكنه كان ـ فى النجاح ـ مغلوبا على أمره لان الادارة الفرنسية سخرته ووجدت فى اسماعيل مامي طلبتها ·

وأمثاله بصاعهم فاننا ـ علم الله ـ فقراء من هذه المزية ·· أو الرزية ·· من حيث كانوا منها أغنياء فلتخب ادارتهم وكتابها واذنابها ومن دارت بهم ·· وداروا بها ·· فى هذا الميدان ـ ان شاءت ـ وتضع ، فليس عندنا لمن هانت عليه نفسه واستطابت هذا المرتع الا قولة الشاعر لاخى ابى مسمع ···

ادارة الشهاب ـ بلسان حزب الاصلاح الدينى



تكرر الاعتداء على أصحاب الشهاب
وسوء سلوك أصحاب (النجاح) و (البلاغ الجزائرى)

هذا أبو يعلى الزواوى ينحي بالملائمة على جريدتين هجيراهما آنذاك الجهر بالسوء من القول ، ومحاربة حركة النهضة القومية ، والاصلاح الديني بالجزائر، وفى التعريف بهما نقول :

أما جريدة (النجاح) فانها من أوائل الجرائد العربية بروزا إثر الحرب العالمية الاولى · أسست عام 1337 هـ (1919 م) بمدينة قسنطينة ،وكانت أول أمرها مشروعا وطنيا يشمل مطبعة عربية ، ومكتبة وجريدة عربيتين · والمؤسس هو السيد عبد الحفيظ بن الهاشمى من آل زاوية (سيدي علي ابن عمر) بطولقة ، الرحمانية وقد ولد عام 1310 هـ ، وبعد حفظه القرآن هاجر الى تونس ثم رجع بشهادة التطويع (العالمية) · ولما أسس جريدته أسند رئاسة تحريرها الى السيد إسماعيل مامي ـ ويعرف أيضا بابن عبدي ـ من عائلة شهيرة بمدينة قسنطينة . وكانت النجاح أول أمرها مؤسسة وطنية استبشر بها العلماء والأدباء والمفكرون وشاركوا فى تحريرها وعلى رأسهم الشيخ عبد الحميد بن باديس ، كان يكتب فيها باسمه الصريح أو بامضاء مستعار « العبسي» اقتباسا من اسمه ولقبه ، أو انتحالا للقب عنترة الذى كان من الشعراء الاثيرين عنده ، وقد أقرأنا معلقته وختمها لنا شرحا وتحليلا عام 1933 ـ 1934·، وكتب فى (النجاح) أيضا الشيخ العربي التبسي،والاديب محمد النجار الحركاتى، والشيخ أبو يعلى الزواوي وغيرهم،وازدهرت حركتها حتى أصبحت أول يومية عربية جزائرية · ولكن الادارة الفرنسية لا تستطيع أن تبقي مثل هذا المشروع مستقلا ، وما كان لأصحابه من قوة الإيمان والصبر

والاحتمال ما يقدرون به على الثبات والتضحية فسقطوا فى حبائلها وقبلوا ان يتعاونوا معها وأن ينالوا حظهم من «الصندوق الأسود»فيمقابلة مقاومةالحركة الوطنية ، ومهاجمتها ، ومن ذلك أن الشيخ ابن باديس الذى كان يأتمنهم على سره فى مقالاته أصبح معلوما عند الادارة الاستعمارية،معروفة ميوله ومقاصده، وهذا من أسباب استقلاله عنهم وتأسيسه المطبعة الاسلامية ، وانفصال السيد ابن القشي عن النجاح وانضمامه الى مشروع ابن باديس كمدير للمطبعة ٠

وهكذا تنكرت (النجاح) للشعب فتنكر لها،فسقطت قيمتها ، وعجزت على الاستمرار فى (يوميتها)،وأصبحت تصدر ثلاث مرات فى الاسبوع ، وبقيت كذلك الى اختفائها نهائيا عام 1957 م ، وكانت تعيش على ما تقبضه من إعانة (الصندوق الأسود) واشتراكات (القياد) والبشغاوات،والقضاة ، والائمة الرسميين ، ورؤساء الزوايا، والطرقيين،داخل الوطـــن وخارجه ، واندفعت أشواطا بعيدة فى نهجها الجديد حتى قالت عن المصلحين وكتّاب الشهاب انهم (الملاحدة أعداء الملة والدين وخصوم أولياء الله الصالحين) (1) وما فتئت تشتم الأقوام وتسب الأفراد وتتهكم عليهم وتزدرى بهم ٠٠٠ (2) ولم تقف عند هذا الحد بل تجاوزته الى التفرقة بين أمتين شقيقتين تونس والجـزائـر (3) ٠

ولم تكن نصرتها للزوايا والخرافات والمشائخ إيمانا بهم ، واحتراما لهم، ولكنها قاومت بذلك بوادر النهضة الوطنية ، والاصلاح الديني إرضاء للإدارة الاستعمارية وخضوعا للتعليمات (العليا) ٠ وبلغت فى تورطها الى حد الاسفاف وسدرت فى غوايتها الى النهاية ٠ ولم يمنعها من ذلك خلق الحياء ، ولا الروابط التى كانت لبعض أصحابها مع المصلحين ، فقد كانت زوجة اسماعيل مامي باديسية وهو نفسه كان تلميذا للشيخ ابن باديس ، وعليه تعلم إنشاء المقالة، وكانت له قرابة مع السيد ابن القشى ، كما كان الشيخ عبد الحفيظ تجمعه

---

(1) نقلا عن مقال للكاتب التونسي الشهير مصطفى بن شعبان ـ الشهـــاب عدد 92 ٠

(2) المصدر المذكور ٠

(3) المصدر المذكور ، وهذا من عمل أو وحي الادارة الاستعمارية ٠

المعرفة العلمية والنسب الأدبي والمجد العائلي بالشيخ ابن باديس،وقديما قال أبو الطيب رحمه الله :

وبيننا ـ لو رعيتم ذاك ـ معرفـة ان المعارف في أهـل النهى ذمـم

وقد قال الشيخ ابن باديس رحمه الله في صاحب النجاح وخطة جريدته ودوافعها ما نصه : « لصاحب النجاح » المحترم حظه من العلم والفضل ، وجميل الاخلاق ، ولطيف المعاشرة ، وكرم الاصل ، ومن حقه ان نذكر له هـذا ، وما كنا لنبخس أحدا حقا،ولكن لم تكن صحيفته ـ مع الأسف الشديـد ـ متجلي لهذه الصفات ، وعلة ذلك ـ ولا نقول هذا وحدنا ـ استسلامه لأناس لا يساوونه في المنزلة ، ولا يشاركونه في المسؤولية ، **وضعفه امام رغبات... ومـؤثـرات .**

ونحن ـ كجزائريين ـ نود لكل مشروع جزائري كـل تقـدم ورقي ، وخصوصا للمشاريع الصحافية التي هي مقياس درجة رقي الأمة وانحطاطها، ونود لصحيفة النجاح ـ أقدم صحفنا اليوم ـ كل فوز يثمره العمل الشريف وكل نجاح تثمره الاستقامة .

اما محاولة الانتشار بتاييد خرافات الطرقيين وضلالاتهم الـتي اجمـع المفكرون في مشارق الارض ومغاربها من المسلمين وغيرهم على أثرها السيء الفتاك في جسم الاسلام،وأخذ المصلحون في كل قطر في معالجة دائها،فمما يمقته كل ذي عقل أو دين ، لا سيما اذا كان ينشر الباطل والقذف بالزور والتعرض لشخصيات الناس»اهـ(4). ولم تتعظ (النجاح) بمثل هذا ولا تأثرت بل اشتد كلبها على الاصلاح بعد ان تاسست جمعية العلماء وانتشرت حركتها وبعد ان اشتد ساعد الحركة الوطنية ولما صدرت (الكلمة الصريحة) التي قالها ابن باديس ونشرت في الشهاب : (ان الجزائر ليست فرنسا ، ولا تريد ان تكون فرنسا،ولا تستطيع ان تصير فرنسا ولو أرادت) هاجمته النجاح

---

(4) نشر هذا المقال كتعليق من الشهاب على كلمة الكاتب التونسي السيـد مصطفى شعبان في عدد الشهاب 92 الصادر في 12 شـوال 1345 هـ ـ 14 أبريل 1927 .

وتهكمت عليه والقت اسئلة تطلب جوابها منه ، منها متى كانت فى الجزائر أمة ؟ ومتى كانت لها لغة ؟ ومتى كانت لها دولة ؟ وما هى حدود هذه الدولة ؟ وامضى المقال اسماعيل مامي، وتفطن لذلك الشيخ ابن باديس فقال ما فحواه : (لقد وجهت الينا اسئلة كتبها رجل كبير وأمضاها رجل صغير) والرجل الكبير هو المستشرق الفرنسي (ميو) الذى كان يتولى ادارة الشؤون الأهلية فهو الذى بلسان فرنسا ينكر وجود (الأمة الجزائرية) ولغتها ودولتها وحدودها فى الحاضر والماضى ··· والمستقبل ! وهذا مبلغ الغرور !

وبلغ الغرور بالسيد مامي ـ عفا الله عنه ـ أن صار يسخر أحيانا بالشيخ ابن باديس ويخترع على لسانه محاورات ، فبلغ السيل الزبا ، واشتد غيظ الشهيد أحمد بوشمال ولم يملك نفسه ذات يوم ـ 1938 م ـ ان ارتمى عليه فى نهج تجاري مزدحم وأعطاه (طريحة) حوكم من أجلها وحكم عليه بأربعمائة فرنك ، وكانت كافية لكفه النهائي عن التعرض لشخصية الشيخ ابن باديس بسوء حتى مات رحمه الله ·

ومما يجب ان نسجله بإنصاف أن آخرة اسماعيل مامي كانت خيرا له من أوله، فقد كف فى الاربعينات عن كثير مما كان يصنعه ، ومما نذكره له انه شارك فى احتفال الأمة بافتتاح دار الطلبة التابعة لمعهد ابن باديس واستضاف ـ فى داره ـ نحو ثلاثين من الضيوف أكلا وشربا واقامة ، وحدثنا الشيخ صالح ابن عتيق أنه ـ فى سره ـ كان يحب الشيخ ابن باديس ويأتيه بأسرار الادارة الفرنسية ويطلعه على بعض ما يدبر من مكائد،وهذا ما جعله لا يقطع صلته به ، لكن موقفه الأروع انه لما نشبت الثورة عام 1954 م ، لم يندفع فى مقاومتها واقتصر فى الجريدة على رواية الأخبار كما ترد من مصادرها ، وقد بلغني ان الادارة الاستعمارية حاولت منه أن يهاجم الثورة ويقف بجانب فرنسا أو تسحب منه عونها فامتنع وقال : (لا أريد ان أموت كالكلب فى ازقة قسنطينة)،وربما سمعت هذا باذنى منه،ولعله أخذ عبرة من موت صاحب (النهضة) السيد الشاذلي القسطلي بيد فدائي تونسي فى نهج القصبة بتونس. وكان موقف (النهضة) فى تونس كموقف النجاح فى تأييد الادارة الفرنسية، وبلغ بها الامر ان سخرت بالثوار التونسيين وأشاعت عنهم اسم (الفلاقة) ·

ولما توقفت الادارة عن عون (النجاح) توقفت الصحيفة أوائل عام 1957م ولم يلبث اسماعيل ـ عفا الله عنه ـ ان مات في يناير عام 1958 م ، وقد مات حتف أنفه لم يسيء الى الثورة ولم تقتله خلافا لما جاء في رواية بعضهم ونشره في كتابــه ٠

أما الشيخ عبد الحفيظ بن الهاشمي فقد قبل وظيف الافتاء وتولاه في عناية ثم في قسنطينة،ولما جاء عهد الاستقلال التحق بسلك التعليم الثانوي وعاش الى ان وافاه الأجل المحتوم ـ بعد ان تجاوز الثمانين ـ في رجب 1393هـ أوت 1973 م ، مات بقسنطينة ودفن بطولقة رحم الله الجميع ٠

اما جريدة البلاغ الجزائري ـ فانها ـ كما أعلنت عن نفسها (جريــدة علمية ارشادية دفاعية) أسسها العليويون عام 1345 هـ ، 1926 م ، بعد نحو أسبوع من محاولتهم الفتك بالأستاذ ابن باديس رحمه الله ، وبرز العـــدد الاول منها في 4 ديسمبر 1926 م ، لكن هذه الجريدة لم تلتزم آداب الصحافة الكريمة وأسلوبها ، فأسفت كثيرا وتنازلت ـ من الدعوة بالحكمة والموعظة ، والجدال بالتي هي احسن ـ الى أسلوب السباب والشتم والقذف بالــزور والبهتان ، وهذا ما يستفاد مما قاله أو نقله عنها أوثق الكتاب وأعفهم لسانا وقلما واصدقهم لهجة ، وانقاهم ضميرا ٠

ان الشيخ ابا يعلى ـ في كلمته التالية ـ يحاول ان يلوم من لا يــلام ، ويقوم ما لا يستقيم،وتظهر رغبته الملحة في الجمع بين الماء والنار ليكون في صف الكتاب والعلماء السلفيين من جهة وصديقا للعليويين من أخرى،ولا يتم له هذا الا بالصلح بين الطرفين ! ان مقال أبي يعلى « تكرر الاعتداء على أصحاب الشهاب » نشرته جريدة الشهاب في عددها 9 الصادر في 1 شوال 1345 هـ ، الموافق 14 أبريل 1927 م ٠

وهذا نصه بعد العنوان : تكرر الاعتداء على أصحاب الشهاب ٠

ليعلم أصحاب الجرائد الثلاث ـ خصوصا والقراء عموما ـ اني انما زججت بنفسي للكتابة في الجرائد لغرض واحد وهو الاستفادة والإفادة من علوم رجال

ومعارفهم واختبار عقولهم ومداركهم وبث ذلك للطبقة التى تعقبنا ليأخذوا عنا كما اخذنا نحن عمن قبلنا حسبما ذكرت ذلك فى ابتداء مقالاتى :

(نظرة فى الحديث النبوي ايضا) ويشهد الله وهو خير الشاهدين اني ما اردت غير هذا،ومن ذلك احتسب فى جميع ما اصابني او يصيبني فى هذا الميدان كما كان ولتعلموا ـ ايضا ـ انى لا أنتصر لفريق اذا خطأ ولا أتخلف عن الانتصار لفريق اذا ظلم أو ظلم عملا بالحديث الصحيح : (انصر أخاك ظالما أو مظلوما) (1) ·

ثم بعد هذا ولو لمزني عدة منكم بانى لا الى هؤلاء ولا الى هؤلاء من صفوفكم نعم ، لا الى هؤلاء ولا الى هؤلاء فى الباطل ولكني مع هؤلاء وهؤلاء فى الحق والعقلاء يشهدون ، وانشد :

(على أننى راض بان أحمل الهوى   واخلص منـه لا عـلي ولا ليـا)

كتبت فى النجاح عدة مقالات الى ان هاجمني فيه بعضهم وتجهمني، فدافعت ولم ينشروا لى فوقفوا بينى وبين المهاجم فشبهتهم بالبلجيك (2) فخسرت المعركة وجئت للعدو من عدوة أخرى وجددت الكرة فى ميدانى (صـــدى

---

(1) من حديث أنس بن مالك ونصه الكامل : (انصر أخاك ظالما او مظلوما قيل : كيف انصره ظالما ؟ قال : تحجزه عن الظلم فان ذلـك نصره) رواه البخارى والترمذى وأحمد ، اما نصرة المظلوم فلا غبار عليه بالاخذ بيده واعانته فى حقه على ظالمه ، واما الظالم فبكف يده ومنعه من الاستمرار فى الظلم ، فهذا الحديث من روائع المبادىء الاسلامية ، وقد حرفه أحد الذين ران على قلوبهم الكدر ونشر فى جريدة (العالم) الفرنسية (لوموند) هذا الحديث منقوصا وزعم ان نبيء الاسلام يأمر بنصر الاخ ولو ظالما ! ، تولاه الله ·

(2) البلجيك : مملكة أوروبية بين فرنسا والمانيـا عاصمتها بروكسيـل مساحتها 30447 كلم ، وشعبها أقل من عشرة ملايين وهى منُ أرقى الـدول الاوروبية وأوفرها ثروة وصناعة شعبها مسالم ولكن جنى عليها موقعها مرتين فاجتاحتها جيوش الالمان ـ دون ذنب ـ عام 1914 ـ للوصـول الى فرنسـا وهذا ما يشير اليه الكاتب ، ثم أعادت فعلها مرة ثانية عام 1940 م ، للغرض نفسه أثناء الحرب العالمية الثانية وحدث هذا بعد نشر المقال بأكثر مـن 10 سنـــوات ·

الصحراء) (3) و (الشهاب) فانتصرت انتصارا باهرا وهى الواقعة التى شبهتها بواقعة (المارن) (4) الفرنسية ٠

وكتبت فى الشهاب منذ أكثر من سنتين وصرت لى فيه عـدة معارك ومناظرات علمها القراء وترك لى الوسع والساحة ونشر ما علي وما لى ، وقد سرنى ما علي مثل ما سرني ما لى،وقد وطنت نفسي لخدمة ما ذكرت آنفا فى صدر المقال الى ان كاد المحب بظهر الغيب (5) الاستاذ الشيخ عبد الحميد ابن باديس يمل من معاركى التى اعجبته واثنى علي فيها كما ذلك بخطه،ثم هو لم يعجبه جعلى شيوخ الطرق من جملة العلماء ، وانتقد علي ذلك ، وجعله باطلا ، ومنكرا من القول وزورا،فأجبته عن ذلك بمقالة بينت فيها ان كلامى عن ذلك له أصل وفرع وبرهان محسوس ومشاهد ، وذكرت له أن العالم بالاحكام الشرعية الفقهية علم الحلال والحرام هو العالم عندنا منذ أحقاب بل من عهد النبيء صلى الله عليه وسلم اذ قال : « أعلمكم بالحلال والحرام معاذ » (6) وبرهنت بعدة من العلماء أهل العصر ممن عرفتهم وهم بقيد

---

(3) جريدة وطنية صدرت بمدينة بسكرة صاحبها السيد أحمد بن العابد ومحررها شاعر الجزائر الاكبر محمد العيد آل خليفة رحمهما الله برحمة الاحياء والاموات ٠

(4) اسم نهر فى فرنسا من روافد نهر السين على شاطئه أوقفت جيوش فرنسا عام 1914 م ، زحف الالمان على باريس وانقذتها من احتلال وشيك وكان القائد الفرنسى المنتصر هو الجنرال (جوفر) ٠

(5) هذه الجملة يريد بها أبو يعلى انه حتى ذلك الزمن لم يكن قد اجتمع بالشيخ عبد الحميد بن باديس وانما أحبه بظهر الغيب ثم اجتمع به بعد تأسيس جمعية العلماء وكان أبو يعلى رئيس لجنتها الدائمة بالعاصمة بعد ان نحي عنها السيد عمر اسماعيل ولم يكن من العلماء ٠

(6) هنا علق الشهاب بقوله : وهل مشائخ الطرق اليوم من هؤلاء العلماء ؟ وهل هم اعلمنا بالحلال والحرام ؟ ٠٠٠ غفر الله لك يا أبا يعلى فانك الى اليوم لم تحسن الجواب ولا عرفت كيف يكون الاعتذار » اهـ ٠

واما معاذ بن جبل فهو من كبار الانصار علما وفضلا حضر بدرا وعمره 21 سنة وحضر المشاهد كلها وقال فيه عمر بن الخطاب عجزت النساء ان يلدن مثل معاذ ٠ بعثه رسول الله صلى الله عليه وسلم اميرا لليمن ، ومات فى طاعون عمواس عام 18 هـ ، خلف أبا عبيدة فى امارة الجيش ثم لحق به شهيدا فى طاعون عمواس ٠

الحياة أنهم علماء ولم ينشر هذا المقال ، فكانه خشي أن يكون عليه لا له (7) ·

وكتبت اليه مقالا داعيا الى الهدنة والى الاتفاق مع المخالفين أهل الطرق وأرسلت نسخة من المقال الى البلاغ فنشره ولم ينشره الشهاب ، فعلمت أنه لم يعجبه رأي فى ذلك كله (8) والله حسبى ·

ثم الرجاء من الاخوان ان يتاملوا هل يجدون فى ما لا يرضى ؟ عند هـذا علمت ان العداوة قد استحكمت ، والتسامح مفقود، وليس فى ذلك كله ما يحمد، وساءنى كثيرا اذ فشلت فى سعي فى الصلح والهدنة والاتفاق على قواعد نجري عليها نحن معشر السلفيين، ويجرى المتصوفة على قواعد ذكرتها أيضا ولو فعلنا لكان لنا وأقوم ·

هذا ونعذر أصحاب الشهاب فى واحدة بالخصوص ، وهي تكرر الاعتداء عليهم الذى لا يرضاه ولا يقبله ألا من لا خلاق له ، ولا مدنية ولا انسانيـــة ولا عقل،وانه لدليل التوحش والهمجية التى لا تصدر الا ممن لم يبق فيهم

---

(7) علق الشهاب هنا بقوله : « قد نشرناه فى عدد 90 لانه جاء قبل هذا فقدم لمقتضى الترتيب وما كنا ـ والله لنخشى من مقال لانه اذا كان حقا قبلناه ، واذا كان باطلا دمغناه ، وليس فى حزب الاصلاح ـ بحمد الله ـ من يستنكف عن الخضوع للحق ولا من يعجز عن قمع الباطل » اهـ ·

(8) علق الشهاب على قول أبى يعلى هنا بقوله :

ما كادت النوبة تصل الى نشره حتى رأيناه منشورا ، وعلمنا ـ من تعليقات ناشريه ـ ما أيأسنا من قبولهم لما فيه ، فمن العبث ان نملأ به بعد صفحات الشهـــاب ·

وبعد فاذا كان أبو يعلى يعنى بالهدنة والاتفاق مع الطرقيين السكوت عن ضلالاتهم التى جنوا بها على القلوب والعقول والاموال والابدان ، وشوهـوا بها سمعة الاسلام وسودوا صفحاته البيضاء فان دعوته من الضلال الـذى يجب ان يستغفر الله منه ولا نستجيز لانفسنا ان نعينه عليه بنشره ·

وان كان يعنى أننا نسكت لهم عن بعض الباطل ليقبلوا منا بعض الحق ، فان هذا لا يرضاه من انزل عليه « **فاصدع بما تؤمر وأعرض عن المشركين** » ·

وان كان يعنى السكوت عن اعراضهم وأشخاصهم فان الطعن فى الأعراض والتعرض للشخصيات مما قد تنزه عنه كتاب الاصلاح قبل دعوته وان اتخذه سلاحا قوم آخرون » هـ ·

تلك الخصلة العربية الاسلامية (حماية الذمار) (9) واكرام الضيف وايواء الغريب ونصرة المظلوم ·

ومن الاسف الشديد ، بل من الغيظ ومن العار والشنار وسوء الدار وما سوء الدار ؟ سوء الدار الجلفة أو (الجيفة) الذى يقع فيها ذلك الفعل الفظيع والتوحش الشنيع · وان الجلفة أو (الجيفة) من الجزائر ونحن من الجزائر التى نرجو لها علما وادبا ! ان نحن الا مغروررون !!!

نعم مغروررون اذ كنا نظن ان الحرية التى حرمناها منذ ثورة 1871 (10) وكنا وآباؤنا فى قيود العبيد الجناة الا باق ، حتى لقد صدق علينا المثل المضروب فى المعنى « فى رقابهم الرباق ومن شانهم الاباق » (11) ولهذا انسحب علينا الا لجبر ، وضربت علينا الذلة والمسكنة ، واستمرت علينا « الانديجينا » (12) ثم نطمع بعد هذا الاخلاق ان نفوز فى الاجتماع والمدنية بين الامم أو ندعى اننا عرب مسلمون عقلاء منصفون ؟ ؟

هيهات هيهات ! اذا رجع قومنا الى ما قبل الاسلام بقرون كما قص الله تعالى علينا أمثال هؤلاء الاحلاف « **يكادون يسطُون بالذِين يتْلُونَ عليهم آياتنا** » والا فديانتنا السمحاء تسمح لمناظر المخالف ان يقول ما يشاء ويعتقد ما شاء اذا كان مسالما مجردا من السلاح ، وأحرى اذا كان ضيفا أو غريبا أو ضعيفا·

ولكن قد يرد على الخاطر وجود الشذوذ من الجهال والجفاة الاجلاف وذلك كله من الممكن ، وقد نتسلى بما تسلى به من قبلنا ممن مثلنا من الدعاة الى

(9) الذمار كل ما يلزمك حمايته وحفظه والدفاع عنه وان ضيعته لزمك اللوم ·

(10) فى هذه السنة وقعت ثورة المقرانى بمجانة واتسعت فشملت معظم أراضى الشمال ، فانتهزتها فرنسا لقمع شديد وسلب الاراضى ، وفرض ارهاب لا نظير له بقى من آثاره ما أشار اليه الكاتب ·

(11) الرباق جمع ربقة الحبل ، تربط به الدواب ، وهو اسم لكل حبل تقيد به الحيوانات عندنا والأباق الفرار ، فرار العبد عن سيده ·

(12) الانديجينا مجموعة قوانين وحشية سنتها فرنسا لتحكم بها الجزائريين منها أخذ البرىء بجريرة المجرم ، والمسؤولية الجماعية ··· الخ · مما تتبرأ منه الانسانية وبقيت هذه القوانين مسلطة علينا الى انتهاء الحرب العالمية الثانية ، وقد يحاولون التخفيف منها ثم يرجعون اليها باعنف وأشد ·

المبادىء والمذاهب فى العالم ، ونطالب الحكومة (13) باتخاذ الاحتياطات مثل هذه المظالم ، ونعذر الجاهل ٠

ويقول الذى أوذى ـ منا ـ ما قال نبينا صلى الله عليه وسلم : « اللهم أغفر لقومى فانهم لا يعلمون » ٠

ولكنا لا نعذر أهل العلم عموما ، واهل الجرائد خصوصا ، كاصحاب (النجاح) وأصحاب (البلاغ) الذين لم يقوموا ولم يعقدوا ، ولم يبدوا ولم يعيدوا شيئا فى هذا الحادث الملم المليم ، بل سلكوا مسلك المتفرج المتشفى وهم أصحاب مبادىء ومذاهب (14) ، وبعبارة أخرى انهم اصحاب جرائد كالشهاب لهم مخالفون يكادون يسطون عليهم فلا يأمنون ذوى بغي (15) ٠ كان المتعين عليهم ان ينتقدوا هذا الفعل الفظيع الذى هو ضد الحرية والعدل التى تدافع عنها جرائدهم ٠

وان ما جرى على متصرف الشهاب الشاب أبى شمال (16) يجرى عليهم مثله ، اذ مثل النظير النظراء ٠ وهذا ما أنتقده انتقادا مرا على أصحاب النجاح وأصحاب البلاغ ٠

وهذا معنى قولى آنفا اننى لست لهؤلاء ، ولا لهؤلاء فى الباطل ، وهذا هو الذى ادين به الله ، وادين به الوطن وبنيه وهذه الامة المتقهقرة ، بل المتدهورة فانا لله وانا اليه راجعون ٠

---

(13) المراد الحكومة العادلة المنصفة الحريصة على استيتاب الامن والضمان لحرية الرأى ، وهل الحكومات الاستعمارية كذلك ؟ المراد بمثل هذا اقامة الحجة ٠

(14) هم كذلك فى خيال أبى يعلى رحمه الله ٠

(15) اقتباس من قول الشاعر :

لا يأمن الدهر ذو بغى وان ملكا جنوده ضاق عنها السهل والجبل

و «لا» فى قول أبى يعلى نافية لا ناهية ـ وفى قول الشاعر ناهية جازمة ٠

(16) كان عمره رحمه الله حينما اعتدى عليه نحو 28 عاما ٠

ولقد صدق علينا قول (17) جونار ، الوالي العام (كان على هذه الديار) .
في جوابه الى المرحوم الشيخ علي يوسف ، صاحب المؤيد حينما اجتمعا في باريس سنة 1903 م ، فتشكي صاحب المؤيد منتقدا عدم وجود الجرائد العربية الاسلامية في الجزائر ، فقال الم ـ جونار : « انه لم يجد من يستحق الامتياز لادارة جريدة ، وتكون فيه أهلية لذلك فيمنحه ذلك » الى غير ذلك مما جرى بينهما في الحديث في هذا الشأن ونشره المؤيد في ذلك التاريخ (18) .

وعلى هذا فاني انتقد الجرائد الجزائرية كلها ، فالشهاب للشدة وعدم الحلم والتسامح ، والنجاح للتملق والمداراة للزوايا والطرق (19) . والبلاغ الجزائري بعدم التبرى والانكار على هذه الاعتداءات ، و (البرق) (20) على الاستفتاح بالشر وتابط شرا (21) لكونه انتقد عدم رواج كتبي التي ألفتها في حين انه يطلب رواج جريدته ، فلنتب الى الله أيها المؤمنون .

الزواوى السلفي إمام جامع سيدي رمضان

---

(17) كان وليا عاما لفرنسا على الجزائر في التاريخ الذى أجرى معه هذا الحديث .
(18) الشيخ علي يوسف صاحب جريدة المؤيد اليومية المصرية من أكابر رجال الصحافة العربية ولد عام 1863 م ، وتوفي بالقاهرة عام 1913 م ، تخرج من الازهر وأنشأ مجلة الادب ، ثم صحيفة (المؤيد) عام 1889 م ، وبلغت درجة كبيرة في الرواج والاشتهار ، وفيها كتب الشيخ عبده رده على هانوتو . كما كتب مقالات كثيرة في الرد على من يهاجم الاسلام .
(19) اهذا هو المبدأ والمذهب الذى تقدم (اتهام) النجاح به ؟
(20) جريدة البرق عربية وطنية صدرت بقسنطينة ، صاحبها السيد عبد المجيد بن رحمون وكان الاديب الشاعر محمد سعيد الزاهرى من محرريها
(21) تابط شرا لقب شاعر جاهلي فاتك ، واسمه ثابت بن جابر توفي 530 م واصل لقبه انه وضع سيفا تحت ابطه وخرج فلما سئلت عنه أمه قالت « تابط شرا وخرج » فلصق به اللقب وكان من العدائين ، وله اشعار حماسية رائعة ، أما من انتقد أبايعلي وعدم رواج كتبه فهو صحافي كان يمضي مقالاته بـ : « تابط شرا » ولعله الزاهرى .

« تعصـــب »

محاولـــة قتـــل صحـــافي اهـــل

قضية خطيرة ـ جريمة منوم ـ (دين وسحر !)

هذه مقالة كتبها صحافي فرنسي ـ واظنه الصحافي الفرنسي لوسياني المعروف بمدينة قسنطينة ، وكان من أشهر صحافييها ، وله معرفة كبـــيرة بالمسلمين وعاداتهم والاتصال باعيانهم ، كما كان له صلة خاصة بالدكتـــور الزبير بن باديس شقيق الشيخ عبد الحميد بن باديس ـ لأنهما كانا زميلين أثناء الدراسة ـ وربما دفعته هذه الصلة الى العناية بكتابة هذا المقال ، مع الوفاء لمهنته الصحافية وإشباع رغباتها ، وخصوصا بعد عناية الراي العام الاسلامي بالحادثة وتجمع المسلمين أثناء التحقيق مع الجاني رغم أن الساعة كانت ليـــلا ٠

وان كانت جريدة « الدبيش القسنطينية » من أعدى أعداء حركـــــة ابن باديس المغرين بها والمحرضين عليها والمؤلبين ٠

وقد نشر المقال ـ بعد 8 اشهر من حصول الاعتداء بمناسبة تجديد البحث تمهيدا لمحاكمة الجاني في عدد 110 بتاريخ 19 صفر 1346 هـ ، الموافـــق 18 أوت 1927 م ٠

قـال الشهـــاب :

« تحت هذه العناوين نشرت صحيفتنا جريدة (لادبيش كونستانتين) مقالا ـ بقلم (ن ـ ل) أحد محرريها ـ في نازلة الاعتداء العليوي على الأستاذ ابن باديس بمناسبة تجديد بحث الجاني في مكان الحادثة ٠

وقد جاءنا تعريب هذا المقال المذكور من الاديب البارع والكاتب الشديد الاستاذ الامين العمودى (1) مترجما بقلمه ترجمة حرفية ، فنشرناه على قراءنا ليطلعوا على رأى جيرانهم الاوروبيين فى نازلة لا تزال شغل الافكار اليوم ·

---

(1) الاستاذ الامين العمودي من أعظم الكتاب الأدباء الجزائريين ، شاعرا وناثرا، بليغ القلم باللسانين العربي والفرنسي ، وهو من شعراء كتاب (شعــــراء الجزآئر فى العصر الحاضر) لمؤلفه الشيخ الهادي السنوسي · ومــن كتاب الشهاب ، لما أسست جمعية العلماء كان الأمين العام لها مدة سنوات ثم تخلى عن هذه الأمانة للشيخ العربي،وقد خاض غمار السياسة،وأسس جريــدة الدفاع (لاديفانص) فكانت لسان حال السياسيين الجزائريين الأحــرار ، المناهضين للاستعمار ، ومنهم السيد عباس فرحات وزملاؤه فى حزب (وحـدة النواب) وكانوا هم الناطقين باسم (السياسة) الأهلية ، فى المجالس النيابية· كما لعب العمودي دورا هاما فى منظمة المؤتمر الاسلامى أثناء وجوده ، وكان عضوا فى وفده مترجما ـ بأمانة ـ عما يعرب عنه ابن باديس ـ الذى كان يطمئن الى ترجمته ويثق فى صدق أدائه · كما كان رئيس منظمة (شبيبة المؤتمـر) ذات الميول الوطنية العربية المتحررة من تاثير سياسة وحدة النواب ·

ولما نشبت الحرب العالمية الثانية ألقي القبض عليه وزج به فى السجـــن أوائل شهورها ، عام 1940 ـ وذلك فى حياة ابن باديس ، وكان فى إقامــة جبرية ففهم القصد وظنه بداية محنة لفريقه فلم يسؤه سجن العمودي ولــم يربكه ، بل اهتم به وبعائلته اهتماما شخصيا،ورجا أن يخرج من المحنة بطلا ، فكم صنعت المحن من أبطال ! ولكنه أفرج عنه وشيكا قبل وفـــاة ابن باديس بأسابيـــع ·

ولم يعد الى نشاطه السياسى كما كان ، وقد تغيرت بعد الحرب مقاييســه وموازينه ودخل فى الاعتبار ـ الأعمال السرية ، والتنظيمات الحربية ، ونشاط الثوار ، وكان العمودي يغلب عليه طابع النشاط الفكري والنقاش القلـــمي ، والحجاج العلمى فاكتفى بذلك وحافظ على سلامة العقيدة الوطنية ووضوحها واستقامتها · فلما نشبت الاعمال الثورية عام 1954 كانت متنفس كل وطنى حر أبي ، وقدم لها كل بما يستطيع . وكان العمودي ـ مثل غيره ـ كجنـــدى بسيط أدركته الشيخوخة وفاته عمر رفع السلاح ·

ولكن اعداء الوطن لم ينسوا له ماضيه المشرق واسمه اللامع فقـرروا أن يعدموه ، ونفذوا ذلك بالفعل فى يوم 10 أكتوبر 1957 كما أخبرنى به الاستاذ =

قالت لادبيش :

« منذ نحو ستة أشهر وقعت على صحافي أهلي (2) قام بمهمته باتقان وشجاعة ـ وهو السيد ابن باديس نجل النائب المالي (3) الفاضل ـ محاولة قتل فى ظروف هاك بيانها :

بينما كان السيد ابن باديس ـ فى بعض الليالى ـ نحو الساعة التاسعة هابطا بدرج نهج (مايو) ليذهب الى داره الكائنة بنهج السود ، اذ انقض ، عليه رجل أهلي كان متخفيا بمكان مظلم وضربه بهراوة أصابت جبينه وجرحته جرحا خطيرا ٠

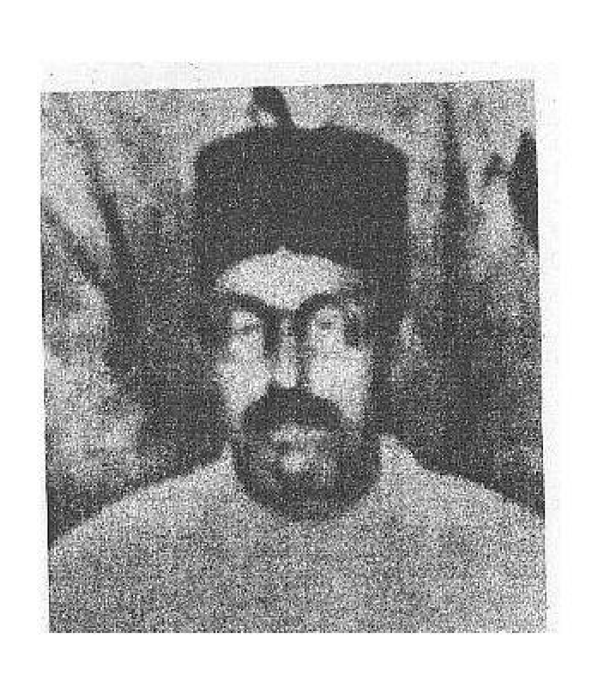
سعى السيد ابن باديس سعيا غريزيا فى الدفاع عن نفسه ،ورغما عن خطورة الضربة تمكن من القبض بكلتا يديه على مهاجمه الذى كان يومئذ مسلحا بهراوة وموسى (بوسعادي) وأمسكه بضع دقائق ، لكنه لما فشل وخانته قواه تخلص منه المعتدي المجهول والتجأ الى الفرار ٠

= محمد صالح رمضان وقيل عنهم انها منظمة اليد الحمراء الارهابية وهى وراء جرائم كثيرة رهيبة ٠ وكانت تتالف من كبار رجال الادارة الاستعمارية ومن كبار مجرمى الجالية الفرنسية اليهودية ٠ وغالب ضحاياهم ممن لم يجدوه متورطا فى تهمة ظاهرة ، لهم عليه فيها مجرد شبهة ٠

وقيل عن العمودي ـ فى رواية جريدة لهم ـ أنه القى بنفسه من قطار قرب البويرة وهو يحاول الفرار فاطلقوا عليه النار وأردوه قتيلا ! وهذا ما كانوا يعللون به كثيرا من اغتيالاتهم وجرائمهم فلا يصدقهم أحد ولا يجرأ على سؤالهم ومحاسبتهم حاكم ولا قاض ولا مسؤول لأنهم ذاك كله ٠

(2) كلمة أهلي (انديجان) كان يلقب بها الفرنسيون كل أبناء الجزائر تمييزا لهم عن السكان الفرنسيين واليهود المتفرنسين ويريدون بها تحقيرهم بنسبتهم الى الوطن بينما كانوا يعدون أنفسهم من الاوروبيين ! والحقيقة ان اللـه أنطقهم بها شهادة بان الجزائريين هم (الاهليون) وأنهم هم الاجدرون بارجاعهم الى أوطانهم الاوروبية !

(3) كان المجلس المالى فى الادارة الجزائرية شبه برلمان ! وكان يسمح ـ آنذاك ـ لخمسة ملايين من الجزائريين ان ينتخبوا لعضويته 12 نائبا ! بينما ينتخب الاوروبيون أضعاف (أصحابهم) بمقدار خمسة أو ستة لكل نائب أهلي !



الأستاذ الأمين العمودي

وقد استنجد السيد ابن باديس ببعض المارة بالطريق وهؤلاء أحاطوا بنهج السود وشرعوا في التفتيش لكن بلا طائل ، ثم ان بعض اصدقاء الشيخ ذهبوا به الى داره القريبة جدا من ذلك المكان وما تعدوا عتبة الدار حتى راوا الجانى كامنا في احد أركانها ، مسلحا ـ كما كان سابقا ـ وواقفا موقف الهجوم ، فلما أخطا المرمى ـ المرة الاولى ـ ظن أنه يصيبه حقيقة حين يصل السيد ابن ابن باديس الى محل سكناه ٠

القى القبض على الجاني ، وانتزع منه سلاحه ، وسيق الى (الكوميسارية) واستنطق فأنكر بادىء بدء ـ رغم ما عليه من الحجج القاطعة ـ وقوع السطو منه ، ثم اعترف ببعض ذنبه ، وذكر أنه أراد أن يبعد عن العالم الاسلامى رجلا مرق من الدين !

تبين مما ذكر أن هاته جريمة ليست من الجرائم المعتادة وقوعها ، وثبت بوجه القطع ان السبب الحامل عليها هو ما ذكره الجاني ، وقد أنتج البحث جملة أشياء تدعو الى التعجب بقدر ما لها من الخطورة ٠

دعـــاة الباطـــل والضـــلال :

كان السيد ابن باديس أثار في جريدة (الشهاب) حركة قلمية تضاهى حملة الابطال ليفضح ويظهر لاخوانه في الدين جميع دعاة الباطل والضلال وسفلة المرابطين الذين يدعون العصمة وخوارق العـــادات ، تستر هـؤلاء الدجالون باسم الدين ، وأخذوا يستثمرون احسان عامة الاهالى ، مؤيدين سلطتهم على البسطاء (بكرامات) صبيانية ، وربما كان الخطب سهـــلا لو اقتصر عمل (المرابطين) على اختلاس (الدراهم) بطريقة تروج عـلى السذج حتى تظهر لهم الحجر جوهرا ٠

لكن السيد ابن باديس زيادة على تشنيع هذا الصنع المنكر على أصحابه قد أشهر حربا خاصة على رجل أخذ نفوذه يتزايد بكيفية مفزعة ، وتعاليمـه تنتشر بسرعة يسهل ادراك علتها بين طبقات الاهالى الذين يؤمل منهم الاقبال على الدعوة الجديدة بشدة رغبة وحماس مفروط ٠

على نمط راسبوتين (4) :

استمد تاريخ هذا الرجل فى الاصل من تاريخ الراهب صاحب الشهرة السيئة بروسيا المقدسة ، دونكم شرح معنى ذلك :

كان منذ سنين في مدينة (التقى) مستغانم يوجد من بين أعظم المسلمين تمسكا بالديانة ـ حذاء فقير وضيع اسمه (ابن عليوة) استلفت الانظار بشدة ما يظهره من التقى والصلاح وقد ملك قلب (مقدم) البلدة حتى ان هذا الاخير لما احس بقرب موته أوصى بان يتولى خطته بعده الحذاء ابن عليوة .

كانت هذه الوصية من الغرابة بمكان عند أرباب الشؤون الدينية الاسلامية الا انها لما كانت معربة عن ارادة الهالك ، وموافقة لشريعة القرآن وجب العمل بها ، وسمى ابن عليوة « مقدما » وكان لسان حاله يتمثل بالمثل اللاتيني (هل ، ومتى يكون لصعودي حد) .. ؟

امتاز بكونه اماما مواظبا من أئمة الديانة الاسلامية العظمى بسرعة امتيازه بالذكاء والفراسة وشدة الطمع وحب الرياسة وبفضل ذلك قدر على تحريك الضمائر واستخراج أسرار العقائد ، وله فى هذا الفن طريقة خاصة . فكان لا يكتفى بأمر (فقرائه) بتوطيد ايمانهم بالله ، « لأن الله هو الله » بل يشير عليهم أيضا بتقديس « خلفائه فى الارض » .

ادعى ـ محتجا بما يسميه كرامات ، وما هى فى الواقع الا شعوذة بحتة ـ بأن الله حال فيه ، وبفضل قوته الجذابة النادرة وقوته التأثيرية العجيبة ـ تمكن ابن عليوة من جعل أتباعه أو (زبنائه) تحت سيطرة ارادته وقد رأى منه المسلمون الغرائب ، وهكذا قويت شوكة الدجال بكيفية مدهشة .

ولما فهم ابن عليوة مقدار ما تجره له هذه (البضاعة الخصوصية) من المنافع عزم على تحسينها ، وتوسيع نطاقها ، وقد كان سمع بان فى ذلك الشرق القاصى ... أساتذة يدرسون علوم الباطن فسافر اليه وبقى به مدة ثلاث

---

(4) راسبوتين هذا هو راهب روسى ادعى الصلاح ـ مع جهله وغباوته ـ ونال حظوة عظيمة عند الملكة (اسكندرة) بما روج على فكرها منأن أمر صحة ابنها ـ ولى عهد القيصر ـ كان بيده ، يفعل به ما يشاء ، وكان معظما لدى القيصر نقولا الثانى فى مدة الحرب الكبرى ، ومات قتيلا (المعرب) .

سنين تلميذا مجتهدا حريصا ، وبعد أن تدرب ومهر فى فنون (الفقــراء) السرية عاد الى منصبه ، واتخذ بلدة برج بوعريريج مركزا ومقرا ، وأسس (طريقة) أسرع (الاخوان) الى الدخول فيها أفواجا ·

صورة عمله ان يختار من المقبلين عليه (أطوعهم) كما يقول المؤمنون ، ويدخلهم فرادى فى بيت ، ويأمرهم بذكر اسم الله وتكراره ألف مــرة ، ويجبرهم على النظر الى نقطة واحدة ، ويعدهم بانهم يحسون بنزول الاله فى ذواتهم ، تلك احدى عملياته ، وفى بعض الاحيان يدخلهم فى خلوة مظلمــة ويريهم صورة « الله » بطريقة تدع الابصار حائرة ، وقد أبدى فى تعاطى هذه الصناعة من المهارة والبراعة ما حصل به على الإعجاب العام ·

ابن عليوة ــ كما يقول أصحابه ــ هو محــل حلول اللــه فى الأرض ! ابن عليوة قادر على إيقاف الشمس فى دورانها ! ابن عليوة يفتح السماء ! ابن عليوة يغيض مياه العيون ! ابن عليوة فى وسعه ان يستمطر الدرهــم والدينــار ! !

وتوصل هذا الداعي الجديد الى إدخال آلاف من المسلمين فى مذهبــه ، وها هو الآن يؤمل ويحاول البلوغ الى مقام النبوءة ، وقد أسس جريدة سماها الاصــلاح (5) ·

يلــزم قتــل الحقيقــة :

السيد ابن باديس رجل متنور متضلع فى العلوم ، مسلم عالــم بنص القرآن ، تتبع أطوار تلك الدعوة وقابل بالغضب والنكير أعمال ابن عليــوة المنافية للأخلاق ، وأقدم على اظهار مساوية لإخوانه فى الدين ، فكتــب فى جريدة الشهاب مقالات رنانة ، وكان ذلك سبب المؤامرة بالسطو ألذى وقع عليه وكاد يذهب بحياته ، والرجل الذى سطا عليه فى احدى الليالى بنهــج (مايو) هو واحد من إخوان الطائفة العليوية جاء من برج بوعريريــج (6) بمأمورية خاصة هى قتل الصحافي الذى تجرأ على مقام ذلك النبىء الجديد !··

(5) يعنى (البلاغ) قطعا ·

(6) الصواب أن المؤامرة دبرت فى مستغانم وأن الجانى جاء منها وركــب قطار الجزائر على أن يعــود اليها بعد تنفيذ الجريمة وهذا ما أكده الشيــخ ابن عتيق واستنتج فى التحقيق من بطاقة العودة.

الفاجعة :

أول أمس على الساعة التاسعة مساء استؤنف البحث فى القضية على يد المسيو أودوانو قاضى الاستنطاق ولم يكن ذلك بالامر السهل ، فمن كثرة تزاحم ألوف الاهالى برغبة سخيفة فى الاطلاع على ما لا يعنيهم حتى ادى الى خرق السياج الذى اقامه البوليس ، ومن جهة اخرى ترى جانيا خلى البال غير مكترث بما حوله ومع ذلك يجد فى المناقشة كان ذلك جبلة ورثها عن أصله يماحك فى الجزئيات التافهة وينكر ويصر على الإنكار بوقاحة بلغت أقصى درجات القبح .

سيرافع هذا الجاني - بعد انقضاء بضعة أشهر - لدى محكمة الجرائم لكن سيرافع التلميذ وحده، واما استاذه الدجال الناشر لدعوة الباطل والضلال فانه سيستمر فى دعة وهناء ساعيا فى الاهلاك واستعباد الافكار ناصبا للبله فخ العقائد الميتة للعقول جادا فى تدجيله الذى به (ينزل الله فى أجسام عباده) و (يعطل حركة الشمس) ويستمطر الدرهم الرنان و ... (يسلح المجرمين) ... وكل ذلك باسم الله ! ...

عن جريدة لادبيش القسنطينية المؤرخ : 30 من جويلية 1927 م ، بسكرة

الامين العمودى

☆ ☆ ☆

علق الشهاب على هذا المقال بعد نشره بقوله : (فى هذه المقالة عبارة ما كان نحب نشرها ولكن امانة الترجمة واحترام الكاتب والمعرب اضطرتنا الى ابقائها على حالها) .

*

في مجلس الجنايـــات :

الجـــاني العليـــوي

خمس سنـوات في السجـن المضيـق

بعد خمسة عشر شهرا ـ (جمادى الآخرة 1345هـ ـ رمضان 1346هـ) ـ ديسمبر 1926 م ـ مارس 1928 م ـ من الاعتداء الوحشي الذى ارتكبه الجاني العليوي (ممين أو ميمان الشريف الجعفري المجاني) على شخصية الشيـــخ عبد الحميد بن باديس فأسال دمه الزكي بقصد قتلـــه ، مسلحا بهـراوة استعملها وبمدية سلها من المدى التى تستعمل فى الذبـــح والطعن عـادة (بوسعادي)،بعد هذا الزمن الطويل مثل هذا الجاني أمام محكمة الجنايـات بمدينة قسنطينة يدافع عن جنايته محام يهودي ويتصنع الإنكار لفعلته رغم التعرف عليه من المجنى عليه، وتثبته لشخصية يوم عرض عليهفى البحث، ورغم شهادة الشهود الذين رأوه وزملاءه يسألون عن مسكن الشيخ ويثبتون مـن أوقات دخوله وخروجه ، وشهادة الذين حضروا إلقاء القبض عليه مساء الجريمة مستترا فى سقيفة دار الشيخ وحجزوا منه أسلحة الجريمة والسبحة العليوية، ومع هذه الأدلة الواضحة لم يلتفت القضاء الى إنكاره واصدروا عليه حكمـا بالإدانة ، وعين له خمس سنوات يقضيها فى السجن المضيق ٠

ان القانون الفرنسي يسمح للقاضي ان يحكم على مثله بالإعدام بتهمـــة محاولة قتل مع ترصد وسبق إصرار واستعمال سلاح حديدي ثم القاء القبض عليه فى حال تلبس بالجريمة واصراره على إتمامها ٠

ولكن حكم القاضى الفرنسي صدر عليه بسجن خمس سنوات يقضيها فى السجن المضيق ، وقد يرى هذا الحكم خفيفا ، ولكن الحقيقة ان الموت أهون من السجن مدة طويلة مثل هذه عند الأحرار ٠

ان الشريعة الاسلامية لا تقر مثل هذا الحكم بل تشرع فى مثله القصاص أو العفو « **والجروحَ قصاصٌ فمن تصدَّق بــه فهو كفَّارة لــه** » ، وفى القصاص عبرة للجانى وغيره ، وفى العفو سمو ونبل ومحو لأثر الحقد من قلب الجاني ٠ ولهذا فان الشيخ رحمه الله لم يرض بهذا الحكم واخبرنى الشيخ محمـــد الصالح بن عتيق وسمعت ذلك من غيره انه اعتبره قاسيا وقد سامحه ، ولكن الحق العام أبى ذلك ، ويشهد لهذه الرواية ما ختم به الاخبار عن الحكم من دعاء كما يرى ذلك فى (الشهاب) ٠

والشريعة الاسلامية السمحة قد تسمح بالقتل فيما اذا كان الامر من باب الحرابة والفساد فى الارض « **إنما جزاءُ الذين يُحاربون اللهَ ورسولَه ويسعَوْن فى الأرض فساداً ان يُقَتَّلوا او يُصَلَّبوا او تُقَطَّعَ أيديهم وأرجُلُهم من خِلافٍ أو يُنْفَوْا من الارض** » فاما اذا لم تتحقق حرابة فلا ٠ وقد أوصى الإمام علي رضي الله عنه وكرم وجهه فى الجنة ان يحبس عبد الرحمن بن ملجم الفاتك به ، فان شفي رأى فيه رأيه،وان هلك فلولى الدم السلطان عليــه ولا يسرف فى القتـــل ٠

اما القانون الفرنسي الوضعي فانه يسمح بالحكم بالإعدام وقد ينفذه ، وخصوصا اذا كان الجاني (أهلي) والمجنى عليه أوروبي ٠

قالت جريدة الشهاب فى عدد 137 الصادر فى 9 رمضـــان 1346 هـ ــ الموافق أول مارس 1927 م ، تحت عنوان اعلاه ما نصه :

على الساعة الثانية بعد الزوال من يوم الاثنين السابع والعشرين مـــن الشهر المنصرم انعقدت محكمة الجنايات بقسنطينة للحكم فى جناية محمـــد الشريف ميمان العليوي على الأستاذ ابن باديس المشهورة ٠ وتولى النضال من طرف الاستاذان : ميراكسيون ، وابن حبيلص ٠ ومن طرف الجاني الاستـــاذ زاوي الاسرائيلي وبعد سماع الشهود وكلام المحامين ووكيل الحق العـــام اثبتت المحكمة جناية الضرب والجرح على الجاني رغم بقاء الجاني على إنكاره

مع اضطراب فى كلامه ، حيث اعترف ـ فى البحث الاول بان العصا لـــه ، وانكرها امام المحكمة ، وحيث زعم إنه كان مقيما بالبلدة قبل يوم الجناية ولم يستطع إثبات محل إقامته مع انه كان يحمل ورقة الذهـاب والإيـــاب ـ واستنادا على شهادة الشهود التى جاءت على وجه لا اضطراب فيه ، فأصدرت عليه الحكم بخمس سنوات فى السجن المضيق ·

وهكذا نال هذا الجاني جزاءه ألذى يكون زاجرا لكل من يدعوه التعصب والتوحش الى الفتك بالنفوس ·

وهكذا انتهت هذه المأساة التى كتبت تاريخ النهضة الاصلاحية فى افريقيا الشمالية بالحبر الاحمر الذى لا تستطيع محوه الأيام ·

وختاما نسأل الله تعالى ان يؤلف بين قلوب جميع المسلمين بالمحبة والرحمة وان يقرب بين عقولهم بالعلم والانصاف ويغفر لجميعهم انه هو الغفور الرحيم ·

« ربنا اغفرْ لَنا ولإخواننا الدين سبقُونَا بالإيمان ولا تَجْعَلْ فى قلوبنـا غِلاًّ للدين آمنوا ربنا إنك رؤوف رحيم » ·

ـ اهي جناية عادية ومسالة فردية ؟ ـ

هذه مقالة صدرت فى الشهاب عن جناية هذا الآثم بعنوان « الشـــقى العليوى » ، ويظهر ـ من مقدمتها ، وألحاح كاتبها عـــلى نشرها وتبريـــره لكتابتها ـ ان الشهاب رغبت عن مواصلة النشر ، وفى اقفـــال الموضـــوع · غير ان الشيخ الزاهري كان يرى غير ذلك ، وان الرأي العام ما يزال مهتما به مشوقا اليه ، وليس من حق الشهاب ان تستبد باتخاذ مثل هذا القرار وحدهـــا ·

ونزلت « الشهاب » على رغبة الكاتب فنشرت له ، ثم علقت على مقاله بما يدل على نبل ابن باديس وسمو أخلاقه ، وتمسكه بالآداب الاسلامية ، ووقوفه عند حدود الشريعة من الاقتصاد فى القاء الاتهام دون بينة ، وتربية قرائـه على هذا الخلق المتين ·

وهذه مقدمة الأستاذ الزاهري يتبعها مقاله تحت عنوان الشقي العليوي ، وقد نشرنا فى العدد 140 الصادر فى 30 رمضان 1346 هـ ـ 22 مارس 1927م

« حضرة أخى المحترم سيدى أحمد بوشمال سلام الله عليكم ورحمته ·

هذه كلمة كتبتها عن « الشقي العليوي » أرجو من فضلكم ان تنشروها في باب « النشر الحر » من الشهاب · وليس لكم ان تقولوا ان هذه مسالة خاصة ، وهي مسالة جزائرية عامة ، بل هي مسالة تهم شمال افريقيا كله ، وقد تناولتها الصحافة الفرنسية كل واحدة بما ترى ، مثل الجزائر الجديدة ومثل « ليكو دالجي » وغيرهما ·

وهي مسالة بعد ذلك شغلت أكثر النوادي الاسلامية والمجتمعات فهي موضوع أسمار الناس وأحاديثهم في هذه الايام ، حتى لا تسمعهم يتحدثون الا عن « الجاني العليوي » وعن الاستاذ العلامة الشيخ عبد الحميد بن باديس·

ولقد اطلعني أديب من أدباء تلمسان على رواية تمثيلية في هذه الحادثة كتبها باسلوب شيق ، وسماها « المصلح والطرقي » وأبدع في تصوير الواقعة وفي مراد المصلحين ، وشخص تشخيصا محسوسا خرافات الطرقيين وتدجيلهم وهو عازم على تمثيلها على المسرح البلدي بتلمسان غير بعيد ·

فهل بعد هذا الاهتمام الكبير الذي تهتمه الأمة بهذه الحادثة يظن (الشهاب) أنها مسالة خاصة ، وجناية فرد عادية ؟

أما أنا فاني جئت بهذه الكلمة ، وما أظن الشهاب يمتنع من نشرها ، وفيه باب النشر الحر » ·

والسلام من أخيكم محمد السعيد الزاهري

الشـــقي العليـــوي

مسكـين ذلـك الشـقي العليـوي مسكـين !

دخل السجن المضيق منذ أكثر من عام فكان يذوق فيه البلاء المر ، ويمتحن المحنة الأليمة ، ويعذب هنالك عذابا لا يعذبه أحد من العالمين ، ثم يحكم عليه بعد هذا ان يدخل السجن المضيق ، وان يبقى فيه خمس سنوات يقضيها بين الارهاق والعذاب الشديد ·

جنى المسكين « المنوم » هذه الجناية الفظيعة ، ولم يكن هو الجاني في الحقيقة وانما كان آلة صماء في يد شيخه ومربيه الذي رباه ونومه واعده لمثل هذا الامر الفظيع · أعده لمثل هذا هو وأمثاله من الأشقياء المجرمين الذين

يسفكون الدماء والاعراض البريئة بغير حق ، ويقتلون النفس التى حـــرم الله • فاذا صح ان نسمى (هراوة) هذا الجانى هى الجانية المجرمة صح ان نسميه هو أيضا جانيا من الجناة المجرمين •

يرتكب المجرم الجناية ويدفعه اليها شيخه الذى يكون بين يديه كالميت بين يدى الغاسل ثم يعاقب المجرم بما يستحق من عقاب ، ويسلم دافعه الى ارتكاب الإثم والإجرام •

وعلى كل حال فانه لابد ان يكون قد اعتبر بهذا الجزاء تلك الشرذمة من أولئك الاشقياء المجرمين ، ولعلهم ينتهون بهذا العقاب فلا يسفكوا ـ بعـــد اليوم ـ دماء عباد الله المؤمنين • ولعلهم يستغنون عن « الهراوة » و «السكين» بما يتقيأون به علينا كل يوم من الفحش وقول السوء •

واما أنت ـ يا فضيلة استاذنا الكبير وشيخنا باديس ـ فلئن كنت أحلمنا صدرا وألييننا كتابة فى الاصلاح ـ فلقد كتبت الحـــق كتابة كلنا يتمـــنى لو سبقك اليها • كتبت الحق كتابة ليس شىء من الأشياء بقادر على محوها ، فستبقى لك بقاء الدهر ، وسيخلد ذكرك بها ما دامت السماوات والارض ، وكيف ظنك بكتابة كتبتها بدمك الزكى الطاهر ؟

ان تكتب الحـــق الدمـــاء فانت مـــن*كتبت دمـــاؤك للهـــدى صفحـــات

فلك فى الأمة ما لرجال العلم والعمل ، وستكون فى الآخرة مع الذين أنعم الله عليهم من النبيئين والصديقين والشهداء والصالحين وحسن أولئك رفيقا• وأنت أيها (الشهاب) الكريم لا تصدق ولا تعتقد ان هذه آخر إذاية لقيتهـــا ولقيها حزبك الاصلاحي من أولئك الذين لا يعلمـــون ، فما احسبك أنـــت ولا رجالك المصلحين تسلمون من « أذى » القوم ما دمتم فى هـــذا الصراط المستقيم تجاهدون فى سبيل الله وفى سبيل الجزائر • وسوف لا يردون علينا بالهراوي والعصي لانهم يخافون عقاب الحكومة لا عقاب الله • ولا يردون علينا بالعلم لأنهم (قوم) لا يفقهون •

وانتم أيها المناهضون المشاغبون بغير هدى ولا كتاب منير : لم تحاجون فيما ليس لكم به علم ؟ ولم تقولون على الله ما لا تعلمون ؟ انتهوا خيرا لكم • وهذا صاحبكم الجانى العليوي لم تغن عنه مـــن العقاب شيئا عناية الشيـــخ (أو همته كما تقولون) •

آخر محاولة للسطو بالشيخ ابن باديس ؟

أول محاولة دبرها (القوم) للسطو بابن باديس كانت ـ كما مر ـ في قسنطينة بتاريخ 14 ديسمبر 1926 م ، فكتب الله له السلامــــة ، وباءوا بالخيبة والندامة .

ولكن هل أقلعوا عن غيهم ؟

ذلك ما يحدثنا عنه الشيخ الفضيل الورتلاني رحمه الله . وهو يقص علينا أنباء رحلة الشيخ الى ناحية برج بوعريريج في سبيل الدعوة الى الله ـ التي بنيت على ما جاء في قوله تعالى : « **قُل هذه سبيلي أدعو الى الله على بَصِيرةٍ أنَا ومن اتّبعني وسبحانَ اللهوما أنا من المشركين** » وقوله سبحانـه ـ « **أدعُ الى سبيل ربك بالحِكمةِ والموعِظةِ الحَسنــــةِ وجادِلْهــــم بالتي هــي أحسَنُ** » وكلتا الآيتين مكتوبة في صدر الشهاب كشعار لأسلــــوب ابن باديس في العمــــل .

وقعت هذه الرحلة ـ الى البرج ـ في المحرم من عام 1353 (أبريل ـ ماي 1934 م) ونشرنـــبأها (الشهاب) في عدد صفر ـ مايو . وروى أحداثهــا الشيخ الفضيل الذى رافق أستاذه رحمهما الله.والشهاب يتبين عند مجيء كل نبإ ، والراوي ثقة حريص على تجنب كل الريب .

ولعل الداعي الى محاولة القوم الجديدة توهم العليويين أن الخطر أصبح على أبواب قلاعهم في تلك الجهات ، اذ لا ننسى أن ميمن محمد الشريف ـ الذى تولى كبر محاولة السطو بالشيخ الاولى ـ من قرية الجعافرة حوز مجانة دائرة

البرج،وكان بالبرج نفسه مركز هام لدعوتهم ، وتوجيهها نحو بلاد القبائل التى كان يراد محو كل أثر فيها للطريقة الرحمانية التى تجرأ ابن الحداد ـ أحد شيوخها ـ على تأييد ثورة المقرانى ٠

فلما حل ركب ابن باديس ببلد البرج ، زين لهم ان يتآمروا ، وقرروا ان يحولوا بينه وبين الاتصال بالشعب ان استطاعوا ، اما بتدخل من السلطة الفرنسية نفسها واستعمال حكامها وقوانينها ، وايهامهم بخشية حدوث الفتنة والشجار ٠ واما باشعال نار الفتنة بالفعل ومحاولة الفتك بالاستاذ ٠

يقول الشيخ الفضيل :

« هنا يجب ان أرتب الحديث لاستقصى الادوار التى حاول حزب الشيطان القيام بها وكيف اخفقوا ، وماذا كان موقف حزب الله ازاء جنونهم ٠

بينما نحن فى تبادل اطراف الحديث بين أسئلة دينية وأبحاث علمية ـ اذ بنبا القوم العليويين ومن ضموه اليهم من الطرق الاخرى يرأسهم سى محمد ابن ساعد ـ يتألبون على وفد الجمعية ويظهرون سخطهم عليه ويتآمرون فيما بينهم على ألا تفوتهم هذه الفرصة فى نظرهم دون ان يحدثوا فيها فتنة يشوهون بها الجمعية » اهـ ٠

وهنا يقص الكاتب ان شيخ مدينة البرج كان قد اذن فى الاحتفال بقاعة الافراح ـ وهى قاعة توجد فى كل بلدية تقام بها الاحتفالات الشعبية ، وقد قبل الشيخ ابن باديس ان يلقى فيها الدروس فى الرحلات ، لان المساجد الرسمية ـ محل الدرس الدينى ـ كانت ممنوعة على العلماء ، والزوايا لا تسمح لابن باديس ان يدرس بها ـ واما هذه القاعات فانها تابعة للبلدية ، ويمكن للنواب البلديين المسلمين ان يطالبوا بحقهم فيها فتعطى لهم وهذا ما فعله نواب «البرج» المسلمون ، فاستجيب لطلبهم ٠ ولكن الشيخ المقدم ـ وكان أيضا نائبا بلديا معهم ـ ذهب بمفرده الى شيخ البلدية الفرنسى دون ان يعلمهم ـ ثم لحق به وفد الجمعية الذى جاء ليؤدى زيارة مجاملة ـ فوجدوه عنده ٠ يقول الشيخ الفضيل :

« وجدوا الشيخ المقدم سبقهم عند شيخ البلدة ـ وهو نائب بلدى يصول ويجول ويحتج ضد هذه المحاضرات التى ستلقى بدعوى انها ستثير فتنة ويكون

وراءها ما يكون · ومن جملة ما ذكره ـ في وجوه وفد الجمعية أمام المير ـ ولم يحترمه ! ـ انهم ـ يعني الجمعية ـ بولشوفيك ـ ! ـ يريد بذلك ادخال الريب على المير بهذه الكلمة ··. ظنا منه ـ أو غباوة ـ أن المير لا يفهم البولشفيك أو الكمونيست أو العلماء أو غيرهم من الاحزاب ··· » اهـ ·

واخيرا تساءل « المير » لماذا يخاصمون العلماء ؟ فاجاب القائد : انهم يكرهون العلم لا غير ·

ولم تفد هذه الوسيلة لان شيخ المدينة لم يكن من مصلحته اثارة غضب سكان بلدته ، والمشاركة فى القضاء على الحريات العامة ومنها حق النواب المسلمين فى الاجتماع بمواطنيهم واستعمال قاعة الافراح فاعلن انه سيعطيهم قاعة الافراح ، وسيتكلف كوميسار الشرطة واعوانه بحفظ الامن ، ضد كل تشويش ومشوش ·

ثم يقول الشيخ الفضيل :

« خرج الشيخ المقدم يشبه من قامت عليه البينة فى كبيرة ، على انه لم ينثن عزمه واعاد الكرة ثانيا بصفة مدهشة فجمع حزبه الملفق واغراهم ـ كما قيل ـ على التوحش ، وان يفتكوا ويبطشوا بالاستاذ فانتشر الخبر فى المدينة فما كاد يعمها حتى اجتمع جيش عظيم من الشبان لولا العقلاء من الكبار لانتقموا منهم شر انتقام قبل تحقيق هذا الزعم » ·

ثم روى خبر مجيء خلق كثير من سكان القرى والبوادى ، القريبة من البرج منهم أهالى قرية « قلعة بنى عباس » الذين لم يبلغهم خبر الاحتفال الا فى نفس اليوم ، لولا ذلك لحضر منهم العشرات · وكانت قلعة بنى عباس قلعة الاصلاح ، وهى قريبة الموقع من قرية الجعافرة ·

وهكذا تكون هذه المحاولة آخر ما هم به العليويون فى حياة شيخهم وامامهم الذى توفى بعدها بشهور ـ فى 2 ربيع الآخر 1353 هـ ، وقد توفى ابن باديس فى 8 ربيع الاول 1359 ·

وعند الله تجتمع الخصوم « **إنك ميّتٌ وانهم ميّتون،ثمّ إنكم يوم القيامة عند ربكم تختصمون** »·« **إلى الله مرجعكم جميعاً فينبّئكم بما كنتم فيه تختلفون** » صدق الله العظيم ·

ملحـق أخـير :

واذا كانت هذه آخر محاولة للسطو بابن باديس ـ وقد كان مآلها الفشل كالاولى ، وبيقظة الامة وتحركها ـ فان محاولات هذه الفرقة ـ ضد العقائـد السليمة ، والسنة الصحيحة ، ما تزال متوالية حتى اليوم ؛ فقد تحركت أفاعيها وعقاربها · في المدة الأُخيرة ، ونشطت نشاطا كبيرا .

وبلغني أن الجرأة بلغت بهم أخيرا (1403 هـ) الى عقد (مؤتمر) كبير في قرية (الجعافرة) مسقط رأس المتآمر الاثيم ممين محمد الشريف الذى حاول ان يذبح ابن باديس ، ويسدد السهم القاتل في نحر الاسلام كما قال التبسي، فقد كانت المآمرة ضد الاسلام وأمته ·

فلتكن أمتنا على حذر ، وليعلم المبطلون أننا لهم بالمرصاد ، ولن يكتـب النجاح ـ بحول الله ـ للباطنية والحلولية والاتحاد ـ في وطننا الملتزم بكتاب الله وسنة رسوله · « **والله من ورائهم محيط** » .



القسم الثاني

هــذا القســـم

حاولنا فى هذا القسم ان يعرف قراؤه هذه الطريقة على حقيقتها : ما هى ؟ وما أصلها ؟ كيف نشأت ؟ من هو منشئها ؟ ما هى المبادىء التى كانت تـروج لها ؟ وما هى طرقها فى العمل ؟ ما هى الآثار التى أحدثها ظهورها فى الميدان ؟ ماذا يأخذه عليها خصومها ؟

جواب هذه الأسئلة يؤخذ من ثنايا الفصول التالية ، التى اعتمدنا فيها على مصادر لا يتطرق اليها الشك ، لانها صادرة عن أقطابها ، أو معترف بها منهم ، قد أقروها أو روجوها بأنفسهم ، وسيد الأدلة الإقرار .

تجد فى هذه الفصول التعريف بزعيمهم الأكبر ، منشىء الطريقة ، واسلوبه فى ترويجها ، وتجديدها .

طريقتهم فى عبادة الله وذكره ! الحضرة ، الرقص ، الغناء ، الاعتماد على الأحاديث الموضوعة ، كذب على الصحابة ، أثر الباطنية واليهودية فى (الذكر) وأسلوبه ، الإلحاد فى أسماء الله الحسنى .

القول بالحلول ووحدة الوجود ، الشطحات الصوفية ، شطحات الشيـخ ابن عليوة ، هل يصدق عليها اسم « الشطحات » الصوفية وهل هى من المعفو عنه ؟ أقوال فظيعة واصرار عجيب ! نائمون قلوبهم يقظة .

الفرسان الثلاثة وتسابقهم فى الميــدان

لهذه الطريقة ثلاثة فرسان ، أقوالهم المروية عنهم :

من أقوال الشيخ ابن عليوة : فساد فى اللفظ والمعنى :

علم الباطن وكتمان الرسالة ! نوم يغنى عن ذكر الله ، اثبات الجهة لله ، علامات وصل الواصلين ، عمن ورث الحلول ؟ ليلى وعاشقها تصوير فظيـــع .

هو ذات الرحمن ـ تعالى الله ـ فريد فى الزمن ـ فتشت عليك يالله ، لست سواك يالله ! جنة رضوان فى مستغانم ! ذوق فاسد فى مدح النبىء صلى الله عليه وسلم · أهو اعراض وصدود ؟

من أقوال ابن الحبيب :

فساد فى اللفظ والمعنى أيضا

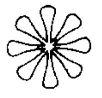
التلميذ نسخة من أستاذه ، الكون فى قبضتى ! رؤية الله جهرا.ضريحه بيت المعمور ! دعوة الناس لشد الرحال اليه ·

رفع الحجاب ومشاهدة الرب ، الخمار الاعظم ، كل غوث وقطب وولى تحت حكمه خاضع له ، الفلك الدوار فى قبضته ·

من أقوال الشيخ عده بن تونس : التلميذ كأستاذيه ·

من رآه ـ فى زعمه ـ رأى الله ! ـ أنت مخلق وغير مخلق ، الواحد ثلاثة والثلاثة واحد ! رسول الله يعلم ما فى الصدور ! الموتى يتكلمون ! مولى سطوة! أعبد الله أم مخلوق ؟ عبادة المخلوق بالدعاء ·

يشتمل هذا القسم فى التعريف بالطريقة وفرسانها على فصول ·



نشـأة الطريقة العليوية

الشيخ أحمد عليـوة من هو ؟ وما هو ؟

بـدع يعترفون بأنهم يعبدون اللـه بهـا

الفصـــل الأول :

الشيخ أحمد بن عليوة هو الذى تنسب اليه الطريقة وهو صاحب هـــذه الابيات المسؤول عنها ، والمستفتى فى شأنها ، وكانت موضوع نقد الشيـخ عبد الحميد بن باديس رحمه الله ومهاجمته وتفنيده ، وقد نشرت الابيات ضمن ديوان (شعر) طبعه الشيخ واذاعه عام 1920 م ، وكان محل تقدير من اتباعه وتأثير فيهم ٠

وكانت الطريقة العليوية ـ التى احدثها ـ وجدد بها الطريقة الشاذلية التى ورثها (قد امتدت فروعها فى الحاضر والبادى ، وتأسست جموعها فى أغلب النوادى (1) ٠٠٠ وكان بعض القبائل يحاول رؤساؤهم بكل إلحاح فى طلب من يصل الى ناحيتهم من رجال هذه الطائفة) (2) ٠

وقد ولد الشيخ أحمد بن مصطفى بن عليوة بمدينة مستغانم أثناء الثلث الاخير من القرن التاسع عشر الميلادى أواخر القرن الثالث عشر الهجرى (سنة احدى وتسعين ومائتين وألف وبها توفى فى 4 ربيع الآخر 1353 هـ ، ودفـن بزاويته العامرة وهو من عائلة شهيرة تخرج منها عدد كبير من القضاة، وينتسب الى جده الرابع فهو أحمد بن مصطفى بن محمد بن أحمد المعروف بالقـــاضى

---

(1) كتاب الشواهد والفتاوى ، ص 5 ٠

(2) كتاب الشواهد والفتاوى ، ص 5 ٠



ابـن عليــوة

ابن محمد ابن الحاج على المعروف عند العامة بعليوة ··· ابن غانم القادم من **الجزائر** بقصد السكنى بها ، (ذكر ذلك صاحب كتاب الحلل المرضية فى شرح الرسالة العليوية ، ص 6) ·

وقال صاحب كتاب : (الشواهد) : (بلغنى ممن يوثق به انه من قبل احتلال الجزائر الى يومنا هذا ـ يعنى عام 1342 هـ ـ مر نحو 6 قضاة من عائلة الاستاذ،آخرهم ابن عم له يدعى الشيخ ابن هشى ابن الحاج حمو بن عليوة(3)اه وقد يدل هذا على عراقتهم فى التعاون مع العدو !

اما الشيخ أحمد نفسه فلم يكن له حظ كبير من الثقافة والعلم باجماع من عرفوه وترجموا له ، وبشهادة آثاره من (الشعر) والنثر ، وقد اعترف بتقصيره فى الطلب وضعف كتابته بالقلم فقال فى نظم رسالته العليوية :

معترفـا بتقصـيرى فيمـا اعلـم وضعـف الانامـل لاخـذ القلـم

وقد زعم شارح هذه الرسالة تلميذه محمد بن الصالح التمسمانى انه : (يعترف رضى الله عنه بتقصيره لما يرجع لمعلوماته الفقهية) صفحة 9 من الشرح وان ذلك تواضع منه (فهو وان لم يشتهر بتعاطى الدروس فى العلوم الظاهرة فقد كان له منها القدر الذى يجعله افقه أهل زمانه) (من أيـن له ؟) قال : (بناء على ان العلم كما قال امامنا مالك رضى الله عنه ليس العلـم بكثـرة الروايات انما هو نور يضعه الله فى قلب من يشاء ·

ثم زعم هذا الكاتب انه ناظر بعض علماء الوقت فبانـت مكانته ، فيمـا تناظروا فيه وقالوا له بلغنا عنك انك **لم تتعاط شيئا من الدروس** فأجابهـم بقوله : (استغفر الله فهو قول الله سبحانه) : « **وتِلكَ حُجَّتنا آتيناها إبراهيم على قومه** » ·

وهذه الحكاية من شارحه وتلميذه تروى عنه انه كان معروفا عند العلماء المعاصرين له انه لم يتعاط شيئا من الدروس ، والمراد تعاطى الطلبة الدارسين لها ، المقبلين على طلب العلم ، واما حضور دروسها ، فان العامـة فى بلادنـا يحضرون ، وهذا الشيخ يزعم ويزعم له ان علمه لدنى ، وروى عنه هذا الشارح

---

(3) كتاب الشواهد والفتاوى ، ص 1 ·

(صفحة 9 ـ 10) ما يؤيد هذا الزعم وانه ذكر له ذات يوم انه اعطى ملكة الفهم وسلامة القريحة ما يجعله يكتفى بختمة واحدة فى تحصيل ما يحتاج اليه ، وانه ختم مختصر خليل ، وألفية ابن مالك مرة واحدة ·

ولكنه مع ذلك كان يتوقد ذكاء ودهاء فى معاملة الناس سواء كانوا من مريديه واتباعه واصدقائه أو كانوا من خصومه ومقاومي طريقته ·

قال عنه الشيخ عبد القادر بن قارة مصطفى التلمسانى : مفتى مستغانم وهو من المعجبين به العارفين بأحواله : (نشأ فى بلده بين اظهر قومه وتربى فى حجر والده وعشيرته **خاملا** متدينا مشتغلا بما يعنيه ، **ولما بلغ الرجولة دخل طريق القوم الصوفية** ··· فتردد بين من شاء من أهلها حتى ظفر بقسمه وظهر بحكم وقته فى تدينه ، مالكى المذهب ، أشعرى العقيدة ، شاذلى الطريقة، يحضر الجماعة والجمعة ويرغب فى الخير » (4) ·

شيخه فى السلوك :

يفهم من شهادة الشيخ المفتي أنه تردد على غير واحد من أهل التصوف وتردد على من شاء منهم ، ولكنه صاحب الشيخ محمد بن الحبيب البوزيدى المستغانمي ، شيخ الطريقة الشاذلية بمستغانم أكثر ، وكانت هذه الطريقة منتشرة فى المغرب والجزائر وتونس وليبيا ومصر ، وهى تنسب الى الشيخ أبى الحسن الشاذلى دفين مصر ، وقد اتصل الشيخ محمد عبده رحمه الله بأحد تلاميذ الشيخ المدني كان مستقرا فيها هو الشيخ درويش وتأثر به ـ والشيخ المدني كان من شيوخها ومقره ليبيا ·

ودامت صحبة الشيخ ابن عليوة لاستاذه محمد بن الحبيب قريبا من خمسة عشر عاما خدمه فيها بأدب ، ولم يال جهدا فى مرضاته ، حتى مات وهو عنه راض ، وبذلك يعترف له عموم اخوانه (5) ·

وفى ذلك يقول الشيخ ابن قارة فى شهادته :

« كنت أشاهده ملازما لشيخه بادب كثير وهو
راض عنه حتى توفى فناب عنه وخلفه » (6)

---

(4) المصدر المذكور ، ص 12 ·
(5) أنظر المصدر السابق فى نفس الصفحة ·
(6) حاشية الشواهد ، ص 5 ·

والادب الجم ، والسلوك الحميد مع الشيخ واكتساب رضاه له أهمية كبرى عند القوم ، وقد يكون السبب الاوحد لنيل خلافته والنيابة عنه بعد مماتـه ، والظفر بـ : « قسمته » ويراد بهذه « القسمة » « نصيبه من معرفة الله الخاصة التى هى غاية كل سالك فى طريق الله عز وجل وما أوجبوا صحبة المشائـخ على المريدين الا من أجلها » (7) ٠

قال ابن عاشر :

يَصحبُ شيخاً عارفَ المسالِكْ   يَقيهِ فى طريقِهِ المَهَالِكْ

تجديد الشيخ أحمد بن عليوة :

توفى الشيخ محمد بن الحبيب يوم الاثنين 10 شوال 1327 هـ (1909م) وخلفه من بعده فى مشيخة الطريقة بمستغانم الشيخ أحمد بن عليوة ، وكان فى عنفوان شبابه وقمة نشاطه ، فاذا كان دخل فى الطريقة لما بلغ مبلغ الرجولة (8) وعاش فى خدمة شيخه المذكور ملازما له ما يقرب من خمسة عشر عاما (9) فان سنه يوم آل اليه هذا الارث ، وتولى قيادة القوم ، وإرشاد (الإخوان) يكـون فى الثلاثينات من عمره قد بلغ أشده ، وكاد يستوي ٠

لم يكتف الشيخ بالأساليب العادية لدى مشائخ الطرق ، أو بما ورثه عن سلفه ـ ومنها إقامة حلقات الذكر التى تدعى (الحضرة) ولها آداب معلومـة عند القوم ، وربما رأى هذه الاساليب عتيقة ، وقديمة بالية ـ بل جدد أساليب الدعوة الى الطريقة ، ونسبها الى نفسها فدعا ، (الطريقة العليوية) أو دعيت هكذا تكريما لنشاطه وبراعته ، ومن أساليب تجديده اتخاذه (الخلـوة) وتهيئته فيها الاسباب للمختلى حتى يتوهم رؤية الله بعينيه جهرة ـ تعالى الله عن ذلك علوا كبيرا ـ أو يرى والديه الهالكين ، أو يرى خوارق للعادة ـ ، ومنها تأسس فرقة للدعاة المتجولين ، تعقد اجتماعات وتتخذ قرارات ، كما يتبين ذلك مما يأتـى :

---

(7) حاشية صفحة 13 من المصدر المذكور ٠
(8) شهادة الشيخ ابن قارة فى كتاب الشواهد ، ص 12 ٠
(9) كتاب الشهائد ، ص 5 ٠

الخلـــــوة :

« هي بيت يدخله من مريديه تارة واحد وأخرى هى ٠٠٠ ولا يتجاوزون لعدد أصابع اليدين الا واحدا ٠٠٠ مرسوم بهذا البيت أمام المريد « اللـــه » ينظر اليها أيام اقامته بالخلوة التى يفقد فيها الاكل ولا يخرج منها حتى يشاهد (الله) جهرة أو يرى أبويه الهالكين أو شيئا آخر ، واذا خرج المريد من الخلوة صار محبا للشيخ وأخا مخلصا لمريديه عدوا أزرق عن عاداهم (10) ٠

ومن التنظيم الذى رتبه الشيخ للمريدين ان يعقدوا اجتماعات تنعقد من هؤلاء المريدين شبه جمعية فدائية آونة أو شبه لجنة تنشر الدعوة غالبا ٠

ففى الحالة الاولى تبحث عمن يستنقص الشيخ أو يجرح عواطفه لكى تحل به غضبها وتنتقم منه لشيخها ، وقد تكررت اعتداءاتها على من لم يؤمن بغوثية شيخهـــا ٠

وفى الحالة الثانية ينتقل بعض أعضائها فى البلدان ويتحدثون عن الشيخ وما له من الاسرار ، ويشترون بعض أصحاب الذمم الخربة ممن ينتسبون للعلم لكى يشهد لشيخهم ، أو يؤلف كتابا باسمه يصطادون به البسطاء ويغرونهم بانه عالم كبير بل بحر لا ساحل له (11) ٠

كتاب الشهائد والفتـــاوى :

والكاتب يشير بقوله المنتسبين الى العلم ٠٠ ــ بلا شك الى مثل صنع الشيخ محمد بن عبد الباري التونسي الذى أقدم على نشر كتاب باسمه سماه « الشهائد والفتاوى فيما صح لدى العلماء من أمر الشيخ العلاوى » وطبعه فى المطبعـــة التونسية ، وجعله ردا مباشرا على رسالة الشيخ عبد الحميد بن باديس التى عنوانها « جواب سؤال عن سوء مقال » والتى قرظها كبار علماء تونس والجزائر والمغرب ، وضللوا من تجرأ على مقام النبوة ، واساء الادب مع من أمرنا بتعزيزه وتوقيره وحبه عليه الصلاة والسلام ، واعلنوا تصحيحهم لما قال ابن باديس وتأييدهم لموقفـه ٠

---

(10) جريدة الشهاب عدد 78 يوم الخميس 2 رجب 1345هـ ــ 6 جانفى 1927٠
(11) المصدر السابق ٠

كما كان ذلك الكتاب ردا على حملة صحفية كاشفة لما تعلنه طائفة العليوية خصوصا وبعض رجال الطرق الصوفية عموما من أقوال أو أعمال منافية للشريعة الاسلامية مصادمة لها وما تتركه فى الامة من آثار سيئة دينية واجتماعية ٠

وقد زعزعت هذه الحملات : ـ برسالة ابن باديس ، وبمقالات أصحابه من المصلحين ودروسهم ـ زعزعت نفوذهم وهددت أركان بنيانهم ، وتحرجوا منها ، أيما حرج ، وزرعت الشك فى عقائدهم وفى شخصية وأقوال وأعمال شيخهم ، وكان قبل هذه الحملة قد انتشر نفوذهم أنتشارا عظيما فامتد الى المغرب والى تونس ، واجتاز البحر الى فرنسا وبريطانيا ، وكادت الطريقة العليوية (تبتلع) غيرها من بقية الطرق الصوفية وتعفى على آثارها بفضل تنظيمها ونشاط دعاتها ، ودهاء شيخها ٠

لم يكن مؤلف كتاب الشهائد والفتاوى من علماء تونس البارزين وكتابها المشهورين ، لهذا لم يعتمد على الرد العلمي ، ومقارعة الحجة بالحجة والبرهان بالبرهان ، وانما عدل الى التماس شهادات رسمية مستخرجة من المحاكم الشرعية بوثائقها وتسجيلاتها ودفع أجورها كما فعل لما التمس شهادة محكمة مستغانم الرسمية ٠

وقد ختمت الشهادة بقول الموثق التقليدى « شهد به من علمه وتحققه بتاريخ السابع عشر جانفى سنة 1924 م ، اجرته بترجمته أحد عشر فرنكا وخمسة وعشرون سانتيما وواجب السطور ثلاثة فرنك وأثنا عشر سانتيما قبض الكل تحت عدد 363 بادارة الدومين بمستغانم يوم 18 جانفى 1924 م ، ٠٠٠ الخ (12)٠

وهكذا فليكن الرد وليجدد أسلوب النقد !

لقد اكتفى صاحب الكتاب بتوجيه اسئلة يوجهها الى اشخاص معينين ويتلقى اجوبتها ثم يسجلها كما تقدم ٠ من هذه الاسئلة ما وجه الى مفتى مستغانم يقول فيها : هل اتضح عندكم من سيرة الشيخ ما يخل بالشرع

---

(12) كتاب الشهائد ، ص 11 ٠

الشريف ؟ وهل هو عندكم ممن يعضد السنة والجماعة ؟ وهل ما جرى على لسانه من الشطحات كان مسبوقا بمثلها ؟ وهل ما أعتاده اتباعه من الرقص بالذكر والتغنى بالاشعار هو عندكم مما لا شبهة فيه ؟ (13) ٠

وقد كان الذين وجهت اليهم الاسئلة فاجابوا ، وشاركوا بأجوبتهم فى تأليف هذا الكتاب اما علماء موظفين ، متصلين بالادارة الفرنسية خاضعين لنفوذها ؛ معرضين لسطوتها وانتقامها ـ وأعظم بارهابها وانتقامها فى تلك الايام ـ ! (1924 ـ 1925 م) ، من قضاة ومدرسين ورجال الافتاء ، واما أجانب عن الموضوع ليسوا من أهل العلم ولا يدعونه كنواب المجلس وأعضاء البلديات ورؤساء القبائل ، واما علماء منسبين الى العلم خاملا ذكرهم مجهولة أسماؤهم فى المغرب أو فى تونس أو فى بعض جهات الجزائر ٠

ومن الملاحظات التى لابد أن تلفت الانتباه ان « المؤلف » وجه أسئلته الى قاضى تلمسان الشيخ شعيب رحمه الله ، وكان هذا الشيخ ممن قرظ رسالة الشيخ عبد الحميد بن باديس وعلق عليها ، فتحرج موقفه ، ولم يربدا من قوله يخاطب سائله التونسى (لما عزمت على الجواب حصل لى ألم اضنانى فامليت على ولدى هذه الكلمات ٠٠٠ وهى أننى اكتفيت بجواب الشيخين المفتيين ٠.. حيث انى كنت عازما على القول فيها بمثل ما قالا ، ولانهما ادرى منى بحاله٠٠٠، ويعنى بالشيخين : عبد القادر بن قاره مصطفى مفتى مستغانم وضواحيها ، ومحمد ابن الحاج علال مفتى تلمسان ونواحيها ويقول : (لكون الأول ببلده ومصره ، والثانى عاشره مدة سبعة وعشرين عاما » (*) ٠

وهذا تملص واضح من الشيخ شعيب ينجو به من مخالب من أراد به سوءا اذا لم يجب ، ولا يوقعه فى تناقض مع تقريظه لرسالة ابن باديس وبتعليقه بقلمه عليها ٠

اسلوب اجدى فى المقاومة :

ولم يغن هذا الكتاب عن أصحابه شيئا فى دفع الاثر الكبير الذى تركته رسالة (جواب سؤال عن سوء مقال) على موقفهم وموقف شيخهم خصوصا وقد

---

(13) المصدر المذكور ، ص 12 ٠
(*) كتاب الشهائد ، ص 23 ٠

دعمت من قبل اشهر علماء تونس والجزائر والمغرب الذين اطلعوا على ما جـاء فيها واقروه وأيدوه وضللوا صاحب الشطحة الصوفية بذلكم الشعر السخيف البارد كما وصفه قاضي الجماعة بتونس الشيخ محمد الصادق النيفر · ومـن نشر الرسالة واشتهارها توالت الهجمات الصادقة العنيفة على أقوال وأعمال القوم المنتسبين الى الصوفية ، عندنا ، وكشف أمرهم ، وانهم لا يمثلون طريق الصوفية كما هى سيرة اقطابهم لم ينفع هذا الكتاب ، ولا مقالات صحيفتهـم (لسان الدين) ولا تقلب جريدة (النجاح) ووقوف أصحابها فى جانبهـم ، خاضعين لاساليب الترغيب والترهيب معلنين توبتهم من موقف لهم سبق فى نشر بعض مقالات المصلحين ·

لهذا قرروا أن يردوا على المصلحين بأسلوب آخر يملكون وسائله ويتقنون فنونه ، هو أسلوب العنف ومحاولة الفتك بهم · كما وقـع مـع الاستـاذ ابن باديس رحمه الله ومع كاتم سره السيد أحمد بوشمال ·

مقاتـل العليويـين والمبتدعـين :

كان من مقاتل خصوم الإصلاح عبادة الله (بالرقص) ، وما يقع فيها من قول وفعل ينافى السنة وان حرصوا على الادعاء انهم يلتزمون بها ، واقامـة (الحضرة) ، وإعلان الشطحات من أقوال تؤذى الله ورسوله كالقول بالحلول، ووحدة الوجود . واتهام النبىء صلى الله عليه وسلم بالدلال والترفع عليهم ، ودعوته الى المحاكمة أمام الله كما تضمنتها الابيات التى انتقدها ابن باديس وأخيرا الالتجاء الى العنف والاقدام على محاولة الاغتيال لخصومهم ·

الحضرة ـ عبادة الله بالرقص :

هذا ما كان ينكره حزب الاصلاح على الطرقيين عموما وقد التزمه العليويون ودافعوا عنه ووضعوا له آدابا واسماء ، ورفعوا سنده الى الصحابة رضوان الله عنهم ، واستشهدوا بأحاديث لا يعترف بها المختصون من رجال الحديث ولا تصح عندهم ولا تستحسن · يقول الشيخ عبد القادر بن قاره مصطفى مفتى مستغانم فى جواب سؤال نصـه : هـل ما اعتاده أتباعه مـن الرقص بالذكر والتغنى بالاشعار هو عندكم مما لا شبهة فيه ؟

« الذكر على هذا الوجه هو المعروف عندنا (الحضرة) ، وهي اذا كانت مستوفية لشروطها وآدابها المعلومة عند القوم ... سالمة من الموانع الشرعية لا شبهة عندنا فيها (14) .

والحضرة (عبارة عن اجتماع الذاكرين لله تعالى على وجه مخصوص وكيفية معلومة ...) أذكارها دائرة بين الهيللة (لا اله الا الله) والاسم الاعظم : اسم الجلالة (الله) واسم الهوية (هو) ، واسم المتاوهين المعنون عنه باسم الصدر (اه) اقتطافا من اسم (الله) اكتفاء بأوله وآخره - وعدوا ذلك من خواصه ، واسم المتولهين (هو) باسكان الواو سكونا ميتا أو (هـ) بلا واو على تدريج وترتيب عندهم على حسب حال الذاكرين .

رقص وغناء يرفع الى حضرة القدس !

ثم يقول وكيفيتها (الحضرة) التحلق والاهتزاز بحركة متزنة مع شيء من السماع للتشقق والتنشيط ، وقصدهم بذلك جمع القلوب على طاعة الله ، واستعمال الجوارح في طاعة الله عز وجل ، ودفع الكسل والفتور والنوم وجريان المدد بين المجتمعين من القوم ، وقد جربوا ذلك فوجدوا له خاصة في تنويم القلب وتهييج سلطان الحب والزج بصاحبها في حضرة القدس والانس والقرب . وقد قال سيدي أحمد بن يوسف ... ذكر (الحضرة) أوله لسان ووسطه قلب وآخره روح (15) .

افتراء على الصحابة

ومن أنكر المنكر ان يستدلوا لشرعية هذه (الحضرة) بعمل بعض الصحابة والتابعين ، ذكروا ان بعض أهل التفسير : - الالوسي - نقل ان ابن عمر وعروة ابن الزبير وجماعة من الصحابة خرجوا يوم العيد للمصلى فجعلوا يذكرون الله تعالى فقال بعضهم لبعض أما قال الله تعالى : « **يذكُرون اللَّهَ قياماً وقُعوداً وعلى جُنُوبِهم** » ؟ فقاموا يذكرون الله على أقدامهم (16) .

---

(14) ص 16 من كتاب الشهائد - الشهادة الثانية .
(15) ص : 16 و 17 من كتاب الشهائد - الشهادة الثانية .
(16) الشهائد ، ص 16 حاشية .

لو صح النقل والخبر ، واستقام عند ارباب الصناعة فليس فيه اذن باجتماع القوم ، والقيام ، والجهر ، والتطريب والتلحين ولروى عنهم بجماعة مستفيضة ، لو صح لما دل مطلقا على (الحضرة) التى عرفت عن القوم وصورها بأمانة قلم الشيخ المفتى ، وحدد لها شروطها وآدابها ، وعين لها الفاظا ليس فيها ما هو من الذكر الشرعى سوى كلمة « لا إله إلا الله » ووضع لها أسماء الهيللة ، والاسم الاعظم واسم الهوية وهو اسم المتأوهين والمعنون عنه باسم الصدر واسم المتولهين ، أما كلمات (هو) و (اه) و (هـ) الخ فانها بأصوات الحيوانات العجمى أشبه منها بأصوات العقلاء ·

وأما الاهتزاز والرقص فقد احتجوا له بما زعموه مرويا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم « ليس بكريم من لم يهتز عند ذكر الحبيب ··· سبق المهتزون بذكر الله ··· يضع الذكر عنهم أثقالهم فيأتون يوم القيامة خفافا » ورائحة الوضع تفوح من هذا الكلام · ومنذ عهد السلف كان من أكبر الوضاعين للحديث جهلة المتصوفة ·

وضع حديث عن أبي بكر

كما احتجوا له بما روى ان أبا بكر الصديق رضي الله عنه لما تبرع بماله كله وجاء به لرسول الله صلى الله عليه وسلم ـ فى التهيؤ لغزوة تبوك ـ سأله « ماذا أبقيت لأهلك ؟ قال : ابقيت لهم الله ورسوله » ·

فهذا حديث رواه الترمذى وأبو داود من أهل السنن ، ولكن الوضاعين زادوا فيه زيادة وضعوها ولم ترو لا بسند صحيح ولا ضعيف · قال الدكتور محمد سعيد رمضان البوطي : « اختلق بعضهم زيادة فى الحديث ان النبى (ص) قال له يا أبا بكر ان الله راض عنك فهل أنت راض عنه ؟ فاسفزه السرور والوجد وقام يرقص أمام رسول الله صلى الله عليه وسلم قائلا كيف لا أرضى عن الله ؟ ثم ذهبوا يجعلون من هذه الزيادة المختلقة دليلا على مشروعية الرقص والدوران فى حلق الذكر ··· فهو دليل مختلق لم يثبت فى حديث صحيح ولا ضعيف ان أبا بكر قام يفعل ذلك » وأقره رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وهو لا يقر أحدا على فعل حرام بحضرته ·

ثم قال الدكتور : « فإدخال الرقص ـ مهما كانت كيفيته فى ذكر الله تعالى إقحام لما هو مكروه أو محرم فى عبادة مشروعة ··· اضف الى ذلك ما يتلبس به حال هؤلاء (الذاكرين) من التفوه بأصوات ليست من ألفاظ الذكر فى شيء وانما هى حمحمات وهمهمات تصعد من حلوقهم ليتكون منها دوى متناسق معين ينسجم مع تواقيع المنشدين والمطربين ··· كيف يكون هذا العمل عبادة والعبادة ـ كما نعلم ـ هى ما شرعه الله تعالى فى كتابه أو سنة رسوله لا يزاد عليها ولا ينقص منها » ؟

ثم نقل الدكتور عن الإمام عز الدين بن عبد السلام قوله :

« واما الرقص والتصفيق فخفة ورعونة مشبهة لرعونة الإناث ، لا يفعلها الا راعن أو متصنع كذاب » ·

وقال الدكتور : واعلم ان هذا الذى نقوله هو ما أجمع عليه علماء الشريعة فى مختلف العصور » انظر كتابه « فقه السيرة » فى كلامه على غزوة تبوك · صفحات : 408 ـ 409 ـ 410 ، طبعة جديدة ـ دار الفكر ـ بيروت ·

النسبة الصحيحة لذكر الصدر

ولعل النسبة الصحيحة للذكر الذى عنون له المفتى باسم المتاوهين ـ وقال عنه أنه (اهـ) وأنهم فيه « يذكرون الله بصدورهم دون السنتهم ويكرون مثل السباع » (17) وأنه عندهم « ذكر أهل الحقيقة ··· وذكر أهل الفراسة الصحيحة ··· فاذكر ولا تنكر ومن أنكر فقد أنكر الحق وأهله (18) لعل النسبة الصحيحة لهذا النوع من الذكر أنه يهودي المصدر ، وليس بإسلامي ، ولا يرتفع الى الصحابة الأبرار الأخيار ، ولكن يرتفع الى التوراة التى شهد الله أنهم حرفوا وبدلوا وغيروا فيها ، وحتى على فرض النص فيها فانه منسوخ ما لم يجدده شرعنا ·

وجزى الله الغفلة أو (الذكاء الخارق) لصاحب كتاب الشهائد الذى نقل النسب الحقيقي لهذا النوع من الذكر اذ قال ـ وهو يتحدث على المخترعين لهذا

---

(17) الشهائد ، ص 17 ·
(18) الشهائد ، ص 18 ·

النوع ويزعم أنهم ألهموا اليه الها ما ثم اقرهم على الهامهم النبيء صلى الله عليه وسلم والخضر ـ قال ما نصه: «قال الاستاذ ومما يشعرنا بصدق الهامهم ويزيدنا استغرابا في توفقهم لما هنالك هو موافقتهم بتكرير صدورهم اسما من اسماء الله تعالى صرحت به التوراة في سفر الخروج 19 ثم ينقل أن موسى سأل ربه عن اسمه وهو يناجيه فقال « اهيه » ، وانه أمره أن يبلغه الى بني اسرائيل ، وانه اسمه الى آخر الدهر ، وبه ذكره الى آخر الاجيال ، ونقل عن مختصر القاموس أن « يهوه » من اسماء الله بالعبرية » (20) ٠

فالواضح أن القضية ليس فيها الهام وتوفق ، وانما فيها تسرب أو نقل وتسريب والمحققون من علماء السنة وغيرهم أن أغلب طقوس القوم جاءت من مذهب الباطنية ، وقد حقق ذلك شيخ المؤرخين عبد الرحمن بن خلدون ٠

ولله الأسماءُ الحسنى فادعُوه بها :

جواب الشيخ المفتي عن الكيفية السابقة في (الحضرة) والذكر بها وانه لا شبهة عنده فيها كلام بعيد عن التحقيق ، بل يأباه الشرع كل الاباء ، وقد أجاب عنه جواب أحد اتباع الطريقة الصوفية المنهمكين في بدعها ، وليس جواب عالم في عنقه امانة علمية عليه ان يؤديها ، لان ذكر الله سبحانه ـ وهو مما أمر الله به المؤمنين في قوله تعالى : « **يا أيها الذين آمنوا اذْكُروا اللهَ ذِكراً كثيرا** » وقوله في مدح أقوام منهم الذاكرون : « **والذّاكرين اللهَ كثيراً والذّاكراتِ** » لا يكون الا بما يوافق الكتاب والسنة ٠ وكل خروج (عن الذكر الشرعي الى ذكر محرف يخالف الكتاب والسنة والاجماع ٠٠٠ الذكر الذى لا يوافق قوله تعالى : « **فاعلَمْ أنه لا إله إلا الله** » ، وقوله تعالى : « **اللهُ لا إله إلا هو الحي القيوم** » ولا قوله صلى الله عليه وسلم (أفضل ما قلته أنا والنبيئون من قبلي لا إله إلا الله) وغير ذلك عن الآيات والأحاديث الصحيحة ـ حرام بإجماع الائمة ومردود على فاعله (21) بنص الحديث المتفق عليه (من أحدث في امرنا هذا ما ليس منه فهو رد) وفي رواية لمسلم (من عمل عملا ليس عليه أمرنا فهو رد) ٠

---

(19) صفحة 18 ٠
(20) انظر صفحة 18 (حاشية) ٠
(21) الابداع في مضار الابتداع ، 183 ٠

ومما لا شك فيه ان تحريف اسماء الله تعالى من أقبح البدع المحرمة ، فالانسان العادى المحترم لا يحرف اسمه ، ولا يرضى به ، ولا يرضى له به ان وقع ، واسماء الله سبحانه توقيفية مروية عن رسول الله وجاء بها كتاب الله ، ووصفها بالحسنى وأمر ان يدعى بها : « **ولله الأسماءُ الحسنى فادعوه بها وذرُوا الذين يُلحِدون في أسمائه** » فالوعيد الشديد لمن ألحد فى اسمائه تعالى بإجماع فى جميع الاوقات،فهم يذكرون الله ويعبدونه بالسيئات فيصيرون من الذين ضل سعيهم فى الحياة الدنيا وهم يحسبون انهم يحسنون صنعا (22) .

الرقص عند الذكر فعل اليهود :

لا سند لهم فى الرقص عند الذكر من كتاب الله ولا من سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ولا من فعل السلف الصالح في خير القرون ، وقد حقق العلماء سند فعل الراقصين عند الذكر . قال ابن الحاج فى المدخل .

(واما الرقص والتواجد فاول من أحدثه أصحاب السامري ، لما اتخذ لهم عجلا جسدا له خوار قاموا يرقصون حواليه ويتواجدون ، فهو دين الكفار وعبّاد العجل (23) . ونقل القرطبي عن الامام الطرسوسي انه سئل عن قوم في مكان يقرأون شيئا من القرآن ثم ينشد لهم منشد شيئا من الشعر فيرقصون ويضربون بالدف والشبابة ، هل الحضور معهم حلال أم لا ؟ فأجاب : (مذهب السادة الصوفية ان هذا بطالة وضلالة ، وما الإسلام إلا كتاب الله وسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، واما الرقص والتواجد فاول من أحدثه أصحاب السامري ... وانما كان مجلس النبىء صلى الله عليه وسلم مع أصحابه كانما على رؤوسهم الطير من الوقار ، فينبغي للسلطان ونوابه ان يمنعوهم عن الحضور فى المساجد وغيرها ، ولا يحل لأحد يؤمن بالله واليوم الآخر أن يحضر معهم ولا أن يعينهم على باطلهم ، هذا مذهب مالك والشافعي وأحمد وأبى حنيفة وغيرهم من أئمة المسلمين (24) .

---

(22) الابداع ، 187 .
(23) الابداع ، 190 .
(24) الابداع ، 190 .

وقد يزين الشيطان لهم أعمالهم فيتوهمون انهم بالرقص والاهتزاز والغناء والسماع قد فتحت لهم الأبواب (حضرة القدس) ووصلوا ونالوا الكرامة والرضى • ويعجبنى ما أجاب به إمام العارفين أبو على الروذ بادي لما سئل عمن يسمع الملاهي ويقول هى لي حلال لانني قد وصلت الى درجة لا يؤثر في اختلاف الاحوال،فقال رضي الله عنه : « نعم قد وصل ، ولكن إلى سقر » (25) •

الفصل الثانى :

القول بالحلول ووحدة الوجود :

من أشد ما انكر على العليويين وشيخهم ، ووقع من أجله الصدام بينهم وبين خصومهم وسالت فيه أودية من المداد فى الصحف والكتب والمجلات ـ القول بالحلول ، ووحدة الوجود ، وهذا القول ليس من مخترعاتهم ، وابتكاراتهم ، ولكنهم مسؤولون عن الاخذ به وترويجه وفتنة دعوة الناس اليه ، فهو مذهب أخذت به جماعة من (المتصوفة) المتأخرين كما صرح به ابن خلدون فى مقدمته عندما تكلم على التصوف ، ولم يسلم لهم بل رده عليهم الفقهاء وأهل الفتيا وتعرضوا لنقمتهم وتكفيرهم •

وفحوى هذا المذهب : (•أن المولى جل وعلا متحد بمخلوقاته) •

قال ابن خلدون : (وهذا الاتحاد ـ هو الحلول الذى تدعيه النصارى فى المسيح عليه السلام ، وهو أغرب لانه حلول قديم فى محدث ـ أو اتحاده به ، وهو أيضا عين ما تقوله الامامية من الشيعة فى الائمة (26) ويكفيه شناعة ان يكون مذهبا للنصارى الذين كفرهم القرآن بهذا القول ، وهو مذهب للشيعة الامامية الاسماعلية وكيدهم للاسلام معلوم •

ثم بين ابن خلدون أن الاتحاد فى كلامهم على طريقتين : الاولى ان ذات القديم كائنة فى المحدثات محسوسها ومعقولها ، متحدة بها من المتصورين ، وهى كلها مظاهر له ، وهو القائم عليها ، أى المقدم لوجودها ، بمعنى لولاه لكانت عدما (27) •

---

(25) الابداع ، 191 •

(26) مقدمة ابن خلدون فصل التصوف ، ص 870 •

(27) انظر الفصل المذكور فى المقدمة •

أما الطريقة الثانية فهى القول بوحدة الوجود، ونفى الغيرية بين القديم وبين المخلوقات فى الذات والوجود والصفات وقالـوا : « لا وجود ـ بالحقيقة الا للقديم لا فى الظاهر ولا فى الباطن » (28) ، وبعد بسط ومحاولة شرح لهذا المذهب قال : « وربما قصد بعض المصنفين بيـان مذهبهم فى كشف الوجود وترتيب حقائقه فأتى بالاغمض فالاغمض بالنسبة الى أهل النظم والاصطلاحات والعلـوم (29) ·

الـــر الـرافضية :

ثم حقـق ابن خلدون ان متأخري الصوفية قد خالطوا الرافضية وأخذوا عنهـم مذهبهم وأقوالهم · ثم ان هؤلاء المتاخرين من الصوفية والمتكلمين فى الكشف وفيما وراء الحس توغلوا فى ذلك فذهب الكثـير منهم الى الحلـول والوحدة كما أشرنا وملأوا الصحف منه مثل الهروى وغيره وتبعهم ابن عربى (يعنى محيى الدين بن عربى الحاتمى المتصوف وهو غير أبى بكر بن العربى امام أهل السنة وصاحب كتاب أحكام القرآن وغيره) ـ وابن سبعين تلميذهما ثـم ابن العفيف وابن الفارض والنجم الاسرائلى (تأمـل الاسرائلى !) فـى قصائدهم وكان سلفهم مخالطين للاسماعلية المتاخرين مـن الرافضة الدائنين بالحلول والهية الائمة مذهبا لم يعرف لاولهم (30) · يعنى المتقدمين من أهل التصوف المصرحين بالتزام كتاب الله وسنة رسول الله فى عقائدهم وعاداتهم ·

وقـد استند المصلحون فى الـزام العليويين وشيخهم وبعض المتصـوفة المعاصرين بمذهب الحلول على أقوال رويت عنهم ، ونسبت اليهم ، وروجت باسمائهم طبعا ونشرا فلم ينكروها ، ولم يتبرأوا منها ، واذا وود فيها ما ينكر ويخالف كتاب اللـه وسنة رسول اللـه صلى اللـه عليه وسلم ونبهوا اليه فقصاراهم ـ ان قامت عليهم الحجة ـ قولهم : بانه شطحة من الشحطات التى تقال في الغيبوبة عن الوجود ·

---

(28) أنظر صفحة 871 ·
(29) المقدمة ، صفحة 872 ·
(30) المقدمة بحث التصوف ·

انكار الفقهاء وأهل الفتيا :

وذكر ابن خلدون أن كثيرا من الفقهاء وأهل الفتيا انتدبوا للرد على هؤلاء المتأخرين فى هذه المقالات وأمثالها ، وشملوا بالنكير سائر ما وقع لهم فى الطريقة وذلك أربعة مواقف ·

1 ــ الكلام على المجاهدات وما يحصل من الاذواق والمواجد ومحاسبة النفس على الاعمال لتحصل تلك الاذواق التى تصير مقاما ويترقى منه الى غيره ·

2 ــ الكلام فى الكشف والحقيقة المدركة من عالم الغيب ···

3 ــ التصرفات فى العوالم والاكوان بأنواع الكرامات ·

4 ــ الفاظ موهمة الظاهر صدرت من كثير من أئمة القوم يعبرون عنها فى اصطلاحهم بالشطحات فتستشكل ظواهرها ، فمنكر ، ومحسن ، ومتأول (31) وقد فصل الكلام فى ذلك بعض التفصيل فليراجع ، ولكن يهمنا أكثر القسم الأخير وهو :

الشطحات متى يؤاخذ عليها ومتى لا ؟

أطلقوا لفظ الشطحات ــ فى اصطلاحهم ــ على الألفاظ الموهمة المشكلة الظاهر ولو أخذ بظاهرها لكانت قاطعة بردة قائلها والحكم عليه ، فما حكمها اذا صدرت من احدهم ؟ فرقوا بين ان تصدر منه وهو فى حالة اليقظة وكمال الوعي وبين ما اذا كان فى حال الجذب وغيبة عن الحس،وفى هذا فرقوا بين من اشتهر بالفضل وأتى بمخرج وبين من لم يشتهر بذلك أو لم يأت بمخرج ، قال ابن خلدون :

··· الانصاف ــ فى شأن القوم ــ انهم أهل غيبة عن الحس والواردات تملكهم حتى ينطقوا عندها بما لا يقصدونه ، وصاحب الغيبة غير مخاطب والمجبور معذور فمن علم منهم فضله واقتداؤه حمل على القصد الجميل من هذا وأمثاله ··· ومن لم يعلم فضله ولا اشتهر فمؤاخذ بما صدر عنه من ذلك اذ لم يتبين لنا ما يحمله على تأويل كلامه ·

---

(31) المقدمة ، صفحة 880 ·

واما من تكلم بمثلها وهو حاضر فى حسه لم يملكه الحال فمؤاخذ أيضا ، ولهذا افتى الفقهاء وأكابر المتصوفة بقتل الحلاج لانه تكلم فى حضور وهو مالك لحاله (32) ·

الفصـــل الثالـث :

ابن باديس يهاجــم (شطحة) خطيرة

أخذ العليويون بمذهب متاخرى الصوفية ولم يكتفوا برواية (شطحات) من سبقهم ، ولكن شيخهم نشر ديوانا شحنه بالالفاظ الموهمة التى لا يمكن سكوت الفقهاء ولا أهــل الفتوى عليها ، وهذا ما فعلــه الشيخ عبد الحميــد ابن باديس فى رسالته (جواب سؤال عن سوء مقال) وقد انتقى من ذلــك (شطحة) تناولت مقام النبى صلى الله عليه وسلم ، وقدم اليه سؤال بشانها فتردد أولا فى الجواب عنه ثم عزم وصمم فرد ـ بالحجة والبرهان ـ ورفض ان يقــدم مسلم صحيح الايمان على ما أقــدم عليه صاحب الشطحة ونصحه واتباعه بالتزام كتاب الله وسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وكان ذلك عام 1340 هـ (1922 م) ، وقد نشرت هذه الرسالة فى مكان آخر مـن هــذا المــؤلف ·

ولما انشأ المنتقد ثم الشهاب عام 1343 هـ (1925 م) توالت هجماته وهجمات الكتاب المصلحين على تصرفات هؤلاء المتأخرين من الصوفية المعاصرين وعــلى عبادتهم الله بالرقص وعلى النطق بمثل هذه الشطحات وترويجها فى الكتب وتضليل المتمذهبين المسلمين بمذهب الحلول ووحدة الوجود ، وعــلى مواقفهم السياسية واتصالهم بالمستعمرين ، وتارة برجال المسيحية أو بالمبتدعين مثل القديانيين ·

(الشهاب) يهاجم الرقصات والشطحات :

كان الشهاب ـ بعد المنتقد ـ لسان حال الفقهاء وأهل الفتيا فى عصره ومصره فلم يكن ليقــر ذكر اللــه بالحضرة ، أو بالرقص والسماع والشطحات التى

---

(32) المقدمة : فى الكلام على التصوف · والحلاج هو الحسين بن منصور امام القول بالحلول ، وقد حوكم وشهد عليه أقرب الناس اليه وحكم باعدامه وكان فيمن ادانه صوفية حضروا محاكمته وحكموا عليه ·

تصدر فى الغيبوبة ـ كما يزعم ـ ثم تنشر وتطبع وتروج ، وكان يكتب فى الشهاب فطاحل العلماء والكتاب المفكرين وخصوصا من أهل الجزائر والمغرب الاقصى،ولم تكن لاهل المغرب ـ آنذاك ـ صحيفة حرة يتنفسون فيها فاتخذوا من الشهاب متنفسا لهم ، وكان بالمغرب من هؤلاء الصوفية المتاخرين ، ومن أهل الحضرة أو (العمارة) الذاكرين الله بالرقصات والشطحات مثل (ما) بالجزائر أو أكثر وأخطر ، والطريقة الدرقاوية منتشرة فيه ، وشرعت العليوية تنتشر به . ومن أشد الهجمات على هؤلاء الذاكرين (الغنائين) ما نشر فى الشهاب العدد 76 بامضاء (مسلم غيور) من فاس ، ولا شك أنه أحد علماء القرويين الفحول نشير اليه فيما يأتى ، فلما وقع الاعتداء على ابن باديس ترك أثره كبيرا فى المغرب الاقصى .

ومن الملاحظ أن خبر الاعتداء الواقع على شخصية الشيخ عبد الحميد ابن باديس وارادة الفتك به ليلة 9 جمادى الآخرة 1343 هـ الموافق 14 ديسمبر 1926 م نشر بنفس هذا العدد الصادر فى 18 جمادى الآخرة الموافق 23 ديسمبر 1926 .

القوم فى الحضرة :

وقد جاء فى المقال ـ وما تبعه ، ذكر حركاتهم وأقوالهم فى شطحاتهم مما يثبت عليهم الحلول ووحدة الوجود والتصرف فى الكون مما لو أخذ على ظاهره لكانوا مرتدين لا يعفيهم من الارتداد أحد علماء المسلمين .

قال :

« لعلك تتساءل أيها القارىء الكريم ـ ما قصدهم بهذه الشطحات ؟ وما معنى تسميتها بالحضرة ربما كان قصدهم الاولى من ابتداعها ترويح النفس من عناء العبادة وطول المراقبة والمشاهدة ومشقة الجهاد الاكبر جهاد النفس ، ولو وقفوا عند هذا الحد لخف الامر وهان وقلنا كما قال الغزالى (الرقص حماقة بين الكتفين لا تزول الا بالتعب) لعل القوم اجتهدوا فاخطأوا ـ وسبحان من لا يجوز عليه الخطأ وهذه معصية كبرى أتوها بجهالة « **وكان أمرُ اللّه قدراً مقدوراً** » عسى الله ان يرحمهم وان تابوا يتب الله عليهم » .

« ولكن هيهات هيهات ! أنى لك بالتماس الاعذار لهؤلاء ... القوم يرفعون عقيرتهم حتى تشق عنان السماء ، صباح مساء . ان لهم فى تلك السويعات أوقاتا مع اللـه عندهم فيها المراقبة والمشاهدة والخلوة والجلوة ، فيها يفتح اللـه لهم البصائر والابصار ، وتخرق لهم الحجب والاستار ، تكشف لهم المعارف والاسرار ، ويخلعون العذار ، عن عالم الفناء والاغيار ، الى عالم الشهود والوجود المطلق !

هنالك تتجلى لهم الحقائق ، وتنجلى لهم الدقائق الخفية والرقائق ، وتدار عليهم الكؤوس ، ابهى من الشموس ، وتسفر لهم ليلى عن وجهها اللثام ، وتحط عن محاسن محياها الخمار ، وقد انقطع الغير ، وزال البين وامتزجت الذات فى الذات ، والصفات بالصفات ، فلم يبق عابد ومعبود ومحب ومحبوب وقال قائلهم :

عجبا كيف ينافينى البقا ... وارى فانى
ووجودى كل شىء سبقا ... ليس لى ثانى

وقال :

والذى أهواه حقا ... لم يزل ذاتى وعينى
فانظرونى تبصروه ... انه واللـه انى
ليس من يهوى سواه ... فى طريق الحب محبة

وقال :

فما ثم من شىء سوى الله فى الورى ... فما ثم مسموع وما ثم سامع
وما الخلق فى التمثال الا كثلجة ... وانت لها الماء الذى هو تابع

ذلك مقام السكر والفناء ، رقصوا فيه وشطحوا ، وصاحوا وصرخوا :

سقونى وقالوا لا تغن ولو سقوا ... جبال حنين ما سقونى لغنت

تغنوا فيه بليلى وسلمى ، وعزة ونعمى ، وحلالهم المدام ، وطاب لهم الحال والمقام واتحدث الانية بالهوية ، ورفعت عنهم سبة التكاليف الشرعية :

كذلك أرواح المحبين يا فتى ... تهزها الاشواق للعالم الاسنى
فلا تلم السكران فى حال سكره ... فقد رفع التكليف فى سكرنا عنا

ومما زاد فى طين افكهم بلة وفى طنبور عويلهم نغمة انهم الحقوها - يعنى الحضرة - بالعبادات ، ففرضوا لها أركانا وواجبات وسننا ومستحبات ، وشروطا لم ياذن الله بها ، بل ارتقوا عن ذلك درجات ، ففضلوها على كثير من العبادات ، ففى كلام بعض شيوخهم (**عمارة واحدة أفضل** من عبادة خمسة وثلاثين سنة) وفى رواية لغيره « تعدل عبادة سبعين سنة » وانهم يجدون قلبهم فيها مع الله أكثر مما يجدونه فى الصلاة والصيام ، اذ هذه انما شرعت للعوام ! عياذابك - اللهم - من هذا الكلام ، فانه مخالف لشريعة الاسلام ، وتنقيص للرسل الكرام ، وتثبيط للناس عن ذكر الله وعن الصلاة ، فهم بعمارتهم هذه « كالذين اتخذوا مسجدا ضرارا وكفرا وتفريقا بين المومنين ، وارصادا لمن حارب الله ورسوله من قبل وليحلفن ان أردنا الا الحسنى والله يشهد انهم لكاذبون لا تقم معهم أبدا » ولا تغترر بزخرف قولهم وبهرجة عملهم فان وراء الاكمة ما وراءها ٠ اهـ

هذا نص بعض ما جاء فى مقال المسلم الغيور ، وظاهر كل (شطحة) مما جاء فيه من الشعر يردى صاحبها :

الاولى يزعم فيها هذا (المجذوب) انه هو نفس **الاله لا** ينافيه - كمحلوق - البقاء ، وهو كاله سبق وجوده كل شيء وليس له ثان ٠

الثانية هى نفس قول الحلاج الذى حكم الفقهاء بقتله :

أنا من أهوى ومن أهوى أنا	فكلانا قد سكنا بدنا
فاذا أبصرتنى ابصرته	واذا ابصرته ابصرتنا

وفى أبيات أخرى يقول :

فلا علم الا من بحار وردتها	ولا نقل الا من صحيح روايتى
وشاهدت ما فوق السموات كلها	كذا العرش والكرسي فى طي قبضتى
وامرى أمر الله ان قلت كن يكن	وكل بأمر الله فاحكم بقدرتي !

الله سبحانه وحده من بقبضته الكون كله كما قال : « **وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ والأرضُ جميعاً قَبْضَتُهُ يوم القيامة والسموات مطويات بيمينه سبحانه وتعالى عما يشركون** » ونحن نقول : (سبحانك اللهم ربنا وتعاليت عما يقول

شيخ الطريقة هذا) فقد جعل نفسه ذاتك وادعى ما هو لك وحدك وزعم انه يقول للشيء (كن فيكون) ٠

وما علمنا ان صنما مما عبد من دون اللـه أسند لنفسه أو اسند لـه من يعبده من دون الله مثل ما قال عن نفسه هذا (الصنم) السخيف وحتى الذى قال : (أنا ربكم الاعلى) لم يسند الى نفسه مثل هذا ٠

وقد نقل أيضا عن (فتوح الغيب) قريبا من هذا مثل قوله :

ويسمـع تسبيـح الصوامت مسمعى	وانـى لاسـرار الصـدور اطـالع
وأعلم ما قـد كان فى زمـن مضى	وحـالا ، وآرى مـا أفـاد مضـارع
ولو خطرت فى أسود الليـل نملـة	عـلى صخـرة صمـاء انـى أطـالع
أعـد الثـرى رمـلا مثاقيـل ذرة	واحصى عديد القطـر وهى هـوامع
وكـل هـدى فى العالمين فانـه	هـداى ومـالى فى الوجـود منـازع
وبيتى سقف العرش حاشاى ليس لى	مكـان ومـن فيضى خلقـن المواضع
وكـل معاش الخلق تجريه راحتـى	لراحتهـم جـودا ولسـت أصانـع

قول مثل هذا ان صدر مـن مخلوق فاهون ما يلحقه أن يوضع فى مرستان ، ولكنه اعتقاد فاسد لأصحاب وحدة الوجود والحلول انهم (آلهة) يتصرفون فى الكون ! واذا سئلوا عنها قالوا : (هي شطحات) !

الفصـل الـرابـع :

هل للشيخ ابن عليوة شطحات ؟

اعترف الشيخ أحمد بن عليوة واتباعه أنه له شطحات وانه تعتريه الحال التى تصدر عنها مثل هذه الاقوال السابق ذكرها ٠

جاء هذا الاعتراف مسجلا فى السؤال المقدم الى ابن باديس عن قوله السيء فى مخاطبة النبى صلى الله عليه وسلم ، واعتذاره (بعجمة السنة المحبين) ٠

وقد فنـد ابن باديس هذا العذر بأدلـة شرعية مقنعة فى الفصل الثالث من رده ٠

كما سجل السيد اسماعيل مـامي ـ في دفاعه عن ابن عليوة ـ اعتراف الشيخ واتباعه بهذه الشطحة ، ونقله عن الشيخ مباشرة مـن مشافهـة لـه ، ونشره في جريدة النجاح وعنها نقله (كتاب الشهائد) في صفحة 56 ·

يقول اسماعيل مامي ـ حسب نقل الكتاب المذكور ـ :

وبعد ما سكت الشيخ سألته عن الابيات التي بالديوان وهي :

ان مـــت بالشـــوق منكـــد   مـا عـــذر ينجيـــك ؟ الـخ

فقال : ـ يعني الشيخ العليوي ـ : لكل شيء سبب ، وسبب تلك الابيات أني كنت ذات يوم في اشتياق عظيم للنبي صلى الله عليه وسلم ، وفي حال غير ما تشاهد مني الآن ، فأخذتني سنة من النوم فرأيت كاني أخاطب النبي صلى الله عليه وسلم بتلك الابيات ، **وهو في تدلل وترفع عني وانا في احتقار وتذلل لـه** فلما انتبهت رسمتها في « كنشي » ثم حكيت القصة لـرفيق كان مرافقا لي ، فقال : لا بأس باثباتها في الديوان والنص عليه ·· الخ

فهذا اعتراف صريح ، وان كان فيه خلط بين رؤية المنام التي يتفق الجميع على سقوط الملام عنه لو أساء فيه القول ، وبين حالة الجذب والغيبوبة عـن الحس التي تصدر فيها الشطحات كما عرفها اربابها ·

وفي هذه الرواية اعتراف بشناعة أخرى هـي ادهى وامر ، لم تـرد في الديوانِ في جملة الابيات ، وهي قوله لصاحب (النجاح) عن النبي صلى الله عليه وسلـم « وهو في تدلل وترفع عني ، وانا في احتقار وتذلل لـه » فهذا أخطر من كل ما جاء في الابيات المنتقدة من ابن باديس ، فما كان يليـق ان ينسب مثل هذه الاوصاف لرسول الله صلى الله عليه وسلم وهو الذي أدبه ربه فاحسن تأديبه ، فقال : « **وَاخْفِضْ جَنَاحَكَ لِمَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ** » · ثم شهد له بقوله : « **وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ** » · وقوله : « **لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِنْ أَنْفُسِكُمْ عَـزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ ، بِالْمُؤْمِنِينَ رَؤُوفٌ رَحِيـمٌ** » فكيف يوصف بالتدلل والترفع أو بقبول من تقدم اليه « في احتقار وتذلل » ·

وفي القصيدة الموجودة في الديوان اليوم ما يقارب ما روى عنه مشافهة في سوء الادب اذ يقول :

حتى رأيتك يا سيد أحمد ، الله يجازيك ·

غـير أنـك بـاقـي شـارد   خـائـف لا نـوذيـك !

فهل يصح ان يقال فى رسول الله صلى الله عليه وسلم « شارد » ؟ وهو النافر الفزع من مطاردة ، والشريد الطريد ، هل يصح ان يقال فيه « خائف » وهو الذى لا يخاف الا من الله ، فهو الآمن المطمئن بالله ، ولما رأى صاحبه فى الغار حزينا ـ لوصول المشركين الى باب الغار ـ قال له وهو فى تلك الحال : « **لا تحزن ان الله معنا** » ٠

رواية لسان الدين :

وقد نقل صاحب كتاب (الشهائد والفتاوى) عنها وهى صحيفة العليويين الرسمية رواية مؤيدة لرواية اسماعيل مـامى فقال : « يشبه هذا ما ذكرته جريدة لسان الدين بعددها الثالث قالت :

« ان هذه المسألة جرت ـ فى النوم ـ مع النبى صلى الله عليه وسلم فقام على اثر رؤياه فى الليلة نفسها فسبك المحاورة لعموم ألفاظها حسبما صدرت فى النوم ، وقصته مشهورة بين خواص أتباعه وعليه فهل يكون صدور شبه هذا الذى بغير اختيار ـ وفى النوم أيضا ـ معدودا من قبيل الاساءة ؟ اللهم الا اذا كان من قبيل نشره أو عدم التنبيه عليه ٠ وبالجملة ان العمد فى هاته النازلة لا يتصور بحال ، والحكم لا يتوجه الا مع القصد » (كتاب الشهائد 56 ـ 57) ٠

فهاتان الروايتان تثبت كلتاهما ـ اعتراف الشيخ واتباعه بوقوع هذا الخطاب منه ، والاعتذار عنه بالنوم يفنده تسجيله له بنفسه بعد يقظته ثم طبعه ونشره وتوزيعه ، ويخرج المسألة من حال الغياب عن الحس الى حال اليقظة والعمد ٠ ورواية لسان الدين صريحة فى ذلك إذ تقول : « فقام على اثر رؤياه فى الليلة نفسها فسبك المحاورة بعموم ألفاظها حسبما وقعت فى النوم » ٠ فهل صدر منه هذا السبك وهو حاضر الحس أم كان عنه غائبا ؟

رواية ثالثة للشيخ الوارزقى

ويؤيد الروايتين السابقتين ـ ان كانتا فى حاجة للتدعيم ـ بما نقله الشيخ حسن الوارزقى ـ وهو صحفى مستقل بقسنطينة لم يكن على وفاق

مع حزب الاصلاح ولا مع كتابهم ، بل كان - فى السياسة مناوئا لهم - عن الشيخ ابن عليوة نفسه بعد مشافهته ، ونشره فى الشهاب الصادر فى 5 رجب 1346 هـ (29 ديسمبر 1927 م) قال :

« يقول شيخ العليويين مجيبا منتقديه من العلماء والمفكرين ان لكلامى المطبوع المنسوب الي فى الديوان ، وخطاب رسول الله صلى الله عليه وسلم بتلك العبارات الكبيرة : عبس الخ ·

وكذلك قولى عن نفسى : أنا لست انسان (كذا) ولا جان ·· كلام قلته وأنا فى عالم آخر غير هذه الحال ، واذ ذاك كنت غائبا لا أفرق بين الابيض والاسود ، ولو وصل هؤلاء المنتقدون الى مثل ذلك لفاهوا بأكثر مما فهت به ، وهم معذرون ولكنهم لا يشعرون ·

هذا كلام مقتطف من مقال طويل نشرته جريدة الشهاب وقدمت له بمقدمة جاء فيها :

(مثل هذا الشيخ من الرجال الذين يتقدمون لشؤون العموم يجب ان تعرفهم الامة ويجب على الكاتبين عنهم ان يتحروا تمام الصدق والنزاهة ويجب ان يتلقوا الآراء المختلفة فيهم بالصدر الواسع والخلق الرحيب هذا ما نصدر به هاته المقالة وللشيخ العليوى وشخصيته ورأيه منا غاية الاحترام) · اهـ

وقد رضى العليويون عن المقال وحمدوا جريدة الشهاب وشكرت صحيفتهم (البلاغ الجزائرى) قول الشهاب :

« وللشيخ العليوى فى شخصيته ورأيه منا غاية الاحترام » ، فأجاب الشهاب بأن : (من لا يحترم الرجال ليس برجل ولكن لا يفهم من احترام الشخص تسليم رايه ولا احترام الرأى عدم المناقشة فيه بل من اعتبار الشخص ان تعرض آراؤه للبحث والتمحيص ومن اعتبار الرأى ان يعرض على محك الادلة والبراهين) ·

ثم قال : « وقد كنا نشرنا ··· ما هو محل رضا وقبول وما هو محل مناقشة ولعلنا نعود للبحث فى بعضه قياما بواجب التناصح فى الدين » اهـ

فهذه الروايات كلها تدل على اعتراف الشيخ واتباعه بوقوع (شطحات) صدرت منه وفيها ما لا يقبل من الشخص وهو فى حال الصحو فاعتذروا عنها بانها صدرت من فى حال المحو والفناء !

لكنا نقول : ما دام القول قد كتب واطلع القائل عليه بعد كتابته عنه أو كتبه بنفسه ثم طبع ونشر وراج وأقره من قاله فقد انتقلت حاله من (المحو) والغيبوبة الى الصحو واليقظة فاصبح مسؤولا عليه فلا يصدق تعريف (الشطحة) عليه كما نقله ابن خلدون ولا يندرج ابن عليوة في درجة من يعفى عن المحاسبة ويتجاوز عنه · ثم من يسلم له ــ على فرض أنها شطحات ــ بأنه من ذوى الفضل المعفو عنه عند العلماء ؟ ثم نقول له : هل جاء عن كل شطحة مما صدر عنه بمخرج صحيح وتأويل مقبول ؟ كما جاء ابن عربى الحاتمى لصديقه الذى انتقد عليه قوله فى مخاطبة ربه :

يا من يرانى ولا أراه   كم ذا أراه ولا يرانى !

بقوله مرتجلا :

يا من يرانى مجرما   ولا أراه خاذلا

كم ذا أراه منعما   ولا يرانى لائذا

(كتاب الشهائد صفحة 37) ·

هيهات ان يجد لكل (شطحة مخرجا) والبرهان فيما يأتى :



الفصـــل الخـامس :

أقــوال فظيعة في جانب اللــه
إصرار عجيب على أقــوال فاسدة خطيرة

بعد هذا نقول : لابد ان القارىء الكريم قد تشوف كثيرا لمعرفة بعض هذه الاقوال الفظيعه المنسوبة الى شيــخ العليويين أو الى أستاذه وبعض تلاميذه ، ولقد رأينا ان الشيخ ابن باديس متى سمع من احد رواية عن الشيخ يــزعم فيها ملازمته السنة، أو استعداداً للتعاون بشكل ما ، شرط وبالحاح ان يتبرأ من هذه الضلالات المنسوبة اليه فى ديوانه الرائج فى الاسواق، وان يسحب من السوق نسخه الموجودة ٠ فما دام لم يعلن توبته منها والرجوع عنها فهو مصر عليها ، ولا توبة للمصر على ذنب هو عاكف على اجتراحه ٠

وقد كان هذا الديوان صدر من صاحبه عام 1339 هـ 1920 م اذ طبع لاول مرة بتونس بعناية الحسن بن عبد العزيز القادرى ، والحاج حسن بن محمد الطرابلسى ، ثم طبــع بدمشق عــام 1349 هـ 1931 م باشراف محمد بن عبد الرحمن التلمسانى ثم طبع ـ بعد وفاة صاحبه وباذن من خليفته الشيخ عدة ابن تونس عام 1355 هـ 1937 م وطبعة رابعــة صدرت منــه تحت عنــوان : (روضة المحبين فى كلام العارفين) (صدرت فى فلسطين المحتلة) ٠

اما الطبعة الاخيرة ـ والخامسة ـ وان كتب عليها الرابعة ـ فقــد طبعت اثناء السنة الماضية 1982 م بمطبعة القوم فى مدينة مستغانم وبامعان النظر فى هذا الديوان نجد انه ما يزال يتضمن الدواهى مما نسب الى الشيخ بــل

زادت الطبعة الاخيرة أن ضمت الى الفيل فيلة ! فقد طبع مع قصائد الشيــخ قصائد أخرى منسوبة الى أستــاذه محمد بن الحبيب البوزيدى وغــيرها الى تلميذه الشيخ عدة بن تونس وكلها تخرج من مشكاة واحدة ، وتتضمن من الضلالات ما تكاد تنوء بحمله الجبال ٠ فهذا أوضح دليل على الاصرار والعناد وهو ما لا يجوز السكوت عنه ٠

وكنت قد اطلعت منذ بضعة عشر عاما على الطبعة الثانية الصادرة بدمشق ثم اطلعت على الطبعة الاخيرة الصادرة بمستغانم فما لاحظت الا حذف الابيات التى انتقدها الشيخ عبد الحميد بن باديس فقط ، مــع بقــاء القصيدة التى وردت فيها ٠

كما لاحظت ان الديوان وما ألحق به ما يزال مشحونا بالدعاوى الباطنية والدعوة اليها ، وبأقوال الحلول ، ووحدة الوجود وبكل ما يؤذى الله ورسوله ولا يجوز بحال ان يروج فى مجتمع المسلمين أو يسمــح بتلقينه للسالكين ٠ ثم تيقنت الاصرار من القوم على الدعاوى العريضة بان علمهم علم أهل الحقيقة وعلم غيرهم علم أهل الشريعة٠ كان الشريعة ليست حقيقة (1)٠ وانما الحقيقة ــ عندهم ــ هى أوهام تستند فى معظمها على وساوس الشيطان ، ولا شك ان من ذلك قول قائلهم « الحب الالهى الفيصل بين أهل الحقيقة وأهل الشريعة الذين يعبدون الله طمعا فى الثواب وخوفا من العقاب ، اما الصوفى فقد خلص من دنياه واخراه ولم يبــق لــه الا مشاهدة جمال المحبوب والتحلى بالاخلاق الربانية قولا وعملا وحالا ٠٠٠ » (2) ٠

ان هذه الدعوى بديهية البطلان ، ولا تروج حتى على الصبيان من أهــل القرآن ، فانه يلزم عليها ان الانبياء عليهم الصلاة والسلام ، وعباد الرحمن المنوه بهم فى آيات الفرقان ، والمتهجدين الذين اثنى عليهم اللــه فى آياتــه ووعدهم جنة رضوان ، كل هؤلاء ــ بمقتضى هذه الدعوى الساذجة ــ ليسوا من أهل الحب الالهى ، لانهم يعبدون الله طمعا فى ثوابه ، وخشية عذابه !

---

(1) فى تفسير قوله تعالى : « **قل جاء الحق** » وذكر ابن باديس أنه الاسلام بعقائده وحججه وقوته وعزته ونصره ، وان فى الآية وعدا بالنصر كما أشار الى ذلك النبىء (ص) يوم الفتح باشارته الى الاصنام فكانت تتهاوى ٠
(2) مقدمة الطبعة الجديدة للديوان ، ص 3 ٠

فقد جاء فى سورة الانبياء عند ذكره سبحانه وتعالى عبده زكرياء ، وندائه ربه ان يرزقه ولدا ولا يذره فرداء،فاستجاب له ربه ووهب له يحيى وأصلح له زوجه ـ جاء قوله تعالى : « **إنهم كانوا يُسَارعون فى الخَيْرات ويدْعُونَنا رَغَباً ورَهَباً وكانوا لنا خاشعين** » ٠

فدعوتهم للـه ـ والدعاء مخ العبادة ـ كانت لرغبتهم فى ثوابه ، وخشية عذابه ، وكانوا خاشعين متذللين لله ٠

وفى عباد الرحمن ـ الذين جـاء ذكر الثناء عليهم فى خاتمة سورة الفرقان ـ يقول الله فى التعريف بهم : « **وعِبَادُ الرحمن الذين يَمشُون على الأرض هَوْنًا وإذا خاطَبهم الجَاهلون قالوا سَـلاماً ٠ والذين يَبِيتُون لـربهم سُجَّداً وقيَاماً والذين يقولون ربنا اَصْرِف عنا عذابَ جهنم إنَّ عذابها كان غَرَامًا انها ساءت مُستَقَرًّا ومُقاماً** » ٠ فهؤلاء يجتهدون فى العبادة ، ويبيتون لربهم سجدا وقياما خاشعين لله ٠ وجلين من عذاب جهنم ٠ فهم المتهجدون الذين ورد ذكرهم فى الم السجدة فى قوله تعالى : « **تتجافَى جُنُوبُهم عن المضَاجِع يدعُون ربَّهم خوفاً وطمَعاً ومما رزقناهم يُنفِقُون فلا تَعلَمُ نفسٌ ما أُخفِىَ لهم من قُرَّةِ أَعيُنٍ جزاءً بما كانوا يعملون** » ٠ وفى الآية الكريمة ان الله قبل أعمالهم ، واثابهم عنها أحسن ثواب ٠ ان هؤلاء بلا شك ممن عرفوا ربهم ، ووفقوا فى التقرب اليه ، وأصابوا مواطن رضاه فأثنى عليهم ووعدهم قرة أعين ٠

أفنصدق القرآن وهو كتاب ربنا أم يضللنا قول الشيخ (العارف بالله) « تالله نوم العارف يغنى عن ذكره » (3) فهـل هذا (العارف) أعرف بربـه من محمد صلى الله عليه وسلم وصحبه الذين قال الله فيهم : « **ان ربَّك يعلَمُ أنكَ تقُومُ أَدْنى مـن ثُلُثَيِ اللَّيل ونِصفِه وثُلُثُه وطائفةٌ مِـن الذينَ معَـك** » ٠ وقد كان يتهجد حتى ورمت من القيام رجلاه ، فلما قيل له ان الله قد غفر لك ما تقدم من ذنب وما تأخر أجاب عليه الصلاة والسـلام : (أفلا أكون عبـدا شكورا ؟) انها ليمين غموس ، ودعوى عن الحق شموس ، ان يكون :

لهم قلـوب تـرى ما لا يـرى غيرها   أيقاظ وان ناموا ففى نومهم وصلا !

---

(3) من القصيدة الاولى فى الديوان المطبوع بمستغانم 1982 م ، صفحة 6 ٠

ما هذه أوصاف من استحقوا ثناء اللـه من أوليائه الصالحين وانبيائـه المرسلين ·

ان كثـيرا من هذه الاقوال الفظيعة شحن بها هـذا الديوان ، وقد طبـع ـ منسوبا الى صاحبه منذ سنة 1920 م ـ كما علمنا ، وها هـو يعاد طبعـه للمرة الخامسة عام 1982 م · وقد جمع ـ فى نفس الديوان ـ شعر أستاذه محمد بن الحبيب وتلميذه عدة بن تونس وشعرهما لا يقل سوءا وقبحا مبنى ومعنى من شعر صاحب الديوان مع إلحاح الشيخ ابن باديس وكتاب الاصلاح على وجوب التوبة منه والتبرى وسحبه من الرواج ·

فعلمنا مقدار اصرار القوم على ترويج ضلالهم وبدعتهم وافشاء (الوهيتهم) فى قولنا ، والله سبحانه وتعالى الذى قال فى كتابه : « **لا تُدْرِكُه الأبصارُ وهو يُدْرِكُ الأَبْصارَ** » أصبح عندهم يراه المرء فى كل شىء بمقدار قليل من الجهد ثم بيسير من التأمل والنظر يعلم المرء أنه هو نفسه الله وليس سواه ـ تعالى اللـه ـ

والله سبحانه المنزه عن الشبيه والنظير « **ليس كمثلِه شيءٌ وهو السميع البصيرُ** » أصبح عند هؤلاء القوم هو كل هذا الوجود الفانى ولا يوجد سواه تراه حيثما نظرت وتوجهت ، وهذا ما امتلأ به هذا الديوان ·

ولا يمكن ان يعتذر عنه بانه (شطحات) تأتيهم وقت الغيبوبة لانهـم يكتبونه بأنفسهم عنـد (صحوهم) بعد (محـوهم) ويطبعونه ويروجونه ، والشطحة تروى عـن صاحبها عند غيبوبته فاذا (صحـا) أولها بمخرج مـن المخارج الصحيحة ، ولا يقبل منـه التأويل ـ فى هذه الحالة ـ الا اذا كـان معروفا بالفضل وصحة الدين ·

ان ترك هذا الضلال رائجا بين قومنا أهل الايمان من الشيوخ والكهول والشبان دون كشفه وفضحه وتحذير الناس من شره وشر أصحابه لمن واجب كل داعية الى اللـه بل كل عالم وكل مثقف وأديب يحب قومه ويحرص على حماية عقائدهم وعقولهم من الفساد والضلال ، وهذا ما سنبينه فى الفصول الآتيـة ان شاء اللـه بعد تمهيد بـذكر استدراج الشيطان ، وعصمة العلماء الربانيين من كيده بفضل حماية الله لهم بعلمهم ·

الفصـــل الســـادس :

استدراج الشيطان وتحديه للرحمن

أمر الله سبحانه ملائكته بالسجود لآدم عليه السلام ، فسجد الملائكة كلهم اجمعون الا ابليس ابى ان يكون مع الساجدين ، وقال لربـه : « **أنَا خيرٌ منه خلقتني من نار وخلقْتَه من طِين** » . فقال له ربه لطرده من جنته : « **اُخْرُجْ منها فانك رجيم، وان عليك لَعْنَتِيَ الى يوم الدين** » وسأله (اللعين) ان ينظره الى يوم يبعثون فانظره الى يوم الدين فقال ـ عليه اللعنة ـ « **فبِعِزَّتِك لأُغْوِينَّهُم أجمعين الاَّ عبادَكَ منهُمُ المخلَصين** » وهؤلاء عصمهم المولى من كيده وترك له الغاوين ، فقال جـل من قائل : « **انَّ عبادِي ليس لـك عليهم سلطانٌ اِلاَّ من اُتَّبَعَك من الغاوِيـنَ** » .

وانتصب إبليس يفسد فى الارض وينشر الشر ويحاول إغواء الناس لكنه لا يستطيع ان يتمكن من عباد الله المخلصين .

وقد اتخذ طرقا مختلفة فى الإغواء وكل قوم يأتيهم حسب طريقتهم ، ولما رأى قوما تزاهدوا فى الدنيا وانصرفوا نحو طلب الآخرة أتاهم من هذه الناحية فزين لهم ان يعبدوا اللـه بالبدعة ويقترحوا أشياء من عندهم ، فاذا التزموا السنة وأعرضوا عن البدعة فقد هدوا الى صراط مستقيم ، واذا عرفوا الشريعة وعلموها فوقفوا عند حدودها ، فقد عسر عليه اغراؤهم ، فاما اذا جهلوا قواعد الشريعة واغتروا بـ : (حسن) نيتهم ، وعلمهم (اللدنى) وكثرة عبادتهم فقد يتمكن منهم ، ويضلهم ويصبحوا رعية طيعة له . ومما زينه لهم وضـع الحديث عن رسول الله ، وضع الحديث ولو فى الترغيب فى القرآن حرام يوجب للواضع ولوج النار ، ومع ذلك أقدم عليه بعض المتصوفة .

ان ما يفهم مـن صريح قـول الشيخ ابن عليوة انـه كانت تعتريه بعض الاحوال يخرج فيها عن طوره المعتاد فيأتى بما ينكر عليه ، وهو يقول للشيخ الوارزقى : (ان لكلامى المنسوب اليّ فى الديوان ، وخطاب رسول الله بتلك العبارات الكبيرة عبس الخ · وكذلك قولى عن نفسى أنا لست انسان (كذا)··· ولا جان،كـلام قلته وأنا فى عالم آخر غـير هذه الحال ، واذ ذاك كنت غائبا لا أفرق بين الابيض والاسود ، ولو وصل هؤلاء المنتقدون الى مثل ذلك لفاهوا بأكثر مافهت به ···) ·

وانه لمصدق فى مثل هذه الاحوال ، ولكن كان عليه ان يبحث ـ لو كان عالما ـ أهى أحوال ربانية أم هى أحوال شيطانية ؟ وكان يزن ما يوحى اليه ـ فيها ـ بميزان الشريعة الذى لا يخبس شعيرة فلا يقع تحت تلبيس ابليس ، ولا يروج ما يوسوس به اليه ·



لا سلطان لإبليس على الصالحين

من كان بيده ميزان الشريعة اخزى الشيطان وطرده من حضرته شر طردة ولو جاءه بحالة فيها خرق عادة وزعم له انها كرامة ٠

قال أبو اسحاق الشاطبي في الموافقات : (مخالفة الخوارق للشريعة دليل على بطلانها في نفسها ، ذلك انها قد تكون في ظواهرها كالكرامات وليست كذلك ، بل أعمالا من أعمال الشيطان كما حكى عياض عن الفقيه أبي ميسرة المالكي انه كان ليلة بمحرابه يصلي ويدعو ويتضرع وقد وجد رقة فاذا المحراب قد انشق وخرج منه نور عظيم ثم بدا له وجه كالقمر وقال له :

(تملأ من وجهي ابا ميسرة فانا ربك الاعلى) فبصق في وجهه وقال له : اذهب يا لعين عليك لعنة اللـه ! ، وكانت نجاة هذا العالم الرباني من عبث الشيطان انه جاءه في صورة مكيفة مقدرة تقول له : (أنا ربك ، فيسمع نداءه ويحس فيه بالصوت والحرف ويقول أنا ربك) ٠

كل هذا باطل في حق اللـه تعالى ، منزه عنه ، كما هو في بديهيات علم الكلام (التوحيد) وفي القرآن الكريم « **ليس كمثلـه شيء** » وفي قوله : « **لا تُدرِكُه الأبصار وهو يُدرِكُ الأبصارَ** » وقوله لموسى كليمه : « **لن تراني** » فكانت معرفة هذا العالم الرباني عاصمة له من مكائد الشيطان ، فبصق فيه ولعنه فلم يضره بشيء لانه لا سلطان له عليه ٠

ومثل ابي ميسرة رضي الله عنه ما يحكى عن الشيخ عبد القادر الكيلاني رضي الله عنه انه « عطش عطشا شديدا ، فاذا سحابة قد اقبلت وامطرت عليه شبه الرذاذ حتى شرب ثم نودي من سحابة يا فلان أنا ربك وقد أحللت لك المحرمات،فقال : (اذهب يا لعين) فاضمحلت السحابة ، وقيل له بم عرفت انه ابليس ؟ قال بقوله : (احللت لك المحرمات) (4) ٠

---

(4) الحكايات عن أبي ميسرة والشيخ عبد القادر مرويتان في الموافقات ج 2 ، ص : 75 ـ 76 ٠

فهذا العالم الجليل عصمه علمه ، ان أحكام الشريعة التى جاء بها محمد عليه الصلاة والسلام لا تنسخ بعده ولا يبطل حكم من أحكامها لانقطاع الوحى وانما حرم ربنا الفواحش ما ظهر منها وما بطن فكيف تحل المحرمات وهى فواحش ؟

قال الشاطبى: (كل خارقة حدثت أو تحدث الى يوم القيامة فلا يصح ردها ولا قبولها الا بعد عرضها على أحكام الشريعة فان ساغت هناك فهى صحيحة مقبولة فى موضعها والا لم تقبل الا الخوارق الصادرة على أيدى الانبياء عليهم السلام فانه لا نظر فيها لاحد لانها واقعة على الصحة قطعا فلا يمكن فيها غير ذلك ...) .

ثم بين كيفية عرضها فقال : (وبيان عرضها ان تفرض الخارقة واردة من مجرى العادات فان ساغ العمل بها عادة وكسبا ساغت فى نفسها والا فلا ، كالرجل يكاشف بامرأة أو عورة بحيث اطلع منها على ما لا يجوز ان يطلع عليه وان لم يكن مقصودا له ، أو رأى انه يدخل على فلان بيته وهو يجامع زوجته ... أو يكاشف بمولود فى بطن امرأة أجنبية يقع بصره على بشرتها أو شىء من اعضائها التى لا يسوغ له النظر اليها فى الحس أو سمع نداء يحس فيه بالصوت والحرف وهو يقول (أنا ربك) ، أو يرى صورة مكيفة مقدرة تقول له (أنا ربك) ، أو يرى أو يسمع من يقول له (قد احللت لك المحرمات وما اشبه ذلك من الامور التى لا يقبلها الحكم الشرعى على كل حال ويقاس على هذا ما سواه) (5) .

ولو التزم هؤلاء الفرسان فى ميدان الضلال هذه القاعدة الجليلة وعرفوها بعلمهم لعصموا أنفسهم من كيد الشيطان، ولعلموا انه لعب بهم اذ قال لهم : (أَنَا اللّٰه) و (انتَ الله لست سواه) فما هى إلا صور شيطانية كما أدركها أبو ميسرة رضى الله عنه فبصق عليه ولعنه،أما التصديق به والقسم عليه والتملى فى محاسنه ــ كما دعا ابا ميسرة ــ فانه اغراق فى الضلال ــ عصمنا الله من كيده ، ونجانا من شره ، فانه سبحانه يدافع عن الذين آمنوا .

---

(5) الموافقات الجزء الثانى ، صفحة 279 .

الفصـــل السـابـع :

الفرسان الثلاثة وسلسلتهم ... المتصلة

أعنـى بالفرسان الثلاثة (الاستاذ الاكبـر) محمد الحبيب البوزيدى ، والشيخ عـدة بن تونس وواسطة العقـد بينهما الشيخ أحمـد بن مصطفى ابن عليوة فهؤلاء هم الذين اشتركوا فى انتاج (الديوان وامتلأ كلامهم فيـه بالباطل والبهتان ، ومن أقوال الباطنية وأهل الحلول ووحدة الوجود ثم طرح فى المـلأ من شبابنا وشوابنا وشيوخنا وكهولنا ونسائنا ليذكروا اللـه بـه ويرتقـوا فى حضرة القـدس ، و (يشطحوا) بما جـاء فيه مؤلهين المخلوقات الفانية ، معتقدين انهم ذات الله وعينه ، وليسوا سواه .

لم تكن الطريقة العليوية بدعا من الطرق الصوفية فينا ، فهذه الطرق كانت موجودة منتشرة ، وفيها ما نفع فى حفظ العربية والدين ببـــلادنا ، وقـاوم المعتدين يوم فاجاؤنا ، ومـن بين الطـــرق التى كانت منتشرة (الدرقاوية ، ـ والعليوية فرع منها ، وغصن من اغصانها ـ والدرقاوية كانت هى نفسها فرعا من الشاذلية . اذ الدرقاوية كانت منتشرة كثيرا بالمغربين الاقصى والاوسط ، متفرعة من الطريقة الشاذلية ، وهى أيضا تنتشر باقطار المغرب كلها : مراكش والجزائر وتونس وليبيا ، وبمصر ، والشام ، والحجاز ، ونبغ فى رجالهـــا مشائخ صالحون ، وأحدهم هو الذى اتصل بالشيخ محمد عبده فى شبابه بمصر واثر فيه ، وحبب اليه طلب العلم، وصرفه عن اللهو والبطالة، ومحا من ذهنه البدع والخرافات والإشراك بالله، وكان يدعى الشيخ درويش تلميذ الشيخ المدانى الذى لقيه فى ليبيا وذلك مبسوط فى تاريخ الاستاذ الامام رحمهم الله .

اما في وطننا فان الجهالة نزلت بمشائخ الطريقة ـ وخصوصا هؤلاء الفرسان الثلاثة الذين اطلعنا على (تربيتهم لمريديهم) ـ الى الهاوية السحيقة ، فاعلنوا فيهم ـ بكل صراحة ـ عقائد الباطنية ، وانهم عين الاله ، وليسوا سواه وان الكون في قبضتهم ... الخ . ما تضمنه كلامهم و (أشعارهم) واذكارهم من ادعاءات تنبو عن كل ذوق سليم ، « مما يؤذى الله ورسوله ويؤذى المؤمنين » .

اسنـــاد الطريقـــة :

وقد زعموا أن طريقتهم متصلة الإسناد ابتداء من البوزيدي الذى أخذ عنه العليوي الى النبيء صلى الله عليه وسلم تلقاها من جبريل أمين الوحي ، الذى أمر ان يبلغها اليه من الله،فقد خصهم في زعمهم ـ برسالة بلغها جبريل الى محمد عليه الصلاة والسلام ، وأوصاه بتركها في الباطن ولا يبلغها الا اليهم كما هو صريح في قول ابن عليوة في قصيدته الطويلة :

اخـذ مـن الرسول علمـا كفى بـه ... انـه علـم الباطـن في القلب يـدلى

علـم كان مكتوما عـن الخلق جملـة ... وسـر كان مصونا باللفظ لا يتـلى

(الصفحة السادسة من الديوان المطبوع بمستغانم 1982 م) .

ان اعتقاد مثل هذا يخرج صاحبه من الايمان ، فان رسول الله بلغ ما انزل اليه من ربه واشهد الصحابة على تبليغه في حجة الوداع فشهدوا وهم الامناء ، واشهد الله على شهادتهم بتبليغه فشهد بإكماله الدين ، ولو بقي منه جرف لما صدق الخبر . وكانت رسالته عامة الى الانس والجن ونحن نشهد انـه بلغ الرسالة وأدى الأمانة .

فما معنى تخصيص طريقة من الطرق باسنادها لها وحدها،وقد جاء سند القرآن ـ وهو كتاب الاسلام ـ متواترا ، وروى العالم كلـه أركان الاسـلام وقواعده وفرائضه وسننه وآدابه بطرائق لا يتطرق اليها شك ولا لبس .

اما سلسلة هذه الطريقة فانها تبتدىء بالشيخ أحمد بن مصطفى بن عليوة ـ الذى يعتبر في الحقيقة مؤسس هذا الفرع منها ـ وهو أخذ التربية والسلوك عن شيخه محمد بن الحبيب البوزيدى المستغانمى (توفى 1909 م) وقد ذكر هذا اسناد طريقه في قصيدة منشورة في الديوان المطبوع عام 1982 م ابتداء من صفحة 137 فقال :

فهـذه سـلـسـلـة طـــريقــى   وما لهــا مـــن أركـــان التحقيــق
ذكـــرتها بحســـب التـــرقــى   باسنـــاد الرجــال أهــل الشــوق
أو لهـــم شيخنـــا الكــــامــل   محمــد بــن قـــدور الـــوكيل
عــــلى يديــــه كــان لى وصــــالى   وشربت مــن كؤوس الجمال (1)

وهذا الاخير أخذ الطريق عن شيخه المهاجى :

عــن شيخــه ابى عــزة المهاجــى   من نســل الهادى صاحب المعراج
يبقــى طريــق الجمــع والصواب   فهــو مــن شيــوخنا الاقطـــاب

وعن الشيخ الدرقاوى أخذ الشيخ المهاجى ، قال :

عــن شيخــه مـــولاى العـــربى   بــن أحمــد الدرقــاوى المـــربى

وبهذا نعرف أن بـين البوزيدى وبين الدرقاوى اثنـين فقط وهما محمد ابن قـدور الوكيل ، وأبو عـزة المهاجى ، وكان البوزيدى ينتسب درقاويا ، حتى جاء ابن عليوة فغير النسبة (علاويا) وما تزال طريقة (درقاوة) منتشرة بهذا الاسم فى المغـرب الاقصى وفى ولايات الغـرب الجزائرى ـ ثـم تستمر سلسلتها بعد الدرقاوى ـ كما رواها البوزيدى ـ ولا تصل الى الشاذلى الا بعد عشرين شيخا وهم هكذا :

اخـذ الدرقاوي عــن (1) مولاي على الجمل وهذا عــن (2) الغوث العربي ابن أحمد وهذا عن (3) أبيه أحمد وهذا عن (4) أبى السعد اليماني وهذا عن (5) أبى الفضل ابرقاوي وهذا عن (6) أبى الفيض قاسم الخصائصي وهذا عن (7) محمد بن عبد الله الفاسي وهذا عن (8) (غوث الزمان) عبد الرحمن وهذا عن (9) القطب الربانى يوسف الفاسي وهذا عن (10) أبى الفيوضات غـوث الزمان وهذا عن (11) أبيه أبى الفضل على الصنهاجي وهذا عن (12) القطب الفحام وهذا عــن (13) أبى محمد أحمد الزروقي وهذا عــن (14) أبى محمد

---

(1) معذرة لدى كل مطلع اذا عددنا هذا من الشعر ، فقد فرضوا ذلك علينا وعلى كل ناطق بالعربية ، والحقيقة انه القسم الـــذى أشار اليه الخطيـــب القزوينى بعد ذكره اقسام الكلام : ما بلغ حد الاعجاز ، ثم ما يقرب منه ، ثـم سائر الكلام ، والقسم الرابع هو ما تغير عنه وهو هذا !

أحمد بن عقبة الحضري وهذا عن (15) يوسف القدير وهذا عن (16) شيخه علي بن وفاء وهذا عـن (17) أبيه محمد (بحر الصفا) وهذا عـن (18) داود ابن باخلي وهذا عن (19) أحمد بن عطاء الله ٠

ويعتبر ابن عطاء الله الاسكندرى من أشهر علماء التصوف ، عاش أواخر القرن السابع وأوائل الثامن الهجرى - فى عصر شيـخ الاسـلام ابن تيمية ، وتوفى عام 709 هـ (1309 م) بينما توفى ابن تيمية رحمه اللـه عام 729 هـ وترك ابن عطاء الله فى كتبه الشهيرة (تاج العروس وقمع النفوس) وكتاب (الحكم العطائية) ٠

وأخذ ابن عطاء اللـه عـن (20) الموسى وهذا أخذ عـن (21) أبى الحسن الشاذلى،وفى هؤلاء الذين تقدم ذكرهم يقول البوزيدى :

فكـــل هـــؤلاء عـارفـــين وكلهـم للشـــراب يهـــدون

عـن الشيـخ داود بـن باخـــلي عـن أحمد بن عطاء اللـه الكامل

ثـم الى الصمـــد ان المـــوسى فهـو الـوارث أسـرار القـدس

عـن الشـاذلى مجمـع البحـرين وبـرزخ لا يبغيـــان دون مـين

لـه كـــلام فى الطـريق عـــالى ولطيـف التحقيـق عنـه غـــالى

وأبو الحسن الشاذلي اليه تنتسب هذه الطريقة فى الحقيقة وأصله مغربي ولد قرب مدينة سبتة وسكن مدة طويلة بتونس فى (شاذلة) فنسب اليها ٠ وما زال له مقام مشهور بمقبرة الجلاز يجتمع فيه للذكر حسب تقاليد الطريقة مرة كل أسبوع ٠ ثم ارتحل الى مصر وتوفى بقرية فى صعيدها وتنسب اليه مؤلفات منها ، مجموعة الاحزاب ٠

وهكذا نجد بين الدرقاوى وبين أبى الحسن الشاذلى (21) شيخا كلهـم موسوم اما بـ (الغوث أو بالقطب) وكل ذلك يرجع بسند أو يتصل بسبب الى الباطنية كما حققه ابن خلدون فى مقدمته ٠

وان شئت ان تتم مواصلة هذه الرحلة مع السلسلة (العنكبوتية) التى توصل البوزيدى بالمولى عـز وجـل وعلا ما دام قد انحرف عن سلسلة رواية القرآن فان الشاذلى أخذ عن (22) عبد السلام بن مشيش - وقد بـرأه احد

علماء المغرب مما نسبب اليه ، وهو الاستاذ محمد غازى،قال ان لديه وثائق تثبت أنهم زوروا عليه ما نسب اليه من أقوال فاسدة ، ولعل منها منظومة الغوثية ، وكان يقرأها فى أحزابهم إخوان (الطيبية) بمدينة قسنطينة فحفظتها صغيرا ، ثم نسيتها ومطلعها :

باسم الاله نبتدي الغوثية　　مصليا مسلما بالنية

وفيها ـ على ما أذكر ـ استنجاد بالصالحين واستشفاع بهم ، وانما يكون الدعاء خالصا لله ، ومن الله ٠

وأخذ ابن ماشيش عن (23) القطب الزيات وهذا عن (24) القطب الكامل تقى الدين الصوفى وهذا عن (25) فخر الدين وهذا عن (26) أبى الحسن على نور الدين وهذا عن (27) محمد تاج الدين وهذا عن (28) محمد شمس الدين وهذا عن (29) زين الدين القزوينى وهذا عن (30) أبى اسحاق المومينى وهذا عن (31) سعيد المريبى وهذا عن (32) شيخه سعدى وهذا عن (33) محمد ابن فتح السعود وهذا عن (34) العروانى وهذا عن (35) محمد بن جابر وهذا أخذ عن (36) الحسن بن علي السبط كرم الله وجهه فى الجنة ، وأخذ الحسن عن (37) أمير المؤمنين علي بن أبى طالب كرم الله وجهه،وأخذ علي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وتلقى رسول الله الوحي من جبريل،وجبريل أنزله رب العالمين ، وقد كذّب عليّ ـ فى حياته ـ ان يكون رسول الله صلى الله عليه وسلم قد خصه بشيء دون صحابته ، وشهد ان رسالته كانت عامة ، ورغم ذلك يزعم هؤلاء مثل هذا وانه خصهم برسالة !!

وفى هذا يقول البوزيدى :

ثم الى الحسن القطب الزاهد　　فى الملك برهان له شواهد
عن القطب الاكمل جمع الجميع　　وبرزخ البحار أصل النفع
له الجزاء فى الرضى والرضوان　　آل وصحب شمس العرفان
سيدنا علي الامير　　وصهر المصطفى بذاخير
اذ هو باب حضرة الرحمن　　وعنه كل اعداد العرفان
ثم عن محمد واسط الوجود　　فلولاه ما بدا من وجود

ثـــم عـــن الامـــين جبـــريـــل   عليه بسلام الله صاحب الرسائل

ثـم الى رب العـــزة والجبـروت   الواحـد الاحـــد الذى لا يمـوت

وقد ذكر نفس هذه السلسلة الشيخ ابن عليـوة فى ديوانه (103 ـ 104 ـ 105) متوسلا باسم كل واحد منهم مزكيا له على الله .

ان هذه السلسلة التى يبثها هؤلاء فى أتباعهم توحي الى المريدين بالثقـة التامـة فى كـل رجالها والإطمئنان الى صحة ما يروونه لهم ويبثونه فيهم ، ولا شك ان فى هؤلاء طيبين يوثق بهم ويؤخذ عنهم الديـن ، كيف لا وفيهم الحسن وعـلي عليهما السلام ، ولكن غيرهم يخضعون كلهم لقـواعد الجـرح والتعديل عند المحدثين،ولا تقبل رواية مبتدع وخصوصا الباطنية،وهذا ما اتفق عليه أهل الحديث فهل هم كلهم فوق الشبهات فى عملهم وسلوكهم وعقلهم وخلقهم ودينهم ؟ يقينا ان الامر ليس كذلك،فلابد لكل واحد من يعرف بـه ويرضى عنه أهل صناعة الحديث ، على انه اذا روي عنه ما خالف المعلوم من الدين بالضرورة رفض قوله ورد على وجهه،فما بالك بالذى جاء فى قوله :

(أنا منهاج الطريق ، والكون فى قبضتى)

أو قال **أنا لست انسان ، ولا من الجان ، أنا ذات الرحمن والكل مني** .

فالذى فى قبضته الكون والسماوات مطويات بيمينه وهو ذات الرحمن هو الله سبحانه وحده لا شريك له . اما هذا المدعي فانه والله ان صحت الرواية عنه ـ **لأحقر من كل ما ادعى** ، وانه ليصح ان يوجه الى من دعاهم ان يعتقدوا فيه مثل هذا الاعتقاد « **يايها النّاسُ ضُرِبَ مَثَلٌ فاستَمِعوا له ان الذين تَدعُون من دون اللـه لن يَخلقُوا ذُبَاباً ولـو اجْتمعوا له ، وان يَسْلُبْهُم الذبابُ شَيئاً لا يستنقِذُوهُ منه ضَعُفَ الطالبُ والمطلوبُ ، ما قَدَروا اللهَ حقَّ قدره ان اللـه لقوي عزيز** » .

الفصـــل الثـامـن :

تسابق هؤلاء الفرسان في ميدان الجهر بالسـوء مـن القـول

أولا : من أقوال الشيخ أحمد بن عليوة

بعد كـل ما تقدم نشرع في اقتطاف أقوال من هذا الديوان صدرت مـن هؤلاء الفرسان الثلاثة : ابن عليـوة ، وابن الحبيب ، وابن تونس كشواهد عن انحراف قائليها عن صراط اللـه واندفاعهم في ميدان البدعة الباطنية ، والقول بالحلول ووحدة الوجود . وغير ذلك من أقوال فظيعة ، ولوازم شنيعة مشيرين ـ باختصار ـ الى مواطن المؤاخذة ، ومنبهين أحيانا عليها برد وجيز ، عاذرين ابن باديس وصحبه في ثورتهم ، وفي عنفهم أحيانا ـ في انتقادهم . فان في بعض هذه الاقوال ما يستفز الحليم ، لا من علماء الشريعة والديـن فحسب ولكن من العقلاء المدركين المكلفين ! بل من كل من ألقى السمع وهـو شهيد ممن يتمتع بعقل صحيح أو ذوق سليم .

أول ما يجابه المطلع على هذا الديوان صورة كبيرة للمؤلف ، مع تعريف به يقول عنه انه العارف بالله والدال عليه الاستاذ الاكبر فلان .

ويزاد عليه في جهات أخرى انه الملقن لاسم الله الاعظم .

ثم يفاجأ المرء بكلام فيبقى حائرا :

أى نوع من الكلام هذا ؟ ان كلمة (الديوان) توهم انه شعر ولكنك لا تملك نفسك اذا اطلعت عليه الا ان تتساءل :

أهذا شعر ؟ أم نثر مسجوع ؟ أم نثر مرسل ؟ أم هو شيء آخر ؟

الحق انه لا يخضع لشيء مما عرف به الشعر الفصيح ، ولا الملحون ولا النثر المسجوع ولا النثـر المرسل،ولا حتى الهذر ، من خوار البقـر ، الذى يسمونه الشعر الحر ٠

وقـد استشعر هذا الحرج مروج (الديوان) اذ أراد أن يعتذر ، فجاء بما يصح أن يقال فيه (رب عذر أقبح من ذنب) قال :

(والذى يلاحظه القارىء ان معظـم قصائد الديوان لم تجـر على قاعـدة العروض الشعرى والعناية بالاوزان ، وقد أجاب الاستاذ العلاوى عندما سئل عن ذلك فقال :

(ان القوم ـ رضوان الله عليهم ـ أغلبهم لا يتعاطى فى الشعر اقتـــداء بالنبى صلى الله عليه وسلم حيث لم يؤذن له فى ذلك فكانوا فيه أقصر باع (كذا) من غيرهم الا من تعاطاه من قبل ـ فالصوفى يعبر عن معارفه وفتوحاته كيفما اتفق اذ لا عبرة باللفظ اذا استقام المعنى) (3) ٠

ليس فى الديوان قصيدة واحدة جـرت عـلى قاعـدة العروض الشعري والعناية بأوزان الخليل بن أحمد وان كان قـد يوجد بيت أو جزء منـه فى القصيدة فقوله (معظم قصائد الديوان) مغالطة ٠

واما الاعتذار ففيه جراءة ، فالنبى صلى الله عليه وسلم منع من تعليمه الشعر لانه لا ينبغى له وحتى لا يصدق عليه زعم الذين قالوا : شاعر ، مجنون الخ ٠٠ فهل هو فى مثل هذا المقام أو متطلع اليه ؟ ولقد قال الشعر ابن الفارض وابن العفيف التلمسانى ومحيى الدين بن عربى ـ وكلهم من فرسان مذهب الحلول أو وحدة الوجود ـ فبلغوا فيه الذروة وصح فيهم أن يعدوا فى عباقرة فن الشعر، وليت موضوعاتهم كانت فى فنون الشعر ٠ وقد اقر النبى صـلى اللـه عليه وسلم قول الشعراء الذين آمنوا وعملوا الصالحات وسمع منهم ،

---

(3) مقدمة الديوان ، ص : 3 ـ 4 ٠

حتى ما جاء فى مقدمات قصائدهم من تسيب ، ولم يقل مسلم : « لا أقول الشعر اقتداء برسول الله صلى الله عليه وسلم » وقد اخبر حسان بان روح القدس معه فى دفاعه عن رسول الله به . وليس بمرخص للصوفى ان (يخترع) فنا من الكلام ويأتى به أشبه بالهذيان : فاسد اللفظ ، فاسد المعنى فان انتقده عليه منتقد قال: انى أعبر عن (معارفى) و (فتوحاتي) كيفما اتفق ، وان جاء بطامة من الطوام فى المعنى قال : ان هذه (شطحة) من (شطحاتى) فلا تؤاخذونى بها !

هل تريد ان تسمع مثلا من هذا (الشعر) الفاسد مبنى ومعنى ؟ هذا أول بيت في أول قصيدة توجد فى الديوان :

يا أيها العشاق للمحضر الاعلى عيدونا(كذا)بوصلكم ودوموا فيناوصلا

وبعده :

فهذا وقت النهوض للمقام الاسنى فلله الحمد حيث كنا له أهلا

والبيت الرابع نصه :

فنحن حمام الوصل من فضله فصرنا على جمع – تالله – ولا حولا

فأى معنى يستقيم مع الفاظ عجز هذا البيت ؟

ومن عيون القصيدة – وكلها عيون عمياء – قوله فى وصية من أراد الوصل :

وليقل أنا الغريق لالى ولا معى وليستنجد أرباب الوصول الىالوصلا

فمن أين جاءت الفتحة الى كلمة (الوصلا) ولم تستح من وضعها حتى امتدت الى الف الاطلاق مع وجود حرف الجر قبل اسم معرف بال ! الا يدركنا الخجل من مثل هذا الاستعمال ؟

فساد فى اللفظ والمعنى

ورغم الفساد البين فى التراكيب وفى الاستعمال وفى البعد الواضح عن كلام الناثرين والشاعرين فقد تعددت أبياتها و (نمت) وامتدت على عشر صفحات كاملة مشتملة على 215 بيتا ، اما المعانى الواردة فى هذه القصيدة – ان ادى التركيب معنى – فانها من اشنع المنكرات من أقوال المبتدعة الباطنية

الذين ما أسسوا مذهبهم الا لتهديم الاسلام ومحو دولة العرب من الوجود كما حققه العلماء الثقات ويمكن ان يطلع عليها فى كل جزء منها وهاكم بعضها :

1) ارتفاع الحجب عن الله :

زعم العارف بالله ان من (صل) :

يرفع عنه حجبا كانت لقلبه منيعة عن الوصل للمقام الاعلى !
ويدخل (حضرة) الله من بعد فصله ويرى ظهور الحق اينما تولى
ويفنى عن العالم طرا باسره فلا قاصرات الطرف يهوى ولا خلا!(4)

فهذا من دعاوى أصحاب وحدة الوجود وهو ان يرى الله ـ سبحانه وتعالى عن ذلك علوا كبيرا ـ فى كل موجوداته يفنى فيه ! أى يحل فيه !

2) اخذ علم الباطني وكتمان الرسول ؟!

ثم يزعم أن هذا الواصل :

اخذ عن الرسول علما كفى به أنه علم الباطن في القلب تـدلى
علم كان مكتوما عن الخلق جملة وسر كان مصونا باللفظ لا يتلى (5)

فهو ـ فى هذه الدعوى ـ يسند الكتمان لرسول الله صلى الله عليه وسلم، مما يخالف ما يجب اعتقاده في الرسل كلهم من الامانة والتبليغ ، ويستحيل في حقهم من الخيانة والكتمان ، ورسولنا عليه الصلاة والسلام قد شهد الله له بانه بلغ رسالة ربه ، فقد قال تعالى : « **يا ايها الرسولُ بلّغ ما انزلَ اليك من ربك ، وان لم تفعل فما بلغت رسالاته ، والله يعصمك من الناس** » ثم قبل موته بنحو تسعين يوما أنزل عليه يوم عرفة : « **اليوم اكملت لكم دينكم واتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الاسلام دينا** » ، فهذه براءة الله لرسوله بانه بلغ رسالته كلها حتى أكمل الدين الذى رضيه سبحانه للمسلمين ولو كتم حرفا لما صح القول ان الدين كمل .

فالقول بان (الواصل) اخذ عن الرسول صلى الله عليه وسلم « علم الباطن وان هذا علم كان مكتوما عن الخلق جملة ، وانه كان مصونا لفظه لا يتلى ـ

---

(4) الديوان طبعة مستغانم 1982 م ، ص 6 .
(5) المصدر السابق ، ص 6 .

لا يمكن ان يعد ـ بأى حال من الاحوال ـ شطحة من الشطحات ـ ولا يعذر قائله لانه اسناد لرسول الله صلى الله عليه وسلم ما لا يصح ان يسند اليه من الاتيان بعلم الباطن ومن كتمانه عن الخلق (جملة) ثم ابلاغه لواحد بعد قرون كثيرة » ! !

فالكتمان من المستحيلات فى حق جميع الرسل ومنهم نبينا محمد صلى الله عليهم أجمعين ، وهذا من بديهيات (علم التوحيد) ·

3) نوم يغنى عن ذكر الله :

وقد وصف فى القصيدة نفسها (البدلاء) وعين مكانتها وهو فى زعمه منهم ، قال :

هم العروة الوثقى بهم فتمسكن ... هم أمان أهل الارض فى الخلا والملا

لهم قلوب ترى ما لا يرى غيرها ... أيقاظ وان ناموا ففى نومهم وصلا

تالله نوم العارف يغنى عن ذكره ... فكيف بصلاة العارف اذا صلى (6)

أما العروة الوثقى ـ كما فهمنا من القرآن الكريم ـ فيمكن ان يستمسك بها من يكفر بالطاغوت ويؤمن بالله وحده لا شريك له فى الوهيته ولا فى ربوبيته كما قال : « **فمن يَكفُرْ بالطاغوت ويُؤمن بالله فقد استَمْسَك بالعُرْوَة الوُثقَى لا انفِصَامَ لهَا** » ، واما هذا العارف بالله فانها عنده (قوم من البشر) يأكلون ويشربون ويتغوطون ! وينامون ويسهون ويمرضون ويموتون ، وأين هو اليوم وهو منهم كما يزعم ؟

صدق الله العظيم القائل فى تربية المسلمين : « **مثَلُ الذين اتَّخَذُوا من دونِ اللهِ أولياَء كمثَلِ العَنْكَبُوت اتَّخَذَتْ بيتاً وانَّ أوهنَ البيُوت لبَيْتُ العنكبوتِ لو كانوا يعلمون** » ، فلو كان يعلم لما دعا لمثل هؤلاء القوم فى هذا الموضوع ، وأقول ان هذا (البديل) يقول لمريده (بهم فتمسكن) والصيغة ـ بمقتضى القواعد اللغوية ـ تقتضى الحصر بتقديم الجار والمجرور وتقتضى التأكيد لوجود النون وبالامر القاطع ، وهؤلاء القوم (البدلاء) هم دون الله قطعا ، أم هم ليسوا سواه ؟ فهذا أدهى وأمر ، وهى دعوى أمثال هذا

(6) المصدر السابق ، ص 7 ·

العارف وهم عنده ايقاظ وان ناموا ، ثم ان نومهم يغنى عن ذكرهم ! ان رسول الله صلى الله عليه وسلم تنام عينه ولا ينام قلبه حقا ، ومع ذلك فما استغنى أبدا عن الذكر وما سوى بين الذكر والغفلة ، والله يقول : « **ولا تُطِعْ مَنْ أغفلْنَا قلبَه عن ذكرِنَا** » والذكر غذاء القلوب وأمانها : « **ألاَ بِذِكْرِ الله تطمَئِنُ القلـــوبُ** » .

4) اثبات الجهة لله ، والوقوف معه وحلوله فى خلقه :

هذه الدواهي يبثها فى نفس (القصيدة) وينسب لنفسه انـه صاحب هذه الحالة فيقول عن الواصل :

يكون بسقف العـرش حالـة قربـه	واقفـا مـع الاله يا لها مـن حـالا
حالة لو حــال الحال بينى وبينها	لقلت هذا محال والحال لا يحلى (7)
حالة حــل العزيز فيها بعد النـوى	وطاف طائف الوصل منا بعد الفصلا

كيف يصل (واصل) الى سقف العرش ؟ كيف يقف مع الاله ؟ أكما يقف الند مع نده ؟ وأى جهالة وسوء أدب فى التعبير ؟ ثم يزعم أنها حالة أصبحت من حالاته لا تنفك عنه ومحال فى حقه ولا يحلو له شيء من دونها ثم ينتهى الى القول بالحلول حلول الله فيه ، تعالى عن ذلك : (حالة حل العزيز فيها بعد النـــوى) .

5) الواصلون وعـلامة وصلهـم :

الواصلون عنده من أرتفعت درجتهم الى الحلول والاتحاد بالله ــ تعالى الله عن ذلك علوا كبيرا ــ وفى نفس هذه (القصيدة) يذكر أوصافهم ويزعم ان من توفرت فيه فهو منهم ، قال :

فان كنت مثلهم نعـم فلـك صـولا	فهل له ــ ياهذا ــ نصيب من ذوقهم
فانصف من نفسك وهذا الوصف يتلى	وان لم تجد لديـك شيئا مما لهــم
وهل شاهدت الرحمن حيثمـا تجـلى	فهل طويت الاكوان عنـك بنظـرة ؟
أم تمت عن الجميع علويا وسفـــلا	وهل افنيت الانـام عنـك بلمحـــة ؟

(7) المصدر نفسه ، ص 8 ــ 9 .

وهل طفت بالاكوان من كـل جانب وهل طاف بك الكون وانت له قبـلا

وهل زالت الحجب عنـك تكرمـا وهل رفعت الرداء عنك ثـم السـدلا

وقيـل لك ادْنُ فهـذا جمالتـا مرحبا فتمتع بـك أهـلا وسهـلا

وهل دعاك الداعي فقمـت لامره وكنت أديب السير وخلعت النعـلا

وحاط بك التعظيم من كـل جانب ولما صح الوصل ملت لـه ميـلا

وهل صنت سر الله بعد ظهوره وكنت عنه أمينا وهـل لبست الحلا

فهـذا بعض الذى يدل عـن قربـك والاثـم أسرار لا تفشى فى المـلا

فان صح هذا الوصف عندك فذاكـا والا أنت البعيد من (حضرة)المولى (8)

ان مثل هذه الاوصاف ومثل هذه المحاورة التى اجراها هذا الواصل ادنى من أى محاورة قد يجريها عبد مع ضيفه اذا وصل عنده ·

(زالت الحجب بين الله ــ تعالى عن ذلك علوا كبيرا ــ وبين (الواصل) ورفع الرداء المسدول فيقول الله : ادْنُ فهذا جمالنا ، مرحبا وأهلا وسهلا تمتع فيخلع الواصل نعله ويحيط به التعظيم فيميل ميلا نحو واصله ثم يكتم سره!) ·

6) الله كل شىء فى الوجود :

ومما شرحه فى هذه القصيدة نظريته فى وحدة الوجود وفنـاء الذات فى المعبود حتى يرتقى الى البقاء وبقاء البقاء ، يقول :

وليس وجـود الحق قبل وجـوده وبعـد وجـوده وحيثمـا تـولى

كان الله وحـده ولا شىء معـه وهـو كمـا كـان آخـرا وأولا

فهـو واحـد الـذات لا شىء دونـه بـاطـن ظاهـر أزلى ولا زالا

فاينمـا رايـت وجـوده نفى مطلـق التوحيد ليس فيه الا

ثـم يقـول :

الى ان ترى العالم لا شىء فى ذاتـه اقـل من القليـل فى تعظيـم المولى

فان بـرز التعظيم تغـنى فى عينـه لانـك لـم تكن مـن أول الوهـلا

(8) الديوان ، ص 10 ــ 11 ·

فلم تدر من أنت فكنت ولا أنت — فتبقى بلا أنت لا قوة ولا حولا
وبعد فنائك ترتقي الى البقاء — الى بقاء البقاء الى منتهى العلا
ولتكن **مع الاله في كل حالة** — ومن ذا الذي يرغب عن هذه الحالا؟(9)

7) **وحدة الوجود** : هذه دعوة صريحة الى القول بوحدة الوجود ! والعبد مسبوق بعدم ، وهو من بعد وجود فان خلاف ما يقول هنا .

فالذي يعرفه علماء التوحيد ان الوجود وجودان ، وجود واجب هو وجود الله سبحانه وتعالى : « **هو الأولُ والآخرُ والظاهرُ والباطنُ** » ، وهو « **الحي الذي لا يموت** » المحيط بكل شيء ، وهو سبحانه « **لا تُدركه الأبصارُ وهو يدركُ الأبصار وهو اللطيف الخبير** » ، وقد فصل علماء الكلام ما يجب في حقه وما يجوز وما يستحيل ، والوجود الثاني هو جائز الوجود وهو ما سوى الله سبحانه وتعالى من العوالم ، والجائز الوجود مسبوق بالعدم ، فان بعد الوجود .

أما عند هذا ــ الذي يزعم ويزعم له أنه يعرف الخلق بالله ــ فهو ما رأيت من أوصافه:أينما رأيت رأيت وجوده ، فاذا رأيت العالم لم تجد شيئا في ذاته وأنت نفسك ــ بعد الفنا ــ تتحقق أنك لست شيئا سوى الله ! تعالى الله عن ذلك ــ لانك لم تكن شيئا في أول وهلة فلم تدر من أنت ؟ ولما كنت قبلا موجودا فانك لست أنت ؟ ! ثم تبقى فانيا معدوما بلا أنت وبعدئذ ترقى الى البقاء الابدي والوجود السرمدي لانك قد حل فيك الله ! (ولتكن مع الاله في كل حالة) ، ومثل هذا الكلام لا يصح ان يحسب من آمن به في صف الاسلام ولهذا كفر علماء المسلمين القائلين بالحلول ووحدة الوجود ، وقد تقدم كلام ابن خلدون ــ كمؤرخ ــ في موقفهم منه ، وقال الشيخ محمد رشيد رضا في تفسير المنار وهو يتكلم على الذين ضلوا بالتأويل والتعطيل لصفات الله :(حتى خرجت به عدة فرق من الملة بعضهم باطنا وظاهرا ، وبعضهم باطنا لا ظاهرا كالباطنية وكغلاة الصوفية الذين ذهبوا في التأويل الى ما وراء العقل والنقل وأساليب اللغة فادعوا انهم يرون الله عيانا في جميع الصور ويتلقون عنه كالانبياء وان فيهم من هم افضل من الانبياء وأعلم بالله تعالى ، ومنهم من ادعى رفع التكليف عمن بلغ مقامهم في المعرفة ، بل منهم من غلا في وحدة الوجود

---

(9) المصدر السابق .

الى ادعاء الربوبية للبشر والبقر والحجر والمدر ، وما يستحى أو يتنزه قلم الاديب المتدين عن ذكره) (10) اهـ ٠

8) تأكيد القول بوحدة الوجود :

ويقول أيضا فى نفس القصيدة :

ترى مظاهر الكون تسجد لبعضها ۔۔۔ وثم سر لطيف خفى عن المقلا

ولولا ظهور الحق فى كل صورة ۔۔۔ لما بلى قيس بالشوق الى ليلى

ولا عشق العشاق كل مليحة ۔۔۔ ولا مالت الحسان وجرت الذيلا (11)

والبيت الاول ينقل معنى لابن الفارض يزعم فيه انه عندما يصلى فانه يصلى لنفسه ! فبصفته مخلوقا مأمورا بالسجود يسجد لخالقه وبصفته هو نفسه ذات خالقة يعتبر قد صلى لنفسه !

وفى البيتين بعده يزعم أن قيس بن الملوح كان يعشق فى ليلى ظهور الحق فيها ! وهكذا كل عاشق ومعشوق حتى (أرمان) مع (مرغريت) فى رواية اسكندر دوماس ! (غادة الكاملیا) ٠

فاذا أبصرته أبصرتنى ۔۔۔ واذا أبصرتنى أبصرتنا !

9) عن شيخه ورث الحلول : أرتق للالوهية !

وقد افصح فيما يأتى عمن انتقلت اليه العدوى منه اذ قال :

نوصيك بما أوصانى ۔۔۔ أستاذى قبل المنيا

البوزيدى كان غنى ۔۔۔ على جميع البريا

أترك كلك فى مكانى ۔۔۔ وأرتق للالوهيا

وانسلخ عن الاكوان ۔۔۔ لا تترك منها بقيا

هذا وذاك سيان ۔۔۔ انظر نظرة مستويا

المكون والاكوان ۔۔۔ **مظاهر الوحدانيا**

ان حققت بالعيان ۔۔۔ لا تجد شيئا فريا (17)

(10) تفسير المنار ، ج 9 ، ص 132 ، الطبعة الاولى بمطبعة المنار ٠

(11) الديوان ، ص 13 ٠

(17) الديوان 23 ٠

ان هذا الاستاذ الذى وثق به قد أرتقى الى مقام « الغنى » المطلق ، يوحى اليه أن يرتقى الى الالوهية ! فهذا الداء سرى الى التلميذ العليوى من أستاذه البوزيدى كما اعترف فى هذه القطعة من قصيدته ، فهو الذى أوصاه بالانسلاخ عن الاكوان ، والارتقاء الى الالوهية ، وان المكون والاكوان شىء واحد ، ومظهر الوحدانية ، ومن حقق النظر يجد أن البوزيدى قد ذهب ، والعليوى لحقه ، والله الباقى الصمد باق كما قال : « **كل من عليها فان ويبقى وجه ربك ذو الجلال والاكرام** » .

10) ليلى وعاشقها :

يكنى بعض مدعى مذهب التصوف عن الذات الالهية بليلى ، ويذكرون ذلك فى أشعارهم ويتغزلون بهذا الاسم ويرددونه فى الحب الالهى ، ويعلنون أن مقصودهم بذكر الحب حب الله وقد يسمونه ـ تعالى ـ باسم آخر من أسماء النساء المعشوقات !

ولا شك أن ذلك من وحى الشيطان ، وتلاعبه بهذه « الرعية » الطيعة التى وجد فيها من الجرأة على الله ما لم يتفق له (18) ، فان أسماء الله الحسنى توقيفية ولا يجوز تجاوزها ، ولا يحل لمسلم الالحاد فيها ، لقوله تعالى : « **ولله الاسماء الحسنى فادعوه بها وذروا الذين يلحدون فى أسمائه سيجزون ما كانوا يعملون** » . والالحاد فى الاسماء « بالميل بألفاظها أو معانيها عن منهج الحق الوسط الى بنيات الطريق ومتفرق السبل من تحريف أو تأويل أو تشبيه أو تعطيل أو شرك أو تكذيب أو زيادة أو نقصان أو ما ينافى وصفها بالحسنى ومنتهى الكمال » (19) .

ومن الالحاد « تسميته تعالى بما لم يسم به نفسه وبما لا يليق بكماله وجلاله » ، وهل يليق به ان يسمى باسم امرأة هى رمز للعشق واشتهاء الجنس ؟ قال الشيخ محمد رشيد ان من الالحاد فى أسمائه : « تسميته بما لم

---

(18) قال تعالى لما تحداه ابليس : « **ان عبادِى ليس لك عليهم سلطانٌ إلا من اتَّبعَك من الغَاوين** » وبالاتباع صاروا رعية !
(19) تفسير المنار ، ج 9 ص 440 ,طبعة أولى .

يسم به نفسه فى كتابه ، أو ما صح من حديث رسول الله صلى اللـه عليـه وسلـــم » (20) ٠

وقـــال :

« وقد اتفق أهل الحق على أن أسماءه وصفاته – تعالى – توقيفية ونصوا على اثبات كل ما ورد فى الكتاب والاحاديث الصحيحة دعاء ووصفا له واخبارا عنه وعلى منع ما دل على منعه ، ومنه كل ما يسمى الحادا فى أسمائه وكـــل ما أوهم نقصا أو كان منافيا للكمال ووصف الحسنى ، وقد منع جمهور أهل السنة كل ما لم يأذن به الشارع مطلقا » (21) ٠ ومعنى التوقيفية انها تكون من نص الشارع وبتوقيف منه ، ولا تكون من اختراع أحد ٠

ولكى تتصور مقدار الجراءة والفحش الذى يقع فيه القوم ، تعال معي لترى قول هذا القائل بعد أن ادركت مقصودهم من « ليلى » ٠

قـــال : (22)

دنـــوت مـــن حـي ليـــلى	لمـــا سمعـــت نـداهـــا
يـا لـه من صـــوت يحلـو	أود لا ينتهـــــــــــــى
رضت – كـذا – عني **جذبتني**	**ادخلتـــــــني لحمـاهـــا**
آنستـــــنى خـاطبتـــــنى	أجلستـــــنى بحـذاهـــا
قـربـــت ذاتهـــا مـــنى	**رفعـــت عـــنى رداهـــا**
أدهشتـــــنى تيهتـــــنى	حـيرتـــــنى فـى بهـاهـــا
فـــاذا مـا كـــان مـــنى	غـــير أن سجـــدت لهـــا
أخـــذتـــنى ملكتـــــنى	غيبتـــنى فى معناهـــا (23)

هذا ما كان من ليلاه أولا ثم أنظر ما صنعت به ٠

بـــدلتنـــى طـــورتنـــى وسـمـتـنـى بسمـنـاهـــا

(20) تفسير المنار ، ج 9 ص 440 طبعة أولى ٠
(21) المصدر السابق ، ص 444 ٠
(22) الديوان ، ص 30 ٠
(23) الديوان ، ص 31 ٠

جمعتني فردتني لقبتني بكناها
قتلتني مزقتني خضبتني بدماها
بعد قتلي بعثتني ضاء نجمي في سماها
أين روحي أين بدني أين نفسي وهواها
قد بدا منها لجفني ما قد مضى من خفاها
تالله ما رأت عيني ولا شهدت سواها (24)

ثم يقول :

حسبي من حبيبي أني متصل به شفاها
لنا منه نور يسني قد ضاءت منه جباها (25)

هل عرفت من هي « ليلى » في شعر هذا العارف بالله والدال عليه المعرف به ؟ هل كانت في أول أمرها سوى لعوب من بنات الهوى ، ثم كانت في آخرها معه سوى سفاكة للدماء ، ثم يكشف الحجاب عنه ويقسم بالله على دعواه أنها « الوجود الواحد » عنده وعند أصحابه من دعاة وحدة الوجود ؟

ان أقل ما يستحق من يحب الله بمثل هذا الاسلوب ، وينطق بمثل هذا الكلام ان يقضي حياته في مرستان ، ان التعريف الذي وضعوه لمثل هذا الكلام « الشطحات » لا يصدق عليه بحال ، لانه سجل وروج بعد ان زالت حال الجذب عن صاحبه ورجع الى طبيعته ، وأصبح مسؤولا عما يصدر منه ، فاذا اقره بعد عرضه فكأنه قاله من جديد في يقظته ·

11) هو ذات الرحمن :

بهذا صرح في قطعة ليقول فيها ، وانه ليس سوى ذات الرحمن ، استمع اليه :

لا نرى في الاكوان وفي نفسي مني
الا ذات الرحمن قرت بها عيني

---

(24) الديوان ، ص 31 ·
(25) الديوان ، ص 33 ·

شاهدتها عيان · حيرت لي ذهني

ظهرت بكل ألوان · ماذا يصحي جفني ؟

شربتني كيزان · أخذتني عني !

أدخلتني الديوان · نطقت عن لسني (26)

انه لا يرى في الكون ، ولا يرى في نفسه سوى ذات الرحمن ! وانه بذلك قرير العين ، يشاهد ذلك بعينه ، وقد أخذته من نفسه ، وأدخلته الديوان ، وانه صار نطقه هو نفس نطق الرحمن الرحمن !

واحد فريد في الزمان ! · الكل دوني ـ والكل مني

وبعد أن غرق في « وحدة الوجود » عاد الى الحلول ، لانه يمكن له ان يكون ثانيا حل به اله الكون ، تعالى وتبارك ، قال : في نفس القصيدة :

هب نفس الرحمن · من جانب اليمني

تشكل بالانسان · وبالروح مني

قمت نحكي ما كان · وما معني كوني

بالصحة والبيان · قولي قول يغني

جاد بي الاوان · اعرفوني أني

واحد في الزمان · فريد في وطني

ثم يقول :

أنا حبر العرفان · أنا الحصن المبني

أنا كوكب فتان · أنا الفرد المغني

أنا نور الاعيان · أنا الكل دوني

أنا لب الايمان · أنا قطب الديني

أنا لست أنسان · ولا من الجن

أنا سر الرحمان · أنا الكل مني (27)

---

(26) الديوان ، ص 36 .

(27) المصدر نفسه ، ص 37 ـ 38 .

أما كونه واحدا في الزمن فريدا في الوطن ، فالحق أنه يشبه ذلك ، فانه ـ وان سبق باستاذه (الحبيب) ، ولحق به تلميذه عدة ـ بلغ من الاستدراج درجة لم يبلغ اليها (الاستاذ) الاكبر ، والذى اعتز بنفسه وتجبر ، وقال لما أمر بالسجود « **أنا خَيْرٌ منه** » فمن قال مثله (أنا) فقد أشبهه ، ومع ذلك فلم يبلغ أن قال : « أنا ذات الرحمن » « انا الكل دونى » « انا الكل منى » أنا لست (انسان ولا من الجن) ان ابليس اعترف باصل خلقته وانه من الجن اذ قال : « **أنا خيْرٌ منه خلقْتَنِي من نارٍ وخَلَقْتَه من طِين** » فاعترف بانه مخلوق ، وان آدم مخلوق ، وخالقهما الله واعتز على آدم بالنار التى خلق منها ، لم يقل ابليس انه سر الرحمن وانه جلس الى جانبه الايمن وتشكل بانسان واخذ منه الروح ونطق بلسانه وان الخلق كلهم دونه وانهم منه وقائل هذا واحد فى الزمان ، فريد فى الوطن !

12) تـالله لسـت سـواه :

والفناء عنده فى اللـه ان يفكر فيه وينسى كل شيء ، فاذا به يجد نفسه ليس سواه ! فان سئل من تعنى ؟ قال : هو الله ! :

يـا مـريـدا فـزت بـه	بـادر واقصـد مـن تهـواه
ان أردت تفنـى فيـه	لا تُصْـغِ لمـا عـداه
حضـر قلبـك فـى اسمـه	شخصـه وافهـم معنـاه
وجـه وجهـك لـوجهـه	واهتـز اشتيـاقـا لـه
اخفـض الطـرف لـديه	وانظـر فى ذاتـك تـراه
ايـن انـت مـن حسنـه	تـا للـه لسـت سـواه
ان قيـل مـن تعنـى بـه	صـرح وقـل هـو اللـه
أنـا فيـه ، فـانـى بـه	يـرانـى كمـا أراه
لا نـرضـى بـدلا بـه	أهـل الهـوى فيـه تاهـوا (28)

(28) الديوان ، ص 47 .

لست سوى الإله !

كثيرا ما روى الشهاب والكتاب المصلحون ان ابن عليوة قال فى احدى شطحاته السخيفة : « فتشت عليك يالله وجدت روحى انا الله » .

وهذا ما يصدق ذلك بالنص الصريح فيما سبق وفيما يأتى من هذه القطعة :

تيهتني ذاتك وغبت فيك يالله
ظهرت صفاتك منك وفيك يالله
لمن نحكي سري لمن نريك يالله
رجعت لسكري وحرت فيك يالله
دخلت للمعنى لكي نراك يالله

13) مع ليلى ، اشف الغليلا !

أرقني الغرام من حسن ليلى
والقلب في هيام مع الجميلا
قالت يا غلام أمهل قليلا
وادن مني باحترام وأشف الغليلا
فهمت الكلام كنت نبيلا
باشارة وابتسام بلا دليلا
صرنا فى اغتنام ونحن كلا
بين صحو واصطلام وقتا طويلا (29)

أمثل هذا الكلام السمج يقال فى الحب الالهى؟ أم يقال فى حب الباريسيات؟

14) جنة رضوان فى مستغانم :

روح وريحان ، ما بين الخلان جنة رضوان فى (حضرتنا)
حضرة القدوس محيا لنفوسنا جنة الفردوس تحتاج الينا (30)

جنة رضوان هى التى أعدها الله للمتقين جزاء أعمالهم فى دنياهم لآخرتهم، ومثلها جنة الفردوس، وفيهما يتنعم أصحاب اليمين كما قال المولى سبحانه وتعالى

---

(29) الديوان ، ص 53 .
(30) الديوان ، ص 63 .

« وأصحابُ اليَمينِ ما أصحابُ اليَمينِ ؟ في سِدْرٍ مخْضُود وطَلْحٍ منضُود ، وظِلٍّ ممْدُودٍ ، وماءٍ مَسكوبٍ ، وفاكهةٍ كثيرةٍ لا مقطوعةٍ ولا ممنوعةٍ وفُرُشٍ مرفوعةٍ »٠

اما اذا كانت جنة هذا الشيخ في مستنغانم مثل هذا المدعى فما أرخصها وما أهونها ! وحق لكل ساخر من الاسلام أن يسخر من جنة في «حضرة» الشيخ

15) فتشت عليك يا الله :

أتباع الشيخ ومريدوه يعرفون به فيقولون عنه (العارف بالله) الملقن لاسمه الاعظم ، وكذلك يقولون في شيخه البوزيدى وفي تلميذه عدة كلهم في زعمهم عرف الله ، معرف به ، ملقن لاسمه الاعظم ، تعال معي لنرى كيف يعرفون بالله من يجهله :

قال الشيخ العليوى :

تيهتني في ذاتك	وغبت فيك ياالله
ظهرت صفاتك	منك وفيك ياالله
لمن نحكي سرى	لمن نوريك ياالله
رجعت لسكرى	وصرت فيك ياالله
دخلت للمعنى	لكى نراك ياالله
نديت من أنا ؟	لست سواك ياالله
خرجت للحس	نفتش عليك ياالله
ابتديت بنفسى	حصلت عليك ياالله
ظهرت في الكل	عمن نخفيك ياالله
ظننتك غيرى	جاوزت عليك ياالله
حتى نارت شمسى	قلت عليك ياالله
نوديت من نفسى	قلت لبيك ياالله

يعني ان نفسه نادته فاجابها بقوله لبيك ياالله ! ، والقصيدة في الديوان صفحة 55 من الطبعة الاخيرة، فهل عرفت الله ؟ ما ارخص هذه المعرفة وما افسد عقيدة من دان الله بها ، وما افظع ما توصل اليه ، وما عرف به ٠ وهذا قول منه انه فتش على الله فوجد نفسه هو ٠٠٠

16) هــو عينــك لســت ســواه :

هذا جواب لمن يسأله عند الله ، والمجيب هو الذى قالوا عنه انه العارف بالله ، والدليل عليه ، والملقن لاسمه الاعظم ، يقول :

أهــل الهــوى العارفـين بالله	لهــم نشــوى فى ذكــر الله
فنــوا الســوى وقد غابوا فى الله	مـن ذا يقــوى فى قــرب الله
يا خليـلى اذكـر وافـن فى الله	لا تبــالى بغــير الله
اسمـع قـولى لكـى تبـقى بالله	وانظـر حـالى تعـرف الله
حـض قلبـك وغـب عنك فى الله	واخفـض بصرك لكــى تــراه
شربـك منك اعرف نفسـك بالله	هــو عينـك لســت ســواه

17) خاتمة : حــاكي الكفــر ليس بكافــر :

بهذه الأبيات الرهيبة نختم ما رأينا اقتباسه من (ترهات) هذا (العارف) بالله في تعريف خلق الله بربهم الذى ينتهى به ان يقول لهم : (لستم سوى اللـــه ...) .

ان سماع مثل هذا القول يزلزل الكيان ، ومجرد روايته لاظهار شناعتــه مما يهز الاعصاب ويرهقها بالاوصاب ، فكيف حال من يؤمن بمعانيها ويتقرب الى الله متغنيا بها منتظر ثواب الله عليها ، وهل ينتظر الثواب حقا ؟ وممن ينتظر الثواب اذا آمن ايمانا بقول معرفه بالله (اعرف نفسك بالله ، هو عينك لست سواه !) .

انى اعترف للقراء الاعزاء انني قاسيت كثيرا فى البحث عنها ، ثم النظر فيها ونقل (عينات) منها ، واسائل الله جزاء هذا ان يغفر لى ويرحمني ويرأف بى ان اذعت مثلها فانما فعلت رجاء منه ـ سبحانه ـ ان يكشف أمرها وأمــر قائليها ورواتها ومروجيها ومقلدى مذهبهم فى قول مثلها ، والذين (يذكرون) الله بها ! يرجون ثوابه عليها ، ان السكوت على مثلها وهى من اشنع المنكرات يجب على المؤمن ان يستغفر الله منه ويتوب اليه ، وقد رأينا ـ كيف بادرهــا أستاذنا ابن باديس بالانكار وعاش بقية حياته يطالب أصحابها بالتوبــة والانابة،ولم يذكر من هذه (الاشعار) سوى أبيات يسيرة مما أوذي به رسول

الله صلى الله عليه وسلم وذلك يسير مما جاء فى الديوان لكن ما جاء فيه — مما يؤذى الله — أكثر وأكبر وأكفر ! ففى الديوان 115 صفحة مما قاله الفارس الاول ، و 28 صفحة مما قاله الثانى ، و 61 صفحة مما قاله الثالث ورواج أكثر من مائتى صفحة من هذا الضلال يكفى لزعزعة أقوى الامم ·

وقد اختفت الابيات التى انتقدها ابن باديس ولكن بقيت القصيدة التى كانت فى ضمنها والفصل الآتى فيه تعليق — وجيز — عليها .



الفصـــل التـاســع :

أهــو إعــراض وصــدود ؟

قُـلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّـهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ ٱللَّـهُ

فيما مر من أقوال صاحب الديوان ، وفى طيات (قصائده) المنقول منهـا والمتروك ـ تصريحا أو تلويحا ، أو مجازا ، ورمزا وكناية ـ ما يؤذي ويغضب رسول الله ويستفز صالحي المؤمنين وقد روينا عن الشيخ عبد الحميد بن باديس رحمه الله وصفه لديوانه ـ فى طبعته الاولى انه (مملوء بالعقائد الباطنيـــة والحلولية والتهجم على مقام الربوبية ومقام الرسالة) وقد عرفنا ان أصـل نشوب المعركة العنيفة بين ابن باديس ـ من جهة ـ وبين العليوة والعليويين من جهة أخرى ـ أبيات وردت فى قصيدة نشرت في الديوان فيها إذاية لرسول الله صلى الله عليه وسلم ـ وانتقدها ابن باديس ـ بدئت بقوله :

ان مـــت بالشـوق منكـد　　مــا عـــذر ينجيـــك

ان هذه الابيات لا توجد اليوم بالديوان المنشور فى هذه الطبعة الاخـــيرة عام 1982 م ، بمستغانم ،كما انها لا توجد بالطبعة الثانية التى طبعت بدمشق فى حياة المؤلف عام 1931 م ، ولا شك أنه أمر بحذفها ، وأقر بخطاه فيهـــا وعدوانه على الحضرة النبوية ،وان كان لم يحسن الاعتذار ، ولم يتبرأ من غيرها من الدواهي التى جاءت فى بقية الديوان ، بل أصر عليها بإصراره على طبعه بما فيه فى حياته ٠

توجد بالديوان قصيدة يظهر انها هى التى كانت تتضمن الابيات المنتقدة ! المحذوفة وهى منشورة في الصفحات : 87 ـ 88 ـ 89 من طبعة 1982 طالعها :

يا سيدى أحمد يا محمد   صلى الله عليك

يا من بك القلب   تايد وتربى عليك

لا تحرمنى يا محمد - من سنا وجهك -

- ترانى مقروح الثمد - لا زلت نراعيك

موضوع القصيدة مدح للنبيء صلى الله عليه وسلم ، وعتاب عليه ، وفيها تصريح بانه مدحه وهيأ داره لاستقباله يرجو ان يزوره مرة ثم يعود للزيارة مرارا ، لكن رسول الله ولى عنه وأبى ان يزوره مع انقضاء الايام ومرورها دون جدوى) حتى ان الشيخ لو وجد سبيلا الى ان يقدم له شفعاء ووسطاء لما تردد فى ذلك :

وليت عنى يا الامجد   الله يرضيك

وانا فى الايام نسرد   لو صبت نجاهيك (31)

ولم ينفعه هذا واستمر رسول الله صلى الله عليه وسلم - حسب روايته - فى الاعراض عنه ، وهو متالم يخشى نفاذ الاجل ، ويحمل رسول الله صلى الله عليه وسلم الضمان ، لانه حريص - وذلك من طبعه - على ما يريده ، ولا يفرط فيه ، ويقسم انه ما يزال يردد الصلاة عليه ولو بقى الى الابد فلن يسمح فيه لعله بذلك يشاهد ضياء وجهه • ويقول ان هذا هو الظن فيه ، وان الكمال - كمال الظن - واجب عليه :

هذا ظنى يا محمد - والكمال عليك - بعد المدح بقيت مرصد

فى النوم نراعيك (32)

ثم يعلن فى القصيدة ان رؤيا المنام تحققت ، ولكنها كانت على صورة لم يرض عنها فقد قال : (رايت كانى اخاطب النبى صلى الله عليه وسلم بتلك الابيات وهو فى تدلل وترفع عنى وأنا فى احتقار وتذلل له ، فلما انتبهت رسمتها) (33) واذ كان قد حذف تهديده ووعيده للرسول صلى الله عليه وسلم

---

(31) الديوان ، الطبعة الاخيرة سنة 82 ، ص 87 ، نجاهيك نقدم لك وجهاء كشفعاء •

(32) نفس المصدر ، ص 87 ومرصد : اترصد وانتظم •

(33) كتاب الشهائد والفتاوى نقلا عن النجاح ، وتسليما بصحة الرواية •

ان مـــت بالشـوق منكـد   مـا عـــذر ينجيـــك

وقوله (للمولى نـدعيك ... الخ .

فانه ما حذف عتابه للنبيء صلى الله عليه وسلّم في بقاء صدوده عنه حيث يقول فيه هو مثبت حتى الآن :

حتى رأيتـك يا سيدى أحمد   اللـــه يجـازيـــك
غــير انـــك بـاقي شارد   خـايـف لا نـوذيـــك
مـن فعـلي نعرفـه فاســد   مـا يخفاش عليـك ، الخ (34)

ولم يتحقق له ما أراد ولا ظفر بالمطلوب واستمر في استرضائه والالحاح عليه بتكرير الزيارة ولكن عبثا :

لابـد في اليـوم تفاقـد   كـى نستـانس بـك
والهـفى مـا زلـت نـراود   متـى نحظى بـك (34)

وفي سذاجة بالغة يستمر في الحاحه ، ويقدم عروضا مغرية ـ في نظره ـ لارضاء رسول الله صلى الله عليه وسلم ان زاره فيقول :

قبـل اليـوم صبرت بزايد   والآن يكفيـــك
من نعتك ترفق بالجاحـد   عسـى يـامـن بـك (35)

وعبارة (يكفيك) فيها سوء أدب حسب تعبيرنا العامي ، كما ان عبارة (وصبرت بزايد) مثلها،ثم يحتج بانه مسلم ، وان نسبته للاسلام تكفيه ، وانه صوفي موحد من صنع يديه :

نعجبـك صـــوفى موحـــد   مـــن صنعـــة يـديـك

وهذه في نظرنا ـ جرأة نادرة ، ان ينسب الى الرسول انه صنع بيـده (الصوفى) مع ان رسول الله صلى الله عليه وسلم أتى بالاسلام لوجه اللـه وصبغة الله وهى (الاسلام لله) .

اما عروضه التى قدمها فقد دعاه ان يجربه ويصحبه ليجده يفديه بروحه : بجعله في بيت مفرد لا شريك له فيه ، وفي مكان رفيع محيد :

---

(4) الديوان ، ص 88 .
(5) نفس المصدر .

نجعلك في بيت مفرد ليس فيه شريك
في مكان رفيع محيد هي هذيك وذيك

ويفرش له في البيت الحشايا واللبد مما يحسن للجلوس المريح ، مبثوثة به الزرابي ومسدولة على نوافذه الحجب لتخفيه ٠

نبسط لك فرش ملبد يحسن للتوريك
مبثوثا بزرابي توقد وحجب تواريك

ويستمر وصف مغرياته انه سيبخر بيته بالعود المندد بالروائح العابقة المصحوبة بالنسيم والشراب الحلو المورد يحمله ساق من الولدان المتربين في دار الملوك ٠

وأخيرا يعده بانه سيهيء له الخلوة يتهجد فيها للصباح ، حينئذ يأتيه بابريق فيه ماء ملذذ لطهوره ووضوئه ٠

ثم يخرج معه الى المسجد في صحبة الند لنده :

نصحبك لباب المسجد يدى بيديك
نحفظك من سوء الوارد بنفس نقيك

خيال سقيم :

ان هذا الخيال في مدح النبيء صلى الله عليه وسلم في غاية القصور ، وان العتاب الموجه اليه فيه سوء أدب ، ومنه ما انتقده ابن باديس ٠ وان العروض المقدمة للرسول صلى الله عليه وسلم تتضمن جهلا بما كان عليه في حياته وبما هيء له بعد مماته ، ولو شاء ربه لاعطاه ما شاء من رخاء ونعيم ، ولكن رضى الله له ان لا يعجل له طيباته في الحياة الدنيا وانما تؤجل له الى الآخرة ، ثم انه عند ربه في أعلى الدرجات وأطيب المنازل فكيف تغريه عروض ابن عليوة ؟ وفرشه وشرابه الحلو وفي جنة أبّه ما تشتهيه الانفس وتلذ الاعين ، روى البخاري ومسلم من حديث ابن عباس عن عمر بن الخطاب ان عمر دخل عليه صلى الله عليه وسلم ، قال عمر : « وانه لعلى حصير ما بينه وبينه شيء ، وتحت رأسه أهب معلقة فرأيت أثر الحصير في جنبه فبكيت فقال ما يبكيك ؟ فقلت يا رسول الله ان كسرى وقيصر فيما هما فيه وأنت رسول الله ، فقال : اما ترضى ان تكون لهم الدنيا ولنا الآخرة ؟ » اهـ ٠

انه علم ان الله اختار له ذلك فرضي به وقنع وعلم ان ذلك خير له ، ومن عجيب ان ينتبه هذا الشيخ لما لم ينتبه اليه كبار المهاجرين والانصار ! بتقديم مثل هذا العرض للنبيء بعد وفاته ، وهم الذين عاشوا معه وفدوه بالانفس والاهل والاموال ثم يقدم اليه عرضا بتهيئة « الخلوة » ليواصل (تهجده) فيها وقد انقطع عنه التكليف بالتهجد بوفاته ٠ ثم نتساءل هل كان يشترط عليه ما كان يشترط على (الاخوان) حتى يرى الله ؟ أم كان يريد ان يروى لهم ان النبيء (ص) دخلها وتهجد فيها ؟ وهل يناسب أحدا ان يساير رسول الله صلى الله عليه وسلم (واليد في اليد) على انه عليه الصلاة والسلام قد عصمه الله في حياته منَ الناس فكيف يحتاج ــ في المنام ــ ان يحفظه صاحب الشطحة (من سوء الوارد) ؟

ان صاحب هذا المدح تصور النبيء صلى الله عليه وسلم كأحد شيوخه يزوره أو أحد أصحابه يقدم له ما يقدم لامثالهم ، ولم ينس نفسه من تنويه بها وذكر ما يعود عليها ٠ والعجب انه ألح في ذكر تولي النبيء صلى الله عليه وسلم عنه وشروده عن زيارته حتى في المنام ! ولم يخطر بباله ان يسائل نفسه ــ ان صحت الرؤيا ــ عن سببه ؟ ولو سأل العلماء من أتباعه والواثقين بتدينه لربما نصحوه وقالوا له : قد يكون غير راض عنك لاشعارك وأفكارك وابتداعك و (حضرتك) وكل ذلك متضمن للبدع والمنكرات ولم يأذن فيه رسول الله (ص) لا بالقول ولا بالفعل ولا بالاقرار فكيف ترضيه باللبد والفرش الذى يصلح (للتوريك) وبشربك المورد وبدخوله خلوتك ؟ وانما يرضى عنك ويصفح اذا وحدت الله ونزهته واتبعت سنته قولا وفعلا : « **قُلْ ان كنتُم تحبُّون اللهَ فاتَّبِعُوني يحبِبْكُم الله** ••• » ٠

الفصـــل العــاشر :

ثانيا ـ الفارس الثانى : الشيخ ابن الحبيب

هذا الشيخ محمد بن الحبيب البوزيدى كان حريا ان يكون أول الفرسان الثلاثة وامامهم ، لانه هو شيخ ابن عليوة وامامه ومربيه ، وهو الذى أثـر فيه وكونه ووجهه هذا التوجيه واعده لمشيخة الطريقة (الدرقاوية) فى مستغانم وأوصى له من بعده • وهو ـ كما قال عنه صاحب كتاب الشهائد (المـــربى الجليل العارف بالله والدال عليه •••) عاش على حالة ربانية وسيرة نبوية أهتدى على يده الجم الغفير وانتفع بــه الخلق الكثير (36) توفى عاشر شوال 1327 هـ (1909 م) •

لازمه ابن عليوة و (قضى فى خدمته ما يقرب من خمسة عشر سنة (كذا) ••• ومدة ملازمته كانت له بكل احترام لما يال جهد للسعى فى مرضائه (37) وكان ابن عليوة تلميذا حريصا على (الانتفاع) باستاذه قال عنه مفتى مستغانم (كنت أشهاده ملازما لشيخه ••• بأدب كثير وهو راض عنه حتى توفى فناب عنه وخلفه) (38) •

وقال عنه فى نظم مشائخ الطريقة وسلسلتها :

أولهـــم متصـــل الشــــراب ... مـن بـه صح وصلى واقترابى

عليه الرضا يا رب كذا المزيد ... البوزيدى محمد أهــل للتمجيد

---

(36) كتاب الشهائد والفتاوى ، ص 4 ـ 5 الهامش •

(37) كتاب الشهائد ، ص 5 الاصل والهامش •

(38) المصدر المذكور هامش ، ص 5 •

صفى القلب قوى السوداد حسن البشرى نقى الفؤاد
سألناك يا رب به تحفظنا عن بابك يا مولاى لا تطردنا (39)

بعض دواهى ابن الحبيب :

1 ـ التلميذ نسخة من استاذه : ميراث وفر !

ما شاهدناه فى التلميذ من أقوال ، يوجد مثلها فى أقوال الاستاذ ، فمنه أخذ ، واليه انتسب ، وبوصيته عمل وقد تقدم عنه أنه قال لمريده :

نوصيك بما أوصانى أستاذى قبل المنيا
البوزيدى كان غنى على جميع البريا
اترك كلك فى مكانى وارتق للالوهيا
وانسلخ عن الاكوان لا تترك منها بقيا
هذا وذاك سيانى أنظر نظر مستويا
المكون والاكوان مظاهر الوحدانيا (40)

فما نجده فى أقوال ابن عليوة من الحلول ووحدة الوجود مما اوصاه به أستاذه ـ ان صحت روايته عنه ـ .

ولما مات البوزيدى وقال فيه تلميذه :

لله أشكو حزنى لفقد عرش الولا فقيد الورى طرا ـ والله ـ كذا العصر
فقيد خل الثرى من بعد احتوائه على الكل فكيف به غمه الغمر
فقيد كان فوق الكل ، والكل دونه فيا عجبا كيف احاط به القبر ؟
وليبكيه عرش الله! والكرسى والسما ولتحي به الثرى فصار لها ذكر
البوزيدى محمد له من محمد ميراث الابن للاب ولنا منه وفر (41)

هذه (الأبيات) جاءت فى رثائه ، وقد رأينا اقوال ابن عليوة ، ومقالا من وصيته له وفى (البيت) الاخير يزعم أنه أخذ من ميراثه وفرا ـ فما نوع هذا الارث وما مقدار هذا الوفر ؟

---

(39) الديوان ، 103 .
(40) الديوان ، ص 23 ـ 24 .
(41) الديوان ، ص 100 .

يمكننا أن نعرف نوع الميراث الذى آل من الاستاذ ابن الحبيب الى تلميذه ابن عليوة بمراجعة ديوان البوزيدى الذى نشر فى الطبعة الاخيرة الصادرة بمستغانم عام 1982 م ٠

فمن يراجع ما أنتجه الاستاذ بعد ان قرأ انتاج التلميذ يتيقن أنهما من (مشكاة) واحدة ومعين واحد ٠

2) الكون فى قبضتي :

ففى أول قصيدة نشرت له فى الديوان يزعم محمد بن الحبيب ان (الكون فى قبضته) وكانت ـ مثل شعر تلميذه ـ فى فساد المبنى والمعنى من اللحن الفاحش والزعم الباطل ، والانغماس فى الحلول ووحدة الوجود ، وفيها يقول :

أنا عين للتحقيق — يا من تطلب رؤيتى
أنا منهاج الطريق — والكون فى قبضتى
الكون كسراب — كما جاء فى الآية
هباء فى هواء — عند أهل الحقيقة ! (42)

فانظر ـ رحمك الله ـ كيف يكون التحريف وسقم الفهم وفساد التأويل والتنزيل لآيات القرآن ، فالله تعالى ضرب مثلا للذين كفروا وانه يحبط أعمالهم وما توهموا انهم قدموه من خير وفى عدم انتفاعهم بما صنعوا لان كفرهم مانع من قبوله والجزاء عليه فقال : « **والذين كفَروا بِربِّهم أعمالُهم كسَرَابٍ بقيعة يحسِبُه الظَّمآنُ ماءً حتى اذا جاءَهُ لم يجدْه شَيئا ووَجَدَ اللَّهَ عندَه فوفَّاهُ حِسابَه واللـَّه سريعُ الحِساب** » قال الشوكاني : (المراد بالأعمال هنا هى الاعمال التى من أعمال الخير كالصدقة والصلة وفك العانى وعمارة البيت وسقاية الحاج ، والسراب ما يرى فى المفاوز من لمعان الشمس عند اشتداد حر النهار على صورة الماء فى ظن من يراه الخ (43) اهـ ٠

فالسراب شيء مظنون متخيل ولا حقيقة له فنقل هذا الى انكار حقائق الاشياء الكونية ونسبه الى أهل الحقيقة وادعى أن القرآن جاء به ، والمعلوم

---

(42) الديوان ، ص 115 ٠
(43) تفسير الشوكانى للآية ٠

لاهل العلم ان الذين ينكرون حقائق الاشياء هم السفسطائيون ، وأما أهل الحق فهم يثبتونها ، والى ذلك أشار الامام النسفي بقوله في مطلع كتابه : (العقائد النسفية) (حقائق الاشياء ثابتة والعلم بها متحقق خلافا للسفسطائية).

فالسفسطائيون ـ كما علمناه من كتب التوحيد وعلم الكلام ـ هم الذين انكروا حقائق الاشياء وقالوا : ليس في الكون شيء حقيقي ، والحواس لا يعول عليها! وقد ذكر سعد الدين التفتزاني ـ رحمه الله ـ في محاورتهم عند شرحه للعقائد ما فحواه انه يقال لهم : (أتقولون لا حقيقة لشيء ؟ فاذا قالوا نعم لا حقيقة لشيء يقال لهم : هذه حقيقة من الحقائق ، فيقولون نشك انه لا حقيقة لشيء فيقال لهم أتشكون في أنه لا حقيقة ؟ فاذا قالوا نعم نشك يقال لهم : شككم حقيقة من الحقائق ، فيقولون نشك ثم نشك في شكنا وهكذا .

وقد اعترف أخيرا انه لا وسيلة لاقناعهم الا بالقائهم في النار فاما ان يعترفوا بانها محرقة حقا ، واما ان يحترقوا فيستراح من شغبهم .

فمن قال الكون هباء في هواء عند أهل الحقيقة يقال له : الكون حقيقة من الحقائق، والموجودات : منها واجب الوجود وهو الله ، وجائز الوجود ، وهو ما سواه برهان الوجود للواجب : عالم السموات والارض فانه لا كائن بغير مكون وبرهان وجود الجائز حصول مثل هذا الهذر منكم !

3) **ثم يقول في نفس القصيدة :**

من بحار الجبروت قد ظهرت نقطتي
تلونت بالنعوت وسر الملكوت

هذا نص في القول بالحلول ووحدة الوجود فهو يزعم ان كونه انسانا انما هو لون من ألوانه وانه واحد في مظاهر الوجود :

يا خليل قل الله وحده في الكثرة
لا ترى ما سوى الله في كل كائنة (44)

---

(44) الديوان ، ص 115 .

4 ـ رؤيـة اللـه جهـرا :

وقد سبقت امثلة من أقوال تلميذه،والاستاذ هو الاصل فى هذا أيضا يقول محمد بن الحبيب :

وقفت بالباب ورفعت الحجاب فقـال البواب اهـلا وسهلا
ادن يـا عاشق ان كنت صادق للسوى ا فارق تغنـم الوصلا
ازداد حبـى بنسيم القرب وتلاشى كربى لمـا تجـلى
تجـلى ما كـان فى الازل وبان تـراه عيـان يسقى ويمـلا (45)

ويقـول :

يسقيك حقـا ظاهر وباطـن تـراه جهـرا والا فـلا (46)

5 ـ قـول بنى اسرائيل ومـآلهم :

تعنت بنو اسرائيل، وبلغ بهم الغرور والجهل الى ان قالوا لموسى عليه السلام: « **لن نُؤمِنَ لك حتَّى نرى اللهَ جهرةً** » فأخذهم الله أخذ عزيز متقدر ، كما قال يوبخهم : « **فأَخَذَتْكم الصاعقةُ وانتم تنظرون** » ولم يكن فيما قصه الله علينا من حالهم عِبرة لهؤلاء الجفاة فيبلغ بهم الحال الى ادعاء انهم « يرون الله جهرا » أليس فى حال هؤلاء جفاء أكبر ، وافك أكثر ؟

6 ـ ضـريحه البيـت المعمـور :

أقسم الله بالبيت المعمور ان عذابه « **لواقع ، ما له من دافع** » وقالت العلماء ان البيت المعمور فى السماء السابعة ، أو فى الدنيا وان (وصفه بالعمارة اذا كان فى السماء بمن يدخله من الملائكة ويعبد الله فيه ، واذا كان هو مكة فيمكن وصفه بالعمارة حقيقة لانه أبدا عامر بالقائمين والطائفين والركع السجود فى كل وقت من أوقات الليل والنهار أو مجازا باعتبار كثرة من تعبد ويتعبد فيه من بنى آدم (47) ·

---

(45) الديوان ، ص 116 ·
(46) الديوان ، ص 117 ·
(46) الديوان ، ص 116 ·
(47) انظر تفسير الشوكانى ·

وزعم هذا المتصوف ان ضريحه ـ أيضا ـ بيت المعمور ! ودعا الناس الى اتيانه لعبادته والتقرب اليه لا لعبادة الله ، وضمن لهم الامن اذ يقول :

ايا خليلي آت ـ مسرعا لحضرتي ـ لا تخشي من آفات ـ ضريحي بيت المعمور (48)

وهذا ما لم يقله أحد لا حقيقة ولا مجازا وتشبيها · ودعوة الناس لشد الرحال الى ضريحه ليامنوا الآفات كلها جليلها وحقيرها « كما يفيده وقوع النكرة في سياق النفي » لم يعطها اله لعباده ، وحتى حجاج بيت الله تصيبهم الآفات، ومنها مصيبة المرض والموت ·

ولقد حصر الاسلام شد الرحال في ثلاثة مساجد : بيت الله ، وحرم النبيء صلى الله عليه وسلم · والمسجد الاقصى ·

ولقد حذر رسول الله صلى الله عليه وسلم أمته من اتخاذ القبور مساجد فقال : « لعن الله النصارى واليهود اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد » ودعا الله الا يجعل قبره وثنا ·

مع كل هذا فان هذا « المتصوف » يدعو للاتيان بسرعة الى (حضرته) في ضريحه وانه بيت معمور ·

7 ـ يرفع الحجب ! ويشاهد علام الغيوب !

وفي (شطحة) مسجلة من كلام ابن الحبيب يقول :

أنا الذي ظهرت	خمرتي مني فاضت
والاشياء بي قامت	أنا رافع الحجب
ناداني من كل مكان	أصدع وبشر الاخوان
بالقرب مع الامان	اللي يتبعك محبوب
يشرب كاس المعاني	يفني عن كل فاني
يغيب ذات الفاني	يشاهد علام الغيوب (49)

(48) الديوان ، ص 121 ·
(49) الديوان ، ص 124 ·

الاشياء بي قامت ! أهكذا ؟ سبحانك ـ اللهم ـ الحي القيوم،فانت اللهم وحدك القيوم ، ان الله سبحانه وتعالى استأثر بالغيب لا يعلمه نبي مرسل ولا ملك مقرب الا ما شاء منه برسول ووحي كما قال : « **قُل لاَ يعْلَم من في السموات والارضِ الغيبَ إلاّ الله** » وقال : « **عالمُ الغيبِ فلا يُظهِرُ على غيْبِهِ أحداً إلَّا مَنِ ارْتَضَى مِن رسُول** » وهذا الذي يزعم أنه « رافع الحجب » سامع صوت ربه ـ تعالى الله ـ يقول له : اصدع بشر عبادي بالقرب والمزيد حاشا مريدك محجوب (50) قد ضمن لمريديه واخوانه الا يحجب غيب الله عن أحد منهم ، بل انهم « يغيبون في ذات الله الغاني يساعدون علا الغيـــوب أو علـــم الغيــوب » (51) .

وقد وعدهم قبله من وعد اتباعه فقال تعالى : « **يعدهم ويمنيهم ، وما يعدهم الشيطان الا غرورا** » .

8 ـ الخمـــار الاعظـــم :

لم نتهمه بهذا ، ولم نرضه لـه ، ولا نرضى أن نسنده الى مسلم يعلـــم ما قاله رسول الله صلى الله عليه وسلم في الخمرة والعشرة المشتركين فيها ، ولا يمكن أن يكون ذلك محل فخر مهما كان نوع (الخمر) الذي يوزع فيها .

ولكنا وجدنا هذا الفارس يفتخر بذلك وينسبه لنفسه ويفتخر به قال في صفحة 128 من الديوان :

أنـــا البحـــر الواســع	أنـــا هـــو الخمــار !
نســقي كـــل ســامــع	كـــؤوس الاســــرار
فـكــن لـــي تـابـــع	تـرفــع عنـك الاســرار
يـذهـب عـــنك المـانـع	تشـاهــد الانـــــوار

لم يكفه ادعاء علـم الغيب حتى نسب الى نفسه انـه يكون سببها لتعليم غيره كشف الاسرار .

9 ـ كل قطب ـ كل غوث ـ كل والي (كذا) خاضع له :

ثم يتابع الشيخ الحبيب رواد (حانته) فيقول : في نفس (القصيدة) :

كـــل قطـــب بــــارع　　صـــافي مـــن الاكـــدار

---

(50) ـ(51) الديـــوان .

فلى يبنايع بالسر والاجهار
كل غوث شايع واسع الافكار
هو عبدى تابع قهارا وجبار
كل والى خاضع لى بالانكسار
حكمى عليه واقع بدون اختيار
ومن لى ينازع رافض الاقرار
هو غير تابع سادات الاخيار

هذه صفة القاهر فوق عباده فاذا لم يكن هو الواحد الوجود ـ سبحانه ـ فانه الجبار العنيد ، وقد قال سبحانه : « وخاب ... » .

10 ـ الفلك الدوار فى قبضته :

ونختم هذا النقل عنه ـ وهو المخلوق الفانى المغرور ـ ويقيننا أن القارىء قد أخذ عنه فكرة صحيحة ـ بقول له يؤكد دعواه الاولى ان الكون فى قبضته قال في نفس (القصيدة) صفحة 129 من الديوان :

كل الكون الواسع والفلك الدوار
فى قبضتى ضايع كحلقة فى القفار
والعرش المتسع والشمس والاقمار
فى القلب يا سامع موجة فى البحار
كل نور ساطع ظلام وأنوار
كل ماء نابع والليل والنهار

ثم يعدد بعد ذلك الصراط ، والميزان ، والكوثر ، والجنان والساجد والراكع والعاصى والطائع . كل هؤلاء فى « رضاه » طامع !

والساجد والراكع فى الليل والاسحار
فى رضاى طامع ورفع الاستار
والعاصى والطائع فى الموت والمحشر
ملجأه راجع لى بلا انكار

ولا تظنن ان هذه (شطحة) منه يتكلم فيها بلسان الخالق ـ ولا تكون هذه القدرة الا لله ـ بل انه يزعم أخيرا انه كل هذا له من الله ! ولم يدع شيئا من ذلك نبى مرسل ، ولا ملك مقرب ولا يدعيه من يعرف الله ٠

فهو يقول فى صفحة 129 و 130 :

هـــذا معـــطى الصانـــــع	مـــا فيــــه انكــــــار
الا قـــــــول القــاطـــــع	فـــــــذاك مــزمـــــار
اعـــــزم يـــا منـــازع	ودع كـــــل عـــــار
واقــــدم لـــى ســــارع	تنــــال ذى الاســـــرار !

ونحن نجيبك بلساننا ولسان الخلو :

نازعناك ، وكذبنا بسلطتك وقواك ، وأسرعنا اليك لنرى الاسرار فوجدناك مت وأصبحت عظامك فى قبرك رميما ، ولا شك انك أدركت الحقيقة يوم جاءك اليقين ، فعلمت أن من ركع وسجد فى الليل والاسحار طامعا فى رضاك لا فى رضاء ربه أو رضاك ورضاء ربه قد كان من الهالكين ، لانه اشرك ـ فى عبادته ـ برب العالمين وذلك مصيركل من عبد غير الله وكذلك من رضى ان يعبد من دون الله « **إنكم وما تعبُدون من دونِ الله حَصَبُ جَهنَّم انتُم لهَا وارِدُون** » ٠



الفصـل الحـادى عشـر :

ثالثا ـ الشيخ عدة بن تونس هو ثالث الفرسان ليس دونهما ـ سوء قول ـ فى الميدان

ان الفارس الثالث فى هذا الميدان الشائك ، هو الشيخ عدة بن تونس الذى خلف شيخه (ابن عليوة) فى تحمل خلافة الطريقة ، ولعب فى حياته دورا كبيرا بصحبته ورفقته فى رحلاته ، والذب عن شيخـه فى مقالاتـه وكتاباته • اذ كان مسؤولا عن الاعلام فى حياة شيخه ومحررا فى جرائـد الطريقة كلسان الدين ، والبلاغ الجزائرى ، وعند وفاة شيخه فى صائفة عام 1934 م . خلفه فى المسؤولية والرئاسة لانه لم يكن له عقب حتى عام 1952 م• ثم أورثها عقبة من بعده الى الآن •

وأثناء قيادته لـ « الاخوان » انحسر مد الطريقة انحسارا كبيرا • ولـم تعد تظفر بالاهمية التي كانت لها ، لظروف كثيرة لعل من أهمها ما كانت تتمتع به شخصية شيخه من قوة طاغية على (الاخوان) وكفاءة نادرة فى قيادتهم و (تنويمهم) ولكن لا يمكن اهمال أهمية انتصار الفكرة الاصلاحية انتصارا ساحقا ، وذلك بفضل اليقظة الكبيرة التى عمت مظاهرها فى كـل الميادين : الدينية والسياسية والثقافية وانتشار الوعى ، ورفض الناس عموما والشبيبة خصوصا فكرة (تأليه) المخلوقات والايمان بان الشيخ هو الاله ، وليس سواه وانظر اليه تره ، كما ان فكرة (ألوهية) البشر والشجر والبقر ، والشمس والقمر ، والبغال ، والحمر ، وأن الفانى هو الباقى ـ مما يبث فى (أشعار) وحدة الوجود ـ لم تعد تجد من يميل الى سماعها والاطمئنان الى من يقولها • والتصديق الكامل بها •

رغم كل هذا فان ثالث الثلاثة من هؤلاء (الزعماء ، الدينيين ـ لهـــذه الطريقة · لم يكن دون سابقيه ابن الحبيب وابن عليوة فى تكرير هذه المزاعم، وفى الجهر بالسوء من القول ·

وقد سماه « ديوان المحبين فى مقامات العارفين » وعرف به هكذا للعارف المطبوع فى مستغانم عام 1982 م ، وقد تضمن أشعار الفرسان الثلاثـــة ، وتضمنت أشعار الاولين 143 صفحة ، وألحق بها ديوان للشيخ عدة وتضمن 61 صفحة وتعتبر هذه طبعته الثالثة له · وصدرت منه طبعتان فى حيـــاة (الشاعر) صدرت الاولى عام 1947 م ، والثانية عام 1951 م ·

وقد علمنا ذلك ـ بفضل ما نشر على الناس فى (ديوان ابن عليـــوة) بالله ، والدال عليه المشهور بتلقين الاسم الاعظم الشيخ عـــدة بن تونس المستغـــانمى ·

والملاحظ هو ان التعريف بالمشائخ واحد : كل منهم عارف بالله دال عليه ملقن لاسمه الاعظم ·

والديوان نسخة من الديوانين السابقين فى سوء القول وفساد المبـــنى والمعنـــى : لحن فاحش ، وعربية تتبرأ من أسلوبها لغة العرب الفصيحـــة والدارجة ، ومعان سقيمة ، أولا تجد لها أدنى معنى ، تخليط عجيب لا يصدر الا عمن ليس بمسؤول عن قوله ·

ولا نطيل فى ضرب الامثلة من هذا الديوان ، فكفى ما مر من « الشيخين » فان لاحظنا شيئا جديدا لفتنا اليه النظر ·

وكما مر ننبه الى ان اعتذارهم الدائم بان كلامهم « شطحة أو شطحات » لا يقبل لان « الشطحة » ينطق بها « الشطاح » فى غيبوبة فتروى عنه وتنقل حينئذ · اما ان يكتبها هو بنفسه أو يمليها وهو فى وعيه وينشرها ويروجها فهذا لا يكون الا عن « عمد » وسبق اصرار · وهذه أمثلة من سوء القول :

1 ـ من رآه رأى الله ـ تعالى الله ـ

هذا زعمه فيما نشر فى حياته ونسب اليه بعد مماته اذ قال مقسما على قوله بالله ـ تعالى الله ـ

والله من رآنى مـن غـير ما شبـه | رأى الـذى ما له فى الكون من عدد
أما العـــدد اذا حققت صورتـــه | وجدتـه واحـدا ما لـه من قـــدد
ورقـــم ثانيـــة كرقـــم ثالثـــة | كـل منها قائـم بالاحد الصمد (52)

الذى ما له فى الكون من عدد هو الله الواحد الاحـــد فى ألوهيته وفى ربوبيته لا شريك له ولا نظير ولا مثيل . واما الشيخ عدة فهو مخلوق ضعيف فان ، فانى يكون الجائز الوجود نفس الواجب الوجود ؟

أليس هذا قول الحلاج : أنا من أهوى ، ومن أهوى أنا ؟.. فكلا ناقـــد سكنا بدنا .

فـاذا أبصرتـه أبصرتـــنى | واذا أبصرتـــنى أبصرتنـــا

أما ان يكون الثلاثة واحدا ، والواحد ثلاثة كما زعم فى قوله :

ورقـم ثانيـة كرقـم ثالثـة | كل منها قائم بالاحـــد الصمـد

فهذا ما لم يعهد فى اعتقاد المسلمين ، وانما النصارى هم الذين قالوا : « ان الله ثالث ثلاثة » ثم علموا ان هذا يخرج بهم من التوحيـــد الى الشرك فزعموا أن الواحد عين الثلاثة ، والثلاثة عين الواحد ! ولا يدرى أحد كيف يكون الواحد ثلاثة ، والثلاثة واحدا . فزعموا أن (اللـه) مركب من اقانيم ثلاثة : الاب والابن وروح القدس ، تعالى الله عما يقولون .

2 ـ انـت مخلـق وغـير مخلـق :

ويقول فى صفحة 6 :

تنازعنى روحى وشبحى فمن أنا ؟ | **لقد حرت فى أمرى فمن لى بمن يدرى؟**
فان قيـل روح بقيـت بـلا شبـح | **وان قيل لى شبح فأين روحى تسرى؟**
ضللت ـ ورب العرش ـ لولا دليله | **«هل آتى على الانسان حين من الدهر»**
فأيقنـت ان الشيء روحى ومهجـتى | ولم يكن مذكورا فى عوالم الامر (53)

---

(52) الديوان ـ فى ذيل ديوان ابن عليوة المطبوع فى مستغانم عام 1982 ص 4
(53) الديوان الملحق بديوان ابن عليوة المطبوع عام 1982 ، ص 6 .

3) هل يعلم رسول الله ما فى الضمير ؟
وهـل يجوز له ان يعبد مـن دون الله ؟

يقول الشيخ عدة فى صفحة 37 :

الا يا رســـول اللــه انى مقصـــر   وأنت على علم مـن قصدى ومطمعى
الا يا رســول اللــه غشـنى بهمـة   تقينى مما همنى وان عـــز منجعى
أنا الضعيف ما لى ســـواك ينتصر   ولولاك ما كنت ولا كان مشرعى (54)

ان محمدا صلى الله عليه وسلم عبد الله ورســـوله أمره ان يقــول : « **قل لَا املِك لِنفسي نفعاً ولا ضرًّا إلا ما شاء اللهُ ، ولو كنتُ أَعلــمُ الغيبَ لَاسْتكْثرتُ من الخيرِ** » فلا يعلم من الغيب الا ما علمه الله ، وقد كلفه اللــه سبحانه ان يحكم بالظاهر وهو وحده يتولى السرائر · وقد اذن ـ يـــوم تبوك ـ لمن ادلى له بعذر قابلا منه ظاهـــره ممـا ادلى به فقـال لـه اللـه : « **عَفَا اللهُ عنكَ ، لمَ أَذِنْتَ لهم حتَّى يَتَبيَّن لك الذينَ صدقُوا وتعلمَ الكاذِبينَ** »·
وقال أيضا فى هؤلاء المعذرين : « **وممَّن حولَكم من الأَعراب منافقون ، ومـن أهل المدينة مَرَدُوا على النِّفاق لا تَعْلَمُهم نحنُ نَعْلَمُهم** » فإسناد علم الضمائـر ـ مطلقا ـ الى النبى اسناد باطل ومعتقده مبتدع ، ومن قال لرسول الله صلى الله عليه وسلم : (أنت على علم من قصدى ومطمعى) دون ان يخبره بذلك الرسول نفسه ـ فداه أبى وأمي ـ فقد بهته ، وقد حدث ذلك مرات أطلعه على ما فى الضمائر كما فى قصة عمير بن وهب رضى الله عنه وما اتفق عليه مع صفوان بن أمية من إرادة اغتياله ، وكذلك مع غيره من فتيان أرادوا به سوءا.

وأما دعاء الرسول واستغاثته ـ فيما وراء الاسباب ـ فانه صلى الله عليه وسلم يتبرأ ممن دعاه كما تبرأ عيسى عليه السلام ممن اتخذوه وأمه إلاهيْن من دون الله ·

واما قوله : (أنا الضعيف ـ ما لي سواك ينتصر) ·

فان الرسول صلى الله عليه وسلم لم يخلقه ولا يصح ان يوجه اليه مثل هذا التوحيد فقوله : (ما لى سواك) افراد له بالتاليه والدعاء ، وليس فى

---

(54) الديوان فى ذيل ديوان ابن عليوة ، ص 37 ·

هذا تعظيم النبيء وتعزيزه وتوقيره الا على طريقة النصارى الذين ألهوا عيسى عليه السلام فتبرأ منهم «**ما قلتُ لهم إلا ما أمَرْتني به أن اعْبُدوا اللّهَ ربّي وربَّكم**»

واسترسالا فى منهجه يقول :

يا رحمة أنزلت فى صورة أحمد فكانت رسول الله اليه مرجعي
الوذ به ، ومن يلوذ بجاهه تسامى به البخت الى أعلى مرفع (55)

ان المرجع الى الله وحده « **الى اللهِ مرجعُكم جميعا** » وتقديم المجرور على عامله يفيد الحصر ، وهو مقتضى التوحيد وديانة الموحدين · اما قول هذا فى رسول الله صلى الله عليه وسلم (اليه مرجعى) فانه عليه الصلاة والسلام سيتبرأ منه · وانما يلوذ الموحد ويستعيذ بالله ·

4 ـ الموتى يتكلمون :

انّ ما نسبه للرسول صلى الله عليه وسلم أثبته لشيخه أيضا فقال :

العلاوى يتكلم لمن ينده به الحاضرين سلم ردوا السلام عليه (56)

ومعنى الكلام واضح ـ فهذا المعرف بالله يقول لإخوانه الجاملين ان الشيخ العلاوي يجيب من دعاه (كلمة نده عربية صوت وفى عامتنا معناها استنجده وطلبه) فيسمع صوت استجابته ، ويسلم على الحاضرين فيردون السلام عليه !

العلاوي يا لبيب ـ له صوت عجيب ـ ليت لك نصيب ـ منه لتدريه
تأتى لك العلوم ـ من الحي القيوم ـ تغنى عن الرسوم ـ بالذى يوحيه

ومعناه أيضا ان العلاوي يمتاز بسر عجيب من ملك نصيبيا منه أتته العلوم وحيا من الله الحى القيوم · واعتقاد المسلمين أن بوفاة رسول الله صلى الله عليه وسلم انقطع الوحى وعلمه المسلمون واجمعوا عليه ·

وفى صحيح مسلم أن أبا بكر وعمر رضى الله عنهما ذهبا لزيارة أم أيمن رضى الله عنهما لان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يزورها فى حياته ·

---

(55) المصدر السابق ، ص 37 ·
(56) المصدر السابق ، ص 39 ·

فيما جاءاها رحبت بهما ثم بكت فقالا لها : ما يبكيك ؟ قالت انى والله لاعلم ان ما عند الله خير لرسول الله مما عندنا ولكنى أبكى لانقطاع وحى السماء ، فبكيا لبكائها فاذا كان أبو بكر وعمر وأم أيمن يعلمون ان الوحى قد انقطع فمن زعم ان الوحى يأتيه أو يأتى شيخه من الحى القيوم فقد ضل وغوى ، وفى الكفر والهاوية هوى ٠

5 ـ من رآنى رآه فى حلتي :

فى القديم قال امام الحلوليين الحلاج (ما فى الجبّة الا الله) فاستحق الموت بعد محاكمة ٠ وهذا ما يقوله مثله هذا (الشطاح) ٠

طبت نفسا بالطرب والغنى ؟ وحلا سكرى

بين عود والحان تجتنى لذوى الذكر

يا لها من سلوة (حضرتى والكأس مالى

وحبيب من بين أحبتى كالبدر العالى

من رآنى رآه فى حلتى انه الوالى

6 ـ مولى سطوة !

ومن (شعره) ما يعلن عن مبالغات عظيمة فى تقديس المخلوقات ، وذلك اخلق بالعبادة وأقرب اليها ، وبسوء الاعتقاد والبعد عن السداد والخروج عن الرشاد اليق ٠

جاء فى مدحه شيخه ـ بعد موته ـ ما يجعله تارة يعتبر يده نسكا ٠ تستحق التقبيل ، ويشبهها بالحجر الاسود أثناء نسك الحج والعمرة والطواف ـ والمسلمون لا يقدسون **الحجر** الاسود تقديس العبادة ـ وقد قال له عمر : والله ما أنت الا حجر ، لا تنفع ولاتضر ، ولولا انى رأيت رسول الله يقبلك ما قبلتك ٠

ويقول الشيخ عدة فى يد شيخه :

يده كالحجر الاسعد الناس عندها تداول

أرطـب مـن الحـرير الفـانى ! (57)

وتارة أخرى يزعم ـ انه من أهل الخلوة ، والسطوة ، والخطوة قريب ، حاضر ، جايز غير عاجز ٠

هذه الصفات بخلاف ما وصف به عمر الحجر الاسود الذى وضعه موضعه وصارحه انه لولا ان رأى رسول الله يقبله ما قبله ، فأمر تقبيله (تعبدى) غير معقول المعنى ٠ اما (تقديس) هذا الشيخ فلانه مولى سطوة ، وصاحب خطوة قريب (ممن) ؟ حاضر (أين) ؟ غير عاجز (عم) ؟

قال الشيخ عدة فى ذلك :

سيـــدى مـن أهـــل الخلـــوة　　أحكيـم عـارف باللـــه فـايـز

وأصـــل مـــولى سطـــوة　　عنـــد مـــولاه جـــايـــز

والى مـــن أهـــل الخطـــوة　　قريب حاضر ماهوشى عاجز (58)

هل يريد ان يقول ان له سطوة عظيمة تخول له التصرف فى الكون ، وله جاه كبـير تجوز تصرفاته وهو ـ بعد ذلك ـ قـريب ممن ناداه حاضر عنده ينجده ويحقق له ما أراد منه ولا يعجز ، هـل يريد ان يحول أليه ما جاء فى قوله تعـالى : « **وإذا سَألكَ عبادي عني فإنّي قريبٌ أجيبُ دعـوةَ الدّاعِي إذا دعـانِي** » ٠

7 ـ عبـد اللـه أم عبـد مخلـوق :

ثـم يتـوجه اليـه فيقـول :

أنـــا عبـــــدك مملـــــوك　　مـن عبيـدك معتـــوق أمحـــرر

صـــافـى مـا فيـــه شكـــوك　　فى مـديحك ينســـج ويعبـــر

ســاقى مـن أهـــل السلـــوك　　فى مقامـك يذكـر ويعمـر (59)

فهذا أقرب لدعاء (الـرب) والتذلل اليه،وحتى من عبد هبل من أهـل الجاهلية لم يعترف له بهذا وحتى فرعون الذى قال أنا ربكـم الاعلى لم نعلم

(57) الديوان ، ص 42 ٠
(58) الديوان ، ص 51 ٠
(59) الديوان ، ص 51 ٠

انهم صدقوه وتذللوا له ، ثم تأمل التناقض فى اللفظ : كيف يكون من جهة عبدا مملوكا صافيا ما فيه شكوك ، ومن جهة أخرى محررا معتوقا ؟ ثم ان المؤمن يعمر مساجد اللـه ، فهى التى أمر ان ترفع ويذكر فيها اسمه . أما (المقامات) فقد أحدثتها الباطنية وعبدوا ساكنيها وطافوا بقبورهم كما يطاف بالبيت العتيق .

وفيـه يقـول :

رانى مهموم يا عـلاوى سيد القـوم	قلبى مكلوم حار عقـلى فى المـلاجى
جسدى محموم والعقل مايج مقسوم	واعييت نقوم ما نفع عومى فى أمواجى
غـث المظلوم ما أبقى لى جهـد اليوم	رانى مغموم فى اعقالى كالواجى (60)

هذا دعاء حقيقى ، وتضرع من عاجز ذليل ، وعبد حقير امام القوى العزيز ، والحى الذى لا يموت القادر على كل شىء ، فلا يكون من العبد الا أمام الله .

اذ من المعلوم ان الدعاء هو العبادة ، أو هو مخ العبادة كما جاء فى الحديث.

فالحق ان هذا شىء جديد فى اقوال هذا (الفارس) الثالث لم يمر بنا فى أقوال شيخه وشيخ شيخه . بل رأينا منهما دعوى القدرة والسطوة .

أما هذا فقد اعترف بـ (العبودية) لشيخه ، وتوجه اليه بدعائه وتضرعه اليه رجاء ايصال النفع أو رفع الضر عنه ولو فعله في حياته مستغيثا ان ينجده بالاسباب العادية لجلب نفع أو دفع ضر لوجد له عذر ؛

أما ان يتوجه اليه بعد موته طالبا دفع الضر وجلب النفع بما وراء الاسباب فانه لا محالة يصدق عليه قوله تعالى : **« إِن تدعُوهم لا يسمَعُوا دعاءَكُم ، ولو سمِعُوا ما اسْتجَابوا لكُم ويومَ القيامة يكْفُرون بشِرْكِكُمْ ولا يُنَبِّئُك مثلُ خبِير »** والله العليم الخبير ، وهو ولينا وناصرنا ونعم المولى ونعم النصير .

8 ـ خـاتمة هـذا القسـم :

اذا كان الشيخ أحمد بن عليوة لم يرث (مشيخة) الطريقة عن سلـف له ، وانما أورثه أياها شيخه البوزيدى فنهض بها ، ونشرها ولقى فى ذلـك

---

(60) الديوان ، ص 53 .

الاهوال حتى أتم تجديدها ثم لم يورثها لبنيه لأنه لا عقب له ـ فان الشيخ عدة له عقب أورثه (المشيخة) شان نظام (الملكية) الوارثية ، وما جرت عليه (الطرق) فى بلادنا ٠

ومن شأن هذه النظم الوارثية ان تبدأ قوية نشيطة ثم يتطرق اليها الضعف ـ والوهن ويسرع اليها الخراب لانه يندر ان يكون فى (الخلف) قوة السلف وكفاءتهم ٠

وقد رأينا ما فى أشعارهم وأذكارهم من ذكر الشراب والخمرة ، والسكر والسكرة، والرقص والاهتزاز ، والغناء والطرب،والارتجاج،والتغزل فى ليلى وسعدى،كما كانت لهم اتصالات مريبة فى الداخل وفى الخارج ــ مع الذكور والاناث من المسلمين،والاجانب والاجنبيات،ورجال الكنيسة والقداسة ، والسر والسياسة ، وجاء الاستقلال والدولة،والحكم والصولة،والقوم فى غواياتهم سادرون،حتى انكشف منذ سنوات وانجلى السر عن فضيحة كبرى فى مركز (المشيخة) ولم يسلم منها نفس العارف بالله والدال عليه ، و (الهادى) الى اسمه الاعظم ٠

واذا بالخمرة هى الخمرة التى تسكر حسا ومعنى منها الشامبانيا والويسكى ـ هى السكرة ولا تقتصر على تناول الكحول ولكن تتجاوز ذلك الى (المخدرات) واذا بليلى وسعدى من الفاتنات هن مريان ولليان من الباريسيات، وتدخلت الشرطة والعدالة ، وكانت فضيحة تزكم الأنوف ٠

أحق هذا أم هو من قبيل الدعايات ؟ لقد خاضت فيه الجرائد وكشفت مخزيات وزار العارف بالله السجون ومثل أمام القضاة ٠

وما كان هذا ليقع أيام الأولين ولكن صدق عليهم قول رب العالمين : « **فَخَلَفَ من بعدهم خَلْفٌ أضاعوا الصلاةَ واتَّبعوا الشهواتِ فسوف يَلْقَوْن غياً** »

« **ألم يَان للذين آمنوا ان تخشعَ قلوبُهم لذكرِ اللهِ وما نَزَلَ من الحق ولا يكونوا كالذين أُوتوا الكتابَ من قبلُ فطالَ عليهم الأمدُ فقسَتْ قلوبُهم وكثيرٌ منهم فاسقون** » ٠

باب النثر من قوله :

الفصل الاول

النثر لا يقل ـ نكرا وشناعة ـ عن الشعر

ربما يقول القائل هذا شعر الشيخ ، أو شعره وشعر أصحابه ـ قد قرأناه وشربنا منه حتى الثمالة ـ فمجحناه وانكرناه · غير ان الشعر وحده لا يكفى للحكم · وقديما كان الشعراء يتهمون ويشرثرون ، وقد قال الله فيهم : « **ألم تَرَ أنهم فى كلّ وادٍ يَهيمون وأَنهم يقولُون ما لا يَفعلُون** » فهو وأصحابه من الشعراء ، لم يشذوا عنهم ، ولا خرجوا عن سننتهم ، وما تبعهم فى مزاعمهم الا الغاوون ·

وأقول : سؤال وجيه ، واعتراض من نبيه ، لو كانوا شعراء حقا ، وكان قولهم قصائد سليمة مقبولة فى فن الشعر ، جميلة جمال نسجه · ولكن ما رأيناه ـ مما سموه شعرا ـ يتبرأ من شاعر يتهم به الانس والجان ·

ومع ذلك فانك اذا نقبت عن (نثرهم) وجدت فيه ما فى شعرهم ، أو ما هو أدهى وأمر منه فى المبنى وفى المعنى ·

لقد نسبت لشيخهم الاعظم كتب كثيرة ، وان عرف من الخاص والعام أنه أمي أو يكاد يكون أميا ، وما دام لم يتبرأ منها فهى له ، وان نحله اياها أقوام ونسبوا قولها له · وفى هذه التآليف ما يدل على عاميه وجهل واضح وتخليط عجيب لا يعرف عن عاقل يعرف (العلم) أو (الثقافة) وينتسب اليها ، بل من الحرى أن يترفع ـ لو كان يعلم ـ عن نسبة مثل ذاك الكلام اليه ، فضلا

عن التبجح به والتباهى بقوله · وقد تبجح الشيخ بشىء منه · أمام شهود عليه لا يتهمون كالاستاذ أحمد توفيق المدنى ·

ومن هذا النوع من كتبه شرحه على (المرشد المعين) وهو كتاب الامام ابن عاشر ، منظومة فى 314 بيتا من رجز الشعر ، اشتملت على مقدمة فى علم الكلام (أصول الدين) وعلى خاتمة فى علم التصوف ، وبينهما الكلام على الصلاة ، وما يتعلق بها ، والزكاة ، والصوم ، والحج ·

وكان هذا الكتيب المفيد قد نال القبول فى شعبنا ، والتف حوله العلماء والطلبة والعامة كلهم يهتم به · فالعلماء يقرئونه ويشرحونه ، والطلبة يحفظونه ويدرسونه ، والعامة يحضرون دروسه ويستفيدون مما فيه · فلا يكاد احد يجهله ، لا فى المدن والقرى فحسب ، ولكن حتى فى البادية ·

الشيخ من العلماء :

ولما كان الشيخ ابن عليوة من العلماء ! ـ كما أكده العلامة أبو يعلى الزواوى رحمه الله فى مشائخ الطرق كلهم ، وان كان الخاص والعام يعرفون جهل أكثرهم ـ فقد عز عليه أن (يفلت) منه (ابن عاشر) والا يقول فيه ·

وهكذا (درسه) لاتباعه أولا ، ثم أبت عليه أريحيته الا ان يشرك غيرهم فى الانتفاع بدراسته فألف شرحا عليه · لكنه ليس شرحا عاديا ، بل هو خارق للعادة ! كما أن الشيخ خارق للعادة لان الذى يؤلف المتون والشروح والحواشى يجب ان يكون محصلا للعلوم ، معترفا له بذلك من العلماء مجازا منهم · وانى له ذلك ؟ ولم تسبق له دراسة ؟ لهذا جعل علمه فيه من نوع (العلم اللدنى) مما يمنحه الملك القدوس !

المنح القدوسية ، فى شرح المرشد المعين بطريقة الصوفية

بهذا سمى شرحه ذاك حتى لا يحتاج الى علم كسبى ، انما علمه (منحة) ولا الى علم يتعب فى تحصيله واتقان أبوابه وفصوله وفروعه · ففن التصوف يستطيع ان يتكلم فيه كل من هب ودب ، وحتى المجاذيب والمجانين ممن سقط عنهم التكليف ، فكم فيه من (شطحات) منسوبة اليهم· محفوظة عنهم معتبرة فى الحكمة وفصل الخطاب ! وهكذا زعم ان ما فى الشرح (منح) · وخصها بعلم الصوفية ·

لابن عاشر ظاهر وباطن !

كنا نعلم ان أعداء الاسلام ـ من غلاة الشيعة الملحدين الحاقدين على الاسلام وأهله،العاملين لهدم شريعته ودولة العرب ـ أدعوا أن للقرآن الكريم ظاهرا وباطنا ، ظاهره يفهمه عامة الناس ممن طلب علمه ، وباطنه يختص به أئمتهم ـ أعنى أئمة الباطنية ـ لا بطلب وكسب ، ولكن يأتيهم العلم بالهام ووحى ونسبوا لهم العصمة وأوجبوا لهم الطاعة ٠ وكم جاءوا ـ فيما اخبروا انه من العلم الباطن ـ بالغث والقبيح والسخيف المسترذل ٠

والباطنية المعاصرون ـ ومنهم العليويون لا بتسمية منا ، ولكن بتصريح منهم وادعاء ـ لم يكتفوا بدعوى اسلافهم من نسبة الظاهر والباطن لآيات القرآن ، بل عمموا ذلك حتى لمنظومة ابن عاشر رحمه الله ، وهذا ما صرح به الشيخ أحمد بن عليوة فى شرحه ذلك اذ قال فى مقدمته ، للشرح :

(وفقنى الله لفتح مغلقات هذا النظم العجيب المحتوى ـ **ظاهرا ـ على اركان الدين وباطنا على مسلك من مسالك الاشارة غريب** فوجدته ، قد أقبل على ظاهره جم غفير من أهل الظاهر وتوقفوا (كذا) فى التفحص عن باطنه **أهل الباطن غيرة منهم على افشاء السرائر** ٠٠) الصفحة 7 (الطبعة الاولى) فهو الذى ذهبت عنه الغيرة من أهل الباطن ولم يتوقف وأقبل متبرعا ـ موفقا ـ الى كشف السرائر !

التنويه بعلم الباطن

وأهل السنة ـ منذ عهد الصحابة حتى اليوم جميعهم ينكرون ان يكون للشريعة ظاهر وباطن أو للقرآن معان غير التى تحتملها آياته والفاظه على مقتضى نسجه العربى ، وقد بينه رسول الله صلى الله عليه وسلم كما أمر ، ونقله عنه أصحابه الى الامة الاسلامية فورثته بما أورثها الله اياه : « **ثم أورثنا الكتاب الذين اصطفينا من عبادنا** » ٠

اما الشيخ فقد اختار مذهب الغلاة من شيوخ الباطنية ، وأخذ يتحمس لعلمه الباطن الغالى ، وزعم ان من لا يكون له حظ منه يخشى على نفسه ، يقول : « علم القوم مأخوذ من كشف وعيان ٠٠ وهو باطن القرآن ، وظاهره منزه عن التغيير فاحرى بباطنه » ص 9 ٠

وها هو ينقل عن الغزالى ما زعم أنه قول مروى عنه فقال عن بعض العارفين : (من لم يكن له نصيب من هذا العلم ــ أى علم الباطن ــ أخاف عليه سوء الخاتمة ، وادنى نصيب منه التصديق به ، والتسليم لاهله) اهـ ٠ (ص 10 ــ 11) ٠

لابد من اشتراط هذا الشرط وهو (التسليم) لان المسلم قد يفاجأ بالدواهى والطوام من باطنى ياتى بها علم الباطن فيثور ، لكن اذا كان من شرطه (التسليم) فانه سيذعن ويمد رقبته للذبح ٠

ولهذا نجد أن الشيخ انتهز فرصة نقل هذا الكلام عن الغزالى ــ ان صح النقل عنه أو صدر منه ــ فقال لمريده (فتذلل ــ يا أخى ــ لهم لعلك تحظى بودادهم) اهـ ٠ ونحن نقول لكل مسلم : لا تذل يا أخى ــ نفسك فان المؤمن عزيز بايمانه فاعتز ــ أيها المؤمن ــ ولا تذل الا لخالقك ، فان الذل لله عز ، والذل لغيره مهانة وحقارة وعبادة له من دون الله ٠

الفصل الثانى

العلم والولاية ، والتزهيد فى العلوم

والمعلوم من شريعتنا أنها رفعت من شأن العلم والعلماء ، وحكمت بأن العلم خير من الجهل وأشرف ، والعالم خير من الجاهل وأكرم ٠ قال تعالى : **« قل هل يستوي الذين يعلمون والذين لا يعلمون »** ؟ والاستفهام انكارى : أى لا يستوون ، والعلماء أعلى درجة ٠ وقال تعالى : « **يرفعِ اللهُ الذِين آمنوا منكم والذين اوتوا العلم درجاتٍ** » وقال جل وعلا : « **إنما يَخشى اللهَ من عباده العلماءُ** » وقال ــ تقدست أسماؤه ــ « **وتلكَ الأَمثال نضربُها للناس وما يعقلها الا العالِمُون** » وأمر من علمه من لدنه حقا بطلب الزيادة من العلم فقال : « **وقل ربِّ زِدني علما** » ٠

وما كانت أمية النبى صلى الله عليه وسلم الا لاقامة الحجة على الناس ــ قديمهم وحديثهم ــ بصدق نبوته ، لانه جاء بما لا يمكن أن يعلمه أو يأتى به بشر من عنده ، ولم يكن ما جاء به رسول الله صلى الله عليه وسلم دون تعلم ، وانما كان بعلم وتعليم من الله سبحانه قال : « **وأنزل اللهُ عليك الكتاب والحكمة ، وعلَّمك ما لم تكن تعلم،وكان فضلُ اللهِ عليك عظيماً** » ٠

وأما شريعته فقد أمرت بالقراءة وطلب العلم ، وكانت أولى الآيات نزولا قوله تعالى : « **إقرأ باسم ربك الذى خلق، خلق الانسان من علق، إقرأ وربك الأكرم ...** » . ثم كان (ص) يقرأ القرآن الذى انزل عليه آناء الليل واطراف النهار ويعلم ويفهم ما فيه .

ولكن صاحبنا ـ لما كان أميا ـ كان داعية الامية والتزهيد فى العلوم ، فهو يقول فى نفس هذه المقدمة للشرح عن الاولياء وعلم الباطن :

(لا يقفون مع ظاهر الالفاظ ، وانما ينظرون الى المعنى الدال على المراد ، ولا يلتفتون للحن ولا اعراب . بل يأخذون المعنى حيث وجدوها (كذا) فهم ناظرون لاشارة الارواح ، غافلون عما يتلفظ به اللسان .. ما اتخذ الله وليا جاهلا الا وعلمه ، وابتداء التعليم به ثم بأحكامه . واما بقية العلوم فليست هى شرطا فى صحة الولاية ، وانما هى شرط كمال ، وذلك كالنحو والصرف والمعانى والبيان وعلم اللغة ، وما أشبه ذلك من العلوم التى أكثر الصوفية لا خبرة لهم بها لعلو همتهم وشرف رتبتهم عند الله وغنائهم بمعرفته ..) اهـ (صفحة 15 من الشرح المذكور ، طبعة أولى) .

لعله يعنى بقوله (جاهلا) ما هو فى لغة العرب (أميا) فالله سبحانه لا يتخذ (جاهلا) بالمعنى الشرعى ـ وليا له ، وأما الامى الذى لا يقرأ ولا يكتب فقد يكون عالما بالرواية والسماع والحفظ كالاعمى ، وكان بعض أصحاب مالك المواظبين على طلب العلم ، والذين أذن لهم مالك فى الافتاء لا يحسن الكتابة ، كان يكتب له أشهب بن عبد العزيز .

وهذه العلوم التى ذكرها وزهد فيها كانت فيهم سليقة كالنحو والصرف والمعانى والبيان وعلم اللغة ، فمن جهلها ـ فى عصرنا ـ أو فى العصور الاولى ـ لا يوثق بعلمه وفهمه لكتاب الله وسنة رسول الله .

وهذه العلوم التى خصها بالذكر وزهد فيها ، واستهان بها ، اشترطها كلها علماء الاصول لتحصيل رتبة الاجتهاد ، والمجتهد هو الذى يقوم مقام النبى (ص) فى الفتوى والتبليغ ولا يمكن ان يتوصل ـ الى ادراك معانى النصوص فى القرآن والحديث وهو يجهلها ، ولكن أكثر الصوفية يجهلونها . كما ذكر وهو الذى أوقعهم فى الطوام والدواهى . ومن كان منهم ـ حقا ـ

عالى الهمة ، شريف الرتبة ، لا يكون جاهلا بها ولا زاهدا فيها ولا راغبا عنها ، ثم من أدراه بشرف رتبتهم عند الله ، وانهم عرفوه ــ حقا ــ ؟

انما يعرف الله حق معرفته من آمن به وبرسله وكتبه واليوم الآخر ، ولم يشرك بعبادته أحدا ، واطاعه فلم يعصه وذكره فلم ينسه وشكره فلم يكفره ، وكان فى سلوكه متبعا لا مبتدعا « **قل ان كنتم تُحِبُّون الله فاتَّبعوني يُحبِبْكم الله** » . وقد نهى الرسول (ص) عن الشهادة لاحد بعينه بالنجاة كعثمان بن مظعون الذى كان من أعظم المهاجرين واتقاهم واعبدهم وازهدهم فى الدنيا فكيف بغيره من الاصحاب ؟

الفصل الثالث :

امثلة من المعاني الباطنية !

لابد أن القارىء الكريم يود ان يسمع شيئا من هذه الاقوال الباطنية فى شرح كلام ابن عاشرالذى أراد به تعليم الناس أحكام دينهم بألفاظ عربية بسيطة سهلة وحقق غرضه ، وقبل الله عمله ، فجاء هذا الشيخ وزين له الشيطان ان يزعم ان لكلام ابن عاشر ظاهرا علمه الناس ، وباطنا غاب عنهم ، وقد كشف هو أسراره .

وفيما يأتى نذكر أمثلة تشبع فضول القارئين وان اثارت اشمئزازهم .

يقول ابن عاشر رحمه الله :

وكل تكليف بشرط العقل ... مع البلوغ بدم أو حمل

أو بمني أو بانبات الشعر ... أو بثمان عشرة حولا ظهر

ومعنى البيتين واضح ، ففاقد العقل لا تكليف عليه ، ولا يخاطب باحكام الشريعة . والقوانين الوضعية ــ كالقوانين السماوية ــ تعفيه . كما ان البلوغ شرط فى التكليف ، فالانسان الذى لم يبلغ لا يخاطب خطاب تكليف، فلا اثم عليه ان ترك الصلاة أو الصيام لانهما لما يجبا عليه ، ولا عقاب عليه ان عصى وأقدم على فعل محرم . وذكر علامات البلوغ منها (نزول دم الحيض على الجارية ، أو حملها جنينا ، ومنها نزول المني باحتلام أو بمعاشرة جنسية أو بتذكر ... الخ . ومنها نبات شعر العانة والابطين... ومنها بلوغ الفتى أو الفتاة 18 حولا اذا لم تظهر العلامات المذكورة لعلة ما .

هذا هو معنى البيتين فى الظاهر ٠

فاستمع الى ما يزعمه الشيخ أحمد بن عليوة فى شرحه الباطنى :

(ومعنى البلوغ هو أن يكون المكلف بالغا فى معرفة الله بالشهود ، ومبالغا بحيث عرف الله معرفة لا يعتريها وهم ، ويكون سبق له الاستغراق فى الذات ، لا فى وجود الصفات كأن يكون حصل له الغناء فى الاسماء أو فى الافعال أو فى الصفات ولم يكن له اطلاع على ما تقتضيه الذات من اضمحلال سائر المكونات ، فهذا ليس بمكلف ان يعرف الله بسائر التجليات لعدم البلوغ فى مقام الرجال ٠ واذا كان بالغا كما ذكرنا فيكون فى ذلك المبلغ فقيد العقل مخلوق وهو قد خرج من عالم الخلق ومثاله كالمجذوب فهو ليس بمكلف ان يجمع بين المقامين المذكورين لعدم العقل) (ص : 31 ـ 32) ٠

الفصل الرابع ـ ألوهية البشر :

فتش عن نفسك تجد نفسك أنت الله تعالى الله

وتكلم ابن عاشر على الصفات المستحيلة فى حق الله فقال :

ويستحيل ضد هذه الصفات   العدم الحدوث ذا للحادثات (ص39)

يعنى أن الواجب لله القدم والبقاء ويستحيل عليه العدم والحدوث ، ولكن الشيخ فسر البيت بانه يريد انعدام كل شيء فى الوجود لانه ـ عند أصحاب وحدة الوجود (**ما فى الوجود الا الله**) ٠

قال الشيخ ابن عليوة (ص 39) : (أخبر هنا ان كل ما يستحيل فى حق الله فهو واجب فى حق العبد والعبد عند القوم هو العالم من عرشه الى فرشه أى كل ما تنفس من كلمة كن ، فهو غير ، والغير يجب فى حقه كل ما ذكره فى البيت وهو قوله العدم والحدوث ذا للحادثات ، فينبغى لك ـ يأخى ـ ان تحقق وضعك وتنظر بعين قلبك لابتداء وجودك حالة بروزه عن العدم فاذا تحققت وصفك يمدك باوصافه ٠ فمن أوصافك العدم المحض فهذا وصفك ووصف العالم باسره ، فاذا أقررت بعدمك يمدك بوجوده ، وان نسبته لنفسك فقد بارزته بنعمه وكيف تنسبه لنفسك وبرهان عدمك فى نظرك وهو حدوثك فقد تعلم من نفسك أنك كنت بالامس معدوما « **هلْ أَتَى على الانسانِ حينٌ من**

الدهر لم يكُنْ شيئاً مذكوراً ، فمن أين لك بهذا الوجود ؟ ومن أشهدك للمشهود وابرزك للشهود ؟ **فانت لم تزل معدوما** والموجود لموجوده لقد قدره وظهـر فيـه ولولا ظهوره فى المظاهر ما وقعت عليه البصائر وذلك قـول بعضهم

هـو موجود الاشياء وعـين وجودها ولـولا وجـوده مـا بـان وجودهـا

ومن أوصافك أيضا الفناء . فانت يا أخى فان من قبل ان تفنى ، ومتلاش من قبل أن تتلاشى، وزائل من قبل ان تزول، فانت وهم فى وهم، وعدم فى عدم، **فمتى وجدت حتى تفنى فما انت الا كسراب بقيعة** يحسبه الظمآن مـاء حـتى اذا جاءه لم يجده شيئا ووجد الله عنده ، فلو فتشت نفسك لم تجدها شيئا وتجد الله عندها . أى **تجده بدل ان تجد نفسك ولم يبـق منك الا الاسـم بلا رسم لكون الوجود من حيث هو الله لا لنفسك فلا يمكن له ان يكون فى الشهود واقفا مع الحدود** ... فكيف يكون مع الحدود من غاب عن الوجود ؟ أم كيف يراعى الخلق من غاب فى توحيد الحق ؟ أم كيف **يثبت الأكوان من لم يجد لها مكان** ؟ كان الله ولا مكان وهو على ما عليه كان . وهل تحيز فى مكان حتى يكون لذلك المكان مكان ؟ ما ظهر المكان الا فى نظر الصبيان اذ لو كان موجودا لكان بينه وبين الله حدود ...) ثم قال : قال سيدى أبو مديـــن الغـــوث :

فلا تلُـمِ السكران فى حال سكره فقـد رُفع التكليفُ فى سكرنا عنـا

وحاصل الامـر أن المكلف بالجمع بـين الحقيقة والشريعة يشترط فيه أن يكون عاقلا بالغا كما ذكرنا . والبلوغ له خمس علامات ، فاذا وجدت واحـدة منهن فى مريد التصوف وقع عليه التكليف وجوبا بحيث تـــراعى سائـــر التجليات ويلزم أدابها ، فمن علامات بلوغ المريد لمقام الرجال ان ينطق بالحكمة أو فهم حقائق الاسماء ، أو يغيب عن حسه فى مشاهدة ربه فى ابتداء أمـره أو يتكلم على لسان ربه أو يشهد له بها شيخه واخوانه . فاذا ظهرت علامـة من هذه العلامات على ظاهر الفقير كلفناه بالادب فى سائر المظاهر فهذه العلامات التى تظهر على علمى ظاهره ... » اهـ (صفحات : 31 ـ 32 ـ 33) .

فهل يخطر ببال عاقل أن مقصود ابن عاشر ببيتيه مثل هذا الهذيـان ، وانه يقول بحالة الشهود والاستغراق فى الذات الالهية ـ تعالى الله عما يقول

المبطلون ـ والفناء فى الاسماء واقتضاء اضمحلال سائر المكونات والخروج من عالم الخلق وعدم مراعاتهم اذ غاب فى توحيد الحق ؟ وأى علامات هـذه التى جعلها للبلوغ ؟ وهكذا أبان الشيخ بنثره ما لم يستطعه بشعره فأعلن ان الانسان معدوم ، وانه ما زال معدوما ، فلم يكن شيئا مذكورا ، ولا كان ولن يكون ! وأنه فان قبل ان يفنى وزائل قبل ان يزول وأنه وهم فى وهـم وعدم فى عدم !

وقد ضرب ـ لانعدام الانسان ـ مثلا سخيفا اذ قال : « ان الوجود ـ من حيث هو ـ لله لالنفسك ، فاذا صرت تحقق فيما هنالك وتأخذ ما هو للـه بحيث تجرد نفسك عما ليس لها فانك تجدها كحبة البصل كلها قشور لانك اذا أردت ان تقشرها فتأخذ القشرة الاولى ثم الثانية ثم الثالثة حتى لم يبق من البصلة شيء فهذا هو مثال العبد مع وجود الحق » اهـ (ص 40) .

وهذا هذيان باطل فالبصلة حقيقة موجودة ، وهى كل مركب من قشور وورق وعروق وبذور اذا اجتمعت فهى بصلة واذا افترقت فهى أجزاء البصلة والانسان كله لله ، مخلوق له ، مسبوق بعدم ويلحقه العدم ، والذى خلقـه هداه وأطعمه وسقاه وهو يميته ثم يحييه ، وليس فى الانسان ما هو لله ، وما هو لنفسه ، فان تجرد مما فيه لله لم يبق منه شيء ! ان الانسان كله للـه لكنه ليس هو الله ليس كمثله شيء ـ فهل أنت ـ يا شيخ الحلول ووحـدة الوجود شيء ؟ أم أنت كما قال السفسطائيون : لا حقيقة لشيء فى الوجود ؟

أنـت صـم لا تسمـع

ومن قوله أيضا فى وصف الله بالسمع ـ وان الانسان يجب فى حقـه ما يستحيل على الله (صفحة 84) .

« ومن أوصاف العبد ـ أيضا ـ الصمم ، فانت الآن ـ أيها العبد ـ اصم والسمع ليس من شيمتك ، فالله هو السميع وحيث نسبت السمع لنفسـك فانك صرت اصم ، ومع وجود السمع لا تسمع ولو كنت تسمع **لسمعت خطاب الله فى كل وقت وحال فانه سبحانه** لم يزل متكلما والسكوت يستحيل فى حقه ، وأين سمعك من هذا الخطاب ؟ وأين فهمك من هذا الكلام فانك اصـم ولا زلت فى طى العدم ولو برزت للوجود سمعت خطاب المعبود ...» (ص43) .

فالانسان عنده معدوم ، وكل شيء في الوجود عنده معدوم ـ ما معنى هذا الكلام ؟ معناه : كل شيء في الوجود هو الله (تعالى الله علوا كبيرا) ٠

هـل العالـم قديـم

علماء أصول الدين (التوحيد) يقررون ان الموجودات قسمان: قديم وحديث ، والقديم هو الله سبحانه وتعالى وحده والحادث كل ما سواه من العوالم وقد كفروا من قال بقدم العالم ، ونسبوا ذلك لبعض الفلاسفة.

لكن القائلين بوحدة الوجود يزعمون انه ليس في الوجود غير الله ، ويلزمهم ان يكون كل الموجودات قديم ، وهذا ما فسر به الشيخ ابن عليوة قول ابن عاشر في اثبات ايجاد الله سبحانه للعوالم وحدوثها في قوله ٠

لـو حدثت لنفسهـا الاكـوان   لاجتمـع التساوي والرجحان (ص45)

قال في شرحه :

(المراد منه ان الحوادث لا يكون لها وجود ، حتى تظهر بنفسها ، وأين كانت قبل حدوثها لا مقام لها في حضرة القدم ، لا اسم لها ولا رسم ولا ذكر ولا خبر ، ولا وجود لها ولا اثر . فكيف يثبت العدم مع محض القدم لقول ابن عطاء الله ٠٠٠ كيف يظهر الوجود في العدم أم كيف يثبت الحدوث مع من له وصف القدم ؟ قلت ما ظهرت بنفسها ولا بطبعها وانما ظهرت بظهور الذى اظهرها « **أَللهُ نورُ السماوات والأرض** » لا لعلة أوجدها ولا لغرض) (ص : 45 ـ 46) ٠

فهذا صريح في القول بوحدة الوجود ، وأن (كل) ما في الوجود هو الله، ويفسر حلفه وقسمه (انك لستِ سواه) تعالى الله الواحد الاحد ، الله الصمد ما اتخذ صاحبة ولا ولدا ولم يكن له كفؤا أحد ٠ اما ابن عليوة والبوزيدى ، وعـدة فقد ماتوا وفنوا ولم يبق لهم ـ ولا لمذهبهم ـ ان شاء الله ـ ظهور ، وهذا يكذب ما ذهبوا اليه انهم (الله) ٠

انكـار المحسوسات

وعند قول ابن عاشور :

لـو استحـال ممكـن أو وجبـا   قلب الحقائق لزوما أوجبا (ص 50)

زاد مذهبه ومذهب (وحدة الوجود) ايضاحا فانكر المحسوس وجاء بالمحال فقـال :

(لو كان وجود الممكن ـ وهو ما سوى الله ـ واجب الوجود أو مستحيل الظهور لكان له اعتبار على كل حال حيث وصفناه بالوجود أو بالاستحال (كذا) وانما هو لا وصف له ولا نعت ولا اسم ولا رسم لفقده واضمحلاله فهو عند القوم لا يسمونه لا بعدم ولا بوجود ، ولو اثبتوا له الوجود لكان ذلك شركا ، ولو حكموا عليه بالاستحالة لكان ذلك منهم اعتبارا له ، وكيف يعتبرون من ليس بموجود ، فالله واجب الوجود ، وما سواه مفقود ...) (ص 56) .

وهذا غاية الفساد ، فابن عليوة كان موجودا ، وحاول ان يملأ الدنيا ضلالا واحدث وجوده ـ الجائز ـ اثرا ثم لحقه العدم ، فلو كان هو (الله) أو جزأ منه (تعالى الله عن الجزئية والكلية علوا كبيرا) لما جاز عليه الموت والعدم ومثله (القوم) كلهم ، ونعوذ بالله من (القومية) وسوء أعمالهم وآثارهم .

أراد ابن عاشر تعليم التوحيد ، وأراد ابن عليوة محوه ، وكل ما قدمـــه ابن عاشر من ادلة ـ مقررة فى علم أصول الدين كر عليها الشيخ بما يبطلها فى علم (القوم) وهكذا تتبع الشيخ كل ما جاء فى توحيد المرشد المعين بنقض بمذهبه الفاسد ومذهب (القوم) كل ما غزله عبد الواحد ، ويخرب العقائد ، ثم تابع كل ما جاء فى ابن عاشر عن الصلاة والزكاة والصوم والحج والتصوف بمثل هذا الهذر ، وسأذكر من ذلك أمثلة تكون عبرة لمن اعتبر . ليقتنـــع القراء بما وصل اليه استخفاف القوم بعقول الامة واستبلاه الشعب . وما كنا لنعير هذا الباطل ـ بعد ان ذهب أصحابه ـ التفاتا ولكنا رأيناهم يجتهدون فى اعادة طبع هذه الكتب له والآثار ، ومحاولة بعث هذا الباطل ، فلابد من صوت ينبه الى اخطارهم ، ويعيد الكرة عليهم .

الفصل الخامس ـ قوله فى الطهارة والصلاة ـ الماء المطلق المتطهر به

يقول ابن عاشر :

فصـــل وتحصـــل الطهارة بمـــا مـــن التغـــير بشيء سلمـــا (ص 83)

ومراده ظاهر فالماء هو آلة الطهارة لقوله تعالى : « **وَيُنَزِّل عليكم من السماء ماء ليطَهِّرَكم به ويُذهِب عنكم رِجزَ الشيطان** » . والماء الصالح للطهارة هــو

ما صدق عليه اسم ماء بلا قيد ويشمل كل أنواع المياه من ماء السماء والبحر والانهار والعيون والآبار ، والطهارة بقسميها الصغرى والكبرى تكون للعبادة : الصلاة والتلاوة ومس المصحف ودخول المسجد والطواف ... الخ . هذا في عرف المسلمين .

فاستمع الى الشيخ ابن عليوة وهو يقول : (ص : 83 ـ 84) .

(اخبر أن الطهارة تحصل بالماء المطلق وهو ماء الغيب ، والمراد به الصفاء المتدفق على عالم الشهادة المتنوع في ظهوره المتحد في تجرده الظاهر بنفسه الخافي لشدة ظهوره المطلق في تقييده فهذا هو الماء السالم من التغيير الذي يصح به التطهير ، وفيه قال بعض العارفين :

توضأ بماء الغيب ان كنت ذا سر والا تيمم بالصعيد أو الحجر
وقدم إماما صرت أنت إمامه وصل صلاة الفجر في أول العصر
فهذي صلاة العارفين بربهم فان كنت منهم فانضح البر بالبحر

فهذا هو ماء الغيب الذي يصح التطهير به ، وكل ما سواه بالنسبة اليه صعيد لا يستعمل الا عند فقد هذا الماء ...) اهـ . ثم استرسل الشيخ في مثل هذا الهذيان .

وخلاصة ما تقدم من قوله ومن قول شاعره (العارف بالله) ان النبيء وأصحابه ما توضأوا ولا بينوا للمسلمين ، أوانهم لم يكونوا من أهل السر ، وقوله : « قدم اماما صرت انت امامه » يشير الى زعمهم ان الانسان يصلي لنفسه اذ يصلي لله فبصفته مخلوقا عليه ان يصلي الى خالقه وبصفته متحدا مع خالقه فهو يصلي لنفسه لانه يقول ان الوجود واحد ، وقد كان الرسول وأصحابه يصلون الفجر في وقتها والعصر في وقتها فلا الفجر تصلي في أول العصر ، ولا العصر تصلي وقت الفجر ، فهل يكونون من العارفين ؟ انهم كانوا اعرف الناس بربهم واعرفهم أيضا بالشيطان ومكائده ومداخله .

ما هي فرائض الوضوء السبع ؟

قال عبد الواحد : فرائض الوضوء سبع وهي ... الخ : (ص 87) .

وقد بينها في متنه وسماها ، ويعرفها الصغار والكبار حتى العجائز ، وقد قيل لعجوز ما هي فرائض الوضوء فقالت :

« وَجْهِي وَيَدَيَّ ، وَرَاسِي وَرَجْلِيَ ، وَالدَّلْكْ ، وَالْفَوْرْ وَالنِّيَّةْ ، وَعْلَاشْ تْسَالْ عْلِيَّ ».أما الشيخ ابن عليوة فله رأى آخر فى فرائض الوضوء للصلاة فى (دينه) اذ قال فى شرحه : (المراد بها السبع صفات الازلية التى يطلب من العارف الفناء فيها حتى يصير طاهرا بتطهير ما وهى : القدرة والارادة والعلم والحياة والسمع والبصر والكلام ، فهذه فرائض الوضوء التى لابد لكل متطهر من الفناء فيها » اهـ .

الجمعة معناها وعلى من تجب ومن يحضرها ؟

قال ابن عاشر :

فصل بموطن القـرى قد فرضت　　صلاة جمعة بخطبة تلت (ص 212)

والجمعة من أيام الاسبوع ، وصلاتها ـ الخاصة ـ معلومـة من الديـن بالضرورة ركعتان عند الزوال جهريتان فى المسجد فى جماعة بخطبة وامـام ، وقد ذكر المصنف كل ذلك وأبانه الشراح ، ولكن ليس منهم صاحب كتـاب المنح القدوسية فهو يقول فى شرح هذا البيت (ص 212) :

« هذا شروع من الناظم فى بيان اجتماع الاسرار فى حضرة تكل دونهـا الافكار وهى (حضرة) الطمس التى لا تكفى بمعنى ولا بحسن وبنوع ولا بجنس ولا يطيق اجتماع هذه الحضرة الا القليل ولهذا لم تكن واجبة الا على من تقدم فى قول المصنف ... انها لا تجب على عوام القوم ، ولا على خواصهم لعـدم توفر الشروط فيهم انما هى واجب على خاصة الخاصة منهم ، ولو كانت واجبة على عامة القوم لما أداها منهم الا القليل ... ثم أعلم ان هذه الحضرة المعبـر عنها بالجمعة لا يحضرها أحد الا من كان اسما بلا رسم **والمعنى انه مفقود فى صورة موجود لكونها لا يدخلها مخلوق الا اذا أسبلـت عليه حلة الخالـق** وحينئذ يحضرها بالله لا بنفسه ، ومن حيث اشتراط هذا الشرط **لا يحضر مع الله الا الله** فى هذه الحضرة ، ومن هنا نفهم قول الجنيد رحمه الله تعالى حيث قال : لا يرى الله الا الله لان الذات المقدسة لا تتحيز ولا تتميز حتى يقع البصر عليها الا اذا انطوى وجود العبد فى وجودها ورجعت الفروع لاصولها **فهذا معنى الجمعة فحينئذ يدرك رؤية الذات** ويكون البصر هو المبصر كما كان الساتر هو المستور وقد قيل فى هذا المعنى :

أعارتـه طرفـا رآهـا بـه   فكـان البصـير لهـا طرفهـا (ص 213)

الفصل السادس ـ قوله الزكاة :

الذهب والفضة ـ الحقيقة والشريعة

ولم يخل له باب ، من العجب العجاب ، فالشيخ ابن عاشر قال وهو يتكلم عن الزكاة ، وحصول النصاب من صنفين كالذهب والفضة ، والظان مع المعز، والبر مع الشعير :

« ويحصل النصاب منهما أى الشريعة والحقيقة · المعبر عنهما بالذهب

ولكن الشيخ (العارف بالله) لا يفسر البيت بهذا ، كما لم يفسر الصلاة ولا الزكاة بمعناهما فى اصطلاح أهل الشريعة فقال : (ص : 254 ـ 255) ·

ويحصل النصاب من صنفين   كذهب وفضة من عين (ص 254)

والفضة · فالذهب عبارة عن معدن الحقيقة ، والفضة على عنصر الشريعة ، ومن جمع بينهما هو العروة الوثقى ـ (العروة الوثقى عنده من بنى آدم كما فسرها فى شعره أيضا · وأما عند المسلمين فانها الكفر بالطاغوت والايمان بالله واليقين والتمسك بالدين قال تعالى : « **فمنْ يكفُرْ بالطاغوت ويُؤْمنْ باللهِ فقدِ اَستمْسَكَ بالعُرْوة الوُثقى** » ـ لكل من جمع بينهما ذوقا وحالا ، لا ايمانا ومقالا بل صار يأخذهما من أصلهما كما قال المصنف كذهب وفضة من عين أى أخذ الحقيقة من معدنها والشريعة من أصلها ، وهذا هو الجامع » اهـ ·

هل معنى هذا أنه استغنى عن تبليغ الرسول الذى قامت المعجزة على صدق ما يقول ؟ نحن مسلمون بهداية الله ثم بارشاد الرسل عليهم الصلاة والسلام، قال تعالى : « **وانك لتهدي الى صراطٍ مستقيمٍ صراطِ اللّهِ** » وقد سئل أبو بكر عن صاحبه أثناء الهجرة فقال رجل يهدينى السبيل وقد تركنا عليه الصلاة والسلام على المحجة البيضاء ليلها كنهارها وترك فينا كتاب الله وسنته فهما الشريعة ، وهما عين الحقيقة · وقال تعالى فى الاسلام : « **قل جاء الحقُّ وزَهَقَ الباطلُ** » ·

فان جاءك من يقول لك خذ عنى الحقيقة ومنى الشريعة ، دون المرور على كتاب الله ولا سنة رسوله فاحذره وقل له اخسأ يا ملعون نعوذ بالله منك.

الدخـــول عـلى اللـه

وعندما تكلم على زكاة الفطر زعم أن الفطر عند (القوم) قال: هو الرجـوع للخلق بعد الاعراض عنهم الا أن الرجوع يكون بالله واما الصيام عندهم لا يكون لهم ذلك الا بخروجهم عن هذا الكون وفنائهم في اسمه الباطن فاذا تم لهم ذلك، وأمروا بالرجوع ليتحققوا باسم الظاهر في جميع المظاهر فيكون لهم ذلك يوم عيد لما وجدوا الظاهر عين الباطن كما ان الاول عين الآخر » (ص 263) ثـم قال : « وحاصل الامر أن المريد لما يدخل على الله يخرج من عنده بعلم وهـو يوم العيد المعلوم عند القوم فتجده يتكلم بأسرار عجيبة أمام اخوانـــه وفى الغالب أمام شيخه والكل محتاج لكلامه » (ص 265) وكان استاذنا وولى نعمتنا مفيض هذا الشراب سيدى محمد البوزيدى ··· أكثر ما يحب أن يتكلم مع المريد فى هذه المدة التى يأتى فيها بعلم قريب عهد من الله ويقول لـه : تكلم لكلام هو الكلام وكل كلام الغير عدم ··· » اهـ 265 ·

ليس أكثر من هذا الكلام صراحة فى ضرب الامثال لله « **فلا تَضربُوا لله الأمثال** » فالقوم ـ قبح الله مذهبهم ـ يدخلون على الله ، ويخرجون من عنده، ويسمعون منه الكلام ، وينقلونه عنه ، ويحدثون شيخهم بعلم قريب عهـده من الله ·

الفصل السابع ـ قولهم فى الصوم ـ صوم المسلمين وصوم (القوم)

أما صوم المسلمين الذى كتبه الله على المؤمنين فقد عرفوه من رسول الله(ص) ثم عرفه الفقهاء بانه امساك عن شهوتى البطن والفرج وكل المفطرات من طلوع الفجر الى غروب الشمس كما قال سبحانه وتعالى : « **وكُلوا واشرَبوا حتَّى يتبينَ لكم الخيطُ الأبيضُ من الخيطِ الأسود من الفجرِ ثم أتمّوا الصيـام الى الليـــل** » ·

واما فى شرعهم فقد عرفه الشيخ ابن عليوة فى شرحه بقوله : « الصـوم فى اللغة مطلق الامساك. وفى **شرع القوم هو الامساك** عما سوى محبوبهم ولهذا المقام فرائض وشروط وموانع ومستحبات » (266) ·

اذا فللقوم شريعة لهم خاصة بهم ·

وعندما تعرض لقول ابن عاشر :

« صيـام شهر رمضان وجب   فى رجب شعبان صوم ندب » (ص 266)

قال : « تقدم معنى الصيام عند القوم وفيه قال صاحب العينية :

صيامى هو الامساك عن رؤية السوى   وفطـــرى نحـــو اليـــك راجـــع

وقال غيره :

ونفسى بصومى عن سواى تفردتْ » (ص 266) ·

ثم قال : « لكن يكون امساك العارفين عما سوى الله فى حضرة مخصوصة هى حضرة الذات ، وقد يعبرون عنها بحضرة الجبروت واما فى حضرة الاسماء والصفات أو الافعال فلا يكون شهود الذات واجبا لتعذره على لوحة الاسماء والصفات » ··· ولو تعمد رؤية الغير لم يستطع لان حقيقتها لا تقتضيه ، وان خطر على قلبه ما سوى الله خرج منها ، وبطل صومه وقـــد قال سلطـان العاشقـين :

ولو خطـــــرت لى فى سـواك ارادة   عـلى خاطرى سهوا قضيت بردتى !

(ص : 266 ـ 267)

هذا هو صوم (القوم) وهذا ما يبطله فالصوم هو الاشتغـــال ـ كـــل الاشتغال بالمحجوب ، حتى لو خطر بباله غيره ولو سهوا بطل صومه وارتد عن الاسلام عياذا بالله ·

ولما قال ابن عاشر فى تعريف الصيام :

« فـــرض الصيـــام نيـــة بليلـــة   وتـــرك وطء شربـــه وأكلـــه (ص 267)

والقىء مع ايصال شىء للمعد ·

فسر لفظ (المعد) بقوله : (ص : 267 ـ 268) ·

« والمراد بالمعدة هى المعدة للتجلى الالهى وقد يعبرون عنها بسويد القلب وهى المسمات (كذا) بالبصيرة لانها شريعة التغـــير فليحافظ عليها المريـــد ما استطاع ولهذا تجد المريدين حالة **دخولهم على الله** أغلب عملهـــم تغميض العين وجمع الحواس وحالة الذكر وذلك من أهم الوسائل فى الطريـــق لان المريد لا تجتمع همته الا عند انقطاع مادة الحس والحس له غلبة فى الظاهر» ··

واستمر الشيخ فى مثل هذا الكلام يشرح به أبيات المرشد فى الصيام حتى نهايته ٠

الفصل الثامن ـ فى كلامه على الحج ـ الحج عند المسلمين وعند (القوم)

والحج كالصيام يختلف عند المسلمين عما هو عليه عند (القوم) فحج المسلمين هو ما أوجبه الله عليهم فى قوله تعالى : « **ولله على الناسِ حجُّ البيت من استطاعَ اليه سبيلا** » ٠٠٠ وذلك هو الحج عند ابن عاشر أيضا لانه من شيوخ الاسلام ٠

اما عند القوم فقد عرفه الشيخ بقوله :

« الحج : فى اللغة القصد مطلقا ، وعند (القوم) هو القصد الى مقام لا يمكن المزيد عليه ولا يساعد المساعدة التلفظ بكنهه وحقيقته ، لعدم وجود الالفاظ المساعدة فى التعبير على ماهيته فمن أجل هذا قل من يتكلم عليه كما قل من يصل اليه من عامة القوم لفقد الاستطاعة ٠٠٠ » (ص 274) ٠

الميقات الزمانى والميقات المكانى

فى حج المسلمين يراد بالميقات الزمانى الوقت الذى يشرع فيه الحج ، ويصح بوقوعه فيه وابتداؤه من أول شوال وانتهاؤه بخروج شهر ذى الحجة ـ على الاصح ـ لقوله تعالى : « **الحجُّ أشهرٌ معلوماتٌ** » وذلك مبسوط فى كتب الفقـه ٠

واما الميقات المكانى فهو المكان الذى اذا بلغ اليه الحاج شرع فى الاحرام والبداية فى مناسك الحج ٠

اما الميقات فى دين (القوم) فهو ما قال فيه الشيخ ابن عليوة ما نصه : (ص 277) ٠

« الميقات الزمانى عند تحقق المريد بوحدانية الاله قائلا : (ما فى الوجود الا الله) فحينئذ اذا أراد الوقوف بأن أراد مقام الكل فيحرم عند ذلك ويتهيأ للمسير لكنه الذات والاستغرَاق فى غوامضها والمطالعة على أسرارها ، واما قبل ذلك الزمن فلا يجوز له الاحرام ولا يطلب منه الحج لان الحج أشهر معلومات فلا يمكن أن يدخله قبل أوانه » اهـ ٠ أى لا يتحقق بالوحدانية الا عندما يخرج من الاسلام باعتقاد (وحدة الوجود) وقد حقق العلماء انه يكفر اعتقاد ذلك ٠

ثم قال : « والميقات المكانى مبتدؤه من حدود الكون ، أو تقول سدرة المنتهى أو تقول منهى التقييد ، ولكل ميقات يخصه ـ كما تقدم ـ فهو كناية على حالة خروج المريد عن التقييد وتشوفه للاطلاق فهذا هو الميقات من أى جهة كان ، سواء كان من العلو أو من الدنو أو من اليمين أو من الشمال أو من غاية الكيف أو من منتهى المثال بالمطلوب الخروج عن المكان والزمان ليتمكن له الغوص فى الاطلاق وأما قبل خروج المريد عن الظروف واحاطتها لا يتمكن له الاحـــرام المقرون بالتجرد عن الكل لانه يريد بطون الذات » اهـ (ص 278) ٠

ومكة عند المسلمين هى البلد الحرام الذى فيه بيته الذى رفع القواعد منه نبياه ابراهيم واسماعيل عليهما السلام وجاء ذكره فى القرآن ٠ لكن (مكة) عند (القوم) غير ذلك ، قال الشيخ : (ص : 280 ط٠ أولى) ٠

« اذا دخلت الى الحضرة الواحدية المعبر عنها بمكة ـ وقد عبر عنها القوم بالذات المستحقة للالوهية وعليه فينبغى للمريد أن يجدد أدبه لان لكل مقام أدب ، فآداب الالوهية ليس كأدب الربوبية وقس على ذلك بقية الحضرات ، وقد يصعب الدخول على المريد لهذه الحضرة لوجود ظهرها » (ص 280) ٠

اذا فقد أعلن الشيخ أن مكة هى اله القوم ومعبودهم ، والمسلمون لا يعبدون البيت وانما أمروا أن يعبدوا رب البيت « **فليعبُدوا ربَّ هذا البيتِ الذى أطْعَمَهم من جوع وآمنهم من خَوْف** » وقال سبحانه لنبيه : « **قل إنما أُمرتُ أن أعبُـدَ ربَّ هذه البلدةِ الذى حرَّمها وله كلُّ شيءٍ وأُمرت أن أكونَ من المسلمين** » ٠

العمرة عند المسلمين وعند (القوم) :

والعمرة عند المسلمين هى الحج الاصغر ، فيها كل ما فى الحج ماعـــدا الوقوف بعرفة ولكنها عند القوم ما قاله الشيخ :

« المراد بالعمرة أى عمارة الاوقات بالحضور فى هذه الحضرة الشريفـة لكونها حدا مانعا ولا يخشى صاحبها من السلب فى الغالب ومن أجل هذا عبر عنها بالبيت وهى حصن الله ومن دخله أمن عذابه ! » اهـ٠ لقد دخله أبو جهل وأبو لهب والمستهزئون الذين أخذهم الله أخذ عزيز مقتدر ، فعذاب الله لا يسقطه دخول البيت انما عبادة رب البيت والايمان به ٠ والطاعة فى مكـــة مضاعفة ، والمعصية فيها مضاعفة ٠

الفصل التاسع والاخير :

توبة الانبياء والمخطئين ، وتوبة القوم : (التوبة أنواع)

شهد الله أنه سبحانه : « **يحبُّ التوَّابين ويحبُّ المتطهّرين** » وقال في كتابه المبين : « **وتوبوا الى الله جميعاً أيها المؤمنونَ لعلكم تفلحون** » . وقال جل من قائل : « **وانِيّ لغفَّار لمن تاب وآمن وعمل صالحاً ثمَّ اُهتدَى** » ، وتوجه ابراهيم الذى رفع مع اسماعيل القواعد من البيت الى الله وقالا : « **ربنا تقبل منا انك أنت السميع العليم ، ربنا واجعلنا مسلمَيْن لك ومن ذريتنا امةً مسلمةً لـك وأرِنا مناسكَنا ، وتب علينا انك أنت التواب الرحيم،ربنا وابعَثْ فيهم رسولاً منهم يتلو عليهم آياتِك ويعلمهم الكتاب والحكمة ويزكيهم انك أنت العزيـز الحكيـم** » . وقد استجاب الله دعاء خليله ابراهيم ونبيه اسماعيل فجعـل بيته معمورا في كل حين ، وجعل من ذريتهما مسلمين وبعث فيهم رسولا منهم هو أفضل أنبيائه وخاتمهم وجاءنا الرسول فعلمنا الكتاب والحكمة ونسأله ان يغفر لنا ويرحمنا ويتوب علينا . فشريعة الاسلام تطالب كل عبد بالتوبـة « **وتوبوا الى الله جميعا أيها المؤمنون** » . وكتاب الله يبشر التوابين سواء منهم المذنبون الذين أسرفوا على أنفسهم وكادوا يقنطون من رحمة الله ـ أو الانبياء المقربون الذين غفر الله لهم ما تقدم من ذنبهم وما تأخر قال تعالى : « **قـل يا عباديَ الذين أسرَفوا على انفسهم لا تقْنَطوا من رحمة الله،ان الله يغفـرُ الذنوبَ جميعاً انه هو الغفور الرحيم** » . والدعاء هو العبـادة أو هـو مـخ العبادة ، والقرآن الكريم قضى بوجوب دخول النار على من تكبر عن عبادة الله ودعائه فقال : « **ان الذين يستكبرونْ عن عبادتي سيدخلون جهنم داخِرين** ». قالت العلماء يستكبرون عن دعائي . والملائكة حملة العرش يستغفرون لمن تاب وآمن واتبع سبيل الله « **الذين يحملون العرشَ ومَن حولَه يسبّحون بحمد ربهم ويؤمنون به ويستغفرون للذين آمنوا : ربنا وسِعْت كلَّ شيء رحمةً وعلماً فاغفر للذين تابوا واتبعوا سبيلك وقهم عذاب الجحيم،ربنا وأدخلهم جنـاتِ عدن التى وعدتهم،ومن صَلَح من آبائهم وأزواجهم وذرياتهم إنك انت العزيز الحكيم،وقهـم السيئاتِ،ومن تَقِ السيئات يومئذ فقـد رحمتَـه وذلـك هـو الفوز العظيم** » .

فمنطوق القرآن كتاب الله ، وهدى رسول الله صلى الله عليه وسلم أن التوبة لله يؤمر بها كل المؤمنين ، ودعاء الله ورجاء الثواب والاجر على الاعمال، والغفران للخطايا وللسيئات ـ محمود من كل المؤمنين وقد قال تعالى: « **واسألوا الله من فضله** » وليس لأحد من خلق الله ان يترفع عن التوبة والانابة والدعاء،ومن فعل ذلك سيدخلون جهنم داخرين أذلاء ٠

ولكن القوم لهم (دين) آخر ومذهب فى التوبة والدعاء غريب ، ويقسمون الخلق الى ثلاث طوائف : العامة ، والخاصة وخاصة الخاصة ، فتوبة العامة هى ما علمناه من توبة الخلق وهم وحدهم المطالبون بالتوبة عندهم ، وأما الخاصة فانه حرام عليهم ان يتوبوا أو يتضرعوا لله لطلب الاجر والثواب عن أعمالهم ، ومن فعل ذلك منهم فهو عاص لله ، وعليه ان يتوب من هذا العصيان الذى هو دعاء الله وسؤاله ، واما خاصة الخاصة ، فانهم يتوبون اذا خطر ببالهم أن الله سوى أنفسهم وما يرونه من مظاهر الكون ، يتوبون اذا رأوا سوى الله !

وهذا ما بينه الشيخ ابن عليوة عند قول ابن عاشر رحمه الله :

وتوبة من كل ذنب يجترم ‏ ‏ تجب فورا مطلقا وهى الندم

(ص 313)

اذ يقول : فى تفسير الاطلاق فى قوله (مطلقا) :

« توبة العامة ، أو توبة الخاصة ، أو توبة خاصة الخاصة ، فتوبة العامة هى الرجوع الى امتثال الاوامر واجتناب المنهيات ، والاقلاع عن كل وصف مذموم ، والندامة والتاسف عما فات » اهـ وهذا جيد فى الجملة ثم يقول :

« وتوبة الخاصة هى من رؤية العمل المنسوب للنفس ولو كان طاعة ، فيحتاج لصاحب هذا المقام ان يرجع لله فى أعماله ، ويستغفر من نسبة لنفسه ، ولا يسأل اجرا عما فعل ، بل لا يرى لنفسه عملا حتى يجزى عليه ، وكلما لاحظ لنفسه عملا ، وطلب عليه جزاء فهو مرتكب الذلة ، ويكون عاصيا لربه تجب عليه التوبة على الفور والندامة على قلة حيائه من الله٠٠٠» اهـ وقلة الحياء حقا ان يقال ان التوبة الى الله ودعاءه عصيان وتجب التوبة من ذلك ٠

ثم قال :

« **واما توبـة لخاصة الخاصة من رؤيتهم لما سوى الله ، واستماع الكلام من غيره** فكلما وقع نظر (العارف) على وجود الغير ، أو طرق سمعه كلام الغير فيعد ذلك من أنواع المخالفة بالنسبة لحاله مع الله فينبغى له **ان يرجع للـه ويتوب ويقلع من حينه وان لا يتمادى** على ما هو عليه لئلا ينسد دونه الباب وينسدل الحجاب بينه وبـين ربه فهـو احوج الى التوبة من غـيره » اهـ . (ص : 313 ـ 314) .

وقد سأل موسى ربه أن يراه فقال له : « **لن ترانى** » وهـذا (العارف) يزعم انه لا يرى سواه ولا يسمع الا اياه فهل هو اعظم عند الله منزلة مـن موسى ؟ من زعم انه افضل من نبىء كان مرتدا . ثم نقول :

اما التوبة العامة المذكورة فى هذا القسم فهى التوبة الواجبة على كل الخلق، من المؤمنين وغير المؤمنين ، فعلى الكافر أن يسلم وجهه لله ، وعلى المشرك أن يكفر بالطاغوت ويؤمن بالله ويعبده وحده ، وعلى المؤمن ان يهود الى الله (1) ويتوب اليه ويمتثل اوامره ويجتنب نواهيه ، ويندم على خطاياه وغفلتـه ويسأل الله ان يهديه الى الصراط المستقيم ويستغفره فى اليوم والليلة مرارا.

وقد اخبر النبىء صلى الله عليه وسلم ـ وهو أكرم خلق الله ـ انه يستغفر الله سبعين مرة فى اليوم ، وقد جاءته البشارة أنه قد غفر الله له ما تقدم من ذنبه وما تأخر .

واما توبة الطائفتين الاخريين ـ فى كلام الشيخ ـ فانه من أبطل الباطل ، وافسد الفاسد ، فكيف ينكر الانسان فعل نفسه ، واختياره فى القيام بعمله ومسؤوليته فيه واهل السنة الاشاعرة قد بينوا مذهبا معتدلا ـ بين الجبرية والمعتزلة ـ فان كان (الشيخ وحزبه) منهم فان من الباطل ان يقول (توبة الخاصة هى من رؤية العمل المنسوب للنفس ولو كان طاعة) ، واذا كان معصية كالزنى وشرب الخمر وعقوق الوالدين واللواط والكبر والظلم فهل يقـول الشيخ انه لا يصح ان ينسبه الى نفسه ؟ فالى من ينسبه ؟ ثم ان قوله : (كلما لاحظ لنفسه عملا ، وطلب جزاء فهو مرتكب الذلة ويكون عاصيا لربه تجب عليه التوبة على الفور والندامة على قلة حيائه من الله) .

---

(1) هادَ الى الله : عاد وتاب اليه « **وفى الآخرة إنا هُدْنا اليك** » .

مثل هذا القول يصدر من (شيخ) يربى غيره ويعرفهم بالله من أعجب ما يطرق سمع المؤمنين ، ويبهت العارفين بالله حقا: تجب التوبة من التوبة على الفور ، وتجب الندامة على من دعا الله وسأله من فضله حسن الثواب والجزاء على صالح عمله ان هذا القول هو الذى لا يصدر الا ممن قل حياؤه من الله والناس حقا . فما زال الطيبون الاخيار من الانبياء والمرسلين ، والملائكة المقربين والاولياء والصالحين يستغفرون الله ويتوبون اليه يسألونه لانفسهم وللمؤمنين حسن المآل .

وما زال المخطئون الذين أسرفوا على أنفسهم وكادوا يقنطون من رحمة ربهم ما زالوا كلهم يرجون رحمة ربهم ويستغفرونه ويستجيرون بنور وجهه الذى أشرقت له الظلمات من النار ويسألونه ان يدخلهم فى رحمته ، ويمتعهم بنعيم جناته ، وينجيهم من عذابه الاليم ، نسال الله الكريم ذا العرش العظيم ان يتوب علينا ويغفر لنا ولاخواننا الذين سبقونا بالايمان ، والا يجعل فى قلوبنا غلا للذين آمنوا انه الرؤوف الرحيم .

خاتمة : كلام أهوج ... وشيطان فى صورة انسان !

آن لنا أن نختم هذا القسم الذى عرف بالقوم وبمذهبهم الدينى والدنيوى كما هو مستفاد من كتبهم ومن أقوالهم الشعرية والنثرية ، ومن افعالهم وكفى بذلك حجة عليهم .

وكل من اطلع على شىء من هذه الدعاوى والاقوال ، وسمعه لاول مرة فى حياته ـ وهو فى كمال وعيه وادراكه ، خاليا من كل تأثير عليه ـ لابد أن يصدر حكما عليه ، لا يقل عن حكم الاستاذ أحمد توفيق المدنى ـ ولم يكن حينما اصدر حكمه ـ متحيزا ، لا لحزب الاصلاح ، ولا لحزب (الصوفية) بل كان ينشد الاتحاد بين صفوف أبناء الامة كلهم .

لقى الاستاذ توفيق شيخ القوم لاول مرة ، وحاوره فى موضوع نشاطه وسأله عن الاسس التى بنى عليها طريقته الجديدة فقال الشيخ : سأبعث اليك بكتاب ألفته وطبعته يبين لك حقيقة الامر .

وجاء الكتاب واسمه « المنح القدوسية فى شرح المرشد المعين بطريق الصوفية » ، وقرأه وقال عنه :

« وأخذت أقرأ الكتاب ويالهول ما قرأت ! كلام أهوج ، وخرافات لا تنطلي حتى على الابله المسكين وأباطيل وضلالات ما أنزل الله بها من سلطان . ودعوة سافرة غير حكيمة لمذهب « وحدة الوجود » ، المنـــافي لعقيدتنا الاسلاميـة فاستعذت بالله من رجل اتخذ في ذهني صورة شيطان في جسم انســان ، وأصبحت أسائل نفسي هل درى أولئك البسطاء الى أين يسوقهم هذا الارعن المغرور ؟ وأخذت أوالي البحث عنه فاذا به خراز قديم بمستغانم وكانت مركزا من أهم مراكز الصوفية » اهـ · (من كتاب حياة كفاح ، ج 2، ص : 81 ـ 82)·

وقد والى الاستاذ المدني بحثه ، وذكر بعض ما يعرف عن مذهب (وحدة الوجود) وانها طريقة في السلوك تبتدىء مع السالك بدرجة « السير نحـو الله » وتنتهي الى درجة « السير بدون الله » وبعد ان يتجاوز درجة « السير في الله » ويدعى حينئذ « العارف بالله » ويقال انه حينئذ قد ارتفعت عنـه التكاليف الشرعية لانه يكون قد **آمن بأنه جزء من الله وان الله هو كل ما في السماوات وما في الارض من حيوان ونبات وجماد ···** » اهـ ·

ثم ذكر المدني ان من شيوخهم جلال الدين الرومي دفين تركيا، ومحيي الدين ابن عربي دفين دمشق ، وابن سبعين الاندلسي · ومن زعمائهم « اليهـودي الهولاندي (اسبينوزا) وهو الذي شرح النظرية الفلسفية لدينه (وحـدة الوجود) دون طلاسم ولا تعميات ولا ظاهر ولا باطن » اهـ · كتاب حياة كفاح ج 2 ، ص 73 ·

والاستاذ المدني لا يتهم في حكمه ، فقد كان محايدا بعيدا عن المعركـــة بل كان منكرا على حزب الاصلاح عنفه وشدته في مهاجمة الطرقية ، وخصوصا العليوية ، واذا بهم يضعون في يده كتابهم الذي هو أساس طريقتهم فيكتشف مذهب الباطنية في تأسيسه وأيدي اليهود في بثه في المسلمين قديما وأيديهم في الترويج له حديثا بواسطة الفيلسوف الهولاندي الذي أراد أن يجعله عاما بين المسلمين وغيرهم · فقد ذكر ابن خلدون أن من أقطابـــه قديما النجـم الاسرائيلي وقد فند ابن تيمية ـ رحمه الله ـ اقواله واقوال اقطاب وحـدة الوجود في كتاب له نشرته مجلة المنار في سنة 1924 ، وذكر المدني أن من اقطابهم حديثا (اسبينوزا) اليهودي الهولاندي ·

ان من يدرس بامعان هذا الكتاب بعد أن درس الديوان وما فيه من أشعار الفرسان الثلاثة لا يملك نفسه الا أن يستعيذ بالله من الانسان الذى يتخذ - فى الذهن - صورة شيطان ، ويزعم أنه الله أو جزء من الله ، لانه (ليس فى الكون سوى الله)، وكل ما فى العالم مظاهر يظهر الله فيها لعباده ، لذلك فان **الشيخ نفسه هو الله وانت نفسك انت الله** - تعالى الله عما يقولون ، **فان الله سبحانه هو رب هذا الكون وخالقه ومدبره** . وفيه الانسان والحيوان والجماد وفى الجماد الحجر ، وفى الحيوان البشر ، والكلاب والحمير والخنازير والبقر ، فهل هذه آلهة أو اجزاء من اله ؟ تعالى الله . سبحان ربك رب العزة عما يصفون ، وسلام على المرسلين والحمد لله رب العالمين .



القسم الثالث

القســـم الثـالــث

هذا القسم (الثالث) من أهـم أقسام هذا الكتاب ، فيه ما ينـير بصائـر الكتاب ، ويعرفهم بالملابسات والظروف التى عاشتها نهضتنا أثناء فترة من أهم فترات تاريخنا ، وبما تعرضت اليه أمتنا من مكائد ومؤامرات على شخصيتها ومصيرها وحياة رجالها ٠

انه يتحدث عن اتصالات (القوم) بفرق مبتدعة تتآمر على الاسلام لمحـوه وأبطاله وحرب دولته منذ القديم وحتى الآن ، أو بأقطاب ديانة همهم محـــو الاسلام واحلال النصرانية محله والخروج بدين الله عن جوهر التوحيد الى مذاهب الحلول وتاليه كل شيء فى الوجود ٠ أو بمخابرات الاعداء المهيمنين على مصائر أمتنا المتحكمين فى رقاب الشعب واستغلاله وامتصاص دمائـــه للتعاون معهم وخدمة ركابهم ٠

وقد جمع فى هذا القسم ـ بأبوابه الاربعة ـ الوثائق المدعمة لهذه الاتصالات الثلاثة مما لا يدع مجالا للشك ، ونحن نضعها أمام القارئين وهم الحكم فى هذه القضايا المعروضة ولهم ان يحكموا عن دراية وبيان ٠

والله المستعان

البـــاب الاول

العليـوية ـ أخـت القاديانية

أشياء أخرى كانت مما يتهم به « القوم » وشيخهم القطب ، وفرقتهـــم (الذاكرة) وينكرها عليهم « الشهاب » وحزبه أشد الانكار ، ويؤاخذهم بها كتاب المصلحين أعظم المؤاخذة ·

من هذه الاشياء اتصالهم اما بفرق مبتدعة ، متفق على بدعتها قديمـــة ، وحديثة ، وقد ثبتت ادانتها . والحقت بالاسلام وعقائده ومبادئه ، وبالمسلمين ووحدتهم ودولتهم أعظم الاضرار ، وما أسست ـ فى الحقيقة ـ يوم أسست ـ الا بقصد محو الاسلام والحاق الهزيمة بدولته العربية · ومن هذه الفـرق فرقة الباطنية قديما والقاديانية حديثا ·

واما باتصالهم بالكنيسة والتبشير وببعض رجال المسيحية ، واعتناق بعض أقوالهم كالقول باللاهوت والناسوت واعتقاد بعض ما يعتقده النصارى ـ فى طبيعة المسيح عليه السلام ـ مع أن الاسلام يقرر أن المسيح (عبد) اللـــه ورسوله ، ويعلن القرآن على لسانه : « **إني عبد الله آتانيَ الكتابَ** » · والقول بالحلول أو بوحدة الوجود يثبت اعتقاد النصارى فى طبيعة المسيح ·

واما بالاتصال بالاستعمار ، والتحالف مع بعض رجاله الظاهرين ، والعمل للوصول الى أغراضه ، وتنفيذ مشاريعه ·

ومن عادة الشهاب ـ وخصوصا ابن باديس رحمه الله ـ الا يتساهل فى الاتهام ، ولا يؤاخذ بالظنة · ولا يلقى الكلام على عواهنه ، ولا ينشر ما لا يملك

دليلا عليه ، أقله واهونه ان يصدر من جهة أخرى فينقله وينتظر التبرى منه ممن قيل فيه أو عنه • واعظمه ان يكون اعترافا صادرا من « القوم » أو من رجالاتهم ، ومن المعلوم ان سيد الادلة هو الاقرار والاعتراف •

وفيما ياتى نفصل بعض ما اجملنا ، ونذكر بعض ما اليه رمزنا •

الفصل الاول

الاتصال بالفرق المبتدعة

من هذه الفرق التى أشتد ضررها بالاسلام والمسلمين قديما وحديثا فرقة الباطنية وتاريخها معروف • ولقى من شرها شعبنا ما هو ثابت فى التاريخ أثناء حكمهم في الدولة العبيدية من نهاية القرن الثالث الى أواسط القرن الخامس ، اذ كان مذهبهم القول بالحلول ، وان الله قد حل بـ « أمامهم » تعالى الله علوا كبيرا :

لذلك فقد جمع فى (ذاته) النبوة و (الالوهية) واطلع على الغيوب ، والى ذلك يشير شاعرهم لما نزل امامهم المهدى (عبيد الله) بالقيروان ، وسكن (رقادة) مساكن الاغالبة :

حل برقادة المسيح　　حل بها آدم ونوح
حل بها (الله) ذو المعالى　　وكل ما سواه ريح !

وقد تحداه شاعر مسلم بلسان الشعب ففضحة وكشف جهلة وسخر منه سخرية مرة :

بالجور قد رضينا　　لا الكفر والحماقة
يا مدعى الغيوب　　من كاتب البطاقة ؟ !

ولم يعرف كاتب البطاقة فافتضح واخزاه الله أمام المؤمنين به • ثم كانت عاقبة الحلوليين خسرا •

ومن ممثلى الباطنيين فى عصرنا فرقتان ـ أو ديانتان جديدتان قد تبرأ منهما المسلمون وأجمعوا على كفر أهلها ـ وهما البابية البهائية ، بفارس (إيران) والقاديانية أو الاحمدية بالهند والباكستان •

وكان اتصال القوم بهم ورميهم به نتيجة اعتراف (القوم) فقد نشرت عن ذلك مجلة (الشهاب) فى عددها 97 الصادر فى 17 ذى القعـــدة 1345 هـ الموافق 20 مايو 1927 م ، مقالا تحت عناوين باحرف غليظة جمعت بين آيات قرآنية ، وأمثال عربية ، ونصوص شعرية ثم شرح المقال بعض أقوال الباطنية ومزاعمهم ، وما لحق الاسلام من جراء باطلهم واعتناق « العليويين » لبعض اقوالهم ، ثم اعترافهم بالاتصال بمثلهم فى عصرنا واعتزازهم بهذا الاعتراف.

وان الاسلوب (العلمى) التاريخى الذى كتب به المقال ليومىء الى انه من انشاء صاحب الشهاب نفسه الاستاذ ابن باديس رحمه الله ، فانه فى مثـل هذا الموقف يتقدم الى الميدان بنفسه . وقد امضاه بالحرف (ع) وهو أول حرف من اسمه .

وهذا نص المقال كما نشر مسبوقا بعناوينه :

« ربَّنا افْتح بيننا وبين قومِنا بالحقِّ وأنت خيرُ الفاتحينَ »

العليوية بالجزائر ـ أخت القاديانية بالهند

وشبه الشىء منجذب اليه .. (1)

عـن المرء لا تسأل وسل عـن قرينه فكـل قـرين بالمقـارن يقتـدي

شر الطوائف التى أصيب بها الاسلام من أوائل نهضته هى طائفة الباطنية الملاحدة الذين جاءوا بعقائدهم المجوسية والهندية .

وحملوا عليها مقتطعات من الآيات والاحاديث حملا تتبرأ منه العربية التى هى لغة القرآن وصاحب القرآن . وفهموا من تلك المقتطعات ـ بزعمهـم ـ ما هو مضاد تمام المضادة لما فهمه أهل القرن الاول من الصحابة وهم العرب الاقحاح ، و « فقهاء الابرار ، والاتقياء الاطهار ، الذين اختارهم الله لصحبة نبيه صلى الله عليه وسلم ؛ ونقل دينه ونشره بين الامم بالقول والعمـل . وتعاموا عن مأخذ تلك المقتطعات من سوابقها ولواحقها وما طفحت به الشريعة

(1) صدر بيت لابى الطيب المتنبى وتمامه : واشبهنا بدنيانـا الطغـام . والطغام : ارذال الناس وأوغادهم وأوباشهم يقال للمفرد وللجمع .

كثرة من النصوص المحكمات فظلموا وألحدوا فى ذلك الحمل وذلك الفهم ، وهذا الاقتطاع .

وزاد الى هذا كله ما جاءوا به من عند انفسهم من كلمات باطلة نسبوها الى النبىء عليه الصلاة والسلام . ثم عملوا لترويج هذا الكفر الانكر ، والتزوير الاقذر بالتظاهر بسمة الصلاح والزهد والدعوة الى الخير ونشر الاسلام ، فراجت دعوتهم على العامة وعلى كثير ممن يعدون من الخاصة ، ولم ينج من فتنتهم الا الفقهاء بالسنة ، والبصراء بأحوال العمران ، والمتمسكون بهدى السلف فى فهم النصوص والعمل بها .

وشر ما جاءت به هذه الطائفة من عقائدها الزائفة هى عقيدة **حلول الخالق فى المخلوق ، ووحدة الوجود وأنه ما ثم الا شىء واحد ، هذه المرئيات مظاهره . فلا خالق فى الحقيقة ـ عندهم ـ ولا مخلوق ، ولا رب ولا مربوب ولا عابد ولا معبود .**

وهنا يسقطون التكاليف ، ويخلعون ربقة التشريع ولا يبقى عندهم معنى للدين وهذا عند كل مسلم ـ بأدنى تأمل ـ من الكفر الصراح المنافى للقطعيات الضروريات .

وهم لو ابتدأوا دعوتهم بهذا التصريح لقابلتهم عامة المسلمين بالاعراض بل ربما نالتهم بالضرب والتقتيل ، ولكنهم ـ لخبثهم ودهائهم ـ يبتدئون دعوتهم بتلقين ذكر سرى ... **وحث على العبادة ومشاهدة الله ! ثم بالرقص الذى تنهيج فيه الاعصاب** وينفتح فيه الخيال . **ثم بالخلوة والجوع والسهر فيها** حتى تتغلب عليه سوداؤه ويستولى على عقله وهمه وخياله فيخرج وهو يقول **انه لا يشهد الا الله ، وانه ما فى الكون الا الله ، وان الله هو ، وانه هو الله الى هذيانات** لا تقبلها ملة ولا يصدقها عقل غير **ملة الحلولية** وعقل من قضى مدة تحت تأثير الاوهام **والمخدرات** (2) .

---

(2) بعد استقلال الجزائر ـ وفى الستينات ـ هاجمت الشرطة المركز الاكبر للقوم فى مدينتهم واعتقلت بعض الاوروبيين والاوروبيات مشبوهين ومشبوهات وضبطت لديهم مخدرات ، واعتقل كبير القوم ، وكانت فضيحة كبرى .

هذه هى النحلة الحلولية التى جاء بها ابن عليوة ينشرها بين المسلمين بديوانه ، وهذه هى النحلة التى جاءت ورقة الحلوليين للدفاع عنها ٠

ولقد كان في ديوان الضلال كفاية للدلالة على باطن هذه الطائفة وسوء التصوف ، والتمويه بالدفاع عنه لتغر العامة الجاهلين وتستهوى أفئدة الطلبة الجامديـن ٠

ولقد كان فى ديوان الصلاة كفاية للدلالة على باطن هذه الطائفة وسوء قصدها ، غير ما ابانه الكتاب من قبائحها وفضائحها ، لكن الله تعالى أراد أن يفضحها فضيحة من عنده على لسان جريدتها **فنشرت فى عددها الثامن عشر رسالة جاءت الى مديرها من معتمد الجمعية القاديانية بالهند ، تلك الجمعية التى تنتمى الى غلام أحمد الذى أدعى انه هو المسيح المنتظر ، وان الوحى نزل عليه بذلك ، وتناول القرآن بالتأويل الباطل والتحريف الجاهل** مثل فعل ابن عليوة فى تفسير سورة (والنجم) وغيرها ٠

أرسل معتمد هذه الطريقة (3) رسالته مبتهجا بتلك الجريدة ، ونشرتها تلك الجريدة الحلولية فى صدرها مبتهجة بها ، فتعانقت الاختان ، واتحدت

(3) القاديانية ديانة جديدة كان الانقليز هم السبب فى انشائها كيدا للمسلمين وتفريقا لجمعهم وقد ضمن القدياني للانقليز اسقاط (الجهاد) من الاسلام ، وكانوا يعانون من تمسك المسلمين الهنود به الثورات المتوالية فى الهند اعظمها ثورة 1857 م ، التى زعزعت نفوذهم ٠ وتوالت تحركات المسلمين ضدهم،وتزعم الحركات الوطنية رجالهم ، وتعاونوا ضد الانقليز مع الهندوس٠

ولما اضطرت عام 1948 م ، الى التسليم باستقلال الهنود وانشاء دولتين فى الهند ، احداهما البكستان للمسلمين ـ حرصت ان يستلم القاديانيون مناصب هامة فى الدولة وفى الجيش ٠ ولكن الشعب البكستانى تململ ، وثار ضدهم ٠ ثم استطاع ان يتخلص منهم ٠

وقد افتى علماؤهم بطردهم من جماعة المسلمين ، وباعتبارهم اقلية غير اسلامية يتمتعون بحقوق الاقليات ، لا بحقوق المواطنين حتى لا يتسربوا الى المناصب العليا ويكيدوا لدولة المسلمين ٠

وقد افتى علماء رابطة العالم الاسلامى بمكة بأنهم غير مسلمين ، كما افتى بذلك المجمع الفقهى وعلماء مصر والعالم الاسلامى ، واستند الجميع فى تكفيرهم على قولهم بنبوة غلام أحمد القاديانى ونزول الوحى عليه ، وبعدم ختم النبوة ، وبامكان استمرار ارسال الرسل ٠ اثر هذه الفتاوى أقر البرلمان الباكستانى قانونا باخراج جماعتهم من المجتمع الاسلامى ، واعتبارهم من =

الطريقتان ، وما بقي علينا الا ان نعرف المسلمين بضلال هذه الطريقة القديانية الضالة أولا ـ ليعلم بالقطع ضلال العليوية اختها المبتهجة بها ٠ لان الضال لا يلتصق الا بمثله ، والشكل لا يحسن الا لشكله ٠

وثانيا : ليحذر اخواننا الجزائريون من غائلة القديانية التى أرادت أن تتخذ جريدة العليويين الحلوليين ركوبة لها تنشر عليها ضلالاتها فى القطر الجزائرى وموعدنا بذلك الاعداد الآتية والله المستعان » اهـ ٠

« ربنا افتح بيننا وبين قومنا بالحق وأنت خير الفاتحين »

ثانيا ـ العليوية بالجزائر ـ أخت القاديانية بالهند

وشبه الشيء منجذب اليه ..

عن المرء لا تسأل وسل عن قرينه   فكل قرين بالمقارن يقتدى

الفصل الثانى

حقيقة القاديانية

عاد (الشهاب) الى هذا الموضوع فى العدد 99 الصادر فى 2 ذى الحجة 1345 هـ ـ 2 جوان 1927 م ، وتحت العناوين التى سبق ذكرها فى عدد 97 وهى المذكورة أعلاه ، قال:

« كنا وعدنا بنشر شيء عن حقيقة القاديانية الحلولية ليتقى الناس شرها ولا يغتروا بما تنشره لها جريدة هى اختها عندنا ، وليكونوا على علم من حقيقة هذه الاخت وغاياتها ٠

= أصحاب الاقليات الدينية في الباكستان كالنصارى واليهود والمجوس والهندوس، يحميهم القانون بمثل ما يحمى به هذه الطوائف ولكن لا حق لهم فى الاستيلاء على أهل مناصب الدولة ، لانها دولة اسلامية وعلى هذا الاساس انفصلت عن الهندوس ٠

ووفاء بذلك الوعد ننشر فى هذا العدد وتواليه مقتطفات من مجلة (المنار) بقلم صاحبها العلامة الاستاذ السيد رشيد رضا ، وقد كان السيد أول من فضح القاديانية ورد على صاحبها فى حياته ، وعلى أصحابه بعد وفاته فلفضيلته خبرة تامة بها ·

نشرت فى ج 8 ، م 24 ، تحت عنوان (المسيحية الاسلامية القديانية الملقبة بالاحمديــــة ·

« نجم بمصر هذه الايام قرن بدعة (ميرزا غلام أحمد القادياني بعد ان كانت محصورة فى الهند ، ثم بثت دعوتها فى أوروبة والبلاد الامريكية فصــــارت كالبهائية ذات دعاة وأتباع يبثون تعاليمها فى رسائل يطبعونها ويوزعونهــا ومقالات ينشرونها ·

كانت مسالــة الاعتقاد بالمهدى المنتظر مثــار فتــن كــثيرة وبــدع كبيرة وسفك دماء غزيرة ، كانت آخر مظاهرها فى البلاد الافريقية مهدى السودان، وفى آسيا (الباب) الذى ظهر فى ايران (4) ·

وكان امثال هؤلاء المبتدعين غافلين عن مسالة الاعتقاد بنزول المسيح على الارض فى آخر الزمن حتى قام بها البهائية ونظموا دعوتها وجعلوها قاعـدة دعوتهم للنصارى ، كما كانوا جعلوا قاعدة دعوتهم للمسلمين مسالة المهــدى المنتظر ولكل من الدعوتين عندهم درجات كسلفهم من باطنية الاسماعلية ··· ولكنها مناسبة لحال هذا الزمان ، وآخر درجاتها دعوى الالوهية والربوبية لزعيمهم البهاء ·

---

(4) آخر فتنة أثيرت هى التى اشتعلت يوم آخر ايام ذى الحجة 1399 هـ · بالمسجد الحرام ببطن مكة واستقبل بها هذا القرن الخامس عشر من الهجرة، واحتل فيها بيت الله الحرام ، وتعطلت فيه الجمعة والجماعة بضعة عشر يوما وقتل فيه عشرات من الانفس البريئة وتدخلت دول اسلاميــــة · بجيوشها لاخمادها · وبهذا الباطل حاول معتوه زعم بانه « المهدى المنتظر » أن يبــدأ عهده الذى سيملأ الدنيا عدلا بعد ان ملئت جورا ووجد من يصدقه ويطلق الرصاص على المسلمين فى المسجد الحرام ! وكان ذلك بعد نشر هذا المقـال بـ 54 عاما ·

ثم ظهر ميرزا غلام أحمد القادياني في الهند ، فادعى انه هو المسيح المنتظر وان **الوحي نزل عليه** بذلك ، وقد رددنا عليه في عصره ورد علينا ، وهجانا في مصنف خاص أملاه عليه وحيه الشيطاني ، وكان من وحيه هذا ان صاحب المنار « سيهزم فلا يرى » ولو نزل بنا قضاء الله تعالى بموت أو بنكبة يبطل بها المنار لكان ذلك أكبر فتن اتباعه الاغرار ولكن ظهور الكذب والخـذلان مما ينساه أو لا يراه امثال هؤلاء العميان ٠

ضل كثير من المسلمين بدعوتي البهائية والقاديانية ، فلهذا كانت الدولة البريطانية مؤيدة لهما في الهند وايران وفلسطين ومصر وكلهم مخلصون لها مؤيدون لسياستها وقد كان حسين ، روحي أفندي البهائي أمين معتمدها في الحجاز منذ بدء الثورة الحجازية ٠

وقد كنا نظن أن بدعة القاديانية لا تتجاوز بعد موته ما نسخه من أحكام الشريعة وأهمها « وجوب الجهاد » ثم علمنا انهم يدعون استمرار الـوحي والنبوة في اتباعه وقد نشروا في هذه الايام رسالة مطبوعة في الدعـوة الى دينهم المسيحي الاسلامي ، وضعها بالانقليزية ميرزا بشير الدين محمود أحمد زعيم الحركة الاحمدية من قاديان ـ بنجاب ـ بلاد الهند وترجمها بالعربيـة الرحالة عبد المجيد كامل صاحب (رحلة في بلاد الناس) وطبع على نفقـة الحركة الاحمدية بمصر ٠

أصل ارتدادهم عن الاسلام :

موضوع الرسالة (الصلاة عند الاسلام) وصلاتهم صلاة المسلمين في الصورة وانما تخالفها في المعنى والعقيدة ، فقد علق واضع الرسالة على تفسير « **صراط الذين انعمت عليهم** » تعليقا صرح فيه بأصـل ارتـدادهم عـن الاسلام (5) ٠

وهـذا نصـه :

ملحوظة ـ لقد وضع كل دين من الاديان المتبعـة نموذجا خصوصيا ، ولا شك أن أفضل تلك النماذج هو ما وضعه الاسلام ٠ ان هذا الدعاء لارشاد

---

(5) يعني الاستاذ محمد رشيد رضا : **بأصل ارتدادهم** قولهم باستمـرار الوحي وعدم ختم النبوة ، وأن ميرزا أحمد غلام يوحى اليه ، وان من بعـده يمكن ان يوحى اليهم ٠ ومن اعتقد هذا فهو مرتد عن الاسلام ٠

المسلم بان يتوسل الى الله ان ينعم عليه بمثل ما انعم به على أولئك المنعم عليهم الذين قيل عنهم فى موضع آخر من القرآن ما يفهم منه انهم أصحاب النبىء والصديقون والشهداء والصالحون • وقيل فى موضع آخر :

« **واذ قال موسى لقومه يا قوم اذكروا نعمة الله عليكم اذ جعل فيكم انبياء وجعلكم ملوكا وآتاكم ما لم يؤت أحدا من العالمين** » •

وجاء فى آية أخرى ان الذين انعم الله عليهم انما هم الانبياء (6) •

فالنبوة اذا هى أسمى المراتب التى يتطلع اليها المسلم ، لذلك ابتهل الى الله سبحانه وتعالى ان يحشره فى زمرة الانبياء ، وهو نموذج لم ينسج على منواله دين من الاديان على الاطلاق ، بل جميعها **سدت طريق الوحي الإلهي فى وجود العالم** ، فالدين الاسلامى وحده هو الذى يرشد تابعيه الى **ان طريق الوحي لا يمكن ان يسد فى وجوه الناس** اذ ان الله الذى خاطب الناس وقتا ما لم يكف على هداية شعبه ومخاطبته •

ان هذا النموذج فضلا عن كونه ناف (؟) الاستحالة فانه يفتح أمام ذوى القلوب الظاهرة طرق النجاح التى لا نهاية لها ، ويرسم طريق السعى للاتصال بالله خالق الاكوان ومنبع كل قوة ومحبة •

ولقد أنبأنا النبىء الاقدس صلى الله عليه وسلم أحد اعاظم أولئك الذين أنعم الله عليهم واسمه « **المهدى** » **والمسيح** فهو يدعى « المهدى » لانه يهدى مسلمى وقته الذين انغمسوا فى الخطايا ونسوا أوامر الدين الاسلامى حتى لم يعد فى أقوالهم وأفعالهم أثر لجمال الايمان • وسمى المسيح لانه يتم النبوات المختصة بعودته •

---

(6) علق المنار هنا ـ ونقله الشهاب بقوله : « يعنى بهذه الآيات قوله تعالى في سورة مريم : « **أولئك الذين أنعم عليهم من النبيئين من ذرية آدم** » الخ • وهي لا تدل لغة على ما ذكره من حصر المنعم عليهم فى الانبياء ، ولو دلت على ذلك لكانت معارضة لغيرها من الآيات التى ذكرها أو أشار اليها ، ولكن هؤلاء اعاجم لم يتقنوا اللغة العربية فجهلهم به كجهل مسيحهم » اهـ ـ يعنى بمسيحهم القاديانى ، مسيحهم فى زعمه وزعمهم ، ولم يكن جهلهم هو الذى دعاهم الى ما فعلوه فقط ، وانما حربهم للاسلام وكيدهم له وللمسلمين فهم يحرفون ويستبلهون المغفلين والبله •

ولقد ظهر ذلك الذات فى الهند وبمحل يقال له (قاديان) (7) ، وفى ظرف ثلاثين عامة من حياته الرسولية فى دعائم الاسلام بمعجزات جديدة من عند الله وقد يوجد الآن آلاف من حوارييه يستمعون الوحى الالهى ٠

ولقد عاش عيشة ملؤها الهداية الروحية بين أشياعه الذين فازوا فوزا مبينا باتجاه العالم اليهم ، فهناك الشيخ (فاتح محمد سيال) وحضرة (عبد الرحمن نيار) يبشر بالاسلام فى انقلترا ، ومفتى (محمد الصادق) فى أمريكا ، فلا غرو أن اعلام الناس به من الممكن الحصول على الوحى فى أى وقت ، وقد كان من الاخبار السارة التى تدعو الى تشجيع المسلم الحقيقى فى كل آن ، وتعد قياسا للحكم بين الاديان المختلفة ٠

ان الدين الصحيح الحى لهو الذى لا يخلو من الثمر ابدا ولا ثمرة للدين الا الاتصال بالله وهذا لا يمكن ان يكون الا بالوحى ، وليس الاسلام كغيره من الاديان التى تتمشى باتباعها الى احط الدرجات بل هو يسمو بتابعيه الى أعلى ذروة الخيال الذى يمكن ان يصل اليه فكر الانسان ، وعلى ذلك فهو وحيد الاديان الذى يشفى غلة الطبيعة البشرية وان أكبر حجة يتمسك بها الملحد ضد جميع الاديان انما هى قوله انه اذا كان هناك اله كما يدعون فلماذا لا يظهر بنفسه للناس ؟ اما هذا الاعتراض فلا يمكن ان يوجه الى الاسلام الذى لا يعتمد فى براهينه على القصص الماضية بل يعلن بان هناك رجال (؟) **حتى الآن يوحى اليهم** علمهم (الزعيم الروحى) ومهدى هذا الزمان) اهـ ٠ الى هنا انتهى المقال الثانى وهو منقول عن المنار فالقاديانية مرتدون عن الاسلام بزعمهم استمرار الوحى بعد ختم الرسالة ٠ و « القوم » يقولون ان الله يظهر لعباده فى أكوانه اذ ما فى الكون الا الله !

وفى العدد 103 من الشهاب الصادر فى 30 ذى الحجة 1345 هـ ، الموافق 30 جوان 1927 م ، نشرت الحلقة الثالثة مسبوقة بالآية : « **ربنا افتح بيننا وبين قومنا بالحق وأنت خير الفاتحين** » ٠

وهو منقول عن المنار أيضا وبعنوان واحد وهذا نصه :

---

(7) توجد هذه القرية ـ اليوم ـ فى الاتحاد الهندى ، وهى عند القاديانية مقدسة يحجون اليها ويدبرون مكائدهم فيها ، وهم يوجدون بالهند والباكستان وبافريقيا الشرقية والغربية ، وباوروبا وامريكا ، وحيثما وجدوا فهم متعاونون مع الانقليز ومع دويلة اسرائيل ٠

الفصل الثالث

بقايا الباطنية

لا يزال القراء على ذكر مما نشرناه فى بعض الأجزاء السابقة عن الطريق القاديانية بالهند وعقيدتها الحلولية نقلا عن مجلة (المنار) الكبرى ·

تلك الطريقة التى نشرت الجريدة العليوية مقالا لاحد دعاتها مبتهجة به ، مظهرة تمام السرور بتوطيد العلاقات بينها وبين حزبه ·

واليوم ننقل رد المنار على القاديانى الدجال ، وبعد ذلك سنعرض للكتب المنسوبة لشيخ العليويين وننشر منها على القراء نبذا تكشف عن عقيدته وحقيقة أمره غير معتمدين فى ذلك الا طريق البحث والاستدلال (8) ·

قال المنار :

« ان بين مسيح الهند الدجال وبين (باب) ايران شبها فكل منهما كان مصابا بجنون الهوس الدينى حتى لا يبعد ان يكون معتقدا لما ادعاه ، وفى ان تأثيره كان محصورا فى الاعاجم : اذ تصدى كل منهما لتأويل القرآن والاحاديث بجرأة وجهل واسراف فى الكلام ، فافتتن بهما بعض جهلة الاعاجم اذ صدقوا انهما بالالهام والوحى أمكنهما ان يجولا تلك الجولات الواسعة فى كيان الله عز وجل ·

ولو كانوا يفهمون العربية لسخروا من هوسهما ووحيهما الشيطانى · وكان القاديانى أعلم بالعربية وآدابها من (باب) فهو قد عنى بفنونها وآدابها

---

(8) نلاحظ اننا ـ بمراجعة اعداد الشهاب الموالية لهذا العدد لم تجد وفاء بما وعد به · ولعله سكت عنهم لانهم أوقفوا ـ على الاقل فى الظاهر ـ اتصالهم بالقاديانية ، اذ لم يصرح أحد ـ من بعد ـ انهم نشروا فى جريدتهم شيئا عنهم أو لهم فى جريدتهم ، بعد هذه الهجمة الموفقة · ولعل الباعث على السكوت هو ان نشر هذه النبذ مما يشيع قولا فاحشا فى حق الله وحق رسوله · ومن شك فى ذلك فليراجع قولهم فى العشق ـ مثلا قصيدة الشيخ فى (ليلى) ـ وقد يكون الشهاب رجا ارعواءهم وفيئهم الى أمر الله ، لكنهم لم يفيئوا حتى الآن وجعلوا ينشرون كتب امامهم ·

لهذا وفينا بما وعد به الشيخ ابن باديس ، ونشرنا فى هذا الكتاب نصوصا من شعرهم ومن نثر امامهم الشيخ ابن عليوه ، فاطلبه فى غير هذا المكان ·

كل العناية فكان يحفظ مقامات الحريرى ، والمعلقات السبع وكثيرا من المنظوم والمنثور ، ولكنه على هذا كله لم يحصل على ملكة الأعراب ، ولا ذوق الآداب فيها فكان كثير اللحن والغلط فيما يقول ويكتب وكثير الخطأ والشطط فيما يفسر به الكلام . وكان لصا جريئا على السرقة ليمزج شعره ونثره بما يحفظه بعينه أو بتغييره ما فيه ، فكان أتباعه يخدعون الأعاجم بذلك .

وتجرأ هو على دعوى إعجاز كلامه كالقرآن العزيز ، ولذلك عظم عليـــه الأمر عندما قلت فى ردي على كتابه « إعجاز احمدى » انه كثير اللحن والغلط واللغو الذى لا يفهم له معنى صحيح فى هذه اللغة . وألف كتابا خاصا فى الشكوى والتبرم من ردى ظهر فيه من ضعف نفسه واضطراب حدسه ما يدل على انه مخذول لا مؤيد عن الله تعالى . ولولا تناقض هؤلاء الموسوسين لعدوا هذا دليلا على انه متعمد لقول الزور ، غير مخدوع بنفسه ولا مغرور فقد عهد مثل هذا التناقض من امثاله :

سوري مغرور يدعي النبوة :

ادعى رجل سوري النبوة وجاء ليظهر نبوته فى مصر ، فلما بلغ بور سعيد أرسل منها برقيات الى الخديوى ، ولورد كرومر ، ورئيس النظام ، ورئيس تحرير الأهرام وصاحب المنار يبشرهم بوقت تشريفه عاصمة ملكه .

وكان يتردد علي ويقول : « انك تكون مني كأبي بكر من النبىء صلى الله عليه وسلم » ثم كان يقبل يدي أحيانا ويتذلل لى لأساعده على إظهار دعوته .

مثال ذلك أنه ترجح عنه ان يستبدل الاستانة بالقاهرة فكلفنى ان أكلم رؤوف باشا المعتمد العثمانى بان يطلب له من الدولة اسطولا أو باخرة حربية لأجل نقله الى الاستانة قلت له : انى ان اطلب هذا من رؤوف باشا يعتقد اننى سلبت عقلي ، ولو طلب هو هذا من الاستانة يعتقدون انه جن ، ويستبدلون به غيره،واما أنت فيمكنك ان تدفع تهمة الجنون عن نفسك بمعجزة تظهرها للباشا ان كنت نبيا كما تقول » .

قلت : ان هؤلاء قد ضلوا بجهل العربية ، وهذا شاهد قطعى على وجوب هذه اللغة على كل مسلم ، فاذا كان من ادعى أنه المسيح المؤيد بالاعجاز فى كتبه يزعم ان البسملة تدل على نبوة محمد صلى الله عليه وسلم، وعلى مسيحيته

هو فلا عجب ان ادعى هو واتباعه أن قوله تعالى : « **إهدِنا الصراطَ المستقيم صراط الذين أَنعمتَ عليهم** » يدل على طلب النبوة بدليل ان المنعم عليهم « انما هم الانبياء » ! فعلى هذا يكون المفروض على كل مسلم أن يطلب من الله تعالى في كل ركعة من صلاته ان يجعله نبيا ليوحى اليه ! !

هذا الفهم الذى جاءنا من هؤلاء الاعاجم قد فات الصحابة والتابعين من العرب الخلص ومواليهم ، وفات جميع واضعى فنون هذه اللغة لضبط ألفاظها ومعانيها وفلسفتها وآدابها وأسرار بلاغتها ، وجميع من فسر القرآن من السلف والخلف ، حتى قام بعض اعاجم الهند فى القرن الرابع عشر يزعمون انه أصل الاسلام وركنه الاعظم الذى امتاز به على جميع الاديان !!!

لقد كنت اظن ان ضلال هؤلاء المسيحيين القاديانيين قد وقف عند حد لا يتجاوزه : هو دعوى ظهور المسيح والمهدى المنتظرين وان هذه الدعوى ستموت ويخجل أهلها منها بظهور كذب مسيحهم فى دعواه انه ابطل الحرب والجهاد من الارض ، واستبدل بهما السلم العام وقد ادعى البهائية عين هذه الدعوى ، اذ كان كل منهما يتوهم ان أوروبة تبنت ذلك .

تكذيب أوروبا للدينين الجديدين

ثم كذبت أوروبة الدينين الجديدين بحرب طرابلس الغرب ، وحرب البلقان ثم بالحرب العامة ولم يسبق لها نظير فى تاريخ العالم باتساع شرها وعظائم ضرها (9) .

ولكن ظهور كذب دعوى البها والقاديانى لا يرجع من قلدوهم تقليدا اصم أعمى ، كما ان تكذيب السواد الاعظم من المسلمين والنصارى لدعواهم لم يمنعهما من الاصرار على ادعاء هداية أهل الدينيين وتغيير حال الارض . اهـ . كلام صاحب المنار » . اهـ

هذا ما جاء فى الشهاب فى موضوع الاتصال بالمبتدعة .

---

(9) كتب هذا المقال عام 1345 هـ (1927 م) ثم قامت الحرب العالمية الثانية فانست بفظائعها وضحاياها أهوال ما وقع فى الاولى .

ونلاحظ ان العليويين سكتوا فلم يتبرءوا من تهمة الاتصال بالقاديانية ـ كما شهد عليهم الاستاذ محمد سعيد الزاهرى ـ كما انهم لم يدافعوا عن (أصحابهم) القاديانيين ٠

والحـق اننا بمراجعة اشعارهم وأقوالهم المسجلة والمنشورة نجـد نفس ما يدعيه القاديانية من استمرار الوحي اليهم واتصالهم ـ مباشرة ـ بـذات الرحمن وتلقى القرآن منه أو من اللوح المحفوظ ، وقد استعمل فى اشعارهم نفس لفظـة الوحى بـل ادعى شيخهم بان العارف لا يسمع الا كـلام اللـه ! فالصلة المبدئية لا شك فيها ـ واما الاتصال بالمراسلات ونشر المقالات فالظن فيهم انهم اغتروا بثناء جاءهم مـن (الشرق) فحسبوه مـن اخوان مسلمين فنشروه وهـم يجهلون حقيقتهم ، ولـو عرفوهم عـلى حقيقتهم ونكرانهم لختم الرسالة لتنكروا لهم فهذا هو الظن بهم ٠

وما زال أكثرنا يهتم أعظم الاهتمام بكل ما يأتى من (الشرق) ، ويسلـم له ويحتقر بضاعة الوطن ولو فاقت وراقت ! ويعرض عنها ٠



البـــاب الثـــانى

الاتصال برجــال الكنيسة

التهمة بالاتصال برجال الكنيسة واعتناق آراء شبيهة بـرأيهم فى طبيعة المسيح ـ عليه السلام ، ونيل الرضى ـ بهذا ـ من فرنسا وحكامها ـ مما كان يتهم به القوم ، وشيوخهم ، كان هذا قبل الاستقلال ، وظهرت علامات له حتى بعد الاستقلال .

ان هذه التهم من اشنع ما كان يرمى به « القوم » وما انتشر عنهـــم فى المجتمعات والجرائد ، ولم تكن التهمة اعتباطا ومجرد اشاعة ، وانما كان عليها ادلة ، وشهد بها شهود لم يكونوا من الخصوم ، وانما كانوا من المحبين ، ولم يريدوا بهم شرا وانما أرادوا بها لهم خيرا ، فكان من الواجب الاهتمام بهـا لانها تمس الصالح العام .

الفصـــــل الأول

المجلة الأهلية تفضح الاتصال

من هذه الشهادات ما نشرته مجلة فرنسية اللسان هى (المجلة الاهلية) فى عدد نوفمبر ـ ديسمبر 1927 م ، بقلم صحافى ينشر بها تحقيقات هو : ج. هبروسبت بيرابيس .

وقد ترجم المقال الاديب الكبير الاستاذ عبد الرحمن حسانى ـ وكان يتقن اللغتين العربية والفرنسية ، ويشتغل بالترجمة مقسما على الأمانة فى النقل ـ

وباعثه على الترجمة المصلحة العامة ومعرفة ما يقولون عنا ، ولذلك نشره الشهاب وقال في تقديمه (بعث الينا بهذا المقال الأديب السيد عبد الرحمن حساني ورغب منا ان ننشره في باب (ذكر الرجال بالأعمال) فننشرناه حسب رغبته) ·

والأديب المذكور من خريجي ـ مدرسة الشيخ ابن باديس ونبغاء طلبته، وكان من أوائل المشتغلين بالتجول باسم الشهاب والكاتبين فيه ، وهو من عائلة كريمة في مدينة (قالمة) تخرج أخ له من الأزهر ، واضطهد بعد رجوعه· وكان أخوه السيد عبد الله حساني عمدة الحركة الاصلاحية في مدينة قالمة ورئيس شعبة جمعية العلماء بعد تأسسها ، ونعم المدرب لشبيبتها ، لقيته عام 1937 م ، وتعلمت منه بعض تجاريب الحياة ·

نشرت ترجمة المقال في عدد الشهاب 142 الصادر يوم الخميس 21 شوال 1346 هـ ـ الموافق 12 أبريل 1928 م · وهذا نصه بعنوان كاتبه :

ذكر الرجال بالأعمال :

الشيخ سي أحمد بن عليوة
ـ المرابط العصري وصديق فرنسا ـ

كنا طلبنا ـ في محادثة سابقة ان تقلد المدام (أوريلي التيجاني AURÉLIE TIDJANY) وسام الشرف فهي أيم الاخوين رئيسى الطريقة التيجانية الموالية لفرنسا ، تلك الطريقة التي جندت لفرنسا زمن الحرب جيوشا متطوعين · وهي المرأة التي أعطت للاستعمار المئات هكتارات من الارض ، وأدارت أعمال رئيسى الطريقة) ومن جاء بعدهم ادارة عادت بالنفع الجسيم على الدولة ·

واليوم بعد الاياب من الجولة التي جعلناها بقصد دراسة أحوال القطر الجزائري يجب علينا ان نثني على همة **الزعيم الديني لكبير محب التقدم وصديق فرنسا الشيخ سي أحمد بن عليوة المستغانمي ·**

فهذا العالم الروحي العظيم يبث في أتباعه ـ وهم يفوقون المائتي الف في سوريا ، واليمن ، ومصر ، وطرابلس ، وتونس، والجزائر، والمغرب (10)

(10) مثل هذا العدد مبالغ فيه ولا شك ، وهو من تهويل الدعاية العليوية لبيان أهمية الطريقة وانتشارها ·

ـ حب بلادنا (فرنسا) على قلة المرابطين المسلمين الذين يؤيدون فرنسا (11) بتأثيرهم الادبى • فلا غرابة اذا نحن مدحنا كل من كان مواليا لسياستنا •

وهذا الشيخ ابن عليوة من أصل وضيع ، قضى أعواما طوالا فى دراسة العلوم العربية بالقاهرة ومكة وسوريا (12)،ولما آب الى الديار الجزائرية لم يكن يبث فى أتباعه روح التعصب بل كان هو المثال الاعلى للتسامح •

وان نظرة واحدة فى حال الشيخ تدلنا على سعة فكره وفسحة صدره فهو يدارس قسيسا كاثوليكيا بجيرفيل (البيض ـ وهران) **ويبحث معه فى الوسائل السهلة الاستعمال لمزج أرواح المسلمين وارادتهم بأرواح المسيحيين وارادتهم •**

إعجابه بالمسيح وبالإنجيل

وهو معروف لدينا بشديد اعجابه بالمسيح والانجيل (13) • وهذا ما أخذه عليه المتحمسون الاقدمون المتعصبون • وهو لا يشتغل بالسياسة (14)

---

(11) لم يكونوا قلة وخصوصا فى المغرب والجزائر وتونس ، ولا يعتبر ابن عليوة شيئا مذكورا بجانب عبد الحى الكتانى بالمغرب ، الذى كان يأمر وينهى فينفذ مراده •

(12) وهذه مبالغة فى اثبات درجة الشيخ العلمية ، وهو نفسه يحقرها ويدعى هو وأتباعه ان علمه (لدنى) لم يكتسبه بالدراسة وانما تلقاه (وحيا) من الله مباشرة كما هو موجود فى كتابه فى التفسير ومن نص كلامه نفسه •

(13) كل مسلم لا يصح منه الاسلام الا اذا آمن بالمسيح عليه السلام انه عبد الله ورسوله أنزل عليه الانجيل فبلغه ، وأحل لبنى اسرائيل بعض ما حرم عليهم فى التوراة • لكنا نختلف مع النصارى الكاثوليك وغيرهم فى طبيعة المسيح فهو عندهم اله ، أو جزء من اله ولا يقبلون بحال أن يعترفوا أنه (عبد الله) ويسهل عند معتقد الحلول أو وحدة الوجود ان يستسيغ بعض معتقداتهم اذا كان يعتقد أنه هو نفسه الله ، وليس سواه • وأبعد الناس عن التعصب علماء المسلمين حقا،فالله عندهم كرّم بني آدم وأوجب الحق والعدل والاحسان •

(14) اذا كان يدعو أن يكون حب فرنسا من الدين ، ويرضى ما تعامل به المسلمين من قهر وظلم واضطهاد فهو محمود ، لا يشتغل بالسياسة • أما اذا كان يضع فى صدر صحيفته الحق والعدل والمآخاة فى اعطاء جميع الحقوق للذين قاموا بجميع الواجبات فهو مشتغل بالسياسة وتجب مضايقته • هذا هو منطق الفرنسيين وسياستهم • وهو الذى أدى الى طردهم شر طردة والحمد لله •

ويحرر صحيفة عربية الغرض منها تلقين العامة الثقافة الروحية ، وهى تطبع بمطبعة مستغانم تحت اسم التقدم الجزائرى (15) ·

ودعاية الشيخ تعتنى بتقريب المعارف لاذهان البسطاء ، وحركته تمتد فى الاوساط الفقيرة والاوساط العاملة وهو يقبل أحيانـــا الهدايا (ولكن شيء مستغرب من مرابط لا يطلب الزيارة) · وهو يعيش من ايراد املاكه البسيطة ومن انتاج الخاصة نقية لا يسلك فيها طرق البذخ ، بل يأثر الزهادة ·

وناهيك بزاوية مستغانم فهى مضاءة بالكهرباء ، وفيها تلقى دروس علمية بالاساليب الحديثة ، وعلى اللوحة السوداء ، لا ترى بالزاوية أثر البـــذخ ، ولا الابهة ، وهى مبنية بايدى اتباعه الحازمين ، ولقد ابتعد الشيخ عن فخفخة سابقيه من المرابطين ، وأراد ان تكون زاويته مفيدة وبسيطة جدا ·

وابن عليوة هو الشيخ الوحيد الذى أسس زاوية بفرنسا وله فيها قاعة للصلاة واجتماع اخوانه بباريس فى شارع سان جرمان عدد 26 ·

وبالزاوية مقدم وبعض اتباع الشيخ المخلصين كان التأثير الشافى عـلى قسط وافر من العمال المسلمين المنتشرين فى الدائرة الباريسية ينتشلونهـم من شرور الكحول والفجور ·

وبالقطر الجزائرى توصل الاخوان العليويون ان يهذبوا جما غفيرا من برابرة القبائل والبيبان ، وبابور ، وبثوا روح الاستقامة فى كثير من سراق المواشي قبلا ، وكسروا شرة نفوس أولئك الافراد الذين كانت تدب جنادح شرهـــم سابقـــا ·

استحقاقــه للمكافـــأة :

واينما كان العليويون يقل عدد السارقين من الاهالى وأخيرا فان اتبـاع ابن عليوة يضايقون الطريقة الرحمانية ببلاد القبائل ، تلك الطريقة الــتى

---

(15) علـق الشهاب هنا بقوله : البلاغ هـى صحيفة الشيخ ابن عليوة اما التقدم فانها ل : م. بنتامي اهـ · ولم تكن سياسته مرضية وهو الذى قدم جريدة « البرق » للمحاكمة وطالب بارجاع قانون (لانديجينا) ، وكانت « التقدم » على صلة حسنة بالعليويين ، وسيئة بالمصلحين ·

تبث دعاية ذات شبهة · ولا يخفى ان الطريقة الرحمانية فى فرعها الممتد ببلاد القبائل كانت افتضحت بأعمالها فى الفتن والثورات المستعرة ضد فرنسا (16)

فنظرا من هاته الوجهة **يجب على الولاية العامة بالقطر الجزائرى ان تجل اخوان ابن عليوة وتحترمهم** · ولكن بعض الشيوخ من الطرق الاخرى العتيقة يفترون على العليوية ويبثون أكاذيبهم فى الاوساط الاهلية ، وذلك حسدا للرجال الذين يستقلون عن سلطتهم الروحية وينزعون طاعتهم عن رقابهم ·

يتعين اذا أن نعرف قراء «المجلة الاهلية» بالمرابط المستغانمى وبمرمى عمله.

ان فرقة الاشراف تنعى على ابن عليوة كونه ليس من أصل قرشى وتسخر به انه كان حذاء ولكن غاب عن ذهنهم ان السلاطين لم يكونوا قرشيين ، وتاريخ الفلسفة الاوروبية يعد حذاء فيلسوفا روحيا عبقريا وهو جاكوب بوهان (17) ·

---

(16) كانت الطريقة الرحمانية فى بلاد القبائل تقوم بدور هام فى نشر الثقافة الاسلامية العربية والمحافظة عليها ، وكان لبعض زواياها نظام جمهورى بأتم معنى الكلمة حيث يتولى الطلبة شؤون تعليمهم وغذائهم تحت اشراف علماء الشريعة الذين يحصلون على علمهم بالدراسة الطويلة والاجتهاد الكبير ، وفيهم علماء كبار درسوا القرآن رواية ودراية وكتب الفقه والتفسير والحديث والعربية : النحو والصرف والادب ، والفلسفة الاسلامية : المنطق والتوحيد ، والرياضيات من حساب وهندسة وميقات الخ · وقد أشار الى اسماء بعضهم العلامة الشيخ أبو يعلى الزواوى فى بعض مقالاته ـ وهو منهم فهؤلاء لا يقبلون قطعا دجل ابن عليوة ودعاويه التى على رأسها ان علمه علم أهل الحقيقة ، لا ينال بالاكتساب وانما ينال بالرياضة والوحي ! لهذا انضم أكثر علماء القبائل الى الحركة الاصلاحية وأيدوها وكانوا مع الثورات الاسلامية التى رفع أهلها السلاح ، وهذا ما يشكو منه هذا الكاتب · والطريقة الرحمانية أو (الخلوتية) هى أوسع الطرق انتشارا بالشرق الجزائرى والشمال ، وربما تكون أكثر الطرق اتباعا وهذه شهادة تشرفها ولا تشرف من سبقت له وكان للشيخ ابن باديس ـ فى أول أمره اتصال بـ « اخوانها » يريد ـ بلا شك ـ أن يؤثر فيهم ويكتسبهم ، وهذا ما لم يفهمه بعضهم ، ومن أهم معاهدها العلمية أيضا معهد الهامل ، ومعهد طولقه ، ومعهد وادى سقان لكنها لا تشارك فى الثورات ·

(17) لم يحتقر المسلمون أحدا منهم لمهنته أو ضعة أصله،ان أبا حنيفة كان بزازا وهو أكبر أئمتهم المجتهدين ، وكان كبار العلماء من المسلمين ذوى مهن واحتراف · ولكن ابن عليوة لم يكن فى كبار العلماء ، وانما كان يزعم ان له علما لم يكتسبه ، وانه به يتقدم على غيره ، وانه بحث عن نفسه فوجد نفسه هو الله ، وليس سواه ! تعالى الله ·

اطراء بمعلومات فاسدة :

والفضل يثبت لابن عليوة ـ وهو من أصل وضيع ـ بدأ دراسة العلـوم الادبية والكلامية والرياضية وهو اذ ذاك فى العقد الرابع من عمره وقضى عشر سنوات حتى برز فيها (18) ٠

والغوغاء تتناقل اساطير عن الشيخ مكذوبة ٠ ومن ذلك انه كالحلاج الذى مرق ببغداد يقول : انه هو الحق ، وانه يرى اتباعه مناظر سحرية ٠٠٠ الخ٠

ولكن استفدنا من الارشادات التى اعطيت لنا من أوروبيين عاشوا فى كنف الشيخ وصادقهم وصادقوه ان ما يقال عليه محض خرافة أجاد صوغها الخيال الشرقي ٠

ابن عليوة مسلم متسامح روحي سني تلقى مبادئه من الشاذلية ، وعـلى الخصوص استاذه الشيخ حمو المدعو أيضا السيد محمد البوزيدي الصوفي المشهـــور ٠

ثـم ان الشيخ ابن عليوة صوفي عقيدته ، روحية تواترت عـن علي صهـر النبي وهو : كل شيء من الله ، ويعود الى الله ، ولا موجد فى الحقيقة إلا الله٠

وهى عقيدة الأساتذة الروحيين المشهورين فى الاسلام مثل محيى الدين ابن عربي الذى استقى من مؤلفاته (دانت) وكأمثال الغزالي (19) ٠

يقول الشيخ ابن عليوة ان الانسان الهى بروحه يجب عليه ان يظهر هذه الشعلة الربانية التى كثيرا ما يدنسها العقـل بالمادة وهى عقيدة المسيحيين من قبل ، من دولا كروا والقديسة تيريز ٠

---

(18) هذه دعوى لا برهان عليها ولا يعترف العليويون ان علمه مكتسب !

(19) علق المترجم على كلمة (دانت) بقوله : عالم روحى طاليانى ألف كتابه المشهور (الكوميديا الالهية) ويقال انه انشأها على اثر قراءته ترجمة رسالـة الغفران للمعرى) اهـ ٠ ثم ان مذهب وحدة الوجود من المذاهب المبتدعة ، وهو أجنبى عن الاسلام كفر العلماء معتقديه ولا تصح روايته عن علي كرم الله وجهه فضلا عن وصول الرواية الى حد التواتر،واذا جاز ان تجوز على هذا (الصحافي) هذه الخرافة فيجعل هذا المذهب عقيدة الروحيين المشهورين فانها لا تـروج عـلى العارفين بالاسلام ، وبمذاهبه وعلمائه ٠ واذا كان ابن عـربى حقا مـن أصحاب مذهب وحدة الوجود فان الغزالى حجة الاسلام من علماء الاشاعرة ولم يعده احد من أصحاب الحلول ٠

وابن عليوة ـ كجميع المعلمين الروحيين يريد ان يوقظ القلوب ، **ويقود** الارواح فى الطريق المستقيم ، يقول بوحدانية الله ، وبالاخوة الصادقة بين الناس ، يأمل ان يشاطره أشقياء العالم وضعافه احساساته **وتهيجاته الحادثة** من حياته الروحية الداخلية وهو ليس بجاهل متبلد ، **فان كتبه تشع روحا** رفيعة وهى مكتوبة بأسلوب جلي كما اعترفت له بذلك **مجلة العالم الاسلامى**.

ولقد وشى بابن عليوة المفاتى وسكان مدينة الجزائر **واتهموه بالميـــل الى** الشيوعية وهذا كله ليبغضوه للسلطة الفرنسية .

ونحن نعلم ان الطريقة العليوية تقـول بوجود الطبقات **وتدعو الى الطاعة لاولى الامر الشرعيين** (20) والى احترام العوائد والقوانين وتنهى عن كــل ضغط **وتأمر بالاستسلام** .

وان ادارة الشؤون الاهلية تحققت منذ زمن قديم ان هذه **التخرصات** وأمثالها فى حق الشيخ ابن عليوة محض سخافة ، **وهى ترتاح للاجتماع الذى يعقده الشيخ ابن عليوة لاخوانه بالجزائر فى شهر أكتوبر من كل سنـــة** ، وفى ذلك الاجتماع يجرى البحث فى المسائل الدينية والادبية **والاخلاقيـــة** باللغة العربية ونالفرنسية ، ولا زالت الجرائد العربية **والفرنسية تعطينـــا** تفاصيل عن ذلك الاجتماع .

وجميع الزائرين الذين لهم اهتمام بالمسائل الاجتماعية **يعلمون ما قدمنا** ولقد رأينا من المحتم ان نفصله **للجالية المعمرة** .

ان انشاء طريقة فى القرن العشرين **تحت رئاسة مرابط عصرى محـــب للرقى ولفرنسا قادر على خدمة قضيتها الكبرى خدمة جليلة** من ائتلاف العنصر الاسلامى بالفرنسى فى امكانه ان يرقى مستوى الاهالى الادبى **وان يجتث منها الاهواء السيئة والاغراءات الشريرة** ، ان انشاء طريقة هذه حالها ليعد حادثا ذا أهمية عظيمة .

---

(20) **هذه شهادة رائعة فى حقهم ! ان يعتبروا سلطة فرنسا سلطة شرعية ومع ذلك فهو يقول : انهم لا يشتغلون بالسياسة ! شهادة لا تعد لها شهادة : محب لفرنسا قادر على خدمتها ، يجتث الاهواء السياسية من شعبه ، والاغراءات الشريرة ! وما هى ؟ كالدعوة للثورة والاستقلال مثلا ! أليس ذلك شرا عندهم ؟!**

وبقدر ما نسلق بألسنة حداد المرابطين ذوى الاغراض السيئة مثل سى عزيز رئيس الثوار فى عام 1871 يجب علينا ان نشجع ونؤيد الحركة التى يقوم بها المرابطون المحبون للخير الاذكياء مثل ابن عليوة فهم ـ اذا احسن استعمال تاثيرهم ـ خير اعوان عاملين فى سبيل الترقى الادبى فى الاوساط الاهلية وفى سبيل المسلمين فى افريقيا الشمالية ·

ج· هـ· بروبست بيرابين

عن المجلة الاهلية ، عدد نوفمبر ـ ديسمبر 1927 م·

الفصل الثانى

أصحيح هذا أم باطل أم مبالغ فيه ؟

قد يتساءل المرء ـ بعد قراءة هذا المقال للمجلة الاهلية ، عما ورد فيه : أصحيح هو أم باطل أم فيه مبالغات ؟

والذى يظهر للباحث المنصف ان فيه صحيحا واضحا وفيه باطلا فاضحا ، وفيه ما يحتاج الى توضيح ممن تناوله الكلام ، وتصحيح بالنفى أو الاثبات فهل وقع شىء منه ؟

أول ما نلاحظه على كلام المجلة الاهلية أنه رفع درجة الشيخ العلمية فادعى انه «قضى أعواما طوالا فى دراسة العلوم العربية بالقاهرة ومكة وسوريا» وانه « بدأ دراسة العلوم الادبية والكلامية والرياضية،وهو اذ ذاك فى العقد الرابع من عمره،وقضى عشر سنوات حتى برز » ·

ان صحافيا آخر من الفرنسيين ـ هو محرر الديبيش القسنطينية ـ نسب اليه ما يشبه هذا،وجعل مدة الطلب ثلاث سنوات فقط،ولكنه حصر طلبه (العلم) فى نوع خاص منه ·

والذين كتبوا عن الشيخ من الجزائريين ، وعرفوا حياته فرووها ـ سواء منهم المريدون والاصدقاء المعجبون أو الخصوم المعادون ـ لا يلصقون بالشيخ مثل هذه (التهمة)،تهمة رسوخ قدمه فى العلم !

وهي نقطة الضعف فيه يسترها محبوه ، ومقتل من مقاتله يأتيه منه خصومه ٠

فالشيخ سعيد الزاهري يعلن انه يعرفه شخصيا ويعلم عنه انه يكاد يكون أميا ، لا يتصور منه ان يؤلف في تفسير القرآن،كما نشر عنه انه ألف تفسير سورة « والنجم » فوقع في كلامه من مذاهب النصرانية ما يؤاخذ به ٠ ونسب الشيخ الزاهري تاليف ذلك التفسير الى حركة التبشير ، ودسته على الشيخ تدليسا على المسلمين،وان ما صدر عن الشيخ من أشعار في الديوان ، ومن شرح لمتن (المرشد المعين) ليؤيد ما ذهب اليه الزاهري من قصوره في التاليف وضعف منزلته في العلم ٠

وحتى من شهدوا له من الأنصار والمحايدين في كتاب «الشهائد والفتاوى» لم نجد أحدا منهم أشاد برحلاته العلمية ، ودرجته السامية ، وانما شهدوا له بصحة عقيدته ، واجتهاده في العبادة والذكر ، واحسانه في التربية والسلوك لمريديه ٠ ولو كانت له رحلات الى المعاهد الاسلامية العالمية ، الخاصة منها أو العامة في عواصم البلاد الاسلامية لنوهوا بها ، وأشادوا بذكرها ٠

وقد صرح المترجمون له ان ما عنده من علم لم يكن باكتساب وتحصيل ، وانما كان بفيض من الله على قلبه من العلم « اللدني » الباطني ٠

وهذا ما أشار اليه الاستاذ الطاهر برقة في مقدمة لكتاب « البحر المسجور في تفسير القرآن بمحض النور » جاء في مقدمة الاستاذ برقة ان « سر الحقيقة في القرآن كما تتجلى في قلوب أهل العرفان (21) ، ولا يتوصل اليها الا الراسخون في العلم من عباد الرحمن الذين **امدهم بفيض من بحر القرآن** بعد تحققهم في مقام الاحسان،**أولئك الخواص المحمديون الموسومون** في الآية الكريمة بقوله : « **فوجداً عبداً من عبادنا آتيناه رحمةً من عندِنا وعلَّمناه من لدنَّا علمًا** » **ذلك العلم الذي اخذ منه الأستاذ قبساً لعلكم تسطلون بنوره (22)** ٠

---

(21) كتاب منسوب الى الشيخ ابن عليوة قال انه أملاه على كاتبه السيد صالح التلمساني الذى فرغ من كتابته بخطه عام 1934 وطبع بمطبعة العليوية في مستغانم عام 1982 م ٠

(22) مقدمة الكتاب المذكور في الصفحة الاولى تحت عنوان « مقدمة التفسير »

وهو ما يؤخذ أيضا من قول هذا الاستاذ في مقدمة الطبعة الاخيرة من ديوان الشيخ الصادرة في مستغانم عام 1982 م ، محتجا على ان علمه فيض من العلم « اللدنى » بقوله تعالى : « **سنُريهم آياتِنا فى الآفاق وفى أنفسِهم حتى يتبينَ لهم انه الحقُّ** » (23) ·

واصرح من هذا ما جاء فى مقدمة التفسير المومىء اليه منسوبا الى الشيخ نفسه بأن له حظا وافرا من هذا العلم الفيضى اذ يقول : « **والحمد لله اطلعني الله على البعض من جواهره** » (24) ، ويقول فى الذى يتلقى القرآن ببصيرته : « يراه الآن ينزل به **الروحُ الأمين** ، واذا قرأه يقرأه **من إمام مبين** ، وأعظمهم درجة من تلقاه **من ارحم الراحمين ، وقليلٌ مَا هُمْ** ، ولا تستبعد ذلك فان الكلام كلام الله (25) ·

وهذا كلام فى درجة عظيمة من الخطورة ، لانه يحذفواسطة النبىء (ص) فى تبليغ القرآن ، وانما وصل الينا القرآن بتبليغ رسول الله صلى الله عليه وسلم ، كما أنه يجعل درجة أعظم هؤلاء فوق درجة رسول الله صلى الله عليه وسلم اذ يقرأه من اللوح المحفوظ « من امام مبين » أو يتلقاه ــ مباشرة ــ من الرحمن الرحيم فى زعمه !

ان القرآن الكريم انما جاءنا بواسطة رسول الله بلغه اليه جبريل الامين رسول الوحي من الله الى عباده المرسلين.يقول الله تعالى : « **وإنه لَتنزيلُ ربِّ العالمين نَزَلَ به الروحُ الأمينُ على قلبِكَ لتكونَ مـن المنذِرينَ ، بلسانٍ عـــربيٍّ مبينٍ ، وانه لَفِي زُبُرِ الأولـين** » فالرسول انما تلقاه ولم يقرأه فى اللـــوح المحفوظ ، وقد قال له الملك فى غار حراء : « **اقرأ ، فقال ما بقارى أى لا احسن** القراءة ، ولم تكن أميته قادحا فى رسالته بل كانت آية صدقه الكبرى ·

ولما كان الصحافى الفرنسى يكتب بعقلية قومه الاوروبية التى لا تتصور « عالما » كبيرا ، له تأثير ساحق على مئات الالوف ــ فى زعمه وزعم أصحابه ــ فانه اخترع له دراسة طويلة ، ورحلة دامت فى عواصم الاسلام عشر سنين ! فلعل هذا من باطل ما جاء فى المقال ·

---

(23) مقدمة الديوان ·
(24) مقدمة التفسير ، ص 20 ·
(25) مقدمة التفسير ، ص 18 ·

ومن الملاحظ أيضا ان صاحب المقال اعتبر ما نسب الى الشيخ ـ من القول بمذهب الحلاج فى الحلول ، وانه يرى اتباعه مناظر سحرية ـ من قبيل الاساطير المكذوبة التى تناقلتها الغوغاء ، واستشهد على بطلانها بما اعطى له من ارشادات من أوروبيين عاشوا فى كنف الشيخ . وانها خرافات أجاد صوغها الخيال الشرقى .

وهذا دفاع باطل ، وكان بامكانه ـ لو لم يكن متحيزا ـ أن يتحقق صحته أو فساده ويبرهن عليه ، لكن غرضه ان يبرر حصول الشيخ واتباعه على مكافأة فرنسا ودولتها .

ان القول بالحلول ـ كقول الحلاج أو أكثر كالقول بوحدة الوجود ـ ثابت شائع فى كلام الشيخ واشعاره التى كانت رائجة فى الاسواق ، ومنها البيت الشهير :

فتشت عليك يالله لقيت روحي أنا الله

رواه الشهاب فى كلمته الصريحة .

ولنفرض ان هذا البيت ـ الذى شهد بوجوده فى الديوان المطبوع بتونس عام 1920 م ، شهود كثير لا يتطرق الى عدالتهم فى الرواية شك كالشيخ ابن باديس ، والشيخ العقبى وجلة من علماء المغرب وكتاب الجزائر ومنهم السيد توفيق المدنى ـ على حد قوله ان صح ـ وهو من أرأف الناس بالشيخ ـ لنفرض انه لم يقله لعدم وجوده اليوم فى ديوانه ـ فان فى هذا الديوان ـ الذى طبع اليوم خمس مرات ـ كثيرا من مزاعم الحلاج واقواله ، ومنها قوله الشهير : « ما فى الجبة الا الله » يعنى انه « هو الله » .

وفى مثل هذا يقول ابن عليوة فى الديوان ـ وهو موجود فيه حتى الآن : « سره فى جمعنا ـ خمره فى كأسنا ـ علمه فى نطقنا ـ تالله لسنا سواه » (26)

ويقول فى نفس هذه القصيدة :

من زالت عنه الستور لا يرى ما سوى الله

---

(26) الديوان ، ص 18 .

واما قضية المناظر السحرية، فانها نتيجة « الخلوة العليوية » التى لا ينكرها هو ولا مريدوه ، بل يعتبرونها من لوازم بلوغ درجة الكشف عندهم وارتفاع الحجب والوصول الى علم الغيب والبرهان على القبول . وقد شهدت بوجودها مقالات المشائخ المنتقدين ، ومنهم الشيخ العربى التبسى الذى انكر شرعيتها ، وطالب بالبرهان عليها ، وقد وجد من يجادله منهم ويحاول ان يجعل لها سندا، ونشر جداله فى جريدتهم .

فدفاع الصحافى عنه بانكار هذا لا يجديه ولا يدفعه عنه . وقد نسب اليه الصحافى أقوال الصوفية القائلين بوحدة الوجود كمحي الدين ابن عربي وأمثاله من كبار علماء الروح كما قال .

وقال عنه : « ان عقيدته أن الانسان إلهي بروحه .. وهي عقيدة المسيحيين من قبل من جان دولاكروا والقديسة تيريز » وانه **يدارس قسيسا كاثوليكيا بيجبريفيل ويبحث معه في الوسائل السهلة الاستعمال لمزج أرواح المسلمين وارادتهم بأرواح المسيحيين وارادتهم** وهو معروف لدينا بشدة أعجابه بالمسيح والانجيل ... » .

هذه الاقوال مدحه بها، لكن الشيخ يتضرر من صدقها اذا صدقت. وقد أثبتت ذلك جريدة (البلاغ) وشكت منه ، وكان قد صدر من الاستاذ الزاهري اتهام بشبهها وقدم له سؤالا يطلب الجواب منه ، غير ان الشيخ ومريديه أبوا ان ينطقوا بما يفيد البراءة أو الاثبات رغم إلحاح الخصوم فى طلب الجواب .

وانما انتقدوا (الشهاب) انتقادا مرا لانه نقل هذا المقال عن (المجلة الاهلية) واتهموه بانه يحاول ان يشوه سمعة الشيخ واتباعه ، وكما جاء فى المقال بقلم الصحافى الفرنسى ـ انه مستخدم للحكومة ، وانه وضيع الاصل ، وانه غير سالم العقيدة .

وقد أجاب الشهاب عن النقطة الاخيرة ـ وهى عدم سلامة العقيدة بقوله : « اذاً، فقد أدرك هذا الكاتب أن ما فى تلك المقالة ليس من سلامة العقيدة ، واذا كان من حقه أن يسعى لدى جناب الشيخ فى نفي ذلك وتكذيبه والبراءة منه ، وكنا نحن ننشر ذلك فى صفحات الشهاب خدمة للحقيقة وحبا بانصاف .

واذا كان قصر هو ـ يعنى الكاتب ـ فى ذلك فنحن ندعوه اليه ونحثه عليه ، فاننا لا نحب ان يبقى ذلك الذى أعترف الكاتب أنه ليس من سلامة العقيدة ملصقا برجل من عامة المسلمين فضلا عمن كان بمنزلة جناب الشيخ ـ ها نحن بالانتظار ـ اهـ ٠ وطال الانتظار ٠

الفصل الثالث

سكوت مريب

وقد كان ابن باديس وغيره فى انتظار مثل هذا التكذيب ، ولكنهم لحقوا جميعا بربهم ولم يقع ، ذلك لان التهمة به واقعية ، والصحافى الفرنسى كتب فى ذلك عن علم ومعرفة مما يعتقده مفيدا للشيخ وطائفته عند قومه ودولته ٠ ومن قبله وجه الصحافى الجزائرى الشيخ سعيد الزاهرى سؤالا الى جريدة البلاغ موضوعه يشبه ما نسب الى الشيخ من طرف المجلة الاهلية ونصه : « لماذا فسر شيخها العليوى سورة والنجم بتعاليم يسوع المسيح عليه الصلاة والسلام وبما جاء فى الاناجيل ولم يفسرها بآيات القرآن الحكيم ولا بسنة النبىء عليه الصلاة والسلام » ولم يتلق جوابا عن هذا السؤال الذى شهد ابن باديس بانه :

« سؤال علمي بحت،نرى حقا على الشيخ ان يجيب عنه ، وانتظرنا ذلك الجواب من حضرته راجين من ورائه فتح مناظرات علمية تفيد القراء وتكشف الحجاب لكل جانب عن قصد الآخر وتقرب أسباب المفاهمة وتظهر مكانة الشيخ للناس ٠ هذا ما كنا ننتظر ولكن ـ ويا للاسف ـ لم يكن شيء من هذا،فان الرصيفة لم تنشر كلمة واحدة عن هذا السؤال بل نشرت فى مفردات اسبوعها تشبه الزاهري بالكلب والتعريض له بالقذف ٠ (الشهاب عدد 144) ٠

أما الزاهري فقد القى السؤال لإثبات تهمة الاتصال بالمبشرين والتآمر معهم ، وفى ذلك يقول عن السؤال الموجه الى البلاغ :

« سألتها هذا السؤال لأنى أعتقد أن مبشرا مسيحيا من المبشرين بـ : « ابن الله » قد كتب هذا التفسير ثم أخرجه للناس باسم الشيخ ابن عليوة الطرقي العصري ليفسد على المسلمين دينهم الحنيف ٠ ذلك أن هذا التفسير

مكتوب بقلم مسيحى لا شك فيه وذلك بانى أعرف الشيخ ابن عليوة معرفـــة شخصية وأعرف انه لا يقرأ ولا يكتب الا قليلا فيبعد عندى ان يكون من رجال التأليف والتفسير ، وقد كنت أتمنى ان لو كذبت البلاغ نسبة هذا التفسير الى شيخها فتكون برأت نفسها وطائفتها من الدعوة « المسيحية الاسلامية » ونزهت شيخها من ان يكون ـ بين المسلمين ـ مبشرا من المبشرين بالمسيح « ابن الله » ولكنها مع الاسف لم تتبرأ من هذا كله وسكتت عنه ، والسكوت قد يكون رضى واعترافا كما سكتت ولم تتبرأ من قبل من جمعية المسيح أحمد القاديانى » (27)

وقد انكر ابن باديس على الزاهرى رميهم بالتبشير المسيحى ، ولعل مراد الزاهرى المبالغة فى الاثارة ليعلنوا براءتهم من الاتصـــال بالقس والمبشرين ، والتأثر بأقوال مسيحية تقرب فى اعتقادهم بين المسيحية والاسلام كما ترغب فى ذلك الحكومة الفرنسية والكنيسة وبعض الصحافيين ولكن لم يقع جواب ٠

براعة ابن باديس فى رد الكيد :

وقبل أن أختم هذا النص أنبه الى عبقرية ابن باديس رحمه الله فى رد كيد الكائدين فى نحورهم فى براعة لا نظير لها ٠

ففى المقال المترجم **شهادة من الصحافي الفرنسي ومن الصحيفة الفرنسية** بان ابن عليوة كان فى **خدمة الحكومة وعونها** ، وهذا مما يعلي درجته ويسارع فى استحقاقه المكافأة عنده وعندهم ٠

ولكن الامر ليس كذلك عند الشعب ، فان كل قريب من الحكومة بعيد منه، ولهذا كان هذا (الاتهام) الممضى من كاتب فرنسى من باب **« وشهِد شاهدٌ من أهلهـا »** ٠

وقد تنبهت الى ذلك صحيفة البلاغ فكان أول ما آخذت به الشهاب ـ مع ان الكلام ليس كلامه ـ بانه يريد ان يشوه سمعة جناب الشيخ بانه « مستخدم للحكومـــة » ٠

هذه تهمة خطيرة فى تلك الايام ـ يمكن اذا ثبت على الشهاب ـ بانه ضد من يستخدم فى الحكومة ويعد ذلك سبة فيه ـ قد تسب له اضرارا فادحة منها ان يعطـــل ٠

(27) الشهاب ، عدد 138 ، الصادر فى 9 رمضان 1346 هـ ـ 1 مارس 1928 م

فكيف أجاب ؟ انه قلب الامر على الخصم فقال عن كاتب البلاغ :

« ثم عد مما يشوه سمعة جناب الشيخ أنه مستخدم للحكومة ! واعجبا لهذا الكاتب ! كيف يعتقد أن خدمة الحكومة تشوه سمعة صاحبها ؟ فهل هذا هو رأيه في جميع المستخدمين ؟ (عدد 144 من الشهاب) ٠

هذه بلا شك ـ براعة نادرة في قلب التهمة ورد الكيد،اما ان يعترف الكاتب أو ينكـر ٠

الفصـل الـرابع

حقيقة شعوره نحو « مستخدم » الحكومة

قد يتطلع القارئ الى معرفة حقيقة شعور ابن باديس نحو من يستعمـل الدين لخدمة حكومة فرنسا التي تسلطت على وطنه وعملت بكل قواها لقهـر أمته وخراب دينه ، وأنا لا أبخل عليه بما يعرفه بحقيقة الامر ٠

لقد أخذ عليه العهد استاذه ومربيه الشيخ حمدان الونيسي الا يقبل وظيفة من الحكومة وان لا يجعل علمه سلما لخدمة الوظيفة ، لما في ذلك من معاونتها وفقدان حرية التعبير ومداهنة المستعمر فضلا عن « خدمته » وهذا ما كان يؤمن به ويعمل لغرسه في تلاميذه ٠

وذلك أنـه لمـا شغر منصب الافتاء في مدينة سطيف واستعدت الادارة لاجراء امتحان لعمارته ـ زينت النفس الأمارة بالسوء لأحد كبار تلاميذ الشيخ محمد البشير الابراهيمي النجباء وأحد أركان الاصلاح في مدينته أن يشارك في الامتحان فاستعد له ، وقدم طلبا ـ ولو فعل لحصل عليه لا محالة اذا كانت الكفاءة العلمية هي الحكم وهو الكفء لها ٠

ولكن ظهر له ـ في آخر لحظة ـ ان يعرض الامر على الشيخ عبد الحميـد ابن باديس ويستشيره فيه ، فذهب اليه وشرح له الامر ، وطلب منه ان يبدى له ما عنده ٠ فأجاب به جوابا غليظا تركه مبهورا اذ قال له ما فحـواه : « لان

تتكسب بحماية مومس خير لك من التكسب بمثل هذه الوظيفة» أو قال له اذهب وافعل ذلك خير لك . فكان ما سمعه كلمة الفصل (28) ·

واشتغل بعمل تجاري بارك الله له فيه ، واستمر في عمله الاصلاحي فاحتل مكان قيادة الحركة في مدينته ، وبلغ الذروة في القيادة الشعبية بعد الاستقلال ، وما زال ــ والحمد لله ــ حيا يرزق (29) ·

من هذا نعلم شعوره الحقيقي نحو من يسخر دينه لخدمة عدو دينه وشعبه ، وانما أراد بما قاله لكاتب البلاغ رد الكيد في نحره !

(28 ــ 29) هذا الشيخ هــو صديقنا الاستاذ المطاعي « مزعاش الطيب » ، وكنت قد كتبت من الذاكرة الحادثة ثم لقيته يوم 30 مايو 1983 م فأكد لي ذلك وقال : « فاجأني الشيخ بهذه الكلمة ، وكنت أعدها كبيرة جدا لما عندي له من الاحترام » وبارك الله للشيخ المطاعي ، وقام في مدينة سطيف بأعمال عظيمة قبل الثورة ثم هاجر الى تونس لما عزموا على اغتياله ، ثم انتخب بعد الاستقلال شيخا للمدينة في السبعينات تحت راية الجمهورية الجزائرية · وما يزال في خدمتها عزيزا ·

البـــاب الثـــالث

الاتصال بالادارة الفرنسية الاستعمارية والتعـاون معهـا

لم يكن الامر ـ فى الحقيقة ـ يختص بالطريقة العليوية وحدها وانما كان خطة سياسية انتهجتها الادارة الفرنسية ، وعملت لإدراكها · وان كانت لم تبلغ مع الطرق ـ عموما ـ ما بلغته مع هذه الطريقة بالخصوص فى محاولة التفاهم (الروحي) بين المسيحية فى طبيعة المسيح عليه السلام،وبين الاسلام عند القائلين بالحلول ووحدة الوجود ·

الفصـــل الأول

هذا التعاون قديم من عهد روش

فى عام 1938 م ، نشرت جريدة (البوبولير) الباريسية لسان حال الحزب الاشتراكى آنذاك مقالا ـ عربته مجلة « الشهاب » ونشر تحت عنوان : ما يقولون عنا ـ جاء فيه ان الجنرال بيجو هو الذى خطط لاستخدام الاسلام لفائدة فرنسا بعد ان رأى أن المقاومة الشعبية ما تزال متأججة باسم الدين ، ويرفع رآياتها مشائخ الطرق ، ومنهم الأمير عبد القادر الذى كان أبوه محي الدين شيخ طريقة ، فقررت فرنسا ان تحتال فى جعل سلطتها من سلطة الدين ، ونجحت فى الموضوع ايما نجاح · «ويوجد نص هذا المقال فى مكان آخر من هذا الكتاب»

ويؤيد هذا قصة جاسوسها الكبير (ليون روش) واعترافه الذى سجله فى كتاب ألفه تحت عنوان (ثلاثون سنة فى الاسلام) وقد نشر مقال عن ليون روش

وكتابه فى مجلة الفتح القاهرية ونقلته عنها جريدة (الشهاب) فى عددها 161 الصادر عام 1928 وقدمت به بكلمة ذكرت فيها أسباب اقدامها على نقلـــه . ومنها (ما فيه من شهادته على شيوخ الطرقيين) .

لقد جاء فى اعتراف ليون روش قوله :

« اعتنقت الاسلام زمنا طويلا لأدخل عند الامير عبد القادر دسيسة من قبل فرنسا ، وقد نجحت الحيلة،فوثق بي الامير وثوقا تاما واتخذني سكرتيرا له» (1)

ثم ذكر انه استطاع ان يتصل بالعلماء (شيوخ مشائخ الطرق) فى الجزائر وتونس ، ومصر ، والحجاز ، وان يسخر بعضهم لخدمة فرنسا وختم كلامــه باعرابه عن احتقارهم واشمئزازه من خيانتهم دينهم فقال :

« ان الاسلام دين المحامد والفضائل ، ولو انه وجد رجالا يعلمونه للناس حق التعليم ، ويفسرونه تمام التفسير لكان المسلمون اليوم أرقى العالمـــين واسبقهم فى كل الميادين .

ولكن وجد بينهم شيوخ يحرفون كلمه ، ويمسخون جماله . ويدخلون عليه ما ليس منه .

وانى تمكنت من استغواء بعض هؤلاء الشيوخ فى القيروان والاسكندرية ، ومكة،فكتبوا الى المسلمين فى الجزائر يفتونهم بوجوب الطاعة للفرنسيين ، وبأن لا ينزعوا الى الثورة ، وبأن فرنسا خير دولة أُخرجت للناس ، وكل ذلك لـــم يكلفني غير بعض الآنية الذهبية » اهـ . لم يكفهم ــ لشقائهم ــ ان يخونوا دينهم حتى قبضوا ثمن الخيانة ثمنا زهيدا من آنية الذهب وهى حرام استعمالها فى دينهـــم .

والحق ان تعميم هذا الحكم فى كل العلماء أو مشائخ الطرق لا يصح ، فقد أفتى علماء المغرب ــ كالشيخ التسولى وغيره ــ بوجوب استمرار الجهاد وبارتداد المتعاونين مع الفرنسيين ، كما رفع راية الجهاد عند كل ثورة كثير من هـــؤلاء المشائخ ، ومنهم الشيخ بلحداد وابنه الشيخ عزيز المساعد الأيمن للمقراني رحمهم الله . وقد استحق الشيخ عزيز ذم المجلة الأهلية !

---

(1) ما زال المسلمون يؤتون من هذا الباب ، فقد بلــغ الانقليزى عبد اللــه فليبى منزلة عظيمة عند بعض ملوكهم ، وخدعهم لورانس بلباسه العربى .

غير أنها بقيت خطة تلجأ اليها فرنسا وتعتمد عليها ، وانتفعت بها كثيرا كما صرح بذلك صحافي فرنسي . يعتب على دولته في استمـــرار دعمها لهـؤلاء (الخلفاء) اذ يقول صاحب جريدة (لوكرى مروكان) فى عددها 214 الصادر فى 23 جويلية 1927 م ، « نعم نحن لا نكذب في **ان تلك القوة كانت لنا عونا فيما سلف** أما الآن فغايتها مقصورة على استعباد الشعب وتضليل افكـــاره بالخرافات المنافية لروح القرآن » .

ولم يكف المتعاونين مع الفرنسيين منهم وساطتهم في اقناع الشعـــب بالاستسلام والخضوع بفتاوى شرعية كما صنعوا في عهد (ليون روش) لان الشعب لا يثق بهم في الموضوع ولا يجوز عليه ان ينصح الفرنسيون لهم في دينهم أو دنياهم ولكنهم **تسفلوا الى الوشاية** بمن يحاولون النهوض بالمسلمين، ويعملون لإنقاذ الاسلام من الدجل والخرافات والعقائد الزائفة الملصقة به .

يقول الأستاذ اليزيدي ـ من كتاب المغرب الاقصى في مقال له نشر بالشهاب عدد 90 الصادر 27 أكتوبر 1345 هـ (31 فيفرى 1927 م) :

نفور الشعب من العملاء :

ان أرباب الطرق عندما يذهبون الى تلك القبائل **يحذرون كل الحـذر ان يواجهوها بمدح الحماية** ، اذ انهم لو باحوا بذلك لفر منهم البرابر ، ولما حصلوا على مرغوبهم،وهو كما لا يخفى ملء كيوسهم ذهبا أو فضة ... » .

ويقول (مسلم غيور) يظهر انه الكاتب الكبير محمد غازي في مقال له نشر في (الشهاب) عدد 80 ـ 1345 هـ (1927 م) هذا نصه :

« كان قطرنا المغربي آخر من تأثر بالأفكار الحرة السلمية،فنبع فيه أفراد يعدون على الأصابع زاحموا إخوانهم على أنهار الصحف والمجلات،فقامت قيامة الدجالين من المشائخ،وأبرقوا،وأرعدوا،وهرعوا للوسوسة التي هي ســـلاح العاجــزين .

افسحت هذه المجلة ـ يعني مجلة الشهاب ـ لبعض الشبيبة الفاسية فنشروا على اعمدتها ما عن لهم نشره مما لا يخرج عن بيان حقيقة الديــن الاسلامى ، وشرح المفاسد التي انجرت له من رؤساء وأرباب الزوايا فرأى هؤلاء ان البلاء قد حاق بهم من كل جانب **فوسوسوا للحكومة ما وسوسوا مما اضطـر ادارة**

الاستعلامات الى التوجه من وراء أفراد بعض الشبيبة » ... الخ . ثم يقول :
« هذا آخر سهم فى كنانة الطرقيين المشعوذين رمى به كبيرهم فى هذه العاصمة » .

ويعنى بالعاصمة مدينة فاس ، وبكبيرهم عبد الحي الكتانى، عميد مشائخ الطرق لا في المغرب وحده ولكن فى كامل افريقيا الشمالية، وكان هذا الرجل بالمرصاد لكل نهضة سياسية أو دينية حتى انتهى به الامر الى التآمر ضد السلطان محمد الخامس رحمه الله ، وفى الجزائر حاولت فرنسا به ان تكون قوة دينية رهيبة ، فجاءت به ونصبته على رأسها لتقوم بحرب الحركة الاصلاحية والنهضة الدينية وجاءت به الى مؤتمر اسلامى وقع بتونس عام 1949 م ، وحضرت لقاء مع باى تونس وسمعت تطفلا منه لدى الباى ـ وكان محمد الامين رحمه الله فزجره زجرا عنيفا (2) .

ولقد الحقوا ـ فى ظنهم ـ ضررا بليغا بالاستاذ محمد غازى الذى اشتكى منهم فى الكلمة السالفة ، وفضحهم فضيحة كبيرة فى مقال علمى بديع نشرته الشهاب له بعنوان « لا تخف انك أنت الاعلى » يخاطب فيه ابن باديس بمناسبة العدوان عليه . والمقال منشور فى القسم الرابع .

وكان الاستاذ محمد غازى يتولى ادارة المدرسة الناصرية بعاصمة فاس . فاستعمل عبد الحى نفوذه ، وأخرجه من الادارة ، بل نفاه من مدينة فاس . ولم يكن قد مر من الزمن ـ على نشر مقاله ـ وقت طويل فقد نشرت الشهاب فى عددها 99 الصادر فى 2 ـ 12 ـ 1345 هـ الموافق 2 ـ 6 ـ 1927 م نبأ ما أصاب الاستاذ من شرهم تحت عنوان : « ما زادوه الا شرفا » .

« تحقق عندنا أن الاستاذ السيد محمد غازى صرفه مؤسسو المدرسة الناصرية بفاس عن ادارتها **وسعى بعضهم عند الادارة فى نفيه فضغطت عليه الادارة ونفته الى بلده مكناس (3)** .

---

(2) اثناء المقابلة أخذ عبد الحي يثنى على بعض شيوخ تونس من المقربين اليه والى حكومة الحماية المغضوب عليهم من الباى ومن تونس فقال له : « نحن أدرى برجال بلادنا ـ سيادتك تعرف رجال بلادك ، واحنا نعرف رجال بلادنا » فبهت .

(3) المراد بالادارة هنا حكومة فرنسا في المغرب ، والمسيرون لها . وكثيرا ما =

ان قراء الشهاب لا يزالون على ذكر من مقالته الرنانة فى الدعوة الى الحق والارشاد والى سبيل الدين الصحيح والعمل على الاصلاح الدينى الذى هـو الشرط الاصلى لتقدم المسلمين فى العلم والمدنية والعمران فيسوؤهم جدا ان يعامل مثل هذه المعاملة **وان كانت ما زادته الا شرفا ...**

... فمن العجب المؤسف ان يكون فى بعض رجال الادارة هناك من يسمع فيهم لاقوال قوم لهـم مصالح حيوية فى جهل العامة وجمودها ، وهـم لذلك أبغض الناس فيمن يحارب الجهل والجمود سواء كان عربيا أو فرنسا ..» اهـ

وقـد امتدت عداوة العليويين للشهاب وحزبه مـن الجزائر الى تـونس والمغرب ، واذا كانوا بتونس ليس لهم نفوذ فى الدوائر العليا ، فان لهم فى المغرب نفوذا وأى نفوذ بعدد العليويين الموجودين بكثرة فى المغرب ، وبحلفائهم الدرقاويين وهم منهم .

لهـذا تابعوا مساعيهم فى تنظيم صفوفهم ، ومحاربة (الشهاب) وحـزبه بالجزائر وبالمغرب ، واستطاعوا ان يقنعـوا الادارة الفرنسية بالاضرار التى تحدثها مجلة الشهاب ، وبـ (التخريب) الذى يصيبهم من جراء كتابه حتى توصلوا الى استصدار أمـر بمنعه من دخول المغرب كل ذلك كان بمساعيهم وتأثير زعيمهم الاكبر عبد الحى ، وكان فرح العليويين بنجاح سعيهم لا يوصف فارسلوا الى مدير الشهاب برقية عاجلة (يبشرونه) فيها بمنعه من دخـول المغـرب . وقـد نشر الخبـر والتعليق عليـه فى العدد 104 تحت عنـوان : « شماتة كاذبة وسعاية خائبة » .

= يعبر الشهاب اذا أراد أن يشتم فرنسا ـ بكلمة الادارة حتى لا يقع تحت طائلة قانون سب فرنسا ، وعقاب ذلك شديد عسير على من يتهم بعداوتها أو يثبت عليه سبها !

الفصـل الثـانى

نجاحهم فى منع الشهاب من دخول المغرب

جاءتنا برقية هذا نصها مترجمة :

« الجزائر عـدد 12001 17 21 8 38 أقـدم لكم تهنئتى بتحجير دخـول جريدتكم (الشهاب) الى المغرب الاقصى » .

الامضاء (بلاغى)

وقد علق الشهاب على هذه البرقية بقوله :

« لا ريب ان اظهار الشماتة بهذه اللهجة التهكمية لا تكون من رجل شريف وما كان غير الشريف ليصدق .

فبادرنا بارسال برقية لاحـد أصدقائنا نستجلى منـه حقيقة الخبر فجاءنا منه الكتاب الآتى :

مجادة الاديب المحترم ناصر الملة والدين سيدى أحمد بوشمال . بعد السلام

أزف الى مسامعكم أنى تلقيت رسالتكم البرقية سائلا عـن منـع الشهاب الدخول الى الايالة السعيدة ، وحيث ان المسألة محتاجة الى تفسير طويل فقـد اخترت الجواب عنها بكتاب عوضا عن التلنغراف .

ان مجلة الشهاب غـير ممنوعة الدخول حيث انـه لم يبرز فى شانها ظهير رسمى من قبل مولانا السلطان ولا قرار حربى من قبل سيادة رئيس القوات الحربية . وانما هـى **تحت مـراقبة ادارة الاستعلامات التى لا تسوغ تفريقها وبيعها قبل مطالعة جميع فصولها** . وبسبب ذلك صارت ربما تتأخر فى الادارة اياما معدودات .

والحامل للسادة الحكام عـلى ذلك هـى الحملة التى أقامتها بعض الجرائد الفرنسية بالمغرب ضدها وضد جريدة (البرق) متهمة لهما بضدية الحكومة الفرنسية ... **والقائم بـذلك هـو بعض الطرقيـين** لا السادات الفرنسيون أنفسهم وهم معذورون فيما يفعلون لان شيطنة أعداء الدين يهولون لهم المسألة ويظهرونها لهم على غير مظهرها الحقيقى ... » .

وفى تعليق الشهاب الاخير يقول :

« ٠٠٠ ولينظر القـراء ـ بانصاف وتجرد ـ كيف يسلك رؤساء الطرقيين ضد اخوانهم الاصلاحيين طريق السعاية الكاذبة التى تؤدى ـ اذا لم يلقها حاكم بصير متثبت ـ الى الضرر الفادح فى النفوس والاموال والاعراض ٠ وليصدروا بعد ذلك حكمهم على هؤلاء الشيوخ المقدسين ٠٠٠ » ٠

هــذا مــا كنــا نتــوقع

ولكن المخبر (البلاغى) الذى أرسل البرقية السالف ذكرها كان ـ مـع الاسف ـ يستند الى مصادر عليمة لانه كان على اتصال صحيح له بها ، فقـد منعت الشهاب من دخول المغرب قبل وصول البرقية بأكثر من أسبـــوع ، ومراسل الشهاب هو الذى لم يكن له علم بالامر ٠ حتى جاء الخبر اليقـــين ونشرته جريدة (السعادة) وهى جريدة الاستعلامات الفرنسية ، وعنها نقلت مجلة الشهاب فى عددها 106 الصادر فى 21 محرم 1346 هـ (21 جويليــة 1927 م) تحت العنوان السابق ـ خبرا نصه :

« جاء فى عدد 31 من جريدة (السعادة) التى تصدر بالرباط بعنـــوان « تحجير جرائد » ما يأتى :

« أصدر سعادة الجنرال القائد الاعلى لجنود المغرب ـ حسب اشارة صاحب السعادة المعظم المقيم العام م٠ ستيغ أمرا مؤرخا بـ 29 يونيو تحت عدد 787 منع دخول جريدتى الشهاب والبرق التى (؟) تصدران بقسنطينة بالجزائر الى **المنطقة الفرنسية** بالمغرب وعرضهما للبيع ونشرهما بالمحلات العمومية » اهـ.

وفى تعليق الشهاب يقول :

« الشهاب خليق به ان يتوقع هذا الضغط على الصحافـــة والمفكرين **لأن مـوقف الطـرقيين النفعيــين بــازاء ذلــك مـوقف ذوى الارادات السيئـة** ومحفوف بالخطل كما هو دأبهم فى كل ما يرون فيه بصيص اصلاح كيفما كان نوعه متى كان مصادما لاهوائهم والعهدة ـ بحذافرها فى مثل هذه المخازى على سدنة الخرافات الوبيئة لان حركتنا اصلاحية دينية بحتة ٠ وهـــؤلاء المكسوون اثواب الختل والخور ما فتئوا مناهضين لكل حركة إسلامية حرة

من شأنها ـ فى زعمهم اذا انتشرت فى الشعب ـ نضب ما تعودوه من منافع الفلس و ٠٠٠

وما كان لمفكر ـ قتل افكار خربى الذمم الواشين بحثا ـ ان يلقى العهد على من سواهم ٠٠٠ **وقد كانت ورقة الطرقيين ارادت اذاعة هذا النبأ قبل صدوره أن تظهر الكرامة ٠٠٠ والبركة ٠٠٠ والتفوق على غير طائفتهـا بنشر** هـــذه التنبوءات والتكهنات ٠

ونحن ننزه حضرات الطرقيين بلاء الشعوب عن التنزل الى عقيدة النبوءة الروحية لماذا ؟ لانهم عبدة المادة ، **وذلك مما يدل على ان ذلك التنبؤ ناجـــم عما قدمت أيدى زملائهم هنالك بطرق ٠٠٠ عملية محسوسة** !

ونحن نقول لهم : ذلك شانكم ولسنا مثلكم ٠

ومثل هذه الغايات السافلة والتحجير الخانق مما يضاعـــف للشهاب الشرف وعلو السمعة وقد تعودنا هذه التشريفات منذ استشهاد (المنتقـد) وقد برهنتم على الفشل والعجز فى مضمار الحقائق الناصعة بالالتجاء الى ٠٠٠

ونكرر لكم القول : هذا القلق ، هذا الاضطراب أقوى معوان على تفشى الدعوة الاصلاحية واتساع نطاقها كما هو طبيعة كل دعوة ونهضة ٠

وقد شيدتم لنا ـ جهلا وغباوة ـ ما أردتم لنا هدمه ، وما علينـا الا ان نقابل هذه البساطة الجاهلية بالعزيمة الفولاذية والثبات الراسخ اللذين هما العامل الاقوى فى جميع انتصاراتنا المشهودة ٠

ولسنا عـلى الاعقاب تـدمى كلـومنا ولكن عـلى اقدامنا تقطر الدما (4)

لا يقـــع الطعـــن الا فى نحـورهم وما لهـم عـن حياض المـوت تهليل

لا يفـــرحون اذا نالـــت رماحهـم قوما وليسوا مجازيعا اذا نيلوا»اه(5)

---

(4) البيت من شعر الحماسة فى (ديوان الحماسة) لابى تمام ٠ ومعناه اننا نقتل مقبلين عـلى العدو لافارين من المعركة ، ودماء المجروح مقبلا تسيل عـلى أقدامه ودماء المدبر تسيل على اعقابه ٠

(5) البيتان من شعر كعب بن زهير يصف فيها ـ فى قصيدته بانت سعاد ـ المهاجرين من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وقد صدق ، والبيت الاول فيــه معنى البيت المتقدم عليه ٠ والبيت الاخير فيــه ما أوصى اللــه بـه « **لكَيْلا تأسَوا عـلى ما فاتكم ولا تفـرَحوا بما آتاكـم** » ٠ لا تبطرهم النعمــة ، ولا تيئسهم المصيبة ٠

وهكذا نرى شدة الاتصال بين هذه الطائفة ، وبين الادارة الفرنسية : تسارع الى ارضائهم وكما يسارعون الى ارضائها ، فاذا نادتهم لاستعمالهم قالوا (لبيك وسعديك) ! وابن باديس اذ يتحداهم لا يقصدهم - وانما يقصد سادتهم ، لان ضرباتهم لا ترهبه ولكن الضربات الاستعمارية يقرا لها حسابها ، ويعلن لاصحابه ان عزيمته الفولاذية وثباته - وحزبه - الراسخ هما العامل الاقوى فى الانتصار والانتصار الذى يقصده هو النصر النهائى ، فالمحارب قد يخسر معركة ، ولكن العبرة بالنهاية وقد جاء هذا النصر والحمد لله ·

الفصـــل الثـــالث

مقال لصحفي فرنسي حــر

ما كان ابن باديس يرجم بالغيب - عندما اتهم خصوم (الشهاب وحزبه) بان لهم يـــدا فى التضيق عـلى الشهاب ، واتصالا بالادارة الاستعمارية ، وتسخيرا منها ، وهذا ما حققه صحافى فرنسى حر الضمير سليم التفكير معاتبا ادارته الفرنسية أن تستمر فى الاعتماد على التعاون مع قوم لم تبق لها فيهم فائـــدة ·

ففى العدد 108 من الشهاب الصادر فى 5 صفر 1346 هـ - 14 أوت 1927م نشر تحت العنوان أعلاه مقالا - قدم له بمقدمة ، وعربه عن صحيفة فرنسية وهذا نصه :

صحــف محجــرة

تحت هذا العنوان نشرت رصيفتنا (لوكرى ماروكان) فى عددها الصادر فى 23 جويلية المنصرم مقالا رئيسيا بقلم محررها م· كاريط بوفى فى شـــان منع مجلة الشهاب من الدخول الى المغرب الاقصى · ولما فيه من الحقائق المبنية عـلى الخبرة والتجرد - آثـرنا تعريبه لقـراء (الشهاب) شاكرين لرصيفنا المحترم م· كاريط بوفى غيرته الحقة على بنى مهنته ، وانصافه الصادق فى بحثه وتحريره ، راجين لجميع رصفائنا الجزائريين ان تكون لهم هذه الـروح الشريفة : روح التضامن الصحافى عند الملمات ·

قالت الرصيفة المحترمة :

وقع التحجير لعدد كثير من الصحف العربية المختلفة المصادر ، وقد ذكرنا في عددنا الاخير التحجير الواقع على « البرق » و « الشهاب » وما طرقنا مسألتهما الا بعد أن خاضت فيها جريدتا « لا فجيي ماروكان » و « ليكودي ماروكان » وقد اظهرتا فرحهما بذلك ·

نحن لا نعرف « البرق » (6) · ولكننا نعترض على ما ابدته الجريدتان من الكلام الباطل المبنى على الحقد فى مجلة « الشهاب » (7) ، وهاتان الجريدتان الفتا أن لا تنقلا من الاخبار الا ما كان مثيرا للافكار · فهلا اثبتنا ما تنشران ؟ لكن هيهات ان يمكن لهما ذلك ، وهما لا تطمحان اليه ·

الشهاب مجلة تطبع بقسنطينة أسست لمطالبة الحكومة بجعل نوات من المسلمين بالبرلمان الفرنسى لانها ترى ان الحق يعطى لمن يؤدى قسطا وافرا من الضرائب حتى التمثيل بالبرلمان ·

ثم ان تلك المجلة التى يرأسها صحافى مقتدر وهو رصيفنا السيد عبد الحميد بن باديس خرجت فى بعض الاحيان عن هاته الخطة كى تتصدى لمقاومة الطرق التى تقف عقبة في سبيل التطور والرقى بالجزائر والمغرب ·

لكن ـ ويا للاسف ـ ارباب **الطرق يعضدهم رجال الحكومة الفرنسية** التى يظهر لها ان **تكون حريفة (كليان) لهم** (حسبما يقتضيه هذا اللفظ فى اللاتينية) لان **ذلك يقلل تعبها** ، ويسهل لها الوصول الى مقاصدها ·

---

(6) جريدة عربية اقتصادية سياسية اصدرها الصحافي الجزائرى السيد رحمونى عبد المجيد القسنطينى واشترك فى تحريرها الصحافى الشهير السعيد الزاهرى وكانت عنيفة **فى لهجتها مما سبب لها حرجا كثيرا وعرضها** للمحاكمة والتغريم ، وكانت تطبع فى **مطبعة** الشهاب فسببت لها ضيقا لانها لم تكن منتظمة ثم حاولت ان تطبع في تونس فمنعتها الحكومة فاختنقت · وهى من مفاخر صحف النهضة الوطنية ·

(7) من اسخف ما وجه الى الشهاب وأختها البرق من أتهامات الصحف الفرنسية ومصادرها انهما كانتا تخدمان السياسة الانقليزية المناهضة للسياسة الفرنسية فى المغرب العربى ، وحجتهم على ذلك ان الصحيفتين مرتبطتان بالحكومة السعودية الوهابية ! حليفة الانقليز وتهمة الوهابية كانت توجه الى المصلحين لمحاربتهم عبادة القبور وساكنيها ·

ان ارباب الطرق يعترضون بكل قواهم لكل جديد ، وعللهم تماثل علل رجال (الفاتيكان) فى هاته المسائل ، والمسألة استيلاء ، ومسألة فلوس . ان هذه المقاومة من الغموض الذى تعيش تحت ظله أقلية تريد الاستيلاء على الاموال باسم الدين .

قبل الثورة الفرنسية كان أهل الاديرة ورجال الدين يؤثرون تأثيرا سيئا فى الامة بكثرة الالحاح عليها فى الصدقات الدينية وكانوا يمثلون دورا كالذى يقوم به الآن رجال الطرق فى افريقيا الشمالية .

فمجلة الشهاب تحت رئاسة ابن باديس صاحب القلم الشديد الوقع ـ تجد فى سعيها ودفاعها عن التقدم ـ **أمامها هاته القوة مصادمة لها .**

نحن لا نكذب فى ان تلك القوة كانت لنا عونا فيما سلف ، اما الآن فغايتها مقصورة على استعباد الشعب ، وتضليل أفكاره بالخرافات المنافية لروح القرآن فالطرق هى أعظم عقبة تقف بافريقيا فى سبيل نشر أفكارنا وآرائنا ، فهى تنافى حتى روح الجمهورية ببثها التعصب بين طبقات الامة ، وبمحاربتها للتعليم

زد على ذلك انها تتخذ ذلك التعصب نفسه وسيلة **للاستيلاء على أرباب الحكومة حتى لا يلبثوا ان يعتقدوا ان نفوذهم منوط بتأثير الطرقيين .**

يجب على الانسان ان يتخذ احسن الوسائل ان أراد ان يصرح بالحقيقة . ولا ريب اننا اذا أوضحنا للناس كيف يستغل الانسان أخاه فاننا نقوم بواجبنا نحو الوطن ... نعم ليس هناك استغلال أفظع من الذى يكون باسم مذهب أو عقيدة .

ان (السعادة) التى هى جريدة الاستعلامات الاهلية نشرت كلاما معناه ان (الشهاب) منع من الدخول الى المغرب بأمر من الجنرال « فيداليون » بعد ما أشار بذلك م. ستيغ .

وهذا غلط فى الانشاء تريده رصيفتنا الشبيهة بالرسمية ، لانها تعلم يقينا أن عبد الحى الكتانى هو الذى قدم قرارا للجنرال دوشامبران الحاكم بناحية فاس فى شأن رصيفنا الفاضل ابن باديس . ولم ندر هل أوقع مقيمنا فى الغلط أم روت السعادة خبرها عن مصدر كاذب !

وعبد الحي هذا هو نائب الطرقيين بفاس ، وان شئت قـل سفيرهـم ذو الرجلين القصيرتين والبطن العظيم ٠ أما اسمه فينطبق عليه غاية المطابقة ، اذ معناه عبد القبيلة (الحي) بلغة العرب ٠٠٠ والطرقيون ، بين المؤمنـين كشبه قبيلة خصوصية ألفت لجمع الصدقات والنذور بدعوى الصلاح والولاية، والله اعلم بصدق ذلك أو كذبه ٠٠٠) اهـ ٠ المراد منه ٠

الفصـل الـرابع

مبـدأ الشهاب الـديني والدنيوي

وقد علق الشهاب على بعض فقرات الكاتب : منها على مبدا الشهاب السياسى الذى حصره فى المطالبة بنيابة جزائرية فى البرلمان الفرنسى وأن الشهاب خرج أحيانا عنه ليتصدى لمقاومة الطرق التى تقف فى طريق التطور فقال :

« ان المبدأ الذى أسست عليه هذه الصحيفة هو وجوب اعطاء جميـع الحقوق لمن يقوم بجميع الواجبات ، ومن حقوق الجزائريـين تمثيلهـم فى البرلمان مثل اخوانهم الاوروبيين ، فالتمثيل البرلمانى **واحـد من الحقـوق** الكثيرة الداخلة تحت ذلك المبدا العام ٠

وكما أسست هذه الصحيفة لخدمة المبدأ السياسى المتقدم كذلك أسست لخدمة مبدا دينى وهو الرجوع بالمسلمين الى جوهر دينهم الاصلى البرىء من جميـع الضلالات والخرافات والتعصبات المحـرر للعقـول المهذب للنفـوس والساعي بالانسانية فى الصراط المستقيم الى سعادة الدارين ٠

ولما كانت الطرق فى معظم أمرها ـ منبعا لكثير من هذه المهلكات وقف لها (الشهاب) وقفاته المعروفة لنقدها ومحاولة اصلاحها ٠ فكلامه هو مقتضى خطته » اهـ ٠

الشهـاب كـان موضـوعيا

فالشهاب كان موضوعيا فيما اتخذه من موقف : كان يسعى لترقية المسلم الجزائرى فى دينه ودنياه ٠

والذى نلاحظه نحن ان خطة الشهاب ـ الذى تأسس عام 1925 م ، كانت أهم أهدافها : ايقاظ الشعب ، وبث الوعى الدينى والسياسى فى الجماهير ، فالشعب وحده ـ اذا استيقظ ـ هو الذى يستطيع ان يصلح ما فسد فيه من عقائد ، ويقوم ما اعوج من عبادات واعمال فى الدين ، ويستطيع ان يفتك ما اغتصب من حقوقه فى الحياة ، ولا رجاء فى المستغلين ان يتنازلوا من أنفسهم عما استغفلوه عنه ، ولا طمع فى المغتصبين ان يعيدوا اليه ما اغتصبوه منه .

ولقد سمعت ـ بأذنى ـ من الشيخ مثل هذا مرارا ، وانه ما كان يتوقع ان تفعل به فرنسا خيرا ، ويتحقق أن الشعب سيصدمه الحائط فيستيقظ ويتفطن فيعمل . فعمل الشعب لنفسه أجدى وأثبت وأقوى ، وهذا ما كان يؤمن به جمال الدين الافغانى رحمه الله .

وكان قد أعلن فى الشهاب مبدأه الدينى والدنيوى (السياسى) فاتخذ قولا لمالك بن أنس مبدأه فى الدين وهو « لا يصلح آخر هذه الامة الا بما صلح به أولها » ، لهذا قاوم البدع والخرافات والزيغ فى الاعتقاد ، واعتمد على الكتاب والسنة لان بهما صلح أول هذه الامة . وفى الاصلاح السياسى أنشأ قولا من عنده وهو : « الحق والعدل والمؤاخاة فى اعطاء جميع الحقوق للذين قاموا بجميع الواجبات » ومعنى هذا ان الشعب الجزائرى قد فرضت عليه فرنسا واجبات ـ كما هى مفروضة على بقية السكان ، فدفع ضرائب المال والدم والتضحيات كلها كالنصارى واليهود والمتفرنسين من أسبان وايطاليين ومالطيين وحتى اللبنانيين المسيحيين المستوطنين ـ وعند أخذ الحقوق استوفى جميع الاجانب عن الجزائر حقوقهم ولم ينل الجزائريون شيئا ، فأين الحق ؟ وأين العدل ؟ وأين المؤاخاة ؟ وأين المساواة ؟ فالحق وما عطف عليه لا يتم الا باعطائهم كسائر « أبناء » فرنسا ـ كما تزعم ـ حقوقهم .

وبقى هذا فى مبدأ الشهاب مسجلا على غلافه الى ان جاءت حكومة (الواجهة الشعبية) الحكم فى فرنسا ، ووعدت وعودا كثيرة أخلفتها ، وخانت الحركة الوطنية وهى : « نجم شمال افريقيا » التى كانت حليفة لها ـ فى الواجهة الشعبية ـ فحلتها ونكلت بزعمائها ، حينئذ رأى ابن باديس ان الوقت قد حان لتغيير الاسلوب ، وإعلان

اليأس من فرنسا ، وهذا ما قام به بالفعل عام 1938 م ـ قبل وفاته بعامين ـ فكتب في الشهاب بأسلوب حماسي واضح مقالا عنوانه « هل آن أوان اليأس من فرنسا » ؟ واعلن ان اليأس يدفع الى « المغامرة » ، وان هذا ما على الشعب ان يستعد له ، وان اليأس لا يدفع بنا الى الاستسلام ، لان خلق المسلـم ألا ييأس من روح الله ، وغير الشعار مما كان الى شعار جديد ليس فيه ما يفهم التطلع الى (عطاء) من فرنسا وانما فيه العمل على افتكاك الحق منها وكتب مكان الشعار القديم هذا الشعار :

« لا نعتمد الا على أنفسنا ونتوكل على الله » ۰

والحقيقة أنه تدرج ـ استعدادا ـ لهذا التغيير الذى بدأ يوم اعلـن فى كلمته الصريحة « أن الجزائر ليست فرنسا ، ولا تريد ان تكـون فرنسا ، ولا تستطيع ان تصير فرنسا ولو أرادت » ۰ وتبع ذلك تحديه لمن سأله هل تستطيع أن تستقل الجزائر؟ أن ذلك ممكن، وان الجزائر فوق مستوى بعض تلك الامم التى حصلت عليه ۰ وقد أثر عنه فى هذا العهد تعبيرات ثورية ، وفى نشيده الذى أنشأه يوم عيد المولد النبوى عام 1356 هـ (1937 م) خطة ثورية :

ـ يَـا نَشْءُ أَنْـتَ رَجَـاؤُنَـا **وَبِـكَ الصَّبَاحُ قَـدِ اقْتَـرَبْ**
خُـذْ لِلْحَيَـاةِ سِـلاَحَهَـا وَخُـضِ الْخُطُوبَ وَلاَ تَهَـبْ
وَاقْلَـعْ جُـذُورَ الْخَـائِنِـينَ فَمِنْهُـمُ كُـلُّ الْعَطَـبْ
وَأَذِقْ نُفُـوسَ الظَّـالِمِـينَ اَلسُّـمَّ يُمْـزَجُ بِالرَّهَـبْ
مـن كـان يَبغـي ودَّنـاَ فعـلَى الكرامـةِ والرَّحَـبْ
أو كـان يبـغي ذُلَّنـاَ **فلَـهُ المْهَـانـةُ والْحَـرَبْ**
هـذا نظـامُ حيـاتِنـا بالنُّـورِ خُـطَّ **وَباللَّهَـبْ**
حـتى يعـودَ لقـومِنا **مـن مَجْدِهِـم ما قَـدْ ذَهَـبْ**

وفى نشيد آخر له يشهد السماء ونجومها اننا للعلى وللخلود ، **وان جيلنا سيرى خافقات البنود** ، واننا للحمى سنكون **الجنود**،فنزيح البلاء **ونفك القيود**، ونذيق **الردى** كل عات كنود،وننيل الرضى من وفى بالعهود ۰ واننا **هكـذا** سنعـود ۰

الفصــل الخامس

النيابــة فى البرلمــان

وربما ظهر لمن يعيش فى عصرنا ان فى مبدا الشهاب السياسى من ارسال نواب عن الشعب الى البرلمان الفرنسى ما يخالف المبدا الوطنى ويسلم بتبعية الجزائر لفرنسا ، ويسلم بمبدا الاندماج !

ونقول ليس الامر كذلك ٠

أولا : لانه لا يمكن وصول صوت الجزائريين لاسماع الفرنسيين واسماع العالم اجمع الا بواسطة وصول منتخبين الى البرلمان ولهم حصانة فى الكلام ٠ وما دام قانونهم يسمح بهذا الحق فلم لا نستعمله حتى نصل الى تحقيــق غرضنا فى الانفصال ؟ ٠

وثانيا : لأن الإرلانديين كان لهم نواب فى مجلس العموم البريطاني ولم يمنعهم ذلك من (انفصالهم) عن انقليترا وحصولهم على الاستقلال ٠

ثالثــا : هذه القضية من ابن باديس كانت مرحلة لابد منها ، وقد اعلن ـ قبل وفاته بنحو عامين عدوله عن هذا المطلب وافتى فتوى شرعية سياسية بانه ـ ما دام الفرنسيون يحتقروننا ، ويمتهنوننا ويشتمون ديننا ويشترطون علينا للحصول على النيابة التنكر لديننا وقوميتنا والبراءة منهما فانه حرام علينا ان نرتمى تحت أقوامهم ، وان نلح عليهم ان يعطونا هذا مثل هــذا المطلــب ـ ٠

فابن باديس جعل ذلك مرحلة تتقدم غيرها من المراحل ٠

رابعــا : لم يكن هذا رأيه وحده بل كان رأى جميع الذين اشتغلــوا بالسياسة من الوطنيين المخلصين وبرهنت الايام على صحته وسلامته ولم يؤد الى الاندماج ـ فقـد ندمت فرنسا عـلى ما كان منها ، ثـم تبرعت بالاعتراف للجزائريين ، بعد ان اجمـع ساستهم وأحزابهم جميعا عـلى المطالبة بحكومة جزائرية بهذا الحق ٠

وارسل شعبنا نوابه الوطنيين باسم البيان ، ثم باسم (حركة انتصار الحريات الديمقراطية) فلم يؤد هذا الى الاندماج والاعتراف بالتبعية لفرنسا، بل اعلن للعالم كله شخصية الجزائر وكفاءة رجالها ، واحقيتها فى الحياة ، وقامت الحجة على لفرنسا ، وكان بعض أولئك البرلمنيون من أول من رفع لواء الجهاد يوم أول نوفمبر 1954 م • فأول رئيس للحكومة المؤقتة ، ووزير خارجيتها كلاهما سبق له ان كان من النواب البرلمانين •

فالنظرية فى أساسها كانت سليمة ، وهى مرحلة كان لابد من سيرها لدخول حصون العدو وتفجيرها من الداخل •

مع هذا التطور المستمر في سيرة هذا الرجل : من العمل الصامت فى تكتم وحذر الى السير الهادف فى حكمة وسداد ، واستعداده الى الاعلان والتصريح الواضح بالثورة والرشاد مع كل ذلك نجد بعض (العاقين) يشكون فى (ثورته) وفيهم من يتهمه وحزبه بـ : الاندماجية ! فمن كان لا يعرف معنى البهتان فهذا منه !

الفصل السادس

اتصال العليويين خاصة بالإدارة

وقد بان مما تقدم اتصال العليويين بالادارة وعملهم تحت أوامرها ، ولكن أمرهم انكشف بوضوح أكثر بعد ان تأسست جمعية العلماء المسلمين الجزائريين • فقد استعرت الحرب بين حزب الاصلاح والعليويين وخصوصا بعد العدوان على شخصية ابن باديس •

ثم ان الشيخ عبد الحميد بن باديس دعا مرة ثانية الى الحسنى ، وجاء فى دعوته التى نشرت فى العدد 103 من الشهاب •

« مهما اختلفت مذاهب المسلمين وتشعبت طرقهم وكثرت فرقهم فانهم ـ بحمد الله ـ متفقون على أصل دينهم الذى لا يكون احد من أهل الدين الا به، وذلك الاصل الذى بينه حديث جبريل فى بيان الإيمان والإسلام والإحسان لما جاء يعلم المسلمين دينهم ، فكلهم يؤمنون بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر ، وكلهم يقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة ويصومون رمضان

ويحجون البيت متى استطاعوا اليه سبيلا ـ أو يقرون لذلك وان لم يفعلوا ـ وكلهم يقولون بلسان المقال أو لسان الحال : رضينا بالله ربا وبالاسلام دينا ، وبمحمد عليه الصلاة والسلام رسولا ، فقد حظوا بحول الله ما لم يحظ منه غيرهم من الخلاف فيما يكون به المسلم مسلما».

وللحصول الى تفاهم بالحسنى قال الشيخ لكتّاب المصلحين والطرقيين : « اقلعوا عن المهاترة والمشاتمة والمغامزة والملامزة مما هو حرام بإجماع المسلمين، واسلكوا فى المناظرة طريق القرآن العظيم ببيان لقول الخصم دون تعرض لشخصه،واقامة للحجة التى ترده عليه،مع حسن السلوك والقصد فى الوصول الى الحقيقة والاذعان لها اذا حضرت على أى لسان ، ومع الشعور بان الراد والمردود عليه إخوان يريد كل واحد منهما ان يهدي أخاه الى ما يراه خيرا له ، ويصرفه كما يراه شرا له،لانه ـ كما يأمره الاسلام ـ عليه ان يحب لأخيه ما يحب لنفسه ، ويكره له ما يكرهه لها ، فان من لم يحسن السلوك يكون خابطا أو مرائيا ، ومن لم يكن ذا إذعان للحقيقة يكون معاندا ولم يعصر قلبه روح الاخوة ينقلب عدوا مؤذيا . ومن اتصف بهذه الصفات أو بعضها كان شرا وبلاء ـ والعياذ بالله ـ على نفسه وعلى غيره .

نقول هاته الكلمة الحقة البارة لجميع الكتاب راجين ان يقبلوها ويعملوا بها واننا سنكون أول عامل بها ، فلا ننشر ـ كما لم ننشر ـ ما يخرج عن دعوتها ، ونحسب ان سيكون العمل بها سببا فى زوال الفرقة ان لم يكن فى إزالة الخلاف » .

الفصل السابع

تاسس جمعية العلماء
وانتخاب ابن باديس رئيسا
وانزعاج فرنسا ودسائسها بواسطة ـ عملائها

وكان لهذه الدعوة اثرها فى تحسن الجو وبدء نوع من التعارف ، وجدت الدعوة لتاسس جمعية العلماء ، وقد اقتنع بالضرورة لذلك اغلب علماء الجزائر، فلما كان الاحتفال بمرور قرن على الاحتلال وما صحبه من مظاهرات صليبية

وعجرفة استعمارية،سهل ان تخرج فكرة جمعية العلماء من العدم الى حيز الوجود . ونشرت مجلة الشهاب مقالات كثيرة فى الدعوة لتأسيسها،فنضجت الفكرة . وكان الاجتماع التأسيسى الأول لها هو يوم 17 ذى الحجة 1349 هـ ، الموافق 5 مايو 1931 م ، وقد حضره علماء من الجانبين الاصلاحي والطرقي ، ولم يكن ابن باديس حاضرا ، ولكن اتفق الحاضرون على انتخابه رئيسا للجمعية وهو غائب ، ثم لحق بهم ، واعتذر عن تخلفه ، وحضر المأدبة التى أقامها لهم نادى الترقى،وخطب فيها،واعلن رضاه عن تأسس الجمعية وقبوله لمسؤولية رئاستها ، واعتبره تكليفا واجبا عليه القيام به .

ويروى أستاذنا الشيخ محمد خير الدين ان تغيب الشيخ عن الاجتماع الاول لتأسيس كان بتواطىء مع جماعته حتى لا يكون حضوره داعيا للحذر والفشل ،.فالجو لم يكن خالصا،وقد دعى للحضور م. ميرانت مدير الشؤون الاهلية مَن طرف اللجنة التحضيرية ، فلما أصبحت الجمعية حقيقة واقعية أخبر بذلك فحضر فورا . وهى رواية مقبولة ودهاء من حزب الاصلاح .

وقد ضم المجلس الادارى الأول علماء من الطرفين الاصلاحي والطرقي كما مثل فيه جميع المذاهب الموجودة فى الجزائر ، ومثل المذهب الاباضي العلامة المرحوم الشيخ إبراهيم بيوض ، وكان كثير من الكتاب والأدباء الاباضيين من فرسان « الشهاب » مثل الشيخ الطرابلسى والفرقد ، ورمضان حمود ، وابراهيم بنوح رحمهم الله .

اتصال مباشر بين ابن باديس وابن عليوة :

وسكتت الاقلام عما يثير الفتنة ويدعو الى الفرقة وعقدت الرحلات لوفد الجمعية ، ولما وصل الوفد الذى يرأسه الشيخ عبد الحميد بن باديس الى مدينة مستغانم اجتمع مع الشيخ ابن عليوة فى ضيافة العلامة الشيخ بلقاسم ابن حلوش ثم استضاف الشيخ ابن عليوة الشيخ ابن باديس فقبل ضيافته.

وقد حدثنى عن هذه الحادثة الفذة فى التاريخ الاستاذ محمد بن الصادق جلولى الملياني ، وكان حضرها بجانب الشيخ ابن باديس الذى كان يرافقه سواء كان بقسنطينة أو فى رحلاته الوهرانية كحارس شخصى ، وليس له سلاح سوى حب مكين ، واخلاص متين واشفاق كبير مع عصية (مطرق)

يحسن استعماله كسيف فى الهجوم أو الدفاع (على الطريقة الوهرانيـة) احتياطا لما عسى ان يدهم من الاحداث ٠

قص على كثيرا من أخبار هذه الرحلة والتقاء الشيخ بكثير من الشخصيات الجزائرية الموالين والمعارضين ، فكان بين ابن باديس وابن عليوة كل الاحترام الشخصى مع تسليم العليوي لابن باديس بالفضل والتقدم فى العلم ، وطلب منه القاء درس، فكان موضوعه يتصل بالتصوف والسلوك الصحيح للنساك والزهاد والعلماء المنتسبين له ، دون ان يكون فيه مساس ولا تعريض ولا غمز ولا همز ٠ مما استمع اليه « الإخوان » بكل أدب واحترام ، وكأن على رؤوسهم الطـــير ٠

تدخل فرنسي ناجح ثم الفشل :

لكن فرنسا لم تكن ليرضيها ويروق لها ان يتم التصالح بين طائفتـــين متخاصمتين من المسلمين ، أو يقع الانسجام والتعاون والسلام بين قـــادة جماهير المتدينين ، فشرعت تكيد لتعكير الجو بين الطائفتين ، وإحلال الخصام من جديد محل السلام ، وتدبير مكر لتشتيت الجمع والقضاء على الجمعية التى كانت تجمع الطائفتين المصلحين والطرقيين : اما بالاستيلاء عليها وتسخيرها لأغراضها ، واما بمحوها وسحقها ٠

وكانت وسيلتها تدخل مديرها للشؤون الاهلية م٠ ميرانت وهو شخص قذر يحقد على المسلمين ويزدرى بوجودهم ، و « يدجن » كل فحل منهم ان استطاع ، وله اتصالات متينة مع السيد عمر اسماعيل التاجر الثري ورئيس اللجنة الدائمة بالجزائر للجمعية ، وأحد أعضاء اللجنة التأسيسية، وله اتصال كبير بالطريقة العليوية وشيخها ٠

ولما حان وقت انعقاد الاجتماع السنوى العام ـ فى السنة الثانية، وفيـه يتجدد أعضــاء المجلس الاداري بانتخاب مــن الأعضــاء العاملــين ، أخــذت مؤامرة تدبر لاحداث انقلاب بطرد العلماء المصلحين من الجمعية ، وكان الذى تولى كبر المؤامرة السيد عمر اسماعيل صديق وكان صديقا لم٠ ميرانت ولشيخ العليويين ٠ وقد استدعى م٠ ميرانت لحضور الاجتماع ٠ وفاحت فى الجـو رائحة المؤامرة الكريهة ، فشمها « عفاريت » الاصلاح وحذروها ٠

وكان من فصول المؤامرة ان يكون الانقلاب بواسطة الانتخابات ٠ ولا ينتخب من الاعضاء ـ حسب القانون الاساسى ـ الا من يملك بطاقة عضو عامل ـ وهو من يصدق عليه لقب « عالم » فى الجزائر ـ وقد تكفل العليويون بسد هذه (الثلمة) واغراق الاجتماع بسيل من هؤلاء « العلماء » وأخذ السيد عمر اسماعيل يوزع بطاقات هذه العضوية على كل مرشح لها يقدم اليه ، ولا يشترط الا لحية مرسلة ، وسبحة طويلة وقد يكون معهما ـ معلقا بالجنب ـ (بوسعادي ماضي) !

فلما شرع فى الاجتماع بانت علامات لا تبشر بالخير ، فرفع الرئيس الجلسة فجأة ، وأمر باخلاء القاعة حتى لا تقع حوادث تتسبب فى حل الجمعية وحتى يستبعد كل غش ٠

الفصل الثامن

تأسيس جمعية علماء السنة

وهكذا احبطت المكيدة المدبرة من الادارة الفرنسية بواسطة اعوانها المنفذين لاوامرها ٠ ولم تنته هذه الدورة الا بانقسام فاصل ، وتأسست جمعية جديدة دعيت « جمعية علماء السنة » ٠ وعين لرئاستها الشيخ المولود ابن الصديق الحافظي الفلكي الأزهري ٠

وهو عالم كبير ، وكاتب شهير ، ولكنه كان شاذا فى العلماء ، متهالكا على الشهرة والرئاسة ، من كتاب الشهاب ، نشبت بينه وبين كتابه المصلحين معارك قلمية ، كالميلي والعمودى والزاهرى ، والزواوى ، وابن عمارة ولا شك انهم ـ أى خصوم الاصلاح ـ كانوا يعدونه ليخلف ابن باديس فى رئاسة الجمعية ٠

وهكذا عادت الحرب كأشد ما تكون عنفا ، وكشفت الادارة الاستعمارية عن وجهها الكريه ، بتدخلاتها الوقحة ، وشرعت فى مقاومتها العنيفة لجمعية العلماء ومشاريعها واضطهادها لاعضائها ووقوفها بجانب خصومها ٠

الفصـــل التاســـع

سياســة الضغــط والإرهــاب

ومن قراراتها ـ في هذه الفترة ـ منع العلماء الأحرار من استعمال المساجد الرسمية في التدريس والخطابة ، وبدأت بمنع الشيخ العقبى من التدريس فى الجامع الكبير بالعاصمة ، وعممت المنع فى سائر انحاء القطر ، ولما أنشاوا الصحف الاسلامية عطلتها واحدة اثر الاخرى ، ثم اصدرت قرارا تمنعهم من اصدار أية صحيفة عربية · بينما كان خصومهم أحرارا فى اصدار ما شاءوا ، وتوصلوا الى اصدار جريدة باسم « المعيار » كانت تستعمل أقذع السباب وأقذر الشتم والقذف ، ومكثت هذه الجريدة حرة تلغ فى أعراض العلمـاء وخاصة الشيخ ابن باديس، فتأسست لجوابها جريدة باسم «الجحيم» كالت لها بمكيالها ، وكلمتها بلهجتها ، ولكن الادارة بادرت بإغلاقها بعد نحو شهـر فقط من بروزها · ونظرا لمحتواها ولغتها فانها لم تعلن عن مصدريها ولا عن مطبعتها ، وبحثت الداخلية عـن طابعيها حتى توصلت الى اسـم « المطبعة » وقدمتها للمحاكمة ، وغرمتها ·

اما العليويون فقد كانوا يتمتعون ـ كعهدهم من قبل ـ بكـل عطفهـــا وتأييدها واستطيع ان اضرب مثلا محسوسا يعرب بوضوح الى أى مدى بلغت ثقتها بهم ، وتعاونها معهم ، واعتمادها عليهـــم ، ومساعدتهم فى تكويـــن « اخوانهم » واطارتهم ·

هذا المثل ننقله من كتاب لهم اصدروه للدفاع عن « شيخهم » وجمعـوا فيه « شهائد وفتاوى ·· » وسجلوا فيه شهادات كثيرة منها ما هو صادر من اقطابهم ، ولما جاء ذكر كبيرهم الشيخ عدة بن تونس قال صاحب الكتاب فى ترجمتـــه :

« ان فضيلة المشار اليه حقيق بان يعتبر كبيرا بين أقرانه ، ولو مع صغر سنه لما جبل عليه من حسن الاستقامة وجميل الاخلاق زيادة مما اعطى مـن سلامة الذوق وصحة الوجدان ، وقد رأيت اقدامه وكريم شيمه **المستفادة من تعاليم الاستاذ ما يسحق الذكر ، ومن ذلك انه انخرط فى سلك العسكريـة الفرنسية** على ما يقتضيه القانون الجبرى وصار مقره (القشلة) بدل المسجد

فعكف على عمله الذى هو من عادته ، وكان يستعطف من حوله من أفراد الجند ليستميلهم الى العمل بالدين ويحبب لهم الذكر والذاكرين الى ان صارت كلمة الاخلاص تذكر ليلا نهارا **داخل القشلة بأصوات مرتفعة** ، ثم اشتدت الرغبة فى الذكر على الاسلوب المعتاد عند الفقراء **الى ان استحسن رؤساء الجند من الفرنسيين تلك الانغام فألزموا الجند** ان يكرر كلمة **الاخلاص بتلك الصيغة أثناء مشيهم النظامى ورجوعهم من التعاليم الرسمية** فكان الجند يدخل **بكلمة الاخلاص يتقدمهم فضيلة السيد عدة** مع من كان معه من الفقراء ، وقد كان له ابلغ معين فى ذلك أحد اخوانه فى هاته النسبة يدعى **ابن عبد الله بن قطاط** وكان ذلك بمدينة مستغانم ·

وبلغنى انه « انتقل الى مدينة رأس الماء من حدود الصحراء فقل ما يقرب من ذلك من جهة تصير من حوله من العساكر فى صفة الذاكرين فكان مكثهم بالمسجد أكثر من مكثهم فى غيره » (انظر كتاب الشهائد والفتاوى) ·

وهذه الشهادة الحية تعطينا مثلا رائعا لما كشفته المجلة الأهلية فى مطالبة الحكومة الفرنسية بوجوب نجدة الشيخ ابن عليوة المرابط العصري وحبيب فرنســـــا ·

فقد تدخل ضباطها واصدروا أوامرهم للعساكر كلهم ان يلتزموا «الذكر» العليوى ، وينخرطوا فى هذه الطريقة فعلا ، ويستعملوا شعاراتها ·

وقد كادت هذه الطريقة ان (تأكل) جميع الطرق ، لا الطريقة الرحمانية وحدها ، كما أوصى وحرض صاحب مقال المجلة الاهليـــة · ولولا وقفـــة ابن باديس وكتاب الاصلاح ــ وذلك لما أراده الله من خير بهذه الامة ــ لكانت العاقبة انغماس شعبنا فى مذهب الحلول ، ودروشة وجذب وانحطاط فكرى لا مزيد عليه ·

واننا نختم هذا الفصل بما آل اليه أمر هذه الجماعة «جمعية علماء السنة» رغم ما (حشد) لها من وسائل الانتصار والتأييد ·

ففى السنة الثانية من تأسسها كان رئيسها يقوم بجولات لنشر دعوتها ، ويزور العواصم لدعم نفوذها · وقرر ان يزور مدينة عنابة وكانت الطريقــة

تعدها من قلاعها ، لوجود طائفة نشيطة منها فيها · ولكن حزب الاصلاح والوطنية لم يكن فى عنابة ضعيفا ·

حل الرئيس الحافظى بعناية ، واعلن انه سيلقى درسا كبيرا فى جامعها الكبير ، بينما كان اعضاء جمعية العلماء ممنوعين من القاء مثله فى المساجد الرسمية فى سائر أنحاء الوطن · وغاظ مثل هذا الوضع الشبان المصلحين والوطنيين المخلصين ، وهم الذين كانوا يمثلون الوطنية قبل وجود الحزب فى الجزائر ، ودبروا للشيخ مقلبا كان آخر عهده بـ « النشاط » ·

وقد سمعت تفاصيل المكيدة من رواة ثقاة ما زال بعضهم بالحياة ؛ قعد جماعة منهم بباب المسجد ، وأمامهم صناديق من « الطماطم » ومن « البيض » ومن جاء للدخول الى المسجد ناولوه « بيضة » أو « طمطمة » فاذا تساءل : وماذا يصنع بها ؟ قالوا له : « خذ واسكت ··! » ·

ولما صعد الشيخ على المنبر – فى بيت الصلاة ليلقي خطبته أو درسه – رماه أحدهم ببيضة ، وصاح به ، ورماه الثاني بطمطمة ، وتذكر كل واحد ان عنده نصيبه من « السلاح » فلم يبخل به !

وخرج الشيخ من المسجد تحت حراسة ، ومن عنابة،فى حالة يرثى لها ·

الخاتمة فى بوقاعة ، تنجس البغل

وقد قص على هذه الخاتمة – بعد وقوعها باعوام قليلة – تاجر أمين موثوق به فى دينه وروايته ·

بعد حادثة عنابة رجع الشيخ الى مدينة بوقاعة – لافاييت – كما كانت تدعى ونزل بها تمهيدا للحاقه بمقر سكناه فى « بنى حافظ » ولابد له من راحلة يركبها لطول المسافة ووعورة الطريق ·

وبحث عن راحلة فتعذر عليه،ودل أخيرا على رجل يملك بغلا وأعرب له عن مقصوده ، وجرت بينهما المحاورة التالية :

– هل تكرينى بغلك للوصول عليه الى الدار ؟

– نعم ·

– كم تطلب فى كرائه ؟

ـ ألـفي فرنـك !

ـ عجبا ! انى لا أريد أن اشتريه فهذا ثمن شراء (1) ـ انما أريد ان أكتريه فقـط ٠

ـ وهل تظن ـ أيها الشيخ ـ ان بغلا ركبته أنت أقبل به مرة أخرى ليدخل الى حوشي ؟ أبدا انه تنجس ٠

وكانت النهايـة ٠

---

(1) كان مبلغ الفي فرنك فى مثل تلك الأيام قيمة شراء بغل.وللمقارنة نقول كان ثمن كلغ لحم ضاني يساوى 10 فرنكات !

(2) الاسطبل ـ مربض الحيوانات ـ يسمى فى كثير من الجهات « الحوش » ٠

البـاب الرابع من القسم الثالث :

رأينا ان نتبع ـ أبواب هذا القسم بباب رابع نذكر فيـه بعض ما يدعم ما جاء فيه ويعرف منه القراء تطور الحالة في السنوات التالية القريبة مـن تأسيس جمعية العلماء ، ويعرفون آثارها في الامـة ، وكيف كان ينظر اليها الاجانب .

وقد تقدم في الباب الثالث ان الادارة الفرنسية بالجزائر حاولت بكل ما استطاعت الاتيان على الجمعية ، فلما أصبحت حقيقة واقعية حاولت بكـل جهدها ان تستولى عليها لتسخيرها كما سخرت (المشائخ) و (العلماء) مـن قبلها ووجدت المساعدة من حلفائها الاقدميين . فلما عجزت اعلنت الحـرب العنيفة ضدها بالتضييق على رجالها ومنعهم من استعمال المساجد ، والتنقلات وبالقرارات والاعتقالات والمحاكمات واغلاق النوادى والمدارس ، وبالمساومات ولم تترفع عن تدبير المؤامرات والاقدام على الاغتيالات ، وقد تورط معها فى هذه التصرفات بعض القوم ، وغرقوا معها الى الاذقان .

الفصـل الاول :

بيجـو يحـاول خلـود حكـم فـرنسا

فى هذا الفصل ننقل المقال الخطير الذى أشرنا اليـه فى الباب السابق الفصل الثالث وهو يكشف كيف حاول الجنرال (بيجو) ـ وهو حاكم الجزائر ـ أن يخلد حكمها في الجزائر ، ولم يكفه ـ بعد ان تغلب على الامير عبد القادر ـ أن يطرد السكان من أخصب أراضى الوطن فى الشمال ويستورد شذاذ آفاق أوروبا لاحلالهم بها ، ولكنه أخذ يدبر ـ بوحى الشيطان ـ لضمان أمنهـم

وحمايتهم من ثورات الشعب وغضبه فاوحى اليه ان يجعل سلطة فرنسا من سلطان الله ، ولا يجوز ان يعارض رضاء اللـه وقدره · وانما يستطيع ان يغرس هذا فى اذهان عامة المسلمين بواسطة (مشائخهم) وعلمائهم ·

وهذا ما يكشف عنه هذا المقال الذى كتبه صحافى فرنسى ، ونشـره فى جريدة فرنسية عظمى كانت فى وقتها تنطق باسم أعظم احزاب فرنسا واقواها نفوذا، وهى جريدة (البوبلير، الشعبى) وهى لسان الحزب الاشتراكى الفرنسى وطالما وعد هذا الحزب رجالنا السياسيين ومناهم بمعسول الكلام ، وما كانت وعوده الا غرورا ، وكانت ايام حكمه من شر الايام فى عهد الحكم الاستعمارى ويكفى برهانا على ذلك ايام (نايجلان) ثم (لا كوست) و (قى مولى) وكلهم من رجاله ·

والمقال التالى مملوء حقدا عـلى الاسلام وكتابه وأهلـه ، وتحريضا بهم ، وتشلية عليهم ، ومـع ذلك فقد كشف عـن حقائق وفوائد واقلها ان يعرف المسلمون ما يعتقد فيهم ويقوله الآخرون عنهم ·

وقـد نشر هذا المقال فى مجلـة الشهاب ، فى باب دائـم فيها عنـوانه (ما يقولون عنا) وهو باب ينقل فيه ما يكتبه غير المسلمين عن المسلمين عامة أو عن أقطار الاسلام المستعمرة وخصوصا المغرب العربى · وكان يكتب قبل نقل المقال هذه العبارة ·

(كل ما ينشر فى هذا الباب هو على عهدة قائلـــه ولا رأي لنا فيه) ·

وهذا هو نص المقال كما ترجمه ونشره الشهاب :

يقظـة العالـم العـربى :

الجامعـة الاسلامية ·

مـــا يقـــولـــون عنـــا

كل ما ينشر فى هذا الباب هو على عهدة قائله ولا رأى لنا فيه

الجـامعـة الاسـلاميـة

عن مجلة الشهاب ج 7 م 14 رجب 1357 هـ سبتمبر 1938 م

يقظـة العالـم العـربى :

جاء فى العدد الصادر من جريدة البوبولير) الفرنسية فى 22 يونيـو سنة 1938 م تحت هذا العنوان ما ياتى من مقال بامضاء (جورج وجنير) ·

مهما يكن من أمر فان فكرة الجامعة الاسلامية تتقدم تقدما عظيما ، فان كل مسلم كما هو معلوم يجب عليه كما أمره النبى ان يحج الى مكة فى حياته ولو مرة واحدة · وهذا يحقق لـه السعادة المستقبلة ويكسبه نوعا من القاب الشرف وهو لقب (الحاج) ما دام حيا ، وفى العهد الذى كانت فيه البـلاد المقدسة تحت سيطرة الباب العالى الضعيف المتداعى · لم يكن للحج أى صبغة سياسية · فقـد كانوا يستغلون الحجاج استغلالا ماليا ، ولكنهم ما كانوا يثيرون روح العصبية فيهم · اما اليوم فان ملك الحجاز وهو يعتبر الوارث لملك محمد يرمى لمصلحته الى تأسيس الوحدة الدينية للخمسمائة مليون من المسلمين المنتشرين فى قارتى آسيا وافريقيا ·

لذلك ترى الحجاج الذين يعودون الى أوطانهم من مكة مصابين بضرب من الجنون المقدس · وبنوبة من العقيدة الوجدانية يوشك عود الدين الحق المنزه عن البدع · وقد لاحت لى فرصة للتحدث طويلا فى هذه الايام الاخيرة مـع شاب عربى أخـذ بعضا من ثقافته من مدارسنا وهو يفيض حماسة وطنية ، فأكد لى ان الاسلام على وشك أن يخرج من كهف الظلمات التى غمره فيها جبن رؤسائه ووساوس الدهم قرونا طويلة ·فالاسلام عنده هو القرآن هو كل شيء ولا شيء غير القرآن · وقد جره هذا الإيمان الى مدى بعيد،وعلى هذا الضرب من التحمس كان يخبرنى باعجاب عن حالة الأمن بالحجاز وما يلاقيه السارق هناك من المحاكمة على أسلوب القرآن والحكم عليه بقطع يده،لأن هذا هو الذى قرره نبي الاسلام ·

كنت أستمع اليـه وأفكر فيما يكون عليه من الغرابة الوطنى الفرنسى ، وقد يصل الى درجة النيابة عن الأمة ، وما كان يأتيه من الأعمال اذا كان كتب النجاح لمشروع بلوم فيوليت ونال امثال محدثى هذا الحقوق السياسية كاملة.

ليس الحجاج وحدهم ينفردون بنشر هذا المذهب الرمزى ، ولكن يشاركهم فى اذاعته كبار أهل الاطلاع والعلماء والادباء المتخرجون فى جامعات دمشق والقاهرة المتضلعون فى القرآن فانهم يبشرون بالمساجد والزوايا أو الرباطات التقاليد القديمة والمذاهب والعبادات والاعمال التى تتفاوت فى درجات غلوائها ويأخذ بها المسلمون الحاليون · فهؤلاء المتعلمون الذين يدعونهم بعلماء الدين

يوقدون على الدول الحامية وعلى من يمالئها من الرؤساء السياسيين والدينيين حربا عوانا ، وقد أصبحت نتائجها محسوسة للدرجة القصوى ٠

هؤلاء العلماء يعلنون خيانة المرابطين للدين فانه فى سنة 1830 م ، كان يوجد بالبلاد المغربية رجال محترمون يقال لهم المرابطون ، وكان مصدر سلطانهم على الناس انهم من ذرية محمد ، وكانوا يعيشون مما يرد عليهم من هدايا المؤمنين ، فلما تعين المشير بوجو BUGEAUD احترم هؤلاء المرابطين وبذل لهم حمايته وامدهم بالانعامات عن سعة ، واستمدت معونتهم كل حكومة قامت فى تلك البلاد ، وكان منهم أصدقاء كثيرون مخلصون لفرنسا ، وكان متى قال احد المرابطين : (اذا كنا قد أصبحنا فرنسيين فقد أراد الله ذلك ، وهو على كل شيء قدير فاذا أراد ان يكسح الفرنسيين من هذه البلاد فعل ، وكان ذلك عليه أمرا يسير الا يزيد عن كسح فتاته من تبن) ٠ ولكنه كما ترون يمدهم بالقوة ، وهى مظهر قدرته الالهية ، فلنحمد الله ولنخضع لارادته) ٠ كان متى قال احد المرابطين ذلك آمن كل سامع له بما يقول ٠

ولكن تدخل فى هذا الامر العلماء ، **فتراهم منذ عشر سنين يجدون فى هدم سلطان المرابطين** ويسحقون مذهبهم بآيات الكتاب ، ويهزمونهم فى كل مجال بما يقتبسونه من أحاديث الرسول ، مما يجهله خصومهم كل الجهل ٠ فتجدهم يقولون للمؤمنين : (**ان المرابط والامام والمفتى موظفون لدى الفاتحين فهم يخونون الاسلام والمسلمين** ، وانتم تعطونهم مالا ليصلوا بكم ويباركوا عليكم،والله ورسوله يردون ذلك ولا يقبلونه منكم ، فنحن الذين نعرف القرآن ونمثل الايمان الذى ارسل به محمد) ٠

(ويقولون للأمهات الجاهلات المتشبعات بالخزعبلات : اذا ذهب أولادكن الى مدارس الفرنسيين واتبعوا تعاليم الرؤساء الدينيين الذين رضيهم الفرنسيون فان ذكورهم يشبون مجرمين ، واناثهم عاهرات ٠

(وقد نجح هؤلاء فى حمل الناس على البراءة من مواطنيهم الذين قبلوا ان يعدوا من الفرنسيين وامتنعوا من دفنهم فى مقابر المسلمين ، وهؤلاء القادة ينفذون أوامر تأتيهم من القاهرة ودمشق ومكة ، وهى المدن التى تعمل فيها جماعات خفية لتنفيذ اغراض على جانب كبير من الخطورة ، والتبعة فى ذلك

تقع على الحكومة الفرنسية ، فهى التى تـركت هؤلاء المتعصبين أو الخبيثين يبثون دعوتهم ، ويضعفون سلطان أصدقائنا المرابطين) انتهى ٠

ملاحظـات على المقـــال :

هذا هو نص هذا المقال ، ونود ان نلاحظ ما يأتى :

1) ان الاشتراكيين الفرنسيين كانوا أشد الناس عداوة للوطنية الجزائرية وفكرة الانفصال عن فرنسا ، وكانوا (حماة) دعوة الاندماج ومحو كل اثـــر للشخصية الجزائرية ٠ لهذا يفزعون أشـد الفزع من يقظة العالم العـربى ، ويخشون أشد خشية من (الجامعة الاسلامية) وبمعرفة هذا ينكشف لك سر تحمس الكاتب الاشتراكى ضد فكرة (الجامعة الاسلامية) وضد أحكام القرآن ٠

2) لم يكن محمد (ص) ملكا ولا صاحب مملكة ، وما كان الا بشرا رسولا ارسله الله بالهدى ودين الحق رحمة للعالمين وما اورث ملكا لاحد حتى يرثه ملك الحجاز ٠

3) ملك الحجاز ـ فى عهد المقال سنة 1938 م، كان هو الملك عبد العزيز بن سعود ، رحمه الله ، لم يكن له أى طموح خاص بتأسيس خلافة اسلاميـة يتولاها، انما كان له شعور كل مسلم فى اعتصام المسلمين بحبل الله جميعا واستمساكهم بالعروة الوثقى ، وزوال شقائهم وسيطرة المستعمرين عليهم وعلى أوطانهم ، ولم يكن من أقطار الاسلام ناجيا من الاحتلال آنذاك سـوى مملكة آل سعود ومملكة اليمن وتركيا والافغان وايران والمكائد حولهن كثير ٠

4) اذا أحب أوروبى وطنـه وعمـل لصلاح مواطنيه وكافح مستعبديهم ، وجاهد أعنف الجهاد لخلاصهم فهو النبيل الشريف المستحق لكل ثناء ٠ كما فعل كافور ومازنى ودوقول وغارى بلدى ٠

اما اذا فعل نفس الفعل مسلم من أجل خلاص أمته وتحرير وطنه ، وكفاح أعدائه فهو (مصاب بضرب من الجنون المقدس وبنوبة من العقيدة الوجدانية) !٠ ميزان عجيب يزن بـه هؤلاء (المفكرون) الاشياء ، سواء منهم غـلاة اليمين أو (رحماء) اليسار !

5) الاسلام هو القرآن فهو رسالة اللـه الينا ، واحكامه هى أحكام اللـه وفيها الراحة والامـن لمجتمعاتنا ٠ والشرائع الوضعية لم تقض على السرقـة

والفساد ولكن الاسلام قضى ـ بالقصاص والحدود ـ على معظم الفساد والمفسدين ، وفي نحو 30 عاما قطع ابن السعود 16 يدا من 16 سارقا فانتهت السرقة ـ أو كادت من مملكته الشاسعة الارجاء بينما باريس وسكانها في رقعة ضيقة ـ يقاربون سكان مملكة ابن السعود لا يامنون على أنفسهم وأموالهم ، وضاعت الملايين وآلاف الانفس رغم ان شرطتها تزيد على عدد جند ابن سعود ٠

6) رغم ان الكاتب كان اشتراكيا ، والحزب الاشتراكي كان يمني المسلمين باعطاء بعض حقوقهم ، ومنها ما يخولهم برنامج فيوليت ـ انذاك ـ من التمتع بهذه الحقوق مع الاحتفاظ بـ (الاحوال الشخصية) فانه يستكثر على (مسلم) ان يصل الى النيابة في البرلمان الفرنسي مع افكاره الاسلامية ليمثل اخوانه المسلمين الفرنسيين !!

وقد كان م٠ دالادي زعيم الراديكاليين ـ وهم من اليسار أيضا ـ أصرح من الاشتراكيين اذ قال لوفد المؤتمر الاسلامي (لا يمكن ان تنالوا شيئا من فرنسا ما دمتم متمسكين بالاحوال الشخصية ، وفرنسا مدافعها قوية ٠٠!

وهذا ما كان يعلمه ويتحققه (العلماء) من قبل ، ولهذا شددوا في ان (يجمع) المسلمون على اشتراط الاحتفاظ بالشخصية الاسلامية ٠ حتى لا يتحقق مشروع فيوليت ويزول خطره ٠

7) تدخل (العلماء) احبط عمل فرنسا ، وأبطل مفعول مكيدة (بيجو) منذ عهده ، ولم يفدها (احترام) المرابطين وبذل حمايتها لهم وامدادهم بالانعامات عن سعة ٠ وقد بالغت في ذلك ، وكان ماريشالها ليوطي في المغرب يدخل مقام (مولاي ادريس) حافيا مطاطيء الرأس ، لكنه كان يدوس الشعب المغربي وكرامته ودينه بحذائه العسكري ٠

8) الثقة بالمدارس الفرنسية ثقة عمياء ، واعتماد أفكارها وتربيتها وأسلوبها وثقافتها ـ دون حماية من التربية الاسلامية والاخلاق الوطنية ـ قد يؤدي ـ حقا ـ الى المآل الذي رواه من قول العلماء للمواطنين ، فالمتجنسون ـ الذين خانوا دينهم وأمتهم وقوميتهم ـ كانوا من الذين وثقوا بهذه المدارس ٠

9) رغم ان الكاتب اشتراكي ، ومقاله مكتوب لجريدة اشتراكية فانه يغري بهؤلاء العلماء ، ويجعل تبعة نجاحهم في أعمالهم ـ في ايقاظ الروح الدينية

والقومية فى أمتهم ـ (تقع على الحكومة الفرنسية فهى التى تركت هؤلاء **المتعصبين الخبيثين** يبثون دعوتهم ويضعفون سلطان أصدقائنا المرابطين .

10 ـ لا شك ان القارىء ادرك حكمة ابن باديس فى قوله : (**لا رأي لنا فيما ينشر فى هذا الباب**) .

فانه يترك للقارىء حرية الحكم ، ومعرفة الخبيث من الطيب ، والصديق من العدو .

الفصل الثاني :

محاولة تحطيم النهضة العربية الاسلامية بالجزائر

ذهب م. ميرانت من ادارة الشؤون الاهلية مذءوما مدحورا ، وخلفه فيها مستشرق (عالم) بالعربية والقانون هو (م. ميو) ، جىء به من الاقسام الدراسية حيث كان يعلم الطلاب الى ادارة حكومية مملوءة بالمؤامرات والمغامرات والدسائس والمكائد الفاجرة ، وقد حاول ان يغير أسلوب سياسته ـ مع الاحتفاظ بالجوهر ـ من الارهاب والعنف الى شىء من المرونة والكياسة واللين والمساومة . ولكنه لم يستطع ، واستمرت هذه الادارة فى أسلوب المغامرات والمؤامرات والعداوة السافرة للقومية الجزائرية التى كان من أبرز مظاهرها حركة جمعية العلماء قبل انتصاب الحركة الوطنية السياسية بالجزائر وبدل أن ينجح (العالم م. ميو) فى انقاذ حكومته وادارته من الفساد غرق فى عفوناتها واقذارها الى الرقبة ، فقد كان من أفجر ما دبر فيها من جرائم قضية اغتيال المفتى المالكى الشيخ ابن دالى عمر محمود الشهير باسم (كحول)، كما دبر اغتيالا آخر بمدينة قسنطينة ضد الشيخ (أحمد مرازقة) الشهير بالشيخ الحبيباتنى (1) لكن الله سلم ، ونجا الشيخ أحمد رحمه الله . وكان

---

(1) توفى يوم 10 محرم الحرام سنة 1356 هـ ـ مارس 1937 م ، اهله من قبيلة بنى حبيبى قرب الشقفة ولاية جيجل ، ولد بها سنة 1867 م ، وتعلم القرآن فى زاوية بن حافظ ، ثم انتقل الى قسنطينة حيث أخذ عن الشيخين عبد القادر المجاوى وحمدان الونيسى ما أهله للتدريس فانتصب مدرسا بمسجد سيدى الكتانى كما كان يلقى دروسا للطلبة وللعوام بالزاوية العيساوية فانتفع بعلمه الكثير . رحمه الله ورضى عنه . =

المقصود من اغتيال ابن كحول، ومن اغتيال (الحبيباتنى) لو تم - القضاء النهائى على جمعية العلماء باتهام الشيخ العقبى بالاول والشيخ عبد الحميد بن باديس بالثانى ، والـزج بهما فى السجن ، وربما تم تصفيتهما جسديا باعدامهما ، وبذلك تنتهى حياة الجمعية ، والقضية الوطنية - فى نظرهم - على ابشـع صورة وافظعها . ولكن الله يدافع عن الذين آمنوا فنجا ابن باديس وانتحر من حاول اغتيال الشيخ أحمد بقسنطينة وسلمت الجمعية ، وأصيب العقبى بخـدش .

وهذا ما نذكر بعضه فى هذا الفصل منقولا عن مجلة الشهاب ، ج 8، م 14 شعبان 1357 هـ أكتوبر 1938 هـ .

قضية الاستاذ العقبى :

ومصـرع الامـام ابن دالـى عمـر كحـول

لم يتعين بعد تاريخ النظـر فى هذه القضية الهائلة التى أدمـت القلوب وحزنت الانفس . ولا يزال المحامون يبذلون جهود الجبابرة لانتشال البرىء النزيه من بين مخالب التهمة الفظيعة التى نسجت خيوطها فى الظلمات أكف لا تخاف الله ولا تراقب الشرف ولا تخشى تقريع الضمير .

هذه المأساة الفظيعة لا تتعلق بالطيب العقبى وحده ، بل هى مأساة تتعلق بكل جماعة مصلحة مستنيرة من الاوساط الاسلامية بهذه الديار ، فما نكـب العقبى الا من أجـل فكرته التى هـى فكرتنا وما ضربوه اذ ضربوا الا وهـم يقصدون ان تنال الضربة ماديا وأدبيا كل فرد من جمعية العلماء . والشيخ العقبى - وان تخلى عن عضوية المجلس الادارى لما رفض الاجتماع العـام نظريته فى مسألة البرقية المشهورة - ما تزال قضيته قضية الجمعية كلها ، ونحن حين نعلن التضامن التام مع الطيب العقبى فى هذه القضية ، انمـا نتضامن مع الحق وننحاز حول الانصاف ، وندافع دفاع المستميت ضد كارثة لا يريدون ان ينزلوها على رأس فـرد بـل يريدون ان يصيبوا بها قـوما ،

= عن (النجاح : 15 محرم 1356 هـ - 28 مارس 1937 م) .

وكان تقيا زاهدا بعيدا عن الشبهات محبوبا من الناس كلهم . وخـرج فى جنازته ابن باديس وطلبته.(م. ع. بستانجي **مصححه**) .

وينكبوا بها فكرة ويحطموا بها النهضة العربية الاسلامية فى هذا الوطن ، وما هم ببالغين من مأربهم الخبيث شيئا . فما كان الله ليخذل البرىء المتكل عليه ، وما كانت العدالة النزيهة بناصرة البغى والعدوان .

ولقد كنا نشرنا فى جريدة (البصائر) منذ بضعة أشهر مقالا تحت عنوان : (لا يعدم الحق انصارا) بنيناه على جمل اختصرتها جريدة (لاديبيش) عن جريدة (البوبيلار) الباريسية لسان الحزب الاشتراكى والتى يرأس تحريرها رئيس وزراء فرنسا السابق م. ليون بلوم ، فى اعدادها الصادرة فى 23 جويلية الماضى وما بعده . ثم لما حصلنا على تلك الاعداد عربنا المقال بتمامه ، وها نحن نقدمه لقراء الشهاب ، ليروا كيف ينصر الحق الاحرار .

جريمة قضائية بالجزائر

تعريبا عن جريدة البوبيلار لسان الحزب الاشتراكى الفرنسى

جريمة قضائية تقترف اليوم بمدينة الجزائر ، وتوشك ان تغدو غلطة سياسية جديرة بالازدراء . رجل متهم ، ولا يقوم على اتهامه أى دليل مادى أو أدبى . يتهمونه بانه المحرض على ارتكاب جريمة القتل .

اما القتل فقد كان ضحيته مفتى الجزائر ابن دالى عمر الملقب بكحول ، ووقع ذلك يوم 2 أوت 1936 م .

واما المتهم فهو مسلم يعترف الجميع بان له أسمى الصفات الادبية . رجل ليس فى صفحة حياته أى خدش ، وهو مثال الطهارة الدينية والانسانية ، هو الشيخ العقبى زعيم العلماء المحترم . **والعلماء هم المصلحون فى الوقت الحاضر فى الميدان الاسلامى الجزائرى .**

والذى ألقى هذه التهمة انما هو القاتل نفسه ، هو شقى من أسفل طبقات السرقة والغوغاء : أدى به الى ذلك خوفه من مقصلة الاعدام ، وعلمه بان ما سيقوله سيصادف هوى فى نفس بعض أصحاب السلطة . فحاول ان يحط عن كاهله بعض الوزر الذى يعلم انه سيتحطم تحته . وهذا المتهم (بالكسر) الجدير بالعناية يدعى عكاشة .

يا لها من قضية عدلية رهيبة :

انما هي أيضا قضية سياسية · ذلك اننا وراء مسرح هذه المأساة ، وفي تلك الظلمات التي يهيئون خلالها طريقة القضاء وينصبون آلة الاعدام : **نرى ايدي الادارة الجزائرية لا تكاد تخفي وجودها** ، وتلعب لعب المنتقم العديم الضمير ·

لا يجب ـ وذلك من شرف فرنسا ـ ان يذهب مسلم نبيل لم يصدر منه ضد فرنسا أي شيء ، ولم يرتكب ضدها أي خيانة لا يجب ان يذهب ضحية دسيسة سياسية لحمتها عمى البصيرة وسداها الفوضى ·

لا يجب ان تقف الطبقات الاسلامية السليمة : بالقطر الجزائري ، موقف الثائر الموتور ضد القضاء الفرنسي ، وضد الادارة الفرنسية ، وضد فرنسا نفسها ·

لا تستطيع الجزائر اليوم ، وفي هذه الظروف على الاخص ، حيث السماء الامية متلبدة بالغيوم ، ان تفتح على نفسها قضية كقضية ادريفرس ·

وسنعود غدا الى الموضوع ·

اليكم تفاصيل ما حدث :

كان المفتي ابن دالي عمر يسير قاصدا المسجد حيث اعترضه أربعة من الرجال ، فتقدم احدهم نحوه وامسك رأسه ليقبله كما هي عادة الاحترام عند الاهالي · وعندما كان هذا يقبله قبلة يهوذا كان عكاشة قد تمكن من اغماد خنجره في قلب المفتي ، واما الاثنان الآخران فكانا يقومان بمهمة الحراسة ·

وفي نفس ذلك اليوم تمكنت الشرطة من القاء القبض على الاربعة ، وأودعتهم السجن ، حيث لا يزال ثلاثة منهم هنالك الى يومنا هذا · اما الرابع فقد قضى نحبه ·

هنالك في السجن (طبخوا) عكاشة بكل شدة فلم يكتف بالاعتراف فحسب بل زاد على اعترافاته ببيانات مدققة عن سبق الاصرار وعن تهيئة الموقع وطريقة النجاة ، وأخيرا ادعى بان بعض كبار المسلمين كانوا شركاء في الجريمة·

في الحين وقع القاء القبض على الشيخ العقبي الذى وجهت اليه شخصيا تهمة عكاشة ، والشيخ العقبي رجل اشتهر لدى الجميع بانه الرجل النقي المومن المقتنع بايمانه ·

هو رجل ولـد بقطر الجزائر ، ونشأ وتعلم بالحجاز فى بـلاد العرب ، وتشبع باسرار العلم والتعاليم الاسلامية ٠

وبما انه من رعايا فرنسا فقد رفض سنة 1914 م، الانخراط فى سلـك الجندية التركية وكان جزاء ذلك ان ذاق الام الغريب أربعة أعوام ٠

ثم حل بأرض الجزائر سنة 1920 م فتزعم حركة الاصلاح الدينى ، وانه بمحاضراته ودروسه ومقالاته وبنفوذه الشخصى وبعلمه ونزاهته ، قد تمكن من جمع اتباع كثيرين من حول فكرته ٠ وخاصة بين الطبقات الاهلية المثقفة ٠

ثم أسس جريدة وانشأ ناديا هو نادى الترقى ٠

وقد كان الادارى الكبير الذى زان منصب ادارة الامور الاهلية ، واعـنى به مسيو لوسيانى ، عرض على هذا الرجل منصب الافتاء بالجزائـر ، لكـن العقبى رفض هذا المنصب احتفاظا على استقلاله وحرية علمه ٠

الا انه كان يرتقى منبر المسجد فى الجزائر ويعظ الناس ، حيث انه من تعاليم الاسلام وتسامحه الذى يجهله الكثير ، هو الحق لكل مؤمن ان يجهـر بكلمة الحق كما يراها ، فكان العقبى يغتنم فرصة الحياد الحكومى يومها ٠

وكانت خطب العقبى المقنعة تتجه بصفة خاصة ضد الطرقية التى يـــرى عواقبها سيئة ، ويراها متساهلة فى الدين ، عديمة الفكر ، داعية للخرافات والاوهام أو هى نوع من الاكليروس المحنط حيث يقوم الانتقام الشخصى مقام المصلحة الدينية ، وحيث تختفى آيـات القرآن وحكمته العالية تحت نذالـة النفعية والمطامع ٠

فالموظفون الرسميون المسلمون ـ ولا أقـول رجال الديـن لان الاسلام لا يعترف بطبقة تدعى رجال الدين ـ أقول ان متوظفى المساجد وعلى رأسهم المفتى وهم الذين يتقاضون أجرا مقابل أعمالهم ٠ كانوا يرون بغاية الكدر والقلق انتشار هذه الافكار ٠

لكن لـم تكن هنالك ظغينـة تفصل بين المفتى والمصلح ، وكانا يجتمعان عند أصدقاء الجميع ٠ وكذلك لم يكن ذكر لاى دعاية ضد فرنسا ٠

وكان المفتى الذى هو متوظف بالحكومة ـ ونحن نقول هذا دون أى مقصد خفي ـ كان رجل الادارة الجزائرية وكان مستشارها الفنى فى مسائل السياسة الاسلامية ٠

انما العقبى الذى كان لا يتعرض لفرنسا ولرجالها الا بكلام لا يمكن أبدا وبأي صفة كانت أن يؤخذ عليه ، لم يكن من جراء ذلك عدوا لأي أحد فى الميدان السياسى ٠

وفى سنة 1933 م اشتكى احد النواب الماليين وهو من أصل طرقى ضد استعمال المساجد بهذه الصفة فقرر عامل الجزائر تحجير المواعظ الحرة فى المسجد الذى كان العقبى يتكلم فيه ٠

اما العقبى فقد اتجه نحو الحكومة يطلب منها رفع هذه المظلمة ٠

ثم اتجه سنة 1936 م على رأس وفد اسلامى معتبر نحو باريس حيث اقتبله رئيس الوزراء ، ولما رجع الى وطنه ، وكان واثقا من وعود فرنسا فى التدخل بصفة متسامحة فى هذه القضية ، أخذ يحمل على خصومه بشدة فى صحيفته ٠

وفى نفس هذا الوقت وقع مصرع المفتى ، وستة ايام بعد ذلك ، وعندما اعترف عكاشة تحت الهراوة البوليسية بوجود محرضين على القتل ، وقع الزج بالعقبى فى غيابات السجن ، لكنه لم يلبث غير قليل ، حيث ان عكاشة عندما وقعت مجابهته بالعقبى ، نكص على عقبيه ، ونقض غزله وكذب ادعاءه السالف ودخل فى سلسلة متناقضات لم تبق لاقواله اى قيمة ، ثم استمر البحث يجرى بطرق أخرى ، ولا يزال جاريا الى يومنا هذا ٠ رغم مرور 22 شهرا على وقوع الجريمة ٠

رأت السلطة القضائية انه لا يوجد أى دليل مادى أو أدبى على ادانة العقبى فاصدرت أمرها بالغاء الدعوى ضده وبرأته ٠

وهكذا رجعت للقضية صفتها الاصلية ، بعد ان كادت تأخذ صبغة قضية سياسية دينية ، ودخلت فى ميدان القضايا العدلية المعتادة ، وكسفت هالة التقديس التى كانت تحيط بعكاشة ومن معه ، وهم من ذوى السوابق الذين طالما حوكموا بتهمة القتل والسرقة ٠

كان هذا الختام حسنا انما هو لم يرض كل الناس ·

ففى الحين قام (الحق الشخصي) يعترض على براءة العقبى · وهذه المرة كانت الادارة الجزائرية ، كما ستراه فى الفصل الآتى ، قد وقفت موقفا يكاد يكون مكشوفا ·

فدائرة الاتهام نقضت حكم البراءة ، وأوقفت العقبى جنبا الى جنب مع عكاشة لترسل بهما معا أمام محكمة الجنايات ·

فان لم يثر الضمير العمومى فى تلك المناسبة فسترى بمناسبة المحاكمة ما يجعل نفس تشكيل المحكمة مرعبا ، وترى الصراع العنيف بين الحق والباطل

لكننا قبل ذلك نريد ان نزيح القناع عن وجه الادارة الجزائرية التى هى مسؤولة عن هذه الفضيحة القضائية ·

ان الادارة الجزائرية التى هى الآن بصدد تكوين انفجار من الغضب ، ان لم نقل **انها بصدد تكوين العصيان والثورة فى الاوساط الاسلامية** ، والتى يظهر عليها انها لا تنتبه لشىء ، **انما هى ادارة الامور الاهلية** التى تعمل الى جانب الوالى العام للقطر الجزائرى ·

كان القائم بالحق الشخصى والمعترض على براءة العقبى ، هو السيد ابن دالى عمر ابن المفتى القتيل وهو متوظف بادارة الامور الاهلية ومتخصص فى اللغة العربية ·

لكن معارفه الفرنسية لا تسمح لنا بان نظن انه هو مؤلف تلك المرافعة القانونية الشديدة التى اسماها (مذكرة) وقدمها الى دائرة الاتهام ·

اما مدير الامور الاهلية ، مسيو ميو فهو رجل من أكثر الناس تعمقا فى العلم وهو مدرس الحقوق فى كلية الجزائر ·

وادارة الامور الاهلية تتبع بكل دقة وعناية ، كما هو **واجبها تفاصيل وذيول مقتل المفتى ، وتطور حركة العلماء المسلمين بالقطر الجزائرى ·**

فعندما كان العقبى بباريس عام 1936 م كان المفتى ابن دالى عمر **قد اتهم بانه الساعى فى ارسال برقية الى وزير الداخلية يحذره فيها من الانخداع لدسائس العلماء ·**

لكن الرأي العام الجزائري اكتشف سريعا هذا السر الصبياني وعلم ان هذه البرقية ، انما صدرت عن ادارة الأمور الأهلية ٠

وكانت علائق المفتي المذكور بالإدارة الجزائرية مشهورة معروفة ، وكانت أغلب الأوساط الاسلامية تسلقها بالسنة حداد فكان المفتي متهما - بحق أو بباطل - بأنه جاسوس الإدارة وعينها على المسلمين ٠

وفي الحقيقة ان الحملة العنيفة ضد العلماء لم تكن صادرة عن المفتي الضيق الدائرة ، بل كانت صادرة عن إدارة الأمور الأهلية ٠

يقولون ان هذه الادارة لا تستيغ طعم الافكار الحرة التي لا تريد ان تتقيد فيها والتي يدعوها ضميرها ان تترفع عن السخافات السياسة المنحطة ٠

وكانت الادارة الجزائرية منذ أمد بعيد مرتبطة ارتباطا وثيقا مع حثالة الطرقيين الذين كانوا يجتمعون حولها قصد التمعش وكانت شهيتهم تزداد حول هذه السياسة الغذائية ٠

يقولون ان المرابطين هم رهبان المسلمين ، انما نقول انهم على كل حال من طبقة المتسولين، ! التأثير على المرابطين والتأثير على الامة بواسطة المرابطين، هذا هو شعار ادارة الجزائر في حكم المسلمين ٠

وهذه الطريقة تشتم منها رائحة بوليسية منافية كل المنافاة للطريقة الفرنسية وللاساليب العصرية والجمهورية ، وهي منافية للاخلاق وعديمة الجدوى انما ادارة الامور الاهلية لا يهمها من ذلك اى شيء ، لانها تعبد الاستبداد عبادة وهي تحن حنينا ممزوجا بالاسف لعصر (البيروعرب) الذى كان يتيه به المستبدون عجبا ٠

وادارة الامور الاهلية ترجع لذلك العهد كلما استطاعت الى ذلك سبيلا ٠

أما الاهالي المثقفون فهم يعلمون ان حبل المودة الادارية قصير معهم ، ما لهم وللتدخل هؤلاء الذين يبدون الاعتبار الذين تثور في انفسهم عواطف الهمة والافكار السليمة ؟ ليرجعوا حلا الى قيود (التمربيط) فلا عدو الا الحرية ولا ضرر الا من الافكار ، والواجب هو مقاومة هؤلاء الجسورين ، ولتستعمل في سبيل مقاومتهم كل الاسلحة بما فيها من سلاح الزور والبهتان ٠

لقد ارتكبت جناية ، ان العدو هـو الذى ـ سلح ذراع الجانى ، فلنجره أمام القضاء ولتدرك الحرية عظيم وزرها ، ولتعترف الافكار بحقيقة ضعفها ٠

قديما كان سـلاح الجـور والاستبداد يدعى الباستيل ، اما اليـوم فان الباستيل أصبح أشد هولا مـن السابق ، ذلك لان الاحكام الكاذبة الخاطئة صارت تقود اليه ٠

اعلموا ـ وانتبهوا جيـدا ـ ان المحكمة التى سيوقفون العقبـى أمامها ، ليست محكمة الجنايات الفرنسية (الكسورد اسيز) وما فيها من ممثـلى الشعب النزيهين ، بل انما هى دائرة الجنايات (الكوركريمنل) التى أسسها الاضطهاد العنصرى بالجزائر والذى هو جدير بالقرون الوسطى ، لتكـون خاصة بمحاكمة العرب هنالك يجلس تحت رئاسة حاكم أصولى ـ لا تكـاد رئاسته تكون مطمئنة لستة من المستشارين أربعة من المستعمرين واثنان من المسلمين ٠

واننى أخاف ولا أحاول كتمان خوفى فهـو خوف هائـل مبنى على فكر وروية ، أخاف من تحيز الاربعة ممثلى المستعمرين الذين يسيرون حسبما يمليه عليهم بغضهم للعـرب ، وأخاف مـع ذلك وأكثر مـن ذلك تعصب العضوين المسلمين وانحيازهما ان كانا من الوحدات التابعة للادارة ٠

حذار حذار أيها العقبى كن منتبها على يمينك وكن منتبها على يسارك ، فان الخطر جسيم ٠

لكن حذار غدا من انفجار العاطفة الاسلامية ، حذار من التهاب العقـل والايمان **لماذا يا ترى تحاول الادارة الجزائرية ان تكبت الفكـرة الاصلاحية الاسلامية بالجزائر ؟**

ان هذه المسائل لا تخرج من الميدان الدينى الا عندما نتدخل نحن فيها ، فيفهم مـن ذلك جماعة المسلمين باننا أعـداء عقيدتهم وايمانهم هـذا العداء لا يجب ان يصدر منا ، وما كانت الادارة الجزائرية مؤتمرا دينيا ، وكما كانت مدينة الجزائر بيزنطة العتيقة ٠

ثم ما هـو الدور الذى يلعبه الوالى العـام فى هـذه القضية ؟ أهو الذى يديرها ؟ أم هى ادارة الامور الاهلية ؟وهل عامل العمالة هو الذى من شانه ان يتخذ المقررات الخطيرة وان يحتفظ بثقل المسؤولية ؟

يمكننا ان نقول بان طرائق الحكم قـد أصابها الارتباك عنـدما اجتازت البحر ٠ ولنرجع الى العقبى انهم يريدون فى هذه الساعة ان يحطموا الاهالى الذين بقوا فى سلام ، **ويريدون ان يدنسوا حركة اصلاح دينى بما يقترفون ضد المصلح** من افك وبهتان.ان الاصلاح الدينى لا يهمنا نحن معشر الفرنسيين الديمقراطيين الفاصلين الدين عن الحياة العامة ٠

انما الذى يهمنا هو الحق والشرف ، فلا نترك المبدا الرهيب الذى يدوس الحق والشرف يصول فى الميدان ويجول ٠

واننا من أجـل هذا أردنا ان نفضح أمام الرأى العـام الوطنى ، لتصدر فرنسا حكمها قبل ان يصدر الحكم الخطر المحرق الذى يريدون ان يصدروه ٠ (انتهـى) ٠

ملاحظات على هذا الفصـل :

أ ـ اثناء صائفة 1938 م اشتدت الازمة بين المانيا وبين الحلفاء الغربيين بريطانيا وفرنسا بسبب قضية (السوديت) فى تشيكوسلوفاكية ، وعـزم هيتلر عـلى ضم بلادهم الى المانيا ، ولاحت فى الافـق نذر الحرب ، واخـذت الهيئات المختلفة فى الجـزائر والشخصيات أيضا ! تقـدم شـواهد الاخلاص والتأييد للحكومة الفرنسية ، والاستعداد لبذل دماء الشعب فى حرب عالمية ٠

وأثناء الاجتماع السنوى للجمعية فى سبتمبر 1938 م ـ بنادى الترقى ـ جاء الشيخ العقبى العضو الادارى بنص برقية من هذا النوع (تطبل بهـا الجمعية مع المطبلين وتزمر مع المزمرين) حسب تعبير ان باديس رحمه اللـه وأراد ان يوافـق عليها المجلس ويمضيها الرئيس ، فكانت مـوضع الرفض واستنكرها المجلس ، وعرف أين كتبت ومن الذى أشار بها ، واعلن ابن باديس انـه لن يمضيها ولو قطعوه اربا اربا ٠ ولكن الشيخ العقبى هـدد اخوانـه باستقالته من الجمعية ان لم تمض البرقية فلم يفد تهديده ، وانفض الاجتماع

الخاص ، وخرج الامر منه الى الاجتماع العام فاعلن فيه عزمه ذاك ، وأعلن ابن باديس عن السبب ، فكان الاجماع على تأييد موقف المجلس وابن باديس واستنكار تقديم أى تأييد لموقف استعمارى ، قد يجر الامة الى سفك دماء غزيرة من أبنائها فى حرب لا ناقة لها فيها ولا جمل ٠

كانت هذه البرقية موعزا بها ـ أو كتب على الاصح نصها ـ فى ادارة الشؤون الاهلية مثل البرقية التى امضاها كحول من قبل ٠

وهكذا كانت خيبة مرة لم ميو وادارته ، وكانت نصرا مبينا ٠ اما الخيبة ففى الصفعة التى تلقاها من الجزائر الوطنية الابية برفض البرقية ٠

واما الانتصار الذى حققه ففى فصل الشيخ العقبى عن جمعية العلماء نهائيا ٠ اذ استقال بعد انتخابه ببضعة ايام ٠

2) يهوذا هو احد تلاميذ المسيح عليه السلام ، وهو الذى خانه ، ودل اليهود على مكانه ليقتلوه ، فرفعه الله اليه ، والقى شبه المسيح على يهوذا ، فلما دخلت اليهود وجدوا امامهم يهوذا فاخذوه ليقتلوه بعد أن القى الله عليه الشبه فاستنكر ذلك منهم فلم يفده ولم ينجه فقتلوه وصلبوه معتقدين انه المسيح (**وما قتلوهُ وما صَلَبوه ولكن شُبِّه لهم**) ٠

3) محمد عكاشة احد أرباب السوابق ومحترفى الجريمة ، سلط عليه العذاب فاعترف ان الشيخ الطيب العقبى ـ بحضور محمد واعلى عباس التركى ـ رحمهما الله ـ هو الذى أمره بقتل المفتى ، واعطاه السلاح ، وعندما وقعت المواجهة أمام قاضى التحقيق خاطب الشيخ العقبى عكاشة وقال له ما فحواه (يا محمد انت اسمك محمد باسم رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فكيف تكذب هذه الكذبة وتتهم الابرياء ولا تخاف الله ؟) فاخذ الرجل يبكى متأثرا ، ورجع عن اعترافه الذى وقع تحت العذاب ، فافرج عن الشيخ الطيب وزميله فورا ـ بعد ستة ايام فى السجن ـ افراجا مؤقتا ، ثم أصدر قاضى البحث حكمه بالبراءة وعدم التتبع (نوليو) فاعترض عندئذ القائم بالحق الشخصى ٠ فاصدرت غرفة الاتهام حكمها بنقض البراءة ٠ وقد حوكم الشيخ عام 1939 وصدرت البراءة فى حقه وحق عباس التركى ، وادين عكاشة ولكنه لم يعدم ٠

4) حكاية رفض الشيـخ العقبى للانخراط فى سلـك الجندية العثمانية للسبب الذى ذكره نستبعدها ، واعتقاله اثناء الحرب قد يكون للاشتباه فيه بانه من فتيان النهضة العربية ، وقد نكل جمال باشا ـ جزار سوريا ـ بكثير من أبطال العرب ، وكان الشيخ العقبى من محررى جريدة (القبلة) لسـان حال الملك حسين (ملك العرب) الذى لعب به الحلفاء وسخروه لعونهم عـلى وعد ان يعلنوه ملكا على كامل بلاد العرب التى كان الاتراك بها ٠ وقد بلغنى ان العقبى بقى بالاناضول معتقلا مدة عامين ٠ ثم رجع عام 1920 فاعتقلته فرنسا مدة شهرين ٠

5) كان الشيخ العقبى زعيما من زعماء الاصلاح حقـا ٠ ولكن سبقه الى الميدان الاستاذ الرئيس الامام عبد الحميد بن باديس ، وكان يعمل فى هدوء وسكوت واناة وبرهان ذلك شهادة الاستاذ محمد الهادى السنوسى والاستاذ محمد سعيد الزاهرى وكلاهما تتلمذ عليـه قبل هذا التاريخ ٠ انظر كتاب : « شعراء الجزائر » ٠

أسس جريدة الاصلاح فى بسكرة عام 1927 م ، اما نادى الترقى ، فانـه ليس هو الذى أسسه ، وانما استدعى بعد تأسيسه ليحاضر فيه ٠

6) لم يكن منع العلماء الاحرار من دروس المساجد نتيجة شكوى النائب المالى الا ظاهرا فقط ، والحقيقة انه تدبير من الحكومة الفرنسية والحاكم العام باشارة من ادارة الشؤون الاهلية ، وسبب ذلك ما فى هذه الدروس من تاثير شديد على سلطة الاستعمار ، وما يخشى من ايقاظ الرأى العام وتهييجه ، كما تقدم فى الفصل السابق عن جريدة (البوبلير) ٠

7) حقا ان الاستاذ ميولرهيب ! فبينما هو يلين للعقبى ، ويستقبله اذا هو زاره باستدعاء منه أحسن استقبال ، اذا به يعمل جاهدا لتوريطه ، وسوقه بعنف نحو المقصلة كما يكشفه هذا الكاتب ، وحينما كتب المقال كان العقبى ما يـزال عضوا بالجمعية ، فادانته ادانـة لبقية أعضاء الجمعية كلهم ، ولهذا أبى أن (يعفيه) مـن التهمة وسلط عليـه القائم بالحق الشخصى ، وهـو متوظف بادارته لا حول له ولا قوة ، الا أنه ابن ضحية هذه الادارة ولا يبعد أنه اشترط عليه للبراءة ان يتبرأ العقبى من الجمعية ٠

8) كانت هذه الادارة معتادة مثل هذا اللعب ، وكلما توجه وفد لـ (طلب) قدر طفيف من الحقوق سبقه سيل من البرقيات الممضاة من المفاتى والقضاة ورجال الدين والطرق وبعض النواب ، وكان الرأى العام قد اعتاد هذا وعرفه فلم يعد يعبأ به ·

والحقيقة هي ما جاء في المقال (**ان الحملة ضد العلماء لم تكن صادرة عن المفتى ·· بل كانت صادرة من ادارة الامور الاهلية ..**

حقيقـة الشيخـين وسـرهما

ولم يكن الشيخ محمود كحول خاملا ولا جامدا ولا أبله فهو مثل الشيخ مولود بن الموهوب مفتي قسنطينة الذى أعلـن الافكـار الاصلاحية فى الـوسط القسنطينى وحارب أنواعا من البدع (2) لكن داء الرجلين انهما كانا من أطوع الناس للادارة الاستعمارية فى تنفيذ أغراضها ، والتهالك على عتبتها ، وتقديم رضاها على رضى اللـه ، وعدم المبالاة باتجاه الشعب ، فكان أمرهما عجيبا ، ولعـل هذا ما أدركـه الشيخ حمدان الونيس فنفى نفسـه ـ بنفسه ـ مـن الجزائر ، ثم أخذ العهد على تلميذه ابن باديس الا يقرب الوظيف ولا يستعمل علمه للوصول اليه ·

---

(2) ولد سنة 1283 هـ (1866 م) ، وتوفى فى 1358 هـ (1939 م) ، وكان أديبـا لامعـا يكتب النثـر ويجيد الشعر ، ويؤيد الاصلاح حتى اذا اصطدم المصلحون بالاستعمار كان فى صف الاستعمار يرسل باسمه البرقيات أعنى يمضيها ·

فهــــــــرس

القسم الثانى

القسم الثالث

☆ ☆ ☆

أحمد حماني

صراع بين السنة والبدعة

أو القصة الكاملة للسطو بالإمام الرئيس عبد الحميد بن باديس

الجزء الثاني

نشر



بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة :

الحمد لله رب العالمين . له الحمد فى الاولى والآخرة وله الامر . لا نعبد الا اياه ولا نستعين سواه .

والصلاة والسلام على محمد سيد النبيئين وامام المرسلين . وعلى آله وصحبه ومن اتبع هداه .

أما بعد :

فهذا هو الجزء الثانى من كتاب « صراع بين السنة والبدعة أو القصة الكاملة لمحاولة السطو بالامام الرئيس ، عبد الحميد ابن باديس » .

وما كان يدور بخلدنا ـ عندما شرع القلم يخطه ـ أن يبلغ مثل هذا الحجم ، ولكن الوفاء بما جاء فى العنوان ـ حتى يطابق الاسم المسمى ـ أوجب البسط فى الكلام فقد كان مجال القول ذا سعة ، ووجد اللسان للقول ، ثم ان صدور الاخوان المخرجين للكتاب كانت أوسع من المجال ومن اللسان ، فكان ما كان ...

وارتفع عدد صفحاته الى درجة أصبح من العسير اخراجه فى جزء واحد ، وعرض الامر على فلم أر بدا من اقرار رأى الفنيين،

فهم أخبر بفنهم ، وهم أهل الذكر فى الموضوع ، وانا لنرجو أن يتسع صدر القارىء الكريم لمثل ما اتسع له صــدر الكاتب والمخرجين .

ان هذا الجزء ، من الكتاب يشتمل على القسمين الاخيرين من موضوعه وعلى الخاتمة ، وسيجد القارىء فى القسمين ثــروة أدبية فريدة من نثر فنى رائع ، ومن شعر عربى فصيح خلفتهما حادثة السطو . ويتخلل كليهما تعليقات وشروح مفيدة ، وتراجم هامة ، نتج كل ذلك من أقلام فحول الكتاب ، وعباقرة الشعر ، أما الخاتمة فان لها صلة وثيقة بالموضوع ، وسيجد فيها القارىء الكريم تراجم ومعلومات قد لا يجدها فى كتاب آخر .

ولا نطيل فى الكلام ، فالافضل ان نترك القارىء مع هـذا الجزء ليتابع ما بدأ فيه فى الاول وعساه الا يعـدم ما يفيده ، واقله متعة الاطلاع ان كان نهما طلعة .

والله الموفق والهادى الى سواء السبيل .

الجزائر فى : 05/09/1404 هـ
الموافق لـ : 05/06/1984 م
أحمـد حمـانى

القسم الرابع

ثـروة أدبيـة وثقافية خلفتها الحادثة

ان حادثة السطو بالاستاذ الرئيس عبد الحميد بن باديس « كتبت تاريخ النهضة الاصلاحية – فى افريقيا الشمالية بالحبر الاحمر الذى لا تمحـوه الايام » (1) وقد أحسن الزاهري فى قوله ·

ان تكتب الحق الدماء فانت مـن   كتبت دماؤك للهدى صفحـات (2)

ولم يكتب أحداثها الدم وحده ، ولكن الاقلام والمداد والافكار والعقـول أنتجت – أيضا – ثروة أدبية ثقافية نفيسة من النثر الفني العلمي الرفيع ، ومن الشعر الجيد المعبر الفصيح ، شارك فى انتاجها كتاب وشعراء الاقطـار الثلاثة : الجزائر ، وتونس،والمغرب ·

ومن الغبن أن يبقى هذا الكنز دفينا ويضيع ، كما ضاعت كثير من النفائس، ففى ذلك خسارة أدبية ثقافية عظيمة ·

وحتى لو فرضنا أن نشر انتاج كل أديب فى ميراثه الخاص،فان هذا قد يبدد الموضوع ويقلل أهميته ·

ان فى هذه الثروة الأدبية – الشعرية والنثرية – حقائق تاريخية ، ومباحث دينية ، ونفائس أدبية ، ونقاشا بارعا،وحوارا شيقا ، بأسلوب رفيع،مما يمكن ان تدرس فيه نفسية الناثر أو الشاعر للتعرف على أسلوبه ولغته وتفكـيره وتمييز شخصيته ، وبيان مذهبه ·

---

(1) ابن باديس فى تعليقه على حكم القضاء الذى اصدره ضد الجاني ·
(2) مما ورد فى قصيدته المنشورة فى قسم الشعر ·

ان فى هؤلاء الكتاب والشعراء من كانوا ـ آنذاك ـ فى القمة ، ومنهم من تربعوا عليها من بعد ٠

وقد رأينا ان ننشر كل قسم على حدة يبتدىء بالنثر ويختتم الموضوع بالشعر ، ويقدم للمقال بمقدمة قد تطول اذا تناولت تاريخ حياة الناثر أو الشاعر ، وربما كان هذا من عيوب الكتاب ، وفكرنا ان نجعل للتراجم قسما خاصة بها ، ولكن اقتنعنا ابقاء الامر على حاله حتى لا ينقلب الكتاب الى كتاب تراجم،وللتنوع والاستراحة ، ولانه ايسر للمطلع ـ وخصوصا الشباب الذى اليه نكتب ـ ان يعرف الكاتب قبل ان يقرأ موضوعه ، واما الشعر فقد التزمنا شرحه كله شرحا قديرى مسهبا على الطريقة القديمة لانه شعر فحل يستحق العناية والخلود،وليس مثل الهذر الذى قد لا يقرأه الا صاحبه ، أو صديق له ليداهنه ثم لا يعود اليه واحد منهما أبدا ! لانه لا يمكن ان يؤدى فوائد لفظية أو معنوية تخلده.وربما وقع فى شرح بعض الأبيات التى يظهر انها واضحة المعنى ولا تحتاج الى شرح عناية بها واهتمام فلا تقل انها من الواضحات ، وقديما قيل : (شرح الواضحات من الفاضحات) فاننا قصدنا من ذلك ان يتعلم شبابنا التدقيق والعلم وكيفية التبليغ ، ولا يكتفون بالتقريب للفهم ، كما اننا نشير الي بعض المسائل النحوية والقواعد العربية ، وان كان هذا الامر قليلا ، وعسى ان يكون فيما صنعنا فائدة ولو لقليل من الناس ٠



أولا ـ قسم النثر

الفصل الاول :

مقال (بيضاوي) : ابن ملجم

كان من أول من حركته الحادثة واثرت فيه التأثير البليغ الكاتب الكبير الاستاذ (بيضاوي) وهو الاسم المستعار الذى كان يختفى وراءه العلامة الجليل الشيخ مبارك بن محمد الميلى ، أكبر تلاميذ الأستاذ ابن باديس ومدرسته علما وفضلا وكفاءة،وأحد علماء الجزائر ، وبناة نهضتها العربية الاصلاحية الافذاذ . وأول من ألف للجزائر باللغة العربية والعاطفة الوطنية تاريخا قوميا وطنيا نفيسا وسمه ابن باديس (انه أحيى به الأمة) ، ومن أحيى نفسا واحدة « **فكأنما أحيىَ الناسَ جميعا** » فكيف بمن أحيى أمة ؟ ؟

وكان الاستاذ مبارك (بيضاوي) قد جرد سيفه (قلمه) وكتب سلسلة من المقالات نشرت فى المنتقد ثم فى الشهاب هاجم فيها الانحراف فى الدين أو فى السياسة ، وهو الذى صرح ضد فكرة الاندماج والاندماجيين بان الاندماج هو موت حقيقي للأمة ، موت لا نشور بعده يلحق بنا سبة الأبد ، وانه يختار ـ لو خير بين حياة تقدم مع الاندماج وبين حياة تأخر وانحطاط وبقاء على الحالة المسيئة المستقبحة الحالية مع المحافظة على القومية والشخصية الوطنية ـ فانه يختار الثانى لان الاندماج موت والحياة المنحطة خير من الموت على كل حال .

وقد انتصرت فكرة المحافظة على الشخصية بفضل المدارس والمساجد والهيئات والاحزاب الوطنية . والحمد لله .

وكان قلمه شديدا فى حرب الضلالات والبدع والخرافات ، ودجل بعض المتسببين الى التصوف وخصوصا (دعاة الحلول ووحدة الوجود) لبعدهم عن الحق فى القول والاعتقاد والسلوك ، فاستاءوا من ذلك ، ورأوا انه مسهم مباشرة فقرروا ان يسكتوه الى الابد ، حتى يغيض المنبع بالقضاء عليه أو على من ينشرها فى الشهاب ويأتى بمثلها أو (افظع) ٠

وهذه كلمة عن ترجمة الشيخ مبارك يتبعها مقاله :

الشيخ مبارك الميلي 1896 ــ 1945

ولد الشيخ مبارك بن محمد براهيمي الميلي فى « أولاد مبارك » بجبال الميلية حوالى 1896 م وحفظ القرآن الكريم فى (ميلة) التى كان ينزح اليها كثير من أبناء جبال الميلية ، والى أهل (ميلة) تنسب « الميلية » لان (ميلة) كانت مقرا لحكم تلك الجهات اثناء العصور الخوالى ، فاذا جاء أعوان السلطة من أهل ميلة للاتصال بالشعب هناك عسكروا بذلك المكان ونزلوا فيه ، فسمى بـ « الميلية » ، بهذا حدثنى الشيخ مبارك رحمه الله أيام العمل معه فى البصائر عام 1938 م وكان رئيس تحريرها ٠ واما مدينة « الميلية » فحديثة ، مصرت فى العهد الفرنسى ٠

بعد حفظه القرآن فى جامع (سيدي عزوز) أخذ المبادىء الأولى عن العلامة الشيخ محمد بن معنصر الشهير بالشيخ الميلي ، أو بالشيخ العلمي،نسبة الى (العلمة) ، وأصله من نواحي (بلزمة) التى كانت مقر الفرسان العرب أثناء قيام الدولة الاغلبية ٠ وكان الشيخ الميلي عالما جليلا سلفيا مصلحا مات شهيدا بيد مجرم أثيم ، استفتاه ثم لم يرض بفتواه ٠

انتقل الشيخ مبارك الى قسنطينة للأخذ من الشيخ عبد الحميد،فكان أعظم تلاميذه والمنتفعين به ، والعاملين معه ، ثم انتقل الى تونس لإتمام دراسته العليا، وهنالك لقى كثيرا من نبغاء الجزائريين ، ومنهم الشيخ العربي التبسي ، والشيخ محمد السعيد الزاهري ، والشيخ عبد السلام السلطاني ، ولحق بهم الشيخ سعيد الزموشي وغيرهم ، واخذوا على كثير من مشائخ ابن باديس مثل الشيخ محمد النخلي القيرواني ، والشيخ محمد الصادق النيفر ، والشيخ الطاهر

ابن عاشور ، والشيخ بلحسن النجار وغيرهم ، ورجع من تونس بشهادة التطويع (العالمية) عام 1925 م ·

وفور رجوعه كلف بالتعليم والادارة للمكتب العربي بقسنطينة وهو الأصل الاول لمدرسة التربية والتعليم سنة 1925 م · وكان من مؤسسيه الشيخ عمر الجيجلي والد صديقنا محمد الجيجلي، والاستاذ عبد العزيز الجيجلي· وعين ـ مقرا للتعليم ـ مسجد (سيدي بومعزة) ويوجد فى نفس النهج الذى توجد بـــه المطبعة والادارة للشهاب ، وهو اليوم نهج عبد الحميد بن باديس · لكن أزمة مالية عصفت به فانتقل الشيخ مبارك الى الاغواط ·

ولما كان بقسنطينة أسست « المنتقد » ثم « الشهاب » فتولى عبء التحرير فيهما وانشاء المقالات التى كان لها دوي كبير ، تارة بامضائه الصريح ، وأخرى بامضاء « بيضاوي » وثالثة بدون إمضاء،مما أحدث « ثورة » كبيرة فى الوسط، ويمكن ان نتبين مقدارها من كلمة «الاستاذ محمد زغيلش » المنشورة فى غير هذا المكان · وقد سمعت كثيرا عن دور الشيخ مبارك رحمه الله من المرحومين السيد أحمد بوشمال ، والشيخ عبد الحفيظ الجنان رحمهم الله ، وكل منهم أدى دورا مهما في تلك الايام ، كما سمعت ذلك من الأخ الزواوى ـ خليل ـ ابن القشي مدير المطبعة ، وما يزال بالحياة ·

وفى الاغواط ـ التى انتقل اليها أوائل عام 1927 م ـ استقبل استقبالا عظيما ، وكان سبقه اليها الشيخ الزاهري ، ولم ينجح فى التحصيل على رخصة لفتــح مدرسة ·

فلم يصبر كثيرا وترك مكانه لأخيه الميلي الذى كان أصبر منه،فارتحل الى تلمسان ، وتمكن الميلي من انشاء مدرسة جمع عليها سراة المدينة ، وفيها ابناء الشعب ، وكون تلاميذ من أحسن من تفخر بهم الجزائر ، ومكث هنالك بضع سنـــين ·

وعندما كان الشيخ مبارك فى الاغواط اشتدت الدعــوة لتأسيس جمعيــة العلماء وتكونت بالفعل اثــر الاحتفال بمرور مائة سنة على احتلال الجزائر · فانتخب عضوا في مجلس ادارتها وأمينا لماليتها ·

ثم عاد الى ميلة ليكون قريبا من عرين الاسد ، وأخذ يكثر الاجتماع بـه واللقاء معه ويعينه فى أعماله · والحق ان الصلة كانت بينهما متينة ، فلم يكن أعز عليه فى حياته من الاستاذ ابن باديس كما لم يكن عند هذا أغلى عليه فى حياته من تلميذه مبارك ، وكانا مصداق قوله صلى الله عليه وسلم « الارواح جنود مجندة فما تعارف منها ائتلف وما تناكر منها اختلف » · وقد أسس فى ميلة « مدرسة الحياة » ومسجدا جامعا تولى خطابته والتدريس فيه ، وناديا للشباب ، وكان يـوالى رحلاته الى تلـك الجهات ، وخصوصا الميلية ودائرتها والطاهير ودائرتها ·

ثم أسندت اليه رئاسة تحرير جريدة (البصائر) بعد ان تخلى عنها الشيخ العقبى فاضطلع بالمهمة ، وتخـلى عن أمانـة المـال فاسندت الى الشيخ أحمد ابن معيزة · ودخلت (البصائر) فى عهد جديد من حياتها ، وأخذ ابن باديس يكتب ـ غالبا ـ افتتاحياتها · حتى تقـرر ايقافها اثر اعلان الحرب العالميـة الثانيـة ·

ولما توفى الشيخ ابن باديس ـ فى 16 ابريل 1940 م ـ كان وقع ذلك عليه أليما وأغمى عليه بقرب جثمانه · غير أنه استعاد وعيه وملك صبره وايمانه ، وخلفه فى الاضطلاع بالمسؤوليات الجسام لان الشيخ البشير الابراهيمى كان ما يزال مبعدا فى مدينة « أفلـو » ومن ذلك انـه أشرف على الدراسة العلمية للطلبة حتى نهاية السنـة الدراسية · غـير ان صحته لم تكن تساعده عـلى الاستمرار فى مثل هذه المسؤولية فتقرر ان تسند لاخيه وزميله الشيخ العربى التبسى ، فانتقل مقر الدراسة ـ وقتيا ـ الى تبسة حتى 1946 ·

وبعد وفـاة ابن باديس تعرض العلماء لضغط شديد من الادارة الفرنسية التى كانت تريد منهـم ان يغيروا موقف ابن باديس وسياسته نحـو فرنسا ، سياسة الانفصال والجفاء والبعد عن التعاون ، وعربونا على ذلك عرضت عليهم ان يقبلوا برئاسة من تراه فرنسا أليق بسياسة المفاهمة والتعاون وهو الشيخ العقبى ، حدثنى بهذا ثقات منهم من هو شديد القرابة من الشيخ مبارك ، ومنهم من كان فى قيادة الجمعية وعلى اطلاع كبير بحياتها ومشاكلها وما يزال بالحياة ولكن جـواب الشيخ مبـارك واخـوانه كان بالسلب واستطاعوا ان يتخلصوا

بلباقة وشجاعة اذ كان جوابهم : ان ما تقولون لا نملكه ، وانما يملكه الاجتماع العام · والرئيس الحالى وهو الشيخ محمد البشير الابراهيمى موجود فى المعتقل وعندما يطلق سراحه وتتوفر الظروف نعقد الاجتماع العام ، وهو الذى يستطيع ان ينتخب الرئيس وان يقرر ـ فى سياسة الجمعية وسيرها ـ ما يراه وكان واسطة هذا الاتصال شخص يعمل بادارتهم ، وكان وثيق الصلة بنادى الترقي وهو الذى وثق به الشيخ الطيب ثقة لا حدود لها شان الغر الكريم ·

وكان هذا رفضا صريحا لشقى العرض ، بتغيير سياسة الجمعية عما كانت عليه ، وبقبول رئاسة ترضى عنها فرنسا ! ودبرت بعد هذا الرفض مكائد ـ وخصوصا ضد الشيخ العربى ـ ، ولولا لطف الله لذهب ضحية المكر ، ولكن الله تكفل بحماية أوليائه « **ان الله يُدَافعُ عن الذين آمنوا** » ·

وبينما كانت الحرب العالمية الثانية تدنو نهايتها كانت آمال الشعوب فى يوم الخلاص تنمو ، وتكونت فى الجزائر حركة سياسة جديدة تعتمد على اتحاد جميع الهيئات الوطنية ، وتريد تحقيق استقلال الجزائر والاعتراف لها بحكومة وطنية ، وقدمت بذلك مطالب رسمية أقرها الجميع فى عريضة وسمت بـ : « البيان » . وكان رد فرنسا متعجرفا،واعتقلت منشىء البيان وأبعدته ، وغاب عنها أنها بذلك تفسح المجال لمن هو أشد منه وأكثر تطرفا وأميل الى العنف ·

ثم تكونت لذلك حركة « أحباب البيان والحرية » وأبرز مكونيها (حزب الشعب) المتكون من النخبة الوطنية ، واتحاد النواب المنتخبين ، وجمعية العلماء المسلمين ·

ولم يشارك الشيخ مبارك مشاركة فعالة في هذه الحركة لأن صحته أخذت فى الانهيار،ولكن اخوانه الابراهيمي والتبسي وخير الدين كانوا فى الميدان ·

وفى يوم 8 فبراير 1945 م ، دخلت الى مدرسة التربية والتعليم بقسنطينة فوجدت الدكتور ابن الموفق رحمه الله نازلا فى درجها ، ووجهه مكفهر ، ويكاد دمعه يسيل ، فصعدت مسرعا ولقيت الاخ محمد صالح بن معنصر فبادرته بالسؤال : ما الخبر ؟ فقال : ان الشيخ مبارك فى خطر ، ففزعت ودخلت الادارة حيث يوجد ، فوجدته ملقى على جنبه لا يكاد يتحرك،فاقتربت منه وسلمت عليه ، فنظر الي ومد نحوي يده بضعف وقال : (سامحني) ·

وكانت آخر كلمة سمعتها منه ، فانه أخذ الى « ميلة » ، ودخل فى غيبوبة، ومن الغد يوم 9 فبراير تلقيت مكالمة من ادارة البريد بقسنطينة من الاستاذ محمود دمق ـ الذى كان عاملا بها ـ فاخبرنى أنه مر عليه تليغراف يخبـــر بوفاة الشيخ مبارك ، ثم بعد قليل رن جرس الهاتف فاذا بالذى يتكلم هـــو الكبتان (دو) الضابط المدير للشؤون الاسلامية بالولاية يتساءل : أحقا أن الشيخ مباركا مات ؟ وشيعت جنازته من الغد ـ فى ميلة بحضور آلاف عديدة وردوا من سائر الجهات ، وأبنه باسم العلماء الرئيس محمد البشير الابراهيمى وباسم الهيئات الوطنية السيد عباس فرحات زعيم حزب البيان ، ويوجد قبره البسيط بجانب شيخه الميلى بعيدا عن كل أبهة كما هى السنة وكما هى ارادته ومذهبه ، وكان عمره يوم وفاته حوالى 49 عاما ٠

آثــار الشيــخ مبــارك

لم يترك الشيخ مبارك ـ رحمه الله ـ آثارا قلمية كثيرة ـ كغيره من اخوانه لاشتغالهم بتأليف الرجال ـ كما أثر من قول أحدهم ـ ولكنه مع ذلك ترك تأليفين جليلين ومجموعة رائعة من المقالات ، فى المنتقد ، والشهاب ، والسنـة والصراط ، والبصائر ٠ ولو جمعت كلها لكانت سفرا جليلا ، نرجو أن يتحقق هذا باهتمام نجليه ٠

التأليف الاول هو « تاريخ الجزائر فى القديم والحديث » وضعه حينما كان بالاغواط ، وأتم جزئين منه ، وتوقف عند ابتداء الدور العثمانى ،وشغله عن اتمامه أعمال جمعية العلماء الكثيرة الشاقة ، وتوالى أزمات المرض الخطـــير « السكرى » ، وجهله باللغات الاجنبية الضرورية لكتابة هذه الفترة من تاريخ الوطن ٠ وقد سألته عام 1938 م ، عن سبب تأخره فى اتمام مهمته فذكر لى هذه الاعذار الثلاثة فقلت : ما بال (بعضهم) قد كتب فى نفس الموضوع وأتم عمله ؟ فاجاب : أنا لا أكتب كتابة صحفى ٠ وقد تمعنت فى قوله فاقتنعت فان الاسلوب الذى استعمله فى الجزئين التامين هو أسلوب العلماء والباحثـين المقتدرين ، وقد شهد له بذلك أمير البيان شكيب أرسلان ، وقال عن مؤلفه « ما كنت أظن ان فى الجزائر من يفرى مثل هذا الفرى » ٠ وشهد له استاذه ابن باديس أنه بكتابه هذا قد أحى أمة ، واذا كان من أحى نفسا فكأنما أحى الناس جميعا ، فكيف بمن أحى أمة !

والسبب في هذا الاطراء من الشيخ عبد الحميد بن باديس أن تاريـــخ الجزائر كان مبعثرا مذكورا بضعه في تاريخ المغرب ، وبضعه الآخر في تاريخ تونس ، لان اجزاء الجزائر كانت قد يتبع بعضها دولة عاصمتها في المغرب ، أو دولة أخرى عاصمتها في تونس ، وهذه الدول قد يكون ملوكها أو أمراؤها جزائريين صميميين مثل دولة صنهاجة أجداد ابن باديس ، ومثل الموحدين من آل عبد المومن ، ومثل المرينيين ، ـ وهذه هي أهم الدول المغربية المستقلـــة ، وكان ملوك هذه الدول يحنون الى وطنهم الاصلي ويرون أنهم أحق بملكه من غيرهم ، ويتنازعون مع غيرهم أو بعضهم عليه · لهذا لم تكن (وحدة) تامـة تجعل للجزائر تاريخا موحدا . اذ كان المؤرخون لا يؤرخون للشعوب والامم ، وانما يؤرخون للملوك والدول (2) ·

والشيخ مبارك رحمه الله استطاع بتاريخه ـ الذى لم ينسج على منواله أحد قبله ، ان يؤرخ لأمة الجزائر ، ويثبت وحدتها وشخصيتها ، واثرها الفعال في الماضي العريق منذ عهد الجاهلية ، وفي عصور الاسلام ، فهو أول مـؤرخ جعل للجزائر تاريخا مستقلا وكتبه بأسلوب علمي رفيع لا يشينه ـ بل يزينه ـ ما يبديه بين صفحاته من عزة قومية ، ونخوة جزائرية، وأحاسيس وطنية، وغيرة اسلامية عربية، مما يغرس في قارئه العزة والنخوة والكرامة والقومية الصحيحة، ويستطيع ان يتبين ذلك من قرأه بإمعان ، وقد كان كل جزائري في ضرورة الى مثله أيام صدوره ، وحتى الآن ·

اما الاثر الثاني فهو «رسالة الشرك ومظاهره» وقد كان الشيخ مبارك ضد اللين والمهاودة وينزع الى الشدة والصلابة في مقاومة البدع، لهذا شرع يكتب سلسلة مقالات بهذا العنوان في جريدة (البصائر) في عهدها الاول ، وطالت بطول الموضوع ، فاقترح عليه كثير من القراء أن يجمعها في كتاب فاستجاب لذلك ، فاخرج كتابا له قيمته العلمية · واعترف به العلماء، واتخذوه مصدرا يؤخـذ منه ويعول عليه في الثانويات والجامعات العلمية بتونس، والجزائر، وغيرهما · وقد جدد طبع هذه الرسالة ـ مرة أخرى ـ بعد وفاة الشيخ، وما يزال الوسط في حاجة اليها ·

فقد نفدت ـ جميع النسخ ، كما جدد طبع التاريخ ـ بعد ان أضيف الى الجزئين السابقين الجزء الثالث الذى اهتم بالدور العثماني في الجزائر بقلم

(2) من الغريب أننا عيرنا ـ حتى بعد الاستقلال ـ أنه لا تاريخ لنا ولا دولة !

الاستاذ الكبير والكاتب القدير (الشيخ) محمد الميلي نجل استاذنا الشيخ مبارك ، الاستاذ بمعهد ابن باديس سابقا وأحد مؤسسى الصحافة الوطنية الثورية أثناء الثورة وبعدها وسفير الجزائر اليوم ·

وقد حاول أن ينسج ـ ما استطاع ـ على أسلوب والده ، فوفق فى عمله ، ولكنا ما نزال ننتظر منه الجزء الرابع وهو الذى يهتم بالدور الفرنسى ، وأحداثه كثيرة ، والجزء الخامس وهو الذى يعالج قيام الدولة الجزائرية وبناء صرحها · ولا يتم هذا الكتاب النفيس الا بهذا،فقد رأينا هذين الدورين معرضين لتزييف خطير ، محتاجين لقلم نزيه ، وعلم غزير ، وحكم صحيح · فهل لصديقنا الميلي أن يتقمص روح أبيه ويتدثر بشجاعته ويكمل هذا النقص ؟ أننا نشهد انه يحب أباه حبا جما ويعرف قدره كما كان هذا يحبه ويرضى عنه ، وان أكبر علامات الوفاء له أن يتم ما بدأ أبوه فيه وبنفس أسلوبه ·

وكان من أول ما أنتج من كتابة كبار المفكرين فى موضوع الحادثة ونشر فى جريدة الشهاب فى عدد 78 الصادر يوم الخميس الثانى رجب 1345 هـ ، الموافق 6 يناير 1927 م ، ما كتبه الاستاذ (بيضاوى) ·

قال الشيخ مبارك تحت عنوان :

ابن ملجم القرن العشرين (2)

« من هذا الملجم بسبحته الالفية ··؟ من هذا الذى أراد تخريب مدينة العلم ؟ من هذا الذى دفعته غيرته الوثنية الى الانتقام من المصلحين باذاية

(2) من المعلوم ان ابن ملجم هو عبد الرحمن بن ملجم المرادى ـ أشقى هذه الامة كما جاء فى الحديث ـ هو الذى اغتال الامام على بن أبى طالب ـ كرم الله وجهه فى الجنة ـ وذلك فى 17 رمضان 40 من الهجرة (فى الستينات من القرن السابع الميلادى) وكان استشهاد الامام على نتجة مؤامرة دنيئة دبرها ثلاثة من المجرسين ، هم ـ وان انتسبوا الى الخوارج ـ تتبرأ من فعلتهم كل طوائف المؤمنين ·

التزم أحدهم بقتل معاوية والتزم الثانى بقتل عمرو بن العاص ، والتزم عبد الرحمن بن ملجم بقتل على ، رضوان الله عنهم اجمعين · فاما معاوية فقد ضربه من انتدب لقتله فجرحه وقطع منه عرقا لم يلد بعده · واما عمرو فانه تخلف عن صلاة الصبح لعذر واناب عنه خارجه فقتله الشقى وهو يظنه عمرا ، فلما علم قال : أردت عمرا وأراد الله خارجة، وفى ذلك يقول الشاعر عن المنية:

وليتها اذ فدت عمرا بخارجة فدت عليا بمن شاءت من البشر

واما على فقد نفذ فيه القضاء ، وجريمة ابن ملجم ـ اخزاه الله ـ لا تلزمه الا هو ومن علم بعزمه وتآمر معه ، ولا تتجاوزه الى غيره بحال ·

زعيمهم الاكبر الاستاذ عبد الحميد بن باديس ؟ ومما حدث أخيرا ان هـــذه الشرذمة اجتمعت ، وتحدثت فيما تنشره جريدة الشهاب ــ عرضا ــ ضــد ترهات شيخها وقررت الانتقام من (بيضاوى) ٠

ولما لم تعرف شخصه هولت على جريدة الشهاب ، وطلبت منها تعيينه فلم يؤثر ذلك فى الادارة شيئا واجابتها بالرفض وهناك قــررت ــ باجمـاع الاصوات ــ ان تعبث بحياة الاستاذ عبد الحميد بن باديس لكونه المشرف على تلك الادارة ٠

بعثت أشقاها ليلة الثلاثاء ــ 14 الجارى ــ فامتطى القطار من الجزائر الى قسنطينة يحمل لحية جرباء ــ عجرود ــ وسبحة باكورية ــ للبركة ــ وهراوة وحشية ، وموسى بدوية ، وورقة الذهاب والاياب ٠٠٠ بنية اغتيال الاستاذ ، والعودة ليلة الاربعاء (15) الى الجزائر ، ينزل بها ضحى ، ويلاقيه أعضــاء جمعيته بكل حفاوة وتجلة واكرام !

وماذا صنع هذا الشقى المفتوح عليه ٠٠؟ وكيف كانت عاقبة المعتدين ؟ ضرب الاستاذ على الساعة السابعة والنصف ليلة الاربعاء بهراوة على رأسـه وخده الايسر كى يضعفه ويدهشه ثم يقضى عليه بالموسى ، ولكن غاب عنه سر شيخه ، ولم ينتفع ببركة شيخه وربما كان معه حرز من الشيخ وكانت الورقة ورقة ذهاب فقط ٠٠٠ ولولا حنان الاستاذ وانسانيته الكاملة لكانت ورقة ذهاب الى دركه المعد له فى العالم الاخروى ٠

امسك الاستاذ هذا الشقي الوقح بثبات جنان وقوة فؤاد،وحاول الانفلات منه فانفلت ولكن الى غير منجاة ، فقد احاط به الناس وسدوا عليه كل مذهب، ثم قبضوا عليه وذهبوا به الى المحافظة حيث زج فى السجن ٠

ويوم الاربعاء 15 أعلم شيخه من طرف بعض طلبة العلـم بقسنطينـــة بتلغراف ، بشروه بفعل تلميذه الصادق المخلص ٠٠! وبقوا منتظرين هـل يكلف استاذ الاشفياء شابا (البوقاطو) المتطوع مـرة أخـرى بالدفـاع عن مريده ٠٠؟ ونقف القلم فى هذه النقطة وننتقل الى النظر فيمن تلقى عليه هذه المسؤولية ، مسؤولية الاعتداء على امام السنة وأستاذ الامة !

المتبادر الى الاذهان عامة ان المسؤول عن هذا الاعتداء الوحشي هو ابن عليوة المربى لتلك الجمعية ... ولكن العاقل يتوقف فى هذا الامر توقف حيرة ، فان هذا المربى ! على ما وصفه به الامام الخطيب ذكى فطن ، بعيد ان يخفى على فطانته عاقبة تعديه ، ومريده لا ينفذ له مطلوبه الا بعد ان يضمن له الحفظ والسلامة ... وربما لا يتم ضمانه فيكون ذلك مضرا بناموسه وقادحا فى ولايته ... أكثر بكثير من مقالات (بيضاوي) هذا من جهة .

ومن جهة أخرى فقد اعتاد أتباعه الاعتداء . وتكررت منهم الجنايات (3) ، ولم يصبهم شيء فربما آمن بذلك هذا المربى مكر الله ، وظن ان سره ما زال ساطعا ...

فان صح هذا الاحتمال الاخير وقلنا انه المدبر لهذه الجريمة ، فقد تتشوف النفوس الى وجه الفرق بينه وبين سائر الطرقيين ، فان صحيفة الشهاب قد نشرت انتقادات تعم الطرقيين ، وأخرى خاصة ببعضهم ولم يقدم أحد منهم على الانتصار لنفسه بمثل هذه الفعلة الشنعاء ، بل منهم من صبر ، ومنهم من أجاب بالكتابة فى نفس تلك الصحيفة أو فى اختها (النجاح) فكان دفاعه بنفس السلاح الذى حورب به ، فلم شذ هذا المربى الجديد والطرقى الحديث ...؟ وخرق سياج الادب ، وابتدع بدعة انجس من البدع التى بثها فى اتباعه ، وكان أقل من الذين يكادون يسطون بالذين يتلون عليهم آيات الله لانه سطا بالفعل .

الفرق ظاهر لمن تأمل قليلا فان هذا الرجل لم يزل فى دور التأسيس وهو رجل ذو همة عالية يريد أن يتغلب على جميع الطرقيين ويكاثر بهم ، بالمشركين به المشتركين فى ورده ...! وله بناحيته منافسون أشد منه قوة وابعد صيتا ، ولم يقو عليهم لان لهم سلفا قد عم ذكرهم وطار صيتهم ، فمعاصروه متسلون عما أصابهم بانقياد العامة لهم والتفافهم حولهم.ولم يجد هو ما يتسلى به لحدوثه وضعف سمعته ، فاثرت فيه مقالات (بيضاوى) على لطافتها ونزاهة ألفاظها، وليس ذلك بغريب فقد قيل قديما «خطرات النسيم تجرح خديه»(4).

(3) قبل الاعتداء عن ابن باديس اعتدوا على محرر « النجاح » وعلى حسين الجزيرى صاحب « النديم » بتونس .

(4) تمام البيت : ولمس الحرير يدمى بنانه .

هذه آراء ظهرت لى أبدينها ، ولم أرد بها نفع ابن عليوة ولا ضره ، وسواء كانت المسؤولية عليه أم لم تكن ، افلا يكون حظ منها لناشر دعوته ومزكيه ومزكى اتباعه الامام الخطيب ٠٠؟

من الحيف أن نحرمه حقه من هذه المسؤولية وهو الذى شهد لهذه الطائفة بالولاية التى لا يلحق صاحبها خوف ولا حزن ولشيخها بالخصوص ، فانه اذا تكلم مع رئيس الجمهورية فمن دونه شفى العليل وأزال الغليل (5) ٠

فممن تخاف هذه الطائفة ؟ أمن الله وهى من الذين لا خوف عليهم ولا هم يحزنون ؟ أم من الدولة وشيخها محام كبير وسياسى خطير وخطيب قدير ٠٠؟

لا ، لا = دع عنك ــ أيها القلم ــ الهزل وتتبع مسالك الكتابة فليس الموضوع لذلك . ان المقام مقام جد ، فخاطب الشيخ الزواوى ، وكل منتسب للعلم خطابا جديا واستحثهم للاتحاد امام هذا الحادث المؤلم المزرى بسمعة الامة الجزائرية عموما والطرقيين خصوصا ٠

ليبد كل جزائرى مقدرته العلمية وشجاعته الادبية سواء فى ذلك الاصلاحيون والطرقيون والمحايدون ــ وليظهر غيرته على العلم وأهله وليعلن باستيائه من هذه المعاملة العليوية ٠٠! ــ ولا اصفها باكثر من ذلك ــ عاضدوا العلم ومن يسهر على سعادتكم ، وعارضوا الجهل والهمجية ومن يريد أن يركس الجزائر فى حضيض الشقاوة باعتدائه على علمائها المبرزين ٠

ليس هذا الحادث من نمط الحوادث التى يمر بها القارىء مرور مستطلع للاخبار ، بل هو حادث غريب مزعج ــ للعالم والجاهل سواء ــ يقرؤه القارىء بامتعاض وتعجب واستغراب ، ويقرأ فيه الوحشية والخبث الاسود ٠

ان من يمسك قلمه عن الخوض فى هذا الموضوع فليوطن نفسه للذل وليصبر لمثلها فكأن قد ٠٠٠

وعلى الحكومة الا تنظر الى هذه الجناية نظرها الى سائر الجنايات الشخصية ، بل هى جناية حزبية من قوم فوضويين لا يرون الا حزبهم فى

---

(5) هذا ما جاء عنه فى مقال للشيخ أبى يعلى خطيب جامع سيدى رمضان ٠



الشيخ مبارك الميلي

الوجود ، يريدون ان يخفتوا كل صوت يعارضهم ، ويتغلبوا ـ بجرائمهم الوحشية ـ على من لم يحبذ سيرتهم ويسلك طريقهم ، يريدون ان يسكتوا من اباحت لهم الدولة الكلام ويهتكوا لبلوغ ارادتهم ـ حجاب الامن العام ·

أما انت أيها الاستاذ العظيم والمرشد الحكيم عدتنا العلمية وعمدتنا الاصلاحية فليس عليك ازاء هذا الاعتداء من غضاضة وما بك من عيب سوى انك داع الى الحق ، وناصر للدين ، ومحارب للبدع والخرافات ·

امتحنك الله في جهادك ، وبلاك في صبرك وثباتك بهذا الشقي الغر ، ونحن لا نجهل خطر هذا السبيل :

ومن ظن ممن يلاقي الحروب بان لا يصاب فقد ظن عجزا (6)

ولا نجهل أن اعتداء السفلة اللئام رفعة لشأن المعتدى عليه في الدنيا ، وتضعيف لمثوبته في الآخرة ·

وكأين قبلك ممن أوذوا في سبيل الله ، ولكن مع هذا كله لا نرضى أن يمس شخصك المحترم بسوء ، ونفديه بأنفسنا وأعز عزيز علينا ، لا خدمة لشخصك ولكن خدمة للامة الجزائرية ، فان في حياتك وطول بنائك سعادتها بما تبث في شبحها من روح العلم الصحيح ، والعمل الثابت · « **بيضاوي** »

---

(6) هذا البيت من شعر الخنساء رضى الله عنها ·

الفصـــل الثــــانى :

شلــت يــد الجـــاني :

هذه كلمة ـ ضمنها قصيدة شعرية ـ دبجها يراع الشاعر الكبير والوطنى الغيور الاستاذ رمضان حمود رحمه الله ، وقد كان هذا المفكر الكبير مـــن أحذق رجال الجزائر واخلصهم ، ومن كتاب الشهاب وادبائه النابهين ، وقــد اغتالته المنية وهو فى عز شبابه فكانت وفاته خسارة عظمى على الوطن ·

لما بلغه نبأ الفاجعة الاليمة كتب كلمة نثرية ، ضمنها قصيدة شعريــة ، ونحن ننشر فى قسم النثر كملته ، وننشر فى قسم الشعر قصيدته ، ونشرت الكلمة والقصيدة فى العدد 78 من الشهاب الصادر فى 2 رجب 1345 هـ ـ 6 يناير 1927 م ·

قال رحمه الله :

« سمعنا ـ وما أهول ما سمعنا ـ أنه وقع سطو فظيع على الاستاذ الالمعى عبد الحميد بن باديس من جانب بعض الاوباش المتمردين الذين لا يخلو منهم بلد · ومن حسن الحظ ـ والحمد لله ـ ان كانت الضربة خفيفة ، وما كدنا نسمع هذا الخبر الاليم حتى امتلأت قلوبنا حزنا وافئدتنا كآبة وألما لما أصاب شقيقنا فى الوطنية والدين ، فحينئذ من اللازم بل هو الفرض ابداء هـــذا للاحساس الخالص نحو شخصه الكريم ، وكل من يمجد حياة الجزائر الفتاة ويعرف قدر العظماء حتى تجتمع آلامنا وافراحنا على صعيد واحد · ولم أحن عليه لصداقة بيننا أو لغرض شخصى ما ، لاننى لم اجتمع به قط ولا رأيتــه أبدا ، وانما سمعنا ووجدنا فيه ـ وفى الشهاب دليلنا ـ وطنية صادقة ، وغيره دينية ، وصراحة فى القول ، وهى خصال خليقة بان تحبب الرجال الى الرجال (ثم تأتى القصيدة بعدها الختام) ·

« وفى الختام أسأل الله لك العافية والشفاء ، وان يجعل هاته المصيبــة آخر مصائبك ، بل لا أقول هكذا، لان من كان فى رتبتك فلابد ان يلاقى من الاهوال ما تشيب له رؤوس الصبيان ، ولكن أقول :

اللهم انا لا نسألك رد القضاء ولكن نسألك اللطف فيه ·

(وادى ميـــزاب)

رمضـــان حمـــود

الفصـــل الثــالــث :

الشيخ العقبي والشهاب وحادثة الفتك :

عتاب مر على استعمال اللين

كان الشيخ الطيب العقبى رحمه الله ـ من الذين كتبوا عن حادثة محاولة الفتك بالاستناذ ابن باديس ، نثرا وشعرا .

وقد كان أحد اقطاب الحركة الاصلاحية ، وكتابها النابهين ، وكان يميل فى أسلوبه الى الشدة والعنف والصراحة المريرة، بينما كان الشيخ عبد الحميد ابن باديس يجنح ـ نوعا ما ـ الى الاخذ بالرفق واللــين والدعـوة بالـتى هى احسن ، ويعز عليه ما وصلت اليه الحال بين كتاب الطرفين ، وبعـد 18 عددا من المنتقد ومثلها من الشهاب نشر الاستناذ ابن باديس فى عدد الشهاب 19 مقالا تحت عنوان (فى سبيل الوفاق والتفاهم) قال عنه ابن باديس ـ فى عدد 75 (أردنا به جمع الكتاب على نقطة خاصة من الاصلاح وايقاف ذلــك التيار القوى من الكتابة الاصلاحية) . ولكن هذه الدعوة لم تــرق لبعض الكتاب ، وعلى رأسهم ـ فيما يقول الشهاب ـ العلامة المصلح الشيخ العقبى لانه عده تحجيرا تاما ومنعا صريحا لكل كتابة فى الاصلاح الدينى أو ما حام حوله ، وبقى الاستناذ العقبى مصرا على المقاطعة والامتناع التام عن الكتابة ، ولم يقتنع بما ذكره الشهاب من مبررات ، فاضطر الشهاب الى زيادة بيان فى مقال آخر نشره تحت عنوان (فى سبيل الدعوة والارشاد) ودعـــا الكتاب المصلحين الى العودة (للكتابة فى نقد الدجل والدجالين وانه لم ـ ولن ـ يحجر على الكتاب الخوض فى نقد أعمال الطرقيين ، وانما أوقفنا ذلك التيار القوى حيث رأينا انه بلغ حده ووصل الى منتهاه) .

ولكن هذا البيان لم يكن كافيا لارضاء الشيخ العقبى الذى بلغ به الغضب أشده حتى جاء هذا العدد ــ 75 من الشهاب ــ بعد الاعتداء علـى الاستاذ ــ فصرح انه يعيد الحرية الى الكتاب ، وصرح باسم الشيخ العقبى : لانه ــ أى العقبى ــ لم يرها كافية ــ كفاية تامة ــ وصريحة صراحة حقه أى رفع مقـال ــ فى سبيل الوفاق والتفاهم ــ ثم اعلن الشهاب (ونحن نؤكد لحضرته ولكل من كان على شاكلته اننا أضربنا على ذلك المقال الذى زال بزوال ما اقتضاه من الاحوال ورجعنا الى خطتنا القديمة ٠٠٠) ٠

وقد كان لهذه الكلمة ــ المبيحة للعودة الى العنف فى القول بعد أن ابـاح غيرهم استعمال العنف ومحاولة الفتك ــ كان لها اثر كبير على الشيخ العقبى فنشر مقالا عنوانه:أما الآن فنعم ٠ وقد وجب الرجوع) وبـين فيه مقـــدار ما وصل اليه سوء التفاهم مع ادارة الشهاب ، وما جرى بينه وبينها من كلام مر شديد ، ود لو اطلع عليه الكتاب والقراء وصرح فيه « ان هذا من الشهاب يعد رفعا لقانون ثقيل ، وعد اباحة الرجوع الى العنف (تحريرا للكتاب ،كتاب الشهاب برفع قانون (فى سبيل الوفاق والتفاهم) ذلك القانون الثقيـــل ــ وضعا وطبعا ــ الذى كان من حين صدوره فى العدد 19 من الشهاب حجر عثرة فى طرائقنا فحال بيننا وبين الكتابة بجريدتنا ــ كما قالوا ــ كـل هذه المدة الطويلة ، وبالحق كان غلا ثقيــلا للايــدى والاعناق ، وبلاء شديدا لا يحتمل ولا يطاق ٠٠٠ ولا اكتم اخوانى القراء اننى من يوم صدور ذلك القانون عقدت النية وعزمت عزما باتا الا أكتب كلمة واحدة بجريدة تستبد ادارتها كل هــذا الاستبداد وتقيد كتابها الاحرار ــ من يوم خلقوا ــ بمثل تلك القيود والاغلال ٠ وما كنت لارضى ــ ولن أرضى أبدا ــ باعطاء أهل الطرق وارباب الزوايا مثــل هــذه الامتيازات المجحفة بحقوقنا ــ معشر الكاتبين ــ ولست بالناسي قـــط ما دار بينى وبين ادارة الشهاب من المفاوضات الطويلة العريضة فى هذا الشان وكم كان كلامى معها مرا وشديدا جدا ولذلك كتمته عن القراء ، وظـل عندها سرا مختفيا الى اليوم وبعد اليوم ٠٠٠ ولقد كنت أفرح كثيرا وأسر جدا لـــو اطلع عليه كل اخوانى كتاب الشهاب وقرائه الادباء ، ولكن مضى ما مضى ودار الفلك » ٠ وقد نشر هذا المقال فى عدد 78 مـن الشهاب وختمه بالمه لما أصاب الاستاذ ابن باديس فقال :

(اما الحادث الاليم الذى ادهشنا وقعــه ونزل علينا نزول الصاعقة حتى أنا لم نطــق ذكـــره فهو خبر السطو الواقع على الاستاذ الشيخ عبد الحميــد ابن باديس ، ذلك السطو الذى حسبته (جمعيته التآمر بقتل العلماء والفتك بهم) يقضى على مشروع الاصلاحيين ، فساء فالها ، وخابت آمالها ، وتلك عاقبة الظالمين · وان لى فى هذا الوضوع كلمة حارة اقذف بها الى لصوص الطرقيين فلينتظرها القــراء فى العدد المقبل ، وما العدد المقبل ببعيد) ثم جاء المقــال بعنــوان :

جمعية التآمر بقتل العلماء والفتك بهم :
أطريقة تلك أم عصبة أوباش ولصوص ؟
أين الحكومة لتحفظ النظام ؟

« والقارىء الكريم يدرك عنف أسلوب الشيخ العقبي من نفس هذا العنوان، واستعماله لألفاظ ربما كان مبالغا فى استعمالها آنذاك،واعتماده مبدئيا عــلى (الحكومة) لحفظ النظام ، وهى التى كانت حريصة على زرع الجهالة والفوضى بين المسلمين واحياء الاحقاد والخصام والتنازع الذى تجــرأ ابن باديس على محاولة اطفائه تهيئة الحق للتفاهم والوفاق » ·

قال الشيخ العقبى : فى الشهاب عدد 80 الصادر فى 16 رجب 1345 هـ ــ 20 يناير 1927 م : « اخجل ورب الكعبة أن أصف طريقة تنتسب الى الاسلام ، ويدعى اشياخها ــ بل كل أفرادها ــ السلوك والوصول الى اللــه ··· اخجل ــ ومن صورنى كيف شاء ــ أن أصف طريقة كهذه بالتآمر عــلى قتل العلماء والفتك بهم ، ويعــز على جــدا ان تنتهك حرمة الدين ، ويمتهن كرامة العلماء بواسطة من هم من هؤلاء ، وأرى من الصعب البعيد جدا جدا ان يتعاطى هــذه المهنة ــ مهنة السطو والقتل ــ غير عصبة لصوص واوباش (1) ، وما كنـــت لاصدق ولا ليدور بخلدى وفكرى ان يقدم على ارتكاب هذه الاعمال البالغة الى حد النهاية فى القبح والفظاظة ــ اناس انتسبوا الى دين الاسلام الذى يقول :

---

(1) اوباش : جمع وبش ، سفلة الناس وأخلاطهم ·

« **ولا تقتلوا النفسَ التى حرَّم اللهُ الا بالحق** » ـ وتسموا ـ زيادة على هذا الانتساب ـ باسم الصالحين ، السالكين ، الواصلين • وما كنت أدري ولا أفهم من لفظ الصالحين انهم هم الذين يفسدون فى الأرض ولا يصلحون ، ويسفكون الدماء ـ حتى دماء العلماء العاملين ـ ولا يرعون ولا يتحرجون ، ولا فهمت ـ قط ـ قبل اليوم ـ ان السالكين هم الذين سلكوا الى ارتكاب هذه العظائم من أقرب أبوابها !•••

كما اني ما علمت ـ فيما مضى ـ ان الواصلين هم الذين وصلوا فى الوقاحة وقلة الدين والحياء وعدم الخوف من خالق الأرض والسماء الى هذا الحد وهذه الدرجة !•• فرحماك اللهم بالأمة التى انعكس فى نظرها معنى الحق والحقيقة ، فسمت العبث بالدين وارتكاب الفظائع والجرائم التى تأتيها وترتكبها فى اليوم وفى الليلة المرة والمرات طريقة ••• ويا لها من طريقة ! نعم هى طريقة ولكن لمن يفهم اسرارها ويحل معمياتهم وألغازها ، ويعرف علم (القوم) •••

هذا واني الى اليوم وساعة كتابة هذه الأسطر لا يكاد يسلم عقلي بوجود هذه العصبة وفى البلاد حكومة تعمل لمصلحة المحكومين ، وتحافظ على الأمن والنظام العام ! اذن فما هذا الحادث الأليم الذى طرق الأسماع نبأه،وتكرر مرات عديدة فى جهات من هذه العصبة وقوعه ؟ ••• لا أدري ـ وان كنت أعلم يقينا باني لا أدري ؟•• سطو على عالم جزائري كبير ، ورجل من الرجال الاصلاح خطير •

حادث أليم مؤسف ومضحك مبك فى آن واحد ، نبأ من الغرابة بمكان ما كانت تصدق عقولنا لولا انه كان ، و « ليس فى الامكان أبدع مما كان » •

صوفية مسلمون يفتكون بحملة شريعة محمدية ، ودعاة الناس الى الخير ! أهل طريقة يحاولون إقناع الأمة جمعاء ويريدون إفهامها ما هى طريقهم وكيف سلوكها ـ بمثل ما رأينا وما سمعنا من هذه الجرائم والفظائع الجديدة العصرية، فهل بعد هذا الإفهام من إفهام ؟•• فلينتبه بهذا الغافلون النيام !•• وهل تستحق من اسم تمتاز به عن غيرها غير ذلك الاسم الذى جادبه عليها صاحب



الشيخ الطيب العقبى

جريدة « النديم » حيث سماها (طريقة الدبوس) رضى الله عنك يا نديم (2) ، فانك في هذه وامثالها زعيم ، وكفى بك لارباب طرق الضلال من عدو قديم ٠

لعلي ـ وأحسب انى صادق ـ لم أستعظم قط فى الحوادث التى سمعتها ، والانباء التى مرت على أذنى حادثا كهذا ، ونبأ أزعجنى مثل هذا النبأ العظيم الاليم نبأ السطو على هذا العالم المصلح المرشد ، ممن ؟ من أفراد طريقة من أهل التصوف أو التصووف ـ كما قالوا ـ لتوافق القول المعروف عندهم ٠

يا للفضيحة ويا للعار ! يا للخزى والشنار ! ألهذا تؤسس الطرق ؟ وبمثل هذه النتائج وهذه الثمرات تأتى الامــة ؟ بلاء كبير ومقت أكبــر ، ولكن ماذا نقول ؟ نقول « الله أكبر، الله أكبر، الله أكبر » لقد بدلت الأرض غير الأرض، والأمة غير الأمة، والطرقالتى أسسها الصالحون الأولون غيرالطرق وجاءت بغير ما يقصدون،وأثمرت للامة بذرا غير النوع الذى زرعوه !

رحم اللــه من حسنت نياتهم من الاولين وساء عمل القــوم المفسدين من المتأخرين ٠٠٠ ما كنا نظن ـ والله ـ ان تصل الحال بمتأخري الطرقيين الى هذه الغاية المشؤومة ، ولا توهمنا سابقا ان تحكم طريقة ـ ولو كانت عصرية ـ على رجال العلم بمثل هذه الاحكام القاسية ، أحكام القتل والإعدام ٠

وهل تصدر مثل هذه الاحكام الكبيرة من طريقة دون موافقة رئيسها وصدور ارادته السنية الى اتباعه الكرام البررة السالكين الخيرة الذين هم أطوع له من فعله وألزم له من ظله ؟ قد كنت أفهم احيانا ان رجال التصوف ـ أو أولياء الله الصالحين ـ هــم أرق الناس قلــوبا ، واعظمهم مرحمة ، وحبــا بالانسانية ، وأرسخهم ايمانا فى مذهب (السماح والعفــو عن الناس) كيف وهم أهــل التواضع وأهل النية ، ومن لا نية له فى تنفيذ ارادة شيخه (التى من جملتها العفو والتسامح) فليس من ذوى الصدق والاخلاص فى الطريقة ٠ ولكن هل

---

(2) النديم جريدة أسبوعية فكاهية خفيفة الظل كانت تصدرفىأربعصفحات فقط ، مساء الخميس ، وكان لها رواج كبير فى تونس والجزائر ، يصدرها الكاتب المبدع والشاعر المقتدر حسين الجزيرى رحمه اللــه ، ولــه نقدات لاذعة على الاحداث والاشخاص ، يرسلها نظما ونثرا ، وقد عطل الجريدة لما اعلنت الحرب العالمية الثانية ثم ترك الصحافة وقبل حياة الوظيفة لان الصحافة لم تضمن له حياة هنيئة ، وذلك سنة 1939 م ٠

يصح لى هذا الفهم الآن ؟ وهل فى الامـة من يفهم كفهمى حتى بعد وقوع هذا الحادث الذى أيقظ النائمين ، ونبه كل الغافلين ؟ تاللـه ان مثل هذا ليوجب الحيرة والشك (فى كل ما سواه) ويجعل العاقل البصير يتردد فى الحكم على هؤلاء القوم بأنهم ممن تصح نسبتهم الى بنى البشر ـ فضلا عن الدين ، فضلا عن أهل الاخلاق الفاضلة الذين سماهم بعض الاقدمين «صوفية» ما عمل القوم على بنى البشر ، ولا وقفوا عند حد ما أمر به الدين ، ولا تخلقوا باخلاق أهـل التصوف وتأدبوا بآدابهم ، فهل هم بعد هذا كله ـ أولياء الله صالحون ؟

وماذا عمل عبد الحميـد ابن باديس وماذا جنى ؟٠٠ تعلم العلم ورحل فى طلبه الى تونس ورجع الى وطنـه مصلحا ومرشدا ، أنبت لنا فى هذه الناحية نشأ جديدا ، فنبت نباتا حسنا ، أسس لنا جريدة دينية أكثر منها سياسية انتقد بعض كتابها نقدا علميا بعض الطرق فلم يرضها كل ذلك وأخيرا حكمت محكمتها العليا (التى هى فـوق الحكومات كلها) بالاعدام عـلى هذا المشوش الكبير ، والرجل المخطر وجوده عـلى جماعة الطرقيين ومن يحميهم من اذنابهم الانتقاميين ٠

هل نفذ حكم هذه المحكمة ٠٠! نعم ، ولكن لا على الوجه المطلوب حيث جاءت الاقدار فيه بعكس المراد ، ففاز عبد الحميد ونجا من براثن الموت (والموت خزيان ينظر) ٠

كيف كان ذلك التنفيذ ؟ وكيف جاء على عكس المراد ٠٠! تقرب أحد شبان هذه الطريقة (الفدائية) الى الله باجراء هذه العملية وتنفيذ هذا الحكـم القاسى ابتغاء مرضاة الشيخ ونصرة لحزبه وطريقه ، وقد كان يعتقد بالنيـة أنه لو تم له ما أراد يدخل الجنة بسلام اذ الضمان فى ذلك على الشيخ ، ولكن كان من أمره ما قصته علينا جريدة الشهاب،فثبت أجر هذا المتطوع عندالشيخ على كل حال ، وانما الإعمال بالنيات ، فماذا يقول المسلمون فى هذه الطريقة بعد اليوم ٠٠؟ بل ماذا يقول الناس وبماذا يحكمون ؟ وقد وقع ما وقع وصار ما صار ـ وهل هم متكلمون أم سيبقى الجميع وهم صامتون ٠٠؟ (أما أنا فقد تكلمت) وماذا تكون هذه الطريقة اذن فهل هى الحكومة القوية المسيطرة على الشعب كله التى لا يرضيها عمل عبد الحميد ومن على مذهب عبد الحميد؟

أم هى طريقة ربانية ومؤسسة تهذيبية دينية ...؟ وهل حياة العلماء الكبار والصغار وحياة الكتاب الاحرار ليست فى خطر بعد اليوم ؟

بل هل حياة كل فرنساوى وكل يهودى بل وكل رجل فى الحكومة نفسها اذا كان لا يعجبه ولا يروق لديه سلوك هذه المؤسسة ويجب ان ينتقدها انتقادا حرا هل حياة كل هؤلاء من الناس مؤمنة محفوظة (3) أم الخطر كل الخطر والويل كل الويل عن من تكلم ضد هذه الطريقة العصرية الجديدة ؟

كل هذه الاسئلة نود الجواب عليها من رجال الحل والعقد (4) العالمين بدخائل هذه الجمعية (المباركة) والمطلعين على سنتها الغيبية وأسرارها الخفية والا فما معنى وجودهم بهذه البلاد وهم عباد امثالنا . فهل تنتبه الحكومة الى ما فى هذه الجمعية الجريئة وامثالها من الخطر على الامن العام (3) ؟ واظنها لو تدخلت فى شؤون هؤلاء القوم بالضرب على أيديهم وتطهير البلاد منهم لما كان وقع منهم مثل ما وقع ، وليس التدخل فى شؤون هؤلاء الناس عندى - من باب التدخل فى أمر الدين الذى تتباعد عنه سياسة الحكومة وتأباه (3).

ولتعلم الحكومة وكل العقلاء من سائر الناس ان دين الاسلام برىء من هذه الطرق الفتاكة الجريئة على الظلم واغتيال النفوس .

واعتقادى الصميم ان كل علماء الاسلام شرقا وغربا - اذا خلوا من الغرض والالتصاق بهذه الجماعة - يفتون بما قلته ويصرحون ... وحسب الحكومة العاقلة الرشيدة ان تنظر نظرا بسيطا الى أصول ما جاء به الاسلام فتعلم صحة هذه الفتوى ...

يحزننى جدا ، وآسف كثيرا ان تكون أول كتابة فى جريدة (الشهاب) بعد ان مضت كل هذه الفترة ونمت عن الكتابة بها كل هذه المدة الطويلة (5) ضد طريقة يقال لها طريقة ابن عليوة ، وما كنت لاحب التصريح باسم زاوية

---

(3) مثل هذه الفقر لا يمكن ان يرضاها ابن باديس وفى كتاباته ما يدل على ذلك .

(4) شكوى الجريح الى الغربان والرخم !

(5) كان الشيخ العقبى قد غضب على الشهاب وقاطع الكتابة فيه ، لان الشهاب دعا الى التفاهم والوئام بين الطرفين . وقاطع الكتابة أكثر من عام - منذ العدد 19 حتى العدد 78 وقد مر النص على ذلك .

بعينها ، أو طريقة بخصوصها ، أو انسان بشخصه ، ولكن الضرورة الجأتني لهذا ، وقبح الله ضرورة كهذه ...

قرأت في العدد 75 من الشهاب خبر الحادث الاليم ، وجاء في العدد الذى جاء بعده تفصيل هذا الحادث المؤلم المؤسف ، المبكى المحزن المقلق المشجى ... الخ ، حادث السطو على الاستاذ عبد الحميد بن باديس ، فهالنى عند أول وهلة ما قرأت ، وكدت لا اصدق الخبر لولا انه جاء في جريدة يقوم بادارتها العليا نفس من وقع عليه حادث الاعتداء ، تواترت الاخبار بعد ذلك ، وكتبت الجرائد كلها في هذا الموضوع ما كتبته ، فآمنا بوقوع ما وقع وصدقنا ولله الامر من قبل ومن بعد . مسكين عبد الحميد بن باديس ! ومسكين القابض على دينه في هذا الزمان ! ومسكين من يحاول اصلاح أمة هذا شأنها وهذه افعالها مع علمائها الشرعيين ! مسكين ، مسكين من هو مثلى ومثل عبد الحميد بن باديس اليوم ! ! ظالم وملعون من اعتدى على عبد الحميد ابن باديس ، ومجرم كبير من حاول بالقضاء عليه القضاء على مشروعه الاصلاحى العظيم ...

أيدرى المعتدى على من سطا وبمن حاول الفتك؟ لا يدرى!! ومن لى بأن يدرى بأنه لا يدرى!؟ ما سطوت يا هذا المجرم الاثيم على عبد الحميد بن باديس وحده ولكنك سطوت على الفضيلة كلها ، والامة الاسلامية جمعاء . وما حاولت اغتيال نفس واحدة ولكنك أردت ان تقضى على نفس تحى بها الناس جمعاء ..

وتالله لقد ارتقيت مرتقى صعبا يا رويعى الغنم (6) وسولت نفسك الشريرة الامارة قتل عبد الحميد ، بل قتل البقية الباقية بهذه البلاد من دين الاسلام المطهر من كل الارجاس والاخباث فسحقا لك يا عدو العلم والدين سحقا ! وبعدا لك ولقومك ومن على شاكلتك بعدا ! بل تعسا لكم تعسا ، وتبا

---

(6) هذه الكلمة آخر ما نطق به أبو جهل - أخزاه الله - عندما وطىء عنقه الصحابى الجليل عبد الله بن مسعود وهو يقول له : وهل أخزاك الله يا عدو الله ؟ وفيها تحقير لعبد الله ، وتعيير له برعى الغنم ولا يستحق هذا المجرم الاثيم أن يوجه له ما وجه لعبد الله بن مسعود ، وأرى ان الشيخ العقبى ما كان حريا به ان يستعمل مثل هذا التعبير أصلا حتى لا يتوارد مع أبى جهل على قول واحد .

لك ولهم سائر اليوم تبا (7) اما سمعت أنت واشياخك ان القوم الذين قبح القرآن سيرتهم وقص علينا نبأ عملهم الفظيع قال فى حقهم : « **يكادون يَسْطون بالذين يَتْلُون عليهم آياتِنا** » فهل أفهمك أحد أشياخك فى درسه يوما ما أن معنى كاد المقاربة ؟، وان القوم المذكورين بهذه المخزية الشنعاء قاربوا السطو وما فعلوه ، أما أنت أيها المجرم الكبير (ومغريك فى الاجرام أكبر) فقد سبقت هؤلاء شوطا بعيدا فسطوت بعبد الحميد الذى خرج من درس كان يفسر به القرآن الكريم ، ويبين للناس ما نزل اليهم ، ويتلو عليك وعليهم الآيـــات البينات) سطوت عليه ـ يا عدو الله وعدو نفسك والمؤمنين ـ بالفعـــل ، وتقدمت يا غليظ الرقبة وقاسى القلب لتقضى عليه وتنهب من بين جنبيه تلك الروح الطاهرة الزكية ، وتفجع الامة بقتل ذلك الشعور الشريف والاحساس الحى ! .. وقد قالوا ان ادارتكم العليا هى التى عهدت اليكم بقضاء هذه المهمة وأخذ عليك العهد فيها ، وأوصاك وأعانك على ذلك قوم آخرون ... وقد كدتم تؤدون مأموريتكم ، وما تآمرت عليه جمعيتكم السرية أو طريقتكم العليوية تلك الطريقة التى لم ندر ما الغاية من تاسيسها ، سيما وقد تظاهرت بهــذه المظاهر : مظاهر قتل العلماء ، واغتيال النفوس الابرياء ؟

أردتم وأراد شيخكم قتل هذا المصلح الفذ والعلامة الـــذى ما انجبت الجزائر ـ منذ احقاب ـ مثله الا قليلا ، والامة فى أشد حالات احتياجها اليه ، وقد كنتم تفرحون (كما فرح سفهاء الطرقيين بضربه) لو مات ضحية جهلكم، ولكن الله سلم ، فبؤتم أوباء ، كبيركم الذى علمكم طريقة القتـل والاغتيـال ـ بخزى أبدى ولعن قد سجلته عليكم يد التاريخ ... ولو قدر اللـه عـلى عبد الحميد ومات جزاء اعتدائكم لكنتم كلكم بجريرة هذه الروح الطيبـــة الطاهرة مأخوذين وبها (وكما هو الحكم الشرعى ، مقتولـــين ، ولكن انـــى لكم ـ وللطرقيين امثالكم ان تبؤوا بشسع النعل التى فى رجل عبد الحميد (8)

(7) وهذه العبارة أيضا استعملها أبو لهب ، ونحن فى غنى عنها .

(8) وهذا أيضا تعبير جاهلى ، فان مهلهلا لما قتل ظلما بجير بـن الحارث بن عباد قال له بؤ بشسع نعل كليب ، وكان الحارث بن عباد قد وجه ابنه حتى اذا قتله رضى فاخذ ثاره وكف عن حربه فلما بلغه هذا من فعل وقــول مهلهل شمر للحرب ـ بعد ان اعتزلها ـ وترجحت كفة قومه به فانتصروا ، وقال فى قصيدة لــه (ان بوء الكريم بالشسع غال) . وحكـم الشريعة ان المسلمين تتكافوء دماؤهم) وقد أكد هذا الحكم على بن أبى طالب فى وصيته لاهله عندما ضرب ـ مثل هذا التعبير من الشيخ هفوة فيما أرى ان اعتبرهم مسلمين ...

ولا أظن اشياخكم يجهلون قول الخليفة الراشد : لو اشترك فيها أهل صنعاء كلهم لقتلتهم بها) (9) ٠

الهذا اسستم طرقكم أيها الطرقيون ؟ ألمثل هذه البضائع والجرائم تسرون وتفرحون ؟ وتقولون ان رجال الغيب أولياء الله ، تصرفوا فى عبد الحميد (دقوه فقسوا فيه) (10) ، والحال انكم انتم المتصرفون والعاقلون ؟ أهذه هي طرق تصرفاتكم فى الكون ؟ أأنتم السالكون المسلكون والمرشدون والواصلون ؟ بربكم قولوا لنا من اجاز مثل هذا فى دين انتم اليه منتسبون ؟ أشريعة الاسلام هى التى أمرتكم بها ؟ أم هو من أفك طرقكم الذى تأفكون ؟ ألابئسما تعملون وساء ما به على العلماء تحكمون ٠٠٠ بالامس سطوتم على (حسين الجزيرى) صاحب جريدة النديم كما سطوتم على صاحب جريدة (النجاح) (11) ، وجئتم فى ناديكم المنكر مرتين ، وما كادت الامة تنسى أو تتناسى أنباء سطوكم (وما بالعهد من قدم) على ارتكاب كل هذه الجرائم وقيامكم فى الكون بهذا التصرف والتصريف أيها الاولياء الصالحون ٠

أعلمتم ان كل الناس تتألم من أعمالكم وتتساءل وتقول : أطريقة تلك أم جمعية ائتمار بقتل العلماء العاملين ؟ هل رضيتم ورضى عنكم شيخكم بعد ان أصبحتم أكبر جمعية فى القطر يخشى الناس شرها ويشار اليها بالايدى والارجل كما يشار الى غيرها بالاصابع والبنان ! هل اعتقدتم يا رجال الدين ان حكومة فرنسا اللادينية حكومة العدل وحفظ النظام والحرية سترضى بان تكون حياة جماعة الطرقيين (وهم الذين تبرأ من أعمالهم القبيحة وفضائحهم الشنيعة الانسانية وكل عقلاء الجنة والناس والملائكة) محفوظة مصونة، وحياة العلماء المصلحين(وهم الذين ينشرون افكارهم الحرة ويبرهنون على صحتها بالحجة والدليل لا يرهقون الناس على قبولها ولا يلزمونهم بها الزاما) فى خطر وعرضة لنهب الجاهلين ، ذلك ما لا يعتقده عاقل ، ولا نظن حكومة فرنسا توافق عليه يوما أو ترضاه ٠ والذى يليق بنا اعتقاده فى جانب هذه الحكومة الانسانية المحضة هى ان تنهض بعزيمة ونشاط فى مقاومتكم ٠

---

(9) هو من قول عمر بن الخطاب رضى الله عنه ٠

(10) تعبير عامى شائع معناه انهم انتقموا منه واصابوه بشر ، ودق الشيء كسره وفقس البيضة كسرها وفلقها بيده ٠

(11) جريدة النجاح قد تابت وانابت عن الانكار عليهم وشهدت لهم بالخير فيما قبل وبعد ٠

يا هؤلاء المجرمون الجانون على العلم والحرية وعلى الانسانية جمعاء ، فقد كشفت لها هذه الجرائم عن نياتكم ومخبوء ضمائركم وطياتكم ، وما أمر استغلالكم للجمهور وتجهيلكم للامة وذهابكم في الغباوة والقائكم لها في الهوة السحيقة (هوة البؤس والفقر المدقع) بعد نزفكم لاموالها ، وامتصاصكم لدمائها ـ في مثل هذه السنين الشديدة والأيام العصيبة ـ ما أمر كل ذلك عن الحكومة (لو نظرت في حالكم أيها الجناة بعين الاهتمام واليقظة) بخاف ولا بعيد (12) ٠

والامر الآن الذى يجب ان انبه اليه الحكومة ـ بمناسبة هذه الحادثة الكارثة الفاجعة المؤلمة ـ هو ان تمعن النظر في فهم تعاليم القوم وقوانينهم الخاصة بهم كقولهم : الشيخ الذى لا يعلم بحال مريده ، ولا يعلم حتى شعرات جسده لا يصلح ان يكون شيخا مربيا) ، وكقولهم (القطب أو الغوث ينظر الى الدنيا كلها وما في هذا العالم كمرآة في كفه وهذا لا يؤوده ولا يعجزه التصرف في شؤون الكون) ، وكقولهم : (يجب على التلميذ ان يترك اختياره لاختيار الشيخ ويدع ارادته لارادة استاذه ومربيه ويجب عليه ان لا يعمل عملا الا بمشورته واذنه وان يكون في كل عواطفه وحواسه وتصرفاته مستسلما للشيخ كالميت بين يدى غاسله) ٠٠٠ الخ ٠

ما هو مسطور في كتبهم ، ومعلوم عند الصغير والكبير منهم ، ومأخوذ فيه العهد على كل من دخل طرقهم ٠

ومن هذا النموذج الذى ذكرناه يمكن للحكومة ان تسلم يقينا وتجزم ان الطرقى لا يقوم بعمل قل أو جل (وخصوصا اذا كان من نوع ما وقع على عبد الحميد) الا باذن الشيخ وارادته وأخذ رأيه (تفصيلا في المهم واجمالا في غيره) قبل كل شيء ، وأقوى حجة أقدمها لها على هذا هذه الجمل من تعاليم

(12) نقلنا هذه الفقرات بنصها لان أمانة النقل تقتضيها ، ولانها تشرح نفسية الشيخ وحسن ظنه بفرنسا ، وهو ما كان يخالفه فيه اخوانه العلماء ـ وخصوصا ابن باديس ـ مما أدى به الى الخروج من الجمعية مستقيلا عام 1938 م بعد أن أبوا عليه تقديم شواهد الاخلاص ٠ وهو ما أدى الى مقاطعته الشهاب مدة تزيد عن العام ، وكان يرى ان منطق الحرية في الكلام ان يقول في مقالاته كل ما يخطر بباله وكل شرور التخلف والفقر والبؤس والجهل في الامة انما تحمله حكومة فرنسا وتحافظ عليه ، وهو يحاول تبرئتها !٠٠
واستسلام المريد للشيخ مثل هذا الاستسلام المطلق الذى بينه العقبى هو ما تريده فرنسا لتسخر الشعب بواسطة المشائخ ٠

أهل الطرق المصطلح عليها عندهم ، والمتفقون كلهم (بالاجمـــاع) فيها .
وما هذه الجمل الا قليل من تعاليم كثيرة يعبرون عنها ، ويسمونها بعلـــم القوم ، ويا لهم من « قوم » (13) .

وأرى من الواجب على المحكمة التى ستتولى الفصل فى هذه النازلة ان تفهم جيدا معنى هذه الجمل من اصطلاحات وعلم القوم حتى تحكم فى المسألة عن خبرة وبصيرة ...

أما قراء الشهاب فقد حكموا لاول وهلة وعرفوا من هو الجانى الحقيقى والمجرم الاول المرتكب لهذه الجناية ، وما بقى على رجال الحكومة الا ان ينظروا الى هذه الحيثيات ويفهموها ، ولها ـ اذا عميـــت عليها الانباء فى هـــذا الخصوص ـ ان تسأل أى فرد من اتباع هذه الطريق : هل شيخه من المربين المرشدين ؟ هل هو قطب أو غوث ؟ هل يلعم أحوال مريده ؟ ولو كان بعيدا عنه ؟ هل المريد مستسلم له بنية ذلك الاستسلام وهو دائما فى كل أحواله معه كالميت بين يدى غاسله ؟ الخ ، الخ ؟

كل ذلك اذا سألت عنه يكون جوابها ـ بلا شك وبلا تردد ـ بالايجاب ، والتلميذ لولا اعتقاده فى شيخه اكثر من كل هذا لما كان ينقاد اليه ذلـــك الانقياد ويلقى اليه فى كل شؤونه بالقياد ، وقد نراه يقدم له اعظم عزيـــز عنده وأكبر شيء يغار عليه كزوجته وبنته البالغ البكر وهلم جرا ـ وهل كان ذلك الا بنية الانقياد وعظيم الاعتقاد فى الشيخ ؟ (14).

فمن هو المسؤول عن هذه الجناية وامثالها ومن هو المؤاخذ بها يا ترى ؟ ؟

نعم يمكن للشيخ ابن عليوة واتباعه العقلاء (ان كان هناك اتباع للحديث يفهمون ، ولما نقوله يعقلون) ان يعلنوا بواسطة الجرائد براءتهم من أعمـــال هؤلاء الجناة المعتدين ، وطردهم واخراجهم عن طريقتهم وحزبهم ، ويلعنونهم على رؤوس الاشهاد كما « **لُعِنَ الذين كفروا من بنى إسرائيل على لسان داوُد وعيسى ابنِ مريم ذلك بما عَصَوا وكانوا يعتدون** » .

---

(13) تحميل الشيخ ابن عليـــوة نفسه مسؤولية الجريمة شخصيا استبعده ابن باديس ، وتحميله للطائفة ثابت مؤكد ولكن من فعل ؟ الله أعلم .

(14) قد يزوج الرجل ابنته البكر لشيخه دون ان يكلفه مهرا كبيرا بل ربما جهز ماله من عنده أما ان يبيح له ابنته أو زوجته سفاحا فهذا مستبعـد فى قومنـــا .

ولا أرى لهم من وسيلة تمحو وصمة هذا العار الكبير عن هذه الطريقة ـ بل عن كل الطرق ـ غير هذه ، والا فالجريمة بهم لاصقة لا محالة ، والتهمة عليهم متوجها وهم عما حدث مسؤولون ، وبه مؤاخذون ، لا سيما الشيخ ، وما ادراك ما الشيخ ؟٠٠ وانى اسأل هذا الشيخ نفسه بشرفه وانسانيته وايمانه بمعتقده ماذا يفعل رجل مثلى يكفر بكل هذه الطرق : طرق الفرقة والضلال (بل طرق القتل واغتيال النفوس) ويعتقد ان لا طرق فى الاسلام؟..

ماذا يفعل رجل مثلى يعتقد ان طريق الاسلام واحدة ، هى صراط الله المستقيم الذى دعا الناس اليه بقوله : « **وَأَنَّ هذا صراطى مستقيماً فاتَّبِعوه ولا تتَّبِعوا السُّبُل فتفرَّق بكم عن سبيله** » ؟

ماذا يفعل رجل اعتقد ان المسلمين كالجسد الواحد ، وآمن بقوله : « **انما المؤمنون إخوةٌ** » ماذا يفعل رجل هذه عقائده ، وماذا أفعل أنا ـ والامر بالمعروف والنهى عن المنكر والصدع بالحق واجب ؟٠٠ ماذا أفعل ؟٠٠

أأصرح بعقيدتى ، وأجاهر برأيي ومذهبى ـ وهو الكفر بكل الطرق الباطلة فى الاسلام فيعادينى الطرقيون ويقتلونى ؟ أم اعتنق أحدى هذه الطرق ـ وأنا لها كاره ـ واتجنس بجنسيتها مخالفا لضميرى واعتقادى ووجدانى ـ فأسلم من القتل ، فيقبلونى وربما عظمونى وأكرمونى ، ولكن بشرط أن أضل الناس وقد يضلونى ؟ أم اسكت عن التصريح بعقيدتى وأنافق لاهل كل طريقة فاعيش عيشة الهوان والصغار والذل والاحتقار ، أشعر من نفسى ويشعر العقلاء العارفون معى بمذهب الذبذبة والحيرة ؟٠٠ قل لى بربك، قل لى : هل على عبد الحميد ـ أو علي أنا ـ من عار اذا أعلنت عقيدتي وأبنت للناس فكري وديني كما أعلن الطرقيون أفكارهم وعقائدهم ودينهم الجديد لا بواسطة القول والكتابة والتأليف فحسب ، بل حتى بواسطة الغناء والتطبيل والرقص والشطح الطويل ، ولم يكفهم لإظهارهم لكل ذلك حتى حملوا به أعلاما خفاقة على رؤوسهم يجمعون بها أمرهم ، ويعلنون لكل الناس شعائرهم وما هم عليه ، ولم يخجلوا من ذلك ولا راقبوا الله فيه ولا استحوا لا منه ولا من خلقه ؟ أيفعل القوم كل هذه الافعال ويعلنون مذهبهم بمثل هذه الوسائل كلها ، ويتحدثون عن باطلهم ولا تأخذهم فى ذلك لومة لائم ولا هم ـ يجبنون ٠

ويراد منا ـ نحن معشر العلماء ـ أو طلبة الظاهر على رأيكم ان نبقى متفرقين غير مجتمعين ، ومتباعدين غير متجاورين ، وساكتين عن التكلم بالحق غير ناطقين ، ثم اذا نبس احدنا ببنت شفة قتلتموه وضربتموه غير مشفقين ، ولو أنصفتم لقلت : « **لكم دينكم ولي دين** » ؟ !

كان الواجب على جماعة الطرقيين أن يردوا على جماعة العلماء بالحجة الواضحة والكتاب المنير ۰ لا بالعصى والموسى وضرب الدفوف والمزامير !۰۰

نحن لا نحارب احدا من الطرقيين بعصا ولا موسى ، ولا نضربهم بمدية ولا (دبوس) وانما نبين عقائدنا بالنطق واللسان والكتابة بالبنان ، ونحتج لصحتها بالدليل والبرهان ، فهل هم فاعلون كما فعلنا ؟ وهل ينصفوننا كما أنصفنا ؟ وقد علموا قوله عز وجل : « **وجزاءُ سيئةٍ سيئةٌ مثلُها** » هذا اذا كنا في نظرهم قد أسأنا ، وقد قرأوا قوله تعالى كما قرأنا : « **فمنِ اعتدَى عليكم فاعتَدُوا عليه بمثل ما اعتَدَى عليكم** » اذا اعتقدوا ان بذلك وبه سلمنا ۰

أفما كان الاليق والاولى بهم (ان كانوا مسلمين) ان يجازونا من جنس ما أسأنا به اليهم ، وان يعتدوا علينا بمثل ما اعتدينا به عليهم ، فيبقى (الكلام مع الكلام) والكتابة مع الكتابة ؟

ولكن ما لهم يعملون عمل الوحوش وشرار النفوس ، ويردون علينا بالضرب بالموسى والدبوس ؟ !

ما هكذا ـ يا معشر الطرقيين ـ تكون الدعاية ولا بهذه الوسائل تنشر الطرق والمذاهب ، أحسبتم ان (القوة تغلب الحق) ، كما قالوا ؟ كلا وألف من جنس كلا ! ان الحق قوة سماوية لن يغلبها فى الدنيا غالب ، وان كثرت العصى و (الدبابيس) والامواس واختلقت فى مقاومتها المشارب ، فارجعوا الى رشدكم ، وأنيبوا الى ربكم ، وتفكروا ـ ولو قليلا ـ فيما انتم فاعلون ، لعلكم بعد التفكر والنظر الى طريق الحق تمتدون ۰

هذه ملاحظتى ازاء هذه الحادثة ابديتها ، وكلمتى الحارة الى أهل تلك الطرق (على قارعة) أرسلتها ، وانهم هم الذين أنطقتنى رماحهم (لا بل

سكاكينهم وعصيهم) فنطقت وأساءوا الي وأساءوا الى الاسلام والمسلمين فحزنت واستأت ، ولو عملوا صالحا يحمدون عليه لحمدتهم على ذلك وشكرت ولكن أنى لهم ذلك ، وهم عن الحق معرضون ، وبالباطل والعبث مشتغلون ، « **وسيعلمُ الذين ظلموا أيَّ منقلَبٍ ينقلبون** » .

بسكرة ـ **الطيب العقبي**



الفصـــل الرابـــع :

الاعتداء على صاحب الشهاب :

الاستاذ عبد الحميد بن باديس

« الشيخ أبو يعلى الزواوى امام مسجد سيدى رمضان بالقصبة من عاصمة الجزائر علامة من كبار علماء الجزائر الاحرار ، محقق ، شجاع سلفى العقيدة ، طيب السريرة حميد السيرة ، بليغ القلم،سليم النية ، غر كريم،ينخـــدع بالمظاهر ـ لهذا سهل على بعضهم ان يغره بإرسال اللحى ، والاعلان بالقول بالتزام السنة ، والقيام بالأركان والذكر · فاغتر بهم ، وفتح لهـم قلبـــه ومسجده ومتن اتصاله بهم دون ان يبلغ درجة (المريد) ولكنه أثنى عليهـم ، وكتب هذا الثناء فى صحافة الاصلاح وفى صحافتهم · فلما وقعت حادثـــة السطو على الاستاذ ابن باديس عاتبه إخوانه من كتاب الاصلاح والنهضـــة وحمله أخوه (بيضاوي) مسؤولية عظمى ، وجعله شريكا فى الدم المهراق ، وكذلك فعل كاتب مغربي عظيم · وكان قصد الشيخ مبارك الميلي (بيضاوي) اثارة الشيخ أبى يعلى ، ودفعه للتصريح واتخاذ موقف صحيح ، وهذا ما فعله أبو يعلى فى هذا المقال الآول،وقد جاء من بعده مقالات سيأتي كل فى مكانه ··

والملاحظة أن أبا يعلى عين رئيسا للجنة الدائمة بعد تأسيس جمعية العلماء ،وابتعاد عمر اسماعيل عنها،وبقي وفيا لمبدئه ، شجاعا فى مواقفه، عظيم النشاط فى أعماله وكتابته، وقد لقب ـ فى العلماء ـ بشيخ الشباب وشاب الشيوخ، وكان يمتاز بقلب سليم وشفقه وحنان على أمته،وكثيرا ما تسيل دمعته رحمة على البائسين»·

قال فى « الشهاب » عدد 81 وقد صدر يوم الخميس 23 رجب 1345 هـ ـ 27 يناير 1927 م . : « لما كنت كثير الكتابة فى جريدة (الشهاب) الثاقــب

وعرفت بظهر الغيب الاستاذ آلشيخ عبد الحميد بن باديس المشرف على (الشهاب) • أنه قطب دائرتنا السلفية ، وانه من أسرة عريقة فى المجد المؤثل ذات امارة وشهرة منذ تسعة قرون ونيف ، وكان من قضاء الله وقدره أن اعتدى عليه بعض الاوباش الحمقى الذين لا يتركون أديما صحيحا ، وكان هذا المعتدى ـ على ما قالوا ـ من المنتسبين الى الطريقة العليوية ، وكان قد جرى ما جرى من الاخذ والرد فى الكتابة ، ما علم به القراء عموما والاخ (بيضاوى)• خصوصا قبل هذا الحادث الملم المليم وكنا نظن انا مدنيون متمدينون بمدينة فاضلة، محكومون ومقيدون بشريعة عادلة، فلا حكم للمتوحشين، ولا ما يؤذون باعتداء المعتدين ، ولكن جرت سنة الله فى أرضه وحكمته فى خلقه ان يوجد الخير والشر ، والخير والشرير ، ولا مانع لما جرى به القضاء الذى نرضى به ولا نرضى بالمقضى ـ لما كنت كما ذكر فلابد من نشر كلمة لى فى الشهاب ، وهى كلمتي فى القضية •

اني أبرأ الى الله وأتبرأ من هذا الفعل الفظيع الذى ندعو الله ان ينزل عذابه ولعنته فى الدنيا والآخرة على من علم به ، أو له يد أثيمة،أو رضى بتلك الجناية التى لا تغتفر • ونتبرأ ممن يظهر فى الظاهر القانوني الشرعي أو ثابت فى الغيب ونفس الامر انه مشارك فى هذه الجناية كائنا من كان •

ثم بقى ان أقول : انه لا ينبغى بحال ـ ونحن سلفيون إسلاميون شرعيون مقيدون بالقوانين الإلهية والدولية ـ ان تكون أعمالنا من قبيل الرجم بالغيب أو التشفى والانتقام ممن عسى أن يكونوا برءاء ، اذ لا حكم للعقل وحده بل ومقيد بالشرع (1)،نعم لان العقل يحكم بتهمة جماعة من أهل هذه الطريقة انهم محرضون ويحكم انهم مسؤولون هم وشيخهم ، ولكن يحكم كذلك انهم بريئون ، فلا ينفك فى التصور بين هذين الحكمين ، فالحكم لله العلي الكبير، ثم الدولة(2) وما دمنا مقيدين بالشرع وكنا لم نزل ذوى حملات على الباطنية قد نقع فيها ، ومن قدر على ذلك وبرهن لنا فنحن معه ان شاء ان ينتقم بأيدينا

---

(1) فى هذا رد على المعتزلة الذين يحكمون بالحسن والقبح ويزعمون ان الحسن هو ما حسنه العقل ، والقبيح ما قبحه •

(2) يريد بالدولة السلطة القضائية هنا ، وهى مستقلة عن السلطة التنفيذية أو يجب ان تكون كذلك •

ننتقم ، والا فلا نزيد فى العداوة الممقوتة والحماقة المذمومة كما فعل الاخ البيضاوى فى مقالته الاخيرة اذ قال هكذا بالحرف :

(من الحيف ان نحرمه ـ يعنى أياي ـ حقه من هذه المسؤولية) وذلك بعد ان قال بما يجعل الشيخ العليوي نفسه بريئا اذ قال هكذا بالحرف : (هذه آ راء أبديتها لم أرد بها نفع ابن عليوة ولا ضره) وهذا تطرف وغلو ·

لم أكن لأظن فى ألذى تأدب ذلك الأدب والذى قابلناه بمثله أولا ان يتبع ذلك بهذه السيئة ، وانه لا يبعد ان يجعل جميع من يعرف علويا ـ وهم ثمانون ألفا على ما صح (3) ـ مسؤولا ، ويصح عند ذلك ان يدخل الاخ البيضاوى ـ فى هذه القضية ـ العالمين ـ عموما ـ والجزائريين خصوصا ، ورحم اللـه الامام الشعبى السلفى الحقيقى اذ قال حينما قيل له كيف تعرف عقل الرجل ؟ « اذا كتب فاجاد » واخونا البيضاوى كتب فاجاد فاذا محا حسنة بعشر سيئات فلا أفعل ذلك معه بل أقول ما قال يوسف « **والله المستعان على ما تصفون** »·

« **الـــزواوي** »

(3) هذا تهويل فى الاحصاء ، تارة (يصححون) أن عددهم كما هنا ، ومرة أخرى يرفعون العدد الى أربعمائة ألف ! والحقيقة أنهم دون ذلك بكثير ·

الفصـــل الخامـس :

الى الناقـد الخبـير :

كاتب هذا المقال الشيخ محمد زغَيْلش (*) احد الأدباء المعروفين فى مدينة قسنطينة ، وأحد المتخرجين من المدرسة الإصلاحية الملازمين لدروس الأستاذ ابن باديس والمعجبين بتلميذه مبارك الميلي · وقد كان لمقاله الذى مر ـ ابن ملجم القرن العشرين ـ صدى كبير تعبر عن بعض رنينه هذه المقالة ·

قال فى الشهاب 81 الصادر بالتاريخ السابق :

« إليك يا صاحب القلم السيال،والعلم الصحيح،الذى لا يخشى فى سبيل الدفاع عن الدين لومة المبتدعين ، ولا سطوة المتوحشين ·

اليك (يا بيضاوي) أقدم ثنائي العاطر ، وتشكراتي القلبية،على ما قمت ـ بل انفردت ـ به من الذود عن الدين الحنيف، والاصلاح بما أمر الرسول ·

حقا انك لمنفرد فى الإغارة على ناشري مذهب البدعة ومؤيدي حزب الضلال، منذ برزت جريدة (الشهاب) ، وأنت تحمل الحملات الشعواء فتمزق الكتائب وأفئدة « القوم » والقوم يعضون الأنامل غيظا منك ، ولكن ماذا يفعلون ؟

أى (1) بيضاوي هكذا ليكن المصلحون ، وهكذا فليدافع المحامون عـن كيان شرعهم القويم · لقد بردت الغليل ، وشفيت العليل ، فامض فى طريقك فالله مثبت أقدامك،وناصرك على أهل الابتداع · نعم إنك تتكلم بصراحـة وحرية ضمير ، ولا تداري ولا تركن الى المدارة ، ومعاذ الله ان تكون من هـذا القبيـــل ·

(*) ولد سنة 1891 وتوفى بقسنطينة بتاريخ 5 ماى سنة 1962 رحمه الله ·

(1) أى هنا لنداء القريب ، وتكون ـ أيضا ـ تفسيرية كما تكون بمعنى نعم اذا كان بعدها قسم نحو « أى وربى انه لحق » ·

أى بيضاوي؛انك تعلم ان اسمك ـ اذا ذكر أمام القوم وسمعوه ـ فروا منه سراعا ، كما تفر الجنون النازلة بالصرعى من اسم (شمهروش الطيار) ؟ ! ! أو كما يفر الشيطان من الأذان (2) ·

اطلعت على مقالك الاخير المعنون بـ : « ابن ملجم القرن العشرين » فرأيت فيه ذلك الكلام المنتقى ، والبلاغة الراقية والاسلوب المخترع ، والانتقاد الحر أو ـ المر ـ فاحدث بى شوقا اليك ، واعجابا بك ، وشغفا بقلمك البليغ ·

أنت اليوم يا بيضاوي صاحب الراية وقائد الجيش،فسل الحسام،وحدد المدية،وأحسن الطعنة ، ولا يكن طعنك الا فى النحور ·

اننا نعلق عليك الآمال فى هزم هذا الجيش الجرار جيش الشعوذة والتضليل (3) ، ونحن نسير خلفك نحمى ظهرك ، ونشد أزرك ونمدك بالآلات والحراب ، فى بعض الامور الصعاب · فامض أيها الامير ، ولا تتوان فى المسير، وعلى الله تذليل العسير ·

أي بيضاوي؛جزاك الله وأهلك جزاء الابرار فى هذه الدار ، وفى تلك الدار ، وزادك قوة ونشاطا على ما أنت عازم عليه ووفقك الى الصراط المستقيم، ونصرك على مخالفى شرعه القويم ·

قسنطينة ـ **محمد زغيلش**

---

(2) (شمهروش) اسم جني مشهور فى ألسنة العامة ، يذكر امام المصروع أو فى اذنه لطرد الجني (ساكن) المصروع فى زعمهم أو المتظاهر بالصرع · فيفر منه ويفيق المغشى عليه من إغمائه · واذا صرع أحد الناس ـ وخصوصا من النساء ـ يدعى (طالب) لطرد الجني فيتقدم ويشعل فتيلا يدخن ويقربه الى انف (المصروع) ويقرأ سورة الجن ، ثم يدخل فى محاورة ـ مع الجني المزعوم الذى يملي شروطه ، وأثناء ذلك يخوف بـ « شمهروش » فيفر، وهى تمثيلية هزلية يحسبها البلهاء حقيقة ·

اما الشيطان فقد صح فى الحديث أنه اذا سمع صوت الأذان ولى مدبرا سريع الفرار وله ضراط ·

(3) تحقق هذا الامل بالمقالات المتتالية فى جريدة البصائر (السلسلة الاولى) تحت عنوان « الشرك ومظاهره » وقد جمعت فى كتاب تحت هذا العنوان ، وهو كتاب علمى نفيس ·

الفصـــل الســـاس :

الى الخطيب أبى يعــلى :

« هذا كاتب كبير ، وعالم جليل من علماء القطر المغربى الشقيق الشيــخ محمد بن أبى بكر السلاوى ، تألم من حادثة محاولة الفتك ، وشارك بقلمه فى الانتاج الذى صدر اثرها • وكان علماء المغرب يشاركون اخوانهم الجزائريين فى مهاجمة البدع والضلالات وفى الدعوة الى الكتاب والسنة لان المغرب ـ مثل الجزائر ـ كان يئن تحت وطأة الجهل والجمود والفساد فى العقيدة والاعمال، والغرق فى الدجل والشعوذة والاستغلال ، من أقوامٍ لا يخافون الله ولا يرقبون فى أمتهم الا ولا ذمة • وقد أثرت « الشهاب » فى المغرب تأثيرا كبير وكاد لها المستغلون هناك فمنعت من دخوله ، وهذا مثل من شعور واحساس اشقائنا بالمغرب • وقد نشر المقال فى العدد 81 من الشهاب أيضا بالتاريخ السابق » •

قال الشيخ محمد بن أبى بكر السلاوى :

« الآن وقد تناولت عدد 76 من مجلتنا العلمية « الشهاب » الاغر ، فلم امعن الفكر واسرح النظر نحو (تلك الاشعة المنبعثة من أفكار ذوى الآراء الراقيــة والانظار السامية ، حتى فجعت بقضية الفتك بالاستـــاذ الحبيب سيـــدى عبد الحميد بن باديس ، فبقيت بين تيار كهربائى يدفعنى عن الخوض فى هذا المبحث الصعب المرقى ، وبين مغناطس فعال يجذبنى اليه ويأمرنى بابداء ما يوحيه الفكر ، وترددت هل يكون الخطاب متوجها الى الاستاذ ـ اذ هــو الذى جنى على نفسه حتى ضحى فى سبيل حياة أمته أنفس شىء يملكه المرء وهو حياته • أم الى الشيخ العليوى وهو الذى تخرج به من استوى عنده اباحة سفك الدماء وحرمتها حتى ازمعت أمرى على ان يكون الخطاب متوجها الى حضرتــك •

ولقد تربصت مليا ريثما يتمحص لى الحق ، فلم أر ـ بعد البحث ـ أحـدا جنى على الاستاذ الا اخوتك ، ولا سعى فى نشر طريقة العليوية الا اشباهك من ذوي الجاه والنفوذ والتظاهر بمظاهر العلم ٠

ان الشيخ ابن عليوة لم يرث التصوف عن آبائه ميراثا ادبيا فنقول : ان النفوس مجبولة على حب القديم ، ولا عرف بعلم يميزه على باقى الطرقيين فنمنحه وصف التهذيب وارشاد الخلق الى الحق ٠ بل لم يكن الا تاجرا شأن المتجرين فى الحطب والملح كما فى صفحة 43 من ديوانه ، فلما رأى ان التجاوة فى العقول أفضل من التجارة فى الملح وشاهد أن الخلق قد الفوا الكســل بما احدثه بعض المتأخرين من كثرة الثواب الخارج عن طور العقل على العمل التافه ، هجر الاولى للثانية ، واختار ان يكون تاجرا فى العقول أفضل منـه فى البضائع ، ومعلوم ان طريقة هذا أساسها لا يمكن ان تنتشر لولا ان هناك دواعى للنشر اذ انقياد الخلق الى شيخ لا يتميز عنهم الا بالبزة بحيث يصيرون راغبين فى سفك دم كل من يتعرض للشيخ وطريقته ـ من أغرب ما ينقله التاريخ ، بحيث لو جوز العقل مثل هذا لاصبحت بقاع الارض مملوءة بالمشائخ لما ان المشيخة أصبحت المتجر الرابح ، والرئاسة التى ليس وراءها مطمـح لمن يسعى فى الجاه ، وقد طبقنا دواعى الخلق على الشيخ فلم نجد منها ما يميزه عن مطلق السماسرة ، فان كان من جهة المجد المؤثل ، وان الشيخ عريق فى المتصوفين فالناس يرغبون فى سفك الدماء الطاهرة حبا فيه لاجل سمعـة اسلافه كما هو جل شأن مشائخ اليوم ـ فالعليوى مفسوح من هذه الحالـة المـــزورة ٠

وان كان من جهة المعلومات فهذه تآليفه بين أيدينا لم نر فيها ما يصـح اطلاق لفظ العلم عليه فضلا عن ان يكون للشيخ ما يستوجب به هذه الشهرة وبعد الصيت ٠

وان كان من جهة اطعام الطعام ، وهو أحد موجبات الشهرة اليوم ـ وان كان نادرا فى السماسير ـ فالذى يملكه الشيخ لا نسبة بينه وبين بضاعتـه بالامـس ٠

فلم يبق الا ان هناك عوامل فعالة ليس هنا محل بسطها ، اذ انقياد مثـل الشيخ أبى يعلى ـ وهو الذى وصف نفسه فى جريدة الشهاب بكونه فقيها

عالما متبصرا كاتبا خطيبا ـ الى الشيخ العليوى ـ وهو من هو ـ ليس من السهل عند من يعانى مقالاته سيما ووضع الرأس فى سلسلة الشيخ ـ لا محالة ـ يؤدى الى وضع الاغلال فى اعناق البسطاء فتوجه الانكار الى الشيخ وهو الذى حدثنى عن خلوته الشيخ الامام المحدث أبو حفص سيدى عمر بن حمدان التونسى أصلا ، انه يدخل المريد الى بيت مظلم يعده برؤية الله جهارا ان مكث فيه ثلاثة أيام جائعا ساهرا ـ من وضع الحكمة فى غير محلها ولوم ذلك الشقى ، وباخوتكم اقتدى فى الاخذ عن الشيخ حتى اسلم نفسه فى سبيله ـ ظلم له فى الحقيقة ، فلم تبق القضية مقرونة الا بكم ، فلولا انتم وامثالكم لم يبلغ الشيخ العليوى من الاشقياء مبلغه اليوم ولولا الهيام بنهب ... العليوى ما كنت لتدع نقد الديوان الذى ملأه الحادا فى اسماء الله وصفاته ودعاوى تنهد لها الجبال ، وعجائب لا يفوه بها الا من ولج المارستان (1) ـ وتشتغل بشيخ السنة السيوطى وأمثاله وهذه آثاره العلمية المدهشة للالباب زعمت انك صيرتها أحجارا بالفعل كما صرحت بذلك فى تعقيبك على .

عذرناك بالامس بعد ان نقضنا ردك عروة عروة بكراسة بعثنا لكم بها عن طريق الشهاب أثر ردك ، كان الخير فى عدم نشرها ، ولكن لم يخطر بالبال انكم من اتباع العليوى ، وممن يتشبثون باذياله اذ يبعد كل البعد ان يكون ذلك الفكر الذى لم يبال بالسيوطى والشعرانى والخواص منقادا الى شيخ لم يشذ عنه من أقوال الباطنية الا ما جهله ـ حتى رأيت اقراركم الكاتب البيضاوى على ما نسبه لكم فعلمت ان خطتكم لا تخرج على نهج اتباع مشائخ اليوم من قصرهم المحاسن على مشائخهم دون باقى المشائخ . فأخوتكم لم تقصد اظهار الحق بكتابتها ولا لها رغبة فى ايضاحه اذ لو كان ذلك المراد لما شددتم النكير على السيوطى فى شىء نرى كتب شيخكم مملوءة باضعاف اضعافه ، ونحن الى نقد أقوال أهل العصر أحوج ، ولو كان مرادكم بمقالتكم « توحيد التربية » ارشاد الامة الى جادتها لما مكنتم ناصيتكم من العليوى ، وقد علمتم ان البلبلة لم تأت الامة الا بتشعب الطرق واختلاف الآراء حسب الاهواء، وادعاء كل طائفة انها على الحق وان غيرها على الباطل .

(1) هذا الديوان ما يزال موجودا فى السوق وآخر طبعة صدرت منه هى الخامسة وهو كما قال الاستاذ السلاوى واشنع ، واصرار القوم على التمسك به عجيب وجهل فظيع .

فان لم يبك الموحد طول حياته ، فليذرفها الآن دموية تعزية لامة تـذم السيوطى ، وتمدح العليوى . وان لم يتعجب الانسان طول حياته فليتعجب من كاتب يحذر الامة من دسائس الباطنية ـ وهذه تآليف قدوته كشرح المرشد ، والديوان من ذلك القبيل . وان لم يعرف الانسان مبلغ الغيرة الدينية من المشائخ فليعرفها من العليوى حين أوفد من يقضى على حياة الاستاذ سيدى عبد الحميد جزاء ارشاده له . وهذا تلميذه ، وقد ذكر السيوطى واشباهه في معرض النقص فلم يكفه ولو بكلمة واحدة ، مع ان الشعرانى هو الذى بذل مجهوده فى انقياد الخلق الى التصوف حتى صارت تآليفه منتهى رغبة المتصوف وغاية دليل الادعياء فى طريق القوم رضى الله عنهم .

بأى شيء يعتذر عن الشيخ العليوى ؟ هل بكونه هو المجدد على رأس هذا القرن لهذه الامة أمر دينها كما ادعى ذلك فى ديوانه ص : 34 و 57 ، فهو مأجور على دعاويه ؟ أم بكونه يحسن الكتابة الى البوليس فمن فوقه ذا شجاعة وأدب وفهم كما ادعيت في عدد 70 من الشهاب ؟ هيهات هيهات لو كان مثل ما ذكر يقبل فى الاعتذار لوجب عليكم الاعتراف بان تعقبكم على السيوطى ـ وهو الذى وضع عقله فى طبق واهداه الى الامم نائيها وقريبها فافتتنت بسعة معلوماته ـ من قبل الهذيان .

ان ابن عليوة في نظرنا ليس له من كل ما ذكر الا حسن السياسة التى تعود على مشيخته بالمنفعة واقتفاء ما حكاه العلامة القرافى فى الاجوبة الفاخرة عن الاسئلة الفاجرة في الخلوة . فان يرد المنتقد التحقق فما عليه الا ان يلتفت الى تآليفه المطبوعة وبالاخص الديوان فيطابق الاوصاف كل الموصوف . فان كانت تلك (العصائد) الخارجة عن نهج اللغة والادب والموازين الشعرية ـ هو الادب الذى وصف به الشيخ فكل ما سوى الله من شجر وحجر أديب ، وان كان أدبه فى شخصه فنحن لا نعرف الشيخ الا من كتبه وأوصافه التى حكاها لنا من عرفه سنة 39 لا من شجاعة فى الديوان الذى ينعقد فى أرض السمسمة وراء قاف ولا مبيضات مكاتبه للبوليس . فان كان المثال هذه المحاسن هى التى عاقتك عن ان تبدى الحقيقة فى الشيخ فنحن لا نزيدك دليلا واضحا على ذلك الشخص الذى أمره الاصحاب بدفع واجب المشيخة للشيخ فأبى حتى اذا ألحوا عليه وأبوا الانصراف عنه الا بصبابة ما له عمد الى الزى

العليوى فبعث به اليه صحبة لحيته • وان كان المانع غير ما ذكر فالحمد لله الذى اظهر سلفيتى فى السيوطى ولم أسند عند سبحة ولا شاشية ولا خرقة • واظهرها لكم فى العليوى على انى لو كنت مكان هذا الرجل لبعثت الى الشيخ من الشعر ما طلب منى الشارع حلقه أفضل من ان أعمد الى لحيتى فاجعلها وسادا فى دار الشيخ أو لفافة وسط لفائف المجرمين فى الخلوة • الله أجل وأعظم من ان يتخذ فى خلقه شعارا عليويا يجىء باعتناق الطريقة ويذهب بالانسلاخ منها • وهو أقدس من ان يكل اللحية الى الشيخ فله اخذها وقت ما شاء ، فما فعله هذا المسكين فانما هو جناية جناها على جسده زيادة على ما جناه قديما على كيسه •

ولعلى يا أخى لو كنت مكانك ورأيت ما تحمله صديق الجميع الاستاذ سيدى عبد الحميد فى شخصه رغبة فى حياة ذلك البيضاوى واحتراما لمكاتبيه، لما وسعنى الا ان أنفض يدى من كل ما يشوه الاسلام ويلطخ جوهره الصقيل، أو أصرح ببعض أعمالهم الوحشية تنزيها للتصوف وسادات القوم ، الحقنا الله بهم • فاقدر يا أخى قدر الجاهل لا قوة له سواك ، وانظر لمثل ذلك المسكين الذى اغرى على مثل الاستاذ كيف أصبح يتحمل ضنك العيش فى أعماق السجن تاركا أهله وأولاده يسكبون على فقده العبرات ، ويترددون على الابواب يلتمسون ما يسدون به الرمق ، وأرحم جماعة طالما ختم على انفاسهم اختام العصر تجلى لهم الشيخ فى الخلوة فى أوصاف الجزار ، بعد أن كانت مواعظه تحبس الامطار ، ولتكن يا أخى على يقين ان السكوت على هؤلاء الادعياء هو الذى جر الى انكار التصوف من أصله ، فكف هؤلاء واذاعة مثالهم من احترام أولئك الاتقياء ولتعلم ـ أخى ـ أنى لست من الذين ينكرون المحاسن للسيئات ، ولا من الذين يهجرون الحبيب للذنب الواحد . فانى رغما عن تعريضكم بى فى غير ما مقال ـ لا أنسى شجاعتكم فى كلمات ابكيتمونى بها فى مقالكم الاخير • فلا تنسانا ـ أخى ـ من جنسها ، فانى اليها فى غاية الاشتياق •

والله يقول الحق وهو يهدى السبيل •

محمد بن أبى بكر السلاوى وفقه الله

فاس 9 رجب 1345 هـ•

الفصـــل السابـــع :

ومجـــرمون أيضـــا ...!

كاتب هذا المقـال هو الأستاذ محمـد العـزوزى حوحو (*) وهو أديب كريم من آل حوحو العقبيـين ، وهو والـــد وزيرنا للصحة اليوم ، وعضـو اللجنة المركزية ، ومن تلاميذ الشهاب ومدرسته وزعيمها الشيخ عبد الحميد ابن باديس رحمهما الله ، وهو أديب متأنق فى أسلوبه ، متين اللغة،فصيـح العبارة،لم يرو له كثير لأن المنية اختطفته وهو ما يزال فى عز شبابه، وكلمته هذه تنبىء عن عراقته فى الأدب العربى القديم وعن تشبثه بأسلوبه وحفظه لأمثاله مع حسن التصرف والتفنن والحيوية ، ولعل له آثارا أخرى لم تنشر ، فحبذا لو عمل نجله على نشرها فيسدي للادب العربي الجزائري الحديث خدمة جليلة٠

قال الاستاذ محمد العزوزي حوحو ونشر مقاله تحت العنوان « ومجرمون أيضا٠٠٠! » فى العدد 8 من الشهاب الصادر فى 30 رجب 1345 هـ ، الموافق 3 فبراير 1928 م٠

بـخ بـخ سـاق بخلخـــال ! (1) :

مرحى مرحى عصبة الكسل ! أنصار الخمول ! زمرة التوكل،يمثلون دور جمعية فدائية ! أو دفاعية تسفك الدماء ، تقتل الابرياء !٠٠

(*) ولـد فى سيدى عقبـة فى شهـر سبتمبر 1904 ، وتـوفى بقسنطينة وعمره (40) عاما فى شهر سبتمبر 1944 رحمه الله ٠

(1) مثل عـربي جاهلي يضرب مثلا فى التهكم والهزؤ مـن الشىء لا موضع للتهكم فيه ، وهو من قول امرأة لضرتها ٠ وكلمة : بخ بخ اسم فعل بمعنى عظم الامر وفخم ويكون للرضى والاعجاب والمدح والفخر ، وكلمة مرحى كلمة تعجب تقال للذى أصاب المرمى ٠

حقـا ان الليـالى امهـات العجائـب :

سمعنا بالجمـل استنوق ، وبالبغاث استنسر (2) وباستحالة الاناثى الى ذكر ، ولكن ما سمعنا وما كنا نظن ان جماعة اللحى والقصع الثريديـــة ! أرباب الاحوال والنيات ... رجال الرقصات والشطحات ... الزاهديـن القانعين يزهقون أرواح الذين يقفون عثرة فى سبيل معايشهم ..!

بالامس صرع (النديم) والامس ضرب صاحب النجاح ، واليوم يقـع السطو على الاستاذ عبد الحميد بن باديس ! لانهم انتقدوا سلوك الطـرق والطرقيين من نهب وسلب ودجل وضلالة وتضليل .

أعجوبة ــ وسيدى المربى ــ لا اعجب منها لانقياد هاته الامة ولا انقياد الاعمى للبصير واستسلامها ولا استسلام المستضعفين لهـؤلاء اللصـوص المجرمين .. وأولياء الشيطان المفسدين .. !

مهلا رويدا شيخ المجرمين ! ان كنت ريحا فقد لاقيت أعصارا ! أرسلت منومك ليقضى على أستاذ المصلحين قضاء مبرما فتستريح مـن مـر الانتقاد ويخلو لك الجو فتبيض وتفرخ وتصفر وتنفر آمنا مطمئنا (3) .

أرسلته وأوصيته بان يشمر الذيل ، ويدرع الليـل ، ولكنه لم يحفـظ تعاليمك ... ولم تنفعه بركاتك من بعيد ؟ فاخفق فى مسعاه جالبا عليك سبة الابد ، وعارا لا يمحى دهر الداهرين . فتقلدها طوق الحمامة يا أيها المجـرم الافاك السفاك الاثيم !

لا تحسبن طعـان عبس بالقنـا وضرابهم بالبيض حسو الثرتم (4)

سلبتم الناس أموالهم افسدتم عليهم دينهم ومالهم ، نفرتموهم من كـل ما فيه صلاحهم ، عبثتم بشرفهم ، واستحللتم رؤيـة نسائهم ، والآن فهـل

---

(2) البغاث من ضعاف الطير ، وفى المثل : (ان البغاث بارضنا تستنسر) أى تعتز بجوارنا وتدعى انها انقلبت نسورا . وقال الشاعر :
بغـاث الطـير أكثـرها فـراخا وام الصقـر مقـلاة نـزور
(3) راجع الى قول كليب وائل للقبرة :
خلالك الجو فبيضي واصفرى ونقرى ما شئت ان تنقرى
(4) الثرتم : بضم المثلثة والمثناة : ما فضل من الطعام والادام فى الاناء أو فى القصعة خاصة ورواية اللسان (قيس) بدل عبس .

تستبيحون دماءهم أيضا ؟ عبدتم المالك المعبود ، برقص وقفز ولا كرقص وقفز القرود ، وذكرتم الله بأصوات منكرة دونها نهيق الحمير وجلبـة الفهـود ، عاديتم علماء الدين ، واعتديتم على المسلمين ، والآن نراكم تبرزون في صورة المقاتلين ··· « **ومن يَقتُل مؤمنا متعمِّدا فجزاؤه جهنمُ خالداً فيها وغضِبَ الله عليه ولعنه وأعدَّ له عذابا عظيما** » ··· يأولياء الله الصالحين ···

اشركتم بالله وسرقتم ، وآتيتم البهتان من بين أيديكم وارجلكم ، وعصيتم فى معروف (5) فهل انتم ـ بعد ـ أولياء الله أم أولياء الشياطين ؟ يا أبناء صفوة المقربين ··؟ ما بالكم ـ لا ابالكم ـ هل عميت عنكم معالم القصد ؟ واستبهمت عليكم سبل الرشد ، فنسيتم سنن آبائكم وأجدادكم الخاملين ·

فأين أنتم من أولئك الذين يرون الموت مغنمة وأعـلى درجات التوكـل التوسل ··· واذا ما سرقوا حمدوا الله على ان لم يكونوا ظالمين أم حضرتكم عصريون ؟ ···

كفى ، كفى برح الخفا وظهر الامر لذى عينين ! انتم مجرمون انتم سفاكون، أنتم عالة على الناس وعبء ثقيل على كاهل الحياة ، بل أنتم الموت ، فاليك عنك يا موت اننا أحياء وما نحن بميتين ! ···

محمد العزوزي حوحو

---

(5) اشارة الى ما يبايع عليه المسلم عند اسلامه وهى بيعة النساء وبها بايع أصحاب العقبة ليلة العقبة كما فى حديث عبادة ابن الصامت ، وقد جاء نص بيعة النساء فى الممتحنة : « **يايها النبي إذا جاءك المؤمنات** » الآية ·

الفصـــل الثــامــن :

1 ـ صدى الاعتداء على الأستاذ فى الأزهر الشريف :

« كان لمحاولة الفتك بالأستاذ ابن باديس صدى كبير فى جميع انحاء المغرب كما كان له صدى بمصر وفى وسط الطلبة المجاورين بالازهر الشريف ، وقـد بعثوا برسالة من انشاء وامضاء العلامة الشيخ العربى التبسى الذى كان يتكلم باسمهـم ٠

والشيخ العربي بن بلقاسم التبسي أحد العلماء الأعلام ،كان يوم الاعتـداء ما يزال مجاورا بالجامعة الازهرية ، وقد ولد بولاية تبسة فى دوار السطـح عام 1892 م ، أو قريبا منه ، وقرأ القرآن بمسقط رأسه ثم بخنقة سيدي ناجي (الزيبان الشرقية) ثم بالجنوب التونسي بالجريد (نفطة) ، وهنالك بدأ طلب العلم ، ثم ارتحل الى تونس ، ثم إلى مصر،ومكث فيها أربع سنوات ، وكان بهـا أثناء : 25 ـ 26 ـ 27 ـ 1928 ثم عاد الى تونس وشارك فى امتحان شهـــادة التطويع (العالمية) فنالها ورجع الى الجزائر فانتصب لخدمة العلم سنوات بمدينة تبسة،ثم انتقل الى مدينة سيق ـ شرقي مدينة وهران ـ ثم عاد الى تبسة حيث أسس مدرسة تهذيب البنين وفتحها عام 1934 م ، وأسس بقربها مسجدا جامعا حتى تكون له تجربة التعليم والتبليغ ٠

الشيخ العربى من أقطاب النهضة الجزائرية منذ أيامها الاولى،ظهرت آثـاره الدينية والفكرية والقلمية والعلمية حينما كان ما يزال طالبا ، ثم كان أحـــد الرجال المكونين للأجيال،ترك ـ حيثما كان ـ فى تبسة أو سيق أو قسنطينة أو الجزائر ـ طلبة وتلاميذ فى قمة التحصيل والعمل المفيد ٠



الشيخ العربي بن بلقاسم التبسي

وقد كان عالما محققا ، ومدرسا ناجحا ، ومربيا مقتـــدرا ، وكاتبا كبيرا ، يمتاز أسلوبه العلمى بالعمق والمتانة ودقة المعلومات ، لكنه لم يترك آثـــارا كثيرة لاشتغاله ـ طول حياته ـ بالتدريس ، وما تركه من آثار يسيرة يبرهن على مكانته العالية فى الكتابة ، وكما كان كاتبا كان أيضا خطيبا مصقعا ، ومحدثا لبقا، ومحاورا ماهرا، يمتاز بحضور البديهة والمقدرة علىالاقناع القلبي والفكري وحسن البديهة ، وله فيها أمثلة رائعة ·

وله قصص طويلة مع الاستعمار من اعتقال وسجن وتغريب حتى انتهى باستشهاده أثناء معركة الجزائر ، وبالتدقيق يوم 4 أبريل 1957 م ـ الموافق 4 رمضان 1377 هـ ، اختطف من داره بجوار مسجد طريق التوت ببلكور الذى كان يلقى به الدروس ، ولم يظهر له اثر ، فهو من جملة 6000 شهيد كان مآلهم مآله،رحمهم الله ورضي عنهم · وهذه الكلمة التى بعث بها من الأزهر تعــرب إعرابا صادقا عن أفكاره وعواطفه والتزامه وعهده لابن باديس ان يكون بجانبه فى خدمة الدين والوطن ، وانها فى الحقيقة لمبايعة صريحة ، وقد وفى بالعهد ، وقدم نفسه فداء لدينه وأمته ·

قال الشيخ العربي بن بلقاسم التبسي وقد نشرت رسالته هذه فى عـــدد الشهاب 82 الصادر فى 30 رجب 1345 هـ ، الموافق 3 فبراير 1927 م ، بعــد مقدمة نصها « ننشر مع الشكر الجزيل هذا الكتاب الشريف من إخواننا الأزهريين الدال على غيرتهم على دينهم ، وتعلقهم بوطنهم،حامدين الله تعالى على ما نتحققه من خير المستقبل للجزائر على يد هؤلاء الأبطال المجاهدين فى سبيل العلــــم والديــن ».نص الكتاب :

واذا العنايــة لاحظتــك عيونهــا   نــم فالمخــاوف كلهــن أمـــــان

الى صاحب الفضيلة الاستاذ الجليل الشيخ عبد الحميد بن باديس اطــال الله بقاءه ، السلام عليكم ورحمة الله وبركاته ·

اما بعد ؛ فنهنى أنفسنا ونهنى العلم وآمال الامة ونهنيك بالنجاة من كيد من ابتلى الله به الدين والامة والعلم والقومية ، وانا لما أصابك لفى غم يونس وحزن يعقوب ونشكو الى الله التقصير،ولئن أوسد بك هذا الكلب (1) فلــك

(1) اوسد الكلب بالصيد اغراه به وشلاه عليه ·

بابن أبي طالب (2) ـ جعل الله أجلك أفسح من أجله،وقارب بينك وبينه في عظيم الأجر ـ ما يملأ النفس عزاء والقلب رضى ، وان جل الخطب وعظم المصاب وان ما نزل بك ـ من القضاء الذى لا محيض عنه كان علينا ـ جيرة الأزهــر الجزائريين ـ أوجع نبإ،ولئن كانت فئة العليويين المارقين ومن سيحشر معهـم قصدوا من عدوانهم على الأمة في شخصك ان يسكتوا داعي الله ، فكاني بـك وأنت الأسد الهصور مسمعهم كلمة من أنت أعلق منه بالمعالي ـ يـوم ان سامه بعضقومه مثل ما سامك ـ منهومعدود منا مساكنة ـ : «أيها السادة اذا تقدمت فاتبعوني واذا تأخرت ـ وحاشاك ـ فاقتلوني واذا قتلت (لا قدر الله) فخذوا بثأرى » فستجد أصحابك ليس أقل غيرة عليك من أصحابه وان اختلف ظرف المكـــــان ٠

القاهرة 1 رجب 1345 هـ ـ 16 يناير 1927 م ،

عن جيرة الازهر الجزائريين : **العربي بن بلقاسم التبسي**

---

(2) ابن أبى طالب هو الإمام علي كرم الله وجهه فى الجنة فتك به الشقي عبد الرحمن بن ملجم فى 17 رمضان عام 40 هـ ، وهو اشقى هذه الامة كما فى الحديث ٠ قتل علي وعمره 63 سنة ، ومات ابن باديس وعمره بالتقويم القمرى 52 سنة (1307 هـ ـ 1359 م) ٠

2 ـ متانـة أسلوبـه العلـمي :

لا تكاد كتابات الشيخ العربي رحمه الله تخلو من رموز وإشارات خفية الى أحداث تاريخية أو آيات قرآنية أو نصوص أدبية،يتفطن اليها العلماء والأدباء فيلذ لهم ذلك ٠ منها ما في هذا المقال القصير ٠

فهو يشير بقوله : (وإنا لما أصابك لفي غم يونس) الى ما جاء في القرآن الكريم عن يونس عليه السلام وقد استبعد إيمان قومه فخرج عنهم دون اذن ربه فابتلاه اعظم بلية قال تعالى : « **وذا النون اذ ذهب مغاضباً فظن ان لن نَقْدر عليه فنادى في الظلمات ان لا اله الا أنتَ سبحانك اني كنت من الظالمين فاستجبنا له ونجيناه من الغمّ وكذلك نُنْجي المؤمنين** » ولا شك ان أعظم محنة وبلاء تلحق بانسان ما قال الله فيه : « **ونجيناه من الغم** » فهو المطلع على السرائر ٠ ثم يشير بقوله : (حزن يعقوب) الى ما جاء في سورة يوسف عن هذا الحزن فيقوله تعالى : «**وتولَّى عنهم وقال يا أسفَا على يوسُفَ وابيَضّت عيناه من الحزن فهو كظيم** » ، وقوله : « **قالوا تالله تفتأُ تذكُر يوسف حتى تكون حرَضاً أو تكونَ من الهالكين ، قال انما أَشكو بثي وحزني الى الله وأَعلمُ من الله ما لا تعلمون** » ٠

ويشير بقوله : (ونشكو الى الله التقصير) الى ما جاء في جواب الصحابي الجليل أبي الطفيل ـ وهو آخر الصحابة موتا ـ لمعاوية رضى الله عنهما ـ وكان أبو الطفيل من أصحاب علي وجنده في أيام الفتنة وكان من شيعته يقدمه على جميع الصحابة ولكنه يثني على أبي بكر وعمر ، واجتمع ذات يوم بمعاوية ـ في خلافته ـ فسأله عن مقدار وجده بعلي كرم الله وجهه فأجاب بما فحواه : ان

حزنه لأبلغ من حزن يعقوب على يوسف،واشفاقه اعظم من اشفاق أم موسى على موسى لما وقع بيد فرعون • ثم قال : (وأشكو الى الله التقصير) ونقلت الحكاية عن غير أبى الطفيل ، وانه وصف صاحبه عليا لمعاوية فى عدله وتقاه وتدينه فأثر فى معاوية حتى دمعت عيناه وترحم عليه ، رضى الله عنهم اجمعين •

ويشير بقوله : (فكأني بك••• مسمعهم كلمة من أنت أعلق منه بالمعالي•••) الى حادثة الاعتداء على الزعيم المصري المسلم العظيم سعد زغلول رحمه الله،فقد اعتدى عليه كلب عقور من قومه أشلى عليه كما أوسد بعبد الحميد من أراد ان يفتك به ـ وكلا الرجلين : سعد زغلول وابن باديس مسلم صادق الإيمان مخلص فى خدمة أمته ووطنه،وعبد الحميد ـ بخدمة الدين ـ أحق بمثل هذه الكلمة التى قالها زغلول وأعلق بالمجد الطريف والتليد ، كانت هذه الكلمة رائعة من سعد ، وقد أصاب الشيخ العربي رحمه الله فى تسلية صاحبها بها وقد كنى عن سعد بقوله : (من هو معدود منا مساكنة) • حتى لا يوقع الشهاب وصاحبه فى حرج اذ كان سعد زعيما سياسيا عظيما يفزع أسمه الاستعمار الاوروبي •



3 ـ جريدة الشهاب وصاحبها :

أريـد حياتـه ويريـد قتـلي عذيرك من خليلك مـن مراد

(فى هذه المقالة الثانية ـ التى دبجها يراع الشيخ العربى رحمه الله ـ أعرب عن عواطفه واحساسه الصادق نحو ابن باديس ومبايعته على العمل بجانبه وعلى نفس خطته لفائدة الدين وخدمة الامة والوطن ، ونعى على خصومه بانهم جناة ـ لا على ابن باديس ـ ولكن على الدين والامة اذا هم قتلوه وآذوه ، وان من واجب كل مسلم ان يخف لعونه وكف الاذى عنه .

وقد نشر المقال ـ كافتتاحية للشهاب عدد 83 الصادر فى 7 شعبان 1345 هـ الموافق 10 فبراير 1927 م ، وعنوانه البيت المذكور أعلاه .

قال الشيخ العربى بن بلقاسم التبسى رحمه الله :

(جريدة الشهاب ـ وايم الله ـ نعمة من نعم الله على شمال افريقيا عموما والجزائر خصوصا ، يجب ان تؤدى الشكر عليها لله خالصا ، وتشكر لمن كان ابن بجدة هذه اليد البيضاء حتى تستحق المزيد .

وجريدة الشهاب ظاهرة من ظواهر الحياة نرجو منها اثرا طيبا فى حياة الجزائر الدينية والادبية وفى سمعة الجزائريين الذين لا يكاد يظن ان فيهم ممن هو بمثل هذه الصحيفة جدير ، وجريدة الشهاب كنز من كنوز السنة ينقل الى قرائه ما لذ وطاب مما تقطع الاعمار قبل الوصول اليه ليقبس منها من يريد الله به خيرا .

وجريدة الشهاب مدرسة شعبية عصرية على احدث نظام واشهى أسلوب ، فيها تلتقى الديانة الاسلامية بالمدنية الصحيحة العصرية لا تفتا تهدى الى قرائها من مختلف العلوم وضروب المعارف ما تقربه العين وتحسد عليه الجزائر ٠

وجريدة الشهاب شعبة من شعب الامر بالمعروف والنهى عن المنكر اللذين هما ملاك صلاح الدين لا نزاع فى ديننا ما دام فى الامة من يؤدى منها اضعف الامر ولو بادنى الخصال (1) تلك خلال قد عرفها المحب والمبغض والنازح والدانى ، فهذه الصحيفة منذ ان درجت بين قرائها ، ونور صبحها ٠ فان غمط شيئا من ذلك غامط فقد أنبانا بجهله وحسر اللثام عن حسده، وقديما كان الحسد والجهل فوق باع المصلحين ٠ واصدق الظن الا تظل سماء الجزائر ، ولا تقل سهولها وحزونها من لا يرى فى عنقه ـ ما دام فى الفطر السليمة ـ انما خلق الاحسان للمحسنين ـ من لا يرى لمنشىء هذه الصحيفة ايادى له على قطان هذا القطر يوكل الجزاء عليها الى رب العرش ايادى فى هذه الاونة التى خفت فيها صوت أهل الحق ، وصار فيها الدين الى غربته (2) وامتدت الايدى الى دك حصونه دكا ، والتى جهلنا فيها كل ملة تربطنا بديننا ولغتنا وقوميتنا . افلا يكون فرضا حتما علينا ـ ان نحن لم نتول معه أمرها ونشد عضده ـ كما هى فطرة الله التى فطر الناس عليها ـ ان نكف عنه الشر ، ونقطع عنه هذه الالسن التى لم يخلق الله الا فساد لغيرها ٠

ولعمري ان صحيفة تؤدي للأمة هذه الأعمال الجليلة ـ وحاجة الأمة اليها حاجة العليل الى الآساة (3) لواجب علينا ان نحافظ عليها ونبذل فى سبيلها كل مرتخص وغال حتى نفوسنا التى بين جنبينا ٠

وما كان قبل اليوم كاهن ولا عراف ولا زاجر يقر اليه فى أذنيه (ما كان) يظن ان هناك مخلوقا من أنس أو جن تحدثه نفسه بان يحمل المعاول والفؤوس ليهد علما (4) يزاحم الكواكب بالمناكب من أعلام الاسلام فى سبيل الشيطان

(1) ادنى الخصال هو تغيير المنكر بالقلب كما جاء فى الحديث ، من رأى منكم منكرا (الحديث) ٠
(2) بدىء هذا الدين غريبا وسيعود غريبا كما بدىء فطوبى للغرباء (حديث)
(3) العليل المريض ، والآساة جمع الآسى وهو الطبيب ٠
(4) العلم هنا هو الجبل كما فى قول الخنساء :
وان صخرا لتأتم الهداة به ... كأنه علم فى رأسه نار

ومرضاة الطاغوت ولكن من سبقت عليه الشقاوة وجرى عليه القضاء اتبع هواه فركبها عشواء مظلمة • من ذا الذى لا ينفلق كبده اسفا وغما لما أتاه هذا الافاك الاثيم العليوى مما يغضب الرحمن ، ويثير الاشجان ؟ الا فليعلم العليوى السفاك ولي ابليس ـ ان فعلته التى فعل لم تكن مسددة الى الاستاذ العظيم ابن باديس وانما رمى بسهمه نحر الاسلام وانه أراد هو وشيعته ان يأتوا بدين مزيج من معتقدات الآباء الكاثوليك ، والرسل البروتستانيين ، فليس له ان يرغم علماء الاسلام على قبول شنعه باسم دينهم وان يكمم أفواههم حذر ان يبينوا للناس ما أتيتم به مما ينقض الهيكل الاسلامى ويحطمه لبنة لبنة ، فدون وصولكم الى غايتكم ـ والله ـ لمس السماء ، ودك الشناخيب (5) •

اترم انوفكم ان جادلكم بالحسنى التى كان يجادل بها رسول الله صلى الله عليه وسلم اعداء الاسلام ؟ فهالكم الامر وسدت فى وجوهكم مدارج الحق فركنتم الى الاجرام وعمدتم الى قتل من شهد له رسول الله صلى الله وسلم بانه عدل هذا الخلف (6) وانه يحل محل نبىء فى بنى اسرائيل (7) • الا ان أعدى المسلمين للاسلام أولئك النفر الذين يظنون ـ من قبل انفسهم انهم أولياء الرحمن واحباؤه وملأوا أنفسهم ومن يتبعهم باماني هى ضلال ما أرادوا بها صوابا فاستباحوا من الله المحارم وتعدوا له الحدود ، واعرضوا عما فيه من هدى،فاغتر بهم الجهال ، وانقاد لهم الاقران ، ودخلوا على الناس فى عقائدهم ، ولبسوا عليهم أمر دينهم ، وزهدوا الأمة الاسلامية فى علمائها الذين أمر الله ان يرد اليهم الأمر (8) فى التشغيب ، ونعتهم أجل نعت ، وحث على سؤالهم عند حلول أى حادث (9).وربما تحدث هؤلاء المضللون الى طغام الاحلام ان بين

---

(5) الشنخاب ـ بالكسر ـ والشنخوب ، والشنخوبة ، والجمع الشناخب : هو راس الجبل وقمته وقد ثبتت صلة القوم وشيخهم بباباء الكنيسة الكاثوليك

(6) يشير شيخنا الى قوله صلى الله عليه وسلم ـ يحمل هذا العلم من كل خلف عدوله أو كما قال •

(7) وفى هذا يشير الى قوله صلى الله عليه وسلم ـ علماء أمتى كانبياء بنى اسرائيل •

(8 و 9) يشير الى قوله تعالى : « **ولو رَدوه الى الرسول والى أولي الأمر منهم لعَلِمَه الذين يستنبطونه منهم** » ، وأولو الامر منهم العلماء أو هم العلماء ـ والى قوله تعالى : « **فاسألوا أهل الذكر ان كنتم لا تعلمون** » والى قوله تعالى : « **قل هل يستوى الذين يعلمون** » وقوله : « **يرفع الله الذين آمنوا منكم والذين أوتو العلم درجات** » •

الصالحين وبين العلماء خلافا عظيما قديما وضربوا لهم الامثال ، وساقوا عليها الشواهد ، وقصوا عليهم من الاغاليط ما جنوا به جنونا حتى ذهبوا بهذه الامة فى متاهات لا نجاة بها ٠

اتئدوا ـ أيها المضللون ، ولا ترهقوا هذه الامة ، فان الذى نعلمه ويعلمه كل أحد ان طريقة القوم لا تتنازل عن حصاة من أرض السنة ، وفى سبيل السنة ٠

تبيع العلماء الارواح بيع السماح ، فما العالم الا شخص واحد يرى فى مرآتين فمن أى ناحية من نواحى علم الاسلام أتاكم ما أنتم عليه ـ معشر الطرقيين مما لا يجتمع مع الاسلام تحت سقف واحد ؟ بله (10) صدر واحد ، فاذا من الله عليكم بمن يبصركم بمغبة عمايتكم ويدلكم على الاسلام الذى جاء به جبريل من عند الله وكان يدين به رسول الله صلى الله عليه وسلم وصحابته والسلف الصالح ركب منكم الشيطان كل مركب واستنكفتم من قبول الحق الابلج ووضعتم أصابعكم فى آذانكم (11) وأصررتم على عنادكم أصرارا شأن من سبقكم فى الجاهلية الثانية ٠ ها أنتم استطعتم ان تفتنوا الأمة فى دينها وتحيدوا بها عن أوليات الدين الذى جعلتم أهله شيعا وأحزابا كل يزن غيره (12) بانه السالك بنيات الطريق ، والله تعالى يؤاخى بينهم ويأمرهم بولاية بعضهم بعضا (13) ورسول الله صلى الله عليه وسلم يحثنا على رص الصفوف وجمع الكلمة حثا ٠

---

(10) بله : اسم فعل أمر بمعنى دع واترك ٠

(11) قال نوح يشكو قومه الى الله « **وإنّي كلما دعوتهم لتغفِرَ لهم جعلوا اصابعهَم فى آذانهم واستَغْشَوْا ثيابهم وأصرُّوا واستكبروا استكبارا** » وقص الله ذلك علينا فى سورة نوح ٠

(12) زنه يزنه : اتهمه قال حسان فى أم المؤمنين عائشة (حصان رزان ما تزن بريبة) ٠

(13) يقول تعالى : « **انما المؤمنين إخوة فأَصلحوا بين أَخويكم** » ويقول : « **والمؤمنون والمؤمنات بعضهم أولياء بعض** » ٠

فهل تستطيعون ـ يوم يذاد من بدل وغير عن الحوض ـ ان تغنوا عنهم من عذاب الله شيئا ؟ (14) ·

ان الدين الاسلامى فى أصوله وفروعه وآدابه دين البشرية على العموم ، ودعوة صاحبه عامة شاملة تامة ، وانه جاء لرفع الاختلاف وسد طرقه ، واجتثاث الحظوظ وجعل كل احد ممن يدين به يراض بلجامه فان أبى آب شيأ من هذا فقد اطرح اسم الاسلام عن نفسه ·

انه لم يكن صحابي ولا تابعي ولا غيرهم من أهل القرون الثلاثة المشهود لهم بالخير يعلم غير كتاب الله وسنة رسوله شرعا يتبع ولا هدى يستنار به ، فهل هؤلاء الطرقيون اهدى من أولئك القوم الذين انعم الله عليهم أو أرادوا ان يعيدوا تاريخ الكنيسة في الاسلام ، ويزعموا الزعامة الدينية ويتلوا وظيف التشريع والهدى وملاك الامر ؟

ان من أراد ان يلتمس الدين الاسلامى فى أصوله وفروعه وآدابه من غير ناحية كتاب الله وبيانه (15) فقد سفه نفسه وطلب العلة من معلولها والنتيجة بغير مقدماتها ، وكفى بذلك غيا ·

« فلا وربِّك لا يؤمنون حتى يُحكِّموك فيما شجَر بينهم ثم لا يجدوا فى أنفسهم حرَجا مما قضيْتَ ويُسلِّموا تسليما » ·

القاهرة : العربي بن بلقاسم التبسي

---

(14) فى الحديث انه يرد على الحوض قوم يعرفهم النبى صلى الله عليه وسلم فيذادون عنه لانهم بدلوا وغيروا ·

(15) قال القاضى عياض فى الشفاء : (عن رجل ··· سأل عبد الله بن عمر فقال يا أبا عبد الرحمن أنا نجد صلاة الخوف وصلاة الحضر فى القرآن ولا نجد صلاة السفر فقال : يا ابن أخى ان الله بعث الينا محمدا صلى الله عليه وسلم ولا نعلم شيئا وانما نفعل كما رأيناه يفعل · وقال عمر بن عبد العزيز : سن رسول الله صلى الله عليه وسلم وولاة الامور بعده سننا الاخذ بها تصديق بكتاب الله ، واستعمال لطاعة الله ، وقوة على دين الله ، ليس لاحد تغييرها ولا تبديلها ولا النظر فى رأى من خالفها ، من اقتدى بها فهو مهتد ، ومن انتصر بها فهو منصور ، ومن خالفها واتبع غير سبيل المؤمنين ولاه الله ما تولى واصلاه جهنم وساءت مصيرا) اهـ ·

الفصــــل التــاســع

إلى الكاتب السلاوي الفاسي

« هذا جواب أبي يعلى للاستاذ السلاوي في توجيهه الخطاب اليه ، وتحميله مسؤولية المتسبب في شهرة رجل لم يكن لعائلته مجد يبرر اعتلاءه ، وافتتان العامــة بــه ، ولم يكن له علم يستند عليه فيما وصل اليه ، وانما هو سكوت بعض العلماء عن منكراته ، واشادتهم به ، وحضورهم مجالسه ، والثناء عليه مما يسبب اغترار البسطاء به مع المظاهر والتظاهر » ٠

قال الشيخ أبو يعــلى الزواوى ـ تحت العنوان اعــلاه ، ونشر فى عددين متواليين من الشهاب الاول عدد 83 الصادر فى شعبان 1345 هـ ـ 10 فبراير 1927 م والثانى فى عــدد 84 الصادر فى 13 شعبــان 1345 هـ ـ 17 فبــراير 1927 م :

« وقفت فى مجلــة الشهاب الثاقب عدد 81 على الخطاب الذى وجهتوه الي ، وشرفتموني به كأول مرة ، اذ خاطبتموني ، وأشكركم ويشكركم القراء ، عــلى تحريك الهمة والتنشيط على الكتابة ، ويسند اليكم الأجر والثواب فى ذلــك لأنكم المسببون فيما هنالك ٠

ثم مما لا يخفى عــلى مثلكم أن من الكتاب مــن لا يبالى بهم ولا بأقوالهم ، وكذلك الجرائد والرسائل ، فهؤلاء معرفون كاصحاب الخلاف الكثير سواء فى المذهب أو المبدا ، أو الجنس أو الوطن أو الحكومة ، واما الدين فمن باب احرى وأولى فالخلاف فى هذه القضايا كلها قد يتغافل عنه ويحتمل ٠

واما مثلكم ومثل مجلة الشهاب وجملة الكاتبين فيها فلا يحسن السكوت عنهم ولا عدم المبالاة بهم ٠ لماذا ؟

لاننا سلفيون دعاة الاصلاح العام فى الدين وما ألصق به وفى الجنس وما هو فيه ، وفى الوطن والحالة التى هو عليها ، الاستخفاف فى مثل هذه الامور ذنب لا يغفر ، وكفر فى كفر ، أعاذنا الله واياكم من ذلك ·

ونخص ـ نحن السلفيين ـ بشىء أدق مما يكون · وما هو هذا الشىء ؟ وهو التدقيق والتحقيق فى الاقوال والافعال · والحذر من الخطا والخطل فى القول والعمل ، فنكون كما قال أصدق القائلين : « **والذين آمنوا وعملوا الصالحات وآمنوا بما نُزِّل على محمدٍ وهو الحقُّ من ربهم كفَّر عنهم سيئاتِهم وأَصلح بالَهُم**» ·

فاذا سلمنا هذا التمهيد ـ والوقت نفيس والجريدة أنفس ، والورق والحبر كذلك والحق والصواب أكثر من كل ذلك كله وأنفس ـ أجيبكم عن شيئين فى خطابكم هذا ويكون جوابى من باب اللف والنشر المشوش قصدا تيمنا ودخولا بالرفق الذى ما دخل شيئا الا زانه ، واحد الشيئين جملة جميلة جليلة ختمتم بها الخطاب وهى :

« ولتعلم يأخي انى لست من الذين يهجرون الحبيب بالذنب الواحد ، فاننى رغما ·· الخ، قولكم : لا انسى شجاعتكم فى كلمات ابكيتموني بها فى مقالكم الاخير فلا تنسنا ـ أخي ـ من جنسها فانا اليها بغاية الاشتياق » ·

فأقول : الحمد له على التوفيق والله ما دريت على ما أقول ولا قصدت الا خدمة الهدى والامة والاخلاص فى ذلك لله : « **فمَن كان يرجو لقاءَ ربه فلْيعْمَلْ عملاً صالحاً ولا يُشركْ بعبادةِ ربه أحداً** » ·

وأشكركم ـ والاخ البيضاوي مثلكم فى خطابه الاول إلي وقد هزنى هــزا اذ قال في : « اني شيخ كبير موقر أحمل من الصراحة والشجاعة ما لم يحمله شبابنا » الخ ···

وأشهدكم ـ قراء الشهاب ـ وأشهد الله وهو خير الشاهدين ـ انى جعلته فى حل من حملته علي التى اجبته عنها : انه أخطأ فيها اذ جعلني مسؤولا فى الجناية الواقعة على الاخ الاستاذ عبد الحميد بن باديس ، وفهمت انه شديد الغيرة وحريص على السنة ومحب للشيخ عبد الحميد ، فاعذره كما عذر عثمان ابن عفان عبد الله بن عمر بن الخطاب اذ حمله جزع الفتك بأبيه وبتسعة من الصحابة العظام فقتل الهرمزان بدون محاكمة ، وأبى علي بن أبى طالب رضى

الله عنه الا محاكمة عبد الله بن عمر كما علمتم ، وعلى هذا فاخونا البيضاوي عبد الله بن عمر (1) فهو هو ، ومن ذا الذى ما ساء قط ؟ (2) ٠

وكذلكم انتم اجعلكم فى حـل من قولكم « حتى أزمعت أمرى على ان يكون الخطاب متوجها الى حضرتكم » الخ ٠٠٠ قولك ، فلم أر بعد البحث أحدا جنى على الاستاذ الا اخوتك ٠

وقولك : وهـو الذى وصف نفسه ـ تعنون اياى ـ فى جـريدة الشهاب بكونه فقيها عالما متبصرا كاتبا خطيبا الخ ـ ولعلكم قصدتم بهذه الجملة قولى فى جوابى اليكم عن شان ايراد الحديث وقلت لكم هكذا :

« اني لست من علماء الحديث ، ولكني كاتب متفقه ومتبصر » وعليه فأقول الآن : من وجد لي حرفا غير ما ذكر، أو قلت أنا خطيب فى مجلة الشهاب أو فى غيرها ، أو بعدالة مرضية (3) فما ملكت من شيء فهو له ، وهذا إمضائى الآتى٠

اعلم انه تسوى بى الارض ولا أقول ولا أفعل ما نسبت الي انى قلته (4) فتأمل العبارة واياكم من التحريف بالزيادة والنقصان (5) والا فلا يوثق بكم وبقولكم ، بل عاتبني بعض العلماء هنا وقال لى : لِم تقول اني لست من علماء الحديث فى جوابك الى الفاسي ؟ ولكن صراحتك ، وهكذا شأنك وهكذا كلامك فى هذا الخطاب كله قارس ، واحماض فى احماض ، وكذلك قولكم : (عذرناك

---

(1) عبد الله بن عمر من أكابر الصحابة فى العلم والرواية عن رسول الله والجهاد لا يرتكب مثل هذا العمل دون اذن الامام ٠ ولكن الذى فعله هـو عبيد الله بن عمر وهو أخوه وأصغر منه ، وقد ظننا ان هذا من الشيخ سبق قلم حتى تكرر ذكره ثلاث مرات فعلمنا أنه قصده بالذكر ، سهوا بدون شك ٠

(2) هذا من قول الحريرى رحمه الله : من ذا الذى ما ساء قط ؟ ومن لـه الحسنى فقط ؟

(3) يعنى ببينة من شاهدين زكى كلاهما بانه عدل رضى ٠

(4) هذا من تواضع الشيخ أبى يعلى ، انه لعالم كاتب فقيه خطيب ، وان كان لا يقول هذا عن نفسه لانه حينئذ متبجح مزك لنفسه وقـد نهى الله عن تزكية النفس ، « **فلا تزكّوا أنفسكم هو اعلم بمن اتقى** » ٠

(5) نقل الحديث أو النص اذا نقل بلفظه فيشترط أن يأتى بالالفاظ كما هى ، وان نقل بالمعنى فالشرط أن يكون مساويا للاصل ، قالوا لا ينقله بلفظ أجلى لانه زيادة على النص ، ولا بلفظ أخفى لانه تلبيس ، فهذه أمانة وذمـة الناقل عند نقاد المسلمين ٠

بالامس بعد ان نقضنا ردك عروة عروه اذ لم يخطر بالبال انكم من اتباع العليوى) .

جوابى عن هذا الذى جعلتك فى حل منه انى لا أقول نقضت رد فلان ابدا انما يقول ذلك الحكم ، وأما أنا فخصم ومناظر ، بل أقول : أجبت عن كذا ، واما كونى من اتباع العليوى فالبينة على من ادعى ، واليمين على من انكر ، وازيد فأقول :

اذا كان يلزم من عرف أحدا غير معصوم ووزر ذلك الاحد أو لم يزر ـ سواء كان ذلك الواحد قريبا أو بعيدا فيلزم من ذلك المشاركة فهو القول المصادم للآية : « **ولا تزِرُ وازرةٌ وِزرَ أخرى** » وبعبارة أخرى لا ينجو أحد منكم ومن غيركم ، لاننا كلنا ـ معاشرون للمخالفين وحتى الاخوين الشقيقين .

ما هذه المقدمات ؟ وما هذه الاستنتجات باخوانى ؟ استحلفكم بالله ما عرفتم أحدا من المتصوفة ومن غير المتصوفة من المبتدعين والعصاة والمرقة بل من الكفرة والفجرة ؟

انما المنتظر ان تسألونى أصحيح أنآ من الآخذين بالطريقة العليوية أولا ؟ أو لغيرها لا لمجرد مقتكم العليوى ان جميع من عرفه يستلزم المقت وهذه العقلية أو القضية لا تفيدكم ، انما يفيدكم ـ ويفيدنا ـ بيان البدعة والخطا أولا ثم تبديع من عمل بها بشروط اثباتية على قواعد الشرع العزيز ، واما من عرف أحدا فيلزمه جميع أعمال ذلك الاحد ، ان خيرا فخير ، وان شرا فشر ، فهذا لا يعقل الا بتفاصيل كأن يتآخيا أو يتصادقا ، أو يكون احدهما سلطانا على الآخر كما قيل : « ان المحب لمن يحب مطيع » ومع ذلك ففيه تفاصيل أخرى لا تخفى عليكم ان انصفتم : هاتوا لى مسلمين عاملين بهذه الآية : « **إنما المؤمنون إخوة** » أو سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم اذ آخى بين الصحابة ؟ ولن تستطيعوا أبدا ، الا بالقول وقل كذلك الصحبة والوفاء » .

ولما بلوت بنى الزمان ، ما بى وما بهم
ولم أجد خلا للشدائد اصطفى

ايقنت ان المستحيل ثلاثة
الغول والعنقاء والخل الوفى

قال العلامة الغزالي فى المعنى ما لفظه : « فاما ما علمت انه يعلمه ـ يعنى عيوب الاخ أو الصاحب ـ فلابد من التلطف فى النصح بالتعريض مرة ، بالتصريح مرة اخرى الى حد لا يؤدى الى الايحاش ، فان علمت ان النصح غير مؤثر فيه وانه مضطر من طبعه الى الاصرار ـ فالسكوت أولى ، وهذا كله فيما يتعلق بمصالح أخيك فى دينه ودنياه ، اما ما يتعلق بتقصيره فى حقك فالواجب فيه الاحتمال » اهـ

وكذلك مجرد معرفة احدكم آخر اذا اختلفا مذهبا أو دينا أو مبدأ فانه لا يمكن ان يتحدا حالا أو يغلب أحدهما الآخر أو يلزموا كل واحد منهما أعمال الآخر ، وهذا لا يعقل أيضا ٠

فلم يبق اذن سوى النظر الى عمل كل واحد منهما ان خيرا فخير وان شرا فشر ٠ ولم يبق لكم ـ معشر السلفيين الا الاستفهام أأنا عليوي مثلا أو خلوتي؟ أو شاذلي ؟ أو قادري ؟ فأجيب ولا ينفعني الحكم بل لا يجوز الا بعد الجواب ٠ ولا أحكم ان الشيخ السلاوى عيساوي أو موساوي مع جزمي أنه يعرف عشرات منهم ويعرفونه ، وانما أنظر الى أعماله لو كنت معه وكان كفتنى أقواله انه اعدى الاعداء للطرقيين ٠

اما جوابي عن هذا فانى اعلنته قبلكم لا لفضلي عليكم ولكن لسني وتاريخ تبرئي من كل ما يخالف عمل السلف أو الكتاب والسنة وقلت ما قال امام الحرمين : (انى راجع عن كل قولة قلتها تخالف عمل السلف ، ولم يقلها السلف) ولم يبق أيضا سوى مباهلتي (6) لمن رأى لي عملا يخالف قولي،وأحق الناس بالشهادة على هذا من مضى ٠

---

(6) اذا كان الخصم مبهتا لا يقتنع بأى حجة يدلى بها دعى الى المباهلة ، وقد جاء ذكر هذا الاصل فى قوله تعالى : « **فمن حاجَّك فيه من بعد ما جاءك من العلم فقل تعالَوْا ندْعُ أبناءنا وأبناءكم ونساءنا ونساءكم وأنفسنا وأنفسكم ثم نبتَهِلْ فنجعلْ لعنةَ الله على الكاذبين** » وقد دعا رسول الله صلى الله عليه وسلم عليا وفاطمة ابنته وابنيهما الحسن والحسين عليهم السلام وطلبهم ـ أى النصارى ـ للمباهلة فامتنعوا ـ ولو فعلوا لاهلكهم الله ـ وقبلوا بدفع الجزية ٠

نعم ، كنت منذ أربعين سنة خلوتيا (7) فلما رأيت البدع ، والمخالفة والرقص والطبل واختلاط النساء بالرجال طلقتها ثلاثا بتاتا ، ومع ذلك فقد بقيت اعرف جملة منهم ومن الشيوخ وهم يعلمون انى منكر مخالفتهم (يعنى مخالفتهم للسنة) ٠

وكذلك صاحبى ابن عليوة يعرفنى انى منكر ما يخالف عمل السلف واشهد الآن بين يديكم انى ما عرضت وما أمرت ولا نهيت الشيخ العليوى الا استحسن وسلم حتى قال : ان حملاتك ان كانت علينا مقبولة وان كانت لنا فهى احسن لنا ٠ ويخاطبنى قائلا : انك بنظريتك السياسية والاجتماعية ننقاد اليك ونعمل باشارتك (8) ٠ وكذا كان يقول في شيخى طاهر الجزائرى ونحن بمصر ، وعندي الشهود على ذلك وما زال وما زلت طامعا فى ، وطامعا فيه ، أى بان نتفق على كتاب الله وسنة رسوله ، وصرح لى امام جمع انه اذا ظهر لكم ـ معشر الاخوان ـ فى الدين والوطن والجنس ـ ان نتفق على جميع ما يخص المسلمين والوطنيين ، فها أنا ذا واخوانى ، وشكرته على ذلك ٠

ولم أر ولم اسمع من غيره من الشيوخ الذين عرفتهم الا الصدود وتصعير الخدود ومقتى بانى كافر بهم وببدعهم ، وقلت لكم وما زلت أقول انه ـ الشيخ ابن عليوة يقول لكم : (مروا جميع رؤساء الطرق لنجتمع ونتفق على الموافق للكتاب والسنة وللامة) (9) ٠

---

(7) الطريقة الخلوتية هى الطريقة الرحمانية وكانت أوسع الطرق الصوفية انتشارا بالوطن ولها مواقف وطنية فى حرب المقاومة والثورات وكثير من زواياها كانت معاهد علمية جليلة ٠

(8) لو صدق لكان أكثر انقيادا له فى السلفية وثوقا بعلمه ٠

(9) هل كانت هذه دعوة صادقة مخلصة الى كتاب الله وسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم وخدمة الامة ؟ أم كانت من باب التمويه لارضاء الشيخ أبى يعلى وابقائه فى كنف العليويين يدافع عن موقفهم عند الحاجة ويحسن الظن بهم ، ولاقامة الحجة على خصومهم ؟ الترديد الثانى هو الصحيح ٠ فان هذه الدعوة لم تنطل على زعيم المصلحين الاستاذ الامام ، فقد علق على هذه الفقرة بقوله رحمه الله :

« **الشهاب :**

« اذا كان هذا الرجل صادقا فيما يزعم فليبادر الى الاعلان بالامر باحراق ديوانه المملوء بالعقائد الباطنية والحلولية ، والتهجم الصريح على مقام الربوبية ومقام الرسالة ، وبالتوبة من جميع ما فيه ٠ والا فان المصر على ذلك الباطل لا يكون زعمه الرجوع الى الكتاب والسنة الا من باب التمويه الذى لا ينطلى =

وبقى أمر ديوانه وشطحات المتصوفة ، فأمر معروف ، وعليه جدالنا معهم ·
اما ديوانه فاحلف بالصيغة التى ذكرها خليل صاحب المختصر فى اليمين وهى :
« وفى على أشد ما أخذ على أحد » انه ـ الديوان ـ ما جاء فى يدى ، ولا طالعته ولا عرفته ولا سالت عنه · انما جاء بيدى « كتاب الشهائد » وكتاب آخر فى الرد على الشيخ عثمان التونسى لا غير !

وبالجملة فقد جعلتكم فى حل من تكفيركم اياى وحكمكم على بالجناية لمجرد معرفة الشيخ أحمد بن عليوة ، فتحرزوا أنتم ان تعرفوا احدا من الشيوخ ، فيبلغنى عنكم ، واياكم ثم اياكم ·

اما انا فابتهل ، واستنزل صاعقة تأخذنى أو تأخذ شيخا من شيوخ الطريقة عرفته وعرفنى ـ وهم كثيرون كما قلت ـ ان رآنى منقادا له أو هو منقاد لى لما يخالف الكتاب والسنة ·

والذى لا أجعله فى حل ـ لا لغيظى الشديد ولا لذنبه الكبير ـ بل لان القضية لم تخصنى وحدى اذ تخص الامة عموما وطلبة العلم بالجزائر خصوصا : هو الذى كتب فى الشهاب ، وتكلم لبعض أصدقائى فقال : فى الشهاب عدد 74 بامضاء (طلبة العلم بالجزائر) يخاطب الاخ البيضاوى :

« لماذا يقرر الشيخ الزواوي ان الشيخ ابن عليوة اذا تكلم مع المتصرف والبوليس فالعامل فالوالي فالوزير فرئيس الوزارة ورئيس الجمهورية كفى وشفى ما فى النفوس ؟ فهل المقصود من المرشدين المجددين للدين ـ كما قرر الزواوى فى خطبته ـ القيام بمهام السياسة من النيابة المالية والعضوية

ـ الا على بسطاء العقول » اهـ · دليل التمويه ان العليوى شرط دعوة جميع رؤساء الطرق وقبولهم فهل يمكن ان يستجيبوا ؟ ثم نقول :
ولقد قامت الحجة التاريخية على صدق ما علق به الشهاب على هذه الدعوة فان الشيخ ابن عليوة دعى الى جمعية العلماء عند تأسيسها ، واستجاب ، ولكنه حاول الاستيلاء عليها فى أول سنتها الثانية وحشر « اخوانه » الاميين لانتخاب من يرضاه رئيسا لها لولا ان تفطن المصلحون فى آخر لحظة ، وكان آلة فى يد م· (ميرانت) العدو اللدود للجمعية وللجزائر. فلما أخفق الشيخ فيما أراد أسس أو اسسوا له (جمعية علماء السنة) التى لم تعش سوى نحو سنتين ثم عصفت بها الامة ، وكان هذا كله بعد نحو أربع سنوات أو خمس من هذه الدعوة ·

العمالية والبلدية (10) » اهـ وهذا ما لا أجعله فى حل لانه جناية على الامة كلهـا .

ماذا يقول طلبة العلم بالجزائر ، ولكن على مذهب أبى ذر العقبى ، ليظهروا اسماءهم ، وثانيا ماذا تقول الامة وأبناء الوطن فى هذا ؟!

اما أنا فأقول ان قوله قررت ذلك فى الخطبة كذب فى كذب ، وانما قلته فى جوابى الى الاخ البيضاوى جريا على طريقتى وعلى نظريتى وعلى سياستى : انى لو كنت قادرا على شيء من أحوال الامة لكلفت جبرا بالسيف والنطع ان يكون راعى غنمهم وابلهم وجمالهم ووقادهم وفحامهم وفلاحهم وصعلوكهم وحقيرهم وذليلهم ونساؤهم وصبيانهم ـ يحسنون جميع ما ذكرت أنه يحسنه الشيخ عليوة ، وأما امثال الشيخ عليوة من أصحاب الطرق الذين هم تسعة وتسعون بالمائة فى الامة فمن باب احرى وأولى ان القنهم ذلك والزمهم بـه شرطا أوليا لقيادة الامة ، وافضيحتاه ، واعاراه !

لو كنت صبيحة نشر الشهاب فى قسنطينة لاشتريت جميع أعدادها ولو كلفنى ما لا أطيق من المبلغ المالى وأحفظ تلك الاعداد أو احرقها أحسن ، كيلا تبلغ الاصدقاء اخواننا فى الدين من التونسيين والمصريين والشاميين والنجديين فيحزنهم ذلك .

ولكيلا تبلغ سمع الاعداء فيفرحون ويمرحون سرا بان الحداقة والفطنة والمعرفة والادب والسياسة والنظر ـ وبالتالى حسن الخطاب والجواب ـ محتكر فى الجزائر ، بل وفى الاوطان الاسلامية للنواب فى المجالس المالية فقط ، وهم أثنى عشر فقط منتخبون من خمسة ملايين (11) .

---

(10) كانت هذه هى المجالس المنتخبة التى تشارك فى ادارة الامور بالجزائر تحت الحكم الفرنسى المجلس المالى على مستوى القطر كله ، والمجلس العمالى على مستوى العمالة ـ وكان فى الجزائر كلها ثلاث عمالات فقط : قسنطينة والجزائر ووهران ، ويسمونها عمالات أو ولايات فرنسية ! والمجلس البلدى فى كل مدينة يكثر فيها الفرنسيون واليهود ، اما حيث الاغلبية الساحقة للعرب فلا وجود لمجلس بلدى يدعونه « بلدية مختلطة » ويمثل المسلمين القياد على ان نواب المسلمين عدد قليل نسبيا : الخمس أو السدس واثر الحرب العالمية الثانية فقط رفعت نسبتهم الى مقدار الخمسين ! وعد هذا من اعطاء الحقوق ! ومن المضحك ان المسلمين كانوا يطالبون بالتسوية فى العدد بحيث يكون عدد من يمثل الفرنسيين ـ وهم التسع ـ مساويا لعدد ثمانية أتساع !

(11) كان عدد السكان عام 1927 م ، خمسة ملايين نسمة ، وكان يمثلهم =

واما العلماء ــ ومعلوم ان شيوخ الطرق علماء (12) والعلماء ورثة الانبياء (13) ــ فلا تلزمهم الفطنة ولا معرفة الخطاب والجواب ، ولا جدل ولا نظر ، بل يلزمهم ان يكونوا مع الفرنسيين على حـد المثل الفرنسي (امشي كما ادفعك) ومعناه عندنا انقياد أعمى • فاذا كان العلماء وشيوخ الطرق صما بكما عميا فمن لهذه الامة المسكينة ؟ واحزاناه ! أو بعبارة أخرى فقد صادم هذا الرجل نصوص العقل والشرع • والعلماء ورثة الانبياء كما فى الصحيح (الجوهرة) •

(وواجب فى حقهم الامانة ــ وصدقهم وضف له الفطانة)

وليس يؤذن بقسوط الدعى مثل محاولة رفـع ما لا يرتفع ، مقال ذلك ان الزمخشرى رحمه الله معتزلى فى مسائل مخالف فيها ، فاذا لم نتفـق معه فى تلك المسائل فلا يليق ان ننفى عنه البلاغة والفصاحة اذا عاديناه وكذلك جميع الاوصاف فى المتخاصمين فلابد من التسليم فيما يسلم فيه ، والافعناد ، والعناد مما يكاد يجعل المناظر مجنونا لا قيمة له • ولهذا كان شيخنا الشيخ الطاهـر الجزائرى لا يناظر ولا يجاوب وهو هو رحمه الله •

وبالله من العقول ! ــ أو يا للحزن على هذه الامة ! ، أو يا للاسف على هذه الاغراض أو أمراض ! وياحزني على الهدى والصواب ! كذ أراد اللـه « **كذلك يضل الله من يشاء ويهدى من يشاء** » « **ومن لم يجعل الله له نورا فما له من نـور** » •

الزواوى امام جامع سيدى رمضان ــ الجزائر

= اثنـاعشر عضوا مسلما فى المجلس المنتخب 4 عن كل ولاية بينما عدد النواب الاوروبيين يماثل خمسة أضعاف فى المجلس المالى وهو مثل البرلمان فى الاوطان الاخرى ، وعدد المنتخبين الاوروبيين اضعاف عدد المسلمين بخمس مرات أو ستة ثم هم يطالبون باقصاء المسلمين تماما ، بينما كان عدد السكان الاوروبيـين لا يزيد ــ تقريبا عن عشر السكان (نحو أربعمائة أو خمسمائة ألف نسمـة) وانما تضاعف عددهم نتيجة انهزام الجمهوريين الاسبان عام 1939 م ، ثم انهزام فرنسا عام 1940م، وكل انهزام كان يلحق بدولة أوروبية تقبل فرنسا اللاجئين على حسابنا وتعطيهم أرضنا وخيراتنا ، وتمنحهم الجنسية الفرنسية •

(12) سيأتى آخر المقال تعليق ابن باديس على هذه النقطة ثم رد أبى يعـلى ثم جواب ابن باديس •

(13) حديث نبوى نصه : « علماء أمتى كانبياء بنى اسرائيل » •

متى كان مشائخ الطرق علماء :

علق الاستاذ ابن باديس رحمه اللـه على قول الشيخ أبي يعـلى فى مقاله السابق (واما العلماء ـ ومعلـوم ان شيوخ الطـرق علماء ···) بقـوله فى الهـــامش :

متى كان هذا معلوما ؟ وعند من هو معلوم ؟ احسبتم ـ أيها العالم الفاضل ـ انكم اذا سقتم هذا الباطل سوق الضرورى المعلوم ـ يعمي الناس كلهم عن انه باطل صريح ؟ أرضيتم لأنفسكم تقديم هذه المقدمة الباطلة لأجـل ان تحشروا شيوخ الطرق فى عموم وراثة الأنبياء ؟ ···

اننا نعتقد ان حضرة الكاتب الفاضل أعقل من هذا وأعلم ، وانما ـ لما تورط فى علاقة مع من ملأ ديوانه ـ المطبوع الرائج بـين اتباعه بتقريره ورضاه الى اليوم ـ بالعقائد الباطنية الحلولية وما اليها ـ اضطر الى الدفاع عن نفسه حتى بدعوى ان كون شيوخ الطرق علماء أمر معلوم فاللهم غفرا ·

*

الفصـــــل العـــاشر

شيــوخ الطــرق ليســوا بعلمــاء

«لم يسلم أبو يعلى بما آخذه به الشهاب من قوله : « ومعلوم أن مشائخ الطرق علماء » وان جعله علمهم من باب المعلوم بالضرورة غير سديد وغير واقع .

وها هو يناقشه فيه ويعلن ان نفي العلم عنهم قضية غير مسلمة ، ولكــن نقطة الضعف فى جوابه انــه عجــز ــ عندما ضرب الامثال ــ عن عد ما يقنــع بدعواه ويبرهن عليها .

قال الشيخ أبو يعلى تحت العنوان أعلاه ، ونشر فى « الشهاب » العدد 90 الصادر يوم الخميس 27 رمضان 1345 هـ الموافق 31 مارس 1927 م .

وقفت فى مجلة الشهاب الغراء عدد 84 عــلى اعتراض الشهاب على قــولي: ومعلوم ان شيوخ الطرق علماء بقــوله « متى كان هذا معلوما وعند مــن هــو معلوم ؟ » الى ان جعل قولي ذلك من قبيل سوق الضرورى المعلوم باطلا لتعمية الناس ، وعلى انى لما تورطت فى العلاقة مع الشيخ عليوة اضطررت الى الدفاع عن نفسى كذا قال . فالجواب :

أما كون شيوخ الطرق علماء فلم أظـــن ان ينكره أحد ، لأنه من الضرورى الجلى المشاهد بناء على أن قولي من باب المجموع لا الجميع ، ومن جهة المصطلح والعرف بان من درس العلوم الشرعية ولو بعضها كالفقه (علم الحلال والحرام) والفرائض والحساب والتوحيد (علم الكلام) والنحو والصرف فاللغة.والمعانى والبيان حسب المقرر فى العالم الاسلامى عموما وفى الأزهر خصوصا .

فهؤلاء يسمون عندنا علماء عرفا وشرعا ، لان علم الحلال والحرام هو سيد العلوم ، فجدير بحامله ان يسمى عالما · وما دمنا أيضا لم نحصر ولم نضبط من نعطى له اسم العالم · ويندرج مع العلماء . ولا شك ، انه مضبوط فى الازهر بشهادة امتحان العالمية ، واما عندنا فى هذه الديار فعلى اجازة من ارباب الزوايا التى يدرس فيها الفقه أي يأذن الشيخ المدرس للطالب ليدرس تارة مع كتابة الاجازة ، وتارة بالاذن فقط ، فاذا اعتمدنا هذا ـ ولابد ان نعتمده ، والا فلا يوجد عالم الا فى الازهر (1) ومن الازهر ، وهذا باطل بل ولو من فى الأزهر فقط فانى أعرف شيخين عالميين من أكابر علماء الأزهر احدهما الأستاذ الأكبر شيخ الأزهر الحالي أبو الفضل (2)،والآخر العلامة الشيخ محمود الخطاب ، وهما بقيد الحياة ، اما الأول شيخ الأزهر فلم أتحقق كثيرا أنه شيخ الطريقة يعطى الورد اذ لم يصرح لي بذلك عند زيارتي فضيلته عام 1335 هـ · ولكن كان كل منا فى عقيدة الاشعري ، وطريقة الجنيد ، وكان قصدي أن أسأله هذا لانه هو الذى سألني أولا ثم قيل لي انه من شيوخ الطرق ·

وأما الشيخ محمود الخطاب فأشهر من ان يذكر ، ونادى فى مصر باتباع السنة هو ومريدوه ، وعرف بالفقرة هو وتلاميذه فى اللباس وقص الشارب واعفاء اللحي وعادى غالب علماء الأزهر من أجل مخالفتهم ذلك ، وهجرهم ملتزما داره ، وله عدة تواليف ، وهو مدرس فى الأزهر معدود فى علماء الأزهر رسميا ، ومن أكابر الطرقيين ·

واما فى الشام فأعرف صاحبي وصديقي العلامة الازهري الشيخ خالد النقشبندى الخطيب العام فى مصر والشام ، فانه شيخ الطريقة النقشبندية · والشيخ يوسف النبهاني الذى هو ضدنا وضد صديقنا الشيخ رشيد رضا صاحب مجلة المنار · ومعنى ضدنا وضد المنار انه ممن ينكر الاصلاحيين

---

(1) كيف يصح هذا الزعم من أبى يعلى مع ان من يخاطبه ـ الشيخ ابن باديس ـ كان متخرجا بشهادة العالمية (التطويع) من الجامعة الزيتونية بتونس ؟ وكذلك توجد جامعة القرويين وكلتاهما : الزيتونة والقرويين ـ من أقدم جامعات العالم ، والدراسة فيهما مضبوطة معترف بها رسميا ؟ فلم يكن الجامع الازهر منفردا بتخريج العلماء كما يدعى ·

(2) أبو الفضل الجيزاوى شيخ علماء الاسكندرية تولى مشيخة الازهر ، لقيه الشيخ ابن باديس اثناء عودته من الحج عام 1332 هـ (1914م) فاجازه ·

السلفيين وأنه يـرى الولى على غير ما نـراه نحن كما هو الخلاف القائم بيننا وبينهم · ولكن مع ذلك كله فان أعدى أعاديه : صديقي الشيخ رشيد رضا اذا سألناه عن النبهاني فلا يقول انه ليس بعالم ، ولا متى عرف انه عالم ، بل يقول انه من علماء بلدهم ولكنه خرافي ضال مضل ، بـل قبوري ومشرك ، وهذا غاية ما يقول الشيخ رشيد وأقول انا ، لا كما يقول الشهاب ·

وكذلك شيـخ شيوخ الطـرق فى مصر الشيخ البكري صاحب صديقنا الاستاذ الشيخ رشيد رضا ـ كما ذكرت ذلك فى جوابي للبيضاوي ، وانى أكتب هذا جازما بان يصلهم وكاني أكتبه وهم حاضرون وأنتظر الجواب منهم ·

وكذلك أعرف هنا عندنا فى الزواوة ثلاثة بقيد الحيـاة ، علماء معتبرون من حيث العلوم الشرعية ، ولا أستطيع أن اجاريهم أو أقف معهم فيما عـدى الكتابة والخط :

احدهم الشيخ الحاج أحمد آجذيذ ، شيخي حضرت عليه دراسة المختصر ، وختمته مرتين ، ومقدمة الأجرومية مرة ، والتوحيد (السنوسية) مرة ·

والثانى صديقى الاستاذ الشيخ أحمد آل يوسف الجنادي فانـه بحـر لا ساحل له ، يتلو كتاب اللـه بعدة قراءات : ورش ، قالون ، عشر ، واما الفقه والفرائض والنحو والصرف والمعانى والبيان والمنطق فحدث عن البحر ولا حرج ·

والثالث الشيخ أحمد أبو القاسم البوجليلي فهو مثل الشيخ الثاني،وكانت قراءتهما على أبى الثالث الاستاذ المرحوم الشيخ محمد أبو القاسم أعلم علماء الزواوة فى عصرنا،وعنه اخذ أستاذنا المرحوم ابن زكري الشيخ محمد سعيد مفتى الديار الجزائرية ، وهـذا ـ أعنى الشيخ محمد أبو القاسم ـ شيـخ طريقة ، خلوتي ·

وأما كوني تورطت فى العلاقة مع الشيخ عليوة الى ان اضطررت للدفاع عن نفسي فالجواب عنه :

أنى أعلنت عن نفسي اني سلفي ، وأعلنت اني تبرأت مما يخالف الكتاب والسنة ورجعت عن كل قولة قلتها لم يقلها السلف الصالح كما قال امـام الحرمين أبو المعالى ولعنت الباطنية وسمع ذلك منى الخاص والعام ، فاتضح

مذهبي وديني ، وكذلك أعلن الآن اني إصلاحي كاتب على قدر معرفتي ، اجتماعي عمراني سياسي ·

فالذى يتصف بهذه الصفات ويعلنها عن نفسه فلابد ان يجتمع ويعاشر ويكون مدنيا ، فاذا توحش واعتزل وهاجر الناس كلهم ــ والحال ان أكثرهم عصاة مبتدعون وعلى انه واحد منهم فى الهيئة الاجتماعية من الجنس والدين والوطن ــ فاذا فعل فقد ناقض ما يقول ، أى فليس باصلاحى ولا سلفى ولا عمرانى ولا مدنى ، وعليه فانى لا أعد واحدا منا ــ معشر السلفيين ــ اذا عاشر احدا من المخالفين أو جماعة أو أمة ــ انه متورط فى العلاقة ، ولا آمره ان يقطع العلائق من جميع المخالفين فى المسائل الخلافية فيبقى اذا مع الاحجار والاشجار ، فانى فى هذا معاوية ، اذا مدت شعرة بينى وبين الناس اجذبها واذا انجذبت ألينها ، وانما أريد ان ينظر الى اذا كنت مع مخالف الى احد أمرين : اما ان يصيرنى اليه ، أو اصيره الي ، والا فالأنبياء عليهم الصلاة والسلام جاءوا ليعاشروا الخلق ويجتمعوا ، وليدعوهم ، ولا يكون ذلك بالاعتزال عنهم ، وكذلك المرشدون العلماء ·

وأرى فى أخلاق كثير من طلبة العلم بديارنا هذه ــ هذا الخلق النزق ، وضيق دائرة المعرفة ينزعون لأدنى شيء الى المعاداة والممارة ·

وفى علمي أن أول ما يدرسون خطبة خالد الازهري فى شرحه على الاجرومية « الحمد لله رافع مقام المنتصبين لنفع العبيد،الخافضين جناحهم للمستفيد » ولكنهم لا يعتبرون فى ذلك غير أنهم لحنوا أو لم يلحنوا. والتحرير منهم من يتعجب فى براعة الاستهلال اذا تكلم بالرفع والنصب والخفض ·

والسادة الصوفية لا يزيدون على التعجب فى قول الحسن بن أبى طالب رضى الله عنه : « لو شتمني أحد فى اذنى اليمنى ، واعتذر الى فى اليسرى لقبلت منه » ·

هذه اخلاقنا ــ أهل الجزائر ــ اجتماعية ، دينية ، أدبية سياسية ولا تسع حوصلة سيد منا خردلة لكل ضيق ، حسبى الله ولا حول ولا قوة الا بالله ·

الجزائر : الزواوى أبو يعلى

ليسوا بعلماء وإن وسمهم أبو يعلى بالعلم

أجاب الشهاب على دعوى الشيخ أبى يعـلى رحمه اللـه فى تخرجتين على قولين له فى مقاله هذا فقال عندما انتهى أبو يعلى من عد العلماء الطرقيين :

1 ـ « يدعى الاخ أبو يعلى ان شيوخ الطرق علماء فى معرض الدفـاع عنهم والتعظيم من شأنهم هكذا عـلى الاطلاق والاجمال ، وهـم فى هـذا الشمال الافريقى يعدون بالآلاف قد ملأوا المدن والقرى والمداشر ، واحتلوا السهـل والجبـل ٠

ثم لما نوقش الحساب فى هذه العبارة جاءنا ـ بعـد البحث والتنقير فى الشرق والغرب والخروج عن دائرة الوطن الذى هو محل البحث ، ـ جاءنا ـ أراح الله تعبه ـ بأقل من عدد أصابع يديه (1) !

لنتساهل مع حضرته ولنكمل له عدد المائة من الهواء ٠٠٠ فيكون حاصل هذه العملية الهوائية الهووية ٠٠٠ هكذا : مائة من شيوخه العلماء فى آلاف مؤلفة من شيوخه الجهلاء ٠ ثم اليس من الحق ان يقال له بعد هذا : انمـا مثلك كمن قال فى جلـد حمار أسود فيه موضع كف أبيض انه أبيض فلما قيل له فى ذلك قال ـ بكل قوة ـ نعم هو أبيض ، اليست فيه بقعة بيضاء ؟ ان كلامى مـن باب المجموع لا مـن باب الجميع ؟ ٠٠٠ وهل بعد هذا المنطق يحسن بنا ان نطيل المناقشة مع فضيلة الشيخ أبى يعلى ؟

---

(1) حسب أبو يعلى تسعة ثلاثة مصريين : أبو الفضل ، والخطاب ، والبكرى واثنين من الشام : خالد النقشبندى ، والنبهانى ٠ وأربعة من الجزائر : آجذيذ والجنادى والشيخين أحمد ومحمد أوبلقاسم ٠

2 ـ وقال عند انتهاء أبى يعلى من الاحتجاج على انه لا يحسن اعتزال الناس وخصوصا المرشدين منهم :

« يابا يعـلى : ان اخوانك السلفيين لم ينكروا عليك معرفتك بصاحبك ، ولا معاشرتك لأتباعه ، ولا إتيانك لمجامعهم ، فهم يعلمون أن النبي صلى اللـه عليه وسلم عاشر الكفار والمنافقين ، وكان يغشى يهود المدينة فى مجالسهم ، وانما أنكروا عليك مدحك وثناءك على شيخ هذه الطائفة ، وسكوتك عما فى ديوانه المطبوع بإذنه ، الرائج بين أتباعه بتقريره المملوء عقائد حلولية صريحة وتهجمات على مقام الربوبية ومقام النبوة سخيفة ،. واغضاءك عما فى الكتب المنسوبة اليه من أحاديث موضوعة وتحريفات باطنية لكلام الله وكلام رسوله، وانت الرجل المعروف بشدة الإنكار على السيوطى ، وابن عربي ، والشعراني وغيرهم . هذا هو الأمر الغريب منك ، والمنكر عليك ، ومحل الريبة فيك .

فاذا استطعت ان تخصص شيئا من وقتك النفيس لنقد ديوان الضلال ، وكتب التحريف والتخريف نقدا علميا نزيها كما أنفقت كثيرا من وقتك فى نقد أولئك الشيوخ المذكورين،فانك تكون قد برهنت على صدقك وإخلاصك ونزاهتك وبرأت ساحتك من قولة كل قائل فيك،وان لم تفعل فانك اذا مـن الظالمـين » اهـ .



الفصـــل الحادى عشر

لا تخفْ إنــك أنــت الأعـلى

« هذا عالم كبير من أشقائنا المغاربة يعرب عن عواطفه الصادقة وتأييده التام لحركة الاصلاح التى يقودها ابن باديس واستهجانه لما قام به الجانى مـــن محاولة الفتك به . وهذا الموقف منه قد كلفه غاليا اذ عزل من منصبه وابعد من فاس بتدخلات من خصوم الاصلاح واضطهاد من حكومة فرنسا المتحالفة معهـــم .

قال الشيخ محمـــد غـازي مدير المدرسة الناصرية بفاس تحت العنوان السابق ونشر فى العدد 86 من الشهاب الصادر فى 7 شعبان 1345 هـ الموافق 3 مارس 1927 م .

« أكتـــب ما أكتـــب وأنا متأثر جدا مما دبره أصحاب الاغراض السافلـة والمطامع الاشعبية ضد شخصكم الموقر ـ يايها العالم الكبير والمصلح الخطير، كفانا دليلا على زعامتكم الإصلاحية ونزاهتكم الشخصية مجلة الشهاب الغراء التى تصدر تحت إشرافكم ورأيكم المحمود ، تلك الجريدة الوحيدة فى بابها التى خدمت الاسلام والمسلمين عموما والاصلاح والمصلحين خصوصا ، تلك الجريدة التى كان الشمال الافريقي متعطشا لمثلها منذ زمان،فجاءت بعـــد طول الانتظار ترفل فى ثوبها الاصلاحى القشيب بتلك اللهجة الحارة والحكمة الكبرى (الحق فوق كل أحد والوطن قبل كل شيء) ، فهزت اعطاف المفكرين، وافزت قلوب الغافلين ، فانتبهوا بتلك الصيحة ودبت اليهم روح الحياة بتلك

النفخة ، فتهافت الناس عليها تهافت الفراش على السراج (1) حركت أقلام القاصرين وانطقت ألسن العاجزين ، اما الكتاب والمقتدرون فمرعى ولا كالسعدان (2). هنالك ابتلى المغرمون وفتن المدعون فما استفاقوا من لذيذ أحلامهم ونشوة ترهاتهم الا وعوراتهم مكشوفة ، واباطيلهم مفضوحة ، والناس تنقم عليهم من كل صوب وحدب ، فايقنوا ان نجمهم قد أفل ، ونفوذهم قد ضأل ، فولوا الأدبار ورجعوا الى أنفسهم وقالوا انكم أنتم الظالمون ، ثم نكسوا على رؤوسهم وقالوا : انصروا أنفسكم ان كنتم فاعلين ، فوثبوا الى عالم من علماء المصلحين وزعيم من زعماء المفكرين فأرادوا به كيدا فجعلهم الله الأخسرين ونجاه ولكن بادوا بالاثم العظيم ٠

على رسلكم ـ أيها الطرقيون ـ ما هذه الهجمة ؟ أتقتلون رجلا ان يقول ربي الله ؟ هذا وانتم تزعمون الخصوصية وتدعون الولاية والاجتباء ؟ اذكروا هل يحل هذا فى شريعة الاسلام أم انما حرم على أمثالنا من العوام ؟

نحن لا ننكر عليكم شيئا من هذا لأن سفك الدماء شعاركم ، وازهاق النفوس دينكم ٠ واذا كان ذلك جائزا ان تفعلوه بعضكم ببعض فكيف بخصومكم وألد أعدائكم على زعمكم ؟ وانما نرجو من عطوفتكم أمرين :

1 ـ ان تحصوا لنا على صفحات (جريدتكم) عدد القتلى فى برلمانكم الصحاري (الديوان) حيث سيقع بينكم احتدام كبير ، وجدال عظيم فى استئصال جرثومتنا نحن المساكين الذين نريد ان نبدل دينكم وان نظهر فى الارض الفساد !! لما نعلمه علم اليقين من ان (حضراتكم) مظاهر التجليات ومما يوجد فى هذا الوقت الحاضر ، بل له الاغلبية الساحقة ، أنصار السلم العام والرحمة بالانسان كيفما كان ٠

---

(1) هذا الاعتراف الثانى الذى قرأته لاحد كبار علماء القطر المغربى الشقيق فى تأثير الشهاب وصاحبه فى يقظة المغرب ، والاعتراف الاول قرأته لزعيم النهضة المغربية ومؤسس حزب الاستقلال العلامة الكبير محمد علال الفاسى الذى كان من كتاب الشهاب أيضا وشعرائه أثناء هذه الحقبة ، وقد أعلن فضل الشهاب وصاحبه عليه فى تصريح قرأته ونقلته جريدة (الشعلة) عام 1950م، رحم الله الجميع ٠

(2) مثل من أمثال العرب يقولونه فى استحسان الشىء يرونه ولكن دون مثله مما سبق معرفته ، والسعدان نبات شوكى تسمن عليه الابل ٠

2 ـ ان تبينوا لنا المنتصر من الفريقين في هذه المعركة الهائلة : هل دعاة القسوة والارهاب (اليعقوبيون) (2) أو أهل الشفقة والاعتدال (الجرونديون) (3) لنتبين مصير العالم هل الى سلم عام أم الى حرب عالمية قد تحيرت في ذلك انظار الساسة العظام في هذه الايام ، ولكم الشكر والسلام .

كفاكم ـ أيها الطرقيون ـ من هذا ، ودعوا عنكم ادعاء التصوف فقد ألزقتم به مخازي كبيرة يبرأ الى الله منها براءة الذئب من دم ابن يعقوب (4) لا تتذرعوا الى إذايتنا وأكل لحومنا والقضاء علينا باننا ننكر التصوف ، ولا على الصوفية ما لا ينكر . وانما عليكم أنتم أعمالكم التي لا توافق التصوف ولا الاسلام معا .

لا تظنوا اننا نجهل التصوف أو لا نقدره ،كلا . ولكن نحن أعرف به منكم فقد أخذناه من مصدره طاهرا نقيا ثم عرضناه بعد على الكتاب والسنة فما قبلاه قبلناه ، وما لم يقبلاه رفضناه اهتداء بهدي أربابه واقتداء بعمل أصحابه (5) ، أولئك العلماء بالله الذين أتاهم الله العلم والحكمة ، وخصهم بفهم أسرار دينه والاعتبار بآياته الكونية والتبصر بسننه التي لا تبديل لها . أولئك هم العلماء الاعلام نور الله بصائرهم وطهر سرائرهم ، وكشف عن قلوبهم حجاب الغفلة وعماية الضلال فتفجرت ينابيع المعرفة من صدورهم ،

---

(2) اليعقوبيون هنا حزب من الثائرين الفرنسيين المتطرفين كانوا يعقدون جلساتهم في كنيسة كانت تابعة لرجال الدين الذين ينتمون الى سان دومنيك ويلقبون أيضا باليعقوبيين وكان على رأس هؤلاء الثائرين زعيمهم السفاك روبيسبير الذي بسط الارهاب لما تولى الحكم فقتل كثيرا من زعماء الثورة ثم قتل بدوره عام 1794 م .

(3) حزب سياسي من الثوار أيضا من اليمين توصلوا الى الحكم بعد سقوط لويس السادس عشر عام 1892 م ، ثم انتزعت منهم السلطة اثر هياج شعبي وقتل منهم 21 في 31 أكتوبر 1793 م .

(4) ابن يعقوب هو يوسف عليه السلام . ألقاه اخوته في الجب ثم **« جاءوا اباهم عِشاءً يبكون قالوا يا أبانا انا ذهبْنا نستَبِق وتركنا يوسفَ عند متاعِنا فأكله الذئبُ وما انت بمؤمن لنا ولو كنا صادقين . وجاءوا على قميصه بدمٍ كذبٍ قال بل سَولت لكم انفسكم أمراً فصبرٌ جميلٌ واللـهُ المستعانُ على ما تصفون »** . فالذئب المتهم من أبناء يعقوب بريء بدون شك بشهادة الله سبحانه في القرآن لهذا يضرب به المثل في وضوح البراءة وكذب التهمة .

(5) علق الكاتب هنا بقوله : كان الجنيد رضي الله عنه يقول : تظهر لي النكتة من علوم القوم فلا اقبلها الا بشاهدي عدل : كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم .

وانبجست منها عيون الحكمة ، ونفذت سهام عقولهـــم الى بواطن الاشيـــاء ومقتضيات الصفات والاسماء، فرأوا بأنوار الهداية المحمدية فى الكتاب سطورا « **ونريد ان نَمُنَّ على الدين استُضعفوا فى الارض ونجعلَهم أَئِمةً ونجعلهـــم الوارثين ونُمَكِّنَ لهم فى الأرض** » ٠

« **وما خلقت الجنَّ والانسَ الا ليعبدونِ،ما اريد منهم من رِزقٍ وما أريد ان يُطعمونِ،ان الله هو الرَّزَّاقُ ذو القوةِ المتِين** » ٠

« **انما هذه الحياة الدنيا متاعٌ وانَّ الآخرة هى دارُ القرار** » ، « **فلا تغرَّنَّكم الحياةُ الدنيا ولا يغرَّنَّكم بالله الغرور** » ٠

بل سمعوا بآذان الحكمة والاعتبار « **أفلا يتدَبَّرون القرآن** » ، « **فاعتبِروا يا أولى الابصار** » ، فامتثلوا أمر الله وتدبروا وتبينوا فى اختيارهم ما يبقى وتبصروا ، ونفضوا أيديهم من غير الله ، اذ علموا انه لا يضر ولا ينفـــع ، وافرغوا قلوبهم لله ، واشتغلوا لعيوبهم ، وأخبتوا الى ربهم ، وأخذوا حذرهم، ووقفوا عند ما حد لهم ، وقاموا بحق الوراثة أكبر قيام (6) ٠

نظروا بافكارهم الثاقبة وآرائهم الصائبة الى مقام الخلافة الالهية الـذى منحه الله للانسان بقوله : « **إني جاعل فى الارض خليفَةً** » ، « **ويجعلكم خلفاء الأرض** » ، فاكبروه فترفعوا عن الاغيار ، وانسلخوا عن الشرور والاشرار ، اجلالا لمرتبتهم ، واخلاصا لله فى عبوديتهم ، وفى ذلك يقول ابن عطاء الله : « ما أحببت شيئا الا وكنت له عبدا ، وهو لا يرضى ان تكون لغيره عبدا » (7)٠

بهذا ، وأعظم من هذا نالوا الخصوصية وأدركوا الولاية والاصطفـــاء وحاشاهم ــ ومعاذ الله ــ ان يكونوا على شىء مما أنتم عليه ، فلا نسبة بينكم بل هم ــ عندى ــ أعظم واجل من ان نفضلهم عليكم :

الـم تـر أن السيـف ينقص قـدره اذا قيل هذا السيف خير من العصا ؟

---

(6) يشير الى قوله صلى الله عليه وسلم : « العلماء ورثة الانبياء » ٠

(7) علق صاحب المقال على قول ابن عطاء الله بقوله : « لا ينافى هذا الكلام محبة الانبياء والصالحين لان حبهم لله وفى الله » اهـ يشير بهذا التعليق الى أن حب الانبياء فرض واجب ٠ ولا يكون المسلم مومنا حتى يكون الله ورسوله أحب اليه مما سواهما ٠ وان يكون رسول الله ــ فداه أبى وأمى ــ أحب اليه من أمه وأبيه ونفسه التى بين جنبيه ٠

ولذلك لا تعدونهم انتم من أهل « الحضرة » وأصحاب الدائرة والعدد كالجنيد والكرخي (8) ، والثوري والسقطي وابن عياض ، والجيلاني ، وابن مشيش وامثالهم لأنهم لا يعرفون قطبا (9) ولا غوثا ولا يدعون لأنفسهم تلوينا ولا تمكينا، ولا عاقروا المدام بين الندامى ، ولا افتتنوا بالخدود والقدود ولا لزموا صهر (10) العقود ونقر العود ، ولا وقفوا على تلك الحدود أو قالوا بوحدة الوجود (11) حقا ليسوا من عرائس (حضرتكم) وأفراد جماعتكم ، بل ليسوا على شاكلتكم، وانما هم علماء اعلام وأئمة عظام وفلاسفة الاسلام ٠

كل ذلك والفقهاء لهم بالمرصاد لا ينبسون بكلمة فى فلسفة الاسلام ومدينة القرآن وسنن الاجتماع والعمران حتى تقوم قيامتهم وتدول دولتهم حفظا لكيان الدين وسياجه المكين ان يدخل فيه المغرضون ما ليس منه ، أو يلبس على العامة المتشبهون بالصوفية فيخبطون خبط عشواء ويضللوا العباد ويدعوا الى جهنم وبئس المهاد ، وصونا للحكمة عن غير أهلها أو وضعها فى غير محلها (12) ٠

---

(8) الجنيد امام الصوفية ، من علماء السنة أستاذه السرى السقطى الذى مات ببغداد ، الكرخي هو معروف الكرخي امام زاهد سبقهما ، والفضيل ابن عياض عاصر هرون الرشيد وكان من العباد ، والجيلاني هو الشيخ عبد القادر توفى ببغداد ٠ وكان عالما سنيا يجمع الطلبة ويعلمهم ويقوتهم ، وسفيان الثوري من رجال الحديث والفقه وله مذهب اندثر ٠

(9) علق الكاتب هنا بقوله : « ما ينسب الى ابن مشيش من ذلك أراه مكذوبا عليه ، ولي على ذلك أدلة » اهـ وابن مشيش من الصوفية المغاربة وتنسب اليه شطحات ، وهو فى سند رجال الشاذلية ٠

(10) علق الكاتب هنا بقوله : « هذه العبارة وقعت فى شعر الششترى حيث قال :

قد وقفت على حدود تلك الحدود ولزمت صهر قعود ونقر عود » اهـ

من اضلال الشيطان لبعضهم انهم يزعمون سقوط القيام بالتكاليف اذا بلغوا درجة ما فى التصوف ٠

(11) ابطال القول بوحدة الوجود منهم ابن عربي الحاتمي ، وابن الفارض ، وابن العفيف التلمساني ، وجلال الدين الرومي الخ ٠٠٠

(12) كان الامام أحمد ابن حنبل شديد النكير على كل ما يبدو منهم مما يخالف الشريعة ولا يثق بهم ولا بديانتهم وزهدهم ، وحتى بعض هؤلاء الائمة الذين برأهم صاحب المقال ٠ وقد ألف ابن الجوزى البغدادى الواعظ الشهير كتابا سماه « تلبيس ابليس » وأنكر عليهم كثيرا مما نسب اليهم ولم يسلم من نقده كبارهم ٠ وكان مالك لا يقبل رواية زاهد يرغب عن المباح ٠

بهذا وذاك قام أمر الدين وارتفع مناره وعلا عماده : قبض هؤلاء الفقهاء على أمر الدين بيد من حديد فسدوا الذرائع ، والجموا كل قوال ـ مهما كان حاله ـ بلجام ظاهر الشريعة المتفق عليه ، ولم يلتمسوا لاحد مخرجا ولا خلقوا لـه عـذرا ٠

ولولا ذلك لعطلت الاحكام وانتهكت الحرمات ، وضاعت الحدود وقـال كل فى الدين ما أراد ٠ فلما مضى أولئك الصوفية المحقون ، والفقهاء المجتهدون وجاء من بعدهم ادعياء الفنين ودخلاء العلمين (وافق شن طبقة) واصطحب المتفقهـة الجاهلون ، والمتصوفة الكاذبون فاستبدلوا اللبـاب بالقشور (13) واشتغلوا بما لا يسمن ولا يغنى من جوع ٠ بل غفلوا عن مواقع الخطا ومزلة الاقدام ، وتركوا ـ بتواضعهم أو عدم ثقتهم بكفاءتهم العلمية ـ أمر الدين فوضى فى يد الجاهلين ، وأجلوا حامية مراكز خط الدفاع عن الشريعة المطهرة بدعوى التسليم لاولياء الله من غير ما بحث معهم ولا تمحيص للمحقين من المبطلين ٠ اذ ذاك سنحت للمتربصين بالاسلام الدوائر ـ الفرصة ، ووجدوا لاتحادهم متسعا ولدجلهم مجالا ، فافسدوا من العقول ما استطاعوا وشوهوا فى وجه الدين ما قدروا ، وأتوا ـ بدعوى الصوفية والتصوف ـ ما يسود منه وجه الانسانية ، وتقشعر منه جلود الذين لا يعقلون ٠

هنالك لفظ حملة الشريعة نفس نفوذهم الاخير ، ووضعوا تراث مجدهم التالد ، مجد الوراثة المحمدية (14) بين مشائخ الطرق الغاشمين ، فما كان من هؤلاء الا أن ركبوا العصا ، واتخذوا السهى ـ لا عن جدارة ـ مسكنا وأوهموا عوام الناس ـ بل عامتهم ان بيدهم تصاريف الامور ومفاتيح المقدور ، فوقـع ذلك فى النفوس حيث لم يجد معارضا ، ورسخ فى القلوب اذ لم يسبق لها ما يخالفه من عقائد الدين الصحيحة السالمة كما قيل :

أتاني هواهـا قبل أن اعرف الهـوى   فصـادف قلبـا خاليـا فتمكنـا

---

(13) كذا ، والصواب : استبدلوا القشور باللباب قال تعالى : « **اتستبدلون الذى هو أدنى بالذى هو خير** » فالباء تدخل على المتروك المرغوب عنه ٠

(14) هى وراثة العلم التى أشار اليها الحديث (العلماء ورثة الانبياء) وفى المحاورة بين الشيخ أبى يعلى وبين صاحب الشهاب ما يثبت ان مشائخ الطرق ادعوا وراثة الانبياء مع جهل معظمهم ـ وحسبهم أبو يعلى فى العلماء وادعى ان هذا معلوم ضرورة ٠ وقد سبق ذلك ٠

بادروا الى استغلال هذه السلطة الروحية التى اثمرت بذورها على يد من كان بالامس يعكس آمالهم ويعاكس ارادتهم ، ويقف وقفة الحارس المتيقظ فى وجه من يهاجم الاسلام بما لا يليق ·

استثمروا هذه السلطة بعد ما دعموها بتلفيقات لا حظ لها من الصحة ، ولكن نسبوها الى بعض من يعتقد من الصالحين المتقدمين ، ونسجوا من عندياتهم على منوالها كالشياطين « **يُلقُون السمعَ وأكثرُهم كاذبون** » ليموهوا على الناس انهم خلف أولئك الذين بان فضلهم ، وعظمت منزلتهم ، وانهم على آثارهم مقتدون · وهيهات ! هيهات ! ان يلتقى سهيل والسهى (15) وأين الثرى من الثريا ·

فقل لقتيل الحب وفيت حقه   وللمدعي هيهات ما الكحل كالكحل

وكيف يطمعون ان ينالوا ذلك المقام ، وقد ناقضوا أصل الصوفية وفرعهم، وخالفوا رمزهم وشعارهم، فتكالبوا على الدنيا ، وسفلت أخلاقهم ، وطاشت أحلامهم ، وزادوا على ذلك أمورا أتحاشى عن ذكرها ، وأترفع عن وصفها ونعتها · ومع ذلك لا يستحون ان يجأروا أمام الناس بأنهم صفوة الصفوة ، وخاصة الخاصة ، قال قائلهم :

هم الرجال أدام الله مجدهم   والغير والله أوباش وغوغاء !

فى حين أنا لا نسلم لهم معشار عشر ذلك ، بل لا نرى لهم قلامة ظفر حتى من التشبيه بأولئك الأماجد العظماء،ويا ما أسعدهم ، وأوفر حظهم،لو نالوا تافها من التشبيه الصحيح بأولئك القوم فكانوا كما قيل :

فتشبهوا ان لم تكونوا مثلهم   ان التشبه بالكرام فلاح

ولكن :

طلب الابلق العقوق فلما   لم يجده أراد بيض الانوق (16)

(15) سهيل نجم بهى الطلعة يمانى مشهور عند العرب مذكور فى اشعارهم· والسهى كوكب خفى من بنات نعش الصغرى لخفائه تمتحن به الابصار ، وفى أمثالهم (أريها السهى وتريني القمر) ·

(16) الابلق الفرس فى لونه بياض وسواد ، والعقوق الحامل ، والذكر لا يحمل ، وهذا مثل يضرب لمن يطلب محالا وقد تمثل به معاوية رضى الله عنه فيمن طلب منه قلما منعه طلب أكثر منه ·

فهم كما قيل :

لكل داء دواء يستطب به الا الحماقة أعيت من يداويها

استفادوا من تلك السلطة الموهومة ففتكوا بالأمة فتكا ذريعا، واثقلوا كواهلها بالضرائب ، والزيارات ، واختلسوا أموالها بضروب الحيل واصناف المكر والخداع، حتى تركوها وما لها من ناطق ولا صامت ولا تملك معهم فتيلا ·

ثم ما وقفوا عند هذا الحد حتى زادوا عليه طورا ، فاستخدموها بقضها وقضيضها في مصالحهم الشخصية وحاجاتهم النفسية ، واغراضهم الشيطانية، بل زادوا عليه أيضا ··· الى ما تعلمه وتراه ·

ولا تزال الأمة ترزح تحت اعبائهم الثقيلة الى الآن من غير ان تأخذهم عليها مرحمة ، أو يرقبوا فيها إلاًّ ولا ذِمة · ما هكذا ــ والله ــ التصوف يا صاح ·

التصوف علم وعمل ، اما العمل فهو التخلق بأخلاق الله والتأدب بآداب الحنيفية السمحة ، وتقوى الله سرا وعلانية ، ومخالفة الهوى ومحاسبة النفس على النقير والقطمير ·

واما العلم فهو المرشد الى ذلك والدليل على عظيم هاتيك المسالك ، وأهم ما يتخلق به الصوفي الحقيقي : الصبر عند البلية، والسماحة، والاناة، والحلم، والعفو، واحتمال المكاره، والرضى بالقضا ، والزهد، والقناعة، والورع، وعدم الغضب الا لله، وحب الخير لجميع المؤمنين بل لجميع الناس، ومسالمتهم، ورفع الاذاية عنهم، وبعبارة أجمع وأخصر : هو التأسي بصاحب الشريعة صلى الله عليه وسلم قولا وفعلا وحالا. قال تعالى : « **لقد كان لكُم في رسول الله اسوةٌ حسنة لمن كان يرجو الله واليومَ الآخر** » ·

ولا يخفى على القارىء النبيه ما ينجم عن هذه الخلال العظيمة والاعمال الكبيرة والمجاهدات الاخلاقية الكريمة ــ ان صاحبها إخلاص ــ من العلوم اللدنية والمعارف الربانية ، والمواهب الصمدانية ــ للحديث الشريف « من عمل بما يعلم ورثه الله علم ما لم يعلم » وكذلك كان ، فقد كرع الصوفية من موارد المعارف والأسرار ورووا فنالوا من العلوم بغيتهم ، وأدركوا أمنيتهم، فأتوا من فلسفة الدين بالعجب العجاب ، ولهم في باب الارشاد والحكم

ما يبهر العقول ويدهش الالباب ، ومن غرر كلامهم (رض)فى ذلك : «لا تصحب من لا ينهضك حالـه ، ولا يدلك على اللـه مقالـه » · « الاعمال صور قائمة وأرواحها وجود سر الاخلاص فيها » ، « من علامة الغرور ترك الواجبـات والمسارعة الى نوافل الخيرات » ، « الوقت سيف ان لم تقطعه قطعـك » ، « ما حرموا الوصول الا لتضييعهم الاصول » ، « الرجاء ما قارنه عمل والا فهو أمنية » ، « متى أعطاك أشهدك بره ، ومتى منعك أشهدك قهره ، فهو فى كل حال متعرف اليك ومقبل بوجود لطفه عليك » ·

هذه نقطة من بحار معارفهم الزاخرة ادرجتها هاهنا لينفذ منها الى اكتناه مراتبهم العالية وعلومهم الغزيرة · ومع ذلك فما أوتوا من العلم الا قليلا ·

هؤلاء هم الصوفية حقا ، والعارفون صدقا ، نحبهم ــ والله ــ حبا جما ، ونقتدى بهم ما أمكن على قدر وسعنا ، وجهد طاقتنا ، « **ولا يكلف الله نفسا الا وسعها** » · على أني لا ازكى نفسى كما لا ازكى على الله احدا ، وليس من قصدى التبجح بمعرفة حقائق التصوف وأسراره ، أو التلويح الى أننى ممن ضرب فيه بسهم فتقول عنى (مادح نفسه يقرئك السلام) لا · والله لقد صدقتك الخبر وانى اعرف بأمرى من غيرى فما ذقت ــ ولو من ثمالتهم ــ جرعة وليس لى فى غنيمتهم قرعة ·

وابـن اللبـون ــ اذا مالز فى قرن لـم يستطع صولة البـزل القناعيس

وانما ذكرت ذلك فى معرض الاستدلال ليعلم هؤلاء المدعون اننا نعرف الصوفية وان لم نكن منهم ، ولا نبخسهم حقهم ، أو نضع قدرهم كما لا نطريهم ولا نكيل لهم الثناء جزافا ·

أترى بالله عليك أيها القارىء المنصف ان رجالا كهؤلاء العلماء يسمون أنفسهم بسمات الألوهية ، أو يدعون لأنفسهم ما خرج عن حدود الشرع ! كلا ، ثم كلا ، وحاشا ومعاذ الله ، هم براء من ذلك ، وان نسبه السفهـاء اليهم افتراء عليهم وبهتانا واثما مبينا ·

أترى انهم يرضون ان يوصفوا بما يصفهم بـه هؤلاء الجهلاء أو يعظموا بمثل ما يعظمون به الآن ! لا · لا،ورب الكعبة ·

اتراهم ـ لو وجدوا فى هذا الوقت ـ يصبرون على هذه الجرائم التى توتى باسمهم ولا يكونون أول رام معنا لهؤلاء المردة بسهم العقاب والملام ، ثم بطعان أسنة الأقلام ، الى ان ينزلوهم عن مراتبهم ويبينوا للناس أجمعين انهم قطاع الطريق ، لا شيوخ الطريق ، وانهم جراثيم الفساد يمتصون دماء الناس ، ويستنزفون أموالهم ، ويفسدون عليهم دينهم وعقائدهم ، فيتركونهم ولا دين ولا دنيا ؟

أتراهم يسمعون ما دخل علينا من الاوهام والخرافات والمرائى الكاذبات فلا يغارون على دينهم ولا ينتصرون له ؟ وهم ذادته وحماته ورجاله المخلصون ؟

الصوفية ـ رضى الله عنهم ـ لم يكن لهم شيء من هذا ولا عرفوه وانما كان حالهم كما ذكرنا ، والتصوف حقيقة ما قلنا يساير الاسلام حيث سار ، ويتوجه معه كيفما دار ، يقبله العلم الصحيح ويؤيده الدين الحق فهو كما قال الجنيد (رض) : « علمنا هذا مؤيد بالكتاب والسنة » وكان الصوفية أيامئذ علماء ، فقهاء ، محدثين وفى ذلك يقول الجنيد : « علمنا هذا لا يصلح الا لمن قرأ القرآن وكتب الحديث » فحفظوا بذلك من تلبسات الشيطان فلم يكن لهم شيء ينكر ، الا ما لم يسلم منه بشر ، من فلتات نظرية وعثرات لسانه (17) ٠

ومن ذا الذى ترضى سجاياه كلها كفى المرء نبلا ان تعد معايبه

على ان كلامهم لم يكن ـ ولن يكون ـ ككلام من لا ينطق عن الهوى صلى الله عليه وسلم يجب قبوله مهما صح ، بل ما كان موافقا لصريح الكتاب والسنة قبلناه ، وما لا ، فلا ٠ مع التماس العذر مثل فلتة ، عثرة ، غلطة والظن بهم على كل حال جميل ٠

اما أنتم المتشحون ـ فجئتم بعد ما طوحت به طوائح الزمان ، ورمت به نوائب الحدثان،فما كان منكم الا ان تدرعتم ببعض اصطلاحاته عن طعن المنكرين ، وحاربتم باسمه حزب المصلحين،ولكن سيهزم جمعكم وتولون الدبر فاربعوا على أنفسكم « **جاء الحق وزَهَقَ الباطل ان الباطلَ كان زَهُوقا** » ٠

---

(17) هذه الفلتات اللسانية هى ما يسمونه (الشطحات) تصدر منهم وقت الغيبوبة (والحال) فمن صدرت منه حالة الوعى فهو مؤاخذ بها لا محالة ، ومن صدرت منه وهو غائب عن الوعى ان وجد لها مخرجا عفى عنه ، اذا اشتهر بالفضل ، وان أصر عليها أو لا مخرج لها عوقب وكذا ان لم يشتهر بالفضل ٠

ألم تعلموا أن مقاومتكم هذه لا تزيد الناس الا نفورا منكم وحقدا عليكم حيث بكل حركة من حركاتكم الدفاعية ـ تفتضح عورة كانت عندكم مستورة ، وتبرهنون للناس على بطلان مدعاكم · فانتم تعينوننا من حيث لا تشعرون . وتخربون بيوتكم بأيديكم وأيدي المصلحين ·

أنصفوا ، فهل كان الصوفية ينتصرون لأنفسهم ؟ لا · ولكنهم يسلمون ويرضون لأنهم يرون الفعل حقيقة من الله ، ثم هو الذى يتولى نصرهم من حيث لم يحتسبوا ·

أين هو صبركم على الأذى واحتمالكم للمكروه ؟ ألم تسمعوا قول النبي صلى الله عليه وسلم : « المسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده » ؟ أوما كان من الدين ان تكتفوا بالكتابة فى الجرائد والقول ، فتبينوا للناس مذاهبكم واعتقادكم ، وتدفعوا ما يوجه اليكم من التهم ، وتكشفوا عما أحاط بكم من الشبه ، فيرجع بعضنا الى قول بعض ·

ولكن أبيتم الا ان تظهروا للناس خبث نواياكم وفساد طويتكم ، وتبرهنوا على ما تضمرونه من السوء لمن يريد أن يغيّر منكرا أو يبين حقيقة ·

ما فتكتم الا بانفسكم · اما نحن فقد انتصرنا،وأدينا الواجب،وبلغنا الدعوة، فان هلكنا ففى سبيل الله ، وان نجونا فقد عاهدنا الله ان نذب على الدين الى أن يظهرنا على القوم المجرمين ·

ذكرتمونا بتدبيركم قضية اغتيال الشيخ عبد الحميد بن باديس بجماعة الفدائيين و (شيخ الجبل) (18) بل هى أشبه بكثير بالقضية التى حكاها عن نفسه ابن العربي فى الاحكام حيث ذهب ليناضل امام الاسماعلية فلما غلبه أرادوا قتله لولا ان تفطن فاسرع بالهروب حافيا ·

---

(18) جماعة من الباطنية كان لهم شيخ يسكن بهم أعلى قمة جبل ويؤجرون أنفسهم لمن آجرهم ، ولهم جراءة فى الفتك عظيمة لا يكاد يفلت منهم ضحيتهم، ويسمون أيضا الحشاشين لتناولهم مخدر الحشيش ، ومن لقبهم هذا جاء نعت كل مغتال (حشاش) فى الفرنسية وينطقون بها (أساسان) ·

ولكن هل غاب عن حضراتكم ان قتل النفس حرام بل من أكبر الكبائر ، قال تعالى : « **ومن يَقتُل مؤمنا متعمِّدا فجزاؤه جهنمُ خالداً فيها** » (19) الآية ·

ومهما وجدنا من عذر لأولئك لا نجد لكم عذرا ، لأن الفدائيين والاسماعليين كفار ، لا يؤمنون بالله ولا باليوم الآخر ، اما أنتم فأستحي ان أقول مثلهم ، وان كان مذهب المتصوفة يلائم كثيرا مذهب الباطنية (20) ·

وقبل البحث عن هذا التشابه الكلي وما سببه ؟ أبرىء ساحتكم من ذلك ، لأنا نراكم تذكرون الله جهرا وتجعلون السبح فى أعناقكم ، وتصلون أمـام الناس · وان كنت أعلم ان الباطنية كذلك لا يتظاهرون بالكفر والالحاد ، بل يتزيون كثيرا بزي الزهاد والعباد ·

وانما أعلم من أمركم انكم ارتكبتم جريمة لا تغتفر ، قد يكون عذركم أن (حضراتكم) اذا غضبوا لا يقـوم لغضبهم شيء ، ولكن : أين عقاب الحكومة وفضحيتكم أمام الأمة جمعاء ؟

يقضى عـلى المـرء فى أيـام محنتـه حتى يرى حسنـا ما ليس بالحسن

اما أنت أيها العبقرى الكريم فنهنيك بسلامتك ، ونهنى الشعب الجزائرى كله ببقائك لتقوده الى حيث الهداية والرشد والصلاح والفلاح · ولئن أصابك فى سبيل الله ما أصابك،فتعز بما أصاب من سلفك من المصلحين الصالحين ، واصبر فان الله يحب الصابرين ، ولا يضيع أجر المحسنين » ·

فاس ــ **محمـد غـازي**
مدير المدرسة الناصريـة

---

(19) اختلف فى قاتل النفس عمدا غير مستحل القتل . هل له توبـة ؟ ومذهب ابن عباس انه لا توبة له اعتماداً على هذه الآية التى تثبت خلوده فى النار · ومذهب الجمهور أن له توبة ان كانت توبته نصوحا أخذا بعموم قوله تعالى ــ بعد أن ذكر موبقات منها الاشراك وقتل النفس بغير حق ــ : « **إلا من تاب وآمن وعمل عمَلا صالحاً فاولئك يبدِّل الله سيئاتهم حسنات** » اما اذا قتل نفسا مؤمنة معتقدا ان ذلك حلال لـه فهو كافر · وقد أفتى علماؤنا ان قاتـل النفس ــ ولو تاب ــ لا تقبل امامته ·

(20) تراجع مقدمة ابن خلدون فى فصل « علم التصوف » فقد ذكر وجوه التشابه بين المتصوفين والباطنية ومن أين جاءهم هذا ؟ وفى عظمائهم وشعرائهم شخص يقال له النجم الاسرائلى !

حزب الإصلاح لا ينكر التصوف الحقيقي

هذا ما جاء في تعليق صاحب الشهاب على مقال الشيخ محمد غازي السابق اذ قال عقبه ـ ونشر في العدد نفسه :

« **الشهاب** : قد أبان حضرة هذا الكاتب القدير عن حقيقة التصوف الاسلامي ومقام رجاله الاقدمين في العلم والعمل والتقوى والفضيلة ، وذكر ما اجمع عليه الجميع من وجوب عرض أصوله وأقوال أهله وأعمالهم على الكتاب والسنة · وبين كيف أندس هؤلاء الدخلاء في أهله وهم أبعد الناس عنهم لما انحطت المدارك العلمية ، وتخلى العلماء عن وظيفتهم · وفي هذا كله ما يدحض ما يتمشدق به الدجالون ، ويجاريهم فيه المغرورون : من انكار حزب الاصلاح الديني التصوف الاسلامي الحقيقي من أصله ، وانكاره على عامة أهله ليصرفوا الناس عن سماع كلمة المصلحين ويبغضوهم في دعاة الحق من السلفيين ، ويوهموهم أنهم هم على طريق أولئك العلماء الزهاد سائرون · والله يعلم انهم لكاذبون ، وسيحق الحق بكلماته ولو كره المجرمون ، اهـ ·

ونلاحظ ـ من المقال ومن التعليق ـ شدة الالتحام بين القطرين الشقيقين الجزائر والمغرب ، وتضامن علمائهما في حرب الدجل والخرافات والفساد الذي من ورائه قوة الاستعمار · وما يرى من عنف مشروع في مهاجمة هؤلاء المدعين التصوف المستغلين لغفلة العامة فانما يراد به افتكاك الشعب من أيديهم ، وتخليصه من نفوذهم ، اذ كانوا محالفين للمستعمرين ، مرتبطين معهم · وليس هذا ادعاء فقد كتبته الجرائد ، ومنها جريدة الطان ، ثم جريدة (المجلة الاهلية) وقد ترجم الى العربية ونشر في الشهاب · ولكن الشهاب بسعيهم واعترافهم منع من الدخول الى المغرب ، وأثناء الثورة الجزائرية اعترف قائدها بتخلص الشعب الجزائري من نفوذهم ، وان كان هذا النفوذ قد استمر في المغرب ، هذا من قبل · اما الآن ؟ وتبقى علامة استفهام !

الفصـــل الثاني عشر

أثـــر الشهاب في يقظة الشبيبة وسوء أثـــر بعض الزوايا

تحت عنوان « لمن أشكو ؟ ... » نشرت (الشهاب) كلمة في افتتاحيتـه العدد 85 بامضاء « مسلم غيور » من فاس يشكو من حال المسلمين ـ وخصوصا في المغرب ، ومما جنى عليهم نومهم وانصرافهم عن الاسلام الحق الذى مـــن مباديه انه يوجب عليهم مراقبة أحوال جيرانهم ، ووزن قوتهم بقوة مناوئبهم ، مما تعبر عنه الدول الغربية ـ اليوم ـ بالتوازن الاوروبي ، وناهيك بما لاختلال التوازن من الاثر السيء .

وجاء في هذا المقال الذى نشر في العدد المذكور بتاريخ 25 شعبان 1345 هـ، الموافق 24 فبراير 1927 م .

« نبذ المسلمون ويا للاسف ـ وهل يغني التأسف فتيلا ؟ ـ كتاب ربهم وسنة نبيهم ، فانتظروا النصرة من حيث لا تأتي نصرة ، وارتقبوا ـ وهم جالسون في قعر بيوتهم ـ ان تهب عليهم رياح النصر أو تشرق عليهم شمس السعادة .

يفزعون ـ كلما نابتهم نائبة ، أو حلت بهم كارثة ـ الى أصنام القبور ، كما كان يفزع اليها الأولون قبل ان تستنير افكارهم بمصابيح الدين .

يتعلقون بأذيال طواغيتهم من كهنة المشائخ الطرقيين ، ويتمسحون بهـــا تمسحا ، يعتقدون أن فيــه صلاح الدين والدنيا . خاب وخسر رجــل يرجو المعونة من غير اللــه . وضل مـــن ينتظر حصول مسبب عن غير سببه الــذى اقتضت النواميس الكونية جعله سببا في حصوله .

هذا هو السبب الحقيقي لسقوط مجد المسلمين ، وهذه علة من أكبر عللهم، فهل هم عنها مقلعون ؟

سبق أن ابنت ـ فى بعض كتاباتى ـ انه طاف بالمسلمين ـ وهم نائمون تحت مفعول المخدرات التى خدر أرباب الطرق والزوايا بها أعصابهم ـ طائف شعور فتنبه بعض أفرادهم للخطر المحدق بالجماعة الاسلامية ، وقام يعمل لصالح دينه بكل قوة واعظم ثبات ·

وسرعان ما سرى ذلك الشعور فى كل بلاد وقطر من الاقطار الاسلامية التى منيت بذلك الداء العضال ·

وقد كان قطرنا المغربي آخر من تأثر بتلك الأفكار الحرة السليمة،فنبغ فيه أفراد يعدون على الاصابع ، زاحموا إخوانهم على انهار الصحف والمجلات ، فقامت قيامة الدجالين والمشائخ وأبرقوا وأرعدوا ، وهرعوا للوسوسة التى هى سلاح العاجزيـــن ·

افسحت هذه المجلة ـ يعني مجلة الشهاب ـ المجال لبعض الشبيبة الفاسية، فنشروا على اعمدتها ما عن لهم نشره مما لا يخرج عن بيان حقيقة الدين الاسلامى وشرح المفاسد التى انجرت له من وراء أرباب الزوايا ، فرأى هؤلاء ان البلاء قد حاق بهم من كل جانب ، **فوسوسوا للحكومـــة ما وسوسوا** مما اضطر **ادارة الاستعلامات** الى التوجه من وراء بعض افراد تلك الشبيبة المتنورة ومحادثـــة بعض ضباطها لهم فى ذلك الموضوع محادثة تنم عما لاحرار الفرنسيين مـــن التنبه والرزانة ··· هذا آخر سهم فى كنانة الطرقيين المشعوذين ·

رمي به كبيرهم فى هذه العاصمة فأخطأ المرمـى ، فلتحـــذر الشبيبة شره ولتقاومـــه ···

اما الطرق فسنعلمهم من مقالاتنا المنشورة فى هذه المجلـة ان غائلتها شر الغـوائل ·

فـاس ـ مسلـم غيـــور

من هو الكاتب ؟

كان يكاتب الشهاب من فاس عدة كتاب كبار وعلماء أحرار منهم الشيخ محمد علال الفاسي زعيم الشبيبة حيئذ ، ومنهم الشيخ محمد غازى ، ومنهم الشيخ محمد أبو بكر السلاوى ، وكل واحد من هؤلاء مطلع على خبايا الزوايا ، متشبك معها فى معركة . ولعل هذه الكلمة لاحدهم . وربما كانت للمرحوم علال اذ تكلم فعم ثم خص الشبيبة بالكلام ـ والله أعلم ـ ومع الأسف ان هذه السعايـات اثمرت من بعد ، ومنع الشهاب من دخول المغرب ، كما منع صاحبه الشيـــخ ابن باديس مـن زيارة كان ينويها وعـزم عليها الى المغرب ، وكبيرهم ـ الذى أشار اليه ـ هو الكتانى ، وقد لعب ضد استقلال المغرب دورا كبيرا .



الفصل الثالث عشر

1 ـ نقيب الأشراف وانخداعه لمن خدعه بالله :

« كان نقيب الأشراف بالجزائر الشيخ محمد الشريف الزهار ـ من الشخصيات الجزائرية المحترمة، إماما بمسجد اسلافه بالقصبة ، ولكنه كان غرا كريما ـ كشأن المؤمن ـ ينخدع لمن خدعه بالله ، واتخذ موقفا من العليويين وشيخهم قبل ان يتبين ، فصرح بكلام فيهم وشهادة لهم ، فلم يسكت عنه (الشهاب) حتى لا يغتر المسلمون بكلمته لمكانته ـ ومكانة أسلافه ـ وطلب منه ان يبين الحقيقة ، فنشرت كلمة فى الشهاب عدد 82 الصادر فى 30 رجب 1345 هـ ، الموافق 3 فبراير 1927 م ٠

فما كان من هذا الأستاذ إلا ان تثبت ثم أعلن موقفه الصحيح الصريح ، واعتذر عما وقع منه قبل ، ثم تابع يفضح أمورا أخرى فى مقال ثان ٠ وفيما يلي ننقل ذلك مبتدئين باستفسار « طلب حقيقة » ثم بالبيان « الجواب بالبراءة » ثم بمقال « شر المغرورين أو الغروريين » ٠

2 ـ طلب حقيقة :

قال الشهاب فى عدده المتقدم ذكره :

« منذ اجتماع العلويين فى جامع سيدي رمضان للحج الأكبر (1) ـ كما يقول بعضهم ـ ونحن فى حيرة والتباس حقيقة مما صدر عن أحد أعيان العاصمة وهو الشيخ محمد الشريف الزهار الامام بجامع جدة رضى الله عنه ، من وقوفه

---

(1) كان من عادة العليويين وتجديد شيخهم ان يعقدوا مؤتمرا سنويا يحشرون اليه من استطاعوا من الاتباع والمحبين ، ويجيء هؤلاء من سائر انحاء القطر ومن تونس والمغرب والشرق وأوروبا ٠ واطلق عليه بعضهم اسم « الحج الاكبر » شأن المبالغين ٠

بذلك المحفل ، والقائه لتلك الخطبة التى كادت ان تنشق لها السموات ، ومدحه لذلك الشيخ مدحا مفرطا ادهش الحاضرين ٠

ودونك ـ أيها القارىء ـ ملخص قوله :

« أيها السادة انى كنت قبل الاجتماع بهذا الرجل العظيم أنكر عليه أقواله وأفعاله وأقدح فيه وأسبه ، وأقول لأتباعه إن شيخكم بدعي زنديق بل كافر وما اشبه ذلك ٠ والآن ـ وقد اجتمعت به ـ والحمد لله ـ فقد ظهر لي ما كان خفيا عني من الأسرار والأنوار ، وها أنا تائب مما قلته ، وأشهد انه ولي كامل زاهد قطب ٠٠٠ الخ » ، اهـ ٠

فبالله متولى السرائر هل كانت حقيقة اعتقادك ـ أيها الإمام ـ فى ذلك القطب ما فهت به أمام الجمهور ، أم كان نطق لسانك مغايرا لجنانك ؟ فصادقنا ـ أرشدك الله ـ حتى ترتفع عنا الحيرة ، وتنجو من الوقوع فى المحذور اقتداء بك ، حيث كنت إمام مسجد ، شريفا ، بل نقيب الاشراف ، وابن عائلة موصوفة بالصدق والكمال ، فكيف محضت فى هذا المجال ، فعجل بالجواب على كل حال ٠

الجزائر ـ مستبين

3 ـ الجواب بالبراءة :

ولم يطل الانتظار لسماع جواب هذا الاستفسار فقد جاء الرد سريعا ونشر فى العدد الموالى 83 الصادر يوم الخميس 27 شعبان 1345 هـ ، الموافق 10 فبراير تحت العنوان « الجواب بالبراءة » وهذا نصه :

الشهم الغيور مدير جريدة الشهاب الأغر سيدي أحمد أبو شمال،سلاما واحتراما ٠

« اطلعت فى جريدتكم السمحة عدد 82 على سؤال عنوانه « طلب حقيقة » بامضاء « مستبين » مضمنه اجتماع العليويين بمسجد سيدى رمضان ، وخطبتي فى ذلك الاجتماع ومدحي لذلك الشيخ مدحا مفرطا ، وطلب مني الكاتب حقيقة اعتقادي ٠٠٠ الخ ٠

فأقول ـ ولا أخشى لومة لائم ، لتظهر الحقيقة وضاحة الجبين ، واشهد الله الذى يعلم خائنة الأعين وما تخفى الصدور ـ أننى بريء من بدع المبتدعين ،

وخزعبلات المتصوفين ، وشعوذة المشعوذين ، ونصرة السفاكين (2) ... احب العلماء العاملين، والأولياء المتقين· طريقتي السنة والكتاب ، شاذلي رحماني (3)

بلغنى عن الطائفة العليوية وشيخهم (المربى) من الاسرار والانوار ما شوقنى الى مشاهدة رؤيتهم، فاجتمعت بالشيخ وأصحابه فى مسجد جدى محمد الشريف الزهار رضى الله عنه ، فكان كلامه في الصلاح والارشاد والوقوف على حدود الشريعة ونفع العباد (4) ·

ولا يغرنك لين من فتى ، ان للحية سما يقتل ، فاعجبنى ذلك ، وحمدت الله على وجود رجل مثل هذا ، فى هذا الزمن ، وخطبت خطبتى التى لا انكرها ، ولكن لما اطلعت على حقيقة أمرهم ، وحللتها تحليل الحكيم الكمياوى تمثلت بالمثل السائر : (ما أنت أول سار غرة قمر) (5) فتبين لى الرشد من الغى وظهر الامر بخلاف ما كنت أظن من أمور مصادمة للشريعة لا ينبغى السكوت عنها ، ولا يسعهم انكارها ، ويختم عليها مشافهة ، وحذرتهم من سوء عاقبتها عملا بقوله تعالى : « **وذكر فان الذكرى تنفع المؤمنين** » فأبوا وأصروا على فعلها · فتكلمت مع الشيخ نفسه ليزجرهم على ذلك فتبسم وسكت ، فلما علمت أن القوم اتفقوا على الضلالة نبذتهم نبذ النواة ، وهجرتهم وقاطعتهم وقلت لهم : « هذا فراق بينى وبينكم لان الحب في الله والبغض فى الله » فقد تحققت صدق ما هو شائع عنكم ، من هتك الدين باسم الدين ، وحمدت الله حيث

---

(2) يشير الى حادثة محاولة الفتك بالاستاذ ابن باديس ، واراقة دمه ·

(3) الطريقة الشاذلية تنسب الى الشيخ أبى الحسن الشاذلى دفين مصر ، وأصله من المغرب الاقصى وعاش كثيرا بتونس ، وله زاوية كبرى في أعلى مقبرة الجلاز · وهى الطريقة التى تفرعت منها الدرقاوية وعن الدرقاوية تفرعت العليوية · والطريقة الرحمانية هى الطريقة « الخلوتية » وتنسب الى « سيدى محمد ــ بفتح الميم ــ ابن عبد الرحمن » العالم الجزائرى الجرجرى الذى عاد بها من الشرق وانتشرت ، وكان لها مقام محمود فى المقاومة الجزائرية للاحتلال الفرنسى ، وهى طريقة الشيخ ابن الحداد ثم كانوا من بعد الاسلاف ــ كغيرهم ·

(4) هذا هو الكلام الذى انخدع له أبو يعلى ، لكن الكلام وحده لا يكفى فقد كان ديوانه في السوق مملوءا ضلالات مما يخالف تصريحاته ، ولذلك لم يقتنع الشهاب بادعاءاته ·

(5) صدر بيت من بيتين قالهما الحريرى لمن بلغته شهرته فرفع مكانته فلما رآه أزدراه وشك فى مكانته ·

أخرجني من الظلمات الى النور ، وشاهدت الامر عيانا ، فليس من راء كمن سمع • فتأسفت على ما صدر منى ، واستغفرت الله عسى ان يغفر لى ، ورجعت عن ذلك ، فان الرجوع الى الحق افضل من الباطل •

هذا هو اعتقادى ـ أيها السائل ـ وهذا هو دينى الذى أدين الله به ، فمن شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر •

كتب بالعاصمة فى 4 فبراير 1927 م

محمد الشريف الزهار



4 ـ شر المغرورين ... أو الغرورين :

ثم اتبع الشيخ الزهار براءته تلك بمقال تحت العنوان اعلاه ـ كشف فيه أقاويل وأفعالا مما ينكر الاصلاح على أصحابها ، ويحاربهم من أجله ـ وقد نشر هذا المقال فى العدد 88 من الشهاب ، الصادر فى 13 رمضان 1345 هـ ، الموافق 17 مارس 1927 م ، وهذا نصه بعد العنوان :

1 ـ « **هم المتمشيخون من المتعلمين** ، وهم الرؤوس الجهال الذين اتخذهم الناس بعد ذهاب العلم بموت العلماء ، وافتوا بغير علم ، فضلوا وأضلوا حتى ألفوا تآليف أباحوا فيها ـ لاهل البيت ـ جميع المحرمات ، مستدلين ـ بل محرفين لقوله تعالى : « **إنما يُريد الله** » الآية (6) ولا ينظرون لقوله عليه السلام : « لو كانت فاطمة بنت محمد لقطعت يدها » (7) ٠

2 ـ **والمتصوفون بل المتطرفون** ـ طهر الله منهم العالم يزعمون انهم يجددون لهذه الامة أمر دينها ، باذن من النبىء صلى الله عليه وسلم لانه يجتمع معهم كل يوم وليلة ، ولا يغيب عنهم طرفة عين ، ويلقنهم كيفية الذكر والصلاة عليه ، ويطلعهم على مقام محبيهم فى الجنة ومقام مبغضيهم فى النار، ويقول له :

---

(6) الآية هى قوله تعالى فى سورة الاحزاب : « **انّما يريدُ الله ليُذْهِب عنكم الرجسَ أهلَ البيت ويطهِّرَكم تَطهيراً** » ٠

(7) سرقت امرأة مخزومية ، وثبتت عليها التهمة ، فكبر على بعض الصحابة أن تقطع يدها ـ نظرا لسمو مقامها فى قريش ، فبعثوا أسامة وكان حب رسول الله عليه ـ ليشفع لدى الرسول ، فغضب وأخبر ان الذى أهلك من كان قبلهم أنهم كانوا يعفون عن زلة الشريف ، وينفذون الحد فى غيره ، ثم قال ما نقله الكاتب : « لو أن فاطمة بنت محمد سرقت لقطعت يدها » وليس أشرف من مقام فاطمة وحاشاها ٠

قل لاصحابك يفعلوا كذا وكذا ، ولم يفكروا فى حديث (من رآني فقد رآني حقا (8) فان الشيطان لا يتمثل بي) ــ فلا يرى إلا فى المنام ، ولا فى الحديث « من كذب علي متعمدا فليتبوَّأْ مقعدَه فى النار » (9) .

ثم منهم من يقول : لو غاب عني النبيء يوما واحدا لخاصمته بين يـــدى الله(10) الى ما لا نهاية له من سوء الادب مع سيد البشر، ولا تسأل عما ينسبون لانفسهم من الخوارق والشعوذات والخزعبلات التى تروج على الجاهلية مــن أولئك (المتنطعين) واعوانهم المفتونين .

3 ــ **وذرية الصالحين** ــ وما أدراك ما ذرية الصالحين ؟ ــ تركوا ما كــان عليه سلفهم الصالح وارتكبوا المحرمات ، ويزعمون ان آباءهم واجدادهم ضمنوا لهم وللمتمسكين بهم الجنة ، ونسوا حديث : « يا فاطمة اعملي ولا تتكلي فاني لا اغني عنك من الله شيئا » .

ثم من عجيب امرهم واغترارهم انهم يشربون الخمر جهارا ثم يقول المعتقد فيهم : انني رأيت سيدى فلان فى « الطبرنة » وظننت انه يشرب الخمر فناداني وقال لى : اشرب من كأسي هذه ، فلما شربته وجدت رائحته طيبة ، وطعمـــه عسلا ، والزجاجة شممتها بعد ذلك فوجدت رائحة الخمر ! (11) .

---

(8) رؤية النبيء صلى الله عليه وسلم يقظة مستحيلة شرعا وعادة لانه مات فكيف يقع الاجتماع به والتلقى عنه ؟ ولم يقع هذا لابى بكر ولا عمر ولا لفاطمة فكيف يقع لغيرهم ؟ ورؤيته مناما لمن يعرف شخصه من أصحابــه يقـــين لان الشيطان لا يتمثل بصورته ، اما من كان لا يعرف صورته ممن لم يجتمع بــه فمن أين له انه هو ؟ ألا يمكن ان يتصور الشيطان بغير صورته ثم يزعم أنها هى صورته ؟ ان الشيطان تجرأ على ان يتصور بصورة ثم يزعم انه ... هــو الله ! تعالى الله عن ذلك علوا كبيرا ــ فليتأمل .

(9) حديث متواتر المعنى واللفظ . رواه نحو مائة من الصحابة، ولا شك ان من قال : لأصحابه أمرني النبيء صلى الله عليه وسلم أن أقول لكم « افعلوا كذا وكذا » كاذب على رسول الله صلى الله عليه وسلم ، مستوجب دخول النار .

(10) أصل الخصومة بين ابن باديس والعليويين مثـــل هـــذا التعبير من ابن عليوة الذى رده ابن باديس فى رسالة له « جواب سؤال عن سوء مقال » واشتعلت الخصومة .

(11) كلمة « الطبرنة » تصدق ــ فى القديم ــ على كل مقهى أوروبى تباع فيه الخمر . والجلوس فيه كان مستهجنا جدا فى الرأي العام لأنه مظنة السوء . ثم ان هذه الشهادة لا يمكن ان تقبل ــ لو صدرت ــ لانها صادرة من «سكير» لمثله تبريرا لعملهما ، ولا تروج الا على المغفلين ــ والصحيح انها كذب مروي من « الاخوان » لتبرئة السكيرين من تهمة السكر .

ويقول آخر : رأيت ابن سيدى فلان ، ومعه امرأة زانية ··· فلما خطر فى قلبى شىء منه نادانى وقال لى انظـــر ما أنـــا راكب فوجدتها دابـــة وهـــو فوقها ··! (12) الى غير هذا من امثاله وأكثر منه مما لا يكاد العاقـل يصـدق بوقوعه لولا مشاهدته وذيوعه ·

وما اكتب لكم هذه الرسالة لتنشروها ـ الا لانى تلاقيت مع كثير من هؤلاء واطلعت على أمورهم فمتى يخلص هذا القطر التعيس من شرورهم ؟

محمـد الزهـار ـ امام ونقيب الاشراف

---

(12) أبلغ من هذا فى الاستبلاه ما يحكى أن أحدهم خرج من بيته وتـــرك شيخه مع زوجته فى خلوة ، فلما رجع وجد الشيخ يفعل بها الفاحشة فقال مكذبا بصره « تريد أن تمتحننى لتفسد نيتى ! والله ما فسدت ! » وهذا الذى ذكره الشيخ لا يعفى شيخه لانه يثبت عليه الوقوع مع ··· دابة ـ والدابة فى عرفنا العامى هى (الاتان) انثى الحمار ! !

5 ـ غاية حزب الإصلاح الدينى تطهير الطبقات :
سكوت العلماء آفة

علق « الشهاب » على هذه المقالة من نقيب اشراف الجزائر بقوله :

« هذه الاصناف الثلاثة قد ملأت القطر الجزائرى المسكين وشقيقيه التونسي والمراكشى ، فقد أفسدت عليه أمر دينه ودنياه وقطعت عليه طريق الحيــاة والتقدم • وقد امتزجت هذه الاصناف الشريرة بالطبقة العامة التى هى أساس بنائها ، ومبعث قوتها ومادة وجودها فلا يرجى للامة تقدم أبدا الا بعد تطهير هذه الطبقات من الادران • وتلك هى الغاية التى يسعى اليها حزب الاصــلاح الدينى فى الاقطار الثلاثة • وما زاد هذا الداء انتشارا الا سكوت العلماء عــن التغيير ، وكتمهم ما عندهم من علم ، وابتغاؤهم رضى العباد قبل رضى الله • واذا كانت لهم شبهة فى السكوت قبل اليوم فلا عذر لهم اليوم فى التخلــف وقد رفع راية الاصلاح ابطالها المجاهدون ، فلينضموا الى حزب الله فان حزب الله هم الغالبون » •

الفصل الرابع عشر

الكتاب الإصلاحيون ، والضلال الخرافيون

« عاد الى القول الأستاذ بيضاوى ـ وهو الشيخ مبارك الميلي رحمه اللـه تستر تحت هذا الامضاء المستعار ، وكان يفعل ذلك عندما يريد ان يشتد فى الهجوم ، ويتنازل الى أسلوب القوم ـ وفى هذا المقال يرد على بعض ما جاء فى جريدة البلاغ لسان حال العليويين وشيخهم ، بمناسبة حادثة محاولة الفتك ، ومقاله عنها « ابن ملجـم القـرن العشرين » ـ اذ هاجموه وألحوا فى معـرفة شخصه ، وزعموا ألا فرق بين القول والفعل،فجاء هذا المقال ردا عليهم ، وتحت العنوان الأعلى نشرته جريدة (الشهاب) فى عددها 86 الصادر يوم الخميس 27 شعبان 1345 هـ ، الموافق 3 مارس 1927 م٠ قال :

« لقد حمـل الكتاب الاصلاحيون ـ غير واحـد ٠٠! على طائفة الضـلال الخرافيين ـ حملة الأسود الضراعمة على الحمر الوحشية،فلم تقابلهم بغـير شهيق يملأ الفضاء ، ويصم الآذان ٠

اجتمعت هذه الطائفة اثر تلك الحملة باصطبلها ، ولم تستر اقذارها عـن الأعـين فأبرزت للناس (وريقة) لطخنها بسيال أمعائها وحمـأة أفكارها، فشوهت بها دمية الأدب الجزائرى ، وغيرت جوه النقي ٠

حشرت ـ ولم تستح ـ وريقتها تلك مع الصحف الجزائرية ، وهجمت على الكتابة والتحرير هجوم أستاذها على الشعر والتفكير ، وكان الاجدر بها ـ لو عرفت كيف تعيش ـ أن تصرف عنايتها الى اصطياد البسطاء فى ظلام الجهل بسلاح الخزعبلات ، وجوارح الدعاوى العريضة ٠

استعدت هاتيك الطائفة ـ من قبل ان تخلق جريدة المنتقد ـ الى نشر دعوتها بكل الوسائل ، واشترت ـ بعد تجربة طرق كثيرة للدعاية ـ مطبعة جمعت أموالها ممن ساقهم طالعهم الى مخالبها ، وعزمت على اصدار جريدة لخدمة جناب القطب المنجمد ! ولكن أستاذها ـ من افذاد الاذكياء ! ـ عرف انها لا تروج الا عند المشتركين فى سبحته ، فرفق بهم ، ولم يجمع عليهم اشتراكين ! وذلك مما لا ينتبه له الا من شاب فوداه (1) فى اختبار طرق استدرار الدينار ٠

ولما جاءت نوبة الحديث عنه بجريدة (الشهاب) وجد الفرصة مناسبة لاصدار الجريدة ظنا منه ان الكتاب الاصلاحيين سيرفعون من قيمتها ويضيعون أوقاتهم فى معارضة هذيانها ، فتتشوف نفوس القراء اليها ، وتروج عند غير المشتركين فى سبحته ، وفى رواجها افظع سبة للامة الجزائرية ، وان رضيتها بعض صحفنا رصيفة لها ، ووصفتها بالغراء ! كأنها تتقرب اليها بذلك ، ولم تجد سبيلا الا بنقل نعى المتوفين عنها ٠

ولعل هذا الفرض السخيف خفى على بعض الاصلاحيين فكتب عن تلك (الوريقة) بالشهاب ، وجارته فى ذلك الادارة نفسها ـ مرة فقط ـ وهو ما لا نود ان يقع من بعد ٠

أقترح على الكتاب الاصلاحيين ـ بالجزائر وفاس وتونس ـ الا يشغلوا أقلامهم البليغة بسفاسف هذه الشرذمة ، فانها لا تتأثر بالكلام البليغ ، ولا يندى جبينها من الفضائح ، ولا نتيجة تبحث عنها غير اجتلاب الفلس من طرقه المذمومة ٠

لا تظنوا أن هذا الاقتراح ـ ان قبلتموه ـ سيسرها وتنشط فى عملها ، اذ يخلولها الجو ويتسع أمامها الميدان ، بل انه ليحزنها ويحيرها لان فيه حبس وريقتها عن الرواج ، وابقائها فى حوانيت باعة الخضر ، اذ انها لا تباع ـ بقسنطينة ـ الا عند أحدهم ، لانهم لم يجدوا من باعة الدخان من هو ذو لحية تيسية ٠

---

(1) الفودان : جانبا الرأس مما يلى الاذنين الى الامام ، والشعر الذى عليها٠

لا تفهموا ـ من اقتراحى هذا ـ انى أطلب منكم ترك الكتابة رأسا عن هذه الشرذمة فانى انما أطلب منكم الاعراض التام عن مناقشة تلك الوريقة لكونها ساقطة تجل مجلتنا الشهاب عن الاشتغال بها ٠

نعـم ان فى الامة من تغره الثرثرة ، لذلك أحب أحيانا التنازل لمناقشة الغوغاء ولكن فى غير (الشهاب)،فلو وفى الواعد باصدار جريدة (المهماز) بوعده لكتبنا فى هذه الجريدة باللغة التى يفهمها أولئك الزعانف واجبرناهم عـلى الحيـاء ٠

ولكن اكتفوا ـ أيها الكتاب المجيدون ـ بمناقشة الطائفة نفسها وابـداء ترهات طريقتها ، واظهار خزعبلات تعاليمها ، ولا تضعوا معاويلكم دون هدم صنمهـــا ٠

ذلك الصنم العصرى الذى اجتمع فى وسطه العقائد الفاسدة المتباينة من مجسمة،وجبرية ، وباطنية ، وحلول مطلق ، وحلول معين (2) وغير ذلك مما يجده من يصبر لقراءة شرح ابن عاشر ، وهو شرح يشهد لصاحبه بانه مـن ابرع من يحرفون الكلم عن مواضعه ٠

ومع كونى أقترح عليكم أيها الكتاب ذلك الاقتراح فان استمنحكم العفـو ـ مرة واحدة ـ فى ابداء ملاحظات قد تتفكهون بها على مقالة (المنسوب لإمه) كما هو قانون (اليقاشين) خلاف ما جاء فى الكتاب العزيز (3) ٠

---

(2) هذه كلها من طوائف المبتدعة : فالمجسمة يشبهون الله تعالى بخلقه ، وليس كمثله شيء ، والجبرية يقولون ان الانسان مجبور على فعل الخير والشر وهو كالريش فى مهب الرياح ، والباطنية ـ وهم غلاة الشيعة ـ يقولون ان للقرآن ظاهرا ، وله باطن يفهمه الائمة المعصومون ، ويؤولون معانى القرآن بما لا يقبله عقل ولا نقل ٠ وأهل الحلول يزعمون أن الله ـ تعالى ـ يحل بعباده الذات القديمة بالحادث ، وهو من قول النصارى فى طبيعة المسيح عليه السلام، ومنهم من يقول بهذا ومنهم من يقول : « ليس فى الوجود سوى الله ! » كل شيء عندهم هو الله !٠٠ وكل هذه العقائد موجودة فى ديوان الشيخ وفى شرحه على المرشد المعين لابن عاشر ، وهو خلط عجيب زعم أنه يشرحه على مذهب القوم فاتى فيه بما لا يصدر عن عاقل ٠ وقد اطلعت عليه ولم أصبر على ختمه !

(3) الذى انتسب لامه هو الكاتب العليوى (عدة بن تونس) ، ومن اسماء النساء عندنا قديما أسم (تونس) ٠ وعادة الناس أن ينتسبوا لآبائهم (فلان ابن فلان) وبذلك جاء القرآن الكريم فى ابطال التبنى : « **أدعوهم لآبائهم هـو أقسطُ عند الله** » ولكن جرت عادة (اليقاشين) ـ وهم الذين يحترفون كتابة الحروز . ويتخذون لذلك (حانوتا) يسدلون على بابه كلة ٠ ويكتبون للحب بين الجنسين والكراهة أن يسألوا حرفاءهم عن أسماء امهاتهـم لان ولادة الام لابنها لا شك فيه بخلاف الابوة ! وهذا ما يشير اليه الكاتب سخرية بالخصم ٠

انني اشفق على هذا الكويتب ، أو (الكويذب) ولا أمزقه تمزيق الليت للتيس لانه حديث عهد بقراءة (سيدى خالد على الاجرومية) ـ كما يقــول امثاله حسبما يدل عليه : « حتى لا يصير السامع منتظرا لشيء آخر » (4) ·

وقوله : « من قبيل المجموع لا من قبيل الجميع » · وقد غرته نفسه ـ وهم طائفة الغـرور ، وحدثته نفســه بمنازلة بيضاوى ! وهـم شرذمة الدعاوى ـ ما بالك لا أبالك ـ تلج مضائق لا ينفذ اليها سر شيخك ، وتحمل نفســك ما لا طاقة لك بعبئه ؟

لو كنت ممن يفهم الخطاب ويفقه معانى الكلام لتركتك تفزع من صــولة كل كاتب ··· فزع البكر من صولة الناكح (5) ··· ولو استطعت ان أفعل كما فعل المتنبى مع ضيفه لربيت فيك الحياد ولو كان وجهك من أديم الكلاب ·

ولكنك لم تستطع الصعـود لفهـم كلامى ، ولا أستطيع النزول لتفهيمك فأشكر الذى منحك البلادة وطوقك بالجهالة ·

يقول ابن تونس اني أسأت الى القارىء بعنوان المقال (6) ـ كانه وكيــل على القراء (يعني فرّاي) (7) ـ لاننى ذكرته بفتنة مشؤومة على المسلمين ولم يفهـم ـ ومن أيـن يأتيه الفهـم ؟·· وجـه المناسبة بين القضيتين التاريخية والحاليــة (8) .

---

(4) سيدى خالد يسمى به شرح الاجرومية للشيخ خالد الازهرى وهو أول ما يتعلمه الطلبة فى النحو بجامع الزيتونة ، فى السنة الاولى ، ويسمـون به الطبقة الاولى كلها (طبقة سيدى خالد) وقد غاب عليــه الاتيان بالـلام لان « منتظرا » يتعدى بنفسه ، فالصواب منتظرا شيئا آخر ·

(5) يشير الى قول الشاعر :

كبكـر تحـب لـذيـذ النكــاح ... وتفـزع مـن صولـة الناكـح !

(6) يقصد المقال الذى عنوانه (ابن ملجم القرن العشرين) ·

(7) كلمة فرّاي عاميه يراد بها الفضولى الذى يتدخل فيما لا يعنيه ·

(8) القضية التاريخية هى أغتيال أمير المؤمنين على بن أبى طالب من طرف أشقى هذه الامة عبد الرحمن بن ملجم المرادى · والقضية الحالية هى محاولـة العليوى ميمين محمد الشريف أغتيال الشيخ عبد الحميد بن باديس · فالمناسبة واضحة ، ومن المعلوم أن وجه الشبه فى المشبه به أقوى فلا ابن باديس فى درجه على ، ولا ممين فى درجه ابن ملجم ولا القرن الاول مثل القرن الرابع عشر ولكن ابن تونس ـ يحاول ان يثير ـ على الكاتب وعلى حزب الشهاب ـ ثائرة اخواننا الاباضية فى الجزائر ولم يدر أنهم من أول المنكرين على ابن ملجم فعلته ويبرأون الى الله منه ، ولا تلزمهم معرته « **ولا تزرُ وازرة وِزر أخرى** » ·

أليسوا هم الذين ذكرونا بها ؟

أليس الشــؤم يذكــر الشــؤم ؟

فما لهؤلاء القوم لا يكادون يفقهون حديثا ؟ .

ويقول ابن أبيه : ان شيخه لا عقب له كما ان النبي صلى الله عليه وسلم لا عقب له ! لقد ذكرني بهذا ـ حكاية عن بعض الماجنين : كان ماجن لا عقب له ثم توفيت زوجته ، فسأله بعض أصحابه : كيف حالك ؟ فأجابه بانه مثل الله فوقف السائل موقف الدهش من هذا الجواب ، فقال له ذلك الماجن ألم أصبح لا صاحبة لى ولا ولد ؟

ولكن صاحب الحكاية هازل ماجن أما ابن أبيه فهو جاد محتج ! وبعد فلم أرد ـ لو قدر له الفهم ـ تعبير شيخه من هذه الوجهة ، ومن تأمل قولنا « انما هو رجل يخدم على نفسه فقط » عرف المراد (9) .

ومن شك في بلادة هذا المخلوق فلينظر الى تسويته بين الكتاب الاصلاحيين وبــين اخوانه الفدائيين اذ يقول ـ أنقل عبارته للبركة ! : واى فرق تــراه ـ بالله عليك ـ بين الجانى على المسلمين بيده ، وبين الجانى عليهم بلسانه (10) .

أليس هذا التصريح ـ من كاتب فى وريقتهم الدفاعية ـ صريحا فى الدفاع عن ذلك الجانى ؟

ثم أليس ذلك حجة قاطعة على مشاركتهم فى الجناية ؟

ثم أليس ناطقا بان عدتهم الدفاعية هى الهراوى والموسى فهــم يعتمدون فيما بينهم على السر ، وفى الخارج على الشر (10) .

وقد أراد هذا المغبون ـ الا من البلادة ـ ان ينفى عن رهطه الدفاع بغــير القلم واللسان فقال ـ نفعنا الله بفقد أمثاله ـ « ولا تنس ان فى الزوايا خبايا ولتعلمن نبأه بعد حين ، وما هى من الظالمين ببعيد » (11) .

---

(9) كلمة ابن أبيه تستعمل عند ما لا يكون الاب معروفا وهى صادقة على أى أب كان شرعيا أم لا ـ وكلمة (يخدم على روحه) يعنى أن ليس له هم شديد ، وحرصه على الدنيا يشتد ذمه فى العرف ، خصوصا اذا بلغ الامر الى بيع دينه بدنياه ولعل المراد أنه حريص لا يضيع الوقت .

(10) فى هذا التعبير صراحة بان من انكر على مبطل ضال افساده للناس وتحريفه للدين مثل الذى يرفع عليه الموسى ويضربه ويحاول ذبحه ! ابن باديس وممين سواء عند ابن تونس !

(11) فى هذا الكلام تهديد واضح وأصرار على استعمال العنف مع المصلحين الذين يعتبرهم ابن تونس من الظالمين !

الفصل الخامس عشر

الاعتداء على زعيـم النهضة الجزائرية العظيم

ـ أريد حياته ويريد قتلي

« كل ما تقدم من مقالات ومحاورات مما كتب باقلام جزائرية أو مغربية وهذا قلم تونسى كريم يشاركهم فى هذا الموضوع ، وقد أرسل مقاله من بعيـــد واختار لنشره مجلة الشهاب ، وعائلة شقرون من العائلات التونسية الماجدة، ولهم من يشاركهم فى هذا العلم بالجزائر وبالمغرب ، وليس هو الوحيد الذى كتب فى الموضوع فقد نشروا مقالاتهم فى الصحافة التونسية التى اهتمـت بالحادثة أيما اهتمام ، وفى هذا المقال بيان لعاطفة صادقة مما يكنه امثـال هذا العالم الفاضل لحزب الاصلاح ورئيسه ابن باديس »٠

قال الشيخ على بن محمد شقرون الطالب بالسنة الرابعة من القسم العالى النظامى بالازهر الشريف تحت العنوان أعلاه ونشر فى (الشهاب) عدد 89 الصادر فى 20 رمضان 1345 هـ ، الموافق 4 مارس 1927 م ٠

(أفضى الى بخبر الاعتداء على الاستاذ الجليل والمصلح الكبير ـ بينما كنت طريح الفراش لألم ألم بي ، فحال بيني وبين القيام بالواجب نحو الأستـــاذ المعتدى عليه ونحو المجرم المعتدي معا ! !) ٠

نعم ، انه حال بينى وبين الواجب المقدس ، ولكنه ـ رغم شدته ـ لم يحل بينى وبين التألم والتأثر والتأوه وللحال تمثلت الأستاذ يقول : (أريد حياته ويريد قتلى) هكذا تضاعفت الآلام ، وهكذا تعددت الموجعات والخطوب، والارزاء وهكذا قدر الامر فكان ٠

لم يدع الإستناذ المصلح الكبير الى منكر ، ولم يعمل على ترويج ضلال أو احقاق باطل أو ازهاق حق ، أو اعتداء على كرامة ، أو انتهاك حرمة ، أو سلب أموال ، أو ازهاق أرواح الى غير ذلك من الاسباب التى تدعو الى التذمـــــر والامتعاض وتحريك ثائرة النفس ٠

٠٠ ولكنه ــ حفظه الله ــ قام يدعو الى دين الله الحق بالتى هى احسن فى غير عنف ولا شدة مبينا ــ بوجه مشروع وحجة سليمة ــ ما ادخل على الدين الحنيف والملة السمحة من الامور الباطلة والعقائد السخيفة التى ليست منه فى شيء ٠ علاوة عما يدعو اليه من الاخذ باسباب الرقى والتقدم فى كل ناحية من نواحى الحياة الحقة التى تتفق مع روح العصر الحاضر ٠

أفمن يدعو الى حق ويبين للناس ما اعتقدوه من شرع الله وليس منه يعتدى عليه وتنتهك حرمته ؟ ؟ وهل جزاء الاحسان الا الاحسان ؟

نعم كل امرىء ينفق مما عنده ، فلا غرابة اذا تألبت جماعة الاضلال وأهل الباطل والافساد الذين اعتادوا ان يعيشوا عالة على العباد دون ان يدرك هؤلاء السذج البسطاء العقــول ، الذين لــم تتنور افكارهم ، ولم تتثقف مداركهم ما يستعمله أولئك الدجاجلة من التمويهات الفارغة ، وما يتخذونه وسيلـــة لابتزاز الاموال بغير وجه مشروع ، وانتهاك الاعراض لاجل التبريك « **واللــهُ يعلَمُ إنهم لكاذبون** » ٠

عز عليهم ان يبين للناس حقيقة دينهم القويم ، وأمر أولئك المشعوذيــن خشية ان يفقدوا عطف العامة عليهم فيفقدوا ــ تبعا لذلك ما اعتادوا أخــذه وسلبه وابتزازه دون حق أو شرع ــ فجمعوا جموعهم ، واصطفوا بطلا مــن أبطالهم ــ وهكذا اجتمع من قبل كفار قريش واختاروا منهم جماعة لازهاق روح سيد المرسلين صلى الله عليه وسلم ــ لينالوا من أبى الشبيبة الناهضـــة ويمكروا به . ولكن الله مكر بهم وهو خير الماكرين فخلصه ونجاه كما نجــى نبيــه ووقــاه :

واذا العنايـــة لاحظتــك عيونهـــا   نـــم فالمخــاوف كلهـــن أمـــان

ونحن ــ اذا استعرضنا شيئا من التاريخ ورجعنا الى الذكريات والحوادث الماضية وجدنا للاستاذ المصلح اسوة حسنة بغيره من الزعماء والعظماء والعلماء

الذين وهبهم الله قلوبا حية ، ونفوسا طاهرة ، وعقولا راجحة وغيرة دينية صادقة ، فحاولوا ما حاوله الاستاذ الكبير وأرادوا بارادة المصلح العظيـــم ، فاصابهم ما أصابه في سبيل الله والدين والحق ! !

لقد نال زعيم تونس الجليل الاستاذ عبد العزيز الثعالبي (1) الشيء الكثير في هذا السبيل، وكادت تفتك به الغوغاء والزعانيف من أذناب أولئك الأوغاد المشعوذين ومن انتمى اليهم · ثم انظر اليهم ـ بعد ان فهم القوم ما دعاهم اليه ونبههم عليه ـ كيف قدروا جهاده ومجدوا فعله واحبوا ميوله واحساساتـه فأصبح أبا للشعب وحاملا لواء الامة بعد ما كان الد أعدائها (في زعم اعدائه) ولا تنس شبيبة اليوم ، والطبقة المتنورة في الامة من ازدرائهم علنا بالشعوذة والمشعوذين على صفحات الجرائد وفي الاجتماعات العامة ·

وناهيك بما لاقاه فقيد الاسلام والمسلمين المرحوم الامام محمد عبده ، فقد قص علينا بعض شيوخنا من تلامذته ـ رحمه الله ـ قصصا وحكايات يندمل لها القلب ، ويذوب لاجلها الفؤاد أسى ، لان الاستاذ الامام حاول الاصلاح ، ونعى على المذبذبين سلوكهم وطرائقهم ·

ولكن القوم يترحمون عليه ، ويتمنون امثاله من دعاة الاصلاح والعاملين عليه والمحبذين له ·

وهكذا احسنوا الى الاستاذ الباديسي من حيث أرادوا الاساءة الى شخصه الكريم ـ بل استغفر الله ـ الى المبادىء التي يجاهر بها ، ويدين الله عليها ، ويحبب قومه فيها ، بالدليل المقنع والحجة الصادقة والبرهان الواضح في

---

(1) الشيخ عبد العزيز الثعالبي ـ من آل الثعالبي الجزائريين ، استوطن أهله بتونس من بعد الاحتلال ، ثم كان هو مؤسس الحركة الوطنية بتونس ، ألـف كتاب (تونس الشهيدة) ونظم الحركة للمطالبة بالدستور ، وسمى حزبـــه (الحزب الحر الدستوري) وكان يدعو الى الاصلاح الديــــني والسيـاسي ، فاستعملت فرنسا سلاح الدين ضده كما ذكره الكاتب ـ ولكنه استطاع ان يؤلب الرأى العام التونسي ، والقيام بمظاهرات صاخبة ، وكاد القصر الملكي ينظم الى حركته ، فادركت فرنسا خطره ، وأخرجته من تونس ، وبقي حزبـه يواصل الحركة من بعده ثم انشق ـ في غيبته ـ الى حزبين القديم والجديد ، وكان على رأس الجديد السيد الحبيب بورقيبة الذى واصـــل الكفـــاح الى الاستقلال عام 1956 م ، وكان الثعالبي عام 1927 م ، في قمة شهرته ومجده رحمه الله ، توفي بتونس في الاربعينات ·

لين وهوادة ورفق · فسجلوا اسمه فى صحائف الزعماء والعلماء والعظماء من حيث لا يريدون ·

واذا أتتك مذمتي من ناقص فهى الشهادة لى بانى كامل (2)

وبعد فقد بلغ السيل الزبى ، وأصبح الامر غاية فى الخطورة ، ونهاية فى المجازفة بالاعتداء على الارواح ، والخروج عن مقتضى الواجب الذى يتحتم تقديسه ومراعاة حرمة القانون (3) ·

ان الاستهانة بالقانون جريمة لا تغتفر ، وذنب لا يصفح عنه ، وعمل لا يبرره شيء ، فقد انتهك ذلك المعتدى حرمته ، وخرق سياجه ، وشوهه تشويها باعتدائه الشخصى على من خالفه فى العقيدة دون ان يلزمه الاستاذ بعقيدة خاصة ، أو رأى خاص ، كما انه لم يلزم غيره بحال من الاحوال برأى من الآراء ومذهب من المذاهب ·

فأى مبرر يبرر له ان يتولى القصاص بنفسه دون ان يلجأ الى القضاء ؟ وما ذلك المبرر وأى قانون يسمح لمثل ذلك المعتدى باقتراف ما اقترف دون ان وكل الامر الى رجال الادارة ؟

حقا انها جريمة مزدوجة تثير رجال القضاء وحماة القانون وأرباب الادارة فماذا عساهم ان يفعلوا ازاء ذلك ؟

أرجو ان يتتبع الشهاب الاغر جميع خطوات القضية بدقة واسهاب ، حتى لا نحرم استيعاب اطرافها والالمام بشعبها على وجه كامل واف ·

وختاما اهنىء الاستاذ أولا بنجاته ، أمد الله فى عمره العزيز ، وأدام بقاءه ونفع به · ثم الشبيبة الجزائرية الناهضة برافع لواء الاصلاح ، وحفظه من

---

(2) من أقوال أبى الطيب التى جرت مجرى الامثال ·

(3) القانون ـ فى ظل الاستعمار ـ انما هو لحماية المستعمرين وتثبيت أقدامهم ، واما أبناء الوطن فانه يسرهم تناحرهم وفتك بعضهم ببعض ، سيما اذا كانت الشخصيات التى تدعو الى الاصلاح والنهوض والحياة هى الضحايا · ومن أشتكى الى « القضاء » الاستعمارى فكمن قال المتنبى فيه :

« شكوى الجريح الى الغربان والرخم »

أو كمن قال فيه الشاعر الجاهلى :

المستجير بعمرو عند كربته كالمستجير من الرمضاء بالنار

تلك اليد الاثيمة ـ ثم بقية الامة ممن يعطف على الحركة الاصلاحية وتصبو نفسه الى نجاحها وتعميمها فى سائر نواحى الحياة ٠

ويجب ان يكون الحادث مشجعا للعزائم ، مقويا للهمم مجددا للقوى ، باعثا على التقدم مرددين :

لا يظهــز العجــر منادون نيل مــنى ولــو رأينــا المنايــا فى أمانينــا

القاهــرة ـ **علي محمد شقرون**
بالسنة الرابعة من القسم النظامى
الازهــر الشريف



الفصل السابع عشر

للحقيقـة والتاريـخ

عبيد الله بن عمر لا عبد الله

كاتب هذا الاستدراك هو العلامة الشيخ اسماعيل بن على بن صالح الجيجلي من آل جغرى أو ابن جغر ، وهى عائلة كبيرة من دائرة الطاهير ـ بنى سيار ـ يستقر كثير منها بمدينة قسنطينة ويحترفون التجارة ويشاركون فى حركاتها الاصلاحية والوطنية ·

ومنهم زميلنا وصديقنا الشيخ عمر جغرى رحمه الله ، أستاذ الرياضيات بمعهد عبد الحميد بن باديس ثم الاستاذ بثانوية حيحى المكى · وكان الشيخ اسماعيل رحمه الله زميلا للشيخ ابن باديس اثناء الدراسة بقسنطينة ثم سافر الى الشرق وتابع دراسته فى الازهر ثم دخل فى سلك أساتذة الازهر، وتزوج مصرية ، وولدت له أولادا كان أحدهم ضابطا فى الجيش المصرى ، ولكـــن الشيخ اسماعيل بقى على صلة بصديقه ابن باديس ورأيت كتابا للشيخ من اهدائه وهو « الاخلاق لابن مسكويه » ·

وتوفى الشيخ اسماعيل بمصر ولم يقدر له ان يزور الجزائر(*) ولكن زوجته جاءت بعد استقلال الجزائر ، ورأيتها فى مدرسة التربية والتعليم سنة 1962م·

(*) نبهنا الاديب الالمعى محمد العيد ـ الهانى ـ بستانجى ـ رئيس القسم العربى بالمطبعة ـ الى انه ادرك الاستقلال وزار قسنطينة 1963 م ، وصلى الجمعة بمسجد حسين باى ولقى أمامه الشيخ محمد الطاهر الجيجلي ـ وقد عدنا اليـه ـ للتأكيد ـ فأيد الخبر ، وانه عند ما ذهب الى الحج نزل عنده بالقاهرة فاكرم مثواه فلما كانت سنة 1963 زار قسنطينة ومكث فيها أياما فى عائلته معززا مكرما ـ ثم ذهب الى مسقط رأسه ببنى سيار من ولاية جيجل ، وصعد الجبل ، وركب ـ من بعد السيارة والطيارة ـ الحمار !

ثم مات بالقاهرة ـ كما ذكر بعض اقاربه ـ عام 1966 رحمه الله · نذكر هذا للتحقيق ، وشكرا للاستاذ بستانجى ·

وهذه الكلمة التى أرسلها الشيخ اسماعيل رحمه الله يصحح بها هفوة تاريخية وقعت في مقال للشيخ أبى يعلى الزواوى · وقد نشرت فى العدد 90 من الشهاب الصادر فى 27 رمضان 1345 هـ ، الموافق 31 مارس 1927 م ، وهذا نصها :

حضرة الوطنى الغيور (1) مدير مجلة (الشهاب) وفقه الله لما فيه خير الوطن وسعادة أهله ، وكتب لشهابه حظا وافرا من تمحيص الحقائق ، وتلافى ما زل عن الاذهان ، أو شطت به اقلام الكتاب · السلام عليكم ورحمة الله ·

وبعد فقد اطلعت ـ فيما اطلعت عليه ـ في العدد الثالث والثمانين من الشهاب على مقال مدبج ببراعة الاجتماعى الكبير والبحاثة الخطير العلامة الشيخ سيدى الزواوى تحت عنوان « إلى الكاتب السلاوي الفاسي » ذكر فيه فى مقام الاعتذار عن « البيضاوي » فيما ألقاه على الشيخ من تبعة فى الجناية الواقعة على الاستاذ الشيخ عبد الحميد بن باديس ما نصه :

« وفهمت منه ـ يعنى المعتذر عنه ـ انه شديد الغيرة وحريص على السنة ومحب للشيخ ابن باديس فاعذره كما عذر عثمان بن عفان عبد الله بن عمر ابن الخطاب ، اذ حمله جزع الفنك بأبيه وبتسعة من الصحابة العظام ـ فقتل الهرمزان بدون محاكمة ، وأبى على بن أبى طالب الا محاكمة عبد الله بن عمر الى آخر ما ذكره فى هذا الصدد

ولما كان لكلام الشيخ منزلة خاصة في النفوس ـ لما عرف به من سعة الاطلاع والعناية بالبحث والتمحيص ـ وكان فى كلامه مجانبة للحقيقة من بعض الوجوه ، أحببت أن أبين ما فيه إظهارا للحقيقة ، ودفعا لما يعلق ببعض الاذهان مما ينبو عنه مقام عبد الله بن عمر رضى الله عنهما ، ذلك الرجل الذى كان معروفا بشدة الورع وكثرة التحري لسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، والذى شهد له صلى الله عليه وسلم بالصلاح على ما فى صحيح البخاري فى قوله لحفصة أخته رضي الله عنهما : « ان عبد الله رجل صالح »

(1) حدثنى الشهيد أحمد بوشمال مدير الشهاب رحمه الله أنه استدعى من طرف مديرية الامن واستنطق من أجل هذا الوصف : « الوطنى الغيور » ! فليتصور مقدار الضغط والريبة آنذاك ، وكانت الحركة الوطنية فى بدء نشأتها ، وقد رأت من صاحب الشهاب مبدأه « الوطن قبل كل شيء » ·

ووصفه معاوية بأنه رجل قد وقذته العبادة ، فأقول : ـ مع اعترافى بفضل الشيخ ، واعتقادى ان الانسان عرضة للسهو ، والقلم قد يجور ـ : ان هذا الذى نسبه الشيخ الى عبد الله بن عمر ، وعده عثمان نفسه فتقا فى الاسلام ، لم يكن مما جنت يدا عبد الله ، ولم يكن عبد الله منه فى شيء ، وانما هو شيء أتاه أخوه عبيد الله بن عمر ، وكان أصغر من عبد الله سنا ، وذلك انه شاع ـ عقب طعن عمر ان هذه الجناية لم ينفرد بتدبيرها أبو لؤلؤة ، بل شركه فيها أناس آخرون ، فقد قال عبد الرحمن بن أبى بكر ـ غداة طعن عمر ـ مررت على أبى لؤلؤة أمس ومعه جفينة والهرمزان ـ وهم نجى ـ فلما رهقتهم ثاروا وسقط منهم خنجر له رأسان ، نصابه فى وسطه فانظروا بأي شيء قتل عمر ٠ فجاءوا بالخنجر الذى ضرب به أبو لؤلؤة فاذا هو على الصفة التى وصفها عبد الرحمن، وكان رجل من تيم قد اتبع أبا لؤلؤة فقتله وأخذ منه الخنجر ٠ فلما رأى ذلك عبيد الله بن عمر أسرها فى نفسه ـ وكان رجلا من فتيان قريش وأبطالهم ـ حتى مات عمر ، فتقلد سيفه فأتى الهرمزان فقتله ،ثم مضى حتى أتى جفينة ـ وكان رجلا نصرانيا من أهل الحيرة أقدمه سعد بن أبي وقاص، الى المدينـة ليعلم الكتابة ـ فعلاه عبيد الله بالسيف ٠ فلما سمع بذلك صهيب ـ وكان القائم مقام الخليفة ـ أرسل اليه من أتى به ، فأخذ منه السيف وسجنه حتى يتم أمر الاستخلاف ، وينظر الخليفة فى أمره ٠ فلما بويع عثمان جلس فى المسجد ودعا بعبيد الله بن عمر ثم قال لجماعة المهاجرين والأنصار :

أشيروا علي فى هذا الذى فتق فى الاسلام ما فتق ؟

فقال علي كرم الله وجهه ورضي عنه : أرى ان تقتله !

فقال بعض المهاجرين : قتل عمر بالأمس ويقتل ابنه اليوم ٠

فقال عمرو بن العاص : يا أمير المؤمنين إن الله قد أعفاك ان يكون هـذا الحدث كان ولك على المسلمين سلطان ، انما كان هذا الحدث ولا سلطان لك ٠

فقال عثمان أنا وليهم وقد جعلتها دية ، واحتملتها فى مالي ٠

وعفا عن عبيد الله ، فلما استخلف علي وفرغ من أصحاب الجمل خافـه عبيد الله بن عمر أن يقتله بالهرمزان فخرج حتى لحق بمعاوية ، فكان مـن

رجاله . وقد شهد معه معركة صفين وفيها قتل . قتله حريث بن جابر الحنفي من رجال علي. ومن شعره في هذه الوقعة وقد حمل في آخرين على مسيرة علي :

أنا عبيد الله ينميني عمر خير قريش من مضى ومن غبر

غير رسول الله والشيخ الأغر ابطأ عن نصر ابن عفان مضر

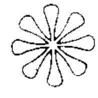
والربعيون فلا أسقوا مطر

وأما أخوه عبد الله فقد حمله ورعه على ان يلزم بيته في كل تلك الشدائد والاهوال الهائلة التي كانت بين الصحابة رضوان الله عنهم أجمعين مما لا نتولى الخوض فيه .

ذلك والله تعالى يحسن رعايتنا ، ويكتب لنا العصمة من الزلل في القول والعمل .

والسلام عليكم ورحمة الله .

القاهرة ـ **اسماعيل بن علي بن صالح**
الجيجلي بالازهر الشريف



الى مجلة المعرفة المصرية
« شيخ علماء الجزائر » أم شيخ الحلول ؟

« طالما ألح علماء الاصلاح وكتابه الكبار ــ وعلى رأسهم الشيخ عبد الحميد بن باديس ــ على الشيخ ابن عليوه ــ وحزبه وراءه ــ ان يفيىء الى أمر الله ، ويتوب اليه من القول بالحلول ، ووحدة الوجود ، مما هو مبثوث فى (شعره) ونثره ، رائج فى الاسواق برواج (ديوانه) وكتبه ٠

وكان الشيخ ابن عليوه ــ فى حياته ــ يصرح فى مجالس العلماء انه سنى يلتزم كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم ، ويحاول أن يقنع بذلك العلماء السلفيين من أمثال أبى يعلى الزواوى رحمه الله ، وطالما جادل عنه فى الشهاب وغيره وشهد له ــ حتى بالعلم ٠

أما ابن باديس واخوانه فانــه لم يقنعهم مجرد القــول ، وشهادة الشيخ أبى يعلى ، بل كانوا يقولون : « ان كان صادقا فى ادعائه فيعلن براءته من هذه الاقوال الموجودة فى شعره ونثره ، وليسحبها من الاسواق فانها تؤذى اللــه ورسوله وتضلل المسلمين » ٠

لكن الشيخ و (اخوانه) كانــوا يتصاممون عن سمــاع هذا الشرط فى الاقتناع بسنيتهم ، ويخرجون بالصمت عن لا ونعم ٠ وبقى الشأن هكذا حتى مات الشيخ ، وقام (اخوانه) بتجديد طبــع (ديوانه) وكتبه والعمل عــلى رواجها من بعده كما كانت رائجة فيهم فى حياته ٠

بل كان الشيخ يعمل بكل وسيلة لرواج مذهبه ، ويقوم بالاعلان والدعاية داخل الوطن وخارجه ٠

وقبيل وفاته كتبت عنه مجلة (المعرفة) المصرية القاهرية مقالا فى تقريظ احد كتبه ، ولقبته فيه بـ « شيخ علماء الجزائر » ٠

والمقال ـ فى حقيقة أمره ـ دعاية عريضة ، واعلان طريف عن الشيخ قد يتأثر به بسطاء العامة فى الجزائر ، فقد عرف كثير من قومنا باغترارهم بكل ما يـأتى من الشرق وخصوصا ما يـأتى مكتوبا فى الصحف والمجلات أو فى مطبوع الكتب أو المخطوطات ! فاذا جاء من مصر بان الشيخ هو « شيخ علماء الجزائر » فانه لم يبق قول لقائل :

اذا قالـت حـذام فصدقـوها   فـان القـول ما قالـت حـذام !

ولكن التسليم لم يكن من شأن حزب الاصلاح ، ولا اذعان الا لما جاء فى كتاب الله أو سنة رسوله (ص) ٠ ولا شهادة الا من خبير عدل أمين ٠ لهـذا لم يسعهم أن يسكتوا ، وتكلم الزاهرى بلسانهم يرد هذا الباطل ويكشف هذا (الجهل) مستعملا مع (المعرفة) أسلوب اللطف واللين ، ولعلها لم تكن (جاهلة) ، وانما كانت قد قبضت أجرة (الاعلان) ولم تتحرج فى قبضها لانها اعتبرته اعتبار (الاعلان)،وان الزاهرى لم يكن متحاملا وليس وحـده الشاهد على بعد الشيخ عن صفه عالم ، فقد شهد بذلك الاستاذ أحمد توفيق المدنى ، اذ قال فى كتابه (حياة كفاح) ، ج 2 رقم 70 عن الشيخ : « لا أزال فى حيرة من أمره ولن أزال كيف تمكن من انشاء طريقه صوفية وهو شبه أمى ؟ وكيف كان له سلطان على الناس وهو لا يكاد يبين ؟ ذلك هو أحمد بن عليوة المستغانمى » ٠

وقد رأينا ان ننقل نص هذا المقال للزاهرى لنجعله خاتمة القسم (الرابع) ونعرف ان الشيخ بقى مصرا على أقواله حتى آخر حياته ، فقد نشر المقـال بمجلة الشهـاب بتاريخ جمادى الاخيرة 1352 هـ الموافق أكتـوبر 1933 م ، وتوفى الشيخ ابن عليوة بعد اشهر من هذا التاريخ فى 2 ربيع الآخر 1353 جوان 1934م ٠ عفا الله عن الجميع » .

قال الشيخ الزاهرى :

(شيخ علماء الجزائر) أم شيخ الحلول ؟

حضرة الاستاذ الجليل صاحب مجلة (المعرفة) الغراء التى تصدر بالقاهرة السلام عليكم ورحمة الله · أما بعد فيا أيها الاستاذ انكم كنتم نشرتم فى جزء فبراير الآخر من مجلتكم القيمة تقريظا لرسالة كتبت لشيخ الحلول ، واصدرها باسمه هو فى الذب عن (مجد التصوف) أو عن (مجد التصووف) كما ينطق بها (سيدى الشيخ هذا · ولقد اسرفتم يا حضرة الاستاذ فى تقريظ هذه الرسالة فأعطيتموها أكثر من حقها ، ولا نلومكم على هذا فان المجاملة وحسن الظن منكم هما سبب هذا الاسراف فى التقريظ ، ولكن الذى نريد أن نلاحظه لكم هنا أمران اثنان لا ثالث لهما · اما أولهما فهو قولكم عن شيخ الحلول : انه (شيخ علماء الجزائر) واما الثانى فهو وصفكم له بانه يجادل بالتى هى أحسن ، ويأخذ بأيدي خصومه فى رفق ولين الخ ··· اما انه (شيخ علماء الجزائر) فهذا خطأ مبين ، فانه لا يوجد فى الجزائر كلها من يعترف لشيخ الحلول بالعلم ، ولا هو يدعى لنفسه العلم فى هذه البلاد ، فضلا عن ان يكون (شيخ علماء الجزائر) ولا يخفى ان فى هذا اهانة للجزائر ، وتشويها لكرامتها وهو ما لا نرضاه لمجلة (المعرفة) الراقية التى عرفناها تضع الاشياء فى مواضعها ، وعرفنا انها ليست من الصحف التى تجازف بالالقاب والنعوت ·

للمعرفة ان تجامل هذا الرجل وان تلاطفه بما يبدو لها من الكلام الطيب الجميل ، ولكن ليس لها ان تمدحه بما يحط من كرامتنا نحن الجزائريين جميعا.

ترى لو قام احد من الجزائريين ووصف مشعوذا دجالا من دجاجلة مصر الذين لا صلة بينهم وبين العلم ، فقال عنه : انه (شيخ العلماء فى مصر) فهل يكون قد تحرى الواقع ، واعطى مصر قيمتها ولم يحط من كرامتها ؟؟

فى الجزائر علماء ، وفيها جمعية لهؤلاء العلماء المسلمين قد اسندت رئاستها الى فتى هو من أكبر رجال العلم والعمل فى هذه البلاد ، فلو انكم أيها الاستاذ قلتم عن هذا الرئيس بأنه (شيخ علماء الجزائر) لاصبتم شاكلة الصواب ، ولما اعترض عليكم احد بادنى اعتراض · اما وقد وصفتم بها رجلا لا يعرف القراءة ولا الكتابة الا قليلا كشيخ الحلول فهذا ما لا يرضاه احد فى

الجزائر ، حتى هؤلاء الخونة المرذولون الذين يرأسهم شيخ الحلول فى نفس الامر ، ويرأسهم فى الظاهر أحد (مريديه) (1) ·

واما انه يجادل بالتى هى أحسن ، ويأخذ بايدى خصومه فى رفق ولين الخ الخ ··· فهذا أيضا خلاف الواقع تماما ، فانه لا يوجد فى الجزائر أكثر من شيخ الحلول وقاحة وافكا ، ولا أشد منه بذاءة وسبابا ، ولا اقبح منـــه سفاهة وفحشا ، فهو انما أنشأ ورقته الضالة التى لم يعرف هذا الوطن اكذب منها ولا (ابردوجها) ولا (أصـــح رقعـــة) ـ لغايـــة واحـــدة وهى سب العلماء والولوغ فى أعراضهم ، وقد استكتب لذلك بعض من لا ذمة لهم ولا دين ، ولقد لجأ الى سلاح البذاءة والفحش وأكثر من استعماله بعد ان فشل واخفق فى استعمال الهراوة والموسى ، فهـــو مجـــرم سفاك يسفك الدماء ويعتدى عـــلى الاعراض وتلك سبيله الى المجـــد وسبيله الى الشهرة وسبيله الى أن تصفـــه (المعرفة) وغير المعرفة بانه (شيخ علماء الجزائر) وهذه هى أمنيته القصوى التى ليس له وراءها أمنية أخرى ·

ليس شيخ الحلول الا (مقدما) من (مقاديم) الطريقة الدرقاوية الكثيرين فنصب نفسه (شيخ) لا (مقدما) فقط وهو قليل الاتباع والمريدين بالنسبة الى أى شيخ من أشياخ الطرق سواء ·

ومـــع ذلك فانا لا انكر ان شيـــخ الحلول بشتمه للعلم والعلماء وولوغـــه فى أعراض حماة الشريعة المطهرة قد اكتسب شهرة فى الجزائر ، واصبـــح اسمه يجرى على الالسنة والافواه أكثر من أى شيخ طريقة آخر ، ولكن ايـــة شهرة هذه التى اكتسبها شيخ الحلول بسب العلماء ؟ هى مثل شهرة السارق بالسرقة ، ومثل شهرة السكير بالعربدة والسكر ، يجرى اسمه على الالسنة والافواه ، ولكن كما يذكر الناس ابليس مقرونا باللعن وبالاستعاذة بالله من شره وأذاه ، لقد نال شيخ الحلول فى هذه البلاد شهرة ، ولكنها سيئة شوهاء شنعاء مقرونة بكل كراهية واشتمئزاز ، حتى لقد كاد ان يصبح ملعنة هذه البلاد ، وماذا تقول فى شهـــرة ينالها مشعوذ دجال ، هـــل تكون الا من هذا البـــاب ؟!

---

(1) يشير الى الشيخ الحافظى رئيس جمعية علماء السنة ، رحمه الله ·

لقد كان شيخ الحلول تاجرا يبيع الاحذية ويصنعها فافلس احتيالا وأكل أموال الناس · ثم ارتد الى تجارة كلها ربح ، ورأس ماله فيها النصب ، والاحتيال يحتال على (الفقراء) المساكين ، فيسلب أموالهم ، ويشتغل ابدانهم ويختلس ايمانهم ، ومع ذلك فهو يحترف طريقة التصوف ويستغلها استغلالا ماديا ، ولا يعرف من التصوف الا انه باب من أبواب الرزق ، وسبب من أسباب المعاش ، ووسيله من وسائل الاكتساب · وليس له مزية ولا فضل على أشياخ الطرق الاخرى الا انه كان ــ وقد لا يزال ــ متين الصلة وثيق الروابط بجماعة القاديانية بالهند ، وهذه القاديانية معروفة بكفرها والحادها ، ولقد كانت هذه الطائفة الضالة عزمت على ان تنشر وباءها فى الجزائر فاعتمدت شيخ الحلول للقيام بنشر دعوتها ، وقد لباها فعلا ، فقد كان فى سنة 1927 نشر فى ورقته الضالة عدة رسائل جاءته من القاديانية فى الهند تنشر بها دعوتها هنا بواسطة شيخ الحلول ، ولكن مجلة (الشهاب) يومئذ قامت فبينت للناس قيمة القاديانية وكفرها ونشر لعلماء الهند ومصر والشام وغيرها فتاوى فى كفر هذه الطائفة وردتها عن الاسلام · وكذلك قامت جريدة (البرق) بنصيبها فى مكافحة وباء القاديانية ، فاضطر شيخ الحلول الى اهمال ما يرد عليه من هذه الطائفة ، ولم يعد ينشر لها شيئا ، ولكنه لم يعلن براءته منها ، وهو لا يزال شديد الصلة بها ، وانما ينتظر الوقت المناسب لكى ينشر دعوتها من جديد ، وفى الحق ان شيخ الحلول يشبه القاديانى من وجوه كثيرة فغلام أحمد القاديانى قد ادعى النبوءة وزعم انه يتلقى الوحى من الله ، وشيخ الحلول قد ادعى الالوهية وزعم انه هو الله · كما فى ديوانه العامى الملحون · والقاديانى يزعم ان أتباعه قد ملأوا الارض بكثرتهم ، وان الملك الفلانى والامير الفلانى والعظيم الفلانى قد اعتنقوا دينه الجديد ، وشيخ الحلول كذلك يدعى ان اتباعه لا تخلو منهم بقعة من الارض فاهل اليمن فى زعمه كلهم من مريديه ، وان زواياه منتشرة فى أمريكا وأوروبا واليابان وفى جزيرة (واق واق) ! وليس ببعيد ان يدعى ان سكان السماوات وأهل المريخ قد اصبحوا اتباعا له ومريدين ، وكان ادعى ان الامير عبد الكريم بطل الريف هو أيضا من مريديه وما من عظيم لقيه أو سمع به الا قال عنه انه من اتباعه أو من مؤيديه ، ولقد زاره ذات يوم جماعة من أهل تلمسان فنشر بين ايديهم بعض الرسائل التى

جاءته من قاديانية الهنـد ، وكانوا لا يقرؤون خط الرقعة فصعب عليهم ان يعرفوا ما فى تلك الرسائل ، ولكنه زعم لهم ان (مقدمه) العام فى الهنـــد اخبره فى هذه الرسائل بانه أصبح له فى الهند كذا وكذا مليونا من الاتباع والمريدين ، وان زهاء نصف مليون منهم يريدون زيارتى الى الجزائر ، ولكن أين الفنادق التى تكفى لاقامتهم ؟! قال وعلى هذا فانى عزمت أنا على السفر الى الهند ليزوروني هنالك فيها ! ثم قال لهم : الملايين فى الهنـد يتشوقون الى رؤيتنـا والى تقبيـل ايدينا وابن بـاديس والعقبـى والزاهـرى واصحابهم لا يعترفون لنا اننا أولياء اللـه ولا (يسلمون) لنا ، ولكن هؤلاء التلمسانيين قد ارتابوا فى هذه الملايين من الفقراء الحلوليين وشكوا فى وجودها فى الهند فبحثوا حتى عرفوا أنها رسائـل جاءتـه مـن مـركز القاديانية فى الهنـد ، والقاديانى جمع ما قيل فيه من مدح وثناء وطبعه فى كتاب يحتج به على صحة دعـواه ، وكذلك شيـخ الحلول كان ـ ولا يزال ـ يحتال عـلى الناس حتى يكاتبوه ويثنوا عليه ، وجمع ما حصل عليه وطبعه فى كتاب (الشهائد) .

والقاديانى يشتم خصومه بانهم كانوا مدحوه حتى ان خصما له أجابـه ، وقال لقد مدحتك قبل ان تدعى النبوءة ، وكذلك شيخ الحلول يسب خصومه الذين انكروا ادعاءه الالوهية بانهم كانوا اثنوا عليه ، وانا نفسى قد شتمنى مرارا فى ورقته الضالة بانى كنت أثنيت عليه بكلمة طيبة لا فى جريدة سيارة ولا فى محفل عمومى ، ولكن فى رسالة خاصة قد مدحنى هـو بأكثر منها ، وذلك انه كان مدح نفسه وطائفته بمناسبة احتفال اقامه ، ونشر وصف ذلك فى بعض الجرائد ، ولكن امضاه بامضائى انا فارسلت أنا الى الجريدة انفى ان أكون ارسلت بمقال ما ، فى هذا الموضوع ، ونشرت الجريدة تكذيبى لهذا المقال وبراءتى منه ، فكتب شيخ الحلول الي يقول لى لا يلزم ان تتبرأوا من هذا المقال،ويقول ان فى التكذيب ما يمس به هو ، فكتبت أنا اليه أقول لـه انى احترمه ، ونفيت لـه ان أكون قد أردت المساس بـه وأثنيت عليه ببعض عبارات طيبة لا بأس بها ، وكنت اعتقد يومئذ ان صاحب الجريدة هـو الذى زور إمضائى ، ولم أكن قد اطلعت على شيء من كتب هذا المشعوذ الدجال ، ولما رأيت كفر هذا الدجال وادعاءه للالوهية ، وتعلقه بالقاديانية الخ الخ ...

وقفت له انكر عليه فجعل هو يسبنى ويشتمنى فى ورقته الضالة ، ولكن بماذا يشتمنى ؟ لقد شتمنى بانى كنت مدحته واثنيت عليه ! فهو يعترف بان مدحه هو خطيئة من الخطيئات ، وبان الثناء عليه وزر من الاوزار ، وقد حكم على نفسه بالضلال من حيث يدرى أو من حيث لا يدرى ٠

نعم يا شيخ الحلول والضلال ، ان مدحك خطيئة والثناء عليك وزر وذنب ما دمت أنت على هذا الغيى وعلى هذا الضلال فان انت تبت وارعويت عن جهلك وضلالك ، فانا لا أتحرج ان اثنى عليك كما اثنى على كل من آمن وعمل صالحا والا فتلك هفوة ، اسأل اللـه ان يتجاوز لى عنها وان يحفظنى فلا أعود لمثلها ولا اغتر بعدها بدجال مثلك ، وانى استغفره تعالى وأتوب اليه انه كان توابا ٠

وهران : جمادى ـ 2 ـ 1352 هـ
أكتوبر 1933 م
عن مجلة الشهاب ج 11 م 9
محمد السعيد الزاهري

لم نشأ ان نغير شيئا من ألفاظ المقال :

أولا : لأمانة النقل ،

ثانيا : لأن الشيخ لم يتب ، و (القوم) ـ من بعده ـ مجتهدون فى رواج أقواله ، حريصون على اثبات (وحدة الوجود) ٠٠٠ فى أمتنا أعاذنا وأعاذها الله منهـا ٠

القسم الخامس

1 ـ شلت يد الجاني

أول قصيدة نشرت فى هذا الموضوع ـ كانت للشاعر الوطنى الكبير (رمضان حمود) رحمه الله ، وقد أرسلها صحبة قطعة نثرية وضعناها فى باب النثر ٠

ولد أديبنا الكبير بمدينة غرداية سنة 1906 م ، ونشأ كما ينشأ غيره من ابناء سراة البلد ، فحفظ القرآن الكريم ، وتأدب بآداب العرب : فاستظهر كثيرا من النصوص الادبية من الشعر الفصيح والنثر الفنى حتى أصبح وله ملكة جيدة فى قول الشعر وكتابة النثر كما تشهد بذلك قصائده ومقالاته ٠

وكان الى ثقافته العربية الاسلامية على معرفة باللغة الفرنسية مما وسع مداركه ، كما كان يشتغل ـ مع ذويه بالتجارة ـ وعاش مدة فى مدينة غليزان بالغرب الجزائرى ولاية وهران سابقا حيث عشش الاستعمار والاستيطان الفرنسى الاوروبى على حساب أهل الوطن ، ذهب اليها وعمره ست سنوات وبها قرأ الفرنسية،ثم هاجر الى تونس وعمره 16 عاما فانضم الى أفراد البعثة العلمية لأبناء الطائفة التى كان يرأسها الشيخ أبو اليقظان والشيخ طفيش رحمهما الله ، ودخل الزيتونة ٠ ولكنه أصيب بالمرض هناك ، ولازمه حتى قضى عليه ٠

وقد كتب الفقيد فى جريدة (وادى ميزاب) (وفى الشهاب) انتاجا طيبا ، شعرا ونثرا يبين عن دين متين، ووطنية صادقة، وقومية سليمة، ويبشر بمستقبل باسم، ولكن المنية عاجلته وهوفىعز الشباب، فتوفى عن ثلاثة وعشرين عاما سنة 1929م، فبكاه (الشهاب) وحزبه وشعروا بفقده ، وهذا نص القصيدة تحت العنوان السابق ، وقد نشرت فى العدد 78 الصادر فى 2 رجب 1345 هـ ، الموافق 6 يناير 1927 م ، قال رحمه الله :

عـــش ســـالمـــا

(والقصيدة من بحر الكامل)

عش سالما (عبد الحميد) من البلا	قد خابت الانذال وهى كتائب (1)
عش كالهـــلال سنـــاؤه وعلـــوه	والكل نحوك انجم وكـواكب (2)
عش سائرا نحـــو الامام ودم ولـو	هطلت عليك مصائب ونوائب (3)
عش ناصرا للحـق وارع ذمامـــه	حتى تتمم ما عليـه تطالـــب (4)
مـن يخـــدم الشعب العزيز فانــه	رغـم الليالى على التفوق يركب (5)
مـن يخـدم الشعب العزيز ويبتنى	مجدا تهدم ـ لا محالة ـ صائب (6)
لما نهيتهـــم بكـــل رصانـــة	ضاقت عليهم بالجواب مذاهب (7)

(1) البلى ـ بالكسر وبالقصر ـ القديم الرث البالي وفعله بلى يبلى ومنه يدعو الشعراء بالسلامة قال ذو الرمة :

ألا يـا اسْلمي يا دار ميَّ على البِلَى ولا زال منهلاً بجـرعائك القطر

والبلاء بالفتح والمد : الاختبار والامتحان من بلاه يبلوه : امتحنه • والشاعر قصره للضرورة ، ودعا له بالسلامة ، والسلامة ـ فى البلاء ـ الفوز عنـــده والصبر له • والنذل الخسيس المحتقر ، والكتائب ج• الكتيبة : القطعة من الجيش أو الجماعة من الخيل

(2) السنى بالقصر : الضوء والنور ، والسناء بالمد : العلو والرفعة ، قال تعالى : « **يكاد سنا برقه يذهب بالابصار** » وقال ابن زيدون :

يـأخـا البـــدر سنـــاء وسـنى رحـــم اللـــه زمـانـا اطلعـك

وادخال (ال) على (كل) و (بعض) مما انكره حذاق النحويين لملازمتهما للاضافة أو التنوين ولكنه مستعمل ، وانجم : ج نجـم من الاجرام السماوية المضيئة بنفسها ، وكواكب ج كوكب : اجرام سماوية تستمد ضوءها من الشمس ، وهذا اصطلاح جغرافي •

(3) هطلت من هطل المطر : نزل متتابعا متفرقا عظيم القطر ، ونون كلمة مصائب ونوائب للضرورة •

(4) الذمام : العهد والضمان في ذمة الله وكنفه وجواره ، ورعى العهد حفظه

(5) هذا ايمان كـل وطنى صادق لا يبالى بما يقف فى طريقه مـن عقبات ليقينه بحسن العاقبة (من) اسم شرط وجواب الشرط (جملة فأنه) وقد اقترن بالفاء لانه لا يصلح ان يكون شرطا يباشر الاداة •

(6) سهم صائب : اصاب الغرض ولم يخطئه ، وهو خبـر المبتدا فى أول البيـت •

(7) رصن العقل وغيره استحكم وثبت واشتد •

حاروا ولم يلقوا الدليل لسعيهم	مالوا الى التهديد وهو مجانب (8)
لم يفلح الجاني ولم ينل المنى	فالله يرفع من يشا ويقارب (9)
قل للذى يسطو على عظمائنا	مهلا فانك بالتمرد خائب (10)
هذا ـ الشهاب الفذ تلسع ناره	فارسله صاعقة فانك غالب (11)
واذقهم طعم الردى بسطوره	فالعبد للتقريع ، انه صاحب (12)
وارشدهم بالبينات ليهتدوا	بالحق انه للعقول مناسب (13)

---

(8) حاروا : من الحيرة التردد وجهل الصواب فى الرأى والمذهب **مجانب** للصواب من الامر مباعد للحق .

(9) المنى : ج الامنية بغية يود الحصول عليها من أمر محبوب مع عسر أو استحالة (يشا) ممدود قصره الشاعر للضرورة وذلك جائز ، يقارب بمعنى يقربه اليه « **واذا سألك عبادى عنى فانى قريب** » .

(10) السطو : الوثوب والهجوم والاخذ بشدة ، يقال سطا به ، وسطا عليه ، ومهلا : رفقا وتؤدة ، أى امهل وارفق ، والتمرد التعدى على الناس ومجاوزة حد مثله ، وخائب : خاسر .

(11) هذا : التفات الى صاحب الشهاب ، والشهاب من اسمائه : كل مضىء متولد من النار ، ومنه شهاب السماء المرسل على الشياطين ، فهو نار قد ينزل صاعقة تشعل النار فى الارض ، والصاعقة نار تسقط من السماء فى رعد شديد عذب الله بها قوم ثمود لعنادهم ، قال تعالى : « **واما ثمود فهديناهم فاستحبوا العمى على الهدى فاخذتهم صاعقة العذاب الهون ...** » .

(12)الردى الهلاك والسقوط ، والعبد للتقريع يشير الى قول الشاعر :

العبد يقرع بالعصا والحر تكفيه الاشارة

(13) البينات : يريد بها آيات الله البينات أى بالقرآن : « **شهر رمضان الذى انزل فيه القرآن هدى للناس وبينات من الهدى والفرقان** » .

وكانت طريقة ابن باديس التذكر بالقرآن ، وسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم التى جاءت بيانا له .

2 — إلى زعيم المصلحين
إلى من أوذي فى الله
إلى الاستاذ عبد الحميد بن باديس

هذه القصيدة من نظم الشاعر الكبير ، الكاتب الأديب الشيخ محمد السعيد الزاهري رحمه الله،جاءت بعد قصيدة الشيخ رمضان حمود،والشيخ الزاهري له اطوار فى حياته ، فهو أديب لامع ينحدر من عائلة شهيرة فى الزيبان الشرقية ، اشتهرت بكبار كتابها وشعرائها مثل الشيخ الهادي السنوسي رحمه الله ، والشيخ زهير أمد الله عمره ٠

حفظ القرآن فى مسقط رأسه (مدينة ليانة) وتلقى المبادىء الأولى على علماء عصره فى بلده ، ثم التحق بقسنطينة وبقى فيها بضعة أعوام يستمع الى علم وأدب الشيخ عبد الحميد حتى نال بغيته وظهر عنده نبوغه،ولكن ضاقت نفسه بحزم الشيخ فى تربية طلابه وتقييد بعض حرياتهم ، فانتقل الى الجامعة الزيتونية ، ولقى هنالك كبار الطلبة الجزائريين أمثال الشيخ مبارك ، والشيخ العربي رحمة الله عليهم ، واستمع الى دروس فطاحل علماء الزيتونة وأدبائها، ومن هؤلاء الأخيرين أستاذنا الشيخ معاوية التميمي رحمه الله ، وقبل أن يغادر الزاهري تونس كان له صيت كبير فى الأوساط الأدبية ٠

وفى العشرينات عاد الى الوطن فانغمس فورا فى حركة النهضة وصار من أقدر كتابها ، حرر فى المنتقد ثم فى الشهاب ، وفى (صدى الصحراء) وفى (الاصلاح) وشارك فى إنشاء وتحرير جريدة (البرق) القسنطينية،وامتاز

بلهجته العنيفة فسبب له خصومات ومحاكمات ، وأسس جريدة (الجزائر) وجعل شعارها (الجزائر للجزائريين)،وهو أول من يعلن ذلك كشعار له فى الصحافة الجزائرية ، فلم تصبر الإدارة الاستعمارية عليها وعطلت صدورها. وكان يكتب بإمضائه الصريح وبالامضاءات المستعارة ، ومنها « تأبط شرا » كما كان يكتب وينحل غيره كتابته ، وهو من الأدباء الذين أسسوا جريدة « الجحيم » لرد عادية سفهاء « المعيار » العليوية بنفس سلاحهم . فقهروهم وأسكتوهم . « **وَلَمَنِ انتصَرَ بَعدَ ظلمِه فأولئك ما عليهم من سَبِيل** » .

وانتقل الى مدينة الأغواط بقصد تأسيس مدرسة فطال انتظاره ـ عبثا ـ لرخصتها ، فانتقل الى تلمسان والقى محاضرات وكون بها حزبا مؤيدا له ، واشتبك في خصومات محلية (1) وراسل الشهاب بمقالات رنانة ، ثم انتقل الى وهران وقام بها مدة طويلة في عمل متواصل ، وأخيرا حط رحاله بعاصمة الجزائر وبقى فيها الى ان لقي ربه ، رحمه الله .

كان الشيخ الزاهري أديبا ممتازا ، غزير الانتاج،يسير عليه قول الشعر الجيد ، ولكنه يكتب النثر بأسهل وأيسر مما يكتب الشعر ، شهد له بطول الباع فى الكتابة الشيخ عبد الحميد بن باديس وغيره ، وقد كتب ـ فضلا عن أدب المقالة ـ القصة ، ونشر أقاصيص اسلامية بعنوان (الاسلام فى حاجة الى دعاية وتبشير)،كما نشرت له مجلات راقية مثل : مجلة (المقتطف) المصرية للدكتور يعقوب صروف،وهى مجلة علمية رصينة ، كما نشرت له مجلة (الرسالة) المصرية،وكانت فى عصرها لسان حال الأدب الراقي المتأنق، اما صحف الجزائر فقد شارك بقلمه وشعره فى معظمها .

ولما تأسست جمعية العلماء عام 1931 م ، انتخب فى مجلس إدارتها عام 1932 م ، وفى اجتماعها العام سنة 1934 م ، أنشد قصيدة رنانة مطلعها :

حي العروبة فى جمعية العلما وحي ـ ويحك ـ فيها الدين والشيما

وتولى مع الشيخ العقبي رئاسة تحرير صحفها السنة والشريعة والصراط آخرها البصائر فى سلسلتها الاولى، ولكن لم يجدد انتخابه لعضوية مجلس

---

(1) اثناء وجوده فضح اختلاسا ارتكبه بعضهم فى مالية جمعية خيرية للعناية بالمساكين فحوكم مع زميل له ومع مدير الشهاب فحكمت المحكمة ضدهم وغرمتهم ، واخذت الحكومة واذنابها فى مضايقته ، ولعل هذا من دواعي انتقاله من تلمسان الى وهران .

ادارتها اثناء اجتماعها العام سنة 1936 م . فكان ذلك بداية منعرج خطير في حياته. اذ اتهم بعض أعضائها بالعمل ضده، وأخذ يقول عنهم السوء وينشره ٠

ثم تجاوز القول الى العمل فأسس الجرائد الخاصة به وكتب ضدهم ثم ضد الجمعية ، من ذلك انه أسس جريدة (الوفاق) فلم ترج ، وردها الباعة ورفضها القراء ولم يستسيغوا ان يتنكر لمبادئه ولإخوانه ، فآل به الأمر الى ما آل اليه أمر (النجاح) و (البلاغ الجزائري) ، وأخذ يصانع أعداءه القدامى وخصوم مبدئه الاصلاحي بالامس ، ويثني على بعض شيوخ الزوايا والطرق، وقد كان من أشد كتاب المصلحين ضدهم ، ثم بلغ به الامر انه انضم عام 1939م الى الحلفاء ــ وفيهم فرنسا ــ أثناء حربهم ضد ألمانيا وحلفائها ، وكانت تغلب عليه نزعة ضد النازية ، وهذا خلاف ما صنعته جمعية العلماء ورئيسها ابن باديس الذين قرروا الحياد والسكوت قائلين ــ كما سمعت بأذني فحواه من ابن باديس ــ (ان قلنا ما يحب الله ورسوله ويرضي الشعب أغضبنا فرنسا، وان قلنا ما يرضي فرنسا غضب الله علينا ولم يرض الشعب عنا فلنسكت) وحاولت فرنسا ان تنطقهم فلم تستطع . اما الزاهري فنطق بما احبوا ان يقول في هتلر وحزبه ، ولم يكن نطق الزاهري مفهوما أو معللا بعلة معقولة كميله الى اليسار ، فقد كانت أفكاره يسارية منذ عهد الجبهة الشعبية ، وكان له فصل يكتبه في جريدتهم بوهران ويترجم الى الفرنسية ويمضيه باسمه الصريح م٠ س٠ زاهري ، ولكن هتلر كان مسالما للاتحاد السوفياتي عام نشوب الحرب 1939 م ، اقتسم معه أرض جمهورية بولونيا ، وكان موقف اليساريين غير محمود ، وما انقلب الوضع الا بعد ان هاجم هيتلر أرض الاتحاد السوفياتي في 21 جوان 1941 م ، فهاجمه اليساريون بشدة وأسسوا المقاومة السرية في فرنسا ضده ، ولا يتهم الزاهري في وطنيته لانه كان متطرفا لكنه سوء تدبير منه لترخص له الرقابة في اصدار جريدته ٠ ومن عجيب انني قرأت له في أحد اعداده زعمه بان الشعب الجزائري كله بجانب (الحلفاء) في الحرب ! مع ان عواطف الشعب لم تكن كذلك لما يقاسيه منها ، بل كانت مائلة لجانب خصوم فرنسا بغضا لها لا حبا فيهم ولا اقرارا لمباديهم ٠

واثر الحرب العالمية الثانية استمر في خطته وأسس جريدة (المغرب العربي) مهاجما فيها العلماء ، مادحا الطرقية والطرقيين هاجيا بشدة الشيخ البشير الابراهيمي، الذي سكت عنه كثيرا محتسبا، ثم كتب عنه مقالا نشره في (البصائر) ويوجد منشورا في كتاب (عيون البصائر) .

وأخيرا اضطرت الحركة الوطنية الى جريدة وحروف عربية فاستعارت ذلك منه لمدة قبل ان يخرجواجريدتهم العربية الخاصة بهم ، ووجد نفسه في خدمة الحركة الوطنية الصريحة ، ولما وقع الانشقاق داخل الحركة لم يحسن الاختيار وانحاز الى الآية الممحوة كما قال عمر (1) فكانت عاقبة أمره خسرا . فانه لما نشبت الثورة سكت مدة ثم اخرج جريدته من جديد،وشرع يلمز الجبهة وينتقد بعض تصرفاتها ، اذكر من ذلك انه شنع بقتل خائن أعدم بالمسجد الكبير بعد ما عاث فسادا في جهة تابلاط واحتمى بالمسجد ، وقد اهدر رسول الله صلى الله عليه وسلم دماء قوم اذن في قتلهم في المسجد الحرام .

ومن ذلك انه انتقد انتقادا مرا سفر وفد فيه السيد فرحات عباس للالتحاق بالثورة وبأمر من القيادة ، وكتب عن ذلك كلمة في جريدته عنوانها : (وفد مريب في مهمة مريبة) وغابت عنه السياسة الحكيمة التي انتهجتها جبهة التحرير في قبول جميع المواطنين ـ اذا نصحوا ـ في صفوفها .

ثم تجرأ أخيرا ونشر صورة كبرى غطت كامل الصفحة الاولى من جريدته للسيد ... الذي كان رمز الخلاف وزعم انه زعيم الشعب الاكبر وصادف ان كانت الفتنة في اشدها بين فدائي الجبهة وبين اتباع (الحركة الوطنية)، فكان هذا الانحياز المعلن منه بمثابة الحكم على نفسه بالاعدام .

وذات يوم من أيام 1956 م ، خر الشيخ الزاهري صريع خمس رصاصات من يد فدائيين في مدخل نهج زبانة (لالير ـ آنذاك ـ) قرب جامع كتشاوة ،

---

(1) جاء رجل الى عمر بن الخطاب وكان يلي له عملا في خلافته فقال له : رأيت الشمس والقمر في حرب ومعركة ، فقال له عمر : وفي أي جانب كنت انت ؟ قال : كنت في جيش القمر ، فقال عمر : كنت في جانب الآية الممحوة ، قم والله لن تلي لي عملا أبدا ، يشير عمر الى قوله تعالى : « **وجعلنا الليلَ والنهارَ آيتيْن فمَحَوْنا آيةَ الليل وجعلنا آيةَ النهار مُبصِرَة** » فلما وقع الخلاف بين علي ومعاوية كان الرجل في جيش معاوية .

فذهب ضحية تهوره وسوء تصرفه وأصراره على الخطأ ، وعسى ان يلقى عند ربه خيرا مما لقى من الناس .

وكان ـ عفا الله عنه ـ لا يبالى ، وقد يسىء الى سمعته وعرضه مع نقاء سيرته وبعده عن الريب وان عاش حياته عزبا ، فقد كان بوهران يسكن حذو حى المومسات ، فزاره أديب كبير من اصدقائه ودل على محل سكناه فلم يجده فيه فكتب له على بابـه :

سكنت ـ ويحك ـ فى حى (البراديل)   اما تخافن مـن قال ومـن قيـل !

ولم يكن الزاهرى رحمه الله يخاف من أى قول يرسله أو يقال فيه .

كتبـت دمـاؤك للهـدى صفحـات

اما هذه القصيدة فقد قالها فى حادثة السطو على الاستاذ ابن باديس ، منوها بشخصية ابن باديس مستنكرا فعل خصومه واصفا بعض منكراتهـم الدينية وتصرفاتهم الاجتماعية. وقد نشرت فى العدد 78 من الشهاب الصادر فى 9 رجب 1345 هـ ، الموافق 13 جانفى 1927 م ، قال (من بحر الكامل) .

لا تبلـغ العلياء دون ثبـات   هيهات دون المجد كـل أذاة (1)

يا وقفـة لك فى سبيل الله لم   نرها لغيرك من ذوى الوقفـات (2)

فى الله ما لاقيت مما كاد يـذ   هب بالذى لك من عزيز حيـاة (3)

ان تكتب الحق الدماء فأنت من   كتبت دماؤك للهـدى صفحـات (4)

عجبا! لقد أسمعت حتى النائمين   من الورى بمقابر (الخلوات)(5)

---

(1) العلياء بالفتح والمد كالضم والقصر : المكان العالى المشرف حسا ومعنى وهيهات بفتح الاخير وضمه وكسره اسم فعل بمعنى بعد وفيه لغات ، والاذاة : الاذية والضرر .

(2) نصب المنادى لانـه نكـرة ، للتعظيم فهـو فى قـوة النكرة الموصوفة يا وقفة عظيمة .

(3) من عزيز حياة من اضافة الموصوف لصفته ، والاصل من حياة عزيزة .

(4) ان كانت الدماء تكتب الحق والرشد والهدى ، فانت قد فعلت ذلك ، وقد صرح الشهاب بان نهضتنا كتبت بالحبر الاحمر الذى لا تمحوه الايام .

(5) حقا ان مـن يقبل الخلوة وشروطها مـن جوع وعطش وظلمة وأوهام ووساوس لفى قبر وضع نفسه بنفسه فيه .

بعثوا اليك (منوما) يعدو على ... ما فيك من جد ومن عزمات (6)

قطع الطريق عليك فى غلس ولم ... تكن التيوس لتقطع الطرقات (7)

فاسال منك دما زكيا فى الدجى ... ظلما فيا للظلم فى الظلمات (8)

شلت يد (التيس) الشقى فانها ... شجت جميل الفضل والحسنات (9)

لا تحفلن بعصابة تسطو على ... أهل الحياة وهم من الاموات (10)

فسلاحك العلم المبين وانهم ... متسلحون عليك بالسبحات (11)

ولانت ذو العلم الصحيح وهم ... ذووا الاوهام والاحلام والشبهات (12)

---

(6) النائم لا يملك ارادته ، والمنوم هو الذى تسلط عليه غيره فتسبب فى نومه بتخديره · وفى ذلك الزمان شاع استعمال التنويم المغناطيسى وذكره وتسخيرالنائم لارادة المنوم له · ويعدو يعتدى ويهاجم من العدوان من جد من حزم ضد الهزل ، وعزمات جمع العزيمة ·

(7) الغلس : ظلمة آخر الليل ، والجمع الاغلاس ، و (التيس) حيوان مسالم داجن يفترس من الاسود ولا يفترس غيره ، والشاعر يهزأ بهم وقد اشبهوا التيوس ـ عنده ـ فى اللحى ، وانما قبح ذلك منهم لانهم ظنوا ان اللحية هى أعظم مظاهر الدين ، واللحية سنة نبوية صحيحة ، وقد كان ابن باديس رحمه الله يلتحى ، وعلى مذهب مالك يعتنى بلحيته ويقبض منها ، اما اهمالها فقد اشبه أهمال التيس لها ·

(8) دماء الشهداء زكية لانهم يبعثون بها يوم القيامة اللون لون الدم والريح ريح المسك ، والدم اذا سفك ظلما دون موجب شرعى فصاحبه ـ ان مات ـ شهيد ·

(9) شلت يده : يبست شلا وشللا ، والفعل ماض ، ولكن معناه الدعاء مثل قول عاتكة فى قاتل الزبير رضى الله عنه :

شلت يمينك ان قتلت لمسلما ... حلت عليك عقوبة المتعمد

والشلل توقف العضو عن الحركة وقد يكون لليد أو للرجل أو لنصف الجسم وشجت : جرحت ، وكان الجبين المشجوع جبين السجود ، واقرب ما يكون العبد من ربه وهو ساجد ، وفى علمنا ان شيخنا رحمه الله كان يقوم الليل فجبينه جبين الحسنات ·

(10) العصابة : الجماعة من الرجال أو الخيل أو الطير · وتحفلن فعل مؤكد بنون التوكيد الخفيفة : لا تهتم ·

(11) السبحة : فى الاصل الدعاء ، الصلاة ، النافلة ، وتطلق على خرزات منظومة فى سلك تتخذ للذكر وحساب عدده أو للتسلية ، ولم تكن فى عهد السلف ، واذا كانت من مظاهر (التقى) وتظاهر بها من ليس من أهل التقوى حقا فهى بدعة منكرة ، وقد اشتهرت بحملها ووضعها فى الرقاب هذه الطائفة ·

(12) الاحلام هنا جمع حلم بالسكون : المنامات ، ولها طور كبير فى حياتهم·

ان كنت تألم فى الجهاد فهم كذا ك يجرعون من الردى كاسات (13)

ولك الثواب الجم عند الله فى دار البقـاء ووارف الجنـــات (14)

ولسوف يبقى الدهر ذكرك خالد بالعلم لا باطالـــة الصلوات (15)

لا تجزعن عبد الحميـد لنكبة كانت عليهم أكبـر النكبـات (16)

أنت الزعيم الحر فى الاصلاح والاحـرار لا ترتـــد بالصدمـات (17)

سل اليراع على الذين تصيدوا هـذى العباد بصالح الدعوات (18)

قتلوا الشعور من الجزائر بالذى يأتون من حيـــل ومفتريـات (19)

نصبوا الديانة شركة للكسب فاصطادوا بها مـن كان ذا غفـــلات (20)

وكسا خدائعهم بثوب (كرامة) ما مـر من حقب ومن سنوات (21)

---

(13) يجرعون : جرعه الماء : ابلعه اياه جرعة بعد جرعة ، والاذى : الهلاك والسقوط ، والكاسات : الكاس وهى مؤنث . ولا يقال كاس الا اذا كان فيـه شراب والا فهو كوب .

(14) الجم الكثير ، الجنات الوارفة الواسعة الظل ، ورف النبات اهتـــز واشتدت خضرته ونضرتها .

(15) وقد كان ابن باديس يطيل الصلوات ولا يريد ان يشتهر ذلك عنـه لانه ما عدا الفرائض سر بينه وبين ربه ، ولولا هذه الصلوات ما خلد له ذكر !

(16) لا تجز عن : أكد الفعل بنون التوكيد الخفيفة ، وسقط حرف النداء من عبد الحميد ، والنكبة : المصيبة .

(17) لا ترتد : لا تنهزم ، والصدمات جمع الصدمة ، وهى الدفع بالجسم والاصطدام ، التضارب بالاجسام ، ومن ذلك اصطدام الفارسين ـ والسيارتين .

(18) اليراع من الرجال الجبان ، وهو هنا القلم ، اشار الى العباد وهـو جمع العبد باشارة المفرد المؤنث لانه فى معنى الجماعة .

(19) كثيرا ما يمخرقون بحيلة يحسبها السذج كرامة ، وانما هى كـذب مفترى ، وقد قال الله فى سحرة فرعون : « **سَحَرُوا أَعْيُنَ النَّاسِ وَاسْتَرْهَبُوهُم وجَاءُوا بِسِحرٍ عظيم** » .

(20) الشركة سكن الراء ضرورة ، وأصله شرك بالفتح وشركة مفتوح أيضا والجمع الشراك : حبائل الصيد وذو والغفلات من لا فطنة لهم ولا حذر عندهم .

(21) قد تظهر أشياء خارقة للعادة على يـد عابد من عباد اللـه ، فان كان نبيئا قد تحدى قومه ، وجاء بذلك من عند الله فهى معجزة بمثابة قول اللـه لهم (صدق عبدى فيما بلغ عنى) كالعصا لموسى تنقلب حية تسعى ، وكاحياء عيسى الموتى ، فان لم يؤمنوا استحقوا العذاب .

وقد يظهر الشيء الخارق للعادة من غير نبى ، ولا يصح منه حينئذ دعواه له ولا تبجح به ، ولا اخبار للناس عن أنه ظهـر على يده أو سيظهر ، وهذا =

حتى لقد صان «التصوف» عادة | والناس أسرى في يد العادات (22)
أودى التصوف بالعقول فلا ترى | في (القوم) عقلا وهو غير موات (23)
لولا التصوف ما رأيت ذوي اللحى | يأتون أمرا وهو غير مواتي (24)
عجبا لقوم يحجبون نساءهم | عن كل ذي عين وذي لحظات (25)
وعن الكواكب والنسيم وما له | في الفجر من جرى ومن خطرات (26)
ورأيت منهم من يبيح لشيخه | ما كان من زوج له وبنات (27)
ولربما زار النساء (مرابطا) | قد جئنه لتطلب البركات (28)

=يسمى الكرامة وقد نفاها بعضهم كامام الحرمين لانها تلتبس بالمعجزة والمحققون من العلماء يثبتونها ، قال صاحب الجوهرة :

وأثبتن للاوليا الكرامة ومن نفاها فانبذن كلامه

فالاولياء الحقيقيون ينفونها عن أنفسهم ويكتمونها ان وقعت خشية الفتنة واما الدجالون فانهم ينتحلونها ويدلسون بالباطل منها خداعا للناس وهذا ما يشير اليه الشاعر ٠

(22) التصوف علم حادث في الملة ، اختلف في أصل اشتقاقه أهو من الصوف أم من الصفاء ؟ وقد عقد فيه ابن خلدون في مقدمته فصلا بديعا وأثبت ضلال المتأخرين من الصوفية وتأثرهم بالباطنية ودعاويها وديانتهم بالحلول ووحدة الوجود فانظره هناك فانه مفيد جدا ٠

(23) اودى به ذهب به ، وأداه الى الهلاك ، والقوم هنا جماعة المتصوفة وموات هنا بمعنى ميت من الموت أي حل به الموت ، والارض الموات المهملة المهجورة ٠

(24) مواتي : هنا بمعنى موافق ، أي غير موافق ولا لائق ٠

(25) يحجبون : يسدلون الحجاب دون النساء ، ولا يسمحون برؤيتهن ، ومن ذلك وضع الخمار على الوجه عند الخروج ـ والسفور اظهار الوجه وكشفه واللحظات النظرات بموخر العين عن يمين ويسار ، والملاحظة المراقبة ٠ واللحظة الوقت القصير قدر لحظة العين ٠

(26) الكواكب جمع كوكب : الاجرام السماوية التي تكتسب ضوءها من غيرها ، والنسيم الريح اللينة لا تحرك شجرا ولا تعفي اثرا خطرات اهتزازات وتحركات ، وخطر له الامر لاح في فكره ٠

(27) يتعجب الشاعر من شدة محافظة قومنا وعدم تسامحهم مع بعضهم بعضا حتى ان الانسان ليحجب حريمه عن كل احد حتى على نسيم الفجر وهو لا يسرى ثم يتسامح مع شيخه فيرى نساءه وبناته قد يزرنه ويأتينه يطلبن منه البركة ويدفعن الزيارة ويعطيهن بركاته في زعمه ٠ وذلك مبالغة في الثقة وان كان الخلق في قومنا الا تسامح في شأن الحريم ٠

(28) لتطلب لالتماس البركة ٠

فيعدن فى فرح بمـا حصلنـه	من فيضة من سائر الحاجات (29)
وعفيفة هتك (المرابط) عرضها	وتظن ذلك أطهـر القربـات (30)
فتظل تفخر فى النساء بأنهـا	ظفرت من الايـام بالرغبـات (31)
هذا (التصوف) عندهن وهذه	آثـار (علم القـوم) والسادات (32)
مات الرجال فلم تعد من غيرة	لهـم عـلى الازواج والحرمـات (33)
ورأيت قوما يتركون عيالهـم	جوعا بلا قوت من الاقـوات (34)
يتصدقون على المشائخ والعيـا	ل يبيت من جوع على الجمرات (35)
مارستاخلاق الشيوخ فلم اجد	غـير الخمول وغير حب الذات (36)
ووجدت منهم من يعد أخا العبا	دة وهو فى لهـو وفى لـذات (37)

---

(29) الفيض مما يستعمل فى التصوف يريدون بـه افاضة بحـر العلوم الدينية على من وصلوا فيهم وقبلت عبادتهم ، والشاعر يرمز الى شيء آخر ٠

(30 ـ 31 ـ 32 ـ 33) العفيفة الطاهرة التى ترفعت عن الفاحشة وصانت عرضها ، وافادت هنا واورب الكثرة ، والمرابط فى أصل الاستعمال الشرعى من لازم الثغور التى يأتى منها العدو ويسكنها بقصد الجهاد على الحدود ثم صار يطلق على من يلازم العبادة ويعتزل الناس لها فى مكان ما ، ثم صـار يطلق على أبناء الزوايا ومشائخها ولو كانوا جهلة عصاة وفساقا ، وهذا الاخير هو الصنف المراد من الشاعر وحاشا الاصناف الاولى فانهم من خيار الامة ، ولا توجد امرأة مسلمة ترى ان الفاحشة مما تفخر بـه على اترابها وتظهره ، فان من تطاوع أبناء المرابطين على الفاحشة يعرف فعله بها وفعلها معه وانـه فاحشة ، والشاعر هنا يبالغ ٠

(34) كانت عادة قومنا ان يأتيهم (المشائخ) مرة أو مرتين فى السنة فيذبحون لهم الذبائح ويتكلفون فى ضيافتهم واطعام اتباعهم ثم يجمعون لهـم (الزيارة) ولا يعفى من نصيبه فيها احد ولو كان فى مسغبة ، وهذا ما أشار اليه الشاعر٠

(35) يريد بهم بعض شيوخهم الزوايا ، عـلى حرقة الجوع والفاقة يحسبه الناس من العباد القانتين وهو فى الحقيقة يبيت عاكفا على لذاقة وشهواته ٠

(36) مارس الشيء عالجه وعاناه ، وتمرس بـه احتك بـه ، والشيوخ : يريد بهم شيوخ الزوايا،الخامل مـن الرجال : الساقط مـن لا نباهة لـه ، والخمول الضعف ، والخفاء ، وحب الذات : الانانية وايثار النفس على حساب الغـير ٠

(37) من يتظاهر امام الناس بالعفاف وبالتنسك والعبادة ، والحال انـه صاحب لهو وبطالة وانغماس فى اللذات ٠

طلبـوا صلاح المسلمين ففرقوا	الاسلام فى طـرق وفى اشتات (38)
وبنوهـم من بعدهـم لا يهدأو	ن اليوم فى وقت من الاوقـات (39)
يتكففون النـــاس الحافا عسى	يعطونهـم مـن فضلة وفتـات (40)
والناس لم تبق الضرائب عندهم	فضلافهم فى اتعـس الحـالات (41)
ضاقت سبيل بني الشيوخ فهل ترى	فى الناس ذا فقر وذا صدقات؟ ((42)
لم تجد أبناء الشيوخ كرامـة	اثرت، ولا ما قيل من نفحـــات (43)
نهضوا لحزب المصلحين لعلهم	يقفون دون طريقـه عثـــرات (44)
آذوك حين دعوت من ضلوا الى	ديــن النـبى بحكمة وعظـات (45)
واذاية الجهلاء مثل اذاية الـ	عجماء ما كانت بذات تـرات (46)
صبرا «زعيم المصلحين» على الأذى	لابد دون الشهد مـن لسعـات (47)
والمرء يدرك بالثبات على العلا	ما عز من غرض ومـن غايـات (48)

(38) جعلوا المسلمين طرائق مختلفة متشتة مـع ان الاسلام ديـــن واحـد وطريقة واحدة ٠

(39 ـ 40) بنوهم يرتحلون طلبـا للثروة ، يتكففون الناس أى يمـدون نحوهم أكفهم ويلحون فى طلب الناس اعطاءهم فيعطونهم من الفضلة وفتات موائدهم ، والفتات ما تفتت وتكسر من الشيء المقوت ٠

(41) يقول ان الناس قد انهكتهم ضرائب الاستعمار واتت على ما عندهم ٠ فهم فى نحس مستمر ٠

(42 ـ 43) لم يعد أبناء الشيوخ ينتفعون بما يـروى مـن كرامات نسبت لآبائهم ولاجدادهم من قبل ، ولا ما يروى من نفحات مروية لهم ٠

(44) نهضوا : قاموا ، عثرات : جمع عثرة : مزلة وسقطة أى موضع العثور

(45) آذوك : أصابوك بضر حينما دعوت الضالين الى الرشد بحكمة وموعظة

(46) التره مصدر وتره يتره وترا وتره اصابه بمكروه أو بانتقام منـه ، والوتيرة : الانتقام والظلم فيه ، ومعلوم ان الحر لا يأخذ بثاره من حيوان اعجم

(47) عجز البيت تضمين لمثل آخر شعرى (ولابد دون الشهد من ابر النحل)

(48) عز : غلا وندر وقل ، الغاية : المنتهى والمطلوب ٠

حمتك يد المولى
لشاعر الشباب المشهور

هذه قصيدة رائعة من روائع أمير شعرائنا ـ بلا منازع ـ الاستاذ الكبير محمد العيد آل خليفة رحمه الله ، اصل عشيرته من بلدة كوينين بقرب مدينة الوادى (سوف) من ولاية بسكرة ، وولد بمدينة عين البيضاء فى 27 جمادى الاولى 1323 هـ ـ 28 أوت 1904 م .

وبعد حفظه القرآن الكريم بمدرستها الابتدائية انكب على طلب العلوم الاسلامية الدينية والعقلية واللسانية ، وأول من أخذ عنهم الشيخان محمد الكامل بن عزوز وأحمد بن ناجى ، وظهر نبوغه مبكرا ، واستمع الى علماء عصره فى بسكرة بعد ان انتقل اليها مع أسرته عام 1918 ، فاستمع الى المشائخ على بن ابراهيم العقبى ، والمختار بن عمر اليعلاوى ، والاديب الكبير جنيدي المكي ، ثم توجه الى الجامعة الزيتونية بتونس عام 1921 م ، فانخرط فى سلك طلبتها وسمع من كبار مشائخها ، ولكن لم يطل به المقام فيها كثيرا اذ عاد الى وطنه بعد سنتين واستقر حينا ببسكرة عروس الزيبان فاشتغل بالتعليم، وأخذ ينشر فضله وأدبه بما يعلم ويلقى ، وبما يكتب وينشر ، فذاع صيته وعرفت قصائده الرنانة من خلال المنتقد ، والشهاب ، وصدى الصحراء ، والاصلاح ، وخاض معمعة الصحافة ، فشارك فى اخراج (صدى الصحراء) التى أسسها السيد أحمد بن العابد عام 1924 م ، كما شارك العقبى فى اخراج جريدة الاصلاح ، ثم انتقل عام 1927 م ، الى العاصمة فاسندت اليه ادارة (مدرسة الشبيبة) بأعلى حى باب الوادى (قرب ثانوية عقبة اليوم)، وكانت



الشيخ محمد العيد آل خليفة

مؤسسة وطنية حديثة ألتف حولها رجال البر والاخلاص فبذل فى ادارتها والتعليم بها كل ما لديه من قوة الايمان والشباب والوطنية باخلاص ، وكان بجانبه — فى التعليم — خيرة أبناء الجزائر مثل الشيخ باعزيز بن عمرو احد كبار المتخرجين من مدرسة ابن باديس واحد الكتاب النابهين ، والشيخ فرحات ابن الدراجى بوحامد المتخرج من الزيتونة واحد الكتاب المجيدين ، والشيخ جلول بدوي الاديب المشهور ، والشيخ عبد الرحمن الجيلالي المؤلف المؤرخ ، وغيرهم،رحم الله الأحياء منهم والاموات ·

وممن نبغ فى عهده من تلاميذ المدرسة — اذكر منهم ولا احصيهم — الاساتذة : عثمان بن الحاج بوقطاية ، والاستاذ الطاهر بوشوشى ، وكلاهما أديب نابغة شاعر ناثر ، والاستاذة شامة بوفجى ، واختها .

ولكن هذه المدرسة أصيبت بنكبة عظمى وزلزلت زلزالا شديدا يوم قبلت جمعيتها بوضعها تحت اشراف (الاكاديمية) الفرنسية ورقابتها فى بداية الحرب العالمية الثانية ، ويقال ان ذلك كان بتأثير من الشيخ الطيب العقبى رحمه الله ، وكان الشيخ محمد العيد يحبه ويقدره ويجله لانه من أساتذته ، ولكنه لم يرض عن الوضعية الجديدة ، وأول ما أصابها ان فارق الشيخ محمد العيد ادارتها ، ثم غادر الجزائر فرارا من هذا الجو الجديد ، وما زالت هذه المدرسة فى انحدار منذ ذلك اليوم حتى حصول الاستقلال ، ولم يكن لها انتاج يذكر وذلك ما كانت الادارة الفرنسية تقصده مما رفضته جميع المدارس الحرة وقبلت جمعيتها به ·

قضى الشيخ محمد العيد فترة الحرب العالمية وما بعدها مترددا بين بسكرة وباتنة ، دائبا على التعليم والادارة ، وعاد الى انتاج الرجال بالتعليم والتكوين، فتخرج عليه شباب فى بسكرة ، وفى باتنة حيث أدار مدرستها مدة عامى : 46 — 47 ، وعندما عقد مؤتمر (المعلمين وهيئات المدارس الحرة) بمدينة قسنطينة فى 16 مارس 1946 م ، كان من أبرز رجاله وألقى فيه قصيدة عصماء ؛ وكان هذا المؤتمر تمهيدا لمؤتمر المعلمين الاحرار الذى انعقد تحت اشراف جمعية العلماء فى سبتمبر 1946 م ، وبمركزها ، وترأسه المرحوم الشيخ محمد بن العابد السماتى أحد افذاذ المعلمين الاحرار ، وهذا المؤتمر هو الذى اعلن (العصيان المدنى) ضد قرارات فرنسا القاضية بتعطيل جميع

المدارس الحرة والمنع من فتح القديم منها وانشاء الجديد الا برخصة وتحت اشراف الاكاديميات ، وقالـوا : (اطلبـوا الرخصة نعطكـم أياها) فقلنـا : لا نعترف بالقانون الذى يمنعنا من حرية تعليم ديننا ولغتنا ، ومنذ أكتوبـر 1946 م ، افتتحت أبواب مدارسنا متعرضة للغرامة والغلق وسجن المعلمين ٠

وعندما نشبت الثورة فى 6 ربيع الاول عام 1374هـ نوفمبر 1954م كان الشيخ محمد العيد فى مدرسة العرفان بعين مليلة (على 50 كلم ، من جنوب قسنطينة) بجانب أخيه وصديقه الشيخ محمد بن العابد السماتى رحمهما الله،فأما الشيخ ابن العابد فقد صعد الى الجبل وشارك فى الثورة كجندي من أول رصاصة اطلقت،رغم علو سنه ؛ ففى مساء يوم 31 أكتوبر 1954 م ، سلم ابن العابد مفاتيح المدرسة لزميله محمد العيد وقال له : أنا ذاهب ! ولكنـــه لم يلبـــث الا قليلا واعتقل وعذب عذابا أليما حتى فقد بعض حواسه وحكم عليه بالاشغال الشاقة ، وما انتهى عذابه الا بانتهاء الاحتلال عام 1962 م ٠ واما الشيـــخ محمد العيد فقد ألقى عليه القبض عام 1955 م، وزج به فى سجن قسنطينة ولم يكن عليه بيان بفعل معين ، وحضر للدفاع عنه بعد كبار المحامـــين مـن باريس ممن كانوا يحضرون للدفاع عن الثوار وكبار الشخصيات ، فخرج من السجن بعد بضعة أشهر وبقى كامثاله من الجزائريـــين فى عذاب الترقب وانتظار الغدر من لحظة لاخرى ، وكان تحت الرقابة الدائمة المشددة والاقامة الجبرية فى مدينة بسكرة ، فعاش معزولا عن المجتمع الى ان انبلج صبـــح الحريـــة ٠

وبعد الاستقلال عاد الى ميدانه فى التربية والتعليم ، بقى مترددا بـين باتنة وبسكرة ، وحضر الى الجزائر لمناسبات منها وفاة صديقه وصفيه الشيخ محمد البشير الابراهيمى رحمه الله . وقد رثاه ، وحضر اقامة بعض ذكرياته ، وذهب الى الحج موفودا من وزارة الشؤون الدينية 1385 هـ (1966 م) وقد جمع بعض شعره فى ديوان أنيق ونشر فى حياته ، ولكنه يحتاج الى عنايـــة أكبر لتفسير احداثه ، فان قصائده سجل خالد للنهضة الجزائرية من بدايتها فى العشرينات الى حياة الاستقلال فى الستينات ٠

وفى الاسبوع الثانى من شهر رمضان 1399 هـ (جويليـــة 1979 م) ختمت أنفاسه بمدينة ، باتنة ثم نقلت جثته غداة يوم الوفاة الى مدينة بسكرة

حيث شيع جثمانه فى حفل رهيب حضره بعض الوزراء وكبار رجال الحزب والحكومة والادارة ، وقام بتأبينه ـ باسم وزارة الشؤون الدينية ـ رئيس المجلس الاسلامي الاعلى ·

يمتاز شعر محمد العيد بالمتانة مع سلاسة الاسلوب وعذوبة الالفاظ ، وعمق المعاني وطرافتها ، وقد شبهه أمير البيان شكيب أرسلان بانه فى شعراء العربية يشبه البهاء زهير ، وكان كبار المشائخ كلهم يجلونه وينزلونه بأعلى منزل ، أما الابراهيمي ـ وهو الذواقة فى الادب ـ فكان يضعه فى مكانة لا يسمو اليها أحد عنده ، ولا يحتاج محمد العيد الى برهان أسطع من شعره·

نشرت هذه القصيدة فى عدد الشهاب 81 الصادر فى 3 رجب 1345 هـ ، الموافق 7 يناير 1927 م ·

قال محمد العيد يخاطب الشيخ ابن باديس : (والقصيدة من بحر الطويل)

3 ـ حمتك يد المولى

حمتك يد المولى وكنت بها أولى فيالك من شيخ حمته يد المولى (1)

وأخطأك الموت الزؤام يقوده اليك أمرؤ أملى له الغي ما أملى (2)

فيالوضيع النفس كيف تطاولت به نفسه حتى أسر لك القتلا (3)

---

(1) لشاعرنا الكبير براعة لا تجارى فى رد العجز على الصدر كما فى هذا البيت من هذه القصيدة وحماية الله لاوليائه من عنايته بهم ، والمولى : الولى والنصير ، والسيد والمالك ، والقريب أيضا وكلها صالح هنا الا الاخير · أولى : احرى واليق واجدر من غيرك ·

(2) الزؤام : السريع الكريه ، أمرؤ انسان ، والغي الضلال وخلاف الرشد، وأملى له : وسوس له وأمره وأوحى اليه (ما) هنا نكرة أو موصول يراد بها التفخيم كما فى قوله تعالى : « **فغشيهم من اليم (ما) غشيهم** » أى شىء عظيم الهول ·

(3) (يا) حرف نداء للاستغاثة والمنادى محذوف تقديره : يا عباد الله ونحوه والجار والمجرور ـ هنا ـ مستغاث منه متعلق بحرف النداء لتضمنه معنى الفعل (ادعو) أو متعلق بفعل مضمر ·

وتطاولت نفسه تجاوزت به قدره وتكلفت الطول وهى الحقيرة ، واسرار القتل كتمانه وذلك قتل الغدر والغيلة وهو قتل الجبناء لان الشجاع ينذر خصمه ويقول له (خذ حذرك ودافع عن نفسك) · ثم يبارزه وانما يبارز الانسان كفؤه ، واما الوضيع فانه يغدر من استنكف عن منازلته · وقاتل الغيلة لا عفو عنه وان عفا ولى الدم لانه غادر ·

ونالك في جنح الدجى بهراوة فأدماك، بل أدمى الكرامة والفضلا (4)

وأدمى البرور المحض والرفق والهدى وأدمى الشعور الغض والحذق والنبلا (5)

وأهوى الى نصـل بكف لئيمـة تعود ان ينضى بها ذلك النصلا (6)

فأوسعتها وهنا وأوسعها قـوى وأجهدتها عقدا وأجهدها حـلا (7)

وكادت يد الجاني العليوى تعتلى يد الشيخ لولا الله أدركه لولا (8)

---

(4) الدجى : الظلام ، دجا الليل يدجو اذا اظلم ، وجنح الدجى طرفه وكنفه والهراوة ـ بالكسر ـ العصا الضخمة كالتي في الفاس والمعول ، والدبوس منها نوع من الهراوى يكون أغلظ في وسطه منه في طرفيه ، وقد يكون بارزا ماضيا في بطنه . وأدماك : أسال دمك ، مثل : دماك ، وما ادماك انت بل ادمى الكرامة . لانك كريم وادمى الفضل لانك فاضل .

(5) هـذه صفات جمعها الشاعر في بيـت واحـد ، براعة تـذكر ببراعة أبي الطيب المتنبيء ولم يقل له أنت بر ، أنت رفيق ، أنت حاذق نبيل الخ .. ولكن الجاني بجنايته اصاب كل هؤلاء فيه . البرور ضده الفجور : المخالقة بالاحسان ، والطاعة والصدق ، والمحض الخالص من الشوائب ، والرفـق اللين ، ويقابله العنف والغلظة ، وفي الحـديث : « ان اللـه يحب الرفـق » والهدى والرشد والسداد ، وضده الضلال ، والشعور يريد بـه الاحساس والغض الطرى ، احساسه رقيق ينطبع فيه بسهولة الخير فيجزى به ، والشر فيتألم منـه والحذق المهارة والاتقان وذلك مـن اثـر الذكاء ، والنبل الذكاء والنجابة والفضل وكرم النفس والمحتد .

(6) النصل حديدة الرمح والسهم والسكين ، وكان الجاني يحمل سكينـا من النوع المصنوع بالجزائر يدعى (بوسعادى) يمتاز بصلابة نصله ومضاء رأسه وسهولة غوصه في الثياب وفي الجسم ويصلح للطعن به كما يصلـح للذبح ، وكان مرخصا في حمله معلقا كما كانوا يعلقون السيوف . وأنضى السيف من غمده : سله وجرده .

(7) الـوهن : بالفتح أو السكون الضعف في الامـر أو العمـل أو البدن « **حملتـه أمـه وهنا على وهن** » ، « **ولا تهنـوا ولا تحزنوا وانتم الاعلـون** » القوى : جمع قوة قدرة واطاقة ، والقوة ضد الضعف ، اجهده بذل جهـده وطاقته وجد في أمره معه ، والشاعر يصور ابدع تصوير ما بذله الجاني في تنفيذ جريمته وما بذله الشيخ في مقاومته .

(8) كادت : قربت ، واذا كانت في الاثبات ، فالفعل معها قرب ولم يقع واذا كانت في النفي فقد وقع الفعل ، وقرب ألا يقع ، وهي تعمل عمل كـان وخبرها جملة فعلية ، فعلها مضارع يتجرد ـ غالبا ـ من (أن) عكس عسى ، ما اروعه من بيت يشرح اشفاق الشاعر ـ بل الامة ـ من عاقبة الصراع بين هذا التعيس وبين ضحيته ثم يتنفس الصعداء بنصر الله .

فوافتك بالنصر العزيز طلائع مباركة تترى من الملا الاعلى (9)

وحفت، بروح القدس شخصك فانثنت مصيبتك الجلى كرامتك المثلى (10)

وغادرك الجانى الشقى موليا وهل يسلم الجانى الشقى اذا ولى (11)

وان أنس،لا أنسى الذين تضافروا على الفتك بالجانى فقلت لهم مهلا (12)

أليس من الآيات أنك بيننا تعامل بالعدل الذى أغضب العدلا (13)

وترضى ، ولو عمن تبرم بالرضى وتسلى،ولو عمن أبى منك أن تسلى (14)

وتحفظ حتى من أراد بك الاذى وتنصر حتى من أراد بك الخذلا (15)

لك الله من داع الى الله لم يثق بغير كتاب الله والسنة الفضلى (16)

---

(9) وافاه : ادركه ، والطلائع : جمع طليعة ، وهى مقدمة الجيش تترى يأتى بعضها بعد بعض مع تراخ .

(10) حفت : احدقت واستدارت واحاطت ، وروح القدس جبريل عليه السلام انثنت : تولت وانعطفت ، المصيبة : البلية ، وكل أمر مكروه ، والجلى الشدة العظمى مؤنث الاجل ، وهو الامر العظيم ، والخطب الجسيم ، والمثلى مؤنث الامثل الخيار والافضل .

(11) موليا : فارا معرضا بعد ان كان مجتهدا في تنفيذ جريمته .

(12) تضافروا : تعاونوا ، مهلا : رفقا اسم فعل أمر منقول عن مصدر الفعل يستوى فيه المذكر والمؤنث والمفرد والجمع ، ومعناه : تمهل وارفق ولا تسرع ولو لا تدخل الشيخ وأمره باستعمال الرفق مع الجانى عليه لقتلته الجماهير الغاضبة ، ولما صدر عليه الحكم بخمس سنوات سجنا لم يكن بذلك راضيا ، ورآه كثيرا فى حقه ولكن الحق العام استعمل حقه فى الموضوع لخطورة الجريمة واصرار الجانى على موقفه .

(13) حقا انه لمن آيات الله ان يكون الداعية الى الله مؤتسيا برسول الله صلى الله عليه وسلم وهو الذي قال له الله : « **ادفـعْ بالتِي هِي أحسَنُ فاذا الذِي بينَك وبينَـه عداوةٌ كانَّـه ولِيٌّ حميمٌ ، وما يُلقَّاها الا الذين صبروا وما يُلقَّاها الا ذو حظٍّ عظيم** » روى عن بعض السلف انه قال : ذلك محمد صلى الله عليه وسلم .

وقد أغضب الجانى العدل ـ لانه سفك دم مسلم ، وهو حرام عليه .

(14) تبرم بالشيء سئم وضجر ومل ، وتسلى تطيب نفسك وتنسى الاساءة .

(15) الخذل : ترك النصر والاعانة وقت الحاجة .

(16) لك الله، خبر ومبتدأ، وهى صيغة تعجب مثل : لله دره، ولله انت انما يثق بكتاب الله لانه الحق الذى لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه ويثق بسنة رسول الله لانها جاءت مبينة لكتاب الله ، وهو صلى الله عليه وسلم معصوم لا ينطق عن الهوى فما لم يكن من كتاب الله وهو مخالف لسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم فهو الضلال لا شك فيه ، وفى الحديث فى حجة الوداع قال صلى الله عليه وسلم ما فحواه : « تركت فيكم ما أن اتبعتموه لن تضلوا أبدا : كتاب الله وسنة رسول الله » .

سعى لبنى الاسلام بالخير ما سعى   فأبلى (رعاه الله) فى الخير ما أبلى (17)

ولم يلبث الاشرار حتى تآمروا   عليه فلم يألوه فى شرهم خبلا (18)

أرادوا به الفتك الذريع شماتة   وما كان للفتك المراد به أهلا (19)

فهل كان هذا شأن من يدعى التقى ؟
وهل كان هذا شأن من يدعى الوصلا ؟ (20)

اما كان ازهاق النفوس محرما ؟
على القوم أم ظنوا النفوس لهم حلا ؟ (21)

---

(17) سعى : مشى بجد وسرعة ، وسعى عمل ، وأبلى اظهر بأسه حتى بلاه الناس فاختبروه ، وهل أشد من السطو عليه ؟

(18) تأمر القوم بفلان ، وائتمروا به هموا به ، وأمر بعضهم بعضا بقتله وتشاوروا فى قتله .

لم يالوه : من الا يألو الوا ، قصر فى الامر ، ولم يال لم يقصر ، يقال : (لم يال جهدا) لم يقصر ولم يدخر وسعا ، والخبل والخبال الفساد والجنون يصاب به ، والخابل المفسد الشيطان .

(19) الذريع : السريع والفظيع ، والشماتة الفرح ببلية الغير وهى من اخس الاخلاق ، ونصب شماتة مفعولا لاجله ، وفى القرآن الكريم من قول هرون لاخيه موسى لما أخذ بلحيته يجره اليه « **قال : ابنَ أمَّ إن القوم استضعفونى وكادوا يقتلوننِى فلا تُشمت بىَ الأعداء** » .

(20) ان الذى يتقى الله لا يؤذى المؤمنين والمؤمنات ولا يستحل دماءهم واعراضهم ولا يشمت بمن نزلت به بلية منهم ، والوصل : ــ فى عرف المتصوفة ــ بلوغ مرتبة خاصة عند الله وقبوله اعمال المريد وانى له ذلك ؟! وقد صح فى الحديث انه صلى الله عليه وسلم ــ قال عند وفاة أخيه من الرضاع عثمان بن مضعون : « والله لا أدرى ما يفعل بى » تعليما لامته ألا يغتر احد بمنزلته فيأمن مكر الله . فليجتهد فى عمل الصالحات وليظن بالله خيرا .

(21) بلى ! فان قتل النفس التى حرم الله ــ الا بالحق ــ من أكبر الكبائر لقوله تعالى : « **ومَن يقتُلْ مؤمنا متعمّدا فجزاؤه جهنم خالداً فيها وغضِبَ اللهُ عليه ولعَنَه واعدَّ له عذابا عظيما** » واختلف علماء أهل السنة فى قبول توبة القاتل عمدا والجمهور على قبولها ان تاب توبة نصوحا ، وقال ابن عباس لا توبة له ، وافتى علماؤنا ألا يتولى الامامة ولا يصلى خلفه ، وهذا اذا قتل وهو يعلم ان النفس عليه حرام فاذا استحلها واعتقد انها غير حرام فهو كافر لانه انكر معلوما من الدين بالضرورة ، وازهاق النفوس قتلها واهلاكها والاقدام على فعل ما يتلفها .

اذا كنتــم ــ يــا قــوم ــ بالحــق قــادة
فأدلـــوا ببـرهـــان اليـــه كمـــا أدلى (22)

تنحلتم ــ يا قــوم ــ فعل محمد وما فيكم مــن كان يشبهه فعلا (23)

وحملتم ــ يا قوم ــ هدى محمد مــن الزيغ أقوالا ينوء بها حملا (24)

فصــورتـــم الاســـلام كالليـــل قــاتمــــا
من الزيغ ، والاســـلام كالصبح أو أجــلى (25)

فواعظم صبرى أين عهد محمد ؟ تراه يتيح اللــه رجعته أم لا ؟ (26)

وواعظم صبرى أين عهد صحابة أقاموا هدى القرآن بينهم فصلا ؟ (27)

---

(22) زعموا انهم علماء يقودون الناس بالحق الى الحق فهاتوا البرهان على ما تدعون « **قل هاتوا برهانكم ان كنتم صادقين** » يقال : ادلى بالدلو : ارسلها فى البئر ، وادلى بحجته احضرها واحتج بها ، والبرهان الحجة الواضحة .

(23) تنحلتم : اتخذتم مذهبا وادعيتم ذلك ونسبتموه لانفسكم ، ولا يتم ذلك الا بشبهه فى افعاله ، لان سننه قول وعمل واقرار .

(24) الزيغ : الميل عن الحق والاعوجاج عن طريقه . وهدى محمــد طريقه وسبيله ، وفى الحديث : « ان خــير الحديث كتاب اللــه ، وخير الهدى هدى محمد » وما لم يكن من هديه فهو بدعة ، وكل بدعة ضلالة ، وحملتم السنة أقوالا لا تصلح لها ولا تصح معانى لها وهى من الكذب عليها ، ذلك من ينــوء بحمله هدى النبــى ، ودعاوى المتصوفين أكثرها مما تأباه السنة ولم يــؤثر عن النبى واصحابه فان كان شرا فكفاهم بذلك ، وان ظنوه خيرا فهل غفــل عنه الرسول وهو أولى بكل خير ؟ ناء بحمل الشىء نهض به بجهد ومشقة ، مثقلا وناء به الحمل اثقله وامالة .

(25) قاتما ضاربا الى السواد ، والقتام الغبار الاسود . واجــلى أكثر جــلاء وظهــورا .

(26) وا : حرف نداء مختص بالندبة والمنادى هنا مــن قسم المضاف فهــو منصوب وتراه : تظنه ولا يستعمل مضارع رأى بمعنى ظن ، الا مبنيا للمجهول يا هل ترى ؟ أتراه يكون كذا ؟ يتيح : يقدر ويهيىء ، ورجعته : عودته .

(27) صحابة محمد صلى الله عليه وسلم من اجتمعوا به فصدقوه وعزروه ونصروه ، وقد يطلــق هذا اللقب الشريف عــلى الذيــن سبقوا منهم ولازموه كأبى بكر وعمر ، وأبى عبيدة وعلى غيرهم من السابقين الاولين من المهاجرين والانصار وقد يطلق على جميعهم حتى الذين راوه وهم صغار وهذا هو اصطلاح المحدثين والشاعر يقصد المعنى الاول لانهم هم الذين حكموا من بعده ويصح ان يقصد الثانى لان الناس كانوا ملتزمين الاستقامة كلهم حكاما ومحكومين ، والقرآن كان هو الحاكم بين الجميع وعند الجميع بينهم فى انفسهم وبينهم وبين غيرهم .

تعال (أبا حفص) تر العدل ذاهبا كما شاءت الدنيا تر الظلم محتلا (28)
تر الغي موفوع المعالم محكمـا تر الرشد مدفوع المعالم مختـلا (29)

تغـــيرت الآثـــار بعـــدك وانطـــوت
رسوم الهـــدى واخلولق الديـــن ان يبـلى (30)

وجاء على الاســلام بعدك معشر تعدواحمى الاسلام وافترقوا سبلا (31)

---

(28) أبو حفص هو عمر بن الخطاب رضى الله عنه اسلم في السنة الخامسة من البعثة استجابة لدعوة رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يعز الاسلام به فاعتز باسلامه المسلمون وكان ـ مع أبى بكر ـ كالوزيرين لرسول الله صلى الله عليه وسلم فلما مات الرسول كان مع أبى بكر قوة له وأوصى له بالخلافة من بعده فاقام العدل وجاءت على يده الفتوح وحقق اللـه في عهده للمسلمين ما وعدهم به في كتابه وعلى لسان رسوله حتى قتله اللعين أبو لؤلؤة المجوسى عند صلاة الصبح في ذى الحجة 23 من الهجرة ، وكان مثال العدل والقـوة لا تأخذه في الله لومة لائم وفيه يقول عبد اللـه بن مسعود : ما زلنا اعـزة منذ اسلم عمر ، وقال رحم الله ذلك المرء كان اسلامه عزا ، وهجرته نصرا ، وخلافته رحمة ، ومناداته هنا ضرب من ضروب تفنن الشاعر في اداء معانيـه والاعراب عن مشاعره لا يريد ان يشكو له ، واحتلال الظلم انه غلب عـلى مواطن الحكم ودور القضاء وقوله تر مجزوم في جواب الطلب : تشاهد وتنظر

(29) الغى : الضلال ، وأصله الغوى سبقت الواو الياء فقلبت ياء وادغمت فيها وكذلك كلما اجتمعتا واحداهما ساكنة ، والغوى بكسر الواوى : الضال المنقاد للهوى . والمعالم : جمع المعلم مما يستدل به على الطريق ويهتدى بـه من يسلكها محكما معملا به غير منسوخ ، والقانون المحكم هو الذى يقع بـــه الحكم والذى عدل عن الحكم به يقال فيه نص منسوخ ، والرشد والاستقامة على الطريق وهو ضد الغى ، والمختل الواهن الفاسد ، يقال اختل الامر وهن وفسد واختل عقله زاغ .

(30) انطوت : انحسرت وطويت بعد نشرها ، والرسوم جمع رسم وهـو ما بقى من اثر الديار ، واخلولق من افعال المقاربة يقترن خبرها بان كاوشك عملا ومعنى : وبلى : رث ، ثوب بال رث قديم .

(31) المعشر : الجماعة ، والقوم والرهط ، ولا واحد له من لفظه ، قـال ذو الاصبع العدوانى :

وأنتـم معشـر زيـد عـلى مائـة فأجمعوا أمركم ـ طرا ـ فكيدونى

ويستعمل للرجال دون النساء كما قال في اللسان ، سبلا طرقا وهذا ما نهى اللـه عنه في قوله : « **وان هذا صراطِى مستقيمًا فاتّبِعوه ولا تتّبِعـوا السبلَ فتَفرّق بكم عن سبيله** » .

فلم يحفظوا لله حصنا ولا حمى   ولم يرقبوا فى الله عهدا ولا الا (32)
غرار لهم فى الحق دعوى عريضة   وان سمعوا الحق استخفوا به جهلا (33)
فهل كان دين الحق دين جهالة   وهل كان أهلوه زعانفة غفـلا (34)
فـدم يـابـن باديس كمـا كنـت راشـدا
فانى رأيـت الرشـد يستاصل الدجـلا (35)
وخذ بيمين الحـق تعـل عليهم   فانى رأيت الحق يعلو ولا يعـلى (36)
وان تك قد مستك منهـم بليـة   لذلك فالداعى جدير بان يبـلى (37)

---

(32) حصن الله وحماه ما لا يجوز ان يتعدى حدوده ، وفى القرآن الكريم : « **وتلك حدودُ اللـه ، ومن يتَعدَّ حدودَ اللـه فقد ظلَمَ نفسَه** » وفى الحديث : « ألا وان لكل ملك حمى ، الا وان حمى الله محارمه » وعهد الله ميثاقه ياخذه المسلـم عـلى نفسـه عندما ينطـق بالشهادتين والال العهـد وفى القـرآن : « **لا يرْقبُوْنَ فى مـؤمن إلاًّ ولا ذِمة** » لا يرقبون فى مـؤمن عهدا ولا يحفظون ميثاقا ولا يوفون به ٠

(33) الغرار : الجماعة المتماثلون مـن قولهم (هـم عـلى غرار واحد) أى متماثلون استخفوا : اظهروا الاستخفاف والاستهانة ، وجهلا مفعول لاجلـه لان من يستهين بالحق فهو أحمق بعيد عن المعرفة والعلم ٠

(34) الجهالة : الحمق والجفاء والغلظة والسفاهة وعدم المعرفة والعلم ، واهلوه جمع أهل ـ وهو ملحق فى الاعراب بجمع المذكر السالم ـ بمعنى ذويه المنتسبين اليه والزعانفة : جمع زعنفة : أجنحة السمك ولا خـير فيها وكـل جماعة ليس لهم أصل واحد ويطلق الزعنف على القصير وعلى الطائفة من كل شىء والغفل من الرجال الذى لا يرجى خيره ولا يخشى شره ٠

(35) استاصل الشىء : قلعه من أصله ، والدجل الكذب والتمويه والتمخرق كفعل الدجال وهو الكذاب الذى يخرج آخر الزمان فيلبس على الناس دينهـم ويغترون به ويتبعونه ، ورأيت هنا بمعنى علمت وتيقنت والمفعول الثانى هو الجملة الفعلية ٠

(36) تعل مجزوم فى جواب الامر : تغلب وتنتصر ، فالحق ينتصر ويغلب الباطل وان كانت للباطل صولة ، فان للحق جولة ولا يعلى على الحق ، وفى وصف الوليد بن المغـيرة للقرآن جاء قوله : (ان أعـلاه ، لمثمر ، وان أسفله لمغدق وانه يعلو ولا يعلى) ٠

(37) بلية : مصيبة ومكروه ، وهذا عهد اللـه للمـؤمنين « **الم ٠ أحسِبَ** النَّاسُ ان يُتركُوا ان يَقوُلوا آمنا وهم لا يُفتَنون » وقال تعالى : « لتُبلَوُنَّ فى **أموالكم وانفسكم ولتسمعُنَّ مـن الذين أوتوا الكتاب مـن قبلكم ومن الذين اشركوا اذىً كثيرا** » وقد بلى ابن باديس رحمه الله فى نفسه وماله وعرضه وفى حياته وحتى من بعد موته اذ ما يزال قوم قد أكـل الحقد عليـه قلوبهم يهرفون بما لا يعرفون ولكن اللـه سبحانه بمنه وفضله قادر ان يجعل لـه ما جعل لعباده الصالحين : « **ان الذين آمنوا وعملوا الصالحات سيجعل لهم الرحمن وُدا** » ٠

حنانيك لا تأخذ بها الشعب انها جناية أفـراد ذوى همم سفـلى 38)

حنانيـك لا تعـــرض عــن الشعـــب وافتكـر

بـأدوائـه واجمـــع لأحـــزابـــه الشمـــلا (39)

ولا تـأس فالتاريـخ ـ يا شيـــخ ـ حـافـظ

لأعمـالـــك الكبـــرى وأمـالـــك الجـلى (40)

سيتلو على الاجيال شكـــرك مومئـا اليك وأنبـاء الورى سور تتـلى (41)

---

(38) حنانيك : من الشفقة والرحمة والرقة فى القلب مصدر نائب عـن فعله عامله محذوف تقديره تحنن مرة بعد أخرى ، وحنانا بعد حنان والمؤاخذة بالذنب المعاقبة عليه واللوم والتوبيخ وهم الرجل ما يهم بفعله وينوى القيام به ويجول بفكره عمله ، وانما يكون ذلك حسب مكانة الرجـل قرب رجـل كما قيـل :

لـه همـــم لا منتهـى لكبـارهـا وهمته الصغرى أجـل من الدهر

ويقال رجل هم أى ذو همة يطلب معالى الامور ، ولكن بعض الناس تنحط همته الى ما فعل هؤلاء الجناة فهممهم لا اسفل منها ٠

(39) الادواء : جمع داء،المرض ، والدواء ما يعالج به المرض ، وفى الحديث (تداووا فان الذى انزل الداء انزل الدواء) وفيه ما فحواه : «ان لكل داء دواء الا الهرم » ٠ والشمل ما اجتمع من أمر القوم ، يقال جمع الله شملهم أى ما تفرق من أمرهم ٠

وكان ابن باديس ـ رحمه الله ـ همه جمع شمل الشعب فى كتلة واحدة لان هذا ما أمر به الاسلام ونهى عن خلافه فى قوله تعـالى : « **واعتصِموا بحبل الله جميعا ولا تفرَّقوا** » واذكر ان ادارة الشهاب الاولى فى عدد 13 من النهج الذى يسمى اليوم باسمه فى قسنطينة كانت فيها لافتـة بخط جميل وغليظ كتب فيها قوله تعـالى : « **ولا تنازعوا فتفشَلوا وتذهَبَ ريحُكم** » وما زالـت صورتها مطبوعة فى ذهنى وفى نفسى حتى الآن ٠

(40) لا تاس لا تحزن ، والمأساة الفاجعة وكل حادثة تحمل على الاســى وهو الحزن وفى القرآن الكريم : « **لكيلا تأسَوْا على ما فاتكم ولا تفْرَحوا بما آتـاكـم** » ٠

(41) مومئا : مشيرا ، والاماء : الاشارة ، والورى : الخلق ، وقد بلـغ الشاعر القمة فى هذين البيتين ووقع لهذا الرجل المؤمن كل ما توقعه له دون ان يكون قصده اثناء عمله ٠ بعض ذلك راه فى حياته ومعظمه ما كان بعـد وفاته وقد حفظ التاريخ عمله وها هى الاجيال تتلو شكره وكل جيل يومىء اليه ويعينه لمن بعده ، وكيف ينسى عمله ـ وان نسيه الناس ـ وقد كتبه الله فى الامام المبين : « **انا نحن نُحيِي الموتى ونكتبُ ما قدموا وآثارهم وكلَّ شـىء احصيناه فى إمام مبين** » ٠

وقد أصبح يوم ذكرى وفاته عيدا للعلم يحتفى به فى كامل انحاء الـوطن وحبذا لوصفا هذا العيد من كل الشوائب التى تنافى جلال هذه الشخصية وجلال العلم رحم الله ابن باديس ، ورحم الله الشاعر العظيم محمد العيد ٠

4 ـ الى العـــلامـة السلفـــي

4 ـ الى العلامة السلفي (والقصيدة من بحر الوافي) :

هذه القصيدة من نظم أحد كتاب وشعراء المغرب الشقيق الذين كانـوا يشاركون بانتاجهم الادبى فى (الشهاب) ويتخذونه منبرا لنشر دعوتهـم الدينية وحرب التدجيل فى شعبهم وبث اليقظة والنهضة فى امتهم والتعاون مع الكتاب والشعراء الاصلاحيين فى الجزائر وقد كان لحادثة الاعتداء عـلى الاستاذ اثـر كبـير ، فكتب الكتاب كثيرا مما جـاء فى باب النشـر ، وأرسل الشعراء بقصائدهم ننشر منها فى هذا الباب ما نعثر عليه ، ومنها هذا القصيد للشيخ محمد القرى من فاس بعث به بمقدمة قصيرة ، ونشر فى (الشهاب) 82 الصادر يوم الخميس 30 رجب 1345 هـ ، الموافق 3 فبراير 1927 م .

قالت الشهـاب :

صدى الاعتداء فى المغرب الاقصى :

جناب مدير مجلة الشهاب المحترم ،

تحيـة وسلامـا ،

الرجاء منكم ان تنشروا على صفحات ـ الشهاب ـ الاغر القصيدة التالية بمناسبة نجاة العلامة السلفى المصلح السيد عبد الحميد بن باديس مـن ضربة الشقى الاثيم ولكم مزيد الشكر .

وقـاك اللـه كيـد الخائنينا وأخـزى المبلسـين الملحـدينـا (1)

(1) وقاك : حفظك وصانك مـن الاذى ، والكيد : المكـر والخداع الخائن الغادر الناقض للعهد والامانة . واخزى : اذل وأهان ، والمبلس : مـن لا خير عنده ، والمتحير : لا بينة عنده من أمره ، أو من يعمل عمل أبليس ، والحد فى الدين مال عنه وطعن فيه وانتهك حرماته ، والحد فى اسماء أو صفات اللـه حرف فيها وبدل ، والملحد الكافر الذى ينكر الا لوهية ، والمراد هنا : المنحرفين عن الحق فى اسماء الله وصفاته ، والحق من دينه ولم يرد بهم الكافرين .

ولا لاقـوا مـــن الاقـــلام الا	طعنـــا يصـــرع المستكلبينـــا (2)
لقد ظنوا ـ وما ظنوا هبـاء ـ	بأنهم سيضحـــوا مفلتينـــــا (3)
وان قتيلهـــم مـــــرء مهـــين	عـلى قـــوم يقـرون المهينـــا (4)
وان قتلـــوه لا يبـــكى عليـــه	ولا يلـقى حمـــاة مثئرينـــا (5)
فيقتصـــون مـــن ألف بظفـــر	له ان لم يقومـوا شاهرينـــا (6)
مـــن الاشرار نـــاس دأبهـــم أن	يعيشوا فى الاثـــام مشوشينا (7)
وان ضحوا على التشويش أرواً	حهم كى يكتبوا فى المجرمينـا (8)
وان راحـوا بكل قبيح عـــار	وان ثابـوا بلعـن اللاعنينـــا (9)

(2) الطعان : الضرب برؤوس الرماح ، والاقلام لها رؤوس كالرماح ، وقد يكون طعانها انفذ اثرا من طعان الرماح وأقتل ، والمستكلبين : المتخلقين بخلق الكلاب ، يقال استكلب الرجل اذا نبح كالكلاب ، وفى الكلاب وفاء يضرب به المثل ، وفيها نباح يرعب ويؤذى الضيوف ٠

(3) ما ظنوا : ما : هنا موصل والعائد محذوف تقديره : ظنوه ، وهباء : خبر الموصل والهباء : ـ وجمعه اهباء ـ الغبار ودقائق ساطعة ومنثورة على وجه الارض ، والمراد : الشيء الحقير ، مفلتين : ناجين من شر فعلهم : افلت اذا تخلص من شر ٠ وقد حذف النون من فعل سيضحوا ولا وجه له لان الفعل غير مجزوم ولا منصوب ، والضرورة فى مثل هذا قبيحة ، وان استعملت وهى كثيرة فى العامية ٠

(4) مرء : رجل ، مفرد لا جمع له من لفظه ، مهين : حقير ، يقرون : يقبلون ويسكتون ٠

(5) ظنوا أنه لا يبكى عليه لهوانه عليهم وضعته عندهم ٠ حماة : جمع حام من يدفع الاذى عن قومه ويحمى ذمارهم ، المثئر : القائم بالثار ، المطالب بالدم المدرك لثاره ٠

(6) يقتصون : يأخذون بالقصاص ويبالغون فيه لو أخذ من رجلهم ظفـرا لاقتصوا له من الف ٠ وشاهرين : مصلتين السيوف ، يقال شهر السيف : سلـه ورفعه ٠

(7) دأبهم : عادتهم وشأنهم مشوشين مخلصين ، شوش الامر خلطه وصيره مضطـربا ٠

(8) ضحوا : بذلوا نفوسهم وأرواحهم ، وشان من يفعل هذا الربح ، ولكن عاقبة من يضحى على التشويش ان يكون مكتوبا فى قائمة المجرمين ٠

(9) راح : جاء أو ذهب فى الرواح أى المساء وعمل فيـه هذا هـو الاصل ويستعمل فى مطلق الذهاب والمضى ٠ العار : ما تلحق به مذمة ويستحى من كشفه واطلاع الناس عليه ، والقبيح مشتق من القبح وهو ضد الحسن فى القول أو فى الفعل أو الصورة ٠ ثابوا : عادوا ورجعوا ٠

أولئك مـن يـروا طعما لذيذا اذا عاشـوا غـواة فاتنينـا (10)

اذا قتلوا اذا سفكـوا دمــاء تراهم فى الشقـا متبخترينـا (11)

يعدون الفضيلة أن يكونـوا جناة ، فى الجنـاة مبرزينـا (12)

يحبـون المديـح بكـل وصف تسميهـم بـه متنطعينـا (13)

اذا شئت امتداحهم فقل فى أمـتداحهم بغـاة مفسدينـا (14)

لهم فى ذاك فخـر ، أى فخر وأحبب أن يسمـوا مقلقينـا (15)

أراح الله منهـم كـل شعـب وأحيـا المرشديـن المصلحينـا (16)

وأبقى مـن يصـون سياجه أن ينـاوى مـن أرذال خائنينـا (17)

فكم قوم هنالك قد دعـوا مسـلمـين ، وما هـم بالمسلمينـا (18)

نعم ، قد سلموا فى دينهم فاسـتحقـوا ان يقـال مسلمينـا (19)

---

(10) غواة : جمع غاو · ضال منقاد للهوى وقد يضل غيره ويغويه ، وهو الفاتن المضل لانه يوقع فى الفتنة ، ومن الفتنة الكفر والاختلاف والقتال ·

(11) من أكبر الفتنة القتل وسفك الدماء.والشقاء ـ وقصره الشاعر ضرورة ـ ضد السعادة وهـو الشدة والعسر ، متبخترين : ما شـين مشية التبختر والتمايل والاعجاب بالنفس وهى مشية يبغضها الله الا فى ميدان الحرب امام العدو ونكاية فيه ·

(12) برز : فاق أصحابه في عمل وسبقهم ·

(13) المتنطع المتكلف المتانق فى كلامه المتحذلق والمتشدق فيه ·

(14) يقصد الشاعر ـ والله اعلم ـ ان براعتهم لا تظهر الا فى ميدان الغى والفساد ، وليس لهم وجه يستحقون المدح به الا هذه البراعة ! ودليل ذلك ما جاء فى البيت التالى ·

(15) أحبب : صيغة تعجب ، فعل ماض حول الى صيغة الامر ويدخل حرف الجر على فاعله تجنبا لقبح اسناد الامر الى الظاهر ، قال تعالى : « **أَسْمِعْ بِهِمْ وَأَبْصِرْ** » أى ما اسمعهم وابصرهم ، والمقلق : المزعج ·

(16) دعاء عليهم ، لفائدة جميع الشعوب ! وأحى دعاء للمصلحين ، والفعل فى الدعاء ماض فى اللفظ انشاء فى المعنى لان الدعاء يطلب للمستقبل ·

(17) المراد بالسياج هنا : حدود الله ، والسياج الحائط على كرم ونحوه من النخيل والاشجار المثمرة والنباتات والخضر ·

(18) كم الخبرية : يراد بها التكثير · يحسب كثير من الناس فى المسلمين ولا برهان لهم من قول أو عمل أو اعتقاد !

(19) مسلمين بالتشديد من الاستسلام لا من الاسلام ·

هـم أهـل المقابـر والزوايا   اماتهـم الالـه مذبذبينـا (20)

تعليق الشهاب على البيت الاخير ،(بل هداهم الله وارشدهم) .

---

(20) نسبوا الى المقابر لانهم يلتجئون اليها ويتقربون ـ عامتهم ـ بالقربات والنذور ويتمسحون عليها ، ويدعونها رغبا ورهبا ، والزوايا : جمع الزاوية المراد بها المؤسسات التى يراسها شيوخ كانت فى أصلها تجمع طلبة العلـم يحفظون القرآن ويتعلمون العلم على شيخ ، ثم صار الخلف يرثها عن السلف من ال الشيخ ولو لم يكن من أهل العلم والمعرفة والسلوك الصحيح ، ثم ندر فى شيوخها العلمـاء وتراسها الجهـال ، وتسربت الى المعتقـدات الضلالات والجهالات ، وهذا ما انكرته الحركة الاصلاحية ، وخصوصا لما تحالف بعضهم مع السلطة الاستعمارية كما فعل الشيخ عبد الحى الكتانى بالمغرب ضـد السلطان الشرعى وضد الحركة الاستقلالية .

ومع ذلك فان ابن باديس لم يقطع كل أمل فيهم ، بل كان يتخذ منهم موقف الناصح الامين ويأمل الهداية لهم ، ولهذا لم يقبل ان تكتب لهم الموت عـلى سوء الخاتمة بل دعا لهم بالهدى والرشد ، عكس ما دعا عليهم الشاعر بموتهم مذبذبين .

الشاعر الفقيه الشهيد محمد القـرى الفـاسى

4 شــوال 1356 هـ ،
8 ديسمبــر 1937 م،

رأينا هذا الشاعر الكبير العالم المسلم يشارك اخوانه « المصلحــين » فى أحداثهم بالجزائر ، ويتألم لما اصاب الشيخ ابن باديس ، ويتلهف شوقا الى لقائه ، ويعرب عن صدق عواطفه الاسلامية الوطنية . وقد كان ــ يوم انشــاء الشهاب 1925 ــ فى عنفوان شبابه كما كان مـن الذين شاركوا فى تحريره وترويجه والتأثر به ، اذا كان الاتجاه واحدا والغاية واحدة ، « فقد تشبعت مجموعة من الشباب المغربى بافكار الافغانى ومحمد عبده وكان بداية انطلاقهم ، ولم تأت سنة 1925 حتى تأسست حلقات سرية بين هؤلاء الشباب بدأت تتطور وتعيش أحداث وطنها بكامل الانتباه ... » (1) ، وبلغت أخبارها الدولـــة المستعمرة ــ كما أشارت اليه مراسلات الشهاب ــ وكان ذلك بفعل وشايات خصومه ــ من فاس .

ومنعت (الشهاب) من دخول المغرب التى كانت محرومة من صحافة وطنية يستطيع فيها هؤلاء الشباب ان يعلنوا أفكارهم . ويبثوا الوعى الصحيـــح ، ويحاربوا ضلال الخرافيين والزيغ والفساد فى العقائد والاعمال ، ويكشفـوا دسائس المستعمرين وأذنابهم من الجامدين والعملاء .

---

(1) (من ذكريات سجين مكافــح ...) للاستاذ ابراهيم الكتانى ، ص 88 . منقولة عن جريدة (العلم) .

وفى عام 1930 بلغ الحمق بالفرنسيين الى اصدار (الظهير البربرى) يعلنون فيه الغاء المحاكم الشرعية فى مساكن المسلمين البربر بالمغرب ــ وكانوا يمثلون 60 ٪ أو يزيدون ــ واحلال العادات والاعراف البربرية الجاهلية محل أحكام الشريعة المحمدية ، ــ ومن هذه العادات حرمان المرأة من الارث ومن كل حقوقها الانسانية التى اعترف لها بها الاسلام ــ وكان غرضهم من هذا « الظهير » محاولة فصل البربر عن الاسلام وعن العروبة ليسهل ابتلاعهم من النصرانية الصليبية وادماجهم فى الامة الفرنسية ، وذلك ما حاولوه فى الجزائر وأملوا ان تتحقق احلامهم ، اذ كانت بلاد القبائل محرومة من المحاكم الشرعية ، والحكم بالشريعة، وكان الشعب يقاطعها ويتحاكم الى علماء الشريعة راضيا بها وبهم، لكن الشباب المغربى الوطنى تنبه لهذه المحاولة الخطيرة ضد الاسلام ، وضد وحدتهم الوطنية فرآها فرصة مؤاتية لاعلان وجوده (ولم تأت سنة 30 حتى استطاعت هذه الجماعة السرية ان تعلن نفسها وترفع رأسها عندما دعت الى مقاومة الظهير البربرى وزج بالكثيرين فى السجن » (2) ٠

كانت حقا مظاهرات رائعة ، حاسمة فى القضاء على هذا المشروع الخبيث ، فقد دعت لتجمعات كبرى فى المساجد ، حيث يحلق المؤمنون ويرفعون أصواتهم بالنشيد العذب :

يا لطيف ، الطف فيما جرت بـه المقادر ،
ولا تفرق بيننـا وبـين اخواننا البرابـر

وعلى صوت هذا النشيد استيقظ شعب المغرب ، وهب الى العمل الجدى ، وعرف انه لن يزول الخطر ما دام المستعمر جاثما فوق أرض المغرب ، فاشتد ساعد الحركة الوطنية السرية ٠

« وظهر ثقلها أكثر حينما جاءت سنة 1934 أثناء المطالبة بالاستقلال فى هذه السنة تم توسيع الحلقات السرية على أساس تنظيم الشعب فى حلقات ضمت الخرازة والدباغة والقيسرية والعطارين » (3) ٠

---

(2) المصدر والصفحة ٠
(3) المصدر المذكور والصفحة نفسها ٠ وهذا القول من جريدة (العلم) ، وصوب المؤلف ان مظاهرات الاستقلال لم تقع سنة 1934 ٠

وجاءت سنه 1936 فانتصرت فى فرنسا أحزاب « الواجهة الشعبية » وهى متألفة من أحزاب اليسار وأبرزها الاحزاب الثلاثة . الراديكالى ، والاشتراكى والشيوعى ، وظن كثير من الناس انه يمكن ان يكون اليسر واللين فى معاملة العرب والمسلمين ، وهكذا سمح لبعض الاحزاب الوطنية بالظهور أو بالانشاء ، أو بالعودة الى العمل وكان هذا فى تونس والجزائر والمغرب ، وسمح بالنشاط « لنجم شمال افريقيا » ثم « حزب الشعب » وفى المغرب للكتلة الوطنية ٠ وفى تونس لحزب الدستور ٠

ولكن حكومة الواجهة الشعبية نفسها خيبت الآمال ، وبرهنت على ان اليسار الفرنسى لا يقل « وطنية » ـ أو رجعية ـ عن اليمين ، اذا تعلق الامر بمقاومة الوطنيين ! ففى عهد حكومة الواجهة جاء الامر بحل حزب « نجم شمال افريقيا » ثم بحل « حزب الشعب الجزائرى » وزج بزعمائه فى السجن وقدموا الى المحاكمات وصدرت ضدهم أحكام الاشغال الشاقة ! ثم كان الامر فى تونس كذلك ، وأحداث 9 أبريل 1938 معلومة ٠ وكانت أحداث المغرب أشد قسوة وعنفا ، وهى التى أودت بحياة هذا الشاعر الوطنى الكبير ٠

فقد « جاءت سنة 1936 فحدث اصطدام آخر على اثر المطالبة بانشاء الصحافة » (4) ٠ فحتى عام 1936 لم يكن مسموحا للمغاربة بصحافة وطنية يعبرون بها عن خوالج نفوسهم ٠

اما سنة 1937 م فان « العمل السرى بدأ يأخذ طابعا أكثر فعالية ، فبعد العمل فى السر وقراءة اللطيف أحست الحركة الوطنية أن الوقت قد حان لتأسيس تنظيم سياسى شعبى ٠٠٠ لكن الحماية ٠٠٠ وافقت على تأسيس جمعية سياسية على شرط ان تشتغل بالسياسة وتكتب فى الصحف ولا تنزل الى الجماهير الشعبية ٠٠٠ ولم تقبل الحركة اقتراح الحماية ، وتقرر تأسيس التنظيم السياسى بغية تعميم الوعى وتنظيمه بطريقة أكثر شمولية ٠٠٠ فعلا حدث الاصطدام مباشرة بعد التنظيم الذى شهدته كثير من المدن المغربية كان أعنفها فى فاس وفى القنيطرة ، وفى فاس بالضبط استمرت المظاهرات عدة

---

(4) المصدر المذكور ٠

ايام دون توقف ... وكان الاجماع الشعبي فوق طاقة الاستعمار ... لـم تمر هذه المصادمات دون انتقام وحشي من جانب الحماية » (5) .

وقعت هذه « المصادمات » بتاريخ شعبان 1356 الموافق ليوم 27 اكتوبر 1937 ، والايام الموالية له في مدن فاس والقنيطرة وسلا ، والرباط ، ووجدة .

وجن جنون الفرنسيين فألقوا القبض على كثير من الوطنيين ، منهم أبرياء لا ذنب لهم الا وجودهم في ساحة الاحداث ، ومنهم علماء كبار في جامعة القرويين ، وعلى رأسهم الشهيد محمد القرى شاعر فاس ، ومثله اخوانه في العلم والانتساب الى القرويين : ابراهيم الكتاني ، وعبد العزيز بن ادريس العمروى والفقيه رشيد الدرقاوى ، والاستاذ هاشمي الفيلالى ، والاستاذ عبد الهادى الشرايبي ، والفقيه محمد بن عبد الله . ومنهم طلبة . وقدموا الجميع الى محكمة القوانين العرفية ، وصدرت عليهم الاحكام بعامين أو عام أو ستة اشهر سجنا .

ولكنهم لم يسكنوهم السجون ، بل وجهوا بهم الى بعض معتقلات التعذيب والتقتيل حيث سلموهم الى جنود اللفيف الاجنبي ، أو الى جماعة « القومية » تحت أوامر الضباط الفرنسيين وأوكلوا اليهم تعذيبهم بالتجويع والضرب والارهاب حتى الموت .

وعندما كتبنا عن شعر شاعر فاس كنا نجهل كيفية استشهادة ، ثم أسعدنا الحظ ـ اثناء ملتقى الفكر الاسلامي الثامن عشر ـ بلقاء حبيبه وصديقه ورفيقه في المحنة الكاتب الكبير الشيخ ابراهيم الكتاني الفاسي القروى ، فاتحفنا بهدية ثمينه هي كتابه النفيس (من ذكريات سجين مكافح في عهد الحماية الفرنسية البغيض أو أيام قولميما) وفي هذا الكتاب قرأنا صفحات رائعة من الكفاح البطولي والمحنة المؤلمة التي تعرض لها هؤلاء العلماء الوطنيون .

يشتمل الكتاب على 190 صفحة ، فيها وصف 50 يوما من العذاب الاليم المهين الذى تعرض له هؤلاء المجاهدون ، ودقق كيف قتل شهيدان أحدهما اتهم زورا بسرقة رغيف ، والثاني هو هذا العالم الاديب الشاعر محمد القرى .

(5) المصدر المذكور ، ص 189 ، منقولا عن جريدة (العلم) .

والكتاب نفيس جدا نال جائزة المغرب لعالم 1972 · ولا يحق – فى رأينا – لمؤرخ يتناول عصر الوجود الفرنسى فى بلادنا ألا يطلع عليه ليعرف ما كان يلاقيه الاحرار فى سجونه ومعتقلاته ·

فى الطريق الى المجهول :

بعد أسبوع واحد من القاء القبض على المتهمين كانوا قد فرغوا من تقديمهم أمام محكمة الطوارىء المستعجلة ، وحكم عليهم بالسجن · والمعتاد أن يقضوا مدة الحكم فى السجون العادية يتمتعون بحقوق السجناء ، مثلما يتمتع به سجناء الحق العام من السراق والفجرة والقتالين والمجرمين · لكن هؤلاء علماء وفقهاء وأشراف ووطنيون ، لهذا قضت « حكمة » الاستعمار الفرنسى ان تخصهم بالسجن (السياسى) ! واذا كان معناه عند الامم معاملة السجين معاملة انسانية خاصة ، تقتضيها قوانين الدول فانها عند الفرنسيين معناها معاملته بأقسى ما يمكن بالتقتيل والتعذيب · ويتحدث الاستاذ ابراهيم الكتانى عن أحداث اليوم الثالث من رمضان 1356 هـ 8 نوفمبر 1937 م فيقول : « عند الزوال وقفت القافلة لتناول طعام الغذاء فسمحوا لنا بالنزول ، فرادى للبول بجانب السيارات باستعجال ، وقد شاهدت أثناء نزولى الشهيد محمد القرى – أعلى الله مقامه فى عليين – كان يركب شاحنة غير التى اركب فتبادلنا الاشارة بالتحية من بعيد ثم عاد كل منا الى شاحنته » ·

والذين تناولوا طعام الغذاء هم الحراس أو الزبانية ، اما الوطنيون فكانوا رغم العذاب والسفر والتجويع صائمين ·

ولما وصلوا الى معتقل « قالميما » اخذوا فى تعذيبهم ليل نهار ، واقتصروا فى اطعامهم على رغيف زنته 200 غ يتناوله من قدر على العمل ويحرمه كل مريض وعاجز ولم يسمحوا لهم بماء نقى ، كما لم يسمحوا لهم – بالصلاة الا داخل المعتقل – فرادى ، وبعد اسبوعيين كانت الحالة قد بلغت ما جاء فى وصف يوم الثلاثاء 19 رمضان 23 نوفمبر عن قتل برىء متهم بسرقة رغيف قال :

حوالى الساعة الثامنة والنصف اجتمع جماعة على المتهم بسرقة الرغيف – يضربونه حتى سقط للارض واستمروا فى ضربه حتى أغمى عليه وسالت دماء

غزيرة من أنفه وفمه • ووقف علال الاعور فوق صدره وبطنه وجعل يرفسه بحذائه الغليظ بعنف وسرعة ويتحرى مقاتله على الخصوص فيرفسها أكثر وكذلك الوجه حتى تلطخ جسمه وسروايله واستمر في رفسه حوالى 20 دقيقة الى ان بردت أنفاسه ••• ثم سحبوه عند جذع نخلة ، وقد طالت قامته وتفتحت عيونه على هيئة مفزعة ، وعلاه اصفرار فاقع ، واستمر على هذه الحالة اليوم بأكمله لم يتحرك منه عضو ، ولا طرفت له عين فتحققنا نحن عن موته ــ وكنا ــ بعد ذلك نؤرخ بموته فنقول « وقع هذا قبل ــ أو بعد ــ قتل صاحب الرغيف ••• » وقد تكررت نفس العملية في هذا اليوم مع نحو من سبعة اشخاص كلهم سحبوا بعد الضرب والرفس ، وانعدام الحركة وانقطاع النفس وسيلان الدماء ••• ولكنهم ــ جميعا ــ قاموا من غشيتهم فأعيدوا حالا للعدو السريع والعمل الثقيل والضرب الشديد ••• لكن صاحب الرغيف استمر في موته ••• » •

وما انتهى النهار حتى كان عدد الذين انفكت ارجلهم أو انتفخت اقدامهم أو خارت قواهم ••• قد قارب العشرة ممن لم يسقطوا ••• ولكنهم عجزوا عن الرجوع الى المعتقل على اقدامهم فساروا بين اثنين يهادون ، وقد كان بينهم الشهيد محمد القرى رحمه (6) •

في ادارة الشؤون الاهلية :

الحكام يشاركون بأنفسهم في التعذيب :

بعد يومين ــ أي يوم الخميس 21 رمضان 25 نوفمبر أخذ المعذبون الى ادارة الشؤون الاهلية فاستقبلهم النقيب في مكتبه ، ومن بين من حمل اليه الشهيد محمد القرى • قال المؤلف عن هذا الحاكم :

« ••• جعل ينادى كل واحد باسمه ••• يحيط به جيش من الضباط وصف الضباط الفرنسيين ، ومن القوم ، وكلما أبدى حركة أو اجاب عن سؤال ضربوه جميعا ضربا مبرحا ••• فلما وصل الى الشهيد محمد القرى ــ وكان قد انكسر ظهره من كثرة الضرب ، وانثنى فلم يبق يقيمه ، كما لم يبق قادرا على الوقوف . وكان قد أتى به اليوم في العربة مع من أتى بهم فيها ، كما

(6) المصدر المذكور ، ص 108 •

انه أتى به محمولا البارحة واليوم قبله ـ جعل يضربه فوق راسه بسوطه بكل قوة ، والدماء تفور من راسه كانه نافورة قوية فتغمر ثيابنا ووجوهنا ، وهو مع ذلك لا يزداد الا ضربا · ايه ايها الفقيه (الكرى) أين جئت لتموت ، واين دعتك التربة لتدفن ؟ ثم تركه وذهب يضرب الآخرين ·

وقد تأثر الرقيب الكرسكى لما وقع للفقيه القرى رحمه الله ، فتقدم والاسى باد على محياه واحضر قطنا وكحولا ، وجعل يمسح بهما جروح الشهيد الدامية واثر الانفعال الشديد (7) باد ولا تظنن ان هذا الكرسكى انسانى رحيـــم ، فانه هو وابنه من الزبانية وذرية الشيطان الرجيم ، لكنه وجد فى الرقيب من يزيد عليه قسوة وفظاظة ولعنة فـ (ر ق) قلبه الجلمود ، فالحاكم شـــأنه ان يشكى اليه من اعتداء السجانين · فاذا بلـغ أن يكون سجان من الزبانية احن قلبا منه فكفاه قسوة ·

أحق هذا أم هو نوع من التعذيب :

وبينما المعذبون فى احدى حصص التعذيب قال لهم الترجمان : « ان سيدى الرائد وصلته رسائل فى هذا اليوم من السلطان ومن الحكام الكبار فى الرباط وفـاس يأمرونه فيها بمضاعفة تعذيبنا ، والتعجيل بقتلنا · وتنفيذا لذلـك جمعنا لهذا المشهد الحفيل الذى سيكون فاتحة العمل الحاسم المعجل بالقضاء علينا واراحة المغرب منا ! ·· ولقد علم الله ان القلم عاجز عن وصف ما جرى على حقيقته ··· وحسبك ان تعلم ان السيد الجزائرى الذى كان موظفا بقولميما قد حضر هذه العشية وشاهد ما جرى لنا فبلغ به التأثر ان انتحر حسبما قيل ـ او مات كمدا . قابله الله بعفوه وغفرانه » (8) ·

وبعيد جدا ان يأمر السلطان محمد الخامس بتعذيب العلماء وقتلهم وقد أصابه ـ من بعد ـ من الهوان والسجن والابعاد ما أصابهم ·

ويقول عن يوم 20 رمضان : (جاء الكورسيكى فوجدنى فى حالة سيئـة فتركنى مع المعطوبين ومنعنا جميعا من تناول رغيف الصباح ··· وعندما عاد اصحابنا فى المساء وزع عليهم رغيف العشية وسحبنا نحن الى مغارة المعطوبين

---

(7) المصدر المذكور ، ص 122 ·
(8) المصدر المذكور ، ص 123 ·

ووزع علينا ربع رغيف عن جميع اليوم أى نحو 50 غ ، وقيل لنا ان المريض لا يحتاج الى طعام وعلى من شعر بحاجة الى الاكل ان يخرج من بين المرضى ··· ويخرج غدا للعمل) (9) ·

ويقول عن اليوم السابع والعشرين من رمضان : (لم يغمض للواحد منا جفن ولو لحظة واحدة اذ كنا جميعنا فى أنين متواصل وألم شديد كامل ··· وقد بات عند رجلى ـ فى هذه الليلة ـ الشهيد محمد القرى رحمه الله ، وكان قد أصيب فى عروق ركبته اليمنى من شدة الضرب فأضحت رجله مرتفعة الى أعلى ، بحيث لا يقدر على وضعها الى الارض وهو يود ـ بجذع الانف ـ لوضعها فيبكى وينتحب ، ويتعلق بهذا ويرجو ذلك أن يقف أو يجلس فوق ركبته عساها تنزل للارض ، فاذا ما فعل زاد تألمه وأنينه ··· والرجل لا تفتأ مرتفعة الى أعلى لا تنخفض ولا ترجع) (10) ·

اغتيال القرى أو « يوم الشهيد القرى » :

يوم 29 رمضان هو اليوم الخامس والعشرون من العذاب وهو يوافق 3 ديسمبر وسماه المؤلف يوم الشهيد القرى وقال : (انه من غير شك أخلد يوم من ايام (قولميما) فلقد جاء (الولد) فأمر بأخراج جميع المعطوبين كائنة حالتهم ما كانت فتكونت منهم فرقة خاصة عين لمرافقتها بعض (القوم) وتقدمها من هم أحسن حالا ··· انهم جميعا استطاعوا السير عدا الاستاذ الشهيد محمد القرى ، فقد عجز عن الوقوف بله السير ·

فما زالوا يتفننون فى التمثيل به بكل أنواع التمثيل مدة الساعتين اللتين قضوهما فى الطريق وأظنه سار جلها حبوا على يديه ورجليه مع الضرب الشديد المتصل ، وحمل يهادى بين اثنين من رفقائه فى أقلها على ما أظن مع الضرب أيضا والرفس واللكم للقلب والانثيين والدماغ ، فلما وصل ـ وصل فى حالة لا تتصور ··· اجتمع عليه طائفة من (القوم) ومعهم (الولد) ـ ولد الكورسيكى ـ وبالغوا فى تقتيله بوحشية فظيعة بحجة انه صحيح يتظاهر بالمرض والعجز ليخدع الحراس ويفلت بذلك من العمل وأخيرا تركوه فى

(9) المصدر المذكور ، ص 144 ·
(10) المصدر المذكور ، ص 145

الهاجرة مبطوحا عـلى وجهه ، باسطا يديه مفرقا رجليه ، بعدما انتزعوا منـه الرغيف الذى كانوا أعطوه اياه مع بقيـة (المعطوبين) عندما أخرجوهم ••• والذى كان فيهم مـن لم يـر للرغيف وجها منذ يـوم السبت الماضى ، ومنهم الشهيد ـ يلاحظ ان هذا يوم الخميس ـ

وبعدما جلسنا للغداء تقدمت منـه فسألته عن حالـه ، وعرضت عليه ان آتيه بخبز وزيت فقال : انه لا يشعر بجوع ـ مع انه لم يأكل منذ سبعة ايام ، ولكنه أبدى رغبته فى الشرب فسقيته وهو منبطح على وجهه اذ لم يقدر على الجلوس • وحوالى الساعة الثالثة استأذنت الولد فى الشرب فاذن لى ، وكان سطل المـاء قريبا من (الشهيد) فنادانى طالبا الماء ، وكان ذلك آخـر عهدى بـه » (11) •

أثناء الرجوع ـ ويقول عن ولد الكورسيكى (الرحيم) :

« ••• ثم رجع يسب ويلعن ذلك القرى الذى أبى ان يسير عـلى قدميه زيادة فى التظاهر بعجزه وضعفه • ثم أختار اربعة منا أمرهم ان يسيروا معه ويحملوه مـن يديـه ورجليه ، وقال لهم : لا عليكـم اذا انفكت أوصاله ، أو انخلعت عظامه •

وقد حدثنا (المعطوبون) الذين كانوا مرافقين له انه ـ رحمه الله ـ كان عاجزا عن الوقوف وعن السير وان (القوم) تفننوا فى تعذيبه والتمثيل بـه بدعوى ارغامه على الوقوف والسير •

من ذلك أنهم كانوا يوقفونه بـين شخصين ويجعلون الهراوة (المانقو) تحت ذقنه ، ثم يزيلون الشخصين ويتركونه واقفا معتمدا على الهراوة ، ثـم يزيلون الهراوة من تحت ذقنه فيهوى بقوة لوجهه فيجتمعون عليه بهراويهم بكل قوة لرأسه وظهره ، ثم يقفون على ظهره بأحذيتهم ويرفسون ويركلون بكل قوة صائحين سابين لاعنين • وقد تكررت هذه العملية منهم هذه العشية أكثر من عشرين مرة قبل أن يراهم (الولد) ـ ولد الكورسيكى ـ ويـأتى اليهم ، فلما جاءهم ضاعفوا وحشيتهم أضعافا مضاعفة ، وجعل هو يهدد بوطئة بسنابك فرسه ويقفز من فوقه عدة مرات ••• ومنذ حمله الاربعة الذين ذهب بهـم منا ـ كما أمـرهم ـ و (القوم) يتبارون فى ضربه عـلى رأسـه وظهره بهراويهم الغليظة حتى وصلوا به الى المعتقل فوضعوه فى مربط الدواب •

---

(11) المصدر المذكور ، ص 149 ـ 150 •

لقد مرت بنا فى هذا اليوم الاسود المشهود حوادث جسام ، ولكن فظاعة ما وقع للشهيد فيه ـ رحمه الله ـ جعلنى أقصر الحديث فى هذا اليوم عنه (12) ـ وفى اليوم الموالى 30 رمضان « نقل الشهيد الى اسطبل خارج المعتقل » (13) ·

وفى يوم العيد (فى هذا الصباح ذهب اثنان منا لنقل (الشهيد) الى المستوصف ، وعند رجوعهما اخبرانا أنه فى النزع الاخير ·

استشهاده :

وقال عن يوم 4 شوال (8 ديسمبر) : « فى هذا اليوم أسلم الروح الشهيد محمد القرى رحمه الله ، بعدما غاب خمس ليال واربعة ايام لا نعلم ماذا جرى له فيها زيادة عما وقع بمرأى منا ···

فكان موته خسارة لا تعوض ورزية وطنية عظمى اذ كان مؤمنا سلفيا صادق الايمان شاعرا مكثرا وكاتبا وخطيبا مؤثرا وعلامة لغويا مطلعا متبحرا ، ومكافحا متفانيا ، وكان الى ذلك ذا أخلاق دمثة ، لين الجانب متواضعا محبوبا منكرا لذاته مخلصا لاصدقائه ··· على انا لم نتحقق خبر استشهاده الا بعد رجوعنا من قولميما الى سجن (عين على مومن) الفلاحى » (14) اهـ ·

وكانت وفاة هذا الشهيد من أسباب انتهاء محنة اخوانه ، فانهم لبثوا من بعده نحو 20 يوما فى العذاب ، ثم جاء الامر بنقلهم الى السجن المذكور وهو سجن مدنى أغلب المسجونين فيه من المحكوم عليهم بالاشغال الشاقة (وقد مرت بنا فى هذا السجن أهوال وفظائع ، ولكنه لا نسبة بينه وبين جحيم قولميما الفظيع (15) ونقلوا ـ بعد ذلك الى سجن الدار البيضاء حتى أعلنت الحرب العالمية الثانية فى سبتمبر 1939 والذى أعلنها هو م· دالادى زعيم اليسار ورئيس الوزراء ووزير الحرب الفرنسى ، وهو الذى اعتز على الوفد الجزائرى وهدده وتوعده بأن مدافع فرنسا قوية ، فقال له ابن باديس : هنالك مدافع أقوى منها فقال : وما هى ؟ قال : مدافع اللـه ·

---

(12) المصدر المذكور ، ص 150 ·
(13) المصدر المذكور ، ص 150 ·
(14) المصدر المذكور ، ص 156 ·
(15) المصدر المذكور ، ص 175 ·

صـــدى الاعتــداء :

احســاس لطيــف مــن شــاعر شريــف

هذا صوت شعرى نفاذ ، مثل الشعر التونسى فى أدب فاجعة الاعتداء على الشيخ عبد الحميد بن باديس رحمه الله ، وشاعرنا اليوم هو الشاعر الكبير الاستاذ صالح سويسي الشريف القيرواني ٠

وقد كان الشيخ ابن باديس يعتز بتونس ويعترف بفضلهـا وبفضـل جامعتها واساتذتها عليه وعلى وطنه ، ونوه ـ اعترافا بالجميل ـ بهذا فى كل مناسبة عرضت ، وكان لكل استاذ منهم مكان فى قلبه من الاحترام والاعزاز والتكريم ، وذكر فى لسانه ، ولكنه كان يخص اثنين منهم بالذكر والتنويه ويقول : ان تعليمهما اياه تجاوزا به حد التعليم الذى يكون من مثلهم لمثله الى حد التربية والتوجيه وتكوين الشخصية ٠

احدهما جزائرى قسنطينى وهو الشيخ حمدان الونيسى العالم الفـذ والمربى الكبير ، والثانى تونسى قيروانى وهو الشيخ محمد النخلى أول مـن جهر بفكرة الاصلاح ورفع رايته بالجامعة الزيتونية بتونس ٠

واذا كان بجانب الشيخ حمدان الونيسى أنه مواطن ابن باديس وبلديه ، وأول من تلقى عنه التربية الدينية والعلمية ، فان بجانب الشيخ محمد النخلى انه ابن القيروان ـ وأعظم بها ـ ذات المجد التليد فى العلم وفى التاريخ وفى العائلة الخاصة ، وانه آخر اساتذته فى العلوم القرآنية ٠

ان القيروان مقر الاجداد أيام عزهم ومجدهم وملكهم وسلطانهم انها مسقط رأس جده ـ الذى ما زال ينتسب اليه ـ المعز بن باديس حامى السنة وقامع البدعة وفخر الملوك والسلاطين وعاصمة آبائه وابنائه الصيد ٠

لقد أشار الشاعر التونسى الفحل ـ بذكاء ومهارة فى قصيدته ـ الى هذا الجانب الحساس فى نفسية الشيخ عبد الحميد دون حرج ولا إحراج ولا تبجح أو تفاخر، ولا شك انه بلغ ما أراد .

والشاعر الشيخ صالح سويسي من أبرع شعــــراء تونس وأشهرهم فى عصره ، نشأ وعاش فى مدينة القيروان ، وكان فيها مثل الشيخ خزندار فى تونس هما الناطقان بالشعر العربي المتين بمتانة الأخلاق والدين والوطنية يعترف لهما أدباء تونس وشعراؤها بمكانتهما المتقدمة السامية .

وهذه القصيدة التى نقدمها أرسل بها الشاعر الى مجلة الشهاب ـ وهو من قرائها ـ صحبة رسالة رقيقة فنشرتهما فى عدد 88 الصادر بتاريخ رمضان 1345 هـ ، الموافق 17 مارس 1927 م ، بعد تقدمة وجيزة،وهذا ما جــــاء فى الشهــــاب :

صــــدى الاعتــداء :

إحســاس لطيــف مــن شــاعر شريــف

(جاءتنا الرسالة التالية من الأديب الديني شاعر القيروان ، فننشرهــا شاكرين فضله ، خجلين مما وصفنا به ، لحسن ظنه ولسنا له بأهل) .

« حضرة المرشد الفاضل ، والمؤمن الكامل، مقاوم البدع والتدجيل وواسطة عقد الاخيار فى هذا الجيل أوحد الرجال ، ورافع صروح الكمال أبو العباس سيدى أحمد بوشمال أمده الله بروح من عنده ، السلام عليكم ورحمة اللــه وبركاتــه .

وبعد فان حادث السطو الليلي على العالم المجدد ، والمصلح المفرد الأستاذ الكبير سيدي عبد الحميد بن باديس ـ قد أخذ رنة فى العالم الاسلامى عند الافراد الذين نور الله وجوههم ، وأفعم قلوبهم بحب الخير والسعادة الى أبناء هــذا الدين ـ .

نعم هى رنة أسف وفرح فى آن واحد ، فالأسف من جهة وقـــوع بعض الضرر في ذلك الجسم الذى ملء علما واصلاحا ، والفرح لوجود عالم يصدع بالحق ويهون عليه كل ألم يحصل له في سبيل إصلاح المسلمين .

أيها المدير المصلح أرجو المعذرة عن تأخير كتابتي في هـذا الحادث لاني كنت حليف سقم ، وأخذت الآن في اطراف المعافاة ، فله الحمد والشكـــر الجـزيـــل ·

وقد نظمت الأبيات الآتية راجيا غض النظر عن الغلط والقصور ·

والســـــلام ·

دم أريــق في سبيــل اللــه

(والقصيدة من بحر البسيط)

دمٌ جرى فى سبيل الله والدين فيه المثوبة يوم العرض والدين (1)

أجر المجاهد فيــه دون ما ريــب فى جنة الخلد بين الحور والعين (2)

مـــن جســـم عبد الحميــد العبقــرى بــــدا

نجــل ابــن بــاديس نبـــراس الســـلاطين (3)

---

(1) دم جرى : نكر الدم بقصد تعظيمه وتفخيم أمره فهو موصوف قـوة ، والدين في صدر البيت المراد به الملة والشريعة كما في قوله تعالى : « **لكُـــم دينكم وليَ دين** » وقوله صلى الله عليه وسلم : « الدين النصيحة » واما فى عجــز البيت فان المقصود هـو الدين بمعنى الجزاء كما فى قوله تعـــالى : « **ملك يوم الدّين** » يوم الجزاء ، وكما فى قولهم (كما تدين تدان) ويـــوم العرض هو يوم الحشر ، قال تعالى : ـ فى الحاقة ـ « **يومئذٍ تعْرَضُون لا تَخفَى منكم خافيةٌ** » والمثوبة : الثواب والأجر على الأعمال ·

(2) دم جرى فى سبيل الله : فهو دم مجاهد ، وفيه أجر من سال دمه فى سبيل الله دون ما ريبة يناله فى جنة الخلد ، والنعيم المقيم ، الحور : جمع الحوراء وهى التى اشتد بياض الابيض من عينيها ، واشتد سواد سوادها ، والمذكر أحور ، والعيناء التى عظم سواد عينها فى سعة ، وجمعها : عــين ، ومذكرها اعين ، وقد مدح الله نساء الجنة بهذين الوصفين فقال : « **وحُورٌ عِينٌ كأَمثالِ اللؤلؤِ المكنونِ** » ·

(3) العبقري : منسوب الى عبقر تزعم العرب أنه اسم بلد للجن فينسبون اليه كل شيء عجيب ، والنجل : الولد والنسل ، والنبراس : المصباح وهي سريانية ، والشاعر يريد انه ولد المعز بن باديس وهو اشهر ملوك الدولـة الصنهاجية ولد عام 398 وتوفى 454 وولى الملك بعد أبيه وهو صبي (406 هـ) ورباه الوزير علي بن أبى الرجال فنشاه على مذهب أهل السنة وكانت الدولة اسماعلية باطنية فاعلن مذهب السنة وفرج عن العامة والعلماء ما كانوا فيه من غم وهم فانتقم منه الفاطميون بمصر لقطعه دعوتهم وارسلوا عليه الاعراب من صعيد مصر وأقطعوهم بلدان المغرب فاجتاحوا القيروان وخربوا العمران ولكنهم عربوا الوطن نهائيا ، وكان المعــز عالما أديبا يقرب العلماء والادبـاء ويجمعهم فى بلاطه حتى انه لم يجتمع ـ بعد الخلفاء العظام ـ من الادباء مثل ما اجتمع عنده ومن اشهرهم الحسن ابن رشيق وابن ابى الرجال والشاعر القيرواني ابن شرف ·

دم بعلم وطهر صار ممتزجا بقوة العزم يجرى فى الشرايين (4)

من ضربة من خبيث الفعل ذى بدع من جهله صار مبعوث الشياطين (5)

عبد الحميد وقاك الله من فئة تمكن الجهل منهم أى تمكين (6)

أرضيت ربك والجهال قد غضبوا قوم تبدوا بتدجيل وتلوين (7)

سلوا الخناجر من الجهل وأنت لهم جردت سيف علوم للملاعين (8)

نجاك ربك من أنجى بقدرته

فى ظلمة الليل - عند الضيق - ذا النون (9)

---

(4) الشرايين : واحدها شريان وهى العروق النابضة التى يجرى فيها الدم الاحمر فى الجسم ويقابلها الاوردة وهى التى يجرى فيها الدم المتعكر ، فالشرايين تحمل الدم المصفى الخارج من القلب والاوردة تحمل العائد اليه .

(5) ذى بدع : صاحب بدع جمع بدعة ، وهى عبادة الله بامر مستحدث فى الدين لم يرد فيه نص من كتاب أو سنة قولية أو اقرارية ، فهو حدث مردود على صاحبه لقوله صلى الله عليه وسلم : « من احدث فى أمرنا ما ليس منه فهو رد » ، وقوله صلى الله عليه وسلم : « وشر الامور محدثاتها ، وكل محدثة بدعة ، وكل بدعة ضلالة » وقد تكون البدعة فى الاعتقاد وذلك ما عليه الباطنية ومن اعتقد اعتقاداتهم ، وقد تكون فى الاعمال التعبدية وقد تجتمعان والعياذ بالله ، واغلب ما يفعله دعاة التصوف جامع بين الاعتقاد الفاسد والعمل المبتدع الشياطين هى التى تأمر بالفحشاء ، قال تعالى : « **الشَّيْطَانُ يَعِدُكُمُ الفَقْرَ ويأمُرُكم بالفَحْشَاء** » وهل أفحش من قتل نفس مؤمنة يخلد قاتلها فى النار ؟

(6) الفئة ، الفرقة من الناس من فاوت رأسه أذا شققته أو من فاء اذا رجع . تمكن الجهل : رسخ الحمق والفظاظة .

(7) تبدوا : هنا بمعنى ظهروا ، وتبدى أيضا اذا خرج الى البادية وسكن ، بها فصار بدويا ، والتدجيل : فعل الدجل وهو الكذب والتمويه واظهار خلاف ما يبطن ومنه المسيح الدجال الذى يظهر فى آخر الزمن ، والتلوين : تقديم الالوان المختلفة ماديا او تغيير أساليب الكلام من أسلوب الى آخر .

(8) جردوا الخناجر ، وهى جمع الخنجر بفتح الخاء وكسرها السكين أو السكين العظيمة ، فهم تسلحوا بسلاح مادي من جهلهم بينما كان سلاحك العلم والعلم غالب يسخر المادة ويذللها - والملاعين جمع الملعون المطرود عن الخير المخزى واستحقوا هذه الصفة بنص القرآن فى قوله تعالى فى القاتل : « ... **وغضِبَ الله عليهِ ولَعَنَه** ... » .

(9) ذو النون هو نبي الله يونس بن متى، أرسله الله الى أهل نينوى (شمال العراق) فكذبوه وآذوه فبرم بطول دعوتهم وشدة شكيمتهم وتماديهم في اصرارهم ، فذهب مغاضبا لهم قبل ان يؤمر ، وأسلم قومه لما رأوا العذاب وآمنوا بربهم، وابتلى الله يونس فالقى فى البحر فالتقمه الحوت وهو مليم، فنادى ربه متضرعا ، ودعاه خاشعا فاستجاب الله دعاءه ونجاه من الغم قال تعالى : =

كـم مـن دمـاء جـرت للمصلحين وكـم
قـد نالهـم من ضروب الـذل والهـون (10)

أمـا لكـم أسـوة فى حيـدر وكـذا
نـور الهـدى عمـر ذى البـأس واللـين (11)

فاصـدع بارشادكـم وأجهـز عـلى بـدع
منسوبـة ـ عند أهـل الجهـل ـ للديـن (12)

ودم الى ملـة الاسلام ناصرها والله يحرسكم بالكاف والنـون (13)

ناظمها : صالح سويسى الشريف القيروانى ـ 1 رمضان 1345 هـ .

= « **وذا النُّونِ اذ ذَهب مُغَاضِبا فظـن ان لن نَقْـدِرَ عليه فنادَى فى الظلمات أن لا إلـه إلا أنت سُبحانك انى كنت من الظالمين،فاستجبنا له ونجيناه من الغم وكذلك ننجي المؤمنين** » . وهذا وعد صادق من الله ان ينجى كل مؤمن يتوجه اليه عند الضيق والغم ، ويوحده بدعائه مخلصا .

(10) المصلحون الذين سالت دماؤهم فى سبيل الدعوة الى الاصلاح كثير من قبل الاسلام ومن بعد بعثة رسول الله به قال تعالى : « **وكأين من نبيٍ قُتِلَ معه ربيون كثـير** » وقال على بنى اسرائيل : « **ويقتلون النبيئين بغـيرِ حـقٍ ويقتلون الذين يامرون بالقِسطِ من الناس** » .

(11) حيدر : هو لقب علي كرم الله وجهه ، وحيدرة الأسد فقد كان ممن قتل فى سبيل اللـه من المصلحين أسد اللـه الغالب على بن أبى طالب زوج فاطمة البتول وأبو الحسن والحسين سبطى الرسـل ، ولم يشفع فيه عنـد قاتله المخذول مواقفه فى نصر الله ورسوله فى جميع المواقف ولم يشفع لـه عنده أسبقيته للاسلام ، ودفعته شقوته الى اهراق دمه ، ومن شـدة شقائه اعتقاده ـ لعنه الله ـ أنه يتقرب الى الله بقتل على ، حقا انه أشقى هذه الامة كما كان احمر ثمود عاقـر الناقـة أشقى قومه ، واما عمر فقد قتلـه اللعين أبو لؤلؤة المجوسى ، وكلاهما : عمر وعلى قتل عند صلاة الصبح ، عمر بمسجد المدينة ، وعلى بمسجد الكـوفة ، وابن باديس اعتدى عليه وهو خارج مـن المسجد فله أسوة بهما ولحاق ان شاء اللـه بمقامهما ، وكان عمر من الباس بحيث يهابه الشيطان ، كما جاء فى الحديث ، وكان من اللين بحيث يسهر على رعيته ويحمل الطعام للجوعى على ظهره ، ويدعو زوجه أم كلثوم بنت على لقبالة امرأة بدوية ، وتلك تربية النبوءة رضى الله عنه،ونون الشاعر عمر للضرورة .

(12) أجهز على الجريح : اتم قتله واتى عليه ، وقد اثر عمل الاصلاح على البدع واهلها وعلى المصلحين ان يجهزوا عليها .

(13) الكاف والنون : هما كلمة الله النافذة ، قال تعالى : « **إنما أَمْرُه اذا أراد شيئا أن يقول له كُنْ فَيَكُونُ** » .

في ذمة التاريخ افظع حادث
لشاعر السلفيين وخطيبهم الاستاذ
الشيخ الطيب العقبي

هذه القصيدة النفيسة هي اطول القصائد في هذا الموضوع ، وقائلها هو الشيخ الطيب العقبي رحمه الله وهو شاعر فحل ، وناثر قدير ، وكاتب وخطيب وصحفي ، لعب دورا هاما في النهضة الاصلاحية .

ولد الشيخ الطيب بجبل (أحمر خده) من قبيلة أولاد عبد الرحمن ـ كما أخبرني به الاستاذ محمود الواعي وهو ثقة ـ من جبال الاطلس الصحراوي بقرب (سيدي عقبة) مدينة الفاتح العظيم ـ عقبة بن نافع الفهري القرشي ـ حيث استشهد صحبة ثلاثمائة وبضعة عشر من جلة الصحابة والتابعين رضوان الله عنهم اجمعين .

هاجر الى الحجاز صغيرا صحبة عائلته أثناء حملات الهجرة التي تسبب فيها محاولة فرض التجنيد الاجباري على الجزائريين في صفوف الجيش الفرنسي لاجبار الشباب على خدمة الجيش الفرنسي ليكونوا وقود حروبهم الاستعمارية القذرة ـ كما كانوا في احتلال الطونكان (الهند الصيني) وفي مدغشقر ـ أو ليكونوا دروعا لهم تقيهم هجمات خصومهم الالمان وغيرهم ، أو لبناء مجدهم العسكري .

ولقد قاوم الشعب فكرة التجنيد بكل وسائله الهزيلة ومنها ترك الوطن والهجرة منه ، ولكنهم استطاعوا فرضه عليهم عام 1912 م ، ورغم قيوده المجحفة بالجزائريين ومنعهم من تسلم مناصب الجيش العليا فقد كان فيه خير

لهم « **وعسى ان تكرهوا شيئا وهو خير لكم** » لانه أيقظ الروح العسكرية في الجزائريين ودرب عددا كبيرا على فنون الحرب واحسان استعمال مختلف الاسلحة العصرية، فكان لها اثرها اثناء الثورة الفاصلة ، كما ان صنوف الاجحاف ، وأنواع الظلم والتمييز العنصرى أيقظ روح المقاومة والتفكير في وسائلها .

ادركت أحداث الحرب العالمية الاولى الشيخ الطيب وهو بالحجاز وأثناء ذلك بدأ أعماله في ميدان الصحافة فاشترك في تحرير جريدة (القبلة) جريدة الامير حسين ـ أمير مكة المكرمة ـ في عهد الاتراك (الملك حسين من بعده) .

ولما انتهت الحرب وكانت مأساة الملك حسين وابنائه عاد الى الجزائر في بداية العشرينات 1920 واستقر بمدينة بسكرة وكان فيها طليعة نهضة فكرية عربية اسلامية بدأت نسماتها تهب على الجزائر كلها ، فكان الشيخ العقبى من مؤججيها بما كان يلقى من الدروس الحية والمحاضرات القيمة ، وبما كان ينشره من مقالات نارية وقصائد مؤثرة ، وقد كان ينشر انتاجه في (المنتقد) ثم في (الشهاب) وفي (صدى الصحراء) ثم أسس جريدة له دعاها الاصلاح عام 1927 م .

كان الشيخ العقبى في دروسه وخطبه ومقالاته ينهج نهج السلفيين في أحياء السنة واماتة البدعة ، والهجوم بشدة على البدع والضلالات ، والاوهام والخرافات ، وقد اختار خطة الهجوم العنيف والصراحة المرة ، واثارة الخصوم أبلغ اثارة فاستفزهم واثر كثيرا عليهم كذلك كانت مقالاته في المنتقد وفي الشهاب من بعده .

وجاء يوم رأى الشيخ عبد الحميد بن باديس الجنوح الى استعمال اللين والدعوة بالحسنى رجاء الوصول الى صلح بين المصلحين وخصومهم فدعا الى ذلك في مجلة (الشهاب) ووضع شروطا لنشر المقالات ، فغضب الشيخ العقبى ورأى هذه الدعوة تراجعا عن الخطة وتقهقرا الى الوراء ، منافية لحرية الفكر ، مقيدة لانطلاق حرية القلم والصحافة فكف عن الكتابة وقاطع الشهاب ابتداء من عدد 18 حتى 75 منه .

حينئذ أعلن الشهاب رفع كل قيد وسمح بالعودة الى حرية العنف في التعبير خصوصا بعد ان سمح الخصوم لانفسهم باستعمال أقصى وسائل

العنف وأستباحوا دماء المصلحين واعتدوا على زعيمهم الشيخ ابن باديس وهو الداعى الى الحسنى،فحاولوا الفتك به وذبحه • فعاد الشيخ الطيب الى الكتابة معلنا اغتباطه مستانفا هجومه الشديد ، ثم ظهر له ان يؤسس جريدة تكون لسان حاله وسماها : (الاصلاح) بمدينة بسكرة عام 1927 م ، ولم يكن فى بسكرة مطبعة يستطيع ان يطبعها فيها فاتفق مع (المطبعة التونسية) بتونس لتقوم بطبعها ثم يوزعها بالجزائر ، وكان موعد صدورها يوم المولد النبوى 1346 هـ ، فلم تصدر والسبب ان السلطة الفرنسية فرضت عليها رخصة للطبع فى الخارج وأبت ان تسمح برواج جريدة فى الجزائر بعد طبعها فى تونس مع ان تونس كانت خاضعة لنير الاستعمار الفرنسى أيضا •

وقد طلب ان تطبع (الاصلاح) بالمطبعة الاسلامية الجزائرية بقسنطينة (مطبعة أصحاب الشهاب) فاعتذرت لان امكانياتها محدودة وكانت تطبع آنذاك كتاب (تاريخ الجزائر) للشيخ مبارك الميلى وكتاب (العواصم) لابن العربى ، وجريدة (البرق) فضلا عن (الشهاب) و (تقويم الاخلاق) لابن العابد ••• الخ •

لكن الشيخ العقبى لم يقبل العذر وشن على أصحاب مطبعة الشهاب هجوما عنيفا وكال لهم سيلا من الاتهامات ، وبعث لهم بمقال شديد اللهجة نشروه فى (الشهاب) واعتذر الشهاب أبلغ العذر ثم ضيق أصحابه على أنفسهم واتخذوا من الاجراءات ما قد يسمح لهم بطبع الجريدة وأبلغوا الاصلاح فاستغلى التكاليف بالمقارنة بينها وبين ما اتفق عليه مع المطبعة التونسية ، ولم يستطع ان يصل معهم الى حل لأنهم بينوا ان النزول الى أقل مما طلبوا سيكون خسارة محققة لا يستطيعون تحملها •

والحق ان المطبعة لم تكن تجارية بل كانت تعاني أزمة . وقد تبين بعد شهور من هذه الأحداث عجزها عن إخراج (الشهاب) أسبوعية فتحولت شهرية،اما الاصلاح فقد تكفل بها جماعة من أهل بسكرة وعلى رأسهم الشيخ محمد خير الدين،فأسسوا شركة،واشتروا للاصلاح مطبعة،فصارت تطبع بها •

ثم ان الشيخ العقبي انتقل من بسكرة الى العاصمة ليحاضر فى (نادى الترقى) بعد تأسيسه فى الجزائر. وكان مقره حيث هو الآن بأشهر ساحات

العاصمة (الجزائر) التاريخية التى كانت تسمى ساحة الحكومة ـ لأن مقر الدولة الجزائرية قديما كان بها ـ وكانت شهيرة بساحة (العَوْد) أى الحصان وهى المعروفة اليوم بساحة الشهداء ، وكان تأسيس هذا النادى فتحا مبينا فى تاريخ النهضة وبعد صراع داخلي تقرر تخليصه نهائيا من المشروبات الكحولية وتصب محاضراً به للدعوة والارشاد · حاضر فيه الشيخ عبد الحميد بن باديس، والشيخ محمد البشير الابراهيمى ، وانتخب العقبي لمواصلة المحاضرات به ·

وكان ـ فى الوقت نفسه ـ يلقي دروسه فى الجامع الكبير بلهجته الصريحة ، وأسلوبه الفصيح،فأقبل الناس عليه،وأثر فى الوسط تأثيرا كبيرا، وقل الفساد والسكر والاعتداء ، وكان مستشريا بالعاصمة،وانخفضت نسبة الجرائم،وتفتحت العقول والاذهان،وزالت منها كثير من الخرافات والبدع والاوهام،واستعدت النفوس لما هو أعظم،وصار للحركة جمهور غفير ، وخصوصا من العمال والشباب سماه الشيخ العقبى (الجيش الازرق) لما كان يمتاز به العمال من لباس البذل الزرقاء ·

فى هذه الاثناء أشتد ساعد الدعوة الى تأسيس جمعية للعلماء لتنتظم صفوفهم فى مؤسسة قوية تشملهم وتؤلف بينهم وتنسق أعمالهم ، وكانت الجرائد تدعو الى ذلك وتروج له ومن اعظمها بلاء فيه (الشهاب) وقد تمت الدعوة وتأسست الجمعية فى 17 ذى الحجة 1349 هـ ـ 5 مايو 1931 م ، وعقدت أول اجتماع لها فى نادى الترقى، وانتخب ابن باديس لرئاستها بإجماع · ولم يكن حاضرا ، وقد أبلغني الشيخ محمد خير الدين،وهو الثقة المطلع والسديد التدبير، ان تغيبه كان مقصودا وباتفاق معه حتى تنجح الفكرة ويبايع بها من كان لا يرضيه ولا يقبل ان تكون قيادة الجمعية فى قوة وعلم وصلابة وصلاح ابن باديس ·

وكان الشيخ الطيب بحكم مكانته فى الحركة الاصلاحية من أبرز أعضاء الجمعية ولسانها بالوسط الجزائرى كله ، وقد كانت الجمعية فى عامها الاول تجمع كل من يصدق عليه لقب (عالم) بالجزائر ـ عرفا ـ فجمعت بين الاصلاحيين والطرقيين ·

وسرعان ما تفطنت الادارة الاستعمارية لخطورة تكتل العلماء فى جمعية واحدة على رأسها ابن باديس وحزبه الإصلاحى، فأخذت تدبر المكائد ضدها بقصد الاستيلاء عليها كليا وتسخيرها لأغراضها الخسيسة،أو بتشتيت شملها

ـ على الاقل ـ وتمزيق وحدتها ، وأحداث الفتنة ـ أو الحرب الداخلية ـ بين أعضائها أبقاء للفتنة بين المسلمين وهذا ما توصلت اليه ولعب فيه م· ميرانت مدير الشؤون الاهلية بالحكومة العامة للجزائر دورا كبيرا بمساعدة عمر اسماعيل والعليوبين، وكان ميرانت من أشد الناس حقدا على الاسلام وازدراء وتعذيبا للشعب ·

ثم أخذ الضغط الاستعماري على الحركة ـ خاصة ـ وعلى الامة عامة يشتد، ومن ذلك ان والي الجزائر أصدر قرارا يمنع الشيخ من القاء دروسه العلمية بالجامع الكبير ، ووجهت تعليمات من الولاية العامة ان يمنع العلماء الاحرار ـ والمراد بهم أعضاء جمعية العلماء ـ من القاء دروسهم ومواعظهم فى المساجد الرسمية ، وسئل ابن باديس عن رخصة التعليم فى الجامع الاخضر · وكان لهذا القرار وقع القنبلة الشديدة الانفجار ، فانه تسبب فى أول نزول من الشعب الى التظاهر فى الشوارع ، فعمت فى أعظم المدن ـ من أقصى الشرق الى أقصى الغرب عام 1934 م ـ مظاهرات صاخبة ، ثم كانت السبب فى إقبال الامة على بناء المساجد الحرة والنوادى ، يخطب ويعلم ويحاضر فيها هؤلاء العلماء،مما جعل اليقظة عامة شاملة ، وهذا ما دعا المؤرخ الفرنسي شارل اندري جوليان ان يقول فى كتابه (افريقيا الشمالية تسير) ما فحواه : (ان العلماء هم الذين أيقظوا الرأي العام الأهلي ، وكان كمحكوم عليه فى بيت ينتظر الإعدام) ·

ومع منع العلماء من حرية الدعوة فى المساجد أخذت فرنسا فى منعهم من حرية الصحافة والتعبير عن أفكارهم بالكتابة،فعطلت جرائدهم (السنة) ثم (الشريعة) ثم (الصراط)،واتخذت قرارا حاسما تعتبر فيه اللغة العربية لغة أجنبية فى الجزائر،والتعبير بها يحتاج الى أصدار رخصة مسبقة لابد منها، وهكذا أصبحت الجمعية محكوما عليها بالعجز عن اصدار أية جريدة جديدة ، ولما جاءت الواجهة الشعبية ـ منتصرة فى الانتخابات الفرنسية ـ الى الحكم علقت عليها آمال كبيرة نظرا لما اشتهر به اليساريون من حسن كلام ، واصدار وعود طالما كانوا خارج الحكم ·

وذهب م· ميرانت وخلفه فى منصبه م· ميو وهو مستشرق وأستاذ قانون فحاول ان يلين دون ان يغير الغاية كما تبين من بعد وصار يود الاتصال

بالعلماء ويعقد روابط خاصة بالشيخ العقبى ، كما افسح المجال للحركة الوطنية لتنتشر بالجزائر ـ بعد قيام حكومة الواجهة الشعبية ـ لانها لم تكن بعيدة عن منظماتها اليسارية قبل انتصارها فى الانتخابات • أما فى الجزائر فكانت الحركة الوطنية (نجم شمال افريقيا) منذ نشأتها سرية أبدا بينما كانت فى فرنسا جهرية آنا ، وسريا أحيانا •

وكان حلول الحركة الوطنية والسماح لها بالانتشار فى الجزائر سنة 1936 نعمة عظمى وفرصة كبيرة للاجهاز على البدع والخرافات ، والتأخر الفكرى والتخلف الثقافى ، والاسراع بالاصلاح الدينى ، غير ان الشيخ العقبى لم يقدر الموقف حق قدره ولم يحسب له حسابه الصحيح،وعوض ان ينسق أعماله مع الحركة الوطنية ويسايرها ويتعاون معها ويعتبرها حليفا قويا صالحا لانتشار الدعوة،ويتجنب كل نكسة،عوض ذلك اصطدم بها وانكر عليها ما لا ينكره مسلم وطنى رشيد يدرك ان الغاية المرجوة هى التحرير الكامل للشعب فى كل مناحى حياته الدينية والدنيوية ، الروحية والمادية ، السياسية والاقتصادية ، المالية والثقافية •

والحق انه لا يتحمل مسؤولية الصدام وحده ولكن يتحملها معه قوم آخرون خابوا ـ من بعد ـ فى الامتحان يوم جاءت الثورة التحريرية الكبرى، فحملتهم الأنانية وحب الذات والتهالك على الزعامة والرئاسة بكل ثمن على التنكر للمبادىء ، والاصطدام المسلح بالثورة وقتل المناضلين •

وان كان هذا لا يعفى الشيخ العقبى من تحمل مسؤوليته كاملة أمام التاريخ ، فان من كان مثله من العلماء كان من واجبه ان يكون عمله لله خالصا، لا ينتظر عليه جزاء ولا شكورا الا من الله ، وان يعرض عن كل أنانية وحب الذات « **فَمَن كان يرجُو لقاءَ ربه فلْيَعْمَلْ عَمَلاً صالحا ولا يُشْرِك بعبادة ربه أَحَداً** » •

والحق ان الشيخ العقبى لم يكن فى (سياسته) فى مستوى مقامه الدينى كما برهنت عليه الايام ، وذلك ان فرنسا انتهزت هذا الضعف فيه ودبرت ادارتها مكيدة اغتيال مفتى الجزائر الشيخ محمود بن كحول (ابن دالى عمر) ثم سلطت تهمة الاغتيال على الشيخ الطيب ، وعلى المسلم الغيور السيد عباس

التركي محمد واعلي بانهما دبرا الاغتيال ، وسلحا القاتل ، وبلغت الوقاحة بهذه الادارة الى درجة القاء القبض على الرجلين والزج بهما فى السجن ، ولكن القاتل أو المعترف بالقتل تراجع عن أقواله أمام قاضي التحقيق عندالمكافحة بحيث لم يبقيا فى السجن سوى ستة أيام ٠

لكن كان لها الاثر القطيع على اعصاب الشيخ العقبي الذى خرج من السجن بغير ما كان يعهد فيه ، وصار يمكن ان تترك عروض الاستعمار اثرها فيه وينخدع لألاعيبها ، ففى عام 1938 م ، كانت الازمة التى هددت بنشوب الحرب العالمية بين ألمانيا وحلفائها من جهة ، وبين فرنسا وحلفائها من جهة أخرى ، وفى مثل تلك الازمات كانت الادارة الاستعمارية تخلق موجات من الرسائل والبرقيات والخطب والتصريحات تعرب عن تأييدها ، وتقديم شواهد الاخلاص لها باسم الامة ٠

وطمعت ادارة م٠ ميو،الذى كان له يد كبرى فى قضية الاغتيال،فى برقية من جمعية العلماء تعرب بها عن شواهد الاخلاص لفرنسا،وأوعزت بها الى الشيخ العقبي ليعرضها فى اجتماع لمجلس ادارتها الذى يسبق ـ عادة الاجتماع العام من كل سنة ، وكان الشيخ ما زال تحت رحمة محاكمته بتهمة التحريض على قتل المفتى وبطلب من القائم بالحق الشخصي ٠

ولما عرضها على المجلس صرح الرئيس ابن باديس رحمه الله (ان اليد التى تمضى هذه البرقية يجب ان تقطع قبل إمضائها) وأيده فى موقفه هذا إخوانه،وهدد العقبي بالاستقالة فلم يعبأ به ، ثم خرج الامر الى الاجتماع العام فصرح ابن باديس بقوله : (والله لو قطعوني إربا إربا ما امضيتها) وكان الاجماع التام على تأييد موقف ابن باديس واخوانه،واستنكر تقديم أى تأييد لموقف فرنسا التى كانت جلاد الشعب وعلى وشك تجنيد مئات الآلاف من شبانه للحرب ٠

ونفذ الشيخ العقبي تهديده وقدم استقالته من الجمعية التى شارك فى تكوينها ، واشتهرت به واشتهر بها،وكان ذلك فى صائفة عام 1938 م ، وذلك بعد أيام قليلة من تجديد انتخابه ٠

ثم جاءت الحرب واعلنت فعلا فى 3 سبتمبر 1939 م ، وكان لجمعية العلماء صحفها ،واعلنت الرقابة على الصحف،وصارت مجبرة على قول ما لا تريده

ولا تستطيع قول كل ما تريده ، عندئذ قررت جمعية العلماء ان تغلق صفحها، وقد سمعت باذني الرئيس ابن باديس يقول ما فحواه : (ان قلنا ما يحب الله ورسوله ويرضى الامة غضبت فرنسا وسخطت ، وان قلنا ما تحب فرنسا وترضى عنه اغضبنا الله ورسوله ولم يرض الشعب ، لهذا قررنا السكوت) لكن فرنسا لم ترض عن هذا السكوت وحنقت عليه أشد حنق لانها كانت تود أن تنتهز الفرصة وتجد أقلام العلماء تطبل وتزمر لها وتمجد أعمال ساستها وقادة جيشها وتهاجم بحق أو بباطل خصومها ، فكان تقرير السكوت ضربة (معلم) لمكيدتها فجن جنونها وأرسلت الى الشيخ مبارك الميلى - وهو رئيس تحرير البصائر لسان حال الجمعية - تطلب منه ابراز (البصائر) فقال : (انها ليست جريدتى الخاصة ، انما هى جريدة الجمعية ولا استطيع ابرازها ألا بقرار منها فقالوا له : قدم استقالتك لنا ؟ فاجاب : بأى صفة أقدم الاستقالة ؟ اذا احتجت الى تقديم استقالتى فانى اقدمها لرئيس الجمعية ابن باديس) .

فالتفتوا الى الشيخ العربي التبسي الامين العام لجمعية العلماء وطلبوا منه ان يدلي اليهم بتصريح لفائدة فرنسا وحلفائها فقال : ليس لى حق فى الادلاء بأى تصريح باسم جمعية العلماء ، ان ابن باديس هو وحده يملك الحق فى مثله ، فقيل له : انك الكاتب العام للجمعية ! فقال : ذلك يوجب علي كتابة جلساتها وحفظ دفاترها ووثائقها !

حينئذ تذكرت الادارة الاستعمارية أن هنالك من يستطيع ان يتكلم باسم العلماء وحزب المصلحين فى الامة ، وكان منذ عام مستعدا ان يماشيها فى موقفها السياسى وان يقدم لها - باسم الامة - شواهد الاخلاص .

وهكذا رجع الشيخ العقبى الى ميدان الصحافة وأخرج جريدة (الاصلاح) فى شهر ديسمبر عام 1939 م ، وبعد ان اختفت عن الظهور ما يزيد على عشر سنوات.واذا كانت الاصلاح أيام بروزها فى بسكرة لا تجد من يطبعها فانها فى عام 1939 م. لم تجد من يقرأها . ومن الحق ان نقول انها وجدت العون الاكبر فى ابرازها وتدبيج المقالات الطويلة فيها من قلم قضى كل أيامه فى زعمه فى (حياة كفاح) وكان الاصل والفصل فى كل حركة أو فكرة أو ثورة

فى الجزائر ! لقد تعاون الشيخ توفيق المدنى مع الشيخ العقبى تعاونا كاملا فى تحرير جريدة الاصلاح فى عهدها الجديد،بينما أبى العلماء ان يكتب أى واحد منهم كلمة ترضي فرنسا ٠

ولم يلبث ابن باديس الا قليلا بعد نشوب الحرب وبروز (الاصــــلاح) ـ ولحق بربه ـ فوسوس الشيطان لهم أن يكافئوا الشيخ على تضحيته ، وان يكونوا واسطة فى تربعه على رئاسة جمعية العلماء،فاتصلوا بالمشائـخ:الميـلي والتبسي وخير الدين يطلبون منهم أن ترجع الجمعيــــة عن سياسة ابن باديس الانفصالية ، والمجافية لفرنسا، حسبما اعلنته كلمته الصريحة وحسب سكوت صحفها عن التعاون معها ٠

وعرضوا عليهم ـ ان قبلوا بتغير سياستهم وتنكرهم لسياسة ابن باديس ان يقبلوا ان يكون على رأسهم ـ خليفة لابن باديس ـ الشيخ الطيب العقبى ٠ وقد حدثنا بمثل هذا من رواه عن الشيخ مبارك الميلي ، كما رويته مشافهـــة عن بعض رجال جمعية العلماء وكبار مؤسسيها،وما يزال بالحياة،اطال اللـه بقـــــاءه ٠

ثم آل الامر أخيرا بالشيخ الطيب الى ان يكون بجانب الطرقيين ضد اخوانه العلماء المصلحين ! كما آل أمر الشيخ الزاهري قبله،حذوك النعل بالنعل،منذ عام 1938 م ٠

ولا أقول هذا الكلام جزافا ، فقد جاء عام 1947 م ، الى مدينة قسنطينة مظاهرا لأحد أرباب الزوايا الذى كان يعارض دخول العلمـــاء للتدريس فى الجامع الكبير ٠

ففى أواخر عام 1947 م ، أسس العلماء (معهد عبد الحميد بن باديس) للدراسة الثانوية ، وأرادوا أن يدخلوا الجامع الكبير للتدريس فيه ، فسخرت الادارة الفرنسية أعوانها للمعارضة فى ذلك وجاءت بشيخ الزاوية هذا مـن (وادى سقان) ليظهر معارضته واحتياجه للمسجد ، وأعلن عن عقد اجتماع كبير يعقد فى الجامع ويحضره العلامة الكبير الشيخ الطيب العقبى !

وبالفعل لما افتتح الاجتماع جاء هذا الشيخ وبجانبه الشيخ العقبى يظاهره ويشد أزره مستعدا ليلقى فى الشعب خطبة رنانة !

ولكن الشعب هاجت عواطفه ، وما ان بدأ شيخ الزاوية فى الكلام حتى علت صيحات الانكار من جميع الجهات ، وعلا الضجيج وتعذر متابعة الاجتماع، وأخرج الرجلان تحت حماية العقلاء من رجال الاصلاح حتى لا يلحقهما أذى الجموع الهائجة ٠

وكان ذلك نفس ما حدث للشيخ الحافظي سنة 1933 م ، فى مسجد عنابة وهو خاتمة وجود (جمعية علماء السنة) وقد ذكرناه فى مكان آخر ٠

والحق ان هذا ضعف لازم الشيخ العقبى ـ عفا الله عنه ـ فى اطواره الاخيرة ، ان يصانع الادارة الفرنسية ويماشى اغراضها ولو بمجافاة اخوانه ومصالحة خصومه،ولا نقول انه رجع الى عقائد الطرقية وبدعها وخرافاتها ، كلا،ولكنه كان يلتقى معها فى مسالمة الادارة الفرنسية ، وحتى بمناوأة الاتجاه الوطنى المعادى لفرنسا ، فهذا مما يسر عليه التصادم مع الحركة الوطنية ولازمه الى آخر حياته ٠

ففى عام 1956 م ، والثورة فى اشدها جاء صحفى من باريس نائبا عن جريدة العالم (لومند) وطلب مقابلة صحفية مع الشيخ العربي التبسي رحمه الله ، وكنت بجانبه فى مركز جمعية العلماء،فاستشارنى فى الامر ، فقلت له : لا أرى ان تسمح له بهذه المقابلة ولا ان تعطيه حديثا فانك لا تستطيع ان تقول ما تريد،وذكرته بمثل ما قال الشيخ ابن باديس عند ما قرر أن تسكت جرائد الجمعية،وانه لا يضمن ان يقوله الصحافى ما يشاء ـ وليس ذلك ببعيد ـ وحينئذ فانه لا يستطيع ان يكذب ما ينسب اليه ولا ان يصلحه ٠

وكان ذلك هو نفس ما يراه،واتفقنا عليه،واعتذر الشيخ عن لقائه ٠ وبعد أيام اطلعنا على حديث طويل عريض فى نفس الجريدة أدلى به الشيخ الطيب ، وانتسب ـ مع الاسف ـ للعلماء،وزعم الصحافى ان العلماء انقسموا بعد قيام الثورة ، فمنهم الذين ذهبوا الى القاهرة أو الى بعض العواصم العربية ، ومنهم من بقى بالجزائر واتخذ موقفا مناسبا لفرنسا كالشيخ العقبى ! وقد وجد فى كلامه ما يبرر به قوله الاخير ٠

ويظهر لى من تصريحات الشيخ العقبى وبعض مواقفه انه كان مؤمنا بقوة فرنسا الرهيبة ، وبقلة جدوى معارضتها بالقوة والعنف ، وانه يمكن الوصول

الى الحصول على الحقوق منها بالحسنى واللين ! وانه كان لا يرى تناقضا بين الرضى بالجنسية الفرنسية والاسلام،وهذا ما كان يختلف فيه مع جميع اخوانه العلماء ، ومع مواطنيه من رجال الحركات الوطنية .

ويوم نسبته جريدة (العالم) الى جمعية العلماء وحسبته منهم كان قد مر على استقالته منها ومفارقتها بارادته ما يزيد عن 18 عاما من عام 1938 الى عام 1956 م ، ومع ذلك فهو عندهم ما يزال من (جمعية العلماء) عند الحاجة اليه طبعا !

اما الشيخ العربي رحمه الله فقد رأى ما فعله ذلك الصحافى فى مقابلته للشيخ العقبى وهو ما كان حريا ان ينسب اليه لولا ان ثبته الله،وقد بقى ثابتا صابرا حتى القى عليه القبض يوم 4 أبريل 1957 م ، ولم يظهر له أثر . فهو من الشهداء الابرار .

واما الشيخ العقبى فقد عاش الى ما قبل فجر الاستقلال وتوفى حتف انفه عام 1961 م ، واذكر انني رأيت نعيه فى مجلة كانت تصدرها الاذاعة الجزئرية ووصلت الينا فى سجن تازولت الرهيب . رحمه الله وعفا عنا وعنه.



قالت جريدة الشهاب فى عددها 83

الصادر فى 7 شعبان 1345 هـ ،

- 10 فيفـــرى 1927 م -

فى نمـة التاريـخ افظـع حـادث

(والقصيدة من بحر الكامل)

لشاعر السلفيين وخطيبهم العلامة الاستاذ الشيخ/الطيب العقبى ونشرت فى (الشهاب) الصادر فى 7 شعبان 1345 هـ (الموافق 10 فيفرى 1927 م)٠

عبدَ الحميد النصر قد وافاكـا رغم المنافس والـــذى عاداكـا (1)

واصلتَ سـيرك مرشدا ومعلماً ولســوف تُحمـد بعدها مسراكا (2)

---

(1) عبد الحميد : منادى باسقاط حرف النـداء ، وهو مقيس مـن المنادى القريب ، وافاك : جاءك وادركك وفاجأك رغم المنافس على كره منه وقهر وغلبة وذل ، والمنافس المبـارى المغالب ، المـزاحم : الحاسد ، وعـاداك : خاصمك وباعدك وصار لك عدوا ، والتحاسد مذموم ابدا ، والتنافس فى الخير محمود « **وفى ذلك فليتنافَسِ المتنافسُون** » ٠

(2) واصلت : تابعت وواظبت من غير انقطاع مرشـــدا ومعلما : حالان والمرشد الداعى الى الرشد ، الدال على طريق الهدى ، والمعلم الذى يجعل غيره عالما بالشىء يعرف حقيقته ، والتعليم اشرف عمل يباشره الانسان وهو وظيفة الرسل ، قال صلى الله عليه وسلم : « انما بعثت معلما » وفى شعر شوقى :

قـــم للمعلـم وفـِّـــه التبجيــلا كـاد المعلـمُ ان يكـون رســـولا

أعلمت اعظمَ أو أجـلَّ مـن الذى يبنـي ويُنـشيء أنفُســاً وعقــولا

سبحـانك اللهـــمَّ خـير معلـــم علَّمـت بـالقلم القـرونَ الأولى

وقوله تحمد مسراكا : ترضى عن مسراك ، والمسرى مصدر ميمى ، ويأتى أيضا اسم مكان واسم زمان مـن السرى وهو السير ليـلا فى طلب الحاجة ، وفى المثل : (عند الصباح يحمد القوم السرى) يضرب لاحتمال الشدة رجاء الرخاء ٠

انى رأيتك للزعامــة أهلهـا والكـل للنظـر السديد يراكـا (3)

ان كادك الاعـداء يوما أو سطوا فاللـه جــل جلالـه يرعـاكـا (4)

ما شوهوا لك سمعة كـلا ، وان قصدوا بذاك الحط من علياكا (5)

أو ضرجوك بذلك الدم واعتدوا فلقـد أقامـوا أمــة تهــواكا (6)

هاجوا العواطف كلهـا فتحركت فقلوبنـا بالعطــف لا تنساكا (7)

---

(3) راى هنا بمعنى علم ، والزعيم : الرئيس والسيد والكافل الضامن ، وفى سورة يوسف : « **وَانا به زَعيم** » بمعنى : كافل وضامن ، وفى الزعامة بمعنى الرئاسة مسؤولية ثقيلة وكل من طلبها وتهالك عليها لا يحصل عليها أو لا تهنا له اذا حصل عليها ، وكان ابن باديس رحمه الله من ازهد الناس فى الزعامة وطلبها والسعى اليها ، ولكنه لما انتخب اليها رفع رايتها وآمن انها وجبت عليه فقام بها واعتبرها تكليفا لا تشريفا • ادخال (ال) على كـل وبعض لا يصــح عربية فصيحة لانهما ملازمتان للاضافة ، والتنوين معاقـب للاضافة ـ فيهما ـ ولكن الاستعمال شائـع كما فعـل الشاعر ، والسديد : القويم الصائب •

(4) كادك الاعداء : مكروا بك وخدعوك ، والكيد : الارادة بالسوء ، قـال تعـالى : « **إنهم يَكيدُون كيدا واَكيدُ كيدا** » وقـال : « **ان اللـّه لا يهدى كيدَ الخائنين** » سطا عليه : يسطو وسطا به : وثب عليه واخذه بقوة وقهر • جل : عظم وتنزه وترفع ، وجلا له : عظمته ، يرعاك : يحميك ويحفظك ويدبر أمورك

(5) شوه : قبــح ، والشوه القبح ، والمشوه القبيح الشكل ، والشوهاء المرأة الملبسة القبيحة الوجه ، و (كلا) كلمة ردع وزجر ، وعلياك ممدود قصر للضرورة وذلك كثير فى كلامهم •

(6) ضرجوك : لطخوك ، قال المهلهل :

لــو بـأبانـين جــاء يخطبهــا ضرج ـ ما ـ أنف خاطب بـدم

أى ضرب على أنفه ولطخ بدمه • أقاموا : أثاروا ، تهواك : تحبك ، والامـة : الطائفة من الناس وتطلق على الذين تجمعهم صفات خاصة بهم كما فى قوله تعالى : «**ولتكُنْ منكم أمة يَدعُون الى الخير ويأمُرون بالمعروف وينهَوْن عن المنكر**» وقـد تطلق على مطلـق الجماعة حتى من غـير العقلاء كما فى قـوله تعـالى : « **وما من دابة فى الارض ولا طَائِرٍ يطيرُ بجناحَيْه إلاَّ أمَمٌ امثالكم** » وجاء اطلاقها على مفرد : « **ان إبراهيم كان أمـّة قانتا للـه حنيفاً** » وفى الحديث ان زيـد ابن عمرو بن نفيل والد سعيد بن زيد رضى الله عنه يبعث أمة وحده ، واما (الامة) التى تجمع الشعوب العديدة بجامعة الدين واللغة والوطن والعادات والتاريخ كالامة العربية اليوم فهو اصطلاح حديث ، لهذا ، يصح ان يقال : الامـة الجزائرية ، والتونسية ، والمصرية الخ ••• والاهانة لا تكون بالسطو بانسان واصابته فى بدنه واسالة دمه أو قتله ، فان ذلك وقع لاشراف الناس « **وكأيِّن من نبيِّ قُتلَ معه ربيُّون كثيرٌ** » •

(7) هاجوا : أثاروا ، والعواطف : جمع العاطفة : الشفقة والرحمة والحنان والعطوف المحسن الشفوق •

تعسا لهم فى جهلهم وضـــلالهم	ولكل من فى الحق قــد نـاواكا (8)
خطت دماؤك صفحة بيضاء شا	هــدة بأنـك حامـــد عقبـــاكا (9)
أدموك يا رجل الثبـات وقبلها	أدمى الشرار الرسل والنســاكا (10)
هى حلة الشرف الرفيع لبستها	حمـــراء صافيـــة فجر رداكا (11)
وافخر وسر نحو العلا متقدمـا	تطأ المعاند ـ دائما ـ نعـلاكـا (12)

(8) تعسا لهم : هلاكا لهم وشقاء ، أتعسهم الله أهلكهم يستعمل فى الدعاء بالشقاء والهلاك وهو منصوب على انه مفعول مطلق نائب عن فعله ، قال تعالى : « **والذين كفروا فتعْساً لهم وأضلَّ اعمالَهم** » ناواك : عاداك وعارضك ٠

(9) العاقبة : آخرة كل شىء كالعقبى ٠ والعبرة بالخواتم ، قـال تعـالى : « **وللآخرة خيرٌ لك من الأولى** » وقد صدق العقبى فيما توقع لابن باديس ، فانه منذ هذه الحادثة وسمعته فى صعـود حتى انتصرت الامة بانتصار مباديه ، وتحرر وطنه ٠

(10) كان ابن باديس حقا ثابتا صابرا مؤمنا بحسن العاقبة ، والشرار : جمع الشرير جامع الرذائل والخطايا ، هم شرار وأشرار وأشراء ، والنساك : الزهاد العباد المتقشفون ، والنسك العبادة ، والمناسك العبادات وأفعال الحج وأماكنها ، وقد قتل الاشرار يحى ، وأدموا محمدا صلى الله عليهما ، ومن أشهر الاشرار بنو اسرائيل الذين قال اللـه فيهم :« **ويقتلون النبيئين بغـير حـق ويقتلون الذين يأمرون بالقسط من الناس** » ٠

(11) الحلة : كل ثوب جديد ساتر للبدن ، وكأن الشيخ الطيب يشير الى قول أبيه (أبى الطيب) :

لا يسلم الشرف الرفيع من الاذى حتى يراق عـلى جوانبه الـدم !

وقـوله : جر رداك : يريد افتخر وازه بما حصل لك ، وجر الرداء يكون من المختال المزدهى ولا يحسن ذاك الا فى ساحة القتال أمام العدو ، وقد رأى هذه المشية رسول الله صلى الله عليه وسلم من أبى دجانة يوم احد فقال : « انها لمشية يبغضها الله الا فى مثل هذا الموطن » قال تعالى : « **ولا تمْشِ فى الارض مرحا ان الله لا يحبُّ كل مختالٍ فخور** » والشيخ لا يقصد هذا ولا يقصد منه هذا ، وانما هو قول الشاعر ، ويسوغ من القول للشاعر ما لا يسوغ لغـيره وعليه يحمل ما يأتى ٠

(12) افخر تباه وتمدح بالخصال الطيبة والمكارم فيك وفى أهلك واذكر فضلك عـلى غيرك والتفاخر على الناس مـن مكاره الخصال وقد ذمه القرآن وخصوصا اذا أدى الى التعالى على الناس واحتقار الغير قال تعالى : « **انمَا الحياة الدنيا لعبٌ ولهوٌ وزينةٌ وتفاخرٌ بينكم وتكاثرٌ فى الأموال والأولاد** » وقـال : « **ان اللـه لا يحب كل مختال فخور** » والشاعر يريد أن يذكر محامد بحـق اذ أعلاها القيام بما يرضى الرب ٠ وطء المعاند : دوسه وطىء الشىء برجلـه داسه ، ووطا الشىء سهله ، ومن ذلك تسمية مالك كتابه (الموطا) لقـــول أبى جعفر المنصور له (وطئه توطئة ٠ والمعاند من يمارى فى الحقائق ويابى =

أسست خير جريدة تدعـــو الى دين الهدى وتحارب الاشــراكا (13)

فاستصرخوا ودعوا ثبورا ويلهم والكل بالافــك المبـــين رمــاكا (14)

ان تنقدوا طرق الضلال فلم تكن في النقـــد كذابــا ولا أفــاكــا (15)

= قبول الحق بعد ظهور البرهان فهو لا يجهل الحق ولكن يأباه كما قال تعـــالى : « **وجحَدوا بهَا واسْتيْقنَتْها أنفسُهم ظلماً وعلـوّاً** » والنعل : الحذاء وما وقيت به القدم من الارض ، والكلمة مؤنثة ونعل للدابة طبق من حديد أو جلد يوقى به الحافر ويكون كالنعل للقدم .

(13) أسس ابن باديس جريدة (المنتقد) وخـرج العدد الاول منها يـوم عيد الاضحى 1343 هـ وبعد 18 عددا منها عطلتها فرنسا فاخرج (الشهاب) وأعلن فيها دعوة الحق ومحاربة الدجل والخرافات والفساد الديني والعقائدي والخلقي والاجتماعي وكان يعمل لليقظة ووصول الامـة لحقوقها السياسية وشعاره : (الحق فوق كل احد ، والوطن قبل كل شيء) . دين الهدى ، دين الرشد وهو الاسلام الصحيح نقيا كما جاء به الرســول ، والاشراك باللــه اعتقاد أن مع اللــه شريكا في اسمائه أو صفاته ، ومـن مظاهر ذلك دعـوته والتقرب اليه واعتقاد جلب النفع ودفع الضر ـ بما وراء الاسباب ـ وكان كثير من الناس يعتقدون في القبور واهلها ما كان يعتقده أهل الجاهلية في اوثانهم وحتى أهل الجاهلية لم يكونوا يتقربون لالهتهم الا لتقربهم الى الله كما جاء في قوله تعالى حكاية لقولهم : « **ما نعبدهم الا ليقرّبونا الى الله زُلفىَ** » لهذا شبه المتاخرون بالمتقدمين لتشابه الاعمال .

(14) استصرخوا : استنجدوا واستغاثوا مـن الصراخ وهو رفـع الصوت بالنداء والصريخ المغيث والمستغيث أيضا . الثبور : الهلاك والويل ، ويقول ذلك من اصابته مصيبة شديدة ، وقد قص الله حالة أهل النار أنهم اذا سمعوا زفيرها وشهيقها وتغيظها « **دعَوْا هنالك ثُبوراً** » فقال : « **لا تدْعُوا اليومَ ثبُوُرا واحدا وادعُوا ثبورا كثـيراً** » لشدة ما يلقون مـن العذاب يدعون على أنفسهم بالهلاك فلا يجدونه ، والويل كلمة عذاب ينطق بها عند الشر ويدعى بها على من وقع في الشر ضد كلمة ويح . والافك : الكذب المبين الواضح . ورماك : اتهمك بالباطل ، ومن ذلك رمي المحصنات : قذفهن والكذب على اعراضهن .

(15) نقد الشيء النظر فيــه لتمييز جيده من رديئه ومن ذلك نقد الدراهم لمعرفة صحيحها من زيفها ، ونقد الكلام أظهر ما فيه من حسن أو عيب ، وانما يكون الناقد محمودا اذا كان خبيرا بما ينقده يعرف جيده من رديئه ، أمينـا في حكمه ، يقول الحـق للحق ولا يبالي ولا يماري ولا يداري ، منصفا مـن نفسه . وكان ابن باديس رحمه الله منصفا كثيرا ما ينشر في صحيفته نقد خصومه له ، فان وجد حقا أذعن ، واعترف به وان وجد باطلا فند ، ولم يكن كذابا . والضلال هو الانحراف عن الطريق السوي والجادة المثلى الى التيه . وذلك مما يعرض الضال التائه الى الهلاك ، وهذا شان من خرج في دينه عن كتاب اللــه وسنة رســوله ، والكذاب صيغة مبالغة من الكذب من يخبر بغير الحقيقة ، والكذب خلق ينافي الايمان وهو من أسوا ما يتصف به الانسان ، =

أو تحتقر تلك الجمـوع فكلهم	أهـــل ورب العالمـين لـذاكـا (16)
هذا هو العمل العظيم مثوبـــة	وأجل ما قـــد قدمته يـداكـا (17)
يا ويحهم ماذا جنـوا بصنيعهم	لـو يعقلـــون تطلبـوا لرضاكا (18)
لم يغضبوك بسطوهم بل أغضبوا	رب السمـاوات العـــلا وأبـاكا (19)

= وقد يستهين به أول الامر ثم يستمر فيه وما يزال يعتاده حتى يكتب عند الله كذابا ، وفي التنزيل قوله تعالى : « **إنما يفتري الكذب الذين لا يؤمنون بآيات الله وأولئك هم الكاذبون** » والافاك الكذاب ، والافك والكذب .

(16) احتقر الشيء هان عنده وصغر وذل فاعرض عنـه ، والحقارة الذلة والهوان والشاعر يريد باحتقاره عدم المبالاة بهم واعتبارهم من الاشياء التي تعوقه عن مضيه في أمره فهم عنده أهون من أن يصدوه عن أغراضه ، وهذا شان المعتز ولا اعز ممن اعتز بالله وربما أشار الى قول الجاهلي :

نحـــن الاولى ، فاجمـع جمـــو عـــك ثـــم وجههـم الينـــا

وأحق الناس بالاحتقار من عــدل عن استعمال سـلاح البرهان الى استعمال سلاح الخناجر والدبابيس .

(17) مثوبة : ثوابا واجرا وجزاء ، ثوبه من كذا عوضه وجازاه ، أجل أعظم وأكبر قدمته يداك : فعلته في دنياك لتجده في آخرتك وهو تعبير قــرآني : « **يوم ينظر المرء ما قدمت يداه** » وأعظم ما يترقب المرء من مولاه أن يجاهد في سبيله ويسيل دمه ويذهب ماله فيثاب عليه .

(18) ويح : كلمة ترحم وتوجع تقال عند الاشفاق والعطف عكس ويــل كلمة عذاب وشر فان أضيفتا فليس الا النصب ، وان جردتا ففيهما النصب على اضمار فعل تقديره ألزمه الله ... وفيهما الرفع على الابتداء وجاز فيــه التنكير لما فيه من التهويل . ارتكبوا جناية وذنبا واثما ، وتطلب الشيء طلبه مرة بعد أخرى مع التكلف .

(19) بسطوهم : بوثوبهم ، وانما حكـم الشاعر بأن رب السموات غضب عليهم لانهم ظلموا واستحلوا دم مسلم وبيتوا قتله ، وقد حرم الله الظلم على نفسه وحرمه على عباده ، وقال : « **فلا تظالموا** » ولانه سبحانه وتعالى قال في قتل المؤمن ــ وهو ما عزموا أن يفعلوه : « **ومن يقتل مؤمنا متعمدا فجزاؤه جهنم خالدا فيها وغضب اللـه عليه ولعنه واعـد لـه عذابا عظيما** » وفي الحديث الصحيح : « كل المسلم على المسلم حرام : دمه ، وماله ، وعرضه » فمن استحل الحرام أغضب الله تعالى . وقوله : (وأباك) الواو : واوقسم واباك مقسم به مجرور بالكسرة المقدرة على الالف ، وقد استعمل الشاعر فيه لغة (القصر) في الاسماء الخمسة ، وهي لغة شهيرة ورد عليها قولهم (مكره أخاك لا بطل) وقول الشاعر :

واهـا لسلـمى ثـم واهـا واهـا	هي المـنى لـــو أننـا نلناهـا
يـا ليـت عيناهـا لنـا وفـاهـا	بثمـــن نـــرضى بـــه أباهـا =

هى غضبـــة عربيـــة مضريـــة حلت عرى خطب أمض قـــواكا (20)

هى نقمـــة فى زعمهم لكنهـــا جاءت بأعظـم نعمـة تغشـــاكا (21)

لم يفلحوا فى كيدهم اذ قارفوا ذنبا ومـــدوا فى الطريق شباكا (22)

يتربصون بك الدوائـر حيث لا يبغون بالخطـر العظيـم سواكا (23)

= ان أبـــاهـــا وأبـــا أبـــاهـــا قـد بلغـا فى المجـد غايتـاها

وكان من حقه ان يقول : (أن أباها وأبا أبيها) ولكنه استعمل لغة القصـر والاعراب حينئذ بحركة مقدرة على الالف منع من ظهورها التعذر ، ومن المعلوم ان الاسماء الخمسة أو الستة فيها ثلاث لغات : الاعراب بالحروف وهذا هو الاكثر والقصر ـ وهى هذه ـ والنقص وهى حذف حرف العلة كما فى قوله :

بأبِهِ اقتـدى عـدى فى الكـــرم ومـن يشابـه أبـه فمـا ظلـم

قال ابن مالك : (وقصرها من نقصهن أشهر) ٠

(20) مضرية : منسوبة الى مضر جد المضرية ، وبنو مضر من أمهات القبائل العربية واليه تنسب قريش ، وتعتبر الدولة الاموية ـ وكذا العباسية ـ دولة مضرية ، والغضبة المضرية شهرها قول الشاعر :

اذا مـا غضبنـا غضبـة مضريـة هتكنا حجاب الشمس أو تقطر الدما

وعرى : جمع عروة ، ما يوثق به ويقيد من حبل أو غيره ، والخطب فى الاصل : الامر والشأن ولكنه غلب استعماله فى المصيبة والامر العظيم المكروه، ومن ذلك قول الشاعر فى خطيب :

(خطبـت فكنـت خطبـا لا خطيبـا)

والخطيب من يلقى خطبة ، ورجل خطيب حسن الخطبة ، والخطيب أيضا من يخطب امرأة للزواج وهى خطيبته أى مخطوبته ، وأمض أوهن قـــواك ، والقوى : جمع قوة ، وتجمع أيضا على قوات : الطاقة والقدرة ضد الضعف والوهن ولغة القرآن ضم القاف فى الجمع كما قال سبحانه : «**شديد القوى**» وكسر القاف قبيح فى النطق لانه خروج من الكسر الى الواو وانما يناسبهـا الضـــم ٠

(21) نقمة : مكافأة بالعقوبة ـ كريهة ، نقم منه كـذا كره « **وما نقَمُـــوا منهم الا أن يؤمنوا بالله العزيز الحميد** » ، والنعمة : ما يرضى ويحب وتقربه العين كالانعام وتفرح به النفس والرغد والصحة والعلم والجاه والوسـع فى المعيشة وخلاف البؤس ، ونعم الله كثيرة قال الله تعالى : « **وان تعُدوا نعمـة الله لا تحصوها** » تغشاكا : تخالطك وتغطيك ٠

(22) لم يفلحوا : لم يظفروا ولم يفوزوا فى كيدهم : مكرهم ٠ قارفوا : دنوا وقاربوا قارف السيئة قاربها وفعلها واقترف الذنب ، واجترحه فعله ، والشباك : جمع الشبكة : حبالة الصائد وشركة الصيد ٠

(23) تربص به : انتظر له شرا يقع له أو يلحقه به ، وتربص بالمكـان توقف وانتظر ، والدوائر : جمع الدائرة : نوائب الدهر وصروفه ومصائبه، وتربص به الدوائر انتظر انقلاب الحال الى أسوأ لانتهاز الفرصة ، ذلك شأن =

نصبــوا لــك الارصـــاد فى غســق الدجى

يرجــون قتلــك خلســـة وأذاكـــا (24)

من بعد ما ائتمروا على الامر الذى لو تم مس العــرش والأمــلاكـا (25)

وتقدمت كــف الأثيــم بضربــة قــد زلزلت من وقتها الأفــلاكـا (26)

وقعت على رأس العلوم وربهــا والرأس أثبت ما يكــون هناكـا (27)

وسطا بأخرى دون تلك فصادفت ما تحت هدب العــين من يسراكا (28)

= اللئيم المتردد كما كان حال بعض الاعراب من حول المسلمين فى المدينة الذين قال الله فيهم : « **ومن الأعراب من يتخِذُ ما يُنفق مَغرَماً ويتربصُ بكم الدوائر عليهم دائرة السَّوْء** ... » . والخطر : الاشراف على الهلاك ، وسواكا : غيرك وكلمة (السوى) من استعمالات بعض المتصوفة يطلقونها على ما سوى الله تعالى ، ويزعم الحلوليون منهم والقائلون بوحدة الوجود فى (شطحاتهم) المردية انهم (ليسوا سواه) تعالى الله عما يقولون .

(24) نصبوا الارصاد : وضعوها وضعا محكما ، والارصـــاد : جمـــع الرصد ، والرصد القعود بمكان بقصد الترقب والانتظار ، ويستعمل الرصد فى ترقب الصيد وفى ترقب العدو ويقع عن غفلة منه فى الفخ ، وهو من أهم خطط الثوار للايقاع باعدائهم ويطلق عليه فى عرفهم (الكمين) ويقال (رصد) للمفرد وغيره مذكرا ومؤنثا . والغسق : اشتداد الظلمة ، قال تعالى : « **الى غسق الليل** » الى ظلمة الليل ، والدجى الظلمة ، والديـــاجى الظلمـــات ، خلسة : مخادعة ومخاتلة مع سرعة ، والقتل خلسة : هو قتلة الغيلة ولا عفو فيه من ولى الامر ، وان عفا ولى الدم لسبق الاصرار والغدر .

(25) ائتمروا : تشاوروا فى الامر وتدابروا فيه وأمر بعضهم بعضا بـه واتخذوا فيه قرارا « **وجاء رجُلٌ من أقصى المدينة يَسعَى ، قال يا مـــوسى ان الملا يَأتَمِرُون بك ليقتلوك** » ومع هذا لم يفدهم لانه كيد ومكر « **ولا يَحِيقُ المكرُ السيّءُ إلا بأهله** » .

(26) الزلزال : الارتجاف والاضطراب والارتجاج ، والافلاك : مـــدار النجوم ، وقد بالغ الشاعر ، ومذهبه الشعرى الادبى يسمـح لـه بذلك ، اما اعتقاده الاصلاحى السلفى فلا ، فقد كسفت الشمس يوم مات ابراهيـــم ابن رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال بعض الصحابة رضوان الله عنهـم (كسفت لموت ابراهيم) فقال صلى الله عليه وسلم : « ان الشمس والقمــر آيتان من آيات الله لا يكسفان لموت أحد ولا لحياة أحد » . وهذه تربية عالية من الرسول صلى الله عليه وسلم لامته تقطع كلام أى متجرىء ، والشيـــخ الطيب وابن باديس اعرف الناس بذلك ولكنه فن الشعر .

(27) رأس العلم : على رأس سيد العلوم وصاحبها ، وكان ـ فى مثل هذا الخطر أشد ما يكون ثباتا واطمئنانا الى ربه .

(28) سطا بضربة أخرى أقل من الاولى قوة . هدب العين شطر اشفارها ، ويطلق الهدب والجمع : الاهداب أيضا على خمل الثوب وطرته ، من عينك اليسرى .

واستــل موسى للشقــاء أعدهــا فكفيتهــا واللــه قـــد أنجــاكا (29)
وأخذتــه أخذ العزيز ولــم تخر منــك العزيمة عندها حاشــاكا (30)
لا حول عندك ، لا ، ولا لك قوة لكــن رب النــاس قــد قوّاكــا (31)
غالبتــه فغلبتــه صعــــدا الى حيث استجاب السامعون نداكا (32)
فتفلــت الجــانــي وولى مسرعــا متقصــدا دارا بهـــا سكنــاكا (33)

---

(29) استل : اخرج وانتزع من غمده ، والموسى آلة حادة من فـــولاذ يحلق بها ويذبح وينحر تذكر وتؤنث ، وتجمع على مواس ، وموسيات، والمدية الشفرة الكبيرة وتجمع على مدى ، ومديـــات ، وما زالت هـــذه الآلة تدعى في لساننا (موس) وكان الشقي قد أعد نوعا منها يصنع محليا ويســمى (بوسعادي) لاعتناء أهل (بوسعادة) به ، يمتاز بالطول والصلابة ودقــة الرأس ويغوص بسهولة في الضحية ، ويتخذ له معلاق،وكان يتسلح بــه المستعدون للعراك ، وقلما يفلت من ضرب به ، كفيتها كفاك الله شرها وانجاك الله وحفظك من غائلتها .

(30) أخذته : تناولته ، والعزيز : القوى ، والملك لغلبته على أهل مملكتــه والمنيع الذى لا ينال ولا يغالب ولا يعجزه شىء ولا يقهره ــ وكان لقب مـــن يتولى الحكم في مصر ــ وقد تولاه يوسف عليه السلام : « **قالوا يا أيها العزيز مسّنا وأهلَنا الضرُّ** » . خارت قواه : وهن وضعف وفتر وانكسر ، والعزيمــة الجد في الامر والمضي فيه بالقوة والارادة المؤكدة وتطلق على ما يقابل الرخصة في الاحكام الشرعية وهى ما فرض ابتداء في الاحوال العادية كوجوب الوضوء للصلاة والغسل بالماء عزيمة ، وقصرها في السفر رخصة ، وكالصيـــام في الصحة والشهود عزيمة والافطار في المرض والسفــر رخصــــة ... الخ ، وحاشاك : من أدوات الاستثناء : حاشاك أستثنيك من الحكم السابق ، وتعرب فعلا ماضيا فاعله ضمير مستتر وجوبا على خلاف الامر في ضمير الماضى وتعرب حرف جر اذا لم تسبقها (ما) فان سبقت بها فليس فيها الا الفعلية وفيها لغات : حاشا ، وحاش ، وحشا ومما سبقت فيه بما قول الشاعر :

فأما الناس ــ ما حاشا قريشا ــ فانا نحــن اكرمهم فعــــالا

(31) الحول : القدرة على التصرف والطاقة والدفـــع ، وكان الشيـــخ ابن باديس نحيف الجسم لا يقوى على بدين مثل المعتدى ، ومع ذلك فقد قبض على يديه كليهما ودافعه في الدرج صعودا بينما كان الجاني يريد نـــزولا ، فلولا أن قواه الله ما استطاع ان يتغلب عليه ويصعد به حتى الطريق العام .

(32) غالبته : باريته في المغالبة وتحديته كل منكما يريد ان يكون لــه الغلب وكنت تذهب به صعودا وهو يريد بك النزول فلولا ان الله معك قــد قواك لغلبك ، فلا حول ولا قوة الا بالله .

(33) تفلت : تخلص وانفلت وتفلت الى الشىء نازع اليه وجاذب ، وولى : انقلب على عقبيه ورجع ، وتقصد الدار : قصد اليها وتوجه نحوها عن قصــد وتصميم حيث وجد مختبئا في سقيفتها ، اختباء ترصد وأصرار على الاثم .

يبغي القضـا، عليك ثاني مـرة	فحماك ربـك ثانيـا ووقاكـا	(34)
وتخافت الاقـوام في خلواتهـم	أن سوف لا تحي وقـد أحياكا	(35)
ودوا لو انتصرْوا فلمـا يفلحوا	بل أصبحوا صرعى بسيف هداكا	(36)
فتحقق الوعد الصريح بنصر من	نصر الالـه وجـل مـا اعطـاكا	(37)
تبت يدا العلـج العليوى الذى	للفتك عـن بعـد الديـار أتاكا	(38)
ما كان يخطر ان ينالك معتـد	لكن بذاك الشـر قـد فاجـاكا	(39)

(34) يبغي : يطلب قتلك ، فكان الله في حمايتك للمرة الثانية كما حفظك في المرة الاولى ·

(35) تحادثوا بصوت خافت خفضوه وأخفوه خشية ان يسمع شـأن المتآمرين على ما لا يحبون ان ينكشف كشأن أصحاب الجنة الذين تآمروا على جني ثمارها في غفلة عن المساكين أصحاب الحق في صدقاتها كما قص الله شأنهم : « **فَانطَلَقُوا وهم يَتَخَافتوُنَ الاَّ يدخلنَّهَا اليومَ عليكم مسكينٌ** ··· » وكان تآمر هؤلاء القوم أشنع، لانهم قضوا بالهلاك والموت على وارث من ورثة النبوة وقد قضى الله بغير ما قضوا فقضى باستمرار حياتك ولم يكفهم وجودهـم في (خلوات) حتى أضافوا تخافت الاصوات لانهم تناجوا بالاثم والعدوان ، قال صلى الله عليه وسلم : (والاثم ما حاك في صدرك وكرهت ان يطلع عليـه النـاس) ·

(36) ودوا : أحبوا : (ولو) هنا معناها التمني و (لما) معناها هنا (لم) يفيد مجرد النفي والقلب ، ومعناها ألا صلى النفي واستمراره الى زمن التكلم مع توقع وقوع المنفي في المستقبل ولا يصح هنا لان الشاعر لا يتوقع حصول القتل في المستقبل ، وأصبحوا : بمعنى صاروا . وصرعى : جمـع صريع : مطروح على الارض ، فعيل بمعنى مفعول ، وقد صرعهم سيف الهدى والرشاد لا سيف البغي والظلم والفساد ·

(37) وعد الله صريح في نصر من نصره مؤكد بقسمه وبأدوات التوكيد، قال تعالى : « **يا أيها الذين آمنوا إن تنصُروا اللهَ ينصُرْكم ويثبِّتْ أقدامَكم** » ، وقال : « **ولينصرَنَّ اللهُ من ينصُرُه أن لقويٌّ عزيز** » ، وقال : « **ان اللهَ يدافعُ عن الذين آمنوا** » وجل : عظم وكبر ما منحك أياه ، انه نصره واعظم به ·

(38) تبت يداه : خابت وخسرت وقطعت ، والتباب الخسارة والهـلاك والفعل ماض في الصيغة انشاء في المعنى لان القصد الدعاء ، وقد أتى الجاني من بعيد لينفذ حكم الاعدام ، فأصله من مجانة دائرة برج بوعريزيج وبـدأ سفره من مستغانم ثم ركب من الجزائر في القطار الذى كان يقطع المسافة بين الجزائر وقسنطينة في ليلة كاملة أو في نهار كامل وقد يكون بدأ سفره مـن مستغانم غربي الجزائر بما يزيد على ثلاثمائة كلم وهذا ما أكـده الشيـخ ابن عتيق من الذين عاشوا الاحداث ، فالمسيرة تقرب من 800 كلم ·

(39) ما كان يخطر ببال أحد ان يصيبك عدوان معتد لكن الشر فاجاك وجاءك العدوان بغتة وعلى غير انتظار لانك كنت تدعو الى الحسنى : بالتي هي احسن ·

خَفَّت جموع الناس تنظر ما جرى   وجميعهم بالـــروح قـد فداكا (40)
ما كان اعظم هوله مـــن حادث   زكـا نفوسهـم كمـا زكـاكـا (41)
كادوا بــه يسطون لو مكنتهـم   مـن قتلـه لسطو بـه لـولاكا (42)
للـه موقفـك العجيب بنهيهـم   عن قتل من للقتل قـد وافاكـا (43)

---

(40) وقد خفت الجموع لترى ما حدث والحال انهم كلهـــم يعلنون ان أرواحهم فداءك ٠

(41) (ما) تعجبية نكرة تامة مبتدأ ـ كان زائدة ليس لها اسم ولا خبـر ويكثر ان تزاد في مثل هذا الموضع بلفظ الماضي. واعظم فعـل التعجب مـاض وفاعله ضمير مستتر وجوبا يعود على (ما) وهوله مفعول به ، والجملة الفعلية في محل رفع خبر (ما) هذا هو الصحيح في اعراب الجملة التعجبية ومعناها : شيء عظيم جعل الحادث هائلا ، ويصح ان تكون (ما) موصول والجملة صلة والخبر محذوف تقديره : الذى جعل الحادث مهولا شيء عظيم ، ان هذا الحادث زكى نفسك وطهرها كما زكى نفوس المؤمنين لانه امتحان والامتحان تمحيص من الله لنفوس عباده فمن صبر وثبت فقد فاز قال تعالى : « **الم ٠ أحَسِبَ النَّاسُ ان يُترَكوا ان يقولوا آمنا وهم لا يُفتنون ، ولقد فتَنَّا الذين من قبلهم فليعلمَنَّ الله الذين صَدقوا وليعلمَنَّ الكاذبين** » فالحادث امتحان لك وللامة طهر الله به النفـوس ٠

(42) كاد : أم أفعال المقاربة تفيد ان خبرها قرب من الفعل ولم يقع فاذا كانت منفية فالفعل لم يفعلوه لان الشيخ ابن باديس منعهم من الفتك به فلولاه لوقع السطو به ، ولولا حرف امتناع لوجود امتناع قتـــل الجانى لوجـود ابن باديس المجنى عليه ٠

(43) « لله موقفك » من صيغ التعجب ، مثل : لله أنت ، ولله أبوه ، ولله دره ، وقاتله الله ٠ والتعجب هو التساؤل عما خفى سببه وله صيغتـــان معروفتان مبوب لهما في كتب النحو هما (ما أفعله) و (أفعل به) مثل قوله تعالى : « **قُتِلَ الانسانُ ما أكفَرَهُ** » وقوله : « **أسْمِعْ بهم وَأبْصِرْ** » وأشهر اعراب لكلمتي (افعل) وافعل ان كلا منهما فعل ماض وفاعلهما ضمير مستتر وجوبا في (أفعل) والاسم الذى بعد أفعل مفعول به ٠ والمجرور بعد أفعل : فاعل وزيدت قبله الباء لقبح اللفظ وهو اسناد ما صورته الا مر الى الاسم الظاهر ، واذا جاء لفظ التعجب من الله فلا يقال فيه (تعجب) لان الله لا تخفى عليـه خافية ولكن يقال فيه : (تعجيب) فالله سبحانه يدعو عباده ليتساءلوا ٠ والشاعر هنا يتعجب ويستغرب ما وقع من ابن باديس فقد عفا وصفح عمن جاء يقتله متسلحا بهراوة ومدية وتمكن منه فأسال دمه واستعد لذبحه ، ثم أصر على اتمام جريمته فترصد له في السقيفة ولما القى عليه القبض كانت الدماء ما تزال تلطخ وجهه وجبهته وثيابه ، وصار بامكانه ان يعامله على الاقل بالمثل « **فمن اعْتَدَى عليكم فاعْتَدوا عليه بمثل ما اعتدَى عليكم** » ، « **ولَمَنِ انتصَرَ بعد ظلمه فاولئك ما عليهم من سبيل** » ومع ذلك فانه عفا عن الجانى بل منـــع الناس من الفتك به ٠

علمتهـم كيف التحمـل لـلأذى فتعلمـوا درسـا عـلى بلواكـا (44)
ذهبوا به زفـا لـدار حكومـة والكل يحمى فى الطريق حمـاكا (45)
طاف الجميع حيال شخصك وابتغوا سببا بـه يستعجلون شفـاكـا (46)
ثم انثنوا بك راجعين وأنت كالـ ـبدر المنير تمدهـم بسنـاكا (47)
لا تجزعن ـ عبد الحميد ـ لحادث هـز البلاد وحـرك الاسـلاكا (48)
لـك أسوة بالهاشمي (محمد) فاشكر لما رب الـورى أولاكا (49)
وأصبر على ما قد أصابك واحتسب عند الاله الأجـر يـوم لقـاكا (50)

---

(44) البلوى كالبلية : المصيبة والاختبار ، والبلاء : الامتحان والاختبار ويكون بالخير وبالشر ، قال تعالى : « **ونبلوكم بالشر والخير فتنة** » ٠

(45) من عادة الناس ان يتجمعوا فى مثل هذه المناسبات فضولا فلما أخذت الشرطة هذا الجاني الى (الكوميسارية) صحبوه كما تصحب العروس اثناء زفافها ، ولم يكونوا مطمئنين في ذهابهم ان يكون أعوان الجانى مندسين (فى الزفة) ليحاولوا اتمام جريمة صاحبهم فكانوا يقظين يحمون حماك أن يصيبك منهم اذى من جديد ٠ ادخل كلمة (ال) على كل ، ولا يصح فى فصيح الكـلام ٠

(46) حيال الشيء : قبالته ، يقال قعد حوله وبحياله : ازاءه ٠

(47) انثنوا : رجعوا ، وقوله راجعين حال مؤكدة لعاملها مثل قوله تعالى: « **لا تعثوا فى الارض مفسدين** » ، والسنى بالقصر : الضوء والنور والسناء بالمد الرفعة والعلو ٠

(48) أكد الفعل بنون التوكيد الخفيفة ، والجزع : الفزع للمصيبة وعدم الصبر لها واظهار الحزن ، الحادث : الامر الواقع العظيم ، أحداث الدهـر مصائبه ، وهز الشيء حركه وهيجه للعمل ، والاسلاك : جمع السلك ، الخيط ينظم فيه الخرز وغيره ، ومنه استعير السلك الديبلوماسى وبه سمي سلـك الكهرباء ، وسلك الهاتف ، وكلاهما ينظم غيره ومراد الشاعر اشتغال اسلاك الهواتف بنقل الخبر وآلات الاعلام وكانت حديثة العهد فى ذلك العهد نوعا ما٠

(49) اسوة : قدوة واتباع وهذا ما ارشد اليه المولى فى قوله تعـالى : « **لقد كان لكم في رسول الله اسوة حسنة** » وقال للمؤمنين : « **قد كانت لكم اسوة حسنة فى ابراهيم** » ٠ والهاشمى هو نبينا عليه الصلاة والسلام : محمد ابن عبد الله بن عبد المطلب بن هاشم ، وقد أوذى عليه الصلاة والسلام فصبر، وأعطي فشكر ، رب الورى ، رب الخلق أولاك : أعطاك المعروف ٠

(50) الصبر على المصائب من عزم الامور ، جاء فى وصية لقمان لابنه فى القرآن الكريم : « **واصبرْ على ما أصابك ان ذلك مِن عزمِ الأمور** » وقد ذكـر الصبر فى القرآن ما ينف على مائة مرة ، واحتساب العمل هو طلب الاجر فيه من الله ، ومن دعا الله مخلصا لم يخب دعاؤه ولا رجاؤه ، ومن احتسب اجره على الله فى عمله أوتى اجره بغير حساب كما فى الحديث (من صام رمضان =

فالله قال (لتبلون) وأنت من تـدرى حقيقتهـا ولا تخفـاكا (51)

فى ذمـة التاريخ افظـع حادث قـد سجلته على العـدى ذكراكا (52)

=ايمانا واحتسابا ...) (ومن قام رمضان ايمانا واحتسابا ...) (ومن قام ليلة القدر ايمانا واحتسابا غفر له ما تقدم من ذنبه) ومن ذلك احتساب الولد يموت للوالدين .

(51) الخطاب فى قاله تعالى : « **لَتُبْلَوُنَّ فى أموالكم وأنفسكم** » للنبىء صلى الله عليه وسلم وأمته ، قال الشوكانى : (تسلية لهم عما سيلقونه من الكفرة والفسقة وليواطنوا انفسهم على الثبات والصبر على المكاره والابتلاء والامتحان والاختبار والمعنى لتمتحنن فى أموالكـم بالمصائب والانفاقات الواجبة ... والابتلاء فى الانفس بالموت والامراض وفقد الاحباب والقتل فى سبيل الله).

وفى تمام الآية : « **ولَتَسمعُنَّ من الذين أوتوا الكتاب من قبلكم ومن الذين أشركوا أذىً كثيرا** » ومن أسباب نزولها ان أبا بكر ضرب رئيسا من رؤساء اليهود ضربة شديدة فشكاه الى النبىء صلى الله عليه وسلم فقال لابى بكر : « ما حملك على ما صنعت ؟ فقال : يا رسول الله قال قولا عظيما يزعم ان الله فقير وانهم عنه أغنياء ، فلما قال ذلك غضبت لله مما قال فضربت وجهه ، وانكر اليهودى مما قاله لابى بكر فصدق الله الصديق بقوله : « **لقد سمع الله قول الذين قالوا ان الله فقير ونحن اغنياء** » ثم اخبرهم المولى سبحانه أنهم ان يصبروا على البلاء ويتقوا الله فان ذلك من عزم الامور .

(52) فى ذمة التاريخ : فى عهده وضمانه ان يسجله ويكتبه ويخلده فانه أهل للتسجيل وفى ذمة الله فى كنفه وعهده ، والذمة من الانسان ما يقبل الالزام والالتزام ، وافظع : اسم تفضيل من الفظاعة : اشتداد الشناعة والقبح سجلته : كتبته فى السجل وهو ما تكتب فيه العقود والعهود والاحكام والصكوك ومهمات الاخبار والآثار ، وقد سجل على الاعداء ليكون فى صفحاتهم السوداء بينما هو صحائفك البيضاء .

صـــدى الاعتــداء:

فـــي اللـــه أوذيـــت

للشاعر الأديب صاحب الامضاء

وهذه قصيدة أخرى من المغرب الأقصى لم يعلن صاحبها عن اسمه ورمــز اليه بامضاء (علوي) ، وقد نشرت في الشهاب 6 شوال 1345 هـ (الموافق 8 ابريل 1927 م) .

قال : (والقصيدة من بحر البسيط) .

في خدمة الدين والأوطان والبشر   قد نلت ما نلتمن مكر ومن ضرر (1)

وفي مقاومــة الإضلال قد نصبت   لك الحبائل في سهل وفي وعر (2)

واجمعوا لك (أهل الزيغ) كيدهم   جزاء ما نسجت علياك من أثـــر (3)

---

(1) هذا مذهب ابن باديس بان من خدم أمته وأراد رقيها والنهوض بها من وهدتها وصلاحها عامل في خدمة البشرية جمعاء .

(2) الحبائل : جمع الحبالة ، والشرائك تنصب للايقاع بالصيــد مـــن الصائـــد .

(3) أهل الزيغ ان كان منصوبا فهو بفعل محذوف وتقديره اعني أهـــل الزيغ ، ويصح رفعه على البدلية أو على لغة (أكلوني البراغيث) وهي التي أشار اليها ابن مالك بقوله :

وقـــد يقـــال سعـــدا وسعـــدوا   والفعـــل للظاهـــر بعـــد مسنـــد

أي يقال سعدا الزيدان ، وسعدوا الزيدون والفاعل هو الاسم المظهـــر والالف علامة التثنية والواو علامة الجمع وهي لغة شائعة في عاميتنا ، تقول : جاءوا الرجـــال .

ان البغاة (فلا عاشوا ولا سلموا) قد حاولوا فعلة من أكبر الكبر (4)

وأرسلوا وفدهم اليك منتقما فلم تساعدهم الاقدار بالظفر (5)

وجاء أشقاهم اليك مختفيا فكنت من مكره (مولاى) فى حذر (6)

رام اللئام بخبث فى نفوسهم اطفاء نور بذاك القطر منتشر (6)

راموا بك الفتك أقوام أبالسة وما دروا أن أهل الحق فى وزر (8)

واضمروا لك سوءا فى نفوسهم فكان فعلهم ضربا من الخور (9)

فلم ينالوا بحول الله بغيتهم فاصبحوا فى حضيض الذل كالبقر (10)

أنا على رغم بعد الدار قد أسفت نفوسنا وعرانا منتهى الكدر (11)

فيابن باديس لا تجزع لحادثة لولا ثباتكم آلت الى الخطر (12)

فان من يبتغى انقاذ أمته من المكاره لا يخشى من الغير (13)

---

(4) البغاة : جمع الباغي ، وقتل النفس التي حرم الله من أكبر الكبائر ٠

(5) الوفد : جمع الوافد القوم يجتمعون ويقدمون على الامير ونحوه لاداء مهمة وتنفيذ رغبة ، والظفر : الحصول على المراد ، والنصر ٠

(6) فى حذر : فى تحرز واحتياط ٠

(7) رام : قصد ، واللئام جمع اللئيم من لؤم : الدنيء الاصل الخسيس المهين الشحيح ٠

(8) راموا بك الفتك أقوام : الاسم هنا مرفوع قطعا وهو اما بدل من الواو فى قوله راموا ، أو نعت مقطوع للذم حذف مبتدؤه وجوبا : هم أقوام أبالسة، ويجوز ان يكون فاعل راموا ، والواو علامة الجمع ، والوزر : الملجأ ، والجبل المنيع ، ومن ذلك قول الشاعر :

تعز فلا شيء على الارض باقيا ولا وزر مما قضى الله واقيا

(9) ضربا : نوعا ومثلا وشكلا وصنفا ، والخور : الضعف والارتخاء ٠

(10) الحضيض : القرار من الارض عند اسفل الجبل ضد الاوج ، وجمع حضيض احضة وحضض ٠

(11) اسفت : حزنت وتلهفت ، عرانا طرأ علينا والم بنا الكدر ضد الصفاء والغيظ ٠

(12) الجزع : فقدان الصبر باظهار الحزن والكدر ، وليس من أخلاق أولى العزم وآلت : رجعت ٠

(13) يبتغى يطلب ويريد ، والغير أحداث الدهر ومصائبه ٠

في اللـه أوذيـت فاصبــر صبــر محتسب

ودم عــلى النصــح والارشــاد للبشــر (14)

أبقـــاك ربـــك محفـوظــا ومحتـرمــا

بجـــاه خـــير الـــورى المبعـوث من مضر (15)

---

(14) فى الله أوذيت : فى سبيل الله أصابك القوم بالضرر فاصبر لله صبر من يريد ثوابه الموعود به واستمر فى النصح لدينك ولكتاب ربك وسنة نبيك وعامة المسلمين ودلالة الناس على الخير .

(15) دعاء بالحفظ ودوام الاحترام ، وهو المهابة ورعى الحرمة ، وخـــير الورى هو محمد صلى الله عليه وسلم من العرب المستعربة أبناء اسماعيل من ذرية مضر جدهم .

ذنب ابن باديس ذنب غير مغتفر

هذه القصيدة واردة على الشهاب من بلاد شنقيط، وهي اليوم فى موريطانيا وكانت تعرف تلك الجهات ببلاد الملثمين، وليست كل بلاد الملثمين وانما هي جزء منها وكثير منهم عرب اقحاح، لهذا كاد الشعر - اليوم - يكون سجية فى اخواننا الموريطانيين ، وكان من أشهر قبائل الصحراء صنهاجة الصحراوية ووسمت بـ (الصحراوية) تمييزا لها عن (صنهاجة التلية) وكلا فرعي صنهاجة التلية والصحراوية بنوا امجادا فى دولة الاسلام ، فإلى الصحراوية تنتسب دولة المرابطين التى أسسها على تقوى من الله الأمير ابو بكر بمعاونة الفقيه عبد الله بن ياسين، فكانت توسم بحق بدولة الفقهاء لوقوف أمرائها وملوكها على حدود الشرع، واعظمهم أمير المسلمين يوسف بن تاشفين ، ثم ابنه علي بن يوسف . وأما صنهاجة التلية فهى التى شدت من عضد دولة العبيديين وانقذتهم من سقوط وشيك فعرفوا لها فضلها ، واستخلف المعز لدين الله الفاطمي - عند رحيله الى مصر بعد فتحها ونقل العاصمة اليها - أمير صنهاجة القائد العظيم بلقين بن زيرى بن مناد ، ومن آل زيري تكونت الدولة كاملة تابعة للعبيديين ثم تفرعت منها واستقل عنها كل من الدولة الزيرية الصنهاجية، والدولة الحمادية فى بجاية والقلعة، وبسطت نفوذها من الحدود التونسية حتى المغرب .

اشتهرت صنهاجة - من القبائل البربرية - بعزتها وكثرة عددها، حتى قيل انها كانت ثلث البربر، وقيل فى أصلها انها عربية يمنية كمثل كتامة ، وكما قيل فى نسب كل قبيلة ملكت وحكمت، والمؤرخون والنسابون مختلفون:

منهم من ينسبهم فى العرب كابن حزم ، ومنهم من ينفيه عنهم،وسواء صحت النسبة العربية أو لم تصح ـ فان الانسان بعمله لا ينسبه،ومن أبطأ به عمله لم يسرع به حسبه ، ويكفي الصنهاجيين فخرا وشرفا أن يكون منهم فى الأولين أبو بكر ، ويوسف بن تاشفين وابنه علي وحفيده تاشفين بن علي ابن يوسف ، فما منهم الا قائد بطل حامي الذمار كما فيهم بلقين ، والمنصور، وباديس ، والمعز بن باديس الذى أمات البدعة وأحى السنة ، وحماد ودولته ويكفيهم فخرا ان في الآخرين منهم عبد الحميد بن باديس موضوع حديثنا فانه بعث أمة وكون نهضة وأحى سنة ، وصدق فيه قول الاول :

انا ـ وان كرمت أحسابنا وزكت   لسنا على الاحساب نتكل
نبني كما كانت أوائلنا   تبني ـ ونفعل (فوق) ما فعلوا

ان صاحب هذه القصيدة كتم اسمه واكتفى بامضاء مستعار هو (غريب) فقد يكون هو الشاعر الجزائرى الفحل الاستاذ جنيدي الكي الذى تغرب فى تلك الايام الى شنقيط (موريطانيا) وقضى فيها أعواما كمعلم وترك فيها أثرا حميدا ، وكون رجالا احتلوا ـ فيما بعد ـ مناصب عليا فى بلادهم ، وقد تكون من إنتاج أحد أبناء موريطانيا الأقحاح ـ والشعر فيهم يكاد يكون سجية ـ فتكون هذه القطعة من شاعر صنهاجة الصحراوية فى عالم صنهاجة التلية وامامها قد حددت الارتباط بين الوطنيين والاحساس بين الاخوة فى القطرين ·

وقد أرسل بقصيدته بعد بضعة أشهر من الحادثة ، ونشرت فى العدد 94 الصادر فى 26 شوال 1345 هـ ـ الموافق 28 أبريل 1927 م ، تحت عنوان :

ذنب ابن باديس ذنب غير مغتفر

(والقصيدة من بحر البسيط)

جنى على نفسه (في ذاتك) الجاني يا بؤسه من أثيم للشقا جاني (1)

سطا عليك ووجه الليل ملتفع شبه صنعه من قبح وكفران (2)

أدمى فؤاد الهدى لما أراق دما من مهجة نبضها وقف لأوطان (3)

سلاحه مدية وسبحة وهرا وة اخاء ـ وايم الله ـ ذو شان (4)

هذا التصوف فلتسجع بلابله بكل زاوية (خضرا) وديوان (5)

---

(1) جنى على نفسه : ارتكب ذنبا وجريمة ، والجاني اسم فاعل من الجناية وجان في آخر البيت من جنى الثمرة يجنيها اقتطفها وتناولها من شجرتها ، والجنى ما يجنى من ثمر أو من عسل ، وبؤسه اشتداد حاجته وفقره ونزول الشدائد به ، والنداء هنا للندبة لانه انما جنى الشقاء من فعلته ·

(2) ملتفع : مشتمل ومغطى ، والملفعة ما يتلفع بـه من مرط أو كساء أو نحوه والشاعر يريد ان الليل قد التفع بظلامه وهذه الظلمة ـ في سوادها ـ شبيهة بفعلته النكراء المظلمة في قبحها وكفرانها ·

(3) نبض العرق : تحرك وضرب ، والنبض علامة الحياة ، في الانسان وفي الحيوان وأراق الدم : صبه ، ويقال أيضا هراقه ، هراقه صبه · والمهجة : الروح ، ودم القلب،والدم مطلقا ، ووقف : حبس وتبرع ، وكان الشاعر عليم بما في صدر ابن باديس الذي من أقواله من بعد : لمن أعيش ؟ أعيش للاسلام وللعروبة وللجزائر ، وهذا ما أوقف عليه حياته ·

(4) علق الشاعر هنا بقوله : « اخاء المدية والسبحة والهراوة » ·

(5) سجعت الحمامة : هدرت ورددت صوتها وغنت ، والبلابل : جمع البلبل : طائر صغير الجثة ، حسن الصوت يضرب به المثل في طلاقة اللسان وترديد الالحان ، وقد اشتهر عن (المتصوفة) غرامهم بالغناء ، ومن يقنع الغراب أن صوته كريه لا يصلح للغناء ؟ وهذا ما يرمز اليه الشاعر ، يتخذ المتصوفة في معابدهم قبورا لمشائخهم المتوفين المرتجين عندهم ويكسون تلك القبور باعلام خضراء ، والديوان : مجلس وهمي يزعمون أن (الصالحين) يجتمعون فيه لتدبير شؤون (الاخوان) أو (الفقراء) أو أحوال (العالم) ويتخذون فيه القرارات الحاسمة في مصير الناس والعالم !

ما ضر لو كلت للأثيم منتقما بكيلـه	وشفيت غـل ضمـآن (6)
لكن عفوت عليه عفـو مقتـدر	لله من شيمة شما وإحســان (7)
خابت مساعيه فليخلد بخلوتـه	حتى يرى الحق في جوار سجان (8)
تمت بداه وأيدي الموعزين لـه	في هدم صرح هدايات وعرفان (9)
سعى لتحريره مـن غيه فأبـى	الا اعتسافـا وتأييـدا لأدران (10)
جهل وتشعيب آراء وشعـوذة	(باسم الإله) وزور تلو بهتان (11)
تلاعب بعقول النشء ترهـة	رقص مكاء وعزف بـين إخوان (12)
أسـاطـر واضاليــل منمقـة	كانها السل في جثمان الايمـان (13)

(6) لا حرج على من كال للمعتدى بمثل كيله ولكن العفو أحـزم واقرب **لأخلاق المتقين** . قال تعالى : « **وأن تعفوا أقرب للتقوى** » وقـال : « **ولمن انتصر بعد ظلمه فأولئك ما عليهم من سبيل** » «**ولمن صبر وغفر ان ذلك لمن عزم الأمور**» والضمان الصدى العطشان ، وغلة حرارة العطش وشدته .

(7) العفو بعد المقدرة من خلق الكرام وقد قدر الشيخ رحمه الله على الجاني عندما ألقى الجمهور عليه القبض ولو أرسلهم عليه أو سمح لهم ان يفتكوا به لقطعوه اربا اربا ولكنه عفا وصفح وعلم انه آلة مسخرة ، والشيمة : الخلـق والطبيعة والعادة ، والشما مؤنث صيغة الاشم وهـو ذو الانفـة ، والكريم ذو الشمم ، والشمم ارتفاع قصبة الانف مع حسن وجمال .

(8) علق الشاعر على قوله هذا : (اشارة الى ما يفعله العليوية من البقـاء أياما معدودة في الخلوة ليشاهدوا الرب) اهـ . وهذا من عبث الشيطان بهم ولهوه على ذقونهم وخلد بالمكان أو الى المكان أقام فيه وأخلد الى الارض لصق بها وقـد كانوا يلصقون بالارض لا يتحولون عنها أثناء خلـوتهم ، والشاعر استعمل هذا الفعل خاصة اشارة الى قوله تعالى : « ... **لكنه أخلد الى الأرض واتبع هواه فمثله كمثل الكلب ان تحمل عليه يلهث أو تتركه يلهث** » .

(9) الموعزين لـه : المشيرين عليه والموسوسين له بهذا الشر ، وأوعز اليه تقدم له به وأشار عليه .

(10) علق الشاعر على قوله هنا « الابيات التالية لادران مفسرة لها » والذى سعى لتحرير الجاني من غيه وضلاله هو المجني عليه ، والاعتساف : الميل عن الطريق والعدول عنـه والخبط فيه على غير هـدى ، والادران جمـع الدرن : الوسخ ، وداء الدرن هو داء السل .

(11) تشعيب آراء : تفريقها ، والشعوذة أو الشعبذة خفة في اليد واعمال كالسحر ترى الشيء للعين بغير ما هو عليه ، والبهتان الكذب المفترى الذى يجعل المكذوب عليه في حيرة .

(12) الترهات جمع الترهة : الاباطيل والدواهي ، والمكاء : الصفير بالفم .

(13) اساطر جمع أسطورة الخرافة والاحاديث المكذوبة ، منمقة : مزينة ، وقد نون أساطير واضاليل للضرورة مزخرفة والسل داء الدرن (البرد) وكان =

يا للضلالة ! كم عاثت بأدمغة كعيث ريح بأزهار وأفنان (14)
ذنب ابن باديس ذنب غير مغتفر يدعو لتحطيم أنصاب وأوثان (15)
قال الهداية عصما ليس يخطبها من حاد عن نهج سنات وقرآن (16)
قال السعادة فى علم وفى عمل وفى القضاء على سلطان كهان (17)
قال الرقي الى العقول تحريرها من سلطة الوهم، عين كل نقصان (18)
قال الجهالة للاحجاء مقبرة قال : التمدن والاسلام صنوان (19)
دعا فلباه فتيان غطارفة من كل (طيب) ذكر نجم فرقان (20)
شفوا الغليل بحكمة وتؤده وفصل قول يفوق حكم لقمان (21)

=قليلا ما يسلم منه من أصيب به ، وهو أنواع كثيرة اشهرها سل الرئة ، وما يزال يفتك بالناس ، ولكن اكتشاف جرثومته سهل علاجه . والايمان يقرأ بتسهيل الهمزة .

(14) النداء : هنا للاستغاثة من الضلالة ، يالله للضلالة ، وكم للتكثير ، وعاثت : افسدت والريح لا تكاد تبقى شيئا من الازهار ومن الاغصان .

(15) النصب : كل ما عبد من دون الله من الاصنام والتماثيل ، وكان حول الكعبة حجارة تنصب فيهل لها من دون الله ، والاوثان : جمع الوثن : الصنم المعبود من دون الله .

(16) السنة هى المصدر الثانى للشريعة الاسلامية ، وهي قول النبي صلى الله عليه وسلم أو فعله أو اقراره ، والعصماء : مؤنث الاعصم : الممتنع العزيز وقد قصرها للضرورة .

(17) الكهان : جمع الكاهن ويجمع أيضا على كهنة : من يدعي معرفة الاسرار وعلم الغيب ، وعند اليهود وعابدى الاصنام ، والذى يقدم الذبائح والقرابين ، وعند النصارى هو من ارتقى الى درجة كهنوت ، وقد قضى الاسلام على الكهانة كلها ، وعلم المسلمين انه لا يعلم الغيب الا الله ، ومن ادعى علم الغيب فقد افترى ، قال تعالى : « **قل لا يعلمُ من فى السموات والارض الغيبَ إلاّ اللهُ** » .

(18) الوهم : ما يقع فى القلب من الخاطر ولا يبلغ درجة الشك ولا الظن فهو فى الحقيقة لا أصل له مثل توهم ان الحجارة تنفع أو تضر وأكبر نقص فى الانسان ان يخضع الى الاوهام فيبعدها حقائق .

(19) الاحجاء جمع الحجى : العقل والفطنة ، صنوان : أصلهما واحد تفرعا من شيء واحد ، يقال اذا خرجت نخلتان من أصل واحد انهما صنوان ، وكل واحدة منهما صنو .

(20) الغطريف : الشاب الظريف السخي الحسن السيد السرى .

(21) الغليل العطشان عطشا شديدا ، وشفاؤه فى ريه وازالة عطشه ، تؤدة : تمهل من تواد فى الامر تمهل وتأنى . والفصل الجد فى القول حكم لقمان : حكمة لقمان ، وقد ذكر الله لقمان فى كتابه . قوله ، وقد ربى ابنه على توحيد الله وعبادته لا يشرك به شيئا وطاعته الوالدين والتخلق بمكارم=

فثار عنهم من البغـاث ثـائـرة فكان ما كان مـن نصر وخذلان (22)

دام ابن باديس كعبة لذى أمـل صاد الى العزة القعساء غرثـان (23)

هـو السعودى فلنسعد بطلعته شبيبة القطر من شيب وشبـان (24)

شنقيط 30 شعبان غريب (غريب)

=الاخلاق « **وإذْ قال لُقمان لِابنه وهُو يعظُه يا بنيّ لا تُشركْ بالله إِن الشرك لظُلْم عظيـــم** » الآيات •

(22) بغاث الطير أضعفها وأهونها ويسمى به طائر أصغر من الرخم بطيء الطيران قال الشاعر :

بغـات الطـير أكثـرها فـراخا وأم الصقـر مقـلاة نـزور

وفى أمثالهم (ان البغاث بأرضنا تستنسر) وقصد الشاعر ان الذين اجرموا وقاموا خذلهم الله بنصر خصومهم •

(23) صاد : عطشان ، وغرثان : جوعان • والقعساء مؤنث صفة الاقعس وهو العزيز المنيع •

(24) علـق الشاعر على قوله هذا : (تشبيه تام ــ يعنى هـو السعودى) اذ أجل الاستاذ من ان ينتسب لغير محمد صلى الله عليه وسلم) اهـ ، وانما اضطر الشاعر ان يعلق هذا التعليق لانه مما كان يرمى به المصلحون انهـم (وهابيون) وكان ذلك من خصومهم تنفيرا للعامة منهم لان السعوديين قـد هدموا القباب وبنايات القبور ، ومنها ما كان مبنيا على قبر السيدة خديجة ، وحمزة بن عبد المطلب ، وزيد بن الخطاب وغيرهم من الصحابة ــ رضوان الله عنهم ــ فاستنكر أعمالهم القبوريون واستغل ذلـك ضدهم أعـداء الدولـة السعودية الفتية وهابوا أن ترجع للشريعة سيادتها وللعرب دولتهم بالرجوع الى تطبيق أحكام الشريعة •

والحقيقة أن الحركة الاصلاحية كانت بعيدة عـن الوهابيين والسعوديين ، بل انها كانت أميل الى الحركة التى قام بها جمال الدين الافغانى وتبناها من بعده محمد عبده ومحمد رشيد رضا لامور عديدة منها الاتصال الفعلي بالشيخ رشيد رضا ، وثانيا لانها كانت فى أبعادها حـركة دينية سياسية اجتماعية للنهضة الشاملة وحرب الاستعمار ، وقد كان جمال الدين الافغانى ألـد المستعمرين ، وهم يعرفون هذا فيه • والجامع بين الاصلاح والوهابيين توحيد الله فى الوهيته وربوبيته وانكار عبادة القبور ودعاءها •

واما بيانـه لشبيبة القطر ، وذكر الشيب فيهم فانه يـريد بالشاب هنا ما يراد بالفتى فى الشجاعة والبسالة وعزة النفس ولا يكون فتى خامل كسول ولو كان حديث السن يا فتى ، وكانت قريش تسمى حمزة بن عبد المطلب : فتى قريش •

مـرحبا بالأستـاذ عبـد الحميـد

هذه قصيدة نفيسة نظمها الشاعر المغربى الكبير الاستاذ محمد القرى الذى كان الشهاب يلقبه بـ « شاعر فاس الكبير » · وكان من حزب الشهاب الاصلاحي بفكرته وقلمه وشعره ·

وهى قصيدة لـم تقل فى « حادث السطو » فقـد مرت له قصيدة أخـرى فيه وهى التى طالعها (وقاك الله كيد الخائنينا) ولكنها تتكلم عن شخصية ابن باديس وتنوه به وبالمهمة التى نذر نفسه للقيام بها ، ومنها خدمة أمتـه ودينه ووطنه بواسطة الصحافة الوطنية الحرة الصادقة ·

وكانت هذه القصيدة بمناسبة عزم ابن باديس على زيارة القطر الشقيق بصحبة رفيقه وتلميذه الاستاذ أحمد أبى شمال مدير الشهاب وعضـده الامين ، وأخذا يعدان العدة لتحقيق هذا الحلم ، فاستبشر بهذا النباء علماء المغرب وأدباؤه وشبيبته الناهضة ، وأخذوا يعدون عدتهم لاستقبال الضيف معلنين ابتهاجهم ـ كما تنبئ هذه القصيدة ·

ولكن سلطة الاستعمار كانت أشد حذرا من السماح بمثل هذه الزيارة التى تدعم وحدة المغرب العربى ، وتربط بين العاملين لنهضته فمنعت وقوعها، وأبت أن تعطى جواز السفر للاستاذ ورفيقه خشية عواقبها الوخيمة ضـد الاستعمـار ·

وكانت قريبة عهد بفضيحتها الكبيرة فى حرب الريف واثرها على نفوذها فى الجزائر وفى المغرب · ولم يكن يخفى عليها ما تتمخض عنه النهضة العربية الوطنية واليقظة الاسلامية ، وارتباط أطرافها فى الجزائر والمغرب وتونس ،

ومقدار ما يمكن أن تحدثه تحركات ابن باديس فى المغرب وفى تونس لوجود طاقات كبرى كامنة فيهما ، وقد اعترف الزعيم المغربى الكبير الشيخ عـلال الفاسى بأن المدرسة الاولى التى تلقن فيها المبادىء السياسية هى جريـدة الشهاب ، وله فيها قصائد ومقالات ، نشرت فى هذه السنـة التى نتحدث عنها 1927 م ، وهكذا لم تتحقق هذه الزيارة التى كان المتوقع ان يكون لهـا الصدى الكبير ولم تكتف بهذا الاجراء حتى منعت دخول الشهاب ورواجه فى المغـرب ٠

أما تونس فكان الارتباط بها أسهل ، وقد طلب فيها ابن باديس العلم ، ومكث فيها ما بين 1908 و 1912 م ، وشاهد فيها نشوء حركتها السياسيـة وأحداثها ومظاهرات الجلاز وشهداءها عام 1911 م ، وكان من أساتذته فيها الشيخ محمد الصادق النيفر ـ وهو أحد مؤسسى حركة الدستور فيما بعد ٠

ومنذ أبتداء الحركة الاصلاحية ـ وحتى فى طورها الاول ـ كان على صلة وثيقة بكثير منهم وكان دائما يعتب على علماء تونس انعزالهم عن (السياسة)٠ وفى صائفة عام 1937 م، زارها، واجتمع بجمع كبير من العلماء والادباء والكتاب والسياسيين وجرت له معهم محادثات والقى محاضرات واتصل بشعبها النبيل وحث العلماء الزيتونيين ان يتصلوا ـ مباشرة ـ بالشعب وأن يقطعوا عزلتهم وينغمسوا فى السياسة والاتصال بالجماهير واعلن ذلك فى محاضرة عامـة كان فى منصتها الاستاذ محمد الشاذلى بن القاضى وعندما فرغ منها علق عليها وأعلن ان مشائخ الزيتونة قد شاركوا ـ فعـلا ـ فى السياسة الوطنيـة وأحداثها برهان ذلك ان قاضى الجماعة الشيخ محمد الصادق النيفر ـ رحمه الله ـ كان من مؤسسى حزب الدستور ٠

واذكر أنه لم يمر الا قليل من الوقت حتى رأينا وفدا من علماء الزيتونة يشرع فى زيار مدن القطر ويلقى المحاضرات الدينية والاجتماعية فى الجماهير وعلى راسه المرحومان الشيـخ المختـار بن محمـود والشيـخ محمد الشاذلى ابن القاضى ٠

والحق ان علماء الزيتونة قد تاثروا بالسياسة الوطنيـة واثروا فيهـا لا بتلاميذهم وخريجى الجامعة فحسب ولكن بشخصياتهم ، واذكر ان الشيخ الفاضل بن عاشور كان من أعضاء الحركة الدستورية ـ اثر الحرب العالمية

الثانية ـ وكان اخطب خطباء الحزب ، كما ان استاذى وصديقى العلامة البحاثة الشيخ محمد الشاذلى النيفر ـ عميد الكلية الزيتونية للشريعة السابق ـ وعضو مجلس الامة التونسى كان من أول المنخرطين فى حزب الدستور ومن اعضائه البارزين ، وترشح لانتخابات مجلس الامة اثر الاستقلال ففاز بالنيابة عن مدينة تونس ولعب دورا أساسيا فى وضع الدستور الوطنى ، وهو اليوم عضو منتخب فى البرلمان التونسى ·

كما انه كان ـ وما يزال ـ ذا اثر كبير فى السياسية القومية يقدم الخدمات الجليلة للاسلام وللوطن بواسطة التدخلات العلنية والاتصالات الشخصية بالقادة والرؤساء كناصح أمين ـ والدين والنصيحة ـ وبوسيلة الاقناع والتذكير قد تؤدى خدمات أكبر وأجل من الضجيج والتهريج · وكثير من كتاب تونس وزعمائها تخرجوا من الجامعة أو قرأوا على اساتذتها ·

هذه نبذة تاريخية نقدمها أمام هذه القصيدة التى تناولت شخصية ابن باديس كمصلح وكصحافى حر ، وتكلمت على مهمة المصلح والصحافى وما ينبغى ان يتحلى به من يريد ان ينهض بأمته ، وقد نشرت القصيدة فى جريدة الشهاب عدد 93 الصادر فى 19 شوال 1345 هـ ، الموافق : 19 ابريل 1927 م ، فى باب (روضة الشعر) بمقدمة وجيزة وتحت عنوان : (مرحبا ....) وهذا نص المقدمة ثم القصيدة :

« لا زلنا نسمع من الاستاذ كلمات الاشتياق الى زيارة الديار المراكشية وقد صح عزمه فى هاته الايام على السفر ، وما بلغت انباء سفره السادة المغاربة حتى جاءت عدة كتب فى حثه وتنشيطه ·

وجاءت القصيدة البليغة من شاعر فاس الكبير فى الترحيب به وبرفيقه السيد أحمد بوشمال قبل قدومهما ، فشكرا لاولئك السادة على احساسهم وكرمهم ·

مــرحبا بالأستــاذ عبــد الحميــد

(والقصيدة من بحر الخفيف)

مرحبا بالأستـــاذ عبد الحميدِ وبيـوم يـزور فيـه سعيـدِ (1)

بصديـق مـرافـق لصديـق برشيـد مرافـق لرشيـدِ (2)

سوف يلقى منا وتلـقى صدورا رحبـت للتبجيـل والتمجيـدِ (3)

سوف يلقى منـا وتلقى اقتبـالا دونـه جودنـا بكـل تليـدِ (4)

مرحبـا بالمبجلـين العزيـزيـن الجديرين بالثنـاء الحميـدِ (5)

---

(1) مرحبا : كلمة الاستقبال والتكريم ، واكرام الضيف واجب ، وأوله اظهار البشاشة والابتهاج بقدومه ، والرحب بالضم السعة وهو مصدر ، وبالفتح فالسكون صفة مشبهة : الواسع يقال : مكان رحب ، وأرض رحبة ، ورحب الصدر : طويل الاناة ، والرحبة بسكون وبفتحتين الارض الواسعة ، وما تزال كذلك فى لغتنا الدارجة ، وصف اليوم بصفتين : الاولى : الجملة الفعلية ، والثانية سعيد ·

(2) الصديق : صيغة مبالغة من الصدق وهو الخل الحبيب مشتق من صدقه المودة والنصيحة ، وفى المثل : (صديقك من صدقك لا من صدقك) مرافق : مصاحب صحبة معاملة بلطف ونفع ، والرشيد : المهتدى المستقيم على طريق الحق ، والرشد : الاستقامة وضده الغي · وقد صدق الشاعر فى وصف الرجلين والصلة بينهما كما أعرفها ·

(3) يلقى : يصادف ويجد ويستقبل منا ، رحبت : اتسعت ، والتبجيل التعظيم والتكريم ، والتمجيد : الاعزاز والرفعة ، والمجد : العز والرفعة ·

(4) جودنا : بذلنا وسماحنا ، تليد : عتيق نفيس ، المال العتيق القديم ، والطارف : الحديث ·

(5) مبجلين : معظمين مكرمين ، والعزيز القوى ، والغالى النفيس النادر والغالب والملك كلها من معانيه ، والجدير : الخليق والمستحق للشيء ، الثناء : ذكر الخصال الحميدة بالمدح ، وقد تصدق كلمة الثناء على الذم ، لذا يقال : أثنى عليه حمدا · وقال عنترة «أثنى عليَّ بما علمت» ·

من شبـاب الى المعـالي سـراع وشبـاب لكـل خـير شهـودِ (6)

مـن شبـاب تمثـل النبل فيهم وهـم قائلون : هل من مزيـدِ ؟ (7)

مـن شبـاب عـلى المعـالي دؤوب وشبـاب عـلى الأعـادي شديـدِ (8)

مـن شباب يسعون سعيا حثيثا لوئـام بـين الشعـوب مديـدِ (9)

مـن شبـاب بهـم صلاح بلاد وشباب بهـم حيـاة جـدودِ (10)

مرحبـا بالداعي لنيـل معـال تمتطى بالتوفيـق والتسديـدِ (11)

مرحبـا بالداعى لنبذ مخـاز ـ تعتدى بالفتى لنـار الوقـودِ (12)

---

(6) سراع : مسارعين مبادرين ، شهود : حضور غير غائبين : يسرعـون يبادرون الى المعالى ويحضرون كل خير ولا يغيبون ، والشاهد : الحاضر ، ومن ذلك قوله صلى الله عليه وسلم : « ليبلغ منكم الشاهد الغائب » .

(7) تمثل : تصور ، النبل : الفضل والشرف والنجابة والذكاء ، وهـم يطلبون المزيد لا يقنعون بما بلغوه وحصلوا عليه لطموحهم .

(8) دؤوب : صيغة مبالغة لدائب وهو الجاد المستمر فى العمل ، والاعادي: جمع الاعداء . والاعداء : جمع عدو وهو الخصم المباعد السـاعى فى المضرة لخصمه ، فالاعادى جمع الجمع . شديد : قوى شجاع قاس .

(9) يسعون : يمشون بجد واجتهاد ، والمراد يعملون ، والحثيث السريع ، كأن نفسه تحثه على السرعة وتحضه عليها ، الوئام : الوفاق ، تواءم ، توافق وتناسب ، مديد : طويل .

(10) بهم صلاح البلاد لا بغيرهم ، ففى الكلام حصر ، كما ان احياء مآثـر الجدود بهم وحدهم وكم للجدود من عز ومجد .

(11) المعالى : جمع مفرده المعلاة : الشرف والرفعة ، تمتطى : تركـب ، امتطى الدابة ركبها ، والتوفيق : الصواب والاهتداء اليه ، والتسديد التماس السداد : الرشاد والاستقامة والصواب .

(12) المخاز : جمع المخزاة ما يبعث على الخزى وهو الذل والمهانة والفضيحة تعتدى : تتجاوز ، لا تعتدوا : لا تتجاوزوا ، نار الوقـود : النار المتقـدة المشتعلـة .

وكانت دعوة ابن باديس تهدف الى اصلاح الدين والدنيا. فصلاح الدين جعل شعاره قول مالك «لا يصلح آخر هذه الامة الا بما صلح به أولها» وأسلوبه جعل شعار فيه قوله تعالى : « **أدعُ الى سبيل ربّك بالحِكمة والموعظـةِ الحسنـةِ وجادلهم بالتى هى أحسَنُ** » ثم كانت حربه لكل انحطاط فكرى وخلقى وكل انحراف فى العبادة بالاشراك بالله أو الانكباب على البدع والخرافات ، وهذا ما أشار اليه الشاعر فى البيتين ، فان من أكبر المخازى الانحطاط الفكرى والتخلف فى مجال الحيا مع ان أمة الاسلام خير أمة أخرجت للناس . والزيغ فى العقائد يؤدى الى جهنم .

مرحبا بالعظيــــم بل بالصحافي مرحبــا بالزعيم بــل بالعميــــدِ (13)

مرحبا بالصحافى الحــــر بالذا هب بالشعب فى سماء الصعودِ (14)

ان تسلنى عن الصحافى من هو قلت من يبتنى حيــــاة الخلــودِ (15)

فــــوق هــام العلى بأس معــال وبنــاء عــلى العلـــوم مشيـــدِ (16)

فهو مبــدى حقائــق الكون للناس بقــــول أجلى سنا من عمــــودِ (17)

---

(13) الصحافى : من اتخذ الصحافة مهنة له، والصحافة ـ فى الاصطلاح الحديث ـ كتابة الجرائد والتحرير فيها واخراجها ، والاصل فيها من الصحيفة وهى القرطاس المكتوب وتطلق أيضا فى الكتاب على الورقــــة بوجهيهــا ، والصحافى نسبة الى المهنة بكسر الصاد والنسبة الى (الصحيفة) بصيغــــة الصحفى بفتح الصاد ، واما الضم ، نسبة الى الجمع فلا يصح لان النسبة الى الجمع تكون بارجاع الصيغة الى المفرد ثم ينسب ، والنسبة الى فعلية فعلى والنسبة الى (فعيل) فعيلى • والعميد سيد القوم وسندهم ، وهــو مــن الرتب العسكرية فى الجيوش العربيه ، والعماد ـ وجمعه عمد بفتحتين ـ ما يسند اليه ويعتمد عليه •

(14) الحر من ملك حريته ولم يخضع لسلطة تملكه ، والصحافي الحر هو الذى يتصرف بكل حرية لا يخضع لسلطة حكم ولا حزب ولا هيأة وانمــا يقول ما يمليه عليه ضميره ومصلحة أمته ووطنه وكذلك التزم ابن باديس فى صحيفته وفى حياته،ولا يصعد شعب ولا يرتقى الا بصحافة حرة ناصحة لا ترغب ولا ترهب وبصحافيين أحرار شجعان •

(15) الخلود : الدوام والخلد : الدوام والبقاء ، وانما يعتبر الخلود اذا كان فى عزة ومجد وقوة وراحة للامة تكون فيه فى طليعة الامم وأعزها وأقواها دولة وسلطانا والامة الاسلامية ـ ما تمسكت بالاسلام ـ خير أمة أخرجــت للنـــــاس •

(16) الهام : جمع الهامة ، وهى رأس كل شىء ، ورئيس القوم وسيدهم ، ونوع من البوم الصغير يلزم الخرائب يصوت بصوت كريه تزعم العرب أنــه يطالب بأخذ الثأر ، ويسمى أيضا الصدى • والأس : أصل البناء وما يقــوم عليه وقاعدته ، والحجر الاساسى أول حجر يوضع فى البناء ، مشيد مرتفع ، قصير مشيد : مرتفع ، ولا شك أن بناء يكون أساسه العلم ومعالى الامـــور يضمن العزة والخلود لاهله •

(17) فهو : أى الصحافى ، مبدى حقائق : مظهر للحقائق . وهى جمــــع حقيقة ، الحق ، وهو ضد الباطل ، والحق هو الله سبحانه ، وانما ينجح القوم اذا عرفوا الحق والتزموه ، وتنكروا للباطل وهزموه ، وعبدوا الحق ووحدوه • والصحافى الحر النزيه ـ نصحا لأمته ـ يلتزم الحق ويقوله ولو كان مرا • والصحافى الذى يكذب يخونها لان كذبه يغر بالشعب ويخدع أولى الامر ولهذا قال أبو بكر فى خطبته الاولى « الصدق أمانة والكذب خيانة » • والصحافى الناصح يبصر أمته بالعلوم ، ويكون أسلوبه واضحا مفهوما أظهر من ضــوء =

وهو بان حياة مجد لقـــوم ولقـــوم هدام مجد وطيـــدِ(18)

وهو من يوقف الحيـــاة على احـــ يـــاء شعب عن الـرقى مـــذودِ(19)

وهـــو مـــن يبذل النفيس من العمـــر لاحيـــاء شعبـــه المنكـــودِ(20)

وهـــو مـــن يقـــدر الانام ويدرى قدر كل مـــن مسيد ومســـودِ(21)

وهـــو مـــن يبتنى وجودا جديدا فى فضاء رحب وكون جديـــدِ(22)

مرحبا بالموفـــق الندب أهـــلا بزعيـــم الاصلاح أســـد الاسودِ(23)

=الصبح ـ والعمود أراد به الشاعر ـ كما فسره بنفسه ـ عمـــود الصبـــح والسنا ـ بالقصر ـ الضوء ولا ترتقى أمة الا بمعرفة حقائق الكون وتسخير طبيعته لخدمتهـــا ٠

(18) الصحافى يبنى لقومه حياة المجد ـ ان استقام ونصح وكان كفـــؤا لاداء مهمته فان كان ليس بأهل لاداء مهمته ، متطفلا على مهنته ، جاهلا بعمله، تسبب فى هدم مجد لهم وطيد ، والوطيد الثابت الدعائم ٠

(19) يوقف الحياة : يحبس حياته ويخصص أعماله من أوقف ماله جعله حبسا فى سبيل الله والرقى الصعود . والمذود المطرود المدفوع مـــن ذاده يذوده : طرده ودفعه وكان المستعمرون حريصين على منع شعبنا من احـــراز أى تقدم وصعود فى كل ميادين الحياة ، وخصوصا السياسة والاقتصادية ٠ وهم لذلك يشجعون الخرافة والانحطاط العقلى والاجتماعى والدينى ، ويحمون الفساد والمفسدين ٠

(20) يبذل يعطى ، والنفيس هو المال الكثير ، وهو أيضا الثمين الغـــالى المرغوب فيه المتنافس عليه ٠ والمنكود : الممنوع المحروم ، والنكد العســـر والمشقـــة ٠

(21) يقدر الانام : يزنهم ويقيسهم ـ قياسا صحيحـــا ـ بمقاديرهـــم ، والقدر مبلغ الشىء وكونه مساويا لغيره بلا زيادة ولا نقصان . وبذلك أمرنـــا كما جاء فى قول عائشة رضى الله عنها « أمرنا أن ننزل الناس منازلهم » وفى القرآن الكريم : « **ولا تبخسوا الناس أشياءهم** » والصحافى المقتدر يعـــرف أقدار الناس ولا يظلم سيدا فيضعه دون منزلته ، ولا يظلم مسودا فيجعلـــه فوق مرتبته ٠ وقد شهد عمر بن الخطاب لابى بكر بصحة تقديره ومعرفتـــه بالرجال ، يشهد لذلك تقديمه لخالد بن الوليد رضى الله عنه ٠

(22) الفضاء المكان الخلو المتسع ، والرحب المتسع ٠ والشاعر يريد أنه يجدد حياة أمته ويريد الا تقتنع بما ورثت بل تحتفظ بما فى القديم من أمجاد وقوة وعزة وتبنى الجديد الطارف وقديما قال أولنا :

نبـــنى كمـــا كانـــت أوائلنـــا تبـــنى ونفعل مثـــل مـــا فعلوا

ولما أنشد هذا البيت ابن باديس قال : « ونفعل (فوق) ما فعلـــوا » والحمد لله الذى صدق ما توقعه فلم يكن للمتقدمين أساطيل الجو وقد ملكناها.

(23) الموفق : المسدد ، والرجل الندب : السريع الى الفضائل ، والنجيب الظريف . والخفيف فى الحاجة اذا ندب اليها خف لقضائها . وهـــو الماضى النشيط ٠ وجمع الندب أنداب ٠

لاعدمنـــاك مصلحـا ونصوحـا لأناس عـلى الهـوان قعـودِ (24)
لأناس عـن المعـالى نيـام لأناس عن كل مجـد رقـودِ (25)
قد تساوى لديهم أن يكونـوا سادة الناس أو خسيس العبيدِ (26)
شأن ضعفى النفوس، شأن الكسالى شأن من ألفوا وخيم الجمـودِ (27)
شأن من أخلدوا الى الراحة العميا ء واستسلمـوا الى التقليـدِ (28)

والاسد : ملك الحيوانات وأقواها وأنبلها ، ويفتح وسطه ويسكن ، ويطلق على الذكر والانثى فيقال : هو الاسد وهى الاسد ، ويشبه بـه فى الشجاعة . والاصلاح ضد الافساد ، وهو وظيفة الانبياء قال شعيب فيما قصه القرآن : « **ان أريد الا الاصلاحَ ما استطعت** » . وكان ابن باديس كما وصفه الشاعر زعيم الاصلاح ، قال عنه المؤرخ الفرنسى (شارل اندرى جوليان) فى كتابه افريقيا الشمالية تسير . انه اقوى شخصية دينية برزت فى افريقيا الشمالية . ومع ذلك لم يكن له هذا الطموح وانما حصل له بصدقه .

(24) عدم الشيء فقده . والماضى اذا دخلت عليه (لا) ولم تتكرر فانه يتحول الى صيغة دعاء . فان تكررت (لا) فهو منفى نحو « **فلا صدَّق ولا صلىَّ ولكن كذَّبَ** » والصيغة فى الدعاء انشاء ، وفى النفى اخبار . والنصوح صيغة مبالغة محولة من ناصح الكثير النصح والهوان : الذل والضعة واحتمال ظلم اللئام ، والقعود جمع القاعد الجالس الساكن على الضيم لا يحدثون أنفسهم بالنهوض والقيام ثائرين على من ظلمهم ولا يصبر على مثل موقفهم الا الاذلان : عـير الحى والوتـد !

(25) رقود جمع راقد نيام جمع نائم ، ولما كان النائم لا يملك وعيه وهو غافل عما يجرى حوله جعل من يصبر على الحالة السيئة التى كانوا فيها مع الاخطار المحيطة بهم نياما ورقودا ـ وكلامه من باب الاستنهاض والدعوة الى الاستيقاظ . ومن خطب أمير المؤمنين علي قوله فى جنده « يا شباه الرجـال ولا رجـال » .

(26) السادة : الشرفاء القادة الرؤساء ، والخسيس الرذل الدنىء الحقير، والتافه . والعبيد جمع العبد من لا يملك حريته ، يباع ويشترى كالمتاع فى الاسواق ، وقد يجعل نفسه الخسيس كذلك وان كان حرا .

(27) شأن قصة وعادة وحال ، أو ما عظم من الامور والاحوال عموما وشأنه كذا : طبعه وخلته وضعفى : جمع ضعيف ، كضعاف وضعفاء فاقد القـوة والمريض الواهن . والكسالى جمع الكسلان وهو من فتر نشاطه وتثاقـل وتوانى . وألف الشيء انس به وأحبه ، وألفه اعتاده وآنسه . والوخيم الثقيل الوبيء غير الموافق ، الرديء .

(28) أخلدوا الى الراحة ألفوها ولصقوا بها ، أخلد الى الارض لصق بها ، والتقليد : المحاكاة ، والاتباع من غير نقد ولا تفكير ، وهو مذموم لانه الغـاء للفكر واستعماله ، والاسلام يأمر باستعمال النظر والتفكير « **أفلا ينظرون الى الابل كيف خُلقت ...** » ، « **كتابٌ انزلناه اليك مباركٌ ليدَّبـَّروا آياتـه وليتذكَّـرَ أولوا الألباب** » . وانّما يكون الاتباع لسنة نبوية واضحة كتقبيل الحجر الاسود كما قال عمر .

فهــم ، من اخلادهم فى أســار وهم من تقليدهــم فى قيـــودِ (29)

مــن رأوه فى حالـــة قلـــدوه بلــه فيما يقودهـــم للكنـــودِ (30)

هم (لعمرى) أشباه بله الخناثى أو قـــرود تشبهــت بقـــرودِ (31)

خلـــة فيهــم : عظيــم عليهــم نبذهــا أو يسلسوا فى القيودِ (32)

مصلحو الناس فى الوجود قليل وقليل وجودهــم فى الوجـــودِ (33)

واذا هم أتوا ــ وقد نبغوا ــ كم ذا يلاقـــون حقـود الحقـــود (34)

---

(29) هم أسارى الراحة التى ألفوها فصارت فى طبائعهم ، وهم مكتفـون مقيدون بتقاليدهم ليست لهم حرية الحركة والسعى ·

(30) لما ألفوا التقليد فانهم اعتادوا أن يحاكوا غيرهم فيما رأوه منهـم ، وقد يكون ما يأتيه مضرا بهم وهذا شأن الامم الضعيفة مولعة بتقليد غيرها من الامم القوية المتغلبية ، ولو كان فيما ينافى مصلحتها ويؤدى الى مضرتها · أو يبطل شريعتها وينافى كرامتها، وكلمة بله اسم فعل أمر بمعنى : دع واترك، والكنود فسره الشاعر بأن مراده كفران النعمة. فهم يقلدون غيرهم من الاجانب حتى فيما يقود الى كفران النعم ·

(31) بله ــ هنا ــ جمع أبله ــ والمؤنث بلهاء ــ من ضعف عقله وعجـز رأيه ، وعيى فى حجته والخناثى · جمع الخنثى وهو من له عضو الرجـال التناسلى وعضو النساء ، فهو لا ذكر ولا أنثى ، أو هو من الرجال من كان فيه لين وتكسر وتثنى ، صورة الرجال وأحوال النساء . والقرد أكثر الحيوانات تقليداً ، ويضرب به المثل فى التقليد ، ويشبه به من يقلد غيره دون تفكير ·

والشاعر يقــول : لسفه رأى هؤلاء القــوم قلــدوا مــن هــو نفســه مقلد ، وخير مثال لهؤلاء من يقلدون غيرهم فى الالحاد والكفر بالله ! ولو استعملوا قليلا من التفكير فى خلق الله لاهتدوا بما نصبه لهم من الآيات · انهم يحاولون مسخ أمتهم ، ونسخ شرائعها ، بدعوى التقدم !.. ولكن الى الوراء !

(32) الخلة بالفتح والضم من معانيها الخصلة وتجمع على خلال · نبذهـا طرحها وتركها · أسلسوا قيادهم : انقاد وسهلوا على آسرهم ربط قيودهـم وأغلالهم · والفعل منصوب بعد ــ أو ــ والقيود جمع القيد : الكتاف ·

(33 و 34) المصلحون قليل وجودهم فى الدنيا : انهم الانبياء والمرسلون اذا اوحى اليهم، أو العلماء والفلاسفة المفكرون الذين يعيشون لغيرهم لا لانفسهم ويصبرون على البلاء والمحن وقد يتنكر لهم أقرب الناس اليهم وقد ينازلهم أقوى الاقوياء من البغاة ، ومن شر من يعاديهم الذين حسدوهم وحقدوا عليهم مع اقرارهم بفضلهم والاعتراف فيما بينهم وبين أنفسهم كفعل أبى جهل ابن هشام مـع رسول الله صلى الله عليه وسلم ، والحقد : امساك العداوة فى القلب يتربص صاحبها الفرصة للانقضاض على المحقود عليه للايقاع به ، ويجمع الحقد على احقاد وحقود ، والحقود صيغة مبالغة محول عن الحاقد . والنبوغ : الظهور وكم هنا خبرية يراد بها التكثـير ·

غير ان الحقود مهما تكن لا تك شيئا امام أسد ربود (35)

وبعيد ان يجبنوا في مقام هم قيام على حماه البعيد (36)

وعزيز عليهم أن يروا في بلد ، هم سكانه قبح عيد (37)

وعظيم سكوتهم عن أمور تصم الدين بالشنار الشديد (38)

وعظيم سكوتهم عن مخاز هي أعدى من الوباء المبيد (39)

وقبيح بهم مقام على الذل وان هم أذوا إذاية هود (40)

---

(35) كثرة أنواع الحقد والحاقدين لا تؤثر شيئا في عزم ارادة الشجعان الذين اشبهوا الاسود ، والمتربد من اسماء الاسد وأربد لونه تغير والربد لمع سواد في بياض ، وقوله (لا تك) جواب مهما مجزوم بها ، حذفت النون قياسا لتوفر الشروط ٠

(36) بعيد خبر مقدم والمبتدأ هو المصدر المسبوك من ان والفعل : بعيد جبنهم في مقام بعيد ، والحمى : المكان المحمى الممنوع على الغير ، والبعيد المراد بعيد المنال ٠

(37) عزيز عليهم : صعب عليهم لا ينال منهم،ولا يقبلونه ، والعيد : جمع العادة وتجمع أيضا على العادات ، والعاد ، والعيد ، والعوائد وهي ما يعتاده الانسان أي يعود اليه مرارا متكررة ، والقبح ضد الحسن والقبيح ما اتصف بالقبح ٠

(38) عظيم خبر مقدم مبتداه سكوتهم ، تصم : تعيب الدين وتلحق به العار والشنار اقبح العيب ، والشديد القوى ، هذا وان دين الاسلام — في جوهره — ليس فيه ما يصمه ويشينه ، بل فيه كل ما يرفعه ، ويزينه ويعلي شأنه وكل من درسه من مصادره : القرآن والسنة القولية والفعلية والاقرارية لا يملك الا ان يعرب عن تعظيمه والجهر بحسن رأيه فيه وقد يهتدي ويسلم ، ومن عظماء الرجال قوت الالماني وكارليل الانكليزي، وقارودي الفرنسي وقد اعلن اسلامه ومثله العالم بوكاي وكذلك أتيان ديني اما من يحسب الاسلام هو ما عليه بعض المسلمين فانه يشتد نفوره منه ولا يجوز للعلماء السكوت عنه ، وقد روي عن بعض المهتدين الى الاسلام قوله — عندما اطلع على حالة المسلمين — : (الحمد لله ان عرفت الاسلام قبل ان أعرف المسلمين !) ٠

(39) **المخازي جمع المخزاة ما يستحي من ظهوره من القبائح ، هي أعدى أشد عدوى ، والعدوى الفساد وانتقاله من جسم فاسد مريض الى صحيح** كانتقال الجرب والسل والوباء كل مرض عام ، والمبيد المهلك من باد فني وهلك ، ومن الامراض امراض معدية شديدة العدوى ، ومنها مالا ٠

(40) الذل الهوان والصغار ، أوذوا : أصابتهم الاذاية ، والاذى الضرر ، والاذى الشديد التأذي والتأثر بالاذى الشديد . والهود : اليهود ، واشتقاق اسمهم من هاد يهود : تاب يتوب وفي القرآن الكريم « **واكتب لنا في هذه الدنيا حسنة وفي الآخرة إنا هُدْنا اليك** » رجعنا اليك ، وقد أفسدت اليهود فكرهتهم الامم فكانوا كما قال الله فيهم : « **يقتلون النبيئين بغير حق ويقتلون** =

وغريـب بـلادة مـن فطـين   وغريـب فطانـة مـن بليـدِ (41)

فهـم الحاملـون للديـن حـتى   ينجحـوا أو يغيبوا فى اللحودِ (42)

أنجـح اللـه سعيهم وهداهـم   لصواب الجـواب يـوم الـورودِ (43)

= الذين يأمرون بالقِسطِ من الناس » . وبظلمهم وفسادهم طاردتهم الامـم وأذلتهم ، فألفوا الذل وصبروا عليه ولكنهم برعوا فى تدبير المكائد والدسائس وبذلك ينتقمون من اعدائهم .

(41) من الغرابة بمكان عظيم أن تظهر البلادة من كثير الفطانة وقد يتكلفها فيتغابى كما ان عكس ذلك غريب ، وهذه نكبة كبرى وفضيحة ، والغريب من الامر العجيب والشيء غير المألوف ، والبعيد عن الفهم . والبلادة الغباوة وقلة الفهم وضد الذكاء ، والفطين صفة مشبهة من فطن يفطن فهو فطين : الحـذق والذكاء والفهم . والفطانة من الصفات الواجبة ، فى حق الانبياء عليهم الصلاة والسلام .

(42) المصلحون من الناس هم الذين يحملون الدين ويحمونه ويقومـون بمهمتهم الاصلاحية حتى يحققوا أغراضهم أو يسكنوا قبورهم ، واللحـد : القبر ، ونوع منه يحفر القبر ثم يشق فى جانبه مكان يوضع الميت فيه .

(43) انجح سعيهم : وفقهم الله فى مساعيهم ونصرهم ، وحقق أغراضهم ، يوم الورد يوم القيامة والورود على الحوض حيث يرد المؤمنون فيسقون من حوض النبيء صلى الله عليه وسلم ، ومن شرب منه لا يضمأ جعلنا الله مـن الذين يردونه فلا يذادون عنه ، آمـين .

ومن ذا يرد سهام القدر ؟

شئنا أن نختم القسم الاخير بهذه الرباعية الرائعة من الشاعر الناثر الاديب الكبير الشيخ موسى الاحمدى نويوات ـ وان كانت ليست من موضوع الكتاب ـ الا انها قيلت فى تأبين الاستاذ الامام ابن باديس رحمه الله بعد وفاته ببضع سنوات بمناسبة ذكراه التى أقيمت بقسنطينة عام 1947 م . فاذا كانت قد أخطأته سهام البشر عام 1926 فقد أصابته سهام القدر عام 1940 · وهذه مناسبة تشفع لذكرها ·

والشاعر الكبير هو (موسى بن محمد الاحمدى نويوات ، ولد سنة 1903 بدوار أولاد على من ولاية المسيلة اليوم ، وفى الشمال منها ، ولقومه صلة بقوم الشيخ البشير الابراهيمى فى النسب والجوار · حفظ القرآن الكريم ، وأخذ المبادى الاولى فى اللغة والدين بزاوية الحاج سعيد بن الاطرش ، حيث تتلمذ على الشيخ محمد أرزقى بن البدوى ، والشيخ يحيى طلبى ·

انتقل الى قسنطينة ليسمع من الشيخ عبد الحميد بن باديس لمدة سنتين كاملتين عام 1927 ـ 1928 م فحقق مراده ، وأخذ عنه العلم ، والتربية الاسلامية القومية · ومن قسنطينة انتقل الى تونس ليأخذ من كبار شيوخها مدة أربع سنوات كاملة هى 29 ـ 30 ـ 31 ـ 1932 م ، كالشيخ عثمان بلخوجة ، والشيخ محمد الزغوانى ، والشيخ محمد اللقانى والشيخ عثمان بلمكى التوزرى وهو ممن أعلن الحرب على البدع والضلالات ، والشيخ الصدام القيروانى ، وكان ممن يهتم بالشعر ونظمه وعلمه · والشيخ المختار بن محمود من حاملى لواء النهضة الاسلامية الاصلاحية فى تونس ·

وعاد الشيخ موسى الى وطنه ليشترك فى حمل قسطه من أعباء النهضة وبدأ ذلك بانتسابه الى جمعية العلماء والعمل تحت لواء أستاذه ابن باديس ، فأخذ يعلم فى (قلعة بنى حماد) العاصمة الاولى للدولة التى أسسها جد الحماديين الملك الهمام ، حماد بن بلقين ، وسكنها عام 400 هـ ، ولم يخرج الشيخ موسى عن تلك الجهات ، فقد أخذ يتردد بين مدنها وقراها مديرا لمدارسها ، مسؤولا عن الحركة فيها ٠

وكان طول حياته ـ عاملا نشيطا وعالما وأديبا منتجا ، وشاعرا ناثرا ٠ مسايرا للحركة مندمجا فيها ، متطورا معها ٠ وكان عمله منسجما مع القادة فكان على اتصال متين بالشيخ ابن باديس فى حياته ، واتصال كبير مع أستاذنا مبارك الميلى واتصال عمل مع الشيخ محمد البشير الابراهيمى ، وأذكر له أنا لما أسسنا جريدة (الشعلة) الثائرة ، كان من المشتركين معنا فى الثورة وحمل مشعلها ٠

فلما جاء عهد الاستقلال تابع ـ فى الدولة ـ نشاطه ، يؤدى واجباته فى وزارة التربية كمدير لمدرسة التهذيب القديمة التى أصبحت تكميلية ، كما يؤدى واجباته فى وزارة الشؤون الدينية التى قدمته أحيانا لالقاء محاضرات فى التلفزة ٠ كما يؤدى واجبه فى الانتاج والتأليف ، فقد قدم الشيخ موسى مؤلفات كثيرة طبع بعضها ، وما يزال كثير منها ينتظر النور ، وما قدم منها كان له صدى كبير واثر حسن ٠

من كتبه كتاب علمى نفيس قدمه ـ رغم جفاف موضوعه ـ فى عرض أدبى شيق وهو كتاب (المتوسط الكافى فى علمى العروض والقوافى) ٠

ثم ألف كتابه الثانى (كشف النقاب عن تمارين اللباب ، فى الفرائض والحساب) وهو تعليق على كتاب لشيخنا الزيتونى الشطى ، وقد أطلع عليه ، فراقه وأثنى عليه ، ومن أهم كتبه المطبوعة (معجم الافعال المتعدية بحرف) ٠ وكتاب (شرح الاسئلة الرمضانية) ٠ وله سلسلة قصص شعبية أخرجها فى أسلوب أدبى رائع منها : بقرة اليتامى ، وسالم وسليم (الاقرع بوكريشة)، ومحمد ابن السلطان ، والبغلة الحمراء ، والعكَرّك ، وفتية الجبل ، واللص والعروس ، الخ ٠٠٠ وله أيضا كتاب فى المطالعة ، وقد طبع ٠

ولــه ديوانان احدهما فى الشعر الفصيح ، والآخر فى الشعر الملحون ٠ وشعر الشيخ ـ فى كلا الفنين : الفصيح والملحون ـ جيد جدا يبلغ فيه القمة ولاشك انه يخدم العربية بنشر ديوانيه أجل خدمة ٠

وقد قيل فى تأبين الشيخ ابن باديس شعر كثير منذ وفاته حتى اليوم ، وقد اخترنا أن نقدم هذه القصيدة لبيان عواطف أبنائه نحوه وحسرتهم عليه بعد سبع سنوات من وفاته ، ولما كان الشيخ موسى من أبنائه وطلبته فهــو أهل لتمثيل هذه العواطف ٠

(ومن ذا يرد سهام القدر ؟)

قال الشيخ موسى : والقصيدة من بحر المتقارب ٠

شبـابَ الجـزائر : مــاذا الخنــوعْ ومــا لـزَفــيرك بــين الظلــوعْ
ومــا لِعُيُــونِـك تــذري الــدمــوعْ بعيشك ـ يا نشءُ ـ قل ما الخبَرْ ؟ (1)
أمِـن أجــلِ بــدرِك لـم يطلُــعِ أمِـن أجــلِ غيثِـك لـم يَهْمَــعِ ؟
أمِـن أجــل برقِــك لـم يلْمَــعِ جــزعتَ وجُــدتَ بتلـك الـدُّرَرْ (2)

---

(1) شباب الجزائر منادى مضاف ، سقط منـه حرف النداء ٠ والخنوع الخضوع والذل ، يقال خنع له واليه : ولا يكون مـن العبـد الا لله ٠ وفى قنوت الصبح (ونخنع ونخلع لك) أى نخضع ونذل لك وننخلع عن أعمالنا وصفاتنا السيئة ٠ والزفير اخراج النفس مع مده ٠ وزفير النار صوت توقدها المسموع ٠ وحركة التنفس (زفير وشهيق) وهما ادخال النفس واخراجه ٠ ذرت العيون الدمع صبته وأرسلته ٠ وانما تتوالى الزفرات ، وصب الدموع ممن ذهبت نفسه حسرات ، فعلى أى شيء كان يفعل ذلك شباب الجزائر سنة 1947 م ؟ لقد أصيب بنكبات : مات عشرات الالوف من شبابه فى معارك حرب عالميـة عادت بالقوة والضراوة على المحتــل ، ومات عبد الحميد زعيمه سنـة أربعين ، ثم لحق به الميلى عام 1945 م ، ثم استشهد خمسة وأربعون ألفا من أمته عام 1945 م ، والشاعر يعلم هذا ولكنه يريد أن يقرره ليفكر بنفسه ، ثم عين له أحد هذه الاشياء التى هى موضوع القصيدة الشاعر ومراده ٠

(2) البدر القمر ليلة اكتماله ، ليلة 14 مــن الشهــر ، يستمــر طلوعه من أول الليل الى آخره هاديا للسائرين ، مسامرا للساهرين ، فاذا غاب لعلة ما أوحش مترصديه ٠

وكان ابن باديس بدر الشباب ٠ والغيث المطر النافع يحيى به الله الارض بعد موتها ٠ وهمع الغيث سال ولمع البرق : أضاء وتلألأ ، والبرق نور يلمع فى السماء على اثر انفجار كهربائى فى السحاب ٠ وانما تكون هذه علامات =

لقد كان عهدي ببدرِ السَّمَا   تلُوحُ أشعتُه في الحِمَى
ويَهدي السُّراةَ اذاَ ما سَمَا   فتحمَدُ بَعد المَسِير السُّمُرْ (3)
وعهدي بغيثِك يسقِي الرُّبَا   فتُخرجُ من زَهرهَا أضرُبَا
فطابتْ وطابَ لها مشرَبَا   وفاح أريجُ شَذَاهَا العَطِرْ (4)
فأين دليلُك قل يا شبابْ   وأينَ غدَا ضوءُ ذَاكَ (الشِّهابْ)
أفي عالَمِ النَّجمِ أم في التُّرابْ   تغيَّب ذاك السَّنَا واستَتَرْ (5)

=مبشرة بان العام مخصب فيفرح الفلاحون ويستبشر الشعب ، فاذا لم يلمع برق ولم يهطل مطر جزعوا ونزلت دموعهم كالدرر ٠ والشاعر جعل ابن باديس كالبدر ، وكالغيث النافع ، فلما مات افتقدوه وبكوه جزعين ٠

(3) السما قصره للضرورة ، وذلك شائع في الاستعمال ، والحمى المكان المحمى الممنوع لغير أهله ومن قوله (ص) : « كالراعى يرعى حول الحمى يوشك أن يقع فيه الا وان لكل ملك حمى الا وان حمى الله محارمه » ٠ والسراة جمع السارى وهو الماشي الطريق ليلا ، والسرى والسريان سير الليل ومن أمثلة العرب (عند الصباح يحمد القوم السرى) يضربونه في احتمال المشقة رجاء الراحة ، سما : ارتفع ٠ والسمر حديث الليل ، وسمر لم ينم وتحدث ليلا ٠

(4) الربا جمع الربوة مثلثة الراء : ما ارتفع من الارض وفي القرآن الكريم في عيسى وأمه : « **وآويناهما الى رُبْوة ذات قرار ومعين** » : مكان مرتفع ، والمعين الماء الجارى في العيون ، وأضرب : أنواع مختلفة ، فطابت الربوة ، وطاب الغيث مشربا لها فزهت ، وفاحت الازهار انتشرت روائحها ٠ الاريج الرائحة الطيبة ، والشذى : قوة ذكاء الرائحة ، والشذو المسك وريحه ، والعطر صفة مشبهة من عطر يعطر كمعلم بعلم : تطيب ، والعطر الطيب مطلقا والعطار بائع العطر ، والحرفة العطارة والمعطار والمعطير صيغة مبالغة ومشربا تمييز ٠

(5) الدليل : المرشد الهادى ، وجمعه الادلة والادلاء ، ودله يدله دلالة أرشده وهداه ٠ والدليل البرهان المرشد ٠ غدا : ذهب غدوة ، وهو هنا بمعنى صار ويعمل عملها ، والشهاب : الكوكب عموما وكل مضيء متولد من النار ، ومنه شهاب السماء المعد لرجم الشياطين ، قال تعالى في شياطين الاستماع : « **فأتبعَه شهابٌ ثاقبٌ** » أى نجم مضييء ٠ (والشهاب) مجلة عبد الحميد بن باديس التى كان يرجم بها ، وفيها الدجالين في السياسة والدين ، برزت عام 1925 م واختفت باعلان الحرب العالمية الثانية في سبتمبر 1939 م ٠ ولما كان محل (الشهاب) السماء فقد ورى عن ذلك وتساءل : أين اختفى ؟ أفي عالم النجوم أم في عالم التراب (فان الصاعقة المتولدة من الشهاب تنزل وتختفي في التراب) والسنا الضوء ٠

ومـا البَـدرُ والغيـثُ الاَ العْميـدْ ومَـن همتُـه فى المعـالِي بَعيـدْ

أبـو النّشْءِ والشّعبِ عبدُ الحميـدْ فقيـدُ الجـزائـر ذَاكَ الأَبَـرُّ (6)

بـ (سيرْتا) ، رسـولُ الفنَـا زَارَهُ وأنْشَـب فـى العِلـمِ أَظفـارَهُ

أصـابَ القضَـا فيـه أَقمـارَهُ ومـن ذَا يَـرُدُّ سِهـامَ القَـدَرْ ؟ (7)

---

(6) عميد القوم سيدهم وسندهم ، همه قصده وعزمه ، يقال له همة عالية ، وهو بعيد الهمة ومن الشواهد :

لـه هِمَـمٌ لا منتـهَى لكِبارِهـا وهمّتُـه الصُّغـرى أجلُّ مـن الدهرِ

والفقيد الذى فقد فأحس الناس بغيابه واختفائه وترك فراغا مـن بعده قال أبو الطيب رحمه الله :

عِـشْ عـزيزاً أو مـتْ وأنت كـريم بـين طعـنِ القنَـا وخَفْـقِ البُنُـودِ

لاَ كمـاَ قـدْ حييـت غـير حميـد واذا مـتَّ مـتَّ غـيرَ فقِيـدِ

والابر : أفعل تفضيل من البر وهو الاتساع فى الاحسان ، والبر ضـد الفجور قال (ص) : « البر حسن الخلق » · ولم يكن عبد الحميد الا كما وصفه الشاعر فقد كان شديد البرور بالنشء وبكل أبناء شعبه ، يحب لهم الخير ، ويجتهد فى ايصاله اليهم برا بهم ·

(7) سيرتا – أو قرطة – هى مدينة قسنطينة . وهـو اسمها فى عهـد الفنيقيين ، أطلق عليها الرومان اسم أمبراطورهم قسطنطين معتنق النصرانية وأبقاه العرب كعادتهم فى عدم تغيير الاعلام ، كانت فى الجاهلية عاصمة المملكة المستقلة والملوك العظام مسينيصا وابنه مصيبسا ، ثم كانت بعد الفتح مـن قلاع العروبة والاسلام · وهى عاصمة النهضة القومية العربية الاسلاميـة الحديثة ، لان ابن باديس بدأ بها أعماله ، وأعلن دعوته منها ·

ورسول الفناء : هو ملك الموت الذى وكل بقبض الارواح والفناء ، العدم : فنى يفنى فناء عدم ، والفناء خلاف البقاء وهو من صفات المخلوقات والمحدثات فكلها الى الفناء ، والبقاء من صفات الله وحده قال تعالى : « **كل من عليها فان ويبقى وجه ربك ···** » ، والفناء بالكسر : الساحة أمام البيت وجمعه أفنية· أنشب فى العلم – فى ذى العلم – أظفاره ، غرز فيه مخالبه وعلقه ولم يفلته ولا استطاع أن يتخلص منها ، ذلك قضاء الله وقدره ومن ذا الذى يرد سهام القدر ؟ لقد استطاع عبد الحميد أن يقاوم المعتدى العليوى مساء يـوم 14 ديسمبر 1926 م ، واستطاع الناس أن يلقوا القبض عـلى المعتدى بعـد أن اكتشفوا مكان ترصده لان أجله لم يحضر ، ولكن لم يستطع أحد أن يدفع عنه سهم القضاء لما جاء مساء يوم الثلاثاء 16 أبريل 1940 م ، لان الله كتب على خلقه كلهم:« **اذا جاء أجلهم لا يستاخرون عنه ساعة ولا يستقدمون** » ·

وراحَ الـــذِي كـــانَ كالمَشْـــرعِ وأيُّ الـــذى مَ

إلى رحمـــةِ اللـــهِ لمـّـا دُعِـــي وكـان الـذِي ليسَ مَ

فكـم ذَادَ عـن شَعبـه مـن خطُـوب فظـائِعُهـا المُـرُّ تُـدمـي القلـ

وكـمْ ذاقَ فيهـاَ العـذابَ ضـُرُوبْ وكـم ذا تـأذّى وكـم ذا صَبَـرْ (9)

فكـــم حـاربَتْـه جبــاةُ الرُّفــاةْ وحـدَّت لـهُ فى الـدُّجى المرهِفـاتْ

فبــدَّدَ أحـــزابَ تِلـك الجُفــاةْ وعـفَّ عـلى جِلفِهـم إذ قَــدَرْ (10)

---

(8) راح : ذهب وولى ، والمشرع : مورد الشروع للشاربين . يقـال شرع يشرع ـ كقطع يقطع ـ فى الماء دخل فيه أو شرب بكفيه منه ، وشرع الماشية أوردها الماء وأى للاستفهام وكرع فى الماء مد عنقه وتناول الماء من موضعـه ـ الى رحمة الله متعلق براح ـ وكان تامة بمعنى وجد وحضر ، والذى لا مفـر منه هو الموت « **كل نفسٍ ذائقةُ الموت** » . وليس فى الجزائر من لم يشرب مـن مشرع عبد الحميد مباشرة أو بواسطة .

9 ـ كم فى هذا البيت وما بعده خبرية وأريد بها التكثير : ذاد دفـــع وطرد والخطوب جمع الخطب ، وهو الشأن وغلب استعماله للامر العظيـــم المكروه . وفى القرآن الكريم : « **ما خطبُكَ يا سامِري** » ؟ .. وقـــد خـــرج السامرى بقوم موسى من توحيد الله الى عبادة العجل الذهبى ، فظائعهاج فظيعة شنائعها ، آثارها مرة تؤلم القلوب وتؤذيها . ضروب : أنواع ، وأصناف ، تأذى لحقه الاذى وأحس به ، وصبر : ضبط النفس وتحمل ما يكره دون جزع.

(10) الجباة جمع الجابى اسم فاعل من جبى يجبى وجبا يجبو (وأوى ويائى) وهو الذى يجمع الخراج ويقال للخراج المجبى , والرفات : العظام المكسورة المندقة والفعل منه رفت من باب ضرب وقتل انكسر واندق ، وحدت لـه ـ مضت وسنت والمرهفات الحدائد الماضية القاطعة ـ والجفاة جمـــع الجافى الغليظ القلب الجافى الطبع والجلف الغليظ الطبع .

والشاعر يريد أن الذين حاربوه بكثرة هم جباة القبور والعظـــام البالية وعبادها العائشون على جمع الصدقات والنذور المقدمـــة للقبور ، فطالمـا تآمروا عليه فى ظلام الليل ، وحضروا للفتك به أسلحة رقيقة الشفرة فبدد جمعهم ، ثم عف عن الانتقام حتى ممن سفك دمه واراد ذبحه . .

وكـم نشَـرَ الـدُّرَّ فى (الأخضَـرِ) وكـم فيـه أخـرَجَ مِـن عبقـري

تـــراه الى السَّبْـق اذ يَنْبَـري يحـوزُ الرهـانَ ويجنـي الثَّمَرْ (11)

شبـابٌ يحـنُّ الى الصَّالحـاتْ ويصبُـو ـ بشـوقٍ ـ الى المكرُمـاتْ

ويسمُـو ـ بِغـاياتِـه ـ للحيـاةْ ومـن طلَب الحـقَّ يوماً ظَفـرْ (12)

---

(11) كان يلقى دروسه فى الجامع الاخضر . وقد بنى فى قلب المدينـة العربية من العهد التركى للعبادة وبث العلم تم بناؤه عام 1156 هـ بناه حسن باي رحمه الله · فلما منع الشيخ من الجامع الكبير سنة 1913 م ، طلب أبوه ـ بعد رجوعه من الحج ـ ان يؤذن له فى الجامع الاخضر. عام 1332هـ ـ 1914م، ثم حاولوا اخراجه منه بعد عشرين سنة، أوعزوا لامامه الشيخ الورع بلقاسم ابن عزوز أن يخرجه من مقصورة الجامع التى جعلها الشيخ مكتبا لتحضير دروسه وكتابة مقالاته فأجابهم : انه هـو الـذى سبقنى اليها ، وأبى أن يرتكب هـذه الحماقة · وكان الشيخ يـؤدى صـلاة الجمعة بالجامـع كما كان يشرع فى التعليم به ابتداء من انتهاء صلاة الصبح الى القاء درس التفسير من بعد صلاة العشاء ، وتارة يقرىء درسا آخر بعد التفسير كما كان يفعل عام 1930 م ، اذ يلقى درسه فى القوانين الفقهية لابن جوزى · وقد أخرجت دروسه كثيرا من النبغاء الذين يصدق عليهم وصف (عبقرى) لو انبرى منهم أحد للمسابقة لحاز الرهان وجنى الثمار ، ومنهم شاعرنا فقد سابق الشباب ـ مرارا ـ فى الاجابة عن أسئلة مسابقة رمضان فحاز السبق دونهم وحـج بسبقه ، ومن عباقرة تلاميذ ابن باديس الذين تخرجوا من دروسه : مبارك الميلى ، والزاهرى والسنوسى ، وعبد السلام السلطانى ، والغسيرى ، والصادق حمانى، والفضيل الورتلانى، ونصر الدين ناصر، وباعزيز بن عمرو ··· الخ· ولا نذكر الا الموتى ، وكثير منهم أحياء · وثمرة مثل هذا السباق طيبة حلال

(12) حن الى الشى وصبا اليه اشتاق اليه ومال نحوه وعطـف اليـه · والصالحات جمع الصالحة ، وصف حذف موضوفه الاشياء الصالحة والاعمال والاقوال الصالحة ، وانما يكون الفلاح والنجاح للذين يعملون الصالحات قال تعالى : « **وعَدَ اللهُ الذين آمنوا منكم وعملوا الصالحات ···** » وقال : « **والعصرِ ان الانسان لفى خسرٍ الا الذين آمنوا وعملـوا الصالحات** » والمكرمات ج· المكرمة فعل الكرم والخير من الكريم يسمو : يعلو ويرتفع · والغايات جمـع الغاية التى تجمع أيضا على غاى ، وأصلها الراية تنصب وتكون نهاية السباق فالواصل اليها أولا هو السابق · وظفر فاز بالشىء وناله ·

لأجلِـــك ـ يـــا نـشْءُ ـ كـــانَ الفَقيـــدْ

يكُــــدُّ لتَحيـــــاَ وتبـقـــــَى سَعيـــــدْ

وتُــرجِـــعُ ذاكَ التـــــــراثَ التَّليـــــــدْ

تـــــراثَ جـــــدودٍ كـــــرامٍ قُبِـــــرْ (13)

فيـــا نـشْءُ ـ سعيـــــاً وكُــنْ ذا ثبَـــاتْ

وهُـــــبَّ سِـــــراعـــــاً الى الصالحـــاتْ

فهـــا هُـــو ركـــــبُ بُنَـــاةِ الحيـــاةْ

يغـــذ المســـــيرَ فكـــــن فـى الأثـــــرْ (14)

---

(13) لاجلك : بسببك ، وأصله مصدر أجل : جلب شرا ، ثم استعملوه فى تعليل الشر ، ثم أطلق على سبب كل عمل فيقال : من أجلك ولاجلك . وفى التنزيل ـ بعد قصة ولدى آدم « **مِن أجلِ ذلك كتَبْنا على بنى إسرائيل ...** » الآية . يكد يعمل بجد ، ويلح فى الطلب ، ويشتد فى العمل . تبقى هنا بمعنى تصير ، فى المعنى وفى العمل ـ التراث اسم مصدر من ورث ورثا ـ بكسر الواو وفتحها ـ وارثا وتراثا والمراد به هنا ما ورث عن الهالكين قال تعالى : «**وتاكلون التُّراثَ أكلاً لَمّاً**» والتليد : القديم العتيق، والطارف الحديث الجديد قبر : دفن ، وسبب دفنه قصور الخلف وتطاول الزمن ، ومكائد العدو.

(14) سعيا مفعول مطلق نائب عن فعله : أى أسع سعيا ، وهو فى العربية من صيغ الامر والسعى المشى بسرعة والعدو نحو الغاية ، والمراد كن جادا فى سيرك . والثبات الدوام والاستمرار والمواظبة ، ولا يكون النجـاح الا مع الاستمرار فى العمل قال الله تعالى : « **اذا لَقِيتُم فئة فَاثْبُتُوا** » ، وقال صلى الله عليه وسلم : « أحب العمل الى الله أدومه وان قل » . وهذا الحديث مما سمعناه من شيخنا رحمه الله . وهب الرجل من النوم : استيقظ وانتبه وأسرع ، والبغاة ج. الباغى هنا يعنى الطالب من بغى بغاء وبغية الشىء طلبه ، لا من بغى الرجل اذا عدل عن الحق ، وبغى عليه اذا استطال عليه وظلمه فهو باغ والجمع ـ أيضا ـ بغاة ومن هذا قوله تعالى فى قارون : « **فَبَغَى عَلَيْهِمْ** » استطال عليهم . ويغذ المسير : مضارع أغذ السير وفى السير أسرع ـ كن فى الاثـر اتبع طريقهم التى ساروا عليها لتصل بهم وتسير فى ركبهم .

وحسبُكَ مِـن راحـلٍ خلـفُ خبـيرٌ ، بنشـر اللغـى كَلِـفُ

لـه شمـلُ شعبِـك يَـاْ تَلـفُ فكُـنْ تحـتَ رايتِـه تَنْتَصِـرْ (15)

---

(15) حسبك : كافيك ، والحسب الكفاية والغناء يقال (بحسبك درهم) أى كافيك ، وفى الحديث الصحيح (بحسب امرىء من الشر أن يحقر أخاه المسلم) أى اذا احتقر أخاه فقد بلغ الكفاية من الشر والراحل هنا عبد الحميد ابن باديس . والخلف : بفتحتين الخليفة ، والولد الصالح يخلف أباه ويسد مسده والمراد به هنا الشيخ البشير الابراهيمى الذى خلف ابن باديس فى الرئاسة وقيادة ركب النهضة . وكان مثل ابن باديس فى الكفاءة والخبرة ، وهو مغرم جدا بنشر اللغة وآدابها شديد الغيرة عليها . به يأتلف شمل الشعب ويجتمع ، وكان الامر كذلك فقد اجتهد كثيرا أن يوحد الصفوف فجمع اخوانه فى الجمعية ، كما اجتهد أن يقضى على مضار الحزبية ، اثر خروجه من الاعتقال عام 1943 م . وتم ذلك عام 1944 م ، فتكون حزب واحد تحت اسم (أحباب البيان والحرية) ثم كانت أحداث 8 مايو 1945 م ، وعاد الاختلاف والشقاق، وما زال ـ رحمه الله ـ واخوانه يعالجون الامر بالحكمة والموعظة الحسنة ، رغم الصعوبات الجمة ، والاذاية الشديدة من بعضهم . وفى باريس تمكن القوم من جمع الشمل من جديد واجتمعت الاحزاب سنة 48 ـ 1950 م ، من أقطار الشمال تحت رئاسته هنالك وتم الصلح . وفى عـام 1951 م ، تكونت بالجزائر جبهة الدفاع عن الحرية واحترامها وكان للمشائـخ الابراهيمى والتبسى ، وخير الدين أعظم الآثار فى تكوينها والمشاركة فى أعمالها حـتى بدأت الثورة والوحدة تامة والانسجام كامل . ثم كانت الحكمة العظمى فى قرار الجبهة بدعوة الجميع الى الجهاد دون مراعاة الماضى خيرا كان أو شرا فمن استجاب فهو (الوطنى) ومن أبى فهو الخصم . فراية الابراهيمى هنا المراد بها : راية اجتماع الشمل والاتحاد ، والعمل الصالح للبلاد والعباد . وليست راية حزب قد يصدع الوحدة ويفرق الشمل وتنتصر ـ مجزوم فى جـواب الطلب ، تفز وتظفر بالمعنى وتقهر الاعداء ، وجـاء النصر ـ والحمـد للـه ـ حضرناه وقطفنا ثماره .

خاتمة الكتاب

خاتمة الكتاب فى فصول

الفصل الأول ـ اثر الصنهاجيين آل باديس فى إحياء السنة وإماتة البدعة :

1 ـ آن لنا أن نضع القلم ، ونختم ما أردناه من هذا الكتاب . وما خطر ببالنا ـ عندما بدأناه ـ أن يبلغ حجمه هذا المقدار ، ولكنا أحببنا أن نعطى صورة واضحة عن هذا الحادث الجلل الذى دبر فى تلك الظروف العسيرة لا ضد شخص ، ولكن ضد نهضة أمة استيقظت من نومها الطويل ، وأرادت أن تصلح أمور دينها ، ودنياها لتحى فوق الارض مثل غيرها من الامم .

فلا يعلم الا الله ماذا كان المآل لو حققوا غرضهم ، وتم لهم ما أرادوه . وظننا بالله وثقتنا فيه أنه كان سيهيء لها ظروف النهضة بشكل آخر وشخصيات أخرى ، فقد كانت الحركة الوطنية السياسية آنذاك 1926 م ، فى اختمار وتكون ، وان كانت خارج الوطن . والنهضة العربية والتربية والتعليم ، والاصلاح الدينى والاجتماعى ـ وذلك ما أداه العلماء ـ من ضروريات النجاح فى الحركة السياسية والثورة الحربية . وقد شاهد القراء أن وقوع هذه الحادثة فى تلك الظروف الحالكة كان من الاحداث الحاسمة التى أيقظت النائم ، ونبهت الغافل، واستنهضت الخامل، وفتحت الاعين وصححت الاحكام ، وعرفت الامة بمن يعمل لصالحها وايقاظها ويضحى من أجلها فأصغت لمقاله ، وتفهمته ، ووازنت بينه وبين غيره ، فالتفت حوله وأهملت غيره، فأسرع الحادث بالنهضة ، وكان ما أصاب ابن باديس فى بدنه من محنة شبيها بما أصاب العلماء الائمة قبله ، ومصداقا لقوله تعالى : « **ألـم أحسِبَ الناسُ ان يُتْرَكوا ان يقولوا آمنا وهم لا يُفْتَنون** » ، وقوله تعالى : « **ولنَبْلُوَنَّكم حتى نَعلَمَ**



الإمام المصلح الشيخ عبد الحميد بن باديس

المجاهدين منكم والصابرين » ولقد امتحن ـ من قبل ابن باديس ـ الأئمة الاربعة في أجسامهم : أبو حنيفة ، ومالك بن أنس ، والشافعي ، وأحمد ابن حنبل فما زادتهم المحنة ـ التي أصابت كل واحد منهم ـ الا ايمانا وصبرا وثباتا ، وصدقا ، وشهرة ورفعة بين الناس ، واحتراما من الاجيال ٠

والحق أن ابن باديس منذ هذا الحادث وشأنه في ارتفاع ، وأمره في اقبال وأمر خصومه في تول وادبار ، من ذلك الزمان ، وحتى الآن ٠

2 ـ قدمنا الكتاب للطبع ، وما فيه ترجمة للامام الرئيس عبد الحميد ابن باديس ، لان الكتاب كان ـ في حقيقة أمره ـ جزءا من حياة النهضة ، وحادثة واحدة من أحداث كثيرة ، كما لم يكن فيه تعريف بشخصيات لعبت أدوارا مهمة في حركته أثناء حياته أو من بعد مماته ٠

ولكن تبين لنا أن هذا سيكون نقصا فيه ، وما دام الكتاب قد طبع وحده، فهو وحدة كاملة ، ولا بد أن يعرف قارئه قدرا كافيا عن ابن باديس وحزب الاصلاح وبعض رجاله الذين أبلوا معه في ميادين الجهاد البلاء الحسن ، وهذا ما سنذكره في هذه الخاتمة وربما كان دون وثائق، لان الامر بها سيطول، ولكن المعلومات صحيحة مأخوذة من أفواه الثقات أو من المشاهدة والشهادة ٠

3 ـ أما عبد الحميد بن محمد المصطفى بن باديس فانه سليل عائلة ابن باديس الصنهاجية ، ينتسبون الى جدهم الاعلى المعز بن باديس بن المنصور ابن بلقين بن زيرى بن مناد بن منقوش ، أمير صنهاجة التلية عاصمتهم الاولى أشير ٠ والمعز أشهر ملوك الدولة الصنهاجية تولى الملك اثر وفاة أبيه ـ في حصار (قلعة بنى حماد) حيث ثار بها عمه حماد عام 406 ٠ وكانت عاصمة ملك المعز مدينة عقبة ابن نافع (القيروان) ودام المعز في ملكه خمسين سنة الى أن توفي رحمه الله سنة 456 هـ . والى هذا الملك الهمام يرجع الفضل في اقرار مذهب أهل السنة بمملكته ، وطرد بدع مذهب الشيعة الباطنية الاسماعيلية التى تركها العبيديون الفاطميون ببلادنا ـ كالقول بالامام المعصوم وبحلول الله في جسم الانسان ، وبتأليه الائمة ، وشتم الصحابة كأبى بكر وعمر وعائشة وغيرهم ، وكالزيادة في النداء للصلاة (الاذان) وتعذيب العلماء وجبرهم على قول البهتان ، واعتقاد الزيغ والضلال ٠ كل ذلك أبطله المعز

ابن باديس ، وقطع علائقه مع خلفاء الفاطميين بمصر ، وقد تألـه بعضهـــم كالحاكم بأمر الله ، وملأوا الدنيا فسادا وضلالات ولكن هذه القطيعة كلفته غاليا اذ أرسلوا على مملكته الاعراب ، وأقطعوهم مدنها وقرأها فتسبب مجيئهم فى ذهاب قوة دولته وخراب ملكه وبلاده وهيأها لغزوة النورمان الصليبيين الذين تغلبوا ـ فيما بعد ـ على صقلية واستولوا فعلا على بعض أجزاء افريقيا ومنها المهدية عاصمة الدولة نفسها ، وكانت صقلية تحت سيطرة الاســلام وتحكم من افريقيا وقد فتحت منها (1) .

4 ـ بعد زوال دولة الصنهاجيين ـ أواسط القرن السادس الهجرى ـ بذهاب دولتهم الزيرية بالمغرب الادنى ، والحمادية بالمغرب الاوسط ، واستيلاء دولة الموحدين على كامل المغرب مع جزء من الاندلس سكن فرع من آل ابن باديس مدينة قسنطينة احدى عواصم المغرب الاوسط وقد اشتهرت بجو ثقافى علمى منذ القديم .

وأقبل أبناء هذه العائلة على العلوم والمعارف ، واذا كان مجد الحكم والملك قد تنكر لهم ، فان العلم والثقافة والفكر سوق يقبل كل الناس ، واستعاضوا عن دولة الحكم بدولة العلم ، فالامارة فيه والسيادة أعظم غناء وأفضل عاقبة. واشتهرت هذه العائلة فى قسنطينة بالفضل والعلم والمشاركة فى الحياة ، الاجتماعية العامة ، وأمدت الادارة المحلية بأكفاء الرجال منذ القرن الثامـــن الهجرى ، فكان منهم العلماء ، والقضاة والمفاتى والاداريون ولا يمر بقسنطينة رحالة الا ويذكر بعضا من هؤلاء .

كذلك كانت أثناء العهد الحفصى ، ثم أثناء العهد العثمانى حتى نهايته . فلما جاء العهد الفرنسى كان منها بعض النواب فى المجالس التى ينتخبهـــا الشعب ، وقد قدم الشيخ ابن باديس ـ فى أحد اعداد الشهاب ـ عريضـــة للنائب السيد حميدة بن باديس ورفاقه فى مجلس نيابى يشكون من مظالم

(1) فتحت على يد أسد بن الفرات قاضى القيروان عام 213 هـ ، وكانت تابعة فى الحكم لوالى القيروان ، فلما انتقل العبيديون الى مصر نزعوها منه وجعلوها تابعة لهم رأسا ، فافتكها منهم النورمان عام 484 وصاروا يهاجمـــون دول المغرب منها ، واحتلوا المهدية حتى طردهم منها عبد المؤمن بن على ، عاشر المحرم عام 555 هـ .

أصابت الامة ويطلب وزملاؤه رفعها · كما كان من أشهر قضاة قسنطينة أثناء هذا العهد الشيخ المكى بن باديس ــ وهو جد عبد الحميد بن باديس ــ وله نوادر ما تزال مروية بقسنطينة ·

ويذكر الكولونيل بلبيدير ــ أحد أركان الادارة الفرنسية عن هذه العائلة الباديسية أنها كانت تمد الادارة بأعظم الرجال كفاءة أثناء الحكم الاسلامى ، فلما جاء العهد الفرنسى كان شأنها كذلك فى نبوغ أفراد منها فى الادارة ثم يقول : ولكن العجيب الغريب أن الضربة القاضية على سياسة فرنسا فى الجزائر ــ يعنى سياسة الاندماج ــ جاءت على يد أحد أبناء هذه العائلة ، وهو عبد الحميد بن باديس رئيس جمعية العلماء المسلمين الجزائريين ، جاء هذا فى تقرير سرى تركه بالولاية العامة واطلعت عليه سنة 1964 م ، عندما كان مدير مكتبتها صديقى الاستاذ محمود بن نينى ·

الفصل الثانى ــ عبد الحميد بن باديس وتكوينه :

5 ــ ولد عبد الحميد بن محمد مصطفى ابن الشيخ المكي بن باديس بمدينة قسنطينة فى الاسبوع الثانى من ربيع الآخر 1307 هـ ، الموافق يوم 4 ديسمبر 1889 م ، وأمه السيدة زهيرة بنت السيد على الاكحل بن جلول · وهى عائلة من أعظم العائلات النبيلة بالمدينة · وقرأ القرآن على الشيخ محمد ابن المداسى ، وتلقى المبادىء الاولى فى العلوم على مشائخ أشهرهم المربى الكبير الشيخ حمدان بن الونيسى ، وهو الذى رباه وحببه فى العلوم ووجهه الوجهة الصالحة قبل أن يهاجر الى المدينة(2)· والشيخ حمدان من تلاميذ الشيخ

---

(2) عالم من زعماء الحركة الاسلامية فى الجزائر ، هاجر الى الحجاز سنة 1908م واستقر بالمدينة المنورة يدرس بالمسجد النبوى ، على صاحبه الصلاة والسلام، الى ان التحق بجوار ربه عام 1920 م ــ أثنى عليه مفتى الديار المصرية الشيخ بخيت وقال عنه :ذلك الرجل العظيم ــ وقال عنه أستاذ الجيل فى مصر الاستاذ لطفى السيد لما أدى فريضة الحج عام 1911 م ، ما يلى :

... « أما نحن فقد كنا نغشى الوقت بعد الوقت درس الاستاذ الكبير الشيخ حمدان الونيسى مدرس الحديث والبيان بالحرم الشريف ··· » ·

(عن كتاب الهلال العدد 131 ــ شعبان 1381 هـ ــ فبراير 1962 م ، ص : 128 ــ 129 ــ وكتاب معجم اعلام الجزائر لعادل نويهض حرف الواو ، ص 346) · م· ع· بستانجى) ·

عبد القادر المجاوى الذى نزل بقسنطينة عام 1868 وارتحل عنها الى المدرسة الثعالبية عام 1896 وقد بنى نهضة وقد ترك تلاميذ كثيرا فى كامل الوطن أعظمهم قدرا الشيخ حمدان رحمهم الله ٠ وقد ولد المجاوى بتلمسان ، وطلب العلم بالمغرب قبل أن يحل بقسنطينة ٠ وكان أبوه محمد مصطفى بن باديس يشتغل بالفلاحة وبالتجارة ويحفظ القرآن ويحب أهله ، وكان يحب ولده حبا جما وهو الذى سهر على تربيته وكان الشيخ يبر به كثيرا ويحسن اليه ٠

6 ـ حاول عبد الحميد أن يلتحق باستاذه مهاجرا الى المدينة فمنعه أبوه، ثم أذن له أن يهاجر الى تونس فى طلب العلم ودخول جامعتها (جامع الزيتونة) فالتحق بها عام 1908 م ، وأخذ فيها عن كبار علمائها ، ومنهم قاضى الجماعة الشيخ محمد الصادق النيفر ـ الذى شارك من بعد مشاركة فعالة فى انشاء الحركة السياسية التى قادت تونس الى الاستقلال ـ وهى الحزب الحر الدستورى ـ والشيخ محمد الطاهر بن عاشور شيخ الاسلام ، وحامل لواء اصلاح التعليم بالجامعة الزيتونية من بعد ، وقد بلغ الزيتونيون فى عهده عشرات الآلاف وأسست له فروع فى الجزائر ٠ ومنهم الشيخ محمد النخلى القيروانى أحد رجال التفسير والاصلاح الدينى ، وأعظم مشائخ ابن باديس تأثيرا فى نفسه وحسن توجيهه نحو كتاب الله وفهمه ٠ والشيخ بلحسن النجار مفتى تونس ، ومن كبار علمائها النبغاء ٠ وأثناء دراسته بتونس جرت أحداث جسام ، وبدأت الاصطدامات بين الشعب التونسى وبين القوات الفرنسية الغاشمة ، وفى عام 1911 نزل الشعب الى الشوارع وسالت الدماء أنهارا ، ولابد لذلك أن يترك طابعه فى نفسيته الشابة ، ولذلك كانت أول مظاهرات شعبية فى الجزائر ـ وقعت فى أهم المدن الجزائرية من أجل اغلاق المساجد فى وجوه العلماء الاحرار ـ كانت بدعوة وقيادة العلماء عام 1934 م ، وكانوا فى طليعة المتظاهرين وحملوا على ذلك النواب ولعل هذا ما يعنيه المؤرخ الفرنسى الشهير شارل اندرى جوليان فى كتابه (افريقيا الشمالية تسير) اذ يقول : (العلماء هم الذين أيقظوا الرأى العام الاهلى الذى كان كمحكوم عليه بالاعدام فى بيت ينتظر التنفيذ) ٠

7 ـ أنهى عبد الحميد دراسته الجامعية بتونس عام 1912 م، (3) وعاد الى الجزائر ، وفى نفسه أن يكون فى الجزائر ما فى غيرها من الاقطار : بأن تكون لها معاهد علمية يجد فيها أبناؤها ما يرحلون لطلبه فى تونس أو المغــرب أو مصر ، وكان الاستعمار قد قضى على معاهدنا العلمية . وأن يكون لها حركة تضمن لها حسن مصيرها كجزء من أجزاء الامة العربية ، وكشعب من أمـــة الاسلام الكبرى . وبينما كان فى تونس ، سقط الخليفة العثمانى عبد الحميد الثانى ثم هاجمت ايطاليا الصليبية طرابلس الغرب ـ بكل وقاحة ـ وشرعت فى احتلالها ، وقد وجدت مقاومة عنيفة من أهلها شبيهة بمقاومة شعب الجزائر وفى سنة 12 تألبت دويلات البلقان ضد دولة الخلافة الاسلامية واقتطعت كثيرا من أطرافها ، وقال السياسى الانقليزى الحقود غلادستون (ما أخــذه الصليب من الهلال ، فلن يرجع الى الهلال) . وفى هذه السنة أيضا ـ عام 1912 م ـ سطت فرنسا على دولة المغرب وأجبرت سلطانه على امضاء معاهدة الحمايـــة .

ورغم كل هذه الهزات الرهيبة التى أصابت عالم الاسلام فانها لم تفت فى عضد ابن باديس أو تدخل اليأس على قلبه بل دفعته لبدء حركته مؤمنا بالله متوكلا عليه . وانتصب فى المسجد الكبير بقسنطينة للتعليم الذى كان يؤمن أنه الوسيلة القوية لبث الوعى فى الشعب ، وضمـان يقظتــه واستعداده الصحيح لاخذ حقه فى الحياة بيده وتحقيق رغباته ، وكان من شعاراته قول شوقى رحمه الله :

---

(3) نشرت جريدة « المشير » التونسية فى عددها الصادر فى 6 أوت 1911 م، اسم الطالب عبد الحميد بن محمد المصطفى بن باديس ضمن اسماء الطلبــة الزيتونيين الذين نالوا شهادة التطويع من الجامع الاعظم فى نهاية السنـــة الدراسية (1910 ـ 1911 م) وكان ترتيبه الاول بين جميع الطلبة الناجحين، كما كان الطالب الجزائرى الوحيد الذى تخرج من الزيتونة فى تلك الدورة . (كتاب النشاط العلمى والفكرى للمهاجرين الجزائريين ، ص 21) .
ويتبين من هذا أن ابن باديس مكث بتونس للتدريس بعد تخرجه ـ فكان يدرس ويدرس ؛ ومن تلاميذه الشيخ عبد السلام التونسى أحد كبار العلماء .

م. ع. بستانجى »

فعلم ما استطعت لعل جيلا سيأتي يحدث العجب العجابا

وأدركناه يقول : أما العجب فقد رأيناه ، ونحن ننتظر العجاب ! ولو عاش الى اليوم لرآه . (كان هذا البيت لشوقى مكتوبا بخط جزائرى كبير على كراريس تلاميذ مدرسة التربية) .

وكان يؤمن أننا يجب أن نعتمد على أنفسنا ونتوكل على الله . لكن الاستعمار لم يكن نائما عنه ، ولن يرضى عن حركة تكون خارجة عن مراقبته، لهذا سلط عليه مفتى قسنطينة الشيخ مولود بن الموهوب - ليمنعه من حرية القاء الدروس فى الجامع الكبير . ومع أن الشيخ ابن الموهوب - عفا الله عنه - كان مصلحا فى تفكيره ومنهاجه وكان ذا قدم راسخ فى الادب شعرا ونثرا - فانه لم يسعه الا تنفيذ تعاليم الادارة الاستعمارية . وذلك ضعف منه وقلة ايمان وثقة بالشعب ، فارسل اليه من أطفأ عليه الضوء ، فلما أصر الشيخ على القاء دروسه وأمر طلبته بان يصحبوا معهم الشموع فى اليوم التالى أرسل اليه أحد أتباعه (الحاج القريشى) فاغلق كتابه ، وأطبق دفتيه عليه . كما أخبرنى المرحوم السيد عمرو بن جيكو (4) .

8 - ومن جديد فكر فى الهجرة من الوطن نهائيا ، فاستأذن من أبيه أن يسافر الى الحج فى موسمه لسنة 1331 هـ ، الموافق 1913 م ، فاذن له . فغادر قسنطينة فى رحلة طويلة وفى المدينة المنورة لقى علماء عظاما ، منهم شيخه حمدان الونيسى الجزائرى ، والشيخ حسين أحمد الهندى وألقى دروسا أمامهم فى الحرم النبوى . كما لقى الشيخ الوزير التونسى ، ولقى أيضا علامة الجزائر وأديبها الشيخ محمد البشير الابراهيمى . وتذاكر معه كثيرا - كما قص الابراهيمى - فى مستقبل الجزائر .

وكان قد أبدى رغبته أمام الشيخ حسين أحمد المدنى الهندى فى البقاء بالمدينة ، فنصحه - لما توسم فيه - أن يعود الى وطنه قائلا : (أرجع الى وطنك

---

(4) من رجال الصناعة الكبار ، ومن المكونين لجمعية التربية والتعليم ، كان يصرف كثيرا من ماله فى المشاريع العامة وله مواقف محمودة أثناء الثورة يجد ثوابها عند الله الكريم ولد فى 6 ديسمبر 1900 م ، وتوفى رحمه الله فى 2 أوت 1982 م .

يا بني فامثالك هنا كثير يغنون عنك ويقومـــون مقامك ، ولكنهم في وطنك قليل ، وخدمة الاسلام هنالك أجدر بك وأنفع له من بقائك هنا) · ولما عزم على الرجوع أخبره شيخه أنه سيرخص له فى التدريس ، وأخذ عليه العهـــد الا يتولى الوظيف ولا يتخذ علمه سلما لاغراضه الدنيوية ـ فوفى بعهـــده وعرج ـ فى رجوعه ـ على مصر فلقى فى القاهرة مفتى الديار المصرية الشيخ محمد بخيت المطيعى فأجازه ، ثم لقى فى الاسكندرية كبير علمائها الشيـخ أبا الفضل الجيزاوى ـ الذى تولى من بعد منصب شيخ الجامع الازهر ـ فاجازه أيضا وكانت طريقة الاجازة هى المعمول بها ـ من قديم ـ فى العالم الاسلامى، وتجيز للمجاز أن يروى عن شيخه علومه ·

الفصـــل الثالـــث ـ الى العمـــل :

9 ـ بمجرد أن عاد الى مدينة قسنطينة فى ربيع سنة 1332 هـ (1914م) شرع فى التعليم بجد واجتهاد ونشاط · متطوعا لا يسأل على عمله أجرا من الناس ، ولا يقبله ·

فالدروس العامة ـ ومنها التفسير والحديث ـ كان يلقيها فى الجامـــع الاخضر وقد استطاع أبوه ـ الذى كان نائبا ـ أن يحصل له على رخصة مـن كاتب الولاية · ودروس الطلبة كان يلقى بعضها فى مسجد (سيدى قموش) ـ وهو مسجد لعائلته يوجدبوسط المدينة،وقد جدد بناؤه من بعد،عام 1924م ـ وكان يدعو هؤلاء الطلبة اليه ، ويسافر لاستجلابهم ـ كما قص علينا الشيخ الهادى السنوسى فى كتابه (شعراء الجزائر) بأنه زار بلادهم عام 1917 م ، لهذا الغرض ، أى بعد نحو عامين ونصف من شروعه · وكان يبث فيهم أفكار الاصلاح ،أما الصبيان ـ تلاميذ الكتاتيب القرآنية ـ فقد كان يلقى عليهـــم الدروس فى كتابين اثنين : الاول : كتاب (سيدى فتح الله) برحبة الصوف، والمعلم به القرآن الشيخ صالح الجنان من أحبائه ومريده ، وهو والد صديقنا الشيخ عبد الحفيظ صويلح الجنان(5) رحمهما الله أحد أركان الحركة الاصلاحية

(5) ولد ونشأ بقسنطينة وتلقى دراسته على ابن باديس ثم سافر الى الزيتونة لاتمامها فتوفى والده رحمه الله وترك له عائلة كبيرة فانقطع وخلفه فى التعليم· ثم حصل على وظيفة فى الجامع الاخضر وبسبب مواقفه الوطنية عزل من منصبه =

بقسنطينة ، والثانى : كتاب الزاوية القادرية (سيدى عبد المؤمن) بوسط المدينة القديمة · ولم يكن يعمل دون تخطيط ، بل خطط لاعلان الدعوة العامة وقدر لها 10 سنوات ·

كانت هذه الفترة من أخصب فترات حياة الشيخ ، وكانت مليئة باحداثها التاريخية الجسام ، فقد انتهت فيها الحرب العالمية الكبرى بانتصار الحلفاء واستسلام ألمانيا فى 11 نوفمبر 1918 م ، وانكسار الدولة العثمانية حليفتها· واذا كانت دول الاستعمار الكبرى قد خرجت منتصرة فان شخصية (ولسون) الرئيس الامريكى فرضت نفسها وقد زرع فى العالم مبادئه الاربعة عشرة ومنها حق الامم فى تقرير المصير ، ورأت فيها الشعوب الضعيفة بصيص النور· وانعقد مؤتمر السلام فى باريس (فى فرساى) وبعثت كثير من الشعوب مندوبين عنها لعلهم يستطيعون أن يحصلوا لشعوبهم ـ من الذئاب ـ شيئا من الحرية أو السلام ، ولكن كانت الخيبة نصيب الجميع ، ورجعت أمريكا الى قارتها وعادت الى عزلتها ولكن الشعوب لم تخلد الى اليأس وبدأت تعمل لتحرير بلادها ، وافتكاك حقوقها على طريقتها،ومنها الشعب الجزائرى ·

10 ـ فى أثناء هذه الفترة تأسست جريدة النجاح بقسنطينة ـ أسسها أحد المتخرجين من الزيتونة (الشيخ عبد الحفيظ بن الهاشمى) عام 1919 م ، وتولى رئاسة تحريرها أحد تلاميذ الشيخ ، السيد اسماعيل مامى من عائلة ابن عبدى الشهيرة ، والمتصلة بالصهر بعائلة ابن باديس ، وأخذ الشيخ ينشر فيها مقالاته بامضائه الصريح أو بامضاء رمزى (العبسى) والعبسى نسبة البطل العصامي عنترة بن شداد ، ثم هو من الحروف الاولى لاسم ولقب عبد الحميد ابن باديس وكانت النجاح ـ أولا ـ ذات نزعة وطنية ، ولكنها لم تثبت أمام الترغيب والترهيب كثيرا ، فارتمت فى أحضان الاستعمار وتمونت من الصندوق الاسود ، وصارت تبوح باسرار كتابها ، ثم صارت تهاجم كل حركة اصلاحية وطنية ، ولم تفلت من خصومتها جمعية العلماء من بعد،ولا كتاب

= عام 1938 م ، ثم أخرج من كتاب سيدى فتح الله وبرخصته ـ فى تعليم القرآن ـ احتمت جمعية التربية تلك السنة وتولى ادارتها ثم ، تولى مراقبا فى معهد ابن باديس ، ثم توفى رحمه الله بعيد الاستقلال وكان خطيب الجمعة فى جامع صالح باى حتى وفاته فى 8 أوت 1963 م ، رحمه الله ·

النهضة العربية الاسلامية ـ واختنقت هذه الجريدة عام 1957 م ، لكنها ـ والحق يقال ـ لم تهاجم الثورة ٠ بل اختنقت بحرمانها معاونة الصندوق الاسود بعد امتناعها من مهاجمة الثورة ٠

وفى هذه الحقبة أيضا عاد من الحجاز قطبان من أقطاب الحركة الاصلاحية هما : الشيخ الطيب العقبى الذى عاد سنة 1920 م ، والشيخ محمد البشير الابراهيمى ، وكلاهما هاجر مع عائلته الى الحجاز فرارا من التجنيد الاجبارى واستقرا بالمدينة المنورة حيث أتما دراستهما وتأثرا بافكار الاصلاح٠ وتسلحا بسلاح مقاومة الجمود والركود ، وشاركا فى النهضة والدعوة الى اليقظة والاستعداد ٠ وكلاهما كاتب شاعر خطيب داعية ، فكانت عودتهما ربحا عظيما للنهضة،واستقر العقبى بمدينة بسكرة يعظ ويرشد العامة ويلقى الدروس على الخاصة ، واستقر الابراهيمى بولاية سطيف ـ وكان يتردد بين الجزائر وبين تونس ويخف الى مجالسه حيثما كان ـ فحول الادباء والمفكرين والعلماء والكتاب والشعراء فيجدون عنده ما يغذيهم وينعش أرواحهم ، ويبهج نفوسهم؛فقد كان الابراهيمى العالم المحدث ، والاديب المنتج ، والكاتب المفكر والشاعر المبدع ، والخطيب المصقع ، والمحدث اللبق والوطنى الاسلامى المتحمس بل المتطرف مع فكر وروية واخلاص ، وسعة صدر هى مضرب المثل فكان يأتى داره ـ فى رأس الوادى ـ ولاية سطيف من ذكر من سائر أنحاء الجزائر وحتى من تونس ـ وممن كان يزوره بانتظام صديقه ابن باديس ٠

الفصل الرابع ـ أجمعية الإخاء أم جمعية العلماء ؟

11 ـ فى عام 1924 م ، تمت المدة التى حددها ابن باديس لاعلانه الدعوة العامة ، وفى رحلة من رحلاته الى رأس الوادى لقى الابراهيمى ـ أو فى سطيف ـ فحدثه بمشروعه وهو أنه يريد أن يؤسس جمعية تحت اسم (جمعية الاخاء العلمى) تتكون أولا من علماء قسنطينة (6)، وحدثه عن أغراضها،

---

(6) كان يوجد ـ آنذاك ـ منهم : الشيخ مولود بن الموهوب والشيخ الطاهر ابن زقوطة ، والشيخ الزواوى بن الشيخ الفقون والشيخ أحمد مرازقة (الحبيباتنى) والشيخ البوعونى . والشيخ يحى الدراجي ، والشيخ ابن المطماطية ٠

وطلب منه أن يضع لها قانونا أساسيا فاستجاب الابراهيمى للدعوة ووضع القانون ، وعرضه عليه فأقره واتفقا عليه ولكن التجربة باءت بالشل ، لان أغلب العلماء ـ ان لم يكونوا كلهم ـ مرتبطون بالوظيف ، قليلو الثقة بالعامة، والاقبال على عمل الجماعة ٠

فاقتنع ابن باديس بوجوب التمهيد لمثل هذه المؤسسة بواسطة صحافة حرة وطنية وفكر فى وسيلة تضمن لها البقاء والحرية والاستقرار ، فكون أولا مطبعة جزائرية اسلامية وأعضاؤها من تلامذته النابهين المخلصين يعملون فيها بأنفسهم ، وكان أعضاء المطبعة الجزائرية الاسلامية هم عبد الحميد بن باديس، وأحمد بوشمال ، وخليل (الزواوى) بلقشى واسماعيــل الصحــراوى ، وعبد الحفيظ الجنان ، ثم انسحب هذا الاخير لضيق ذات يده ، وقام بهــا الآخرون ٠ وقد بلغنى أن الشيخ رحمه الله قد استعان بذهب زوجته وابنة عمه تبرعت به عليه لانه لم يكن ثريا ، وقدمته له عن طيبة نفس وايمــان بعظمة مقاصده ٠

وبعد أن ضمن لصحافته المطبعة ـ حتى يأمن الضغط عليها ـ أصــدر صحافته الاولى فالشيخ يعتبر من مؤسسى الصحافة والطباعة العربية الوطنية فى الجزائـر ٠

وكانت الصحيفة الاولى (المنتقد) برز العدد الاول منها يوم عيد الاضحى من عام 1343 هـ ، الموافق 11 جويلية 1925 م ، وكانت فتحــا جديــدا فى الصحافة العربية فى سلامة العقيدة ، واسلامية المنهج وفصاحة التعبير وفى الوطنيــة الصادقــة ٠ وقــد جعلت شعارها (الحق فوق كل أحد والوطن قبل كل شىء) ٠

وقد عاهدت أمتها على خدمتها فى الاصلاح الدينى والدنيوى « السياسى » ولكن السلطة الاستعمارية لم ترض عن لهجة (المنتقد) التى أخذت تهدم قلاع الجمود والتحجر والجحود وتعلن الدعوة الى الحق ونيله والوصول اليــه ، فاصدرت أمرها باغلاقها بعد بروز 18 عددا منها ، وصدرت اثرها (الشهاب) فخلفتها بسرعة ، واحتضنت مباديها وأفكارها ، وافسحت صفحاتها لاقلام كتابها ٠ فى المبدأ الدينى أعلنت الجريدتان أنه (لا يصلح آخر هذه الامــة

الا بما صلح به أولها) وفى المبدأ الدنيوى أن (الحق والعدل والمؤاخاة فى اعطاء جميع الحقوق للذين قاموا بجميع الواجبات) ·

ولم يصلح أول هذه الامة الا بتمسكهم بكتاب الله وسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم فلا يصلح آخرها الا بذلك ، لهذا يجب التمسك بهما ، كما يجب اعلان الحرب على الدجل والخرافات والبدع والضلالات ، وتنبيه الامة الى الاخطار التى تهددها مما يروجه بعض أصحاب الطرق والزوايا فى اتباعهم، ومن شر هذه البدع نشر أفكار الباطنية التى منها دعوة الحلول ووحدة الوجود. وكان شيخ العليوية هو فارس دعوة وحدة الوجود قد أصدر ديوانه منذ 1920 وقد احتوى على ضلالات وكفريات فهاجمه كتاب المنتقد والشهاب وكشفوا خطره ورد ابن باديس على (شطحة) منه آذى فيها رسول الله (ص) وهى موضوع رسالة : « جواب سؤال عن سوء مقال » فاعتبروا ابن اباديس مسؤولا عن كشف (الشيخ) وأرسلوا اليه من حاول الفتك به فى 14 ديسمبر 1926م، فنجا من كيدهم-·

وفى المبدأ الدنيوى كتب الشهاب على نفسه والمنتقد قبله أن يعلنا أن من حق الشعب الجزائرى أن ينال جميع الحقوق التى يتمتع بها جميع الساكنين بالجزائر وما داموا قد اشتركوا فى القيام بجميع الواجبات ، فليس من الحق أن يطلب منهم التنازل عن مقومات شخصيتهم من دين ، ولغة ، وجنسية لينالوا حقوقهم · لهذا رفضت الشهاب فكرة الاندماج ، وقالت فيها ما قاله مالك فى الخمر ، وهاجمتها وهاجمت أصحابها مهاجمة شديدة ، وعدت الاندماج هو الموت الحقيقى، وفضلت الحياة مع الجمود والخرافة والتأخر والانحطاط ــ على حياة راقية مع الاندماج اذا كان لابد من التخيير بينهما لان الاندماج ميتة شاذة. فالشهاب ــ وصاحبها ابن باديس ، وحزب الاصلاح أول من هاجم فكرة الاندماج الجزئى كما جاء به برنامج فيوليت ثم بلوم ــ فيوليت ــ أو الكلى كما دعا اليه آخرون فى الثلاثينات ، ورد عليهم بالكلمة الصريحة ، **وكل هذا وقع قبل مجيء الحركة الوطنية السياسية الى الوطن وانتصابها للعمل به ·**

12 ــ فى عام 1349 هـ ، الموافق 1931 م ، تم ما عسر مثله عام 1924 م ، فتأسست جمعية العلماء المسلمين الجزائريين ، ذلك أن فرنسا احتفلت فى

1930 م ، بمرور قرن على احتلالها الجزائر ، ورأى الشعب من مظاهر التحدى والهوان والاستفزاز والاذلال أشياء كثيرة ، وقبل التحدى وتوجه نحو المقاومة واتخاذ الموقف الذى يغيظ الكفار ، وكانت الدعوة لتأسيس الجمعية مستمرة وخصوصا فى مجلة الشهاب • وتأسست لجنة تحضيرية ، ووجهت الدعوة الى كثير ممن يصدق عليهم لقب عالم فى عرف الجزائريين، فاجتمعوا يوم 17 ذو الحجة عام 1349 هـ ، الموافق 5 مايو 1931 م ، واجمعوا على تأسيس جمعية تحت اسم (جمعية العلماء المسلمين الجزائريين) كما أجمعوا على انتخاب الشيخ عبد الحميد ابن باديس رئيسا لها • وقد وضعوا لها القانون الاساسى وصادقوا عليه وجاء نصه على مقتضى قانون الجمعيات غير السياسية ، ونص فيه على أن الجمعية لا تشتغل بالسياسة وذلك شرط فى الترخيص لها بالوجود • وحتى لا يصدق عليها ما يشترط فى تأسيس الاحزاب السياسية •

وكان يوم انتخابه للرئاسة غائبا بمدينة قسنطينة وقد حدثنى الشيخ محمد خير الدين أنه لم يحضر الاجتماع من أوله بتواطؤ معه وتدبير الجماعة حتى يمر الحادث بسلام لانه لو حضر من أول الامر لتنبهت الى خطورة الجمعية بعض الدوائر ، وصنعت المكائد لعدم اتمامه فكان من التدبير الحكيم لنجاح المشروع الا يحضر الا بعد أن يتم التأسيس ، وكان فى المجلس الاول بعض من ترضى عنهم هذه الدوائر • ويمكن أن تعتمد عليهم •

ويؤيد هذا أنه بعد سنة من ذلك ــ حاولوه ــ بكل مساومة بالترغيب وبالترهيب أن يتخلى عن رئاسة الجمعية أو يعتزل التدريس، وليختر واحدة منهما فقط ، ويقال أنهم ضغطوا على أبيه الذى كان فى أزمة خانقة ووسطوه للضغط على ابنه، فأبى أن يصنع واحدة منهما ، فابتدأوا فى الضغط الشديد على الجمعية ولكن لم يجدهم نفعا • وسارت القافلة والكلاب فى نباح مستمر •

13 ــ حاولوا أن يستولوا عليها ليحولوها الى (بــردعة) من برادعهم أو ينفضوا عليها، وتواطأ معهم الامى عمر(7) اسماعيل الذى حشر نفسه فى اعضائها

---

(7) كان من أثرياء العاصمة ، فزين له غروره أن يكون فى « طليعة الاعيان ، وتظاهر بالاحسان ، ورصد جائزة بألف فرنك لمن يوفق لتأسيس جمعيــة للعلماء ، فلما تأسست فرض نفسه رئيسا للجنة الدائمة واستدعى للاجتماع م• ميرانت عدو المسلمين اللدود• ثم طرد من الجمعية فى الظروف التى بيناها•

مع العليويين وشيخهم فتفطن الجماعة لغرضهم ، وفوتوا عليهم الامر وسلمت الجمعية فأسسوا لها (جمعية علماء السنة) واشتعلت الحرب بين الفريقين ، عنيفة ، ودامت نحـو سنتين ثم اختفت هذه الجمعية من الوجود ، فابتدات الحرب سافرة بين الادارة الاستعمارية وبين نشاط الجمعية والعلماء الاحرار ، وكانت الادارة من قبل تعمل من وراء الستار ٠

منع الشيخ العقبى من التدريس بالجامع الكبير مـن طرف والى الولاية ، وأرسلت التعليمات الى سائر الولاة ورؤساء الدوائر لمنع العلماء من المساجد ومن المعلوم أن المساجد كان بعضها تحت تصرف الحكومة الفرنسية (مـــع أنها حكومة لائكية لا حـــق لها فى التدخـل فى شـؤون الديانة المسيحية ، ولا اليهودية ولكنها احتفظت بحق التدخـل فى شؤون الديانـة الاسلامية ، واستولت على أوقافها لتعمر المساجد بمن تريده لا بمن يعمرها عمارة يحبها الله ورسوله) وبعضها تحت تصرف الطرقيين ـ وهى الزوايا الخاصة بكـل طريقة ، وأغلبها تعادى الحركة الاصلاحية اما للخصومة العنيفة كالعليوية ، واما لانها لا تستطيع أن تعاكس رغائب الادارة الاستعمارية ٠

لكن هذا التصرف الاخرق ـ الذى أريد بـــه خنـق الحركة الاصلاحية الوطنية جاء بعكس ما يريدون ، وكان له رد فعل سريع له مظهران :

الاول : قيام مظاهرات الاحتجاج فى كل أنحاء القطر من أقصى الشـرق الى أقصى الغرب ، ولاول مرة ينزل الشعب الى الشارع ويعاكس ـ بمظاهرات عامـة ـ قرارا تعسفيا . وكان هذا المظهر أكبر علامة على يقظة الرأى العام ، كان ذلك عام 33 ـ 1934 م ٠

الثانى : ان الشعب أخـذ يؤسس ـ بماله الخاص ـ المساجـد الحـرة ، الخارجة عن مراقبة الحكومة ، والمتحررة من بدع رجال الزوايا ، ويعمر هذه المساجد بالعلماء الاحرار المصلحين ، وعمت هذه الحركة الشعب ، وتعـــود عليها ، وحتى بعد الاستقلال استمر على هذه العادة ، وأسس كثيرا من المساجد وربما استقل شخص واحد بتأسيس جامع عظيم ٠ ولم ـ يقتصر ـ بارشـــاد العلماء وقيادتهم ـ عـلى تأسيس المساجد بـل سبق ذلك بتأسيس المدارس والنـــوادى ٠

اما المدارس فكانت لتعليم الصغار مبادىء الدين واللغة والاخلاق والمبادىء الوطنية ، وكانت هذه المدارس تستقبل ثلاثة أفواج :

الاول : التلاميذ الذين لا مكان لهم فى المدارس الفرنسية ، ولهم حصص كاملة صباحا ومساء وتستغرق الدراسة ـ على الاقل ـ خمس ساعات ٠

الثانى : من التلاميذ الذين يقرأون فى المكاتب الفرنسية يقرأون العربية ساعة ـ فى المساء بعد خروجهم من مدارسهم ٠

الثالث : من الشبان والكهول وحتى الشيوخ لرفع الامية وتعليم المبادىء الدينية والاخلاقية والوطنية ٠

وبجانب المساجد والمدارس نبتت النوادى التى يجتمع فيها الشباب والكبار بعيدا عن جو الحانات والمقاهى ، وكانت هذه النوادى ذات نفع كبير لانها كانت تستقبل طوائف العمال والشباب من الذين لا يتيسر لهم ارتياد المساجد فانتشرت الدعوة بينهم وانتشلوا مما كان يتهددهم ، واعتنقوا المبادىء الوطنية وعمرت بهم المساجد الحرة ٠

فكان من المقاومة الشديدة للحركة الاصلاحية الوطنية المنع من انشاء المدارس الجديدة ومحاولة غلق المدارس القديمة ، ومنع العلماء من التدريس بالمساجد والزوايا . وغلق النوادى اما باغلاقها من أول مرة ، واما بمنعها من بيع المشروبات الحلال الا برخصة خاصة ـ مثل الرخصة التى تفرض على المقاهى العربية ، وهى رخصة لا تعطى الا لقدماء المحاربين المعطوبين أو الذين تنكروا لامتهم ودينهم ، ثم هى خاضعة لقانون (المقاهى العربية) وكانوا يشترطون فيمن تعطى لهم رخصة فتحها ان يكون (متعاونا) مع شرطة المخابرات العامة ـ مراقبا لزبائنه ٠ ومن هذه المقاومة الشديدة منع جرائد العلماء من الصدور ، عطلو جريدة (السنة) لسان حال الجمعية فاخرجت (الشريعة) فعطلوها أيضا ، فاخرجت جريدة (الصراط السوى) فعطلوها ، ونصوا على ان هذا التعطيل سار على كل جريدة تصدرها الجمعية مستقبلا ، معللين ذلك بانها تصدر بلغة عربية واللغة العربية لغة أجنبية فلا يصح ان تصدر بها جريدة الا برخصة مسبقة !

هذه المناورات والاضطهادات لم تجدهم نفعا ، ولم تـزد الامـة الا يقظة ومحادة لهم ، وتحديا لارادة المستعمرين واعوانهم ٠

الفصل الخامس : القضاء على سياسة الاندماج

14 ــ ان **الحــركة الاصلاحية كانت أعظـم مظاهــر الحركة الوطنية فى الجــزائر** ، **والناطقة باسمها** ، ذلك **أن الحركة الوطنية السياسية (نجــم شمال افريقيا) كانت غائبة خارج الوطن** ، ممنوعة فيه ، سرية حتى فى فرنسا لا تصل منها الا جريدتها الامة أو بعض منشوراتها باللسان الفرنسى سرا ، فكانت **كلمتها خافتة أو مجهولة فى الوسط** الا للقليل من الناس، وبقى أمرها هكذا الى انتصار الواجهة الشعبية فى فرنسا ــ وكان النجم من أعضائها ــ ثم سمح لها بدخول الوطن ومباشرة نشاطها فيه ذلك أثناء 1936 م وبالضبط أثناء الصيف من شهورها فى شهر جوان ٠

من أجل هذا كانت **الحركة الاصلاحية هى حاملة لواء العروبة والاسلام والوطنية فى الجزائر** والمقـاوم الشديد لحـركة الاندماج ٠ وكانت صبغتها قومية علمية عملية أكثر منها نظرية سياسية ، وكانت الظروف لا تسمح لها بمباشرة السياسة علنا كما هو الحق لحزب سياسى ٠ خوفا على منشآتها ان تعطل تماما ومع ذلك لم تسلم ٠

الاندمـاج قبـر لا نشـور بعـده

لكنها كانت تقاوم ــ بضراوة ــ فكرة الاندماج ، وقد جاءتها من قبل الدين حتى يكون ذلك أبلغ وأعظم تأثيرا . وقد أعلنت ان الاندماج موت لا نشور بعده٠

ففى العدد 152 مـن الشهاب الصادر فى 21 جوان عام 1928 م صدرت كلمة فى الشهاب من قلم الشيخ مبارك الميلى جاء فيها (**سياسة الاندماج هى القبر الذى لا نشر بعده**) وجاء فيه (**أن سياسة الاندماج بعيدة فى نفسها ، بعيدة من الامة واخلاقها وعقائدها . فهى سياسة عقيمة ، والمتنصر لها غـير حكيـــم**) ٠

وقوله (**ان البقاء على الحالة التى نحن عليها ــ ونحن متفقون على مقتها ــ خير عندى من الاندماج لان حياة منحطة خير من ميتة شاذة عن ميتة الأمم**) اهـ

وقـد أصدر العلماء فتوى شرعية وطنية فى ردة المتجنس وخروجه مـن الاسلام ، فكانت ضربة قاضية عـلى سياسة الاندماج ، لان الامـة أصبحت لا تقبل مـن يتجنس فى معاملة معه فى حياته كالتزوج منه والتزويج اليه ، ولا تقبل أن يعامل بعد موته معاملة المسلم فلا تسمح بدفنه فى مقبرة المسلمين فان دفن غصبا نبش قبره وطرحت ـ فى العراء ـ جيفته ٠

الكلمة الصريحة عام 1936 م : ان الجزائر ليست فرنسا

ثم أعلن ابن باديس كلمته الصريحة التى صدرت فى الشهاب بتاريخ افريل عام 1936 م ، فكانت كلمة وطنية خالصة ، وهى بنت الحركة الاصلاحية ، لانها صدرت قبل نزول الحركة الوطنية السياسية بالجزائر فى جوان 1936م ٠

وكانت هذه الكلمة بداية تاريخ جديد فى حياة الجزائر وسياستها ، اذ كانت رفضا عنيفا لسياسة الاندماج التى أعلن تساهله معها ــ عن حسن نية ــ بعض الساسة ٠ قال ابن باديس : (**ان هذه الامة الاسلامية الجزائرية ليست هى فرنسا ، ولا يمكن أن تكـون فرنسا ، ولا تـريد أن تصير فرنسا ، ولا تستطيع أن تصير فرنسا ولو أرادت ، لكنها أمة بعيدة كل البعد فى لغتها وفى اخلاقها وفى عنصرها وفى دينها لا تريد أن تندمج ولها وطن محدود معين من قبل الدولة الفرنسية**) اهـ (افريل 1936) ٠

وقد انزعجت من هذه الكلمة كل الدوائر من المستعمرين أو من السياسيين المتفرنسين ، واستبشر بها كـل الوطنيين وتنبه بها مـن كانوا مخطئين فى وجهتهم فعادوا الى الصواب ، فلما حلت الحركة الوطنية بالجزائر بعد هذا التاريخ بقليل ، كان من الواجب أن تتآلف الحركتان وتتحالفا ، ولكن ذلك لم يتم تماما بـين الطرفين ، فقد كان العلماء فى محنة اغتيال المفتى والاتهام بجريمته ، ثم اعتقل بعد قليل زعماء حزب الشعب ، وعذبوا ، والحقيقة أنهما الحركة الوطنية والحركة الاصلاحية متكاملتان ، لا تستغنى احداهما عـن الاخرى ــ ولم يطل الزمن بابن باديس أن لحق بربه بعد ثلاث سنوات ٠

تهمة باطلة ومحاولة فاشلة

هذه هى الحقيقة ، ولكن بعض من يتطفل على التاريخ ويكتبه ــ وهو من غير أهله ــ بلغ بــه الخطل والجراءة عليــه الى أن ينسب الى العلماء أنهم من مؤيدى برنامج م٠ فيوليت الذى فحواه ادماج الامة الجزائرية فى فرنسا ادماجا بطيئا فى أطوار ٠ وكان عليه ان يتبين ليكون حكمه عن بصيرة ٠

وبرهان بطلان هذه التهمة أن ابن باديس بنفسه فندها بقلمه ــ وذلك فى سنة 1936م عندما أصبح م٠ فيوليت وزيرا ــ فى الشهاب وصرح بقــوله : **(كنا نقاوم بروجى الرجل العظيم الذى لاننسى فضله ــ م٠ فيوليت لما فيه من عدم التسوية لا بين الجزائريين والفرنسيين ، ولا بين طبقات الجزائريين أنفسهم ، وما فيه من تهيئة الطبقة المثقفة للاندماج من السكوت التام عن الدين واللغة ــ قاومناه أيام كان الناس كلهم متمسكين به ، لما كان مخالفا لمبدئنا فى المساواة فى الحقوق والمحافظة على المقومات الذاتية ٠٠٠ ثم ثبتنا على تلك المقاومة لأننا نعرف أننا بمبدئنا نعبر عــن عقيدة جمهور الامة ونعرب عــن احساسها) اهـ ٠**

فالمشتغلون بالسياسة على الساحة الجزائرية وفى أرض الوطن كلهـــم قبلوه ورضوا به ، وليس فيهم ــ طبعا ــ الحركة الوطنية (نجم شمال افريقيا) لانها كانت ما تزال فى فرنسا ــ أو أوائل 1936م ــ ولكن الشهاب وحزبه من العلماء رفضوه لانــه خطر عــلى القومية الجزائرية ويفتح بــاب الاندماج ، والجماهير مع رأى العلماء وهم الذين يتكلمون باسمهم ٠

فهذا التصريح مــن ابن باديس يصفع كل من يدعى أنــه كان أو كانت جمعية العلماء من مؤيدى برنامج فيوليت راضية بسياسة الاندماج ، ويمكن أن يجد هذا التصريح كل من يريد أن يطلع عليه منقولا عن الشهاب فى الجزء الثالث من كتاب الدكتور عمار طالبى ، الصفحة 319 ــ 320 ، وكان العمــل لرده من أسباب الدعوة الى عقد المؤتمر الاسلامى الذى أسقط هذا البرنامج تماما ، واستبدل غيره بــه كما أعلــن عنــه الشهاب فى نفس المقــال فوضع برنامج من المسلمين فى المؤتمر ، وأعرض عنه وعن غيره ٠

من الذين كانوا يتهمون العلماء بمصادقتهم على برنامج فيوليت ؟

والغريب فى الامر أن الذين كانوا يتهمون العلماء بالمصادقة على برنامج م· فيوليت ، انما هم طائفة من المتجنسين ، فقد جاء ذلك فى الشهاب (ج 11) من المجلد 9 والصادر فى أكتوبر 1933 · ان (م· الزناتى) رئيس المتجنسين بقسنطينة ، وصاحب جريدة (الصوت الاهلى) اتهم ابن باديس وحده بمضادة برنامج فيوليت واتهم العلماء بان سائرهم صادقوا على هذا البرنامج · والزناتى عدو لدود للعلماء وخصوصا لرئيسهم ابن باديس ، وقد شتمه شتما قبيحا من أجل كلمته الصريحة لانها قبرت سياسة الاندماج ، وقد رد الشهاب على تهمته ونقل كلمة كانت قد صدرت من الشهاب ، ونشرت فى عدد جويلية 1933 م ، وجاء فيها الحكم بردة المتجنس ·

قال الشهاب :

(مشروع السيناتور فيوليت ليس بالمشروع الغريب عند قراء الشهاب ، فقد كنا تحدثنا عنه لقرائنا عندما أعلن به صاحبه وذكرنا أهم ما احتوى عليه مثل ادخال الطبقات الاهلية المتنورة فى دائرة الانتخابات الفرنسية لمجلسى الشيوخ والامة ، وتعميم الجنسية الفرنسية على كل الطبقات والمتوظفين وحاملى الشهادات العلمية واضرابهم بحيث يكون الجميع فرنسيين يتمتعون بسائر الحقوق ، وينمو عددهم بالتدريج شيئا فشيئا الى أن تتكون منهم قوة فى البلاد ذات بال) ثم يقول ابن باديس (**قد تقرر من مختلف النصوص الشرعية والاحكام الفقهية أن المتجنس بجنسية أجنبية يعد مرتدا عن الاسلام لقبوله طوعا واختيارا الخروج عن بعض أحكام القرآن ···**) ·

ثم يقول عن دعوى الزناتى أن العلماء موافقون على هذا البرنامج : (أما آخر ما ابتكره م· زناتى فهو ادعاؤه باطلا **بان سائر أعضاء جمعية العلماء المسلمين** قد **صادقوا على ما فى برنامج فيوليت** فمتى كانت جمعية العلماء ـ جمعية سياسية حتى تتفاوض فى البرامج السياسية وتصادق عليها باجماع الآراء ؟

ومتى تمت هذه المصادقة ؟ ومن هم سائر الاعضاء الذين صادقوا ؟

(ولجمعية العلماء المسلمين اجتماعاتها الرسمية ، ولها صحيفتها الخاصة

باسمها ، ففى أى اجتماع وفى أى صحيفة رأى زناتى أن سائر أعضاء جمعية **العلماء المسلمين قد صادقوا على ما فى برنامج فيوليت** ؟ اهـ والاسئلة التى ألقاها ابن باديس على هذا المتجنس المرتد ما تزال مطروحة على كل متخرص ٠

فهؤلاء هم الذين اتهموا ـ بالامس جمعية العلماء ـ بانها ايدت هذا البرنامج ، ومع ذلك هاجموا ابن باديس لانه حاربه ٠

أما الذين يتهمونهم اليوم ، ويندفعون لالصاق الباطل بهم فانهم يحسبون **أنفسهم مؤرخين ووطنيين ٠ ومنهم طائفة لا نشك فى صدق وطنيتهم واخلاصهم** ، ولكن ضللتهم الدعاية ـ وهم يسوؤهم أن يحشر العلماء ـ **كرجال خدموا أمتهم ـ فى طائفة الاندماج** لهؤلاء ننشر هذا البيان ، ولكن لا عذر لمن هو عند نفسه **وعند (جامعته) مختص فى تاريخ الحركة السياسية** والعصر الحاضر ، فانه قصور أو جهل فاضح وغرض واضح ٠ واقرارهم لمثل هذا يصحح اتهامهم بانهم لا يحسنون الدراسة ، ولا يستحقون حمل لقب الامانة التاريخية ، ولو **جلسوا على كراسى فى الجامعات** ! وكان ذلك أقل ما يجب عليهم حتى لا يضللوا الاجيال القادمة أو يصيبوا قوما بجهالة ، واذا أصروا على مهاجمة الاموات الابرياء فسيسلط عليهم من يعاملهم بالمثل ٠

الفصل السادس : اعلان اليأس من سياسة فرنسا

15 ـ خابت كل الامال التى علقت على حكومة الواجهة الشعبية واستمرت فرنسا فى سياستها المعادية للعرب والمسلمين فى كل البلاد التى تحتلها ، وحلت حزب (نجم شمال افريقيا) ثم حزب الشعب (8) الجزائرى الذى خلفه ، وزجت بزعمائه فى السجون عام 1937 ، وأخذت تلقى على المناضلين القبض وتسوقهم الى العذاب وصنعت مثل ذلك فى تونس ، فأخذت تقمع المظاهرات

---

(8) تأسس حزب الشعب فى 11 مارس 1937 م ٠ واعتقل زعماؤه فى شهر أوت 1937 بتهمة اعادة هيئة منحلة ، ومنذ ذلك الحين عادت الحركة الوطنية الى السرية كما كانت الى ان تأسست حركة انتصار الحريات الديمقراطية ٠

م٠ ع٠ بستانجى »

بكل عنف وتزج بالزعماء فى السجون والمعتقلات ، ثم تنكرت للمعاهدة التى كانت قد عقدتها مع سوريا ، كما فعلت انقليترا مع مصر ـ ورجعت الى الحكم المبـاشر ٠

ـ وقد استعرض ابن باديس هذه التحولات فى سياسة فرنسا وتابــع تطوراتها فى اعداد متوالية ٠ ومنها ما جاء فى عدد رمضان 1356 هـ نوفمبر 1937 م فى « كلمات صريحة » عن قلق الساسة الفرنسيين ، وبحثهم عن الداء واقتراح الدواء وقال : « ٠٠٠ وأما العلاج فقد كادت كلمة القوم تتفق على انه الضغط والارهاق واستعمال القوة والشدة » وماذا نقول نحن فى هذا العلاج ؟

نقول بالصدق والصراحة اللذين تعرفهما منا الدوائر الحكومية ، انــه علاج قد يسكن الشعب شيئا ما حينا ما ، ولكنه يزرع فى القلوب **بغضا وحقدا ويمـلأ الصدور ثورة وحماسا** وما مآل ذلك ـ بطبيعة الامتلاء وطول الزمن ـ الا الانفجار ولا يدرى الا الله على من تكون عواقب ذلك الانفجار ٠٠٠ » اهـ

وأكد فى هذه الكلمات الصريحة ما جاء فى اختها التى اعلنها منذ ابريل 1936 م من (ان هذه الامة الجزائرية الاسلامية ليست هى فرنسا ولا يمكن ان تكون فرنسا ولا تستطيع أن تصير فرنسا ولو أرادت بل هى أمة بعيدة عن فرنسا كــل البعد فى لغتها وفى اخلاقها وفى عنصرها وفى دينها لا تريد ان تندمج ولها وطن محدود معين هو الوطن الجزائرى بحدوده الحالية المعروفة والذى يشرف على ادارته السيد الوالى العام المعين من قبل الدولة الفرنسية) اهـ أى انه يشمل أرض الصحراء كلها فهى قطعة من الجزائر باعتراف الحكومة الفرنسية نفسها ، وقد أرادت فرنسا ـ من بعد ـ ان تتنصل من هذا اثنــاء المفاوضات مع حكومة الجزائر المؤقتة فلم تستطع ٠

لا نعتمـد الا عـلى انفسنا ونتكـول عـلى اللـه

وفى هذه الكلمات الصريحة قطع علاقته بماض كان يرتبط فيــه ببعض الامل فى فرنسا ـ وان كان شخصيا لا أمل لــه فيها ـ وليس هذا تخمينا ، ولكنا سمعناه منه فقد كنا نسمر معه ذات ليلة وأخذ يبين لنا اخطار برنامج (بلوم ـ فيوليت) لو نجح ، وذلك أيام تعلق الساسة به ورغبتهم فى تحققه

كما اعرب عن اعتقاده باننا لن ننال شيئا من فرنسا الا اذا افتككناه بالقـوة واخذناه غصبا ، وقد سالته ـ انذاك ـ لما لا يعلن هذا للناس فقال : دع الامة حتى يضربها حائط الواقع فتفيق ، فان هذا ابلغ فى اقناعها ، فاذا خابت آمالها يئست ، واذا يئست منهم عملت ٠ فكان يعمل جاهدا لاقناعها باليأس ٠

ففى هذه السنة 1937 رأى ان الامة جرت وراء السراب مدة سنة كاملة ، ترجو انصافا من ذئاب الاستعمار ـ وان لبسوا جلد اليسار ـ وهى مدة كافية لحصول اليأس ، فكتب مقالا تحت عنوان (هل آن أوان الياس من فرنسا ؟) ٠

جـاء فيـه تأكيد دواعـى الياس ، لان رئيس وزرائها ووزيـره المختص بالقضية وعدا الوفد وعدا قاطعا أخلفاه ، (ولم يصدق لا الرئيس ولا الوزير) ـ كما قاله بالحرف (عدد أوت 1937) ٠

ثم قال : « فماذا فهم الناس من هذا كله ؟ ٠٠٠ قالوا ان فرنسا تعـد وتخلف لانهـا رأت مصلحتها فى الاخلاف ! والجزائر تنخدع وتطمع ولكـن يطول انخداعها ويستمر طمعها ٠٠٠ وأما نحن ـ الجزائريين ـ فاننا نعلـم أننا أدركنا هذا الاخلاف العرقوبى ، وأدركنا مغزاه ، وأخـذ اليأس بتلابيب كثير منا ، وهو يكاد يعم ، ولا نتردد فى أنه قد آن أوانه ودقت ساعته ٠ ماذا تريد فرنسا من مماطلتنا ؟

لقد أعلن شاعرنا القومى جواب هذا السؤال فى قصيدته التى نشرناها فى الجزء الماضى ، حيث قال :

ولعـلَّ مـن نُظَـم السيـا ـسـة ان نُغَـشَّ وأن نُغَـرّْ
ولعـلَّ منهـا أن يُـدسـ ـسَّ لنـا ونجـذَب للحُفَـرْ
ولعـل منهـا أن يـبسـ ـسَّ بنـا لنُحلَـبَ كالبقَـرْ
ولـعـل منهـا أن نُـمـ ـطَـل كـي يساورَنا الضَّجَـرْ

كـذب رأى السياسة وساء فالها ، كلا واللـه لا تسلمنا المماطلة الى الضجر الذى يقعدنا **عـن العمـل وانما تدفعنا الى الياس الـذى يدفعنا الى المغامـرة والتضحية** » ٠

أيها الشعب الجزائرى ، أيها الشعب المسلم :
أيها الشعب العربى الابى :

حـذار مـن الذين يمنونك ويخدعونك ! حـذار مـن الذيـن ينومونك ويخدرونك ، حذار من الذين يأتونك بوحى من غير نفسك وضميرك ومن غير تاريخك وقوميتك ، ومن غير دينك وملتك وأبطال دينك وملتك ·

استوح الاسلام ثم استوح تاريخك ، ثم استوح قلبك ·

اعتمد على الله ثم على نفسك وسلام الله عليك ·

ومنذ هذا التاريخ أخذ يؤكد هذا المعنى قولا وعملا ، وينتهز كـل فرصة لاعلان اليأس من وعود فرنسا ·

ففى عدد نوفمبر بين أن الامل فى حكومة الواجهة الشعبية قد خاب ، وأنها توجهت للاهتمام بحالة المعمرين وصرفت أموالا باهضة لفائدتهم ـ كما نشرته جريدتهم ـ كما تيقن ان روح الحكومة ـ حكومة الواجهة الشعبية ـ غير روح مباديهم ، ومسماها فى يد غيرهم ·

ثـم قـال :

« فازاء هذا رأينا أن الواجب علينا ان نعلن لشعبنا ان : **لا نعتمد الا عـلى أنفسنا ونتكل على الله** » اهـ

وابتداء مـن هذا العدد ـ رمضان 1356 ـ اختفت كلمات مبـدا الشهاب الدنيوى ـ التى كانت مرسومة على الشهاب منـذ تأسيسه مجلـة ـ وهى : «الحق والعدل والمؤاخاة فى اعطاء جميع الحقوق للذين قاموا بجميع الواجبات» وحل مجلها قوله :

« **فلنعتمد على انفسنا ولنتكـل على اللـه** » ·

فالحقيقة أنه كان مستيقنا أننا لن ننال من فرنسا حقا ، ولن نحقق مطلبا ، وكيفما كانت حكومتها ـ يمينية أو يسارية ـ فانها حكومة فرنسا المعتدية ، وانما كان يساير المتفائلين ، ويسوق الشعب والجماهير نحو اليأس ، ويصرح ان اليأس ـ بدايـة اليقظة والعمل الصحيح ، ويوقـن أن الغضب يؤدى الى الانفجار ، وما الانفجار الا الثورة ·

وكانت سنة 1937 قد تهيأت فيها الفرص التى يطلبها لتحقيق هذا الغرض ففيها اشتد الضغط على الامة ، وانتصر مذهب الذين ينصحون حكومة فرنسا

بان عـلاج الازمـة الوحيد هو استعمال الشدة والعنف ، وتسليط وسائـل الارهاب مما جعل الفرنسيين لا ينتهون مـن ارتكاب حماقة حتى يشرعوا فى ارتكاب ما هو اشد منها ٠

منها التضييق عـلى التعليم بمنـع العلماء مـن القاء الدروس الدينية فى المساجد الرسمية ، ومنع اعطـاء الرخص لفتح مدارس جديدة ، واغلاق مـا استطاعوا اغلاقه من القديمة ، ومحاكمة المعلمين الاحـرار والـزج بهـم فى سجون الاستعمار ، وتغريمهم ماليـا ، وتعذيبهم جسديا ٠ واغلاق النوادى ومنعها من بيع المشروبات حتى تختنق ، واعتبارها كـ (المقاهى العربية) حتى تمنع الاجتماعات فيها وفتح اقسام للتعليم فيها ٠

ومنها حل الحزب الوطنى (نجم شمال افريقيا) ـ كما تقدم ـ وكان قبل من احزاب الواجهة الشعبية ، فتنكرت له حكومتها ، وعاملته كما كانت تعامله حكومات فرنسا اليمينية والفاشية ، فلما تأسس (حـزب الشعب الجزائرى) اثر ذلك ـ فى مارس 1937 ـ لم يمكث الا قليلا ثم أقدمت على حلـه ، والقاء القبض على زعمائه ، ومطاردة مناضليه ومعاملتهم معاملة قاسية فاشية ٠

لقد كان الوطنيون معتادين مثل هذه المعاملة من فرنسا فى فرنسا ـ لانه انشىء فيها ـ ، ولكنها جديدة على أرض الجزائر ، ولهذا فقد انتهزها ابن باديس رحمه الله ليقاوم روح (الخوف) من السجن فى الامة و (الاستحياء) به ، بل رأى أن المصاب به ـ فى سبيل الله والوطن ـ أهل للتكريم والتهنئة ، حتى تزول الدهشة من الشعب وأبنائه وتتغير المعايير عندهم ويروا ـ فخـــرا ـ ما كان يرى (معرة) ٠ ففى شهاب نوفمبر 1937 قـدم تهنئة لهؤلاء الابطال وللامة بهم قال :

« عيد الفطر المبارك :

تهنئـة بـه الى الامـة الجزائرية الكريمة

كنا قبل نهنىء الامة الجزائرية بمثل هذا العيد وليس لها مظاهر السعادة ما تهنأ به الا ما نرجوه لها ونأمل ٠

اما اليوم فاننا نهنئها وهى فى طور جديد من أطوار حياتها ، وهو أساس سعادتها ، طور سامت به شقيقاتها هنا وهنالك فنهنيها ـ ومن أبنائها من هو

سجين فى سبيل العلم والهداية ، ومن هو سجين فى سبيل السياسة والحقوق المغصوبة ·

أمة أخذت تقدم الضحايا فى سبيل سعادتها حقيقة بان تنال السعادة وبأن تهنأ بها ·

فتهانينا اليها بعيدها وسعادتها ، وتهانينا ــ على الخصوص ــ **الى أولئك الابطال الاماجد** السيد الحاج مصالى ورفاقه والشيخ عمر دردور ·

حياهم الله وعجل سراحهم وجعل فيهم القدوة الحسنة فى الصبر والتضحية » اهـ ·

وكان الشيخ عمر دردور عميد تلاميذ الشيخ الاوراسيين وصديق الشهيد مصطفى بن بوالعيد ·

لم يكن السجن السياسى معتادا فى الجزائر ، حتى ذلك الوقت ، بل كان السجن ــ على العموم ــ مرهوبا ، ومعرة تلحق المسجون ·

لكن ابن باديس أراد ان يربى أمته ويبين لها انه ــ اذا كان فى سبيل الله والوطن ولاجل اغاظة العدو ــ فانه نعمة وشرف يستحق المسجون التهنئة فى شخصه وتستحق الامة ان تهنأ بمصبره وتضحيته ، وان يقتدى به ·

وأذكر ان احد تلاميذه ارتكب مخالفة ــ بقيامه بعرسه دون اعلان عنه ، واستعماله فيه (البارود) ــ فحكم عليه بغرامة مالية ــ مائه وخمسين فرنك ــ فاما ان يدفعها لدولة الاستعمار ، واما ان يدخل السجن لعدة ايام ، فذهب لاستشارته فأشار عليه بدخول السجن ولا يدفع مالا للعدو ، وانما أراد أن يذهب عنه رهبة السجن والفزع منه ·

الاحتفال بمرور قرن على احتلال قسنطينة

وكان من أبرز حماقاتهم وأدلها على مقدار بلاهتهم واستهتارهم ــ قرارهم باقامة الذكرى المئوية لاحتلال مدينة قسنطينة فى هذه السنة ، فقد صور لهم الغباء والغرور سنة 1937 انهم يستطيعون ان يقيموا احتفالات (بهيجة) بذكرى انتصار أجدادهم ، وان يمثلوا بعض أحداث يوم الاحتلال تمثيلا ، ويصوروا المنتصرين والمنهزمين ، وان نشاركهم فى هذه التمثيليات ، ليذيعوا فى العالم

أننا نشاركهم في الاحتفال بانتصار (المدنية) على (الهمجية) والنصرانية على الاسـلام !

ومن قبل ذكرونا بهـذا (الانتصار) ـ ذكرى لا تنسى في مكـان بالمدينة لا يخفى ، اذ أقاموا ـ سنة 1909 ـ في مدخلها تمثالا ضخما لقائدهم لامورسيير محتل قسنطينة ، وآسر الامـير عبد القـادر في حجم عملاق على قاعدة كبيرة ـ يلبس جزمة عسكرية ، وفي يده سيف طويل هائل قد سله وتوجه نحـو المدينة العربية ـ علامة الهجوم ٠

ويوم أن احتفلوا بالذكرى المئوية عام 1930 لاحتلال الجزائر وشارك فيها جيشهم بقادته البريين والبحريين والجويين ، وبكنيستهم ورجالها يحملون صلبانهم ويرتلون أناشيدهم ٠ وبسراتهم ونبلائهم ، وبسفهائهم وصعاليكهم ـ لم يكد يعترضهم أحـد ، بـل شاركهم بعض الغافلين أو الخونة المارقين أو العملاء المأجورين ٠

ولكن سبع سنوات بين 1930 و 1937 ـ فعلت فعلها ـ وآن للشعب ان يقول رأيه ويتخذ موقفا علنيا صريحا من هذه الاهانات وهذا ما فعله ابن باديس.

اذ جمع هيئات بلده وحرر بيانا يخاطبون فيه الشعب بما يجب عليه نحو هذه الاهانة ، وقد وزع هذا البيان أعضاء جمعية التربية والتعليم ، وأعضاء شعبة جمعية العلماء ، وأعضاء الجمعيات المشاركة ٠

وكان الشيخ بعد طبع البيان ـ وقراءته عليهم ـ قد سألهم عن توزيعه ، فسكتوا لعلمهم بخطورته ـ في مثل تلـك الظروف الارهابية ـ عليهم وعـلى الشيخ ـ فقال لهم : أنا أوزعه ! فقال السيد الطاهر بن بهات التاجر العباسي ـ بلسانهم جميعا ـ « كلا ، بل نحن نوزعه ، ونكفيك مؤنته » ٠

ويوجد نصه في الشهاب (عدد رمضان 1356 نوفمبر 1937) وهذا هو :

على هامش السنتنير :

منشـور المقاطعـة

نداء الى سكان قسنطينة المسلمين :

« قاطعوا هذه الاحتفالات ولا تشاركوا فيها » ٠

اخواني القسنطينيين :

في مثل هذه الايـام ـ منذ قـرن ـ مات اجدكم المجاهدون المدافعون ، والفرنسيون المهاجمون في ميدان البطولة والشرف ، وطويت صفحة مـن التاريخ على شهادته بالشجاعة والتضحية للغالب والمغلوب ·

ومضت مائة سنة كانت كافية لنسيان تلك الماساة وضمد تلك الجروح ، وتقريب السكان المتجاورين بعضهم من بعض ·

لكن قوما من الانانيين ـ الذين يابون الا ان يكونوا سادة متفوقين ، والا ان يشعروا المسلمين بسلطة الغالبين على المغلوبين ـ هؤلاء القوم ليسوا كـل الفرنسيين ـ أرادوا في هـذه الايـام ان يقيموا احتفالات عسكرية بدخلـة قسنطينة تثير العواطف ، وتمس كرامة الاحياء منا والاموات وتنافي مبادىء الاخوة والرحمة التي ندعو اليها ·

يحتفلون احتفالاتهم ومطالب الشعب الجزائـري بعرقلتهم ـ معطلـة ، وحقوقهم ـ بسعيهم ـ مهملة . وسوط القوانين الاستثنائية نازل بيدهم على ظهره كل يوم ·

لهذا قد اجتمعت 14 جمعية اسلامية من جمعيات قسنطينة يوم السبت 18 سبتمبر الماضي في نادي الاتحاد ، وكانت كلها مستنكرة لهذه الاحتفالات ، عازمة على مقاطعتها فقررت ـ بالاجماع ما يلي :

نحن الممثلين لجمعياتنا نرى احتراما لانفسنا ، واحتراما لاجدادنا واحتراما للانسانية :

أولا : ان لا نشارك في هذه الاحتفالات ولا نحضرها ·

ثانيا : ان نكون في هدوء تام ·

اخواني القسنطينيين قد فعـل المؤتمر الاسلامي واجبه فاحتـج على هـذه الاحتفالات ··· وفعلت الجمعيات الاسلامية القسنطينية واجبها بما قررته في قرارها المتقدم ··· وأخوكم هـذا كقسنطيني ـ فعـل واجبه بنشر هـذا المنشور عليكم ·

فيما بقـى الا ان تقوموا أنتـم بمواجبكم · فقاطعـوا هـذه الاحتفالات ولا تشاركوا فيها · كونوا في هدوء وسلام ·

والسلام عليكم · من أخيكم : عبد الحميد بن باديس
حرر بالمنصورة ، حوز تلمسان
مساء الثلاثاء 23 رجب 1356 هـ 1937/9/28

نــداء

الى سكان قسنطينة المسلمين

إخواني القسنطينيين :

في مثل هذه الايام منذ قرن مات اجدادكم المجاهدون المدافعون والفرنسيون المهاجمون في ميدان البطولة والشرف . وطويت صفحة من التاريخ على شهادته بالشجاعة والتضحية للغالب والمغلوب

ومضت مأية سنة كانت كافية لنسيان تلك المأساة ، وضمد تلك الجروح وتقريب السكان المتجاورين بعضهم من بعض .

لكن قوما من الانانيين الذين يـأبون الا ان يكونوا سادة متفوقين ، والا ان يشعروا المسلمين بسلطة الغالبين على المغلوبين — هؤلاء القوم — وليسوا كل الفرنسيين — ارادوا في هذه الايام أن يقيموا احتفالات عسكرية بدخلة قسنطينة ، تثير العواطف ، وتمس كرامة الاحياء منا والاموات ، وتنافي مبادي الاخوة والرحمة التي ندعو اليها .

يحتفلون احتفالاتهم هذه ومطالب الشعب الجزائري بعرقلتهم معطلة ، وحقوقه بسعيهم مهملة ، وسوط القوانين الاستثنائية نازل بيدهم على ظهره في كل يـوم .

لهذا قد اجتمعت ١٤ جمعية اسلامية من جمعيات قسنطينة يوم السبت ١٨ سبتمبر الماضي في نادي الاتحاد وكانت كلها مستنكرة لهذه الاحتفالات عازمة على مقاطعتها . فقررت — بالاجماع — ما يلي : نحن — ممثلين لجمعياتنا — نرى احتراما لأنفسنا ، احتراما لأجدادنا ، احتراما للانسانية .

اولا — ان لانشارك في هذه الاحتفالات ولا نحضرها .

ثانيا — ان نكون في هدو تام عام .

اخواني القسنطينيين :

قد فعل المؤتمر الاسلامي الجزائري واجبه فاحتج على هذه الاحتفالات في اجتماعه العام الاخير وقدم مكتبه ذلك الاحتجاج الى الوالي العام وقدمه مكتب لجنته القسنطينية الى مير قسنطينة . وفعلت الجمعيات الاسلامية القسنطينية واجبها بما قررته في قرارها المتقدم . واخوكم هذا — كقسنطيني — فعل واجبه بنشر هذا المنشور عليكم . فما بقي الا ان تقوموا انتم بواجبكم .

فقاطعوا هذه الاحتفالات ولاتشاركوا فيها

كونوا في هدو وسلام .

والسلام عليكم من اخيكم عبد الحميد بن باديس

حرر بالمنصورة حوز تلمسان مساء الثلاثاء ٢٣ رجب ١٣٥٦ هـ ٢٨/٩/١٩٣٧ م

المطبعة الجزائرية الاسلامية بقسنطينة

(نسخة طبق الاصل من المنشور)

APPEL
A LA POPULATION MUSULMANE
DE CONSTANTINE

Mes frères Constantinois

Il y a un siècle, à pareille époque, vos glorieux ancêtres combattant pour la défense de leur territoire et les soldats français de la conquête tombaient sur le champ d'honneur également couverts de gloire. Une page de l'histoire, illustrant la vaillance et la bravoure des uns et des autres, était ainsi retournée. Un siècle nous sépare aujourd'hui de cette tragédie dont le souvenir s'estompant dans le recul des jours aurait dû s'effacer dans la mémoire des hommes. Un siècle était suffisant pour cicatriser les plaies et unir étroitement les éléments divers du pays sur la table rase du passé.

Aujourd'hui, des hommes sans cœur cherchent à réveiller ces lointains souvenirs et à ressusciter la haine et les rancœurs en célébrant l'anniversaire de la prise de Constantine. Ces defilés militaires et toutes ces vaines parades dans lesquelles leur orgueil de vainqueurs trouvera sa satisfaction constituent une suprême atteinte à notre dignité et une injure à la mémoire de nos glorieux pères et ruinent les efforts que nous ne cessons pas de déployer pour la fraternité des races.

L'indécence atteint son comble lorsque ces fêtes doivent être célébrées pendant que les revendications des Musulmans d'Algérie attendent encore d'être réalisées, que leurs droits natu[illegible] sont méconnus et que les lois d'exception restent suspendues sur leurs têtes comme une perpétuelle menace.

C'est pour cela que 14 associations musulmanes constantinoises, ré[illegible] samedi 13 Septembre écoulé, [illegible] de l'Union, ont désapprouvé [illegible] de ces fêtes et ont décidé de [illegible] prendre part. A l'unanimité, [illegible] suivantes ont été prises :

« Nous, représentants des [illegible] tions musulmanes pour faire re[illegible] notre propre dignité et celle de n[illegible], décidons :

1° de nous abstenir de participer à ces fêtes ;

2° d'observer le calme et la dignité les plus absolus.

LE CONGRES MUSULMAN ALGERIEN a fait son devoir en élevant une protestation contre le principe même de ces fêtes, au cours d'une réunion publique, protestaton que son comité constantinois a fait parvenir au Maire de Constantine pour être transmise à M. le Gouverneur Général.

La population musulmane ayant fait son devoir, votre frère, le signataire du présent manifeste, Constantinois comme vous, fait egalement le sien en s'adressant à vous pour que vous fassiez le vôtre.

Abstenez-vous donc de participer à ces fêtes.

Observez en tout la dignité et le calme et que la paix soit avec vous.

Abdelhamid BENBADIS

CONSTANTINE - Imprimerie ALGERIENNE MUSULMANE

(نسخة طبق الاصل من المنشور)

صفحة ذهبية

نشرت الصحافة الفرنسية وغيرها اللسان كثيرا عن احتلال قسنطينة فأحببنا نحن أن نشاركها ، فننشر كتابين تاريخيين جليلين . نقلناهما عن كتاب : « تحفة الزائر، في مآثر الامير عبد القادر ، وأخبار الجزائر » وهذا نصهما :

١

« من القائد العام ورؤساء الجيوش الفرنسوية الى احمد باي وعلي بن عيسى وسائر العساكر والاهالي المحصورين داخل البلد : نعرفكم ان العناية الالهية منحتنا انتصارا مجيدا عليكم ويد القدرة الربانية كللتنا باكليل النصر فهاجيشنا الجسور وابطالنا الشجعان قد استولوا بعزمهم وقوة سلاحهم على خنادق بلدكم ولم يبق بيننا وبينكم الا احد امرين اما اعمال السيف وإما التسليم للنجاة من الحيف لا جرم ان عدم التسليم يعود عليكم بالدمار والخراب ونحن لا رغبة لنا في سفك دمائكم فالتسليم أسلم لكم وأحسن بكم لانكم أمسيتم فى مركز خطير جدا والخلاص منه بدون ضرر كبير يلحقكم مستحيل كيف وبوارد فرانسا قد احاطت بكم من كل جهة وصرتم في وسطها مثل السمك فى الشبكة »

٢

« من الامة المحافظة على شرفها وبلدها الى العسكر الفرنسوي المعتدي على حقوق غيره : قد وصلتنا رسالتكم وفهمنا ما ذكرتموه فيها . نعم ان مركزنا أمسى في خطر عظيم ولكن استيلاؤكم على قسنطينة المحمية بالابطال العربية الذين لا يهابون الموت موقوف على قتل آخر واحد منهم واعلموا ان الموت عندنا تحت أسوار بلدتنا أحسن من حياتنا تحت سلطة فرنسا » اه

الشهاب : ج 9 ـ م 13 ـ رمضان 1356 هـ ـ نوفمبر 1937 م .

ان مثل هذا المنشور لخطير جدا فى مثل تلك الايام ، وخصوصا اذا طبع ووزع على الجماهير ، وهو يدعو لمقاومة ما قررته الحكومة الفرنسية ، فمن غير المعقول ان يقام احتفال عسكرى وتستعرض فيه أنواع الاسلحة بفعل طائفة من الفرنسيين الانانيين ـ ولكن براعة الشيخ جعلته يحفظ خط الرجعة ويتهم بمثل هذه الحماقة طائفة منهم ، وهم لو استفزوا الشعب وقامت اضطرابات وسقط ضحايا لتبرأت حكومتهم وقالوا ، هذا فعل طائفة مطرفة أنانية ٠

وانظروا كيف نوه ببطولة المهاجمين والمدافعين معا ، فمن جهة لا يليق بأجدادنا ان يغلبهم جبناء ، ولا فخر للفرنسيين ان يتغلبوا على جبناء ، ولهذا لما قرأ قائدهم جواب قائد الحماة أعجب جدا ببسالتهم وشهد بشرفهم وبطولتهم ٠ ومن جهة أخرى حتى لا يترك مجالا لرميه بالتعصب والحقد ٠

اما مبادىء الاخوة والرحمة والتقارب والتعايش السلمى بين المتساكنين فانها غاية كل عاقل حكيم ومفكر ومصلح سياسى أو اجتماعى ٠

لكن محاولة الهيمنة والتسلط والتحرش ـ من طائفة ـ بالشعب كله والسعي لعرقلة مطالبه ، والحيلولة بينه وبين حقوقه ، وتسليط القوانين الاستثنائية كسياط على ظهره ـ كل ذلك قبيح من كل عاقل وحكيم ومفكر ومصلح سياسى أو ادارى أو اجتماعى ٠ ومما نلاحظه ان المنشور كتب بتلمسان ولعله أراد ان يطلع عليه خليفته ، الشيخ الابراهيمى ، فلم يحب ان يستبد برأيه ، ولعله توقع ان يعتقله المستعمرون فدبر معه مآل الحركة ،اذاً فى حال اعتقاله ٠

وخاب الفرنسيون ـ فى احتفالهم ـ خيبة مرة ، وفشلوا فيه فشلا ذريعا ، فقد لزم الناس دورهم ، وتركوا المدينة ، وشوارعها ، ليس بها انيس ، ولا اليعافير ولا العيس !

وبينما كانوا يؤملون أن يشركوا ـ فى التمثيليات ـ جنود الاهالى بلغتهم انباء عنهم ، جعلتهم يحجزونهم فى ثكناتهم كامل اليوم ، خوفا من ثورتهم ٠

لقد كانت تجربة عظيمة برهنت على يقظة الرأى العام الاسلامى واستجابته للمقاومة ، وكان ابن باديس حكيما اذ بدأ بالمقاومة السلبية ، ولعلها أسهل وأرفق وامكن لاظهار سخط العموم ٠

ولقد أرادوا اعتقاله ، وتفاوضوا فيه طويلا ، ثم أحجموا ، ولعلهم خشوا مغبـة ذلك ٠

أما ابن باديس ــ رحمه الله ــ فانه تابع سيره ، وقام ــ بدوره ــ بالمشاركة فى احياء ذكرى ذلكم الحدث الجلل فى تاريخنا القومى ٠ ولكن بطريقه هو ! وكيف كان ذلك ؟

لقد قام بنشر كتابين تاريخيين فى نفس هذا العدد ــ رمضان 1356 هـ ــ نوفمبر 1937 تحت عنوان (صفحة ذهبية) يمكن ان نضع لها عنوانا آخر مع عنوانه وهو « **الموت تحت الاسوار ، أحسن من الحياة تحت الاستعمار** » ٠

الكتاب الاول هـو نص الانذار الاخير الذى بعثه قـواد الجيش الفرنسى المهاجم الى الجنود المسلمين المحاصرين ٠

والكتاب الثانى هو جواب المحصورين عن هذا الانذار ، قال ابن باديس : « نشرت الصحافة الفرنسية اللسان كثيرا عن احتلال قسنطينة ، فأحببنا نحن ان نشاركها ، فننشر كتابين تاريخيين ، نقلناهما عن كتاب تحفة الزائر ــ فى مآثر الامير عبد القادر واخبار الجزائر » ٠

الكتاب الاول : نص الانذار الفرنسى ٠

« من القائد العام ورؤساء الجيوش الفرنسوية الى أحمد باى وعلى بن عيسى وسائر العساكر الاهالى المحصورين داخل البلد :

نعرفكم ان العناية الالهية منحتنا انتصارا مجيدا عليكم ، ويـد القدرة الربانية كللتنا باكليل النصر ٠

فها جيشنا الجسور وابطالنا الشجعان قد استولوا بعزمهم وقوة سلاحهم على خنادق بلدكم ، ولم يبق بيننا وبينكم الا احد أمرين : اما اعمال السيف ، واما التسليم للنجاة من الحيف ٠

لا جرم ان عدم التسليم يعود عليكم بالدمار والخراب ، ونحن لا رغبـة لنا فى سفك دمائكم ، فالتسليم اسلم لكم واحسن بكم لانكم امسيتم فى مركز خطير جـدا والخلاص منـه ــ بدون ضرر كبـير يلحقكم ــ مستحيل ، كيف وبوارد فرنسا قـد احاطت بكم من كل جهة وصرتم فى وسطها مثل السمك فى الشبكة » اهـ

الكتاب الثاني : جواب الامة على هذا الانذار .

« من الامة المحافظة على شرفها وبلدها الى العسكر الفرنسي المعتدى على حقوق غيره : قد وصلتنا رسالتكم ، وفهمنا ما ذكرتموه فيها . نعم ان مركزنا امسى في خطر عظيم ، ولكن استلاؤكم على قسنطينة المحمية بالابطال العربية ـ الذين لا يهابون الموت ـ موقوف على قتل آخر واحد منهم ، واعلموا ان الموت عندنا تحت أسوار بلدتنا أحسن من حياتنا تحت سلطة فرنسا » اهـ

هذه هي مشاركة ابن باديس في هذا الاحتفال ، ويا لها من مشاركة تبرز روح الانفة والعز والشهامة والرجولة في الاجداد ، وتأبى الاستسلام ، ان هذا يفسر للناس اجمعين كيف بذل شعب الجزائر مليونا ونصف مليون شهيد ليسترجع دولته وعزته ويرفع رايته . وانه بهذا لم يشتر الحرية بصفقة غبن ولا باع النفوس في الجهاد بيعة وكس .

ان المبدا الجديد ـ الذي اعلنه ابن باديس ـ لسياسته في الشهاب ، وهو « لنعول على انفسنا ولنتكل على اللـه » انما أراد به ان يقطع كل صلة بهذا الموضوع في الماضي ، في التعويل على مساعدة فرنسا الديمقراطية في النهوض بالامة الجزائرية ، ففرنسا هي فرنسا ، ديمقراطية كانت أو فاشية ، يمينية أو يسارية ـ وأراد ان يعلم الشعب ان يعول على نفسه فان له طاقة فعالة وأن يتكل على اللـه .

لقد أراد ان يفصل بين ساستنا وبين الكتل الاجنبية التي تغلغل نفوذها فينا ، كان كل ساستنا ـ اذا لم يكونوا عملاء الادارة الفرنسية ـ يعولون على الاحزاب الفرنسية ، وحتى أحزاب اليمين منها فقد مال بعضهم الى حزب العقيد « دولاروك » وهو حزب « الصليب الناري » وبعضهم الى حزب العميل الفاشي « دوريو » « وهو الحزب الاجتماعي الفرنسي » أما أغلب الساسة فقد مالوا الى أحزاب اليسار منهم من انخرط فيها ، ومنهم من عول عليها ، وأكبرها : الحزب الراديكالي ، والحزب الاشتراكي ، والحزب الشيوعي .

اما العمال فكانوا في منظمة « النقابة العامة للعمال » وهي ذات ميول اشتراكية وشيوعية ، وتقبل انخراط العمال المسلمين فيها ، وتهتم ـ قليلا ـ

بمطالبهم ، ولكنها لا تتسامح بالانفصال عنها في منظمة خاصة بهم • وقد دامت هذه الحالة الى نشوب الثورة واقبال يوم 24 فبراير 1956 م •

ولم يكن مسموحا من الجميع ـ الاحزاب السياسية أو النقابات العمالية ، ان يظهر أى جزائرى العواطف القومية ، الوطنية الاسلامية •

وابن باديس فى مبـــدا الشهاب الجديد يعلن لشعبه أن يتنكر لما كان ينتهجه ، وينصحه بالتعويل على النفس والاتكال على الله ، استمع اليه وهو يقول : أيها الشعب الجزائرى المسلم العربى الابى !

حذار من الذين يمنونك ويخدعونك !

حذار من الذين ينومونك ويخدرونك !

حذار من الذين ياتونك بوحى من غير نفسك وضميرك ومن غير تاريخك وقوميتك ، ومن غير دينك وملتك !

استوح الاسلام ، ثم استوح تاريخك ثم استوح قلبك •

اعتمد على اللـه ثم على نفسك ، وسلام اللـه عليك » اهـ •

فالذين يعدونه ويمنونه ويخدعونه هم ساسة فرنسا ابتداء من رئيس الوزراء الى أصغر موظف فيها •

فليس فيهم مـن وفى بالوعود أو العهود كالشيطان مـع بنى الانسان « يَعِدُهُم ويُمنّيهم وما يَعِدُهم الشيطانُ إلا غروراً » ومـن واجبه ان يحذرهم • والذين ينومونه ويخدرونه هم الذين يزينون له حالته البئيسة التى وصـــل اليها من جهل وانحطاط وتأخر ، ومرض وفقر وجوع وعرى ، وذلة ومهانة ، ثم يزعمون له ان الرضى بهذه الحالة هو عين الايمان لان « الدنيا جنة الكفار وسجن المؤمنين » ان « الدنيا لهم والآخرة لنا » • مع ان زينة الحياة والطيبات من الرزق هى للذين آمنوا •

فمن حقه ان يحذرهم ويقطع الصلة بهم فانهم يعملون ـ عن جهل أو علم ـ لفائدة الاستعمار •

والذين يأتونه بوحى من غير ضميره وتاريخه وقوميته ودينه هم الذين يقولون له : انسلخ من كل ذلك ، واعتنق قوميتنا ، وتعلم لغتنا ، وتنكر

لدينك الذى هو سبب تأخرك ، وانكر تاريخك واجدادك ومجدك ، تكن من (الراقين) المتمدنين ! فاذا استوحيت ضميرك فقد تحررت ، واذا استوحيت دينك فقد رشدت لان الاسلام هو الدين عند الله · لا يقبل غيره ، ولا يقبل الذل والمهانة بل يدفع الى العزة والسعادة والسلام ، ويضمن النصر المبين لمن جاهد فى الله واعتصم به ·

هذه النصيحة الغالية قدمها ابن باديس ، والتزم بها الى وفاته ، فانه كان رحمه الله اذا قال فعل · ومن درس أقواله ـ شعرا ونثرا ـ منذ هذه السنة تيقن أنه كان مؤمنا بالثورة عاملا لها ، موعزا بها ـ فاستمع ـ مثلا ـ الى قوله : « والله لا تسلمنا المماطلة الى الضجر الذى يقعدنا عن العمل ، وانما تدفعنا الى اليأس الذى يدفعنا الى المغامرة والتضحية » فما ـ هى المغامرة ـ فى ميدان الكفاح ـ الا الثورة المسلحة وأى تضحية ينوه بها ابن باديس ويهدد بها ان لم تكن التضحية بالنفوس ·

ليس من ضحى بكبش غنم   مثل من ضحى بنفس بشرية

واستمع الى قوله : محذرا من استعمال القمع والارهاب كعلاج لهيجان عواطف الشعب : « انه علاج قد يسكن الشعب شيئا ما ، حينا ما ولكنه يزرع فى القلوب بغضا وحقدا ويملأ الصدور ثورة وحماسا وما مآل ذلك بطبيعة الامتحان وطول الزمن ـ الا الانفجار » وقد كان ، فابتدأ هذا الانفجار عنيفا عام 1945 وأخمد باستعمال الفتك والارهاب مرة أخرى ، ثم عاد الانفجار عام 1954 فعصف بقواتهم ، وقضى على كل أعمالهم فى قرن وربع وعلى كل احلامهم الى الابد ·

16 ـ واستمر فى ميدان الثقافة يقوم بمجهوداته العظمى ، وأصبح طلابه يعدون بالمئات ويقوم على التدريس معه نجباء المتخرجين من مدرسته ، أو من مريديه ، ومن هؤلاء الشيخ فضيل الورتلانى ـ قبل ذهابه الى فرنسا مبعوثا منه للعناية بالمغتربين ، ثم هجرته الى مصر والشرق ـ ومنهم الشيخ محمد جلولى المليانى أمد الله فى حياته · ومنهم الشيخ عبد المجيد بلحيرش المتخرج من الزيتونة ، ومنهم الشيخ الجيلالى الفارسى المتخرج من مدرسة ابن باديس ثم من الزيتونة ، ومنهم الشيخ أبو بكر حاج عيسى الاغواطى خريج مدرسة

الشيخ مبارك . ثم الزيتونة ومنهم الشيخ محمد ميهوبى الدراجى ، والشيخ عمر دردور ، ومنهم الاستاذان الاخوان محمد الامين ، وأحمد الامين الخنشليان المتخرجان من الازهر الشريف ، ومنهم الشيخ الاخضر فيلالى الخنفى احد متخرجيه النجباء ، ومنهم أستاذنا العلامة الجليل الشيخ سعيد الزموشى وأستاذنا الشيخ الشريف الصائغى وأستاذنا الشيخ عبد العلى الاخضرى ، كلهم زيتونيون . فكل هؤلاء علموا معه وتحملوا مسؤولية تربية طلابه متطوعين سالكين منهاجه وطريقه ، وذلك ما بين عام 1931 عام تاسست جمعية العلماء وما بين وفاته والتحاقه بربه فى 16 افريل 1940 م .

وكان طلبته أغلى ما عنده وأعزه عليه يجتهد على راحتهم ، ويشقى لاجلهم ويبذل لهم كل ما فى وسعه ، ويؤمن بان أثمن ما يؤديه فى حياته أن يحسن تربيتهم على محبة الدين ـ واللغة ـ والوطن وخدمتهن والوفاء لهن . وأعظم تلاميذه فى الاولين الشيخ مبارك الميلى وعبد السلام السلطانى ومحمد بن العابد السماتى وموسى الاحمدى ، والفضيل الورتلانى ، والهادى السنوسى، ومحمد سعيد الزاهرى ، وناصر الدين الناصر ، ومحمد جلولى المليانى ، وباعزيز بن عمر ، ومصطفى بن حلوش ، وعبد العزيز بن الحاج مصطفى ، ومحمد صالح بن عتيق ، وزهير الزاهرى ، والجيلالى الفارسى ، وعيسى يحياوى وموسى الزقاق ، ومحمد ميهوبى والاخضر فيلالى وأحمد بوشمال ، وعبد الحفيظ الجنان وأحمد بن ميلود .

ومن المشائخ المتأخرين : أحمد السرحانى ، محمد الغسيرى ، وعمر دردور والامير صالحى وأخوه رشيد صالحى ومحمود الواعى ، وسى مسعود ويوسف القلى ، وعمار القلى . وحسين بن عتيق ، والصادق حمانى ، والصادق عيسات وعبد الرحمن رمضان ، ومحمد صالح رمضان ، وأحمد المكى عبادة ، وعثمان بوقطاية ، وعلى مرحوم ومسعود حمانى ، ومولود الهاجى الوهرانى ، وأحمد بن ذياب ، وأحمد حمانى ، ومحمد على منصورى ، وعبد الكريم عقون ، والربيع بوشامة ، وعمر بوعنانى ، ومبارك بن جلواح ، واسماعيل العربى ، والعربى كبيش ، وصالح بن زايد ، وسعيد البيبانى ، وصالح غربى ، ومحمد الحسن ومحمد الطاهر وعبد المالك فضالة والاستاذ ثعالبى ... الخ . وهم كثير جدا منتشرون فى الوطن . مات بعضهم واستشهد آخرون ، وما يزال بعضهم فى الحيـــاة .

من هؤلاء المتقدمين والمتأخرين من اقتصر على المدرسة الباديسية ولم يطلب العلم في غيرها ، ومنهم من شرق أو غرب وأتم دراسته في جامعة من جامعات العواصم الاسلامية ، ولم نخصهم كلهم وانما ذكرنا منهم من وعته الذاكـرة والمخون فمعذرة لدى من لم يـذكر اسمه • وما من هؤلاء الا عالم كبـير ، أو مؤلف بارع أو كاتب مبدع أو شاعر فحل أو خطيب مصقع أو مرب فاضل ، أو سياسي حكيم ماهر ، وقد يجمع الواحد كثيرا من الخلال ، وكان أثناء فترة الدراسية يتولى تدريبهم على الكتابة والخطابة ونظم الشعر وكتابة النثر سلك في ذلك طريق الامام جمال الدين الافغاني عند اقامته بمصر . وكان يعدهـم اعدادا حسنا لخدمة الدين واللغة والوطن على المبادىء المرضية • وتلاميذهم ، وتلاميذ تلاميذهم يعدون في الوطن بعشرات الالوف •

17 ـ عندما توفي ابن باديس في التاريخ المذكور كان نائبه في الرئاسة الاستاذ الكبير محمد البشير الابراهيمي معتقلا في مدينة آفلو • وقد اعتقل أوائل الحرب العالمية الثانية ـ أواخر ديسمبر 1939 ، أو في شهـر ينايـر 1940 م ، ولم ينزعج الشيخ لاعتقاله لانه كان لا يخشى عليه الامتحان ، ويتحقق أنه سيفوز فيه وهذا ما كان ـ وقد بقي في الاعتقال حتى سنة 1943 م ، فما طأطأ رأسـه ولا هان • فصحت فراسة الشيخ فيـه وانه ممن يهنأ باسمى وتهنأ بهم امتهم •

الفصل السابع ـ خلافة الابراهيمي ـ مساومات ويقظة وثبات

ولما مات ابن باديس اجتمع أعضاء الجمعية اخوان الابراهيمي وانتخبـوه بالاجماع رئيسا خلفا لعبد الحميد . ولنلاحظ أن الابراهيمي كان نائب الرئيس منذ تأسيس الجمعية عام 1931 م، حتى أنتخب للرئاسة عام 1940 م ، ولـم ينقصه صوت عند الانتخاب ولا مرة واحدة • وقـــد انتخبوا لمنصب نائـب الرئيس الشيخ مبارك الميلي ، وبقي الاعضاء الآخرون في مناصبهم الشيـخ العربي التبسي الامين العام والشيخ محمد خير الدين المراقب العام ، والشيخ أحمد معيزة أمين المال ••• الخ •

وحدثني الثقات أن فرنسا بعثت سماسرتها تساوم أعضـاء الجمعية أن يغيروا سياستهم التي خطها ابن باديس في (معاداة) فرنسا ومحاربة الاندماج



الأستاذ محمد البشير الابراهيمي

ومحاولة الانفصال عنها ، وان يقبلوا برئاسة رجل معتدل تعينه لهم ـ هـــو الشيخ العقبى ـ على أن تغير بدورها سياستها نحو الجمعية ، وكان الذيــن يمكن أن تتصل بهم وتساومهم هم الشيخ مبارك الميلى ، والشيخ العـــربى التبسى ، والشيخ محمد خير الدين ، وكان الجواب بالرفض ، وقالوا مثل هذا التصرف لا نملكه ، وانما يملكه الاجتماع العام ، ورئيسنا معتقل ، والظروف لا تسمح بعقد هذا الاجتماع • واثر هذا الرفض أشتد الضغط ، ودبـــرت مؤامرة ضد الشيخ العــربى التبسى ، متهما بتهمة منكرة تيسر لهم محاكمته ـ فى ظروف الحرب ـ عسكريا واعدامه • كان ذلـك أثناء وجـود الالمان والطاليان ، بتونس 1943 وتدخل فى الموضوع رجـال مهرة مخلصون عـلى رأسهم الشهيد المرحوم أحمد بوشمال ، والوطنى الصميم محمود بن نينـى المترجم انذاك بالمحكمة العسكرية وحولوا قضيته الى سياسية واستطاعوا أن يحولوا اعتقاله من مدينة باتنة الى مدينة قسنطينة فنجا بفضل اللـه ، ثـم بتصدى وطنية أخوانه •

كما أن الشيخ محمد خير الدين نالـه شرف الاعتقال وسيــق الى المنفى ، فلما جاءت لجنة الاصلاح ، وأخذت تستنطق زعماء البلاد فى مستقبل الجزائر سنة 1943م أطلق سراح الابراهيمى ، ومثل امـام لجنة الاصلاح الفرنسية لاستطلاع رأيه كما جلبوا غيره من زعماء السياسة الذين طال سجنهم • وأثناء هذا العام قدم الى حكومة فرنسا (البيان الجزائرى) بعد استشارات بـــين رجال السياسة وزعمائها جميعا • وبعد اعتقال مؤلف البيان ومقدمه ،ثــم الافراج عنه وقع سنة 1944م تالف حزب وطنى جديد هو (أحباب البيـان والحرية) واتحدت الكلمة وعمت البهجة وعلت الاناشيد والاعلام الوطنية فى سائر الانحاء ومن أجملها (شعب الجزائر مسلم) و (من جبالنا طلع صوت الاحرار) و (فداء الجزائر روحى ومالى) ومن عاش تلك الايام بهرته مظاهر الحرية والاستقلال واتحاد الكلمة • وكان من رجال هذا الحزب العلماء ، وعقد مؤتمر وطنى أوائل 1945م فى الجزائر ، ووضعت مطالب وتقرر ارسال وفد الى (سانفرانسيسكو) لتقديم القضية الجزائرية •

وفى 8 فبراير 1945م توفى الى رحمة الله الشيخ مبارك الميلى وشارك فى دفنه جميع الزعماء الوطنيين وعلى رأسهم الابراهيمى والتبسى وخير الـدين ورجال حزب الشعب الجزائرى .

18 ـ وحل يوم النصر واستسلام الالمان ، وجاءت أعياده يوم 8 مـاى وخرج الشعب فى مظاهراته ـ وكان قد خرج يوم أول ماى فى عيد العمـال فسقط منه شهداء فى مدينة الجزائر وبجاية ـ أما يوم 8 ماى 1945م فقـد كانت المفاجأة الكبرى ، وأخـذ الفرنسيون ـ الذين كان دورهم ضئيـلا فى تحقيق النصر فى هذه الحرب العالمية ـ أخذوا يشنون معارك عنيفة على شعبنا الاعزل ، وقـد حققوا فى ولايـة قالمة ، وولايـة سطيف انتصارات حاسمة وحصدوا برصاصهم الامريكى الصنع 45 ألفا من الشهداء . وذلك تحت سمع وبصر حلفائهم !

ثـم التفتوا الى الرؤساء والزعماء ليحملوهم مسؤولية ذلـك ويلقوهم فى غيابات السجن ريثما يحاكمونهم ويعدمونهم ، كان رئيس الدولة الفرنسية آنذاك هو الجنرال دوقول ، وكان وزير طيرانه من يدعى (شال تيون) وهو شيوعى النزعة والحزب ، وفى الحكومة موريس طوريز الامين العام للحزب الشيوعى وحتى صحافـة هـذا الحزب أخذت تسمنا بوصف (النازيـين) وتحرض علينا ، وتشلى الكلاب المسعورة على مناضلينا ، وما كفت عن عملها الا بعد حين ، وبعد خروجهم من الحكومة .

وكان فى طليعة المعتقلين الشيخ محمد البشير الابراهيمى الذى زج بـه فى السجن العسكرى تمهيدا لمحاكمته ، والشيخ العربى التبسى ، والشيـخ محمد خير الدين مع عشرات الآلاف من المناضلين وبقيت هذه المحنةلا أسابيع فقط ولكن شهورا وأعدم فيها كثير من الشباب الوطنيين وخصوصا المناضلين فى صفوف حزب الشعب قتلوا صبرا بعد محاكمات صورية (9) .

---

(9) كان من ضحايا هذه الايام الشاب اسماعيل بن شعلال رحمه اللـه ، عضو جمعية التربية والتعليم ، وحـزب الشعب ، وأحباب البيـان ، حضرت الشرطة لاعتقاله فى مكتب له بالفندق ، ثـم زعموا أنه انتحر بالقاء نفسه فى هاوية الوادى السحيق كان ذلك أثناء الاسبوع الثانى من مايو 1948 ، وربما كانوا هم الذين ألقوا به واغتالوه ـ والله أعلم .

أما الابراهيمي فبقي في السجن العسكري بباب الـوادي تحت الارض ، وفي بيوت ندية مدة ثلاثة أشهر كاملة حتى أثر ذلك على يده وكتفه قبـل أن ينقل منه الى سجن قسنطينة العسكري ، ثم كان آخر من خرج من المساجين في شهر مارس 1946م فيكون الابراهيمي قد ابتدأت محنته أوائل الحـرب فاعتقل ، ثم أطلق سراحه لفترة قصيرة عام 1943م فلم (يتب) بل عاد الى العمل أنشط ما يكون ، وشارك مع زملائه في تنظيم الوحدة الوطنية عـلى اساس الحرية والاستقلال ورفع الرايات في المدن والجبال فتعرض لخطـر المحاكمة والاعدام والعذاب ، كما أعتقل كبار اخوانه في سائر أنحاء الوطن ، وخاصة في جهات الشرق منه .

وكانت فرنسا معولة على تصفية جميع الحركات الوطنية واغتيال رجالها ـ في قالمة أعدموا جميع من ينتسب الى أي حركة وكانوا في المدينة يزيدون عـلى 80 عرفوا بنشاطهم في جمعية العلماء أو الحـزب الوطني أو في أحباب البيان أو في الكشافة الاسلامية ... الخ .

ولكن صدهم عن اتمام برامجهم خيبة سياستهم في سوريا ولبنان فانهـا ـ بعد ما ارتكبت جريمتها في الجـزائر ـ حاولت أن تضرب دمشق بالمدافع وتصنع في سوريا مثل ما صنعت في الجزائر أو أبشع ، فما راعها الا والجنرال الانقليزي سبيرس يحاصر قواتهم ، ثم يوجه اليها انذارا بالكف عن ارتكاب جريمتها او تضربها قواته .

فما وسعهم الا الكف ، وقد أصابهم من الخزي والذل والصغار شيء كثير ، وسرعان ما عدلت فرنسا سياستها في الجـزائر ، وخشيت أن يصيبها فيها مـا أصابها في سوريا ، وكانت بقايا جيوش الحلفاء ما تـزال مرابطة بها ، تشاهد فظائعها وتسمع انات المعذبين لهذا كفت عن فظائعها ، ثم أخذت تطلق سراح المعتقلين وكان آخرهم محمد البشير الابراهيمي الذي تأخر اطلاقه الى شهر مارس 1946م .

الفصل الثامن : العودة الى متابعة العمل

19 ـ وبمجرد خروجه عاد الى العمل كانشط مناضل ، وكان عمله فى جميع الميادين العلمية ، والاجتماعية ، والسياسية ، وقد أخذت المدارس تتسع وتنبت فى كل ميدان وهى محتاجة الى معلمين ومسيرين ـ وكان الابراهيمى رحمه الله يمتاز بحسن الادارة واستعمال الرجال ، ويعتمد على الانتقالات الكثيرة بسيارته لا يكل ولا يمل . وأثناء هذه السنة عقد المؤتمر الاول فى عهده لاجتماع جمعية العلماء العام وحضر جلسته الاولى ـ فى قاعة سينما الماجستيك فى باب الوادى ـ نحو خمسة آلاف ، وعلا صوته فى الجموع مملوءا قوة وايمانا وعزما ٠

عقد هذا الاجتماع فى سبتمبر ـ 1946 م ـ ولم ينعقد منذ وفاة ابن باديس ـ فكان من أعظم مظاهر اليقظة القومية وعزة الاسلام ، وبكى الابراهيمى على الرئيس ابن باديس ، وعلى مبارك الميلى الذى لحق بربه فى 9 فبراير 1945 م وأعلن عن الفراغ العظيم الذى تركاه ، ولكنه أعلن متابعة السير على الخطة الدينية العربية القومية ٠

وفى السنة الموالية 1947 م حقق الابراهيمى واخوانه فكرة تأسيس معهد ثانوى بمدينة قسنطينة ، ليتم فيه دراستهم خريجو المدارس الابتدائية وحفاظ القرآن وأطلقوا عليه اسم (معهد عبد الحميد بن باديس) واسندت ادارته للعلامة الشهيد الشيخ العربى التبسى خريج الزيتونة والازهر . وعينوا للتدريس فيه أكفأ العلماء ومنهم المشائخ : نعيم النعيمى ، وأحمد حسين ، وعبد المجيد حيرش ، وعباس بن الشيخ الحسين ، وأحمد حمانى ، ومولود النجار ٠ ثم لحق بهم عبد الرحمن شيبان والطاهر سعدى وعبد القادر الياجورى . ومحمد الميلى ، وعبد الرحمن غمرانى ، وعبد اللطيف سلطانى ، والسعيد الزموشى ، ومعمر حنى ، وعمر جغرى ، وأحمد بن ذياب ، ومحمد العدوى ، ومحمد الحفناوى ، وعلى الساسى ، ومحمد الزاهى ومصطفى بوغابة ، وعبد العزيز قروف ٠٠٠ الخ ٠ وقد عاش المعهد من سنة 1947م الى سنة 1957م ، وكان بعد نشوب الثورة عام 1954م ـ معقلا من معاقلها ومركزا من أهم مراكزها حتى عام 1957م فاحتلته فرنسا وشردت

طلابـه ونهبـت مكتبتـه وجعلتـه مـركزا للاستنطاق والتعذيب • وكـان المعهـد قـد أصبـح فـرعا مـن فـروع الجامعة الزيتونية لتسهيل اتمـام الدراسة بهـا ـ واعترفت بشهادته جامعات مصر ، وسـوريا ، والعـراق ، والكويت ، وقبل طلابـه فى جامعاتها ، وتخرج منهم أساتـذة ، ودكاترة ، وكانوا فى جيش التحرير أثناء الحرب من أحسن من يعول عليهم • فالحـق أن معهد ابن باديس كان درة لامعة وجوهرة ثمينة فى تاج النهضة الجزائرية تولى ادارته عند تأسيسه الشيخ العربى ، وناب عنه فى تسييره الشيخ محمد خير الدين ، وكان هو الذى يباشر الاعمال فى السنوات الاخيرة ويتولى حل أعوص المشاكل بكفاءة وتدبير حكيم ، ويعينه فى ذلك لجان منها اللجنة الادارية واللجنة العلمية ، واللجنة المالية ، وغيرهن وكان التآلف والانسجام التـام بين العاملين فيـه أحسن ما يميزه ، وقد تـولى كتابته الاديب الممتاز الشيخ أحمـد رضـا حوحو حتـى اغتالـه الاستعمـار وتـولى شـؤونه الماليـة والاقتصـاديـة الاستـاذ أحمـد بـوشمـال ، واذا اجتمـع رأى وتدبـير المشائـخ محمـد البشـير الابـراهيمـى ، والعـربـى التبسـى ، ومحمد خير الدين وأحمد بوشمال على أمر من الامور فاعلم أنه الرأى السديد والتدبير المحكم ، وقد كان المعهد ثورة حقيقية فى حياة الجزائر قبل الثـورة وأثناءها ، ثم مـن بعدها فى عهـد الاستقلال وبلغ طلبته القمـة فى الشؤون العلمية والحربية والسياسية والادارية ، فقادوا الجيوش ، وسيروا الوزارات ودرسوا فى الجامعات ، وداووا المرضى وآسوا الجراحات وأشرفوا بكفاءة على الادارات • لقد انصهر (المعهد) بادارته وأساتذته وطلابه انصهارا كاملا فى الثورة ، وكذلك جميع ما ينتسب الى العلماء فى الوطن ، وحتى خارج الوطن فى فرنسا ، ولم يشذ أحد ولا حكم على أى منهم بالخيانة والتولى يوم الزحف واستشهد من أساتذة المعهد فقط : العربى التبسى ، وأحمد بوشمال ، وأحمد رضا حوحو ، ومحمد الزاهى ، ومحمد العدوى (10) وكان كثير منهم فى السجون

---

(10) اختطف الشيخ العربى يـوم 4 ابريل 1957 ولم يظهر له اثر : قتل ودفن سرا ، واعتقل أحمد بوشمال اثناء الاسبوع الثانى من سبتمبر 1958 ـ للمرة الثانية ـ ولم يظهر لـه أثر ـ بل قد عذب حتى مات ودفن سـرا ، واعتقل حوحو يوم 30 مارس 1956 واغتيل قرب الهرية (قسنطينة) ودفن سرا استشهد الزاهى أثناء معركة حامية فى جبال الميلية فى أوائل عام 1960 وكان مسؤول العدل كجندى ، اما الشيخ محمد العدوى أحد العلماء الافذاذ تخرج من الجامعة الزيتونية بشهادة العالمية ـ اغتيل أواخر أوت 1957 ودفن سرا •

والمعتقلات أو فى المهاجر يؤدون الخدمات ويتولون المسؤوليات أو مع الجيش يشنون الغارات . ومن ادعى غير هذا فهو متقول يطالب بالبرهان والبينات .

وأثناء هذه الفترة عادت الىالظهور سنة 1947 صحيفة الجمعية (البصائر) كلسان حال للجمعية ، وكان خليفة الرئيس ابن باديس يهتم - مثلـه - بالصحيفة ويتولى بنفسه أهـم شؤونها ، فلما سافـر الى الشرق - بقى يوافيها ببعض انتاجه ، وتولى أمرها بعض أبنائه واخوانه كالاستاذ حمزة (بوكوشة) والاستاذ عبـد اللطيـف سلطـانى والاستـاذ تـوفيق المـدنى وغـيرهم ، ثـم أسسـت لهـا لجنـة خاصـة أثنـاء الاجتمـاع المنعقـد فـى سبتمبـر 1953 م ، كما أسس لكـل مشروع لجنـة . هذا هـو الحـق ، أما ما يزعمه الاستاذ أحمد توفيق المدنى لنفسه (فى حياة كفاح) فالحق فيه الذى يعلمه أعضاء الجمعية أنه منذ بروز (البصائر) فى سلسلتها الثانية (1947) كان يكتب لها مقـالا أسبوعيا موضوعه (السياسة العالمية) ويمضيه بكنيته (أبـو محمد) وكان يقبض مرتبا سخيا يبلغ مقداره خمسين ألف فرنك - وهو مبلغ جسيم فى ذلك الحين،فمرتب أستاذ بمعهد ابن باديس كان 12 ألفا ثم 20 ألفا ثم رفع الى 30 ولم يزد على هذا حتى أغلق المعهد عام 1957م . كما كان الاستاذ المدنى يترجم للبصائر - وخصوصا بعد انتخابه أمينا عاما للجمعية عام 1951م بعض المقالات الصادرة عن الجزائر فى الصحف الفرنسية ، ولـما نشبت الثورة صار يتابع أحداثها ويترجم ما يصدر فى الصحف عنها ، على كل حال كان يقدم عمـلا مشكورا لا محالة ، أما تسيير أعمال الجمعية فكان للرئيس ، وكان الشيـخ العربى رحمه الله يقوم به فى غيابه ، وكانت اللجان المختصة تقوم بعملها ، وشهد الشيخ التبسى رحمه الله أن تسيير جمعية العلماء بعد تأسيس هذه اللجان - أصبح من الهين اليسير على أى رئيس حتى الشيخ على أو الخيار - وكـان عجوزا طيبا بلغ من العمر عتيا - . فلم يكن الشيخ توفيق قابضا على دفتـى سفينة الجمعية بعد الابراهيمى لا بيد قوية حازمة ماهرة ، ولا بيـد ضعيفة فاشلة خائرة ، بل كان يؤدى واجبه كفرد واحد من اخوانه .

الفصــــل التـاســـع

رحلات الى خارج الوطن ، وأعمال باهرة ، نداء الى الثــورة ومواصلتها فـــور نشـــوبهـا

20 ـ فى هذا الفصل الاخير عن الشيخ الابراهيمى نذكر أنه قام برحلات خارج الوطن آخرها الرحلة الى الشرق التى بقى فيها من عام 1952م الى أن تحقق الاستقلال عام 1962م ، سافر الى باريس العاصمة الفرنسية أثنـــاء السنوات 48 ـ 1950م غير مرة طلبا للعلاج ولقاء الرجال . والقيام بالاعمال ، وكانت اجتماعات منظمات الامم المتحدة تقع فى باريس ، وهكذا تسنى لـــه لقاء عظماء الرجال مثل محمد صلاح الدين وزير الخارجية فى حكومة الـوفد المصرية،ووزير خارجية الباكستان . وقد لحقه ـ فى رحلة من رحلاته الشيخ العربى التبسى عام 1950م ـ لقيتهما معا فى هذه العاصمة اثر رجوعي مــن مؤتمر السلام العالمى الثانى المنعقد فى فرسوفيا عاصمة بولونيا أواخر 1950 . فى شهر ديسمبر ، وقدمت فى هذه الرحلات خدمات وطنية سياسية وثقافية . أهم هذه الانجازات أن رجال الاحزاب الوطنية ـ على مستوى المغرب ـ اجتمعوا تحت رئاسة الشيخ وحضر عن تونس من مثل الحزب الحر الدستورى بقسميه القديم والجديد ، وعن الجزائر مــن مثل حركة انتصار الحريات الديمقراطية والاتحاد الديمقراطى للبيان الجزائرى، وعن المغرب من مثل حزب الاستقلال ، وغيره . وتباحثوا فى مصالح الوطن ، ووضعوا خطة للعمل . وهدنة كاملـة بينهم ، ودامت هذه الحال حتى نشبت الثـــورة فى الاقطار الثلاثة فوجدت الهدنة قائمة ، بــل ربما الحلف والصفاء كما كان الامر فى الجزائر ، فقــد قامت (جبهة الدفاع عن الحرية واحترامها فى أوت عام 1951م ، ولم يكن فيها تطاحن حزبى .

أما الناحية الثقافية فقد كانت عمّ الشيخ،ذلك أن جمعية العلماء اهتمت بحالة المغتربين منذ فتحت الابواب أمامهم عام 1936م ، فارسل ابن باديس الشيخ فضيلا الورتلانى ، فنظم لفائدة أمنهم عــلى ديانتهم وخلقهم ولسانهم وقوميتهم ـ برنامجا للعمل ، واستدعى للعمل معه خيرة الرجال من كبـــار أعضاء الجمعية وعلمائها مثل الشيخ سعيد صالحى ، والشيخ محمــد صالح

بن عتيق ، والشيخ محمد الزاهى ، والشيخ حمزة بوكوشة ، والشيخ الهادى السنوسى . والشيخ اسماعيل العربى ، والشيخ سعيد البيبانى ... الخ .
كل هؤلاء جندهم لغزوة جبارة كل عمل مدة . ثم رجع ولكن الحرب العالمية داهمت هذا المشروع فالتجأ الورتلانى الى الشرق مثل اسماعيل العربى ، ونام المشروع حتى نهاية الحرب ، فاستيقظ من جديد ، وأرسل له رجال من الجزائر على رأسهم الكاتب الشاعر المسلم الشهيد الربيع بوشامة ، ومعه الشيخ سعيد البيبانى وانظم اليهما الشيخ عبد الرحمن اليعلاوى ، وهو عالم جزائرى تونسى كان من رجال حركة العمال بتونس ومن خريجى الزيتونة . فنفى الى الجزائر مدة ثم ذهب الى فرنسا واشتغل بها ، فانظم الى حركة جمعية العلماء ، بل انتخب عضوا فى مجلس ادارتها . وقد قام هؤلاء العلماء باعمال فى فرنسا عظيمة ثقافية وسياسية ، من ذلك أن الوزير التونسى والزعيم السياسى صالح بن يوسف كان فى باريس عندما عزل من وزارته بعد نجاحه فى تكوين الحركة الاولى لدول العالم الثالث ـ فاختفى عند رجال جمعية العلماء ثم هربوه من فرنسا الى خارجها فذهب الى الشرق .

وفى سنة 1952م شرع معهد ابن باديس فى بناء دار عظمى للطلبة الثانويين فافتتح الحملة بنفسه وارسل المندوبين لجمع المال ، وقد اجتمعت بالابراهيمى فى طريقى الى ولايات الغرب فى أوائل 1952م قبيل رحلته الى الشرق ، ذلك أنه وردت اليه دعوة لحضور المؤتمر الاسلامى الذى كان سينعقد بمدينة كراتشى عاصمة الباكستان فقررت الجمعية ارساله ليمثل الجزائر ويبلغ ـ فى مؤتمر كبير للمسلمين ـ عواطف وآمال وآلام الشعب ، فسافر لاداء هذه المهمة فى شهر مارس 1952م ، وانعقد المؤتمر وأدى مهمته على أكمل الوجوه .. ولم يعد الا بعد الاستقلال .

وفى أكتوبر 1954م كانت الاستعدادات جارية بقسنطينة لارسال وفود من الطلبة عددهم أكثر من مائة وثلاثين ـ حينما نشبت الثورة فاوقفت السلطة الفرنسية التسهيلات ، ومنعت الخروج ـ ما عدا جماعة قليلة خرجت بحيل مختلفة ـ وكان قد سبقهم اخوان لهم فى السنوات 51 ـ 52 ـ 1953م وزعوا على الكويت والعراق وسوريا ، ومصر ، منهم من أتم دراسته بهذه الاوطان ،

ومنهم من اتجه الى أوروبا وكلهم رجعوا بشهادات علمية فى الحقوق أو الآداب أو الطب أو الهندسة ومنهم من عاد الى وطنه ليخوض المعارك ضد العدو فى صفوف جيش التحرير ، فمنهم من اختاره الله للشهادة ، ومنهم من هو حى حتى اليوم ـ يحتل مكانا ساميا فى حكومة بلاده أو ادارتها أو جامعتها أو ثانوياتها ·

ان الشيخ الابراهيمى ـ رحمه الله ـ كان قد اهتم بهم فى وطنهم ، فأسس لهم ـ مع اخوانه ـ المدارس الوطنية ، وها هو ذا يهتم بهم ليكملوا دراساتهم الثانوية والعالية ، فيحصل لهم على الاعتراف بشهادة المعهد كمرشح لذلك ـ وسبق ـ بهذا الاعتراف ـ من جامعات الشرق اعترافها بشهادات الزيتونة · كما يحصل لهم على منح سخية وكان يخاطب المسؤولين من مكان عال ويقول لهم : ان هذه المنح هى زكاة استقلالكم ، وشكرا لله على ما أولاكم ·

وكما أوذى الشيخ فى وطنه من عدو بلاده أو من منحرفى أمته أوذى أثناء هذه الفترة من عشاق احتكار الزعامة ، أو من مناورات صبيانية من عاقين فقابل كل ذلك بما عرف عنه من شجاعة ورحابة صدر ، ورجاحة عقل ·

21 ـ ولما نشبت الثورة ـ أول نوفمبر ـ بادر بتوجيه نداء الى أمته من اذاعة القاهرة يدعوها الى الجهاد المسلح ويبين لها أن واجبها أن تستميت فيه لان البقاء على الحالة الحاضرة موت ، فاذا لم يكن من الموت بد فليكن فى ساحة الشرف · وكان هذا النداء الصادر فى الاسبوع الثانى من نشوب الثورة فتوى شرعية بوجوب الجهاد فى صفوف جبهة جيش التحرير الوطنى ضد العدو المحتل ، والشيخ وحده ـ من القاهرة ـ هو الذى يمكنه أن يسمع منها صوت العلماء والدين ، ويتكلم باسمهم ، وكل اخوانه كانوا على رأيه ولم تكن لهم وسائل لتبليغ صوتهم وتعميمه فى الشعب ، وقد استجاب اخوانه وأبناؤه لهذا النداء ، ولم تسجل على واحد منهم الخيانة ـ والحمد لله ـ وكنا على اتصال به مستمر ، فسافر للقائه هنالك ـ قبيل الثورة أو اثناءها ـ المشائخ : العربى التبسى ، وأحمد بوشمال ، ثم حمزة بوكوشة ، وعباس بن الشيخ الحسين ، ليطلعوه على الحالة وليبصروه بالحقيقة وليعلم أن الثورة ثورة شعب لا ثورة شخص

ـ كما حاول بعضهم أن يغلط الناس ـ وقام العلماء ـ كافراد جنود ـ بواجبهم ينفذون ما يؤمرون به فكان فيهم من اختارهم الله للشهادة ، ومنهم من أودعوا السجون والمعتقلات ، ومنهم من خرجوا للعمل استجابة لدعاء وتنفيذا لامر؛ فمن الشهداء : العربى التبسى ، وأحمد بوشمال ، ومحمد الزاهى ومحمد العدوى ، وأحمد رضا حوحو ـ وقد تقدم ذكرهم ـ وعبد الكريم بلعقون ، والربيع بوشامة ، ومحمد بلحباسى ، ومحمد شبروف ، وأحمد شطة ، والبشير الريغى ، ومحمد عادل ، وأحمد قادرى ، ومخلوف ظريف ، وكلهم ممن كان يتحمل المسؤولية العظمى فى تسيير الحركة الاصلاحية ومنهم من قضى أغلب أيام الثورة فى جحيم المعتقلات والسجون ـ بعد اكتشاف أعماله ـ مثل : محمد الشبوكى ، ومحمد صالح بن عتيق ، وعبد القادر اليجورى ، والشيخ الطيب العلوى ، والشيخ مصباح ، وحمزة بوكوشة ، وأحمد سحنون ، وأحمد حمانى ، والصادق مخلوف ، وصالح نور ، والسعيد الزموشى ، وعمر شكيرى ، والسعيد الزموشى ثم فر من السجن وهاجر ومات ٠

ومنهم من غادر الوطن فى مهمات الجبهة مباشرة أو بواسطة الجيش ، مثل : الشيخ محمد خير الدين ، والشيخ ابراهيم مزهودى ، وأحمد توفيق المدنى ، ومصطفى بوغابة ، وعبد الرحمن شيبان ، وباقى بوعلام ، وأحمد حسين ، والطاهر سعدى ، وعباس بن الشيخ ، وعلى مرحوم ، والعربى السعدوى ، والعيد سلطانى ، وعمر دردور ، والشيخ المطاعى ، ومزعاش الطيب ، وصالح وشان ، وعبد الله ركيبى ، والشيخ أحمد بوروح ، يضاف الى هؤلاء الاصناف كثير من المسؤولين استشهدوا فى الميدان أو بفعل الظلم والطغيان ٠

فكما علا صوت الابراهيمى بالقاهرة يدعو الى العمل فى الثورة برهن اخوانه وجنده بالامس بالقول والعمل على انخراطهم فى صفوفها وانضوائهم تحت الوية قادتها المسؤولين عنها فى الداخل وفى الخارج ٠ وقد ذابت شخصيتهم الخاصة ولم يبق فى الميدان سوى شخصية الشعب يمثله الجبهة والجيش ٠

خاتمة الابراهيمي :

(يأيتها النفس المطمئنة ارجعي الى ربك)

22 ـ كان الابراهيمي رحمه الله يمثل ـ في الشرق ـ علماء الجزائر وأمة الجزائر المسلمة ، قد لفت اليه الانظار ، وكان بما يتمتع به من خصال في المستوى اللائق لهذا التمثيل . ثم ادركته الثورة بعد سنتين ونصف السنة من ارتحاله فبشر بها ، ودعا شعبه اليها . وجعلت ـ هذه الثورة ـ اسماع الناس تصيخ بالاهتمام الى كل قول يصدر من قادتها ، أو من زعماء هذا الشعب ، العسكريين والسياسيين والروحيين ، وقد وجد الابراهيمي ـ رحمه الله ـ بعد نشوبها مجال القول ذا سعة ، وان له لسانا قائلا .

واثناء وجوده بالقاهرة انتخب عضوا بالمجمع اللغوي بها ، وهو أعلى مجمع من نوعه في العالم الاسلامي ، ولا يقبل فيه الا كبار العلماء ، وعندما كان بالجزائر كان عضوا مراسلا له ، كما انتخب عضوا بالمجلس التأسيسي لرابطة العالم الاسلامي بمكة المكرمة يوم تأسيسها .

ولما تم بنيان الدولة الجزائرية من جديد ، وارتفع علمها بين الامم عام 1962م آن له ان يرجع الى وطنه فركب سيارة ، وقطع المسافة بين القاهرة والجزائر ـ وهي تربو على أربعة آلاف كلم ـ فيها ، ثم نزل بدار متواضعة في حي حيدرة . ولم يستطع ان يشارك في أحداث وطنه الكبرى الا انه خطب أول خطبة في جامع كشاوة بالعاصمة ، ثم في جامع حسن باي في قسنطينة ـ وكلاهما استرجعه المسلمون ، ونزعوا عنه ثوب المسخ . ولما أسست وزارة الاوقاف سمي في وظيفة شرفية . وعين له مرتب ضئيل ، سحب منه وشيكا لموقف لم يرض عنه ، ولكن الشعب وجيشه احتفظوا له بالرضى .

اثناء الاسبوع الثاني من شهر مايو 1965 اشتد به المرض ، ودخل في غيبوبة احتضار التي دامت معه الى ان لفظ انفاسه الاخيرة في يوم 19 مايو ، ورجعت النفس المطمئنة الى ربها راضية مرضية ، وصلى عليه بالجامع الكبير ، ثم شيع الى مقره الاخير ، في مقبرة سيدي محمد ، وحضر جنازته مئات الالوف وذكرنا يومه بيوم دفن أمثاله كالامام أحمد بن حنبل بالامس البعيد ، ومثل ابن باديس بالامس القريب وعرف الناس مقدار سلطان العلم .

وابنه على قبره زميله ونائبه الشيخ محمد خير الدين، ورثاه صديقه الشاعر الكبير محمد العيد، لم يكن مرتفع السن كثيرا يوم توفى عن (76 عاما) فقد ولد فى شهر يونيو 1889 ببلدية راس الوادى فى قبيلة (ريغة) من ولاية سطيف وبها حفظ القرآن الكريم وأخذ فى تعلم مبادىء العلوم الدينية واللسانية ، والعقلية حتى مهر فى كثير من فنونها وتفوق ، فسافر الى وادى الساحل ودخل بعض المعاهد هنالك . ثم هاجر الى الحجاز مع أهله قبل الحرب العالمية الاولى فاتم دراسته ونبغ فى الكتابة والخطابة والتدريس ، وشارك أبناء عصره من الاصلاحيين بالتفكير والتدبير والعمل والكتابة ، ولما حج ابن باديس عام 1331 هـ (1913) لقية وتعارفا لاول مرة . وتحادثا فى مستقبل الجزائر ، واتفقا على وجوب قيام نهضة قومية على أساس الدين واللغة والخلق المتين نهضة شاملة كاملة . وقد قدر لهما ان يتعاونا ، ثم يخلف الابراهيمى ابن باديس فى اتمام ما شرع الاول فيه .

وجاءت أحداث الحرب 14 ـ 1918 وكانت خيبة مرة لعالم الاسلام والمسلمين ، وسقطت دولة الخلافة ، وفقدت بعض الاوطان الاسلامية العربية ما كانت تملكه من (شبه) استقلال ، فلما انتهت الحرب عام 1918 كان الابراهيمى فى دمشق وحضر تنصيب الملك فيصل ابن الحسين على (مملكة) سوريا ، فجاء جنرال فرنسا المتعجرف (غورو) واسقط مملكة فيصل، وارتكب عدة حماقات. واثناء وجود الابراهيمى بدمشق كان يلقى محاضراته وأحاديثه ودروسه فى المعاهد العليا ، وكون طائفة كانوا من بعد من أعظم رجال الفكر والادب والسياسة ، منهم فارس الخورى الزعيم العربى الكبير .

وبعد ورود السلطة الفرنسية وسفهها ورجالها على سوريا لم يبق للشيخ الا الرجوع الى الجزائر ، فأخذ يتردد على عواصمها . كما ان بيته كان كعبة القصاد من العلماء والادباء والشعراء الجزائريين والتونسيين . وأثناء وجوده ببلدته رأس الوادى أسس مسجدا جامعا تولى الخطابة بنفسه فيه ، لكنه وجد مضايقة شديدة من الاستعمار ، ولما زاره ابن باديس منع من القاء درسه فى المسجد ! كما أنه أسس تجارة لم تنجح ، فانصرف الى التجارة التى تنجى من عذاب اليم فنجح .

فعندما تأسست جمعية العلماء ـ وكان من الداعين لها ـ أنتخب كنائب للرئيس ، وبقى كذلك حتى وفاة ابن باديس وهو فى المنفى ، فأنتخب خليفة له • وكان قد انتقل الى مدينة تلمسان وأحدث بها نهضة دينية قومية ، وأخذ ينتقل فى أنحاء ولاية الغرب الجزائرى التى كانت تمتد الى حدود ولاية الجزائر فعمت اليقظة وأقبل الناس يأخذون باسباب النهضة العامة ، وكانت السلطة الفرنسية تراقبه بحذر وتربص ، وأغلقت مدرسة دار الحديث بعد انجازها عام 1937 ثم انتهزت فرصة الحرب العالمية الثانية فالقت عليه القبض فى شهورها الاولى وبقى فى الاعتقال أكثر من ثلاثة أعوام ، ثم أعيد الى السجن عام 1945 • فى شهر ماى •

وكان رحمه الله سمحا كريما سخيا واسع الصدر ، باسم الثغر رفيقا بابنائه واخوانه حادبا عليهم ، بحرا لا يجارى فى العلم والادب ، حلو الفكاهة سريع البديهة سليم الطوية برا باخوانه وأبنائه يكرم محسنهم ، ويعفو عن مسيئهم ، أبغض شىء اليه الاستعمار وأبناؤه وقادته ودوله وعملاؤه ، ومن شاء أن يعرف صدق هذا فليدرس مقالاته فى (عيون البصائر) عن فرنسا وعملائها داخل الجزائر وخارجها • رحمه الله برحمته الواسعة •

الفصل العاشر

الشيخ محمد خير الدين ثالث ثلاثة بعد الحرب الاخيرة

23 ـ من الغبن الشديد أن نضع القلم دون أن نخصص بعض السطور لهذه الشخصية الفذة التى ورد ذكرها كثيرا فى هذه الخاتمة ، ولا يشفع لاغفال ذكرها أنه ما يزال على قيد الحياة • ـ متعه الله بها ـ فان من لم ينصف الاحياء لم ينصف الاموات ، ولقد سرنى جدا أن رأيته يوم افتتاح المؤتمر الخامس لحزب جبهة التحرير مدعوا من الامانة العامة للحزب كغيره من كبار رجال جبهة التحرير وجيش التحرير أيام الكفاح ـ فان هذا أقل تكريم يناله من خدموا الوطن خدمة صدق واخلاص ، تسمو عن كل الاعتبارات • ولد الشيخ محمد خير الدين بقرية (فرفار) احدى قرى واحة طولقة بالجنوب الغربى من مدينة بسكرة عروس الزيبان أوائل هذا القرن ، وعائلة خير الدين ذات مجد عريق ، كانوا ـ أثناء الحكم الحفصى ثم العثمانى ـ أمراء فى تلك

النواحى وسادة العرب الاقحاح ، من بنى هلال ورياح ، وخير الدين ـ جده ـ أحد أولئك الامراء فى عصره · بذلك جاءت الاخبار الصحاح ·

وبعد أن حفظ القرآن الكريم فى عائلته ارتحل فى طلب العلم ، فنـــزل بمدينة قسنطينة وانخرط فى سلك طلبة عالمها الشيخ الطاهر بن زقوطة (11) سنة 1917م ، وقد عرفت الشيخ الطاهر خطيب جامع (سيدى الكتانى أو صالح باى) وكان عظيم التحصيل كفؤا فى مهنته ، يشتغل بتلقـين الطلبـة الواردين مختلف الفنون الاسلامية والعلوم العربية ·

ولم يمكث الشيخ محمد طويلا بقسنطينة ، فارتحل نحو جامع الزيتونة وانخرط فى سلك طلبته النظاميين الى أن حصل على شهادة التطويع (العالمية) ورجع الى قريته (فرفـار) وانتصب للافادة والتدريس للعامـة والخاصة ، ويسمع منه كثير من أبناء الجهة ، وكانت الدعوة فى بدايتها ، والخصومة بين الأصلاح والطرقية فى عنفوانها ، والعراك بين دعاة النهوض ودعاة الركود على أشده ، وكانت (فرفـار) منطقة عسكرية لا تتحمل مثـل ذلك ، فانتقــل ـ بعائلته ـ الى مدينة بسكرة ، فكان فيها أحسن بالا · وقد عزز نزوله بهـا الدعوة الاصلاحية التى كان صوت الشيخ الطيب العقبى يرتفع بها · وقـد أسس الاخوة خير الدين فى بسكرة تجارة يشرف عليها الشيخ بالرأى والتدبير واخوانه بالعمل والسعى والتنفيذ · فما كان لهم من ثروة ، فانما حصلوه من كسب حلال وبطرق شرعية ·

وفى سنة 1927 أسس الشيخ الطيب جريدة (الاصلاح) ولم يسمح لها بالطباعة فى تونس ، ولم تستطع أن تطبع فى قسنطينة ، فأسس الشيخ خير الدين جمعية لانشاء مطبعة تكون خير ضمان لطبع الاصلاح ، فكان عمل الشيخ وفكرته كعمل ابن باديس وتفكيره · كلاهما عمل لانشاء طباعة وطنية.

---

(11) أحد فقهاء مدينة قسنطينة ووعاظها ولد سنة 1875 م ، أخذ عن الشيخ حمدان الونيسى واجازه ، توفى فى 10 محرم 1368 هـ ، الموافق لـ 11 نوفمبر 1948 م · رحمه الله ، وكان مقتدرا ينشىء خطبة الجمعة كل أسبوع بقلمه · ويجتمع الطلبة لسماع دروسه فى العربية والدين ·

(صححه : م· ع· بستانجى)



الشيخ محمد خير الدين

وقد عمل كثيرا ـ كاخوانه العلماء ـ لتأسيس جمعية العلماء وتحقيق فكرتها، وقد حدثني أن الشيخ عبد الحميد بن باديس لم يحضر جلساتها الاولى بتدبير من الجماعة وبتواطؤ منهم مع الشيخ ابن باديس نفسه، لان أعوان الحكومة ، وعملاءها ، (واخوان) العليوية وكثيرا من مشائخ الطرق كانوا يأخذون حذرهم ، لو برز ابن باديس من أول وهلة . فأما اذا تحقق وجود الجمعية ، وانتخب على رأسها فلن يضير انزعاجهم ولا مكائدهم . وقد نال الشيخ خير الدين حظه من المحنة ، فاعتقل مرارا ، ووضع تحت الاقامة الجبرية . وبعث به الى المنفى ـ أظن أنه نفى لاول مرة عام 1934م ـ ودبرت مكيدة لتجنيده فى الجندية الفرنسية ـ مكرا به ـ فتخلص من الورطة بتدبير حكيم من تدابيره ، كما أعتقل عام 1944م أواخر الحرب ، ونفى الى مجانة . فلما نشبت حوادث 8 ماى 1945م، كان من جملة من سيقوا الى السجن بقصد محاكمتهم أو اعدامهم، فلما افتضحت فرنسا فى (سوريا) اطلق سراحهم ، وسيق الشيخ محمد خير الدين الى الاقامة الجبرية ، حتى انتهت الازمة .

24 ـ منذ عهد الشيخ ابن باديس كان الشيخ خير الدين من اقطاب الدعوة الاسلامية والنهضة الوطنية ، وكان له أثر كبير فى مدينة بسكرة ، وعلى المستوى الوطني، ففى بسكرة كان مؤسسا ومديرا لمدرسة (الاخاء) ـ ومن تلاميذها النبغاء الشيخ محمد الغسيرى (12) سفير الجزائر السابق بالمملكة العربية السعودية ثم بالكويت رحمه الله ـ كما كان له الفضل الاكبر فى تأسيس مدرسة التربية ، والتعليم بها من بعد ، وهى من أهم مدارس القطر ومن تلاميذها الشهيد العربى بن مهيدى .

اما بعد وفاة ابن باديس فقد ثقلت مسؤوليته فاضطلع بها على أحسن ما يرام ، كان الشيخ مبارك مريضا يكاد يقعده المرض ، وكان الشيخ البشير

---

(12) الشيخ محمد يكن الغسيرى أحد نبغاء طلبة ابن باديس من أبناء أوراس وأحد مؤسسى المدرسة العربية الحديثة فى الجزائر ، وأول من باشر التفتيش العام للتعليم وأحد مؤسسى لجنة التعليم العليا هاجر أثناء الثورة عام 1956 فى مهمة ثم كان سفير الجمهورية فى دمشق ثم فى السعودية ثم فى الكويت وحيثما كان يكون له الصدارة بين السفراء العرب .

ولد بغسيرة من الاوراس عام 1919 وتوفى فى 29 جويلية 1974 .

مسجونا (معتقلا) وكان الشيخ العربي التبسي تحت الرقابة المشتدة ۰ لكن اثنين من الرجال منحهما اللـه من الذكاء ، والمـرونة ، والدهاء . والايمان ، والصبر ما يجعلهما أصلح الناس للعمل فى مثل تلك الاحوال ، هذان الرجلان هما : محمد خير الدين وأحمد بوشمال ، وكانا على صفاء ومـودة واخلاص ، فاليهما يرجع أكبر الفضل فى المحافظة على الجمعية وهيكلها والخروج بها الى شاطىء الامان ۰

24 ـ ثم كان للشيخ محمد خير الدين نشاط مستمر ومشاركة فى كـل أعمال الجمعية ومشاريعها الكبرى مثل تأسيس معهد ابن باديس عام 1947 م ـ وتأسيس دار الطلبة عام 52 ـ 1953 م ۰ وكان ـ وتلك خاصية فيـــه ـ يخوض الاحداث السياسية الوطنية بكل شجاعة وبدون مؤاربة على المستوى المحلى وعلى المستوى الوطنى ، فكان له رأى فى المجلس البلدى وفى المجلس العمالى ، والمجلس المالى يحاد به قوائم الادارة الفرنسية ويقاومها فى تناسق تام وتفاهم كامل مع الدكتور سعدان احد أقطاب السياسة الوطنيين ، وكان أقرب ساسة زمانه الى القومية الجزائرية العربية الاسلامية بتكوين حســن ، وتأثير من الشيخ خير الدين ، كما كان له رأى فى حركة (البيان) التى أدت الى تآلف جميع الهيئات الوطنية فى حزب وحيد هو (أحباب البيان والحرية) وكان اركانه : من الحزب الوطنى : حزب الشعب،والعلماء ، ووحدة النواب والمستقلين ، وانسجم الشعب كله فى حزب موحد 44 ـ 45 وحضر المـؤتمر الكبير فى ربيع (مارس) سنة 1945 م ، فلما ضربت فرنسا ضربتها فى حوادث 1945 م ، اعتقل وسيق مكبلا الى السجون ثم الى النفى كما تقدم ۰ كانت اقامة الشيخ محمد خير الدين كاخوانه فى بسكرة ، ولكنه كثير التردد على قسنطينة والجــزائــر ۰

ثم كان الشيخ احد المؤسسين الاساسيين (لجبهة الدفاع عن الحريـــة واحترامها) عام 1951 م ، وهى مؤسسة تجمع بين (حركة انتصار الحريات الديمقراطية ، وجمعيـــة العلماء،والاتحـــاد الديمقراطى للبيـــان الجزائرى ـ والحزب الشيوعى الجزائرى) ومهمة هذه الجبهة مقاومة الارهاب والضغط الذى سلطته الحكومة الفرنسية ضد مناضلى الحزب الوطنى بعد أن كشفت (مؤامرة 1951م) كما سمتها الجرائد، وكان الهدفالواضح هو القضاء علىالحركة

الوطنية ، وعلى الاستعدادات الجارية للثورة التى علمت الادارة الفرنسية بها ولكنها لم تعرف كنهها ، فهذه الجبهة كانت قـــوة عظمى لكشف الارهاب ، والتخفيف عن المضطهدين، واسدال الستار الكثيف على الاستعدادات الصحيحة للثورة ، وقد استمر نشاط هذه الجبهة الى نشوب الثورة ، ولما كنت رئيس فرع قسنطينة منها فانى لما أعتقلت عام 1957 م وجدت عند الشرطة ـ أثنـاء العذاب والاستنطاق ـ بعض منشوراتها مما زاد فى ثقل الملف ـ فلما جاءت الثورة نسخت جبهة التحرير كل الاحزاب والجبهات ـ وانتقلت الجزائر من الدفاع الى الهجوم ·

25 ـ بقى الشيخ محمد خير الدين يدير المعهد بالنيابة عن الشيخ العربى الذى أنتقل الى الجزائر ليشرف على أعمال الجمعية ويدير شؤونها بعد ارتحال الرئيس الى الشرق مارس 1952 وبرهن عن كفاءة ومهارة وبراعة، ولم يكن يدير المعهد وحده، ولكن يقوم باعباء جسام على المستوى المحلى والوطنى ويحســن استخدام الرجال وتكوينهم ، وغرس الثقة بهم وفيهم ، فكانت اللجان تقوم بالاعمال ، والطلبة يشعرون بسلطة حازمــة دون ارهاق ولا ضغط · ومنــذ نشوب الثورة ، كان يعلم أن كثيرا من العاملين معه ومن طلبة المعهد فدائيون ، فيتغافل عنهم أو يشعرهم بالرضاء عنهــم دون أن يكشف عواطفه واتصالاته الشخصية ، ومن الذين كانوا على صلة متينة به الشيخ صالح بوذراع الاستاذ بمدرسة التربية والتعليم(13)، واحد رؤساء الحركة الفدائية فى ناحية قسنطينة بالولاية الثانية ، وقد انكشف أمـره فى خريف 1955 م وصعد الى الجبل ، وفى تلك الظروف الشديدة لا يمكن أن يكشف كل واحد اتصالاته وأعماله · فلما جاءت أحداث 20 أوت 1955 وكشفت عن اتجاهات خاطئة وأحكام غـير صحيحة ـ منها اعدام الصيدلى عباس علاوة رحمه الله، وهو من خيرة الوطنيين

---

(13) أحد مناضلى الحركة الوطنية والمشاركين فى التحضير للثورة سنة 1945 اختفى مدة ثم استقر بمدينة قسنطينة وباشر التعليم بمدرسة التربية وتولى الفداء مع الخلية الاولى بها أثناء 1955 ثم انكشف امره فتجند والتحق بالجبل وتولى ـ مع الشهيد مسعود بوجريو مسؤولية الفدائيين فى منطقة الشمـــال القسنطينى حتى استشهدا بقرب الميلية أثناء معركة عام 1960 ويوجد قبره على قرب من الميلية فى مقبرة الشهداء ·

المخلصين ـ عندئذ اتصل الشيخ محمد خير الدين بالشهيد العظيم عبان رمضان رأسا ـ في العاصمة ـ وتفاوض معه في الامر وكشف له كثيرا مما كان غافلا عنه ، وحمد الله عبان على هذا الاتصال الذي تبين فيه ، وصحح وجهة نظره ، وتمت الاتصالات بين الرجلين من خريف 1955 م حتى ربيع 1956 م · وفيه تقرر ارسال الشيخ كمندوب الى المغرب الاقصى من الجبهة ، فاستقر بالمغرب ممثلا للجبهة متكلما باسمها · وكان له عند السلطان محمد الخامس رحمه الله مكانة سامية لانه ـ أثناء تالب الاعداء على السلطان ومحاولة خلعه أصدرت جمعية العلماء فتوى أن السلطان تتوفر فيه جميع الشروط التي تشترط فيمن يتولى الامر عند جميع مذاهب المسلمين ، كالقرشية عند أهل السنة ـ والعلوية عند الشيعة ، والعدل عند الخوارج · ونشرت الفتـوى في جريدة البصائر باسم الشيخ محمد خير الدين ، فكانت هذه يد له عند السلطان رحمه الله · لهذا كان تعيين الشيخ للعمل بالمغرب تصرفا سديدا ، وبقي في منصبه ذلك حتى بدت طلائع الاستقلال · ثم عاد الى المغرب موفدا مـن الدولة في بعض المهام فادى أجـل الخدمات · نذكر هـذا للتاريخ لتصحيح بعض الاحكـام والنظريات من وطنيين محترمين ، ودفعا لتخرصات بعض التافهين ·

26 ـ بعد الاستقلال عاد الشيخ الى وطنه وشارك في الاعمال ، ورشح الى أول مجلس تأسيسي لوضع الدستور الاول للجمهورية ، فأدى واجبه بكـــل كفاءة واخلاص ·

ثم مال الى العزلة في منزله معتنيا بالقراءة والتأمل واقتناء الكتب الثمينة والمخطوطات النادرة ، وقـد تمكن من انشاء مكتبة عظيمة يعتـز بها ويعمل لانمائها ، وكثيرا ما يستقبل في داره اخوانه القدماء ـ وهم كثير ـ من علماء وسياسيين ومناضلين وتجار ومحترفين يحمل لـه الجميع الاحترام والتقدير والثقة ويجدون في حضرته الانس والذكريات العطرة ·

ان الشيخ محمد خير الدين يتوفر على أخلاق ممتازة أعظمها الذكاء والالمعية وصدق الفراسة والدهاء والتواضع ·

وانه ليذكرنا بمن اشتهر من العرب بالدهاء وحسن التدبير والتخلص من أشد المآزق وأحرج المواقف مع الايمان بالله وحسن الوفاء ·

فكم من موقف عسير يسره ، وكم من موقف حرج كشف غمته ، وكم من شرك نصب لاصطياده فاحتال لعدم الوقوع فيه ، وربما أوقع فيه من نصبه له وكايده به « **ولا يحيق المكرُ السيِّءُ الا بأهله** » . ورغم علو سنه ـ نسبيا ـ فانه ما يزال على نشاطه يقود السيارة بنفسه ، ويطالع ، ويكتب ، ويتحدث ، وذاكرته سليمة تسعفه بذكر أدق التفاصيل عما وقع منذ عشرات السنين .

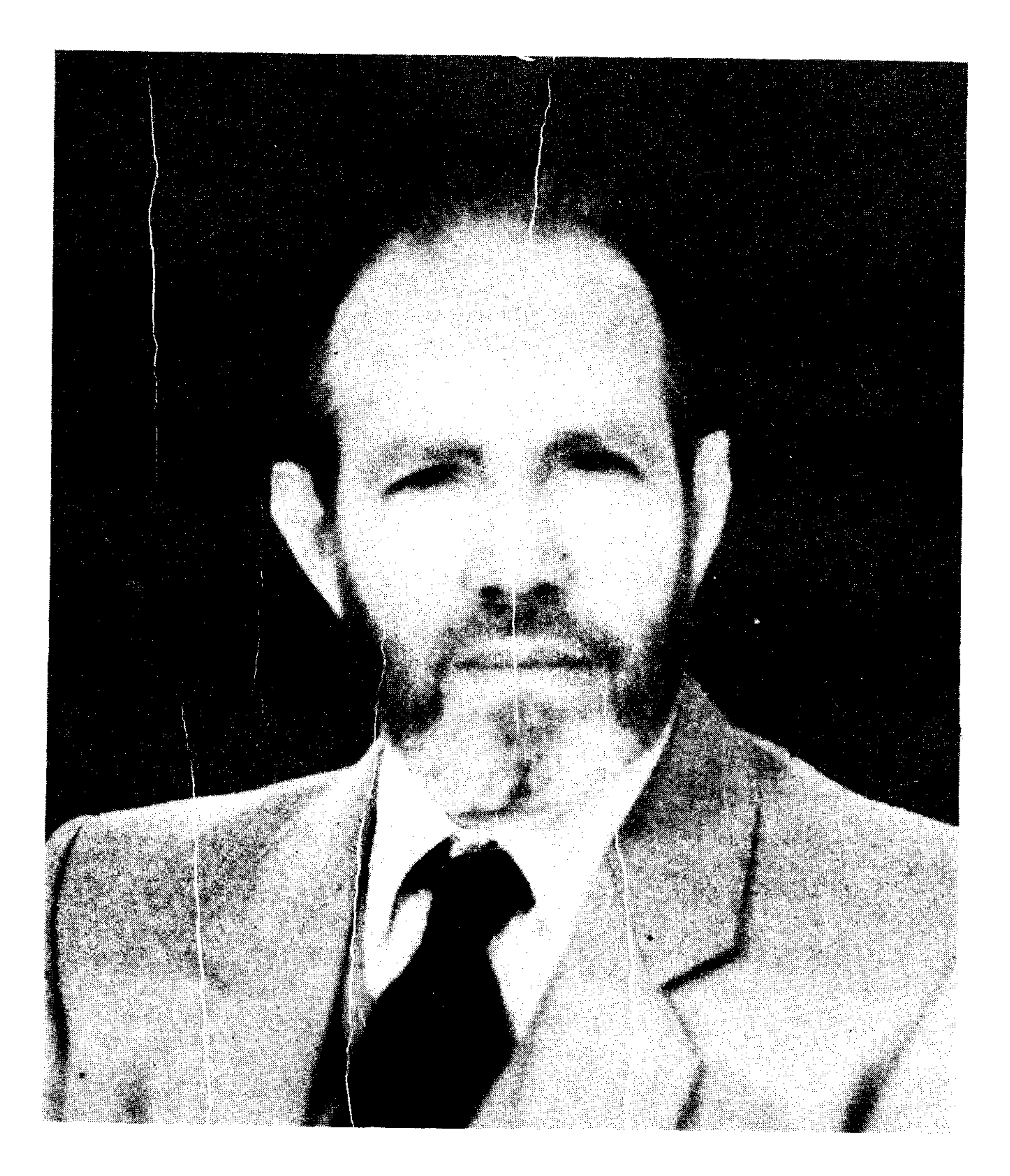
حفظه الله ورعاه واطال فى الصالحات عمره .

الفصل الحادى عشر ـ أحمد حماني

فى هذا الفصل الاخير من الخاتمة ومن الكتاب رأينا ان نقدم للقراء كلمة عن مؤلفه جزاء صبر من صبر على متابعة قراءته حتى النهاية ، أو عقوبة له ان لم يرض عنه !

27 ـ ينتمى أحمد حمانى الى عائلة معروفة بالشمال القسنطينى فى دائرة الميلية بلدية العنصر ، وجدها ـ محمد حمانى ـ كان من رجال ادارة آل (ابن عز الدين) الذين كانوا يحكمون تلك الجهة أواخر الحكم العثمانى ، ولم يكن يخلو من فتن فذهب ضحية بعضها ، وترك من الابناء ثلاثة رجال : ابراهَم ، وعلي ، ومسعود ، وشارك جدنا مسعود فى مقاومة الاحتلال الفرنسى وقد رأيت بعض أنواع السلاح التى استعملها ، وكانت فى ارث عمى رابح والد الشيخ الصادق حمانى . وقد اشتهر عنه أنه من أباة الضيم ـ ضرب قائدا ظلمه ـ وكان عصاميا ، حفظ جزءا كبيرا من القرآن وهو كبير ، وحرص على وجود كتاب له يتعلم فيه الصغار .

وطيلة الحكم الفرنسى لم يسجل التاريخ ـ والحمد لله ـ أن واحدا من أبناء العائلة تعاون ـ بالعمل فى وظيفة بسيطة أو خطيرة ـ مع الفرنسيين،ولم يكن ذلك عن خمول ، بل كانوا يرون ذلك من الرجس ، وقد اطلعت على تقرير سرى كتبه مسؤول فرنسى يتكلم عن مدرسة الميلية فى عهد ادارة الشيخ الصادق حمانى ـ عام 1945 ـ 1946 أو عهد ادارة الشيخ عمر حمانى ـ فى مطلع الثورة ـ فقال عنه (انه من عائلة مشبوهة) وهذا نيشان افتخار والحمد لله .



الشيخ أحمد حماني

في الاسبوع الاخير ـ 26 من شهر شوال ـ 1333 هـ ، والاول من سبتمبر ـ 6 منه ـ سنة 1915 م ، ولد الصبى أحمد بن محمد بن مسعود بن محمد حمانى بدوار تمنجر بلدية العنصر دائـرة الميلية ، وكان يوم الاثنين كما علمت ، والشهران معلومان لنا أيضا ، والسنة كذلك،وبالرجوع الى الاستاذ غزلون مدير المرصد الفلكي ، تبين أنه يوافق ما ذكر ، لان يوم الاثنين ذاك هو الجامع بين الشهرين القمرى والميلادى · ولما أردنا التوجه الى تونس سنة 1934 وجدنا انفسنا (منسيين) فغير الوالد ـ رحمه الله ـ تاريخ الميلاد الى عام 1920 م لنكمل دراستنا قبل ان تدركنا العسكرية والتجنيد الفرنسى ـ وقد ولد الشيخ الصادق مـن بعدى بتسعة أشهر فميلاده فى جوان 1916 ، ووفاته فى 6 مارس 1983 م رحمه الله ·

28 ـ دخلنا كتاب قريتنا فى نحو الخامسة من عمرى فبدأنا بالقرآن · وعلى والدى الشيخ محمد حمانى أخذنا المبادىء الاولى فى الفقه والتوحيد ـ وكان من طلبة الشيخ صالح بن مهنا الازهرى (14) بقسنطينة ومن فقهاء الجهة ـ ثـم انتقلنا ـ و (نا) هنا ليست للتعظيم ولكنى أتكلم عنى وعن أخى وشقيق نفسى الشيخ الصادق حمانى ـ انتقلنا الى مدينة قسنطينة مع أخى الشيخ محمود حمانى تلميذ ابن باديس رحمهما الله فتولى بنفسه تعليمنا القرآن أولا فى كتاب (سيدى محمد النجار) ثم فى (زاوية مولاى الطيب) فى حى (سيدى بوعنابة) · وفى مدة قليلة أتقنا حفظ القرآن عنده ، وكنا أثناء طلب القرآن نحضر دروس العلـم كمستمعين ، وأقرب معاهده الينا (زاوية عيساوة) فى (سيدى بوعنابة) حيث يلقى الدروس الشيخ أحمد مرازقة (الحبيباتنى) ـ وكان صديق الوالد أثناء الدراسة ـ فلما سألته لماذا نذهب الى درس ابن باديس أجابنى بقوله (وفوق كل ذى علم عليم) ولم يزد ففهمت · وكان سؤالى بسبب انه لما زار قسنطينة اختار ان يحضر درس ابن باديس واخذنى معه ·

---

(14) كان من أكبر علماء عصره ، رجع من الازهر بفكرة الاصلاح التى بثهـا محمد عبده وأيد السنة وحارب البدعة وتعرض للاضطهاد · ولـد بمدينـة قسنطينة سنة 1854 م ، وتوفى فى 11 أفريل 1910 بنفس المدينـة وشيـع جثمانه جم غفير من سكانها ودفن فى المقبرة المركزية · وله عدة تأليـف ، هاجمه الشيخ عاشور وغيره ·

أثناء هذه السنة جاء شهر رمضان ، وتساءلت ، هل أصوم أو لا أصوم ؟ ولم أكن ــ بعد قد شعرت بعلامات البلوغ ــ فقلت لنفسي : أذهب لاستشارة الشيخ ابن باديس لازالة الشك وذهبت اليه فى (سيدى قموش) فما أحسن ما استقبلنى ! وسألنى عن كل شيء عن اسمى وعمرى وعائلتى وبلدى وقراءتى ــ وقال لى : متى تأتى عندنا لقراءة العلم ؟ ثم سألنى عن المقصود من الزيارة فلما علم موضوعها قال : (لما كنت تحفظ القرآن فأنت رجل ، فصم) وخرجت من لقائه لا تسعنى الدنيا وبشرت أخى ووالدى رحمهما الله بما قال فوافقا ولم يقل سرورهما عن سرورى .

وفى أول السنة الدراسية 1931 كنا ضمن طلبة (الجامع الاخضر وسيدى قموش) وفى هذه السنة تأسست جمعية العلماء وتضاعف عدد الطلبة ، وكان مع الشيخ فى التدريس الشيخ سعيد الزموشى ، والشيخ الشريف الصائغى(15) وعن الاول أخذنا النحو والصرف والفقه والتوحيد، وعلى الثانى قرأنا الحساب والجغرافية والتاريخ ... الخ . وكانت سنة عامرة . وفى السنة الثانية غادرنا الشيخ السعيد الى معسكر ، وأقبل علينا الشيخ عبد العلى الاخضرى وهو عالم محصل رحمهم الله . ولا أغفل اننا فى هذه الحقبة قد انتفعنا أيضا بدروس الشيخ الاخضر الفيلالى الخنقى ، والشيخ الفضيل الورتلانى . والشيخ محمد ميهوبى من كبار الطلاب ، والشيخ محمد المليانى الذى كان لنا نعم المربى والمرشد ، وقد صحبنا ــ من بعد ــ الى تونس ومكث معنا حتى عام 1937 فاستفدنا من صحبته كثيرا . واثناء هذه الفترة التى دامت من 1931 حتى سبتمبر 1934 كان الوطن تجرى فيه أحداث جسام منها المعارك الحاسمة مع المخرفين فى الدين، ومع رجال (جمعية علماء السنة) العملاء ومع الادارة الفرنسية . ففى 1934 حضرنا لاول مرة مظاهرة شعبية كبرى وعلى رأسها ابن باديس والدكتور ابن جلول ، وكانت ضد اغلاق المساجد فى وجوه العلماء . ورأينا فى هذه الفترة من الصحف : الشهاب ، والسنة ، والشريعة ،

---

(15) كلاهما من عائلة الصياغ الشهيرة بعين البيضاء ومسكيانة وكان الشيخ سعيد ــ بالخصوص ــ من كبار رجال جمعية العلماء الوطنيين سجن عام 1956 ثم « هرب » من السجن ، وهاجر الى المغرب بطريق الجيش وتوفى بوجدة رحمه الله .

والصراط السوى ، والاخلاص لسان حال (جمعية علماء السنة) والمعيار جريدة سفيهة تشتم اعراض العلماء وأسكتتها جريدة الجحيم) ، وقرأنا المقالات والردود والنقوض ، ودخلنا ادارة الشهاب ومطبعتها ، كل هذا ترك اثره الواضح فى تكويننا ـ وفى سنة 1934 وقعت أحداث 5 أوت بمدينة قسنطينة ورأينا ثورة الشعب حقيقة ، وحضرناها وذل بعدها اليهود .

29 ـ بعد موافقة أوليائنا وأخذ الاذن من أستاذنا، توجهنا ـ أنا والشيخ الصادق ـ الى تونس يوم 26 سبتمبر 1934 ، وشرعنا فى الدراسة بالجامع الاعظم فى أكتوبر ، ولم نستطع التقيد بالنظام فكنا أحرارا فى اختيار الدروس والمشائخ حتى نهاية السنة ، وكانت دراستنا غنية مفيدة ولم تقتصر على الجامع بل شملت دروس الرياضيات ، والفرنسية فى (الخلدونية) ، وقد تابع الاخ الشيخ الصادق دروس الفرنسية بانتظام ـ فيما بعد ـ حتى بلغ فيها حد الاتقان فهما ومحادثة وقراءة ـ ولم استطع أن أفعل فعله . بل قصرت عنه حتى جبرت بعض النقص أثناء السجن 1957 ـ 1962 م .

وكانت سنة 1936 م سنة جد واجتهاد وتحضير للحصول على الاهلية وحضر ميعاد الامتحان . فحصلنا ـ كلانا ـ عليها بتفوق ، ثم تابعنا الدراسة (36 ـ 1937) فاعلن الاضراب ودام حتى نهاية السنة فخسرناها ، ثم استمرت دراستنا وسط العواصف والزعازع السياسية المحلية والعالمية حتى بلغنا سنة التحصيل وهى سنة 39 ـ 40 فاعلنت الحرب فى 3 سبتمبر 1939 واغلقت الحدود ، وحاولنا اختراقها فلم نستطع ، واتصل الشيخ الصادق بالسيد فرحات عباس النائب المالى والعمالى ليحصل له على جواز فوجد الابواب مغلقة فقال له : ما هو ذنبى ؟ فقال النائب : ألا تعرف ذنبك عندهم ؟ انه أعظم الذنوب ! انك ذاهب للعلم بالعربية ! ومع ذلك فقد احتلنا فذهب قبلى لوفاة والدى فى 2 نوفمبر 1939 ثم التحقت بطريق السرية .

ودامت الدراسة الى مايو 1940 ، فكان الهجوم الالمانى فى 5 منه، وفتك بدولة فرنسا فى أسابيع، ثم دخلت الحرب ايطاليا ضد فرنسا فى 10 جوان فتعطلت تماما، وكنا على أبواب الامتحان، وغادر الشيخ الصادق تونس (نهائيا) أو يوليو، وبقيت فيها حتى استؤنفت الدراسة فى أكتوبر 1940 ، واجرى الامتحان

الذى اعلنت نتائجه فى 3 ديسمبر 1940 ، وكنت من الفائزين بتفوق ، وسجلت اسمى فى طلبة التعليم العالى .

31 ـ استطعت ان أحصل على مساعدة مادية من جمعية التربية والتعليم لاكمال الدراسة بواسطة ثلاثة من الاخوة الكرام ، وهم الشيخ عبد الحفيظ الجنان، والشيخ أحمد بوشمال والحاج محمد دمق رحمهم الله(16)، وكان الشيخ ابن باديس قد سعى ليرسلنى فى بعثة الى مصر مع أول بعثة قررها ، كما ينص على ذلك قانون جمعية التربية ـ فحالت ظروف الحرب دون التنفيذ فطلبت من هؤلاء الاعضاء هذه المساعدة فوافقوا ، وهكذا سجلت فى القسم الشرعى ، وتابعت فيه دراستى ، ولم أكن اتغيب عن دروس القسم الادبى وخصوصا دراسة كتاب (مغنى اللبيب) لابن هشام على العلامة المرحوم الشيخ الهادى بن القاضى ، وكان علامة زمانه فى العربية والفقه الحنفى ، وكانت المساعدة المادية بسيطة (بدأت بربع ألف ثم بألف فرنك فى الشهر لم تزد عنها حتى النهاية) .

ومن شيوخنا أثناء الفترة الاولى المشائخ : حمادى بن الامين ومحمد الشاذلى النيفر والطاهر القصار ، وعبد السلام التونسى ، والطاهر بن عبد السلام والمختار بن محمود ، والحطاب بوشناق وأحمد ابن ميلاد ، ومحمد عباس ، ومعاوية التميمى وعبد العزيز بن الامين ، والطيب التليلى ، وعلى النيفر ومحمد الشاذلى بن القاضى والحاج أحمد العيارى ومحمد النابلى ، ومصطفى بن جعفر ... الخ .

وفى الدراسات العليا كان من اساتذتنا المشائخ : الفاضل بن عاشور ، ومحمد صالح بن مراد ، والبشير النيفر ، ومحمد العنابى ، ومحمد الزعوانى وبلحسن النجار ، والعربى الماجرى والهادى بلقاضى ، وفى دروس الخلدونية كان من أساتذتنا صالح رضا الاحمر ، وابن شعبان وغيرهما،وفى العطارين على العلامة الاديب الشيخ العربى الكبادى كما استمعنا الى

---

(16) لهؤلاء الثلاثة مع الحاج حموش كرمانى ، والسيد عمرو بن جيكو يعود الفضل الاكبر فى حفظ كيان الحركة سليمة فى معقلها بقسنطينة أثناء تلك الظروف الحالكة حتى انفرجت الازمة .

محاضرات من الدكتور أحمد بن ميلاد ، والدكتور السقا وقد استفدنا كثيرا من الحياة فى الوسط التونسى الراقى ولازمنا المطالعة فى المكتبات المتعددة ، العبدلية والخلدونية والصادقية ·

وفى مطلع السنة الثالثة - نوفمبر 1942 - نزلت جيوش الحلفاء بالجزائر وهمت بالزحف على تونس ، وكان الجيش الثامن الانقليزى يقترب من حدودها فسابقه الى تونس جيش المانى طليانى ، واحتل القسم الشمالى منها ، وتعطلت الدراسة - من جديد فيها - ودام هذا الكابوس مخيما علينا حتى ربيع سنة 1943 ، (فاحتلت تونس فى الاسبوع الثانى من ماى وفى أشهر قليلة تمت الاستعدادات لاجراء الامتحانات فى شهر يوليو 1943 فنلت شهادة العالمية فى القسم الشرعى بتفوق ·

32 - كنت - وأنا فى تونس - على تمام الاتصال بمدرستى الاولى : مع الشيخ ابن باديس نفسه فى حياته . ومع اعوانه وبالخصوص أحمد بوشمال ، وعبد الحفيظ الجنان ، وعملت كمندوب للشهاب ، ثم البصائر متجولا - مع المشائخ محمد الميلانى ، وعلى مرحوم ومحمد صالح رمضان وأحمد ابن ذياب وبلقاسم بن رواق بدأت سنة 1937 وتلقينا توجيهات سامية من أستاذنا ابن باديس ، وكانت رحلتى موفقة الى شمال قسنطينة ، وفى ظروف وطنية عسيرة ، القى فيها القبض على زعيم حزب الشعب وبعض رجاله فى أوت 1937 فكان علينا ان نبشر ولا ننفر ونطمئن الناس ولا ندع الياس يتطرق اليهم · وتتابعت الجولات وكان الاتصال بالميلى رحمه الله عام 1938 فأخذت عنه دروسا فى العلم والسلوك والعمل لا أنساها ، وانتهت الرحلة الاخيرة بولاية الجزائر ، وجاءت الحرب فى سبتمبر 1939 ·

ووصلت الى قسنطينة وقد أعلنت فرنسا الحرب على المانيا - وفى بعض هذه الجولات كتبت فى البصائر سلسلة من المقالات تحت عنوان (حديث المتجول) كما كتبت فى الشهاب عن (الشاب المسلم) ، وكان ذلك أول ما نشر لى ، وكنت ألقى بعض المحاضرات فى النوادى أو فى المساجد · وقمت بنشاط اثناء وجودى بتونس لفائدة الحركة الاصلاحية والوطنية · ومن ذلك أن (جمعية الطلبة الجزائريين) كانت قد أسست ، ثم فترت همتها بعد

قليـــل ، فاحييناها مـن جديد وانتخب لرئاستها الاستاذ الشاذلى المكـى ، ولامانتها العامة أحمد حمانى ، وقد دامت هذه الجمعية بعدنا وقدمت خدمات جليلة للجزائر ، وفى عهد رئاسة الشيخ شيبان استطاع ان يفاوض شيـخ الجامعة الزيتونية ، ويحصل منه على اعتراف رسمى بالمعهد كفرع لجامـــع الزيتونة ، وتلك خطوة عملية فى سبيل توحيد المغرب العربى ثقافيا • وكانت لنا جولات وصولات فى الصحافة والسياسة يقتضيها عهد الشباب ، وكتبنا ـ أنا والشيخ الصادق ـ مقالات سياسية واجتماعية فى بعض الجرائد التونسية عن الحالة فى الجزائر ، كان لها صدى كبير وسمعت الثناء من أجلها من الشيخ ابن باديس نفسه ، ومن الشيخ محمد بن العابد ومن الشيخ مبارك رحمهم الله، سجل ذلك فى البصائر •

33 ـ تم التحصيل على شهادة العالمية فى ظروف حالكة السواد بعد عودة فرنسا من جديد الى تونس فى ظل الحلفاء واعلان عزمها على (معاقبة) كل من قـام بنشاط وطنى أثنـاء غيابها ، ووجدت نفسى ممن يشملهم هذا التهديد الذى أعلنه ـ بكل وقاحة ـ الجنرال جوان فى نداء عنوانه بالعربية (أيهـا سكان تونس!) (كذا)، وكنت أثناء غياب(فرنسا) قد شاركت فى تحرير واخراج جريدة (افريقيا الفتاة) وكانت لسان حـال الحزب الحـر التونسى انذاك بجانب الشهيد الحبيب ثامر واخوانه ، وبجانب الاخ مبروك عبد الصمد أحد رجال الحزب • كما عملت بجانب أستاذى الشيخ العلامة محمد الشاذلى النيفر والشيخ صالح النيفر، والمرحوم الهادى مجدوب، وهو شاب جزائرى نشيط ، واتصلنا بالقيادة الالمانية لتخفيف بعض ما كان يلقاه الشعب، وللقيام بمساع لاطـلاق سراح المعتقلين ، وقلنا لهـم : (ان الشعب كان يعرف أن الـزعيم الحبيب بورقيبة ورفاقه قد اعتقلتهم فرنسا ونقلتهم الى سجونها منـذ عـام 1939 ، وقد غلبتم فرنسا فلم تتدخلوا للافراج عنهم ، وهأنتم اليوم تحتلون مرسيليا وجنوب فرنسا حيث هم ، كما تحتلون تونس وطنهم فلا عذر لكم اذا هم بقوا مسجونين) وبسرعة تم الافراج عنهم ، فأعلن براديو برلين فى مساء الغد اطلاق سراحهم ، ثم جيء بهم على طريق رومة وطلب من الزعيم الحبيب القاء تصريح من راديو رومة ، فالقى كلمة لا تلزمه ولا شعبه بشيء ، ودل بها على براعة عظمى ، وحنكة سياسية ، ثم نزل بتونس فاحتفى به الشعب أعظم احتفاء ، وخصصت الجريدة (افريقيا الفتاة) أعمدة كثيرة له •

وفى نفس الوقت حاولنا ـ معشر الجزائريين ـ أن نجس النبض ونعرف مقاصد الالمان نحونا فأسسنا منظمة وطنية أطلقنا عليها (الحزب القومى الجزائرى) ووضعنا لــه قانونا أساسيا اعلنا انه حزب غايته الوصول الى تحرير الجزائر وانشاء دولة وطنية فيــه ، وعرف بذلك الالمان فأملوا أن يسخروا شباب الجزائر لخدمتهم ، وتكوين فرقــة منهم يطلقونهم بالمظلات ليأتوهم بالاخبار ، وقد استطاعوا ان يغرروا باثنين هما الشهيدان حسين مقرانى ، وابراهيم بن سليمان ـ والاول مـن رجـال جمعيـة العلمـاء والثانى تلميـذ نابـه شجـاع ـ اتصـلا بهـم مفرديـن ـ اما الجماعـة ـ فامتنعوا من العمل معهم ، ويئس الالمان من اتخادهم (عملاء) . وفى مقابلة مع قائـد مـن قوادهم طلبنا ان تكون لنـا حصة فى الاذاعة فقال (تريدون أن تقوموا بعمل ضد دولة فرنسا ؟ أنا لا أسمح بهذا) عجبا ! لا يسمحون لنا بعمـل ما ضد فرنسا المحتلة لبلادنا المعذبة لشعبنا . سمعت هذا بأذنى من مسؤول عسكرى ، وفهمنا حقيقة الالمان ، وقارنا هذا ببرقية هتلير زعيم النازية الى المريشال بيتان يقول له عن نزول قواته بتونس فى نوفمبر 1942 .

(اننا نزلنا بتونس لنحافظ على افريقيا لاوروبا). كما وجهنا فى الموضوع وجهة صالحة مبعوث حزب الشعب الينا، الاستاذ محمد خليفاتى ـ أهو السيد محمدى السعيد؟ ـ فحذرنا من الاندفاع معهم،وعرفنا بمقاصدهم. كما زادنا تبصرة فى الموضوع ما سمعناه من اخواننا رجال (جيش بلاد العرب الحرة) ومن قائده الضابط (ممدوح الميدانى) فقد حدثنا عـن الالمان وعن معاملتهم للعرب ، وقال ان المفتى الشيخ أمين الحسينى هو الذى أسس هذا الجيش ودربـه الالمان فى اليونان تدريبا جيدا ـ وهو متكون من جنود آتين من جميع بلاد العرب ومنها الجزائر . وقد وجدت فيـه بعض أبناء قسنطينة مـن تلاميذ التـربية والتعليم ينشدون فى أناشيدهم العسكرية (شعـب الجـزائـر) (واشهدي يا سما) . منهم أحد أبناء قريتى الشهيد فنور علاوة والسيد طويحن والسيد زناتى . فلما تـم تدريبه أراد الالمـان ارسالـه الى روسيـا لمحاربـة الروس ، قال الميدانى : فقلنا لهم لا عداوة بيننا وبين الروس ولا يحقق غرضنا المحاربة ضدهم فى أرضهم ، انما نريد ان نحرر بلاد العرب !

فلما نزلوا بتونس قالوا لنا : هذه بلاد عربية تعرضت للغزو فلم يسعنا الا النزول بها للمشاركة فى الحرب • وقال لنا هذا القائد العربى الكريم : (احذروهم ، ولا تندفعوا معهم فانهم مستعمرون كالآخرين) وكان اجتماعنا معه فى المدرسة الباشية بنهج الكتبة وبهذه المناسبة نقول ان القائد الالمانى لهذا الجيش العربى كان معجبا بهم جدا ، وقد استطاع ان يوقف بهم زحف الجيش الثامن ـ الذى بدأ زحفه من مصر ـ فى مدينة النفيضة حتى جاءوا تونس من جهة مجاز الباب • وكان ـ كما قيل لنا ـ يضم الى صدره الجندى العربى ويقول له : ـ يأحسن جندى فى العالم ! ـ •

وفى مقابلة أخرى مع أحد قوادهم ـ وكنا فى مقابلة طلبناها لهذا الغرض ـ سألته : ما هى نواياكم نحو الجزائر ؟ ان تونس لها كيان دولى ، ومصر والمغرب كذلك ، أما الجزائر فان فرنسا تعتبرها أرضا فرنسية ، واننا نخشى ان تعتبروها أنتم تراثا ورثتموه عنها • فقال ان نيتنا نحو البلاد العربية كلها حسنة ، ونريد أن نعاملها معاملة كريمة • فقلت هذا شىء حسن ولكنا نريد ان يصدر من حكومتكم تصريح رسمى ، فيه وعد بانه سيكون للجزائر استقلال ودولة فى حالة انتصار المحور . بهذا وحده نكون مطمئنين ويمكن أن يثق بكم شعبنا ويساعدكم •

فالتفت الى زميل له ـ بعد أن سمع القول ـ وقال له : (هذا صغير ولكن تفكيره بعيد) ثم قال لى : (هذا أمر من السياسة العليا ، ولا نملك أن نتدخل فيه !) •

ولم أكن صغير السن ، ولكنى كنت نحيف الجسم ، ومن ذلك اليوم فترت حماستنا للالمان وفهمنا أننا مخطئون فى تعليق آمالنا عليهم وعلى أنتصارهم ، ولو تم ذلك لهم لكان معناه استمرار عبودية أمتنا واستغلال وطننا واحتلال قارتنا • ولم يستطيعوا ان يجدوا منا (عملاء) ، وأذكر بهذه المناسبة اننا رأينا معهم الحاج مصطفى بن جامع من الوطنيين الجزائريين ، ولا ندرى ما فعل الله به • وكان نائبا فى قالمة وهدد بالثورة أثناء مقابلة رسمية مع لجنة بحث برلمانية •

ولم يطل الامر اثر احتلال الحلفاء لتونس ، فقد عزل المنصف باى رحمه الله يوم 12 مايو ولا ذنب له الا شعبيته ووطنيته ، وشرعت الشرطة الفرنسية تبحث عن الحبيب بورقيبة ومحمد صالح النيفر رئيس جمعية الشبان المسلمين وغيرهما للتنكيل بهم ، ولكن رجال الحزب الدستورى كانوا قد اتصلوا بالقيادة الامريكية وبرجلهم الديبلوماسى (دوليتل) فضرب على أيدى الفرنسيين ومنعهم من ارتكاب كثير من حماقاتهم وأطار عنهم صلفهم وغطرستهم .

اما المنظمة الجزائرية فقد تمكن الفرنسيون من العثور على بعض أنبائها واعتقلوا من رجالها : الشيخ بورنان بن الدريدى والشيخ بوالاخراص سلطانى والشيخ الكامل الحناشى ، والحاج الناصر ، وبحثوا عنى مجتهدين فاختفيت فى مدينة تونس ، ثم فى بنزرت عند السيد السعيد القاسمى رحمه الله ، وساعد على هذا دركى جزائرى يدعى (العمرى) فكتم عنى وضلل الطالبين ، برغبة من المرحوم صفصاف الذوادى الذى كان يعرفه جيدا وبقيت فى اختفاء حتى هدأت الاحوال ، وخف الطلب .

فاستطعت أن ارجع الى الجزائر بعد نحو سنة فى 30 ابريل 1944 .

34 ـ لم أستطع ان أبرز فى مدينة قسنطينة، فقد كنت مطلوبا للجندية ، ومطلوبا للمحكمة العسكرية بتونس ، وكان الذى يعرفنى جيدا هو المفتش الشريف الواعر (ابن خرخار) ـ وكان زميلا لنا أثناء الدراسة بتونس ثم عمل كمفتش للشرطة السرية ـ فلقيه الشيخ عبد الحفيظ الجنان وقال له : يا شريف ان الشيخ أحمد هنا ، وحذار ان يصيبه شر ، فاننا لا نعرف غيرك ، فنفع معه الانذار وكتم الاخبار ، وكان فيه شهامة ، وان كان (مخلصا) لفرنسا، وقد ضرب من الثورة فى قسنطينة فنجا ، ولكنه لم يتب ، ثم فأعدم فى باريس. وفى مطلع عام 1945 علمت ان (الجماعة) سيقدمون للمحاكمة أمام المحكمة العسكرية وساقدم معهم للمحاكمة غيابيا . والمحاكم غيابيا يحكم عليه ـ عادة ـ بالاعدام .

أخبرت الشيخ البشير الابراهيمى بقضية هؤلاء الاخوان وقضيتى وبينت له ما عسى ان نتعرض له من خطر ، فاستجاب سريعا ، وأرسل الشيخ حمزه وكوشة لدراسة الامر ، وفتح له الكيس ليأخذ من المال ما يحتاجه فسافر .

كما أرسلنا من قسنطينة الشيخ عبد الحفيظ الجنان لينظر فى الامر ، وكان موعد المحاكمة يوم أول مارس 1945 ، وبعد عرض القضية على المحامى قبل ان يتدخل ويطلب تأجيل عرض القضية الى 20 مارس للحضور أمام المحكمة العسكرية بالقصبة ·

فلما عرضت القضية دافع عنى وعن الاخوان المحامى الجزائرى الكبير عبد القادر القبائلي وتلميذه الاستاذ عمار الدخلاوى وغيرهما · وكان مما قاله وكيل الدولة فى (تغريقه) ما لنا نجد الجزائريين يكادون يكونون مع كل تخريب ؟

فلما جاء أوان الدفاع بين المحامى قيمة الدين ورجاله ، وأن هؤلاء منهم ، ثم أشاد بما يقوم به جنود الجزائر فى تحرير فرنسا بعد هوان الاحتلال الالمانى وقال نعم ان الجزائريين الآن يخربون ، لكنهم يخربون أرض العدو لاذلاله · فأثر على المحكمة ·

وصدر الحكم بالبراءة أو بقدر خفيف من السجن على الجماعة ، وكانوا قد أمضوا أكثر من المدة المحكوم بها · أسهبنا – بعض الاسهاب – فى هذه النقطة لان معلوماتها تنشر لاول مرة – لمن شاء أن ينتفع ولم يأخذ المسألة على وجه الهزل والاستهانة ، وأبناء الجزائر حيثما كانوا ومع أي ظرف كانوا يفكرون فيها ويعملون لها · ومن أراد ان يكتب التاريخ فليصدق الرواية ، والملفات فى المحكمة العسكرية الفرنسية بتونس ، وقضاياها المعروضة يوم 20 مارس 1945 ·

وجاءت أحداث 8 مايو 1945 وما بعده وأغلقت جميع مدارس جمعية العلماء، وقد بلغ غيظ الاستعمار أشده من اتحاد الجزائريين فى منظمة (أحباب البيان والحرية) ورفعهم الرايات فى الانهج ، فقتل الآلاف وسجن الآخرون ، وكنت قد فاجأنى مرض خطير فأجبرت على دخول المستشفى فى أوائل يوليو واجريت لى عملية جراحية فى 17 منه ، ثم أخذت أسترجع صحتى بسرعة وغادرت المستشفى نهائيا فى 5 جانفى 1946 · وبينما كنت فى المستشفى أدركنى الطلب وأخبرنى الصديق عبد الحق ابن باديس أن رجال الدرك جاءوا لاستنطاقى فمنعتهم (الاخت سيسيليا وضمنت لهم – بوصفها مسؤولة عن القسم – وجودى ، وكانوا لا يعلمون ببراءتى أمام المحكمة العسكرية ولا بترك تتبعى –

من العسكرية بواسطة أحدرجالنا وهوالكابتان بن معطى،وكانتالعملية الجراحية سببا فى نجاتى من الجندية نهائيا •

35 ـ كانت المدارس آنذاك ما تزال مغلقة ومعظم الرجال فى السجون أو المنافى ومنهم الاستاذ الرئيس الذى لم يطلق سراحه الا فى شهر مارس 1946.

لكننا لم نكن غافلين ، فقد ذهب السيدان أحمد بوشمال وعبد الحفيظ الجنان الى الجزائر واتصلا بالاستاذ ابن شنب فوضع لهما تقريرا هاما عن التعليم العربى وضرورة عودته وقدم كاعذار وانذار للادارة الاستعمارية فما عبأت به •

ثم تقرر عقد مؤتمر من المعلمين الاحرار ورؤساء جمعيات التربية والتعليم بولاية قسنطينة فانعقد هذا المؤتمر فى 16 مارس 1946 بمدينة قسنطينة ، وحضره عدد عظيم من المعلمين ومن رجال الجمعيات والمسؤولين عن التعليم ، وقدمت تقارير هامة ، ورفع ما تقرر فيه ـ من وجوب فتح المدارس ـ الى رئيس جمعية العلماء ـ وكانت هذه المدارس قد اغلقت كلها بأمر عام صدر فى الاسبوع الثانى من شهر ماى 1945 ، نصه (أوقفوا كل نشاط) وكنت فى الوفد الذى سافر بالمقررات الى بسكرة للقاء الرئيس ، واثناء هذه الرحلة لقيت لاول مرة الشاب (العربى بن مهيدى) رحمه الله •

ثم وقع فى الجزائر مؤتمر ثان للمعلمين على المستوى الوطنى ـ اثر الاجتماع العام لجمعية العلماء فى بتمبر من تلك السنة تحت رئاسة المرحوم الشيخ محمد بن العابد السماتى ، واشراف الابراهيمى وتقرر فيه أيضا وجوب • فتح هذه المدارس وهكذا فتحت جميع المدارس المغلقة من قبل فى أول أكتوبر 1946 م وكان هذا تحديا سافرا وعصيانا مدنيا وارسلت بصفتى كاتبا عامليا لجمعية العلماء ـ برقية نصها : (افتحوا مدرستكم) ـ الى كل مدرسة مغلقة :

وكان أول عمل لى فى التعليم اننى قمت بدروس علمية ثانوية فى مدرسة التربية والتعليم فى أول السنة الدراسية 1944 ـ 1945 مع تسميتى مديراً علميا لهذه المدرسة وحضرت المؤتمرين للتعليم بقسنطينة ثم بالجزائر ، كما حضرت الاجتماع العام للجمعية وعيننى الرئيس كاتبا لشؤون الجمعية على مستوى ولاية قسنطينة القديمة ، كما عينت بجانب هذا العمل التطوعى

أستاذا بمدرسة التربية والتعليم ، ففى السنة الدراسية كنت أعلم قسما ثانويا بالتربية والتعليم ، كما تطوعت باعطاء دروس لبعض طلبة المدرسة الرسمية ولبعض طلبة الكتانية كانوا يأتون الي فى تكتم خشية المستعمرين ان ينكلوا بهم ·

وفى سنة 1947 بدأ الاستعداد لانشاء معهد ابن باديس الثانوى، وبصفتى الكاتب للعمالة،وضعت على كاهلي مسؤولية التحضير العلمي والاداري له فاستقبلت الطلبات كلها واعددت برنامج الدراسة بتفاهم مع المشائخ والاساتذة ، وقمت بتوزيع حصص الدراسة على المشائخ ، وتقسيم الطلبة الى ثلاث سنوات : الاولى والثانية والثالثة والرابعة ، وافتتحت الدراسة فى شهر ديسمبر بعد تذليل كل صعوباتها المادية والادبية ، وحينئذ تسلم الكتابة للمعهد الاديب الكبير الاستاذ أحمد رضا حوحو ــ وهو يجيد الفرنسية ، والحاجة الى ذلك ضرورية فسلمته كل الاعمال ، وتمحصت أعمالى للتدريس وشؤون الجمعية ·

وتأسست لجنة التعليم العليا كما تأسست مصلحة التفتيش للمدارس فأول من اسند اليه التفتيش على المستوى الوطنى هو المرحوم الشيخ محمد الغسيرى ، وآخر من قام بذلك الاستاذ ابراهيم مزهودى حفظه الله، وبهذه الصفة استطاع ان يؤدى خدمات سامية للجزائر فى الثورة قبل ان يلتحق بجندها ويكون من قادتها السامين وعضوا بلجنتها التنفيذية حسب مقررات المؤتمر الاول ــ مؤتمر الصمام ، وقد سمعت الثناء عليه من قائد الولاية الثانية العقيد ابن طبال مع زميله عمارة رشيد رحمه الله · وكان ممن أسند اليه التفتيش أيضا : الصادق حمانى ــ محمد صالح رمضان ــ محمد بابا أحمد ــ على مرحوم ··· الخ ·

وقد استمر المعهد فى أداء مهمته التثقيفية ، ولحق به الاكفاء من العلماء ، كما استمرت لجنة التعليم العليا فى أعمالها ، واستطاعت ان توحد التعليم ــ فى مواده وبرامجه وتوحيده على مستوى الوطن كله ، كما استطاعت ان تحسن مرتبات المعلمين ــ نسبيا ــ وان تضع نظاما محكما للتسمية والترقية والايقاف ــ عند الضرورة ــ والانتقال ، وكان الاساس هو المصلحة العامة والطاعة التامة ، وكان المسؤول عن لجنة التعليم الرئيس · ثم أحيلت رئاستها الى مدير المعهد بقسنطينة ، ثم عادت الى الجزائر ، ثم اسندت مسؤوليتها الى

الشيخ عبد القادر الياجورى لمدة سنة واحدة ، وكنت آخر من اسندت اليه مسؤوليتها فى عام 55 ـ 56 ـ 1957 فكنت أسافر أسبوعيا بين قسنطينة والجزائر للقيام بأعمالها وكثيرا ما يحيل الى الشيخ العربى بعض الاعمال الهامة لانجازها وخصوصا ما يتعلق منها بالاتصال بالجبهة ورجالها وبالجيش واعماله ، وكان العقيد عميروش على اتصال مستمر به ، وقد عرفه فى باريس والواسطة هو الشهيد الربيع بوشامة ، وقد أرسلنا الى ولايته كثيرا من آلات الطبع والكتابة والسحب ٠ وتعاونا معه فى جهاز المسؤولين السياسيين ، والمعلمين وما يزال بعضهم احياء ٠

36 ـ لما نشبت الثورة 1954 م ، استبشر بها الشعب واستقبلها المعهد وطلابه وشيوخه أحسن استقبال ، وكان شيخنا المرحوم الشيخ سعيد الزموشى بيننا فى مدينة قسنطينة يسافر فى نهاية الاسبوع الى (عين البيضاء) ويأتينا باخبار عن المعارك والقتال ، وذات يوم أراد الاديب الشهيد حوحو ان يداعبه ففتح مسجلته ـ وكنا فى بداية عصر المسجلات ـ ثم أخذ يستنطقه والشيخ مندفع فى القاء اخباره بحماس ، فلما انتهى أدار حوحو المسجلة ، فاذا بها تعيد ما كان الشيخ يقصه ، وكان مفاجأة ! ثم اخذ كل منا نصيبه من الاعمال ، وكل يكتم نشاطه عن الآخرين لما تأمر به الثورة حتى لا ينحل النظام ولا يختل ٠

وكان أول معتقل منا هو الشيخ أحمد حوحو ذهب به الى الشرطة وبقى عندهم نحو 24 ساعة، ثم رجع الينا يقص علينا الاهوال (17) وفى يوم 30 مارس 1956 أعدم المجرم (سان مارسيلي) الكورسي مدير الشرطة بالقسم الثانى وهو مستعرب بـرع فى مقاومة الجريمة فاغتـر واستهان برجال الثورة وعاملهم معاملة محترفى الجريمة ، واظهر استخفافا كبـيرا بشأنهم متعاليا مفتخـرا ، وبينما هـو صبيحة يوم الخميس 30 مـارس بقـرب الجامع الاخضر ـ فى الجزارين ـ تقدم منه فدائى صغير ، وصرعه برصاصة واحدة وافلت ٠

---

(17) منها أنهم كانوا يوقفونه الى الحائط ، ويرمون جهته بالرصاص عن يمينه ويساره ! أو يرمون بالسكاكين ٠ وقال : انهم هددوه بالموت ان بدا منه شيء ، فكان يكتم ما وقع له ، وأخذ يسعى جديا للرجوع الى الحجاز ، لانه كان يملك الجنسية السعودية وجاءته الموافقة من سفير السعودية فى باريس ولكنه الاجل٠

هاج قومه من (الكورس) وماجو وحوصرت البلاد وجمعوا من استطاعوا وساقوهم الى حى الكدية وبلغ عددهم الآلاف ودامت حالهم هذه حتى الصباح ٠ ثم اعتقلوا بعض أعيان المدينة منهم الاديب أحمد حـوحـو ، والشاب محمد الطاهر العجابى ، والحاج رابح بوشريط ، والحاج اسماعيل بوعلاق وعددهم 13 فأعدموهم . وكانوا عازمين ان يعدموا 50 شخصا ـ كما كان يفعل الالمان ـ وفيهم ـ كما يقال ـ المشائخ العربى التبسى ، ومزهودى ، وأحمد بوشمال ، وأحمد حمانى ، ولكن الوالى ـ وكان اشتراكيا ـ ناقشهم فى القائمة واقنعهم بالاكتفاء بمن ألقوا عليهم القبض داخل المدينة واغلقت الدراسة فى المعهـد اثر هذا الحادث ٠

وكانت دار الطلبة التابعة للمعهد من معاقل الثورة ، بها ينزل رسلها الى الولايات فى ذهابهم اليها ورواحهم منها كالشهيد عمارة رشيد رحمه الله ٠ وقد تولى المسؤولية الاولى فى الاتصال الاخ الاستاذ ابراهيم مزهـودى وهما اللذان أعادا الاتصال ـ بعد انقطاعه لمدة عام تقريبا ـ كما شهد بذلك العقيد ابن طبال ، ثم اكتشف أمـــره فتجند واستخلف من بعده الاستاذ مصطفى بوغابة فقام باعبائها حتى اكتشف وكاد يقع فى يد الشرطة لولا يقظة وشجاعة الشهيد أحمد بوشمال رحمه اللـه ، ثم استخلف مـن بعده المرحوم الطاهر سعدى حتى يوليو 1957 ، ثم هاجر الى تونس واستخلف مـن بعده الاستاذ الصادق مخلوف ٠ واثناء هذه الفترة كنا قـد نظمنا الاتصال بـين الولايات وعينا للجبهـة فى كـل مدينة مسؤولا تعتمد عليه من عنابة وحتى الجزائر ، وكثير من هؤلاء المسؤولين ما يزالون بالحياة وفيهم الشيخ سليمان بشنون الذى لعب دورا هاما وسلم من الاعتقال ٠

كنت فى مدينة الجزائر منذ ابريل 1956 ، وكانت الاتصالات تـرد الى الجزائر من قسنطينة الولاية الثانية أو من الولاية الاولى أو تأتى من تونس ومـن كان بها أو مـن المغرب ، فقـد جاء منها مرتين المرحوم عبد الحميـد ابن آشنهو الاستاذ بمدارس المغرب ، وعضو المجلس الاسلامى الاعلى ، ومدير المطبعة الرسمية من بعد، وكنت أرسل بالمقالات والبيانات الى تونس والى المغرب والى جريدة (البيان) العربية بنيويورك فتنشر ويكون لها الصدى ، من ذلك ،

ما كان فى أمر اعتقال الشيخ العربى واختفائه ، وقد ارسل الى المغرب وتونس والقاهرة ودمشق ، وتركت أثرا طيبا واستغلتها الجبهة فى لفت انظار الرأى العام العالمى ، وتحرك علماء المغرب ، واحتجوا · والحق أقول اننى انتفعت بهذا فيما بعد لان فرنسا لم تقدم على اعدامى عند القاء القبض علي ـ لكونى فى مجلس العلماء رغم (التلبس بالجريمة) واكتفت بالتعذيب والمحاكمة والاشغال الشاقة · وكان يتلقى هذه المقالات منى الاستاذ على مرحوم بالمغرب والاستاذ حامد روابحية ثم الاستاذ عبد الرحمن شيبان بتونس ، والاستاذ الغسيرى بدمشق ، اما جريدة البيان النيويوركية فقد كنت أرسل اليها مباشرة فتنشر بامضاء (رشيد) ، وارتكبت فى طريق الارسال حيلا لا تخطر ببال المستعمر ·

وفى 13 جويلية ترأست لجنة الجزائر لاجراء امتحانات المدارس العربية ، التى كانت تجرى على مستوى الوطن كله، وبينما كنا فيها اغتيل الشهيد عبد الملك فضالة(18) بدعوى أنه أراد أن يفر بعد ايقافه ـ وقد اطلعت على منشور سرى يأمر باعدام كل من قبض عليه متلبسا بتقديم مساعدة ما للثائرين ـ وفى 11 أوت 1957 عدت الى الجزائر فى مهمة حمل البريد بين الولاية الثانية والعاصمة ـ وكنت تحت الرقابة الشديدة ـ ولم أتفطن لها ـ كما اخبرنى المرحوم الاستاذ محمد بن العوادى فيما بعد ـ بانهم سألوه عنى فى عنابة قبل شهر، وعن السر فى ترددى على الجزائر ـ فالقى على القبض فى طريقى الى مركز جمعية العلماء وحجز ما معى ، وابقيت تحت العذاب مدة خمسة ايام ثم نقلت الى قسنطينة حيث مكثت فى العذاب والاستنطاق 22 يوما قبل أن يصدر قرار الايقاف والسجن ، ومثلت امام المحكمة العسكرية فى 23 سبتمبر 1958 ، وصدر الحكم بالاشغال الشاقة لمدة 15 عاما قضيت منها فى أوصاب

---

(18) من شهداء الثورة ، معلم نابغة يتحلى بأجمل الاخلاق ، كان عند اعلان الثورة فى تازمالت ، فنقلناه الى مدينة (حجوط) حيث قضى فيها مديرا لمدرستها سنة 55 ـ 1956 فاتصلت بنا قيادة الناحية فى وادى الساحل وألحت علينا فى ارجاعه الى تازمالت لخدمة الثورة . فاغتالوه فى 12 جويلية 1957 وكان مىلاده فى بلدية بنى شبانة (دائرة بوقاعة) عام 1920 ·

السجون نحو خمس سنوات · وبالضبط أربع سنوات وسبعة أشهر و 25 يوما بالحساب الشمسى من 11 أوت 1957 حتى 4 ابريل 1962 ·

وأثناء محنة السجن لم نتخل عن الواجب المقدس ، فكان لنا فى سجن الكدية بقسنطينة ـ وقد مكثنا فيه 15 شهرا ـ تلاميذ، واما فى سجن تازولت المركزى الرهيب فان الاوامر الواردة من جبهة وجيش التحرير صريحة فى وجوب مواصلة التعليم والتعلم ، فلما حللنا فيه يوم 6 نوفمبر 1958 م ، استقبلنا استقبالا مدهشا من زبانيته ، وضربنا ضربا مبرحا ، وصب علينا فى الحمام الماء الحار ، ثم عزلنا مدة لتذهب آثار العذاب وتلتئم الجراح ·

ولاول مرة دخلت فناء المسجونين الواسع تقدم منى شاب مهذب ـ هو الاخ فتحى كاهية ـ و (رحب) بى ، وسألنى هل أنا فلان ؟ ثم قال لى : متى تبتدئى التعليم ؟ قلت أى تعليم ؟ فقال « الاوامر التى عندنا من الجبهة واضحة على كل مناضل مثقف داخل السجن أن يعلم اخوانه ، فان لم يكن مثقفا فعليه ان يتعلم ، وأنا أعلم اخوانى دروس الفرنسية وأتعلم العربية » · طلبت راحة أسبوع ريثما يذهب عنى بعض ما أنا فيه من السوء ·

وكان فى سجن تازولت ثلاثة اخوان من العلماء : الشيخ أحمد بوزيدى ، خريج القرويين وتلميذ الابراهيمى رحمهما الله ، والشيخ محمود عيسى البايى خريج جامعة العراق وكليتها العسكرية ، ورفيقي فى القضية الشيخ الصادق مخلوف المتخرج من الزيتونة فقررنا تنظيم التعليم فى السجن كله بحيث لا نقتصر فيه على رفع الامية ، بل نجعله برنامجا تثقيفيا كاملا يشمل فنون العربية من نحو وصرف وانشاء وبلاغة ولغة ، وعلوم الدين من توحيد ، وفقه وقرآن وحديث وسيرة ورياضيات من حساب وهندسة وجغرافيا وتاريخ وأشياء ، وفرزنا (الطلبة) فجعلناهم أقساما وسنوات واستطعنا ان نكون قسما (تكميليا) اشتركنا كلنا فى تعليمه ، وساعدنا على هذا التنظيم التحسن الطارىء على المساجين ومعاملتهم سنة 1959 ، ثم استطعنا ان نستورد الكتب حتى من تونس طلبناها من وزارتنا للتربية ـ وكان يتولاها الاخ عبد الحميد مهرى عضو اللجنة المركزية ـ بواسطة الشيخ محمد كحلوش بحيلة جازت على السجانين، كما ان ادارة السجن اسعفتنا بانشاء مكتبة للمطالعة اخترنا كثيرا من كتبها ،

ولا ندرى من دفع ثمنها أهو الهلال الاحمر ؟ وأخيرا كونا ـ سنة 1961 مجلة سميناها (صوت السجين) وكان الاستاذ الصادق مخلوف يكتبها بخطـه ونسحبها ، ان هذا التعليم المنظم المستمر ـ قريبا من ثلاث سنوات ـ قد اعطى بعض ثماره اليانعة ، فقـد كنا نجـرى امتحانات منظمة . ونعقد اجتماعات أسبوعية يخطب فيها التلاميذ ، ويعرضون مقدرتهم الانشائية ، وقد أصبـح كثير منهم يتقنون العربية فهما • وانشاء ، ومحادثة والقاء ، أذكر من هؤلاء الاخ المجاهد عبد الله فاضل . وزير الشبيبة والرياضة سابقا ، والاخ المجاهد فرحات بلمان بمنظمة المجاهدين ، والسادة الاساتذة : حمدانى بن طبـال ، ورابح زدام والاخضر قدوح ••• الخ • وكل منهم ـ تابع الدراسة من بعـد وحصل على شهادة اللسانس ، وكثيرغيرهم معلمون أكفاء أو مفتشون •

ولم نكن وحدنا الذين صنعنا هذا فى سجن تازولت الرهيب ، ولكـن العلماء والمفتشين من المناضلين ، كانوا فى جميع المعتقلات والسجون يؤدون مثل هذا أو خيرا منه لامكانياتهم ـ فى المعتقلات أحسـن مما كنـا عليـه فى الزنزانات . فبعد الاستقلال ـ وعندما كنت فى الجزائر ـ جاءنى طلاب يلحون فى اتمـام معلوماتهم التى كانـوا تلقوها عـلى هؤلاء المشائـخ فى السجون والمعتقلات ، واستطاعوا بها ان يكونوا من المعلمين ويريدون اليوم تحسـين وضعيتهم ، واستكمال دراستهم ، وباتفاق مع الجميع ـ طلاب تازولت وغيرهم ـ رتبت لهم دروسا علمية بقاعة (نـادى الترقى) وجعلت مـدة الدراسـة الاسبوعية نحو 15 ساعة : 4 ساعات مساء الخميس و 6 ساعات يوم الاحـد ـ وقد كان يوم راحة ـ وساعة كل يوم من الايام الاخرى ، واستطعت فى هذه الدروس أن أختم لهم منظومة (الالفية) مستعملا فى تحضير الدرس الاشمونى ـ والتصريح • وقـد تخرج منهم معلمون أكفـاء وتحصل منهم عـلى شهادة الليسانس ـ بعد النجاح فى مسابقة الدخول للجامعة ـ جماعة ، ومنهم اليوم أساتذة فيها فى ثانويات أو فى الجامعة نفسها ، وعـلى سبيل المثال أذكـر الاستاذ برامة عمر « أستاذ جامعى اليوم » والسادى العمورى مكلف بمهمة فى وزارة الشؤون الدينية وعلى مزيانى رئيس المجلس الشعبى بالقصبة ووادى قريش ، ورابح زدام أستاذ بثانوية وشاعر كبير بالملحون ، والاخضر قدوح

أستاذ تكميلي ، وابن عبد الرحمن أستاذ ثانوي ، وغيرهم • وفي عام 1958 جاء الأمر القاطع بالتخلي عن هذه الدروس فتوقفت •

37 ـ وجاء الاستقلال وطويت صفحات عهد الظلام ، ورجعنا الى مستقرنا في أمن وسلام • ودعينا الى تنظيم التعليم بمدينة قسنطينة في مايو 1962 تحت اشراف الولاية الثانية وقيادتها ، وحملت مسؤولية ادارة معهد ابن باديس ولكن على أسلوب جديد يستقبل فيه صغار التلاميذ كما يستقبل فيه الشبان والكهول والشيوخ لرفع الامية ذكورا واناثا •

وقد سجل فيه أكثر من الفين ، وجعلناهم في الدراسة أفواجا ، ونظمنا قسما تكميليا من الشبان والفتيات أعددناهم للشروع في التعليم ابتداء من السنة الدراسية 62 ـ 1963 • وكان الاقبال على الدروس بحماس وايمان وفرحة الاستقلال • وختمنا هذا التحضير الاستعجالي بعقد دورة امتحان نجح فيه كثير من الفتيان والفتيات ، وتأهلوا للتعليم فورا في الاقسام الابتدائية بعد دورة تكوينية سريعة اشرف عليها الاستاذ عمر جغرى رحمه الله أحد أساتذة المعهد قديما بتكليف مني بعد ان أصبحت مفتشا عاما •

واتماما للحديث أقول : بينما كانت الاوامر أن نعلم العربية ونتعلم الفرنسية أيضا كانت ذهنية الشعب غير ذلك ، كانوا يظنون أن الصلة قد انقطعت تماما بيننا وبين الفرنسية وغطرستها ، حدثني الثقة ان معلما ـ للفرنسية ـ تقدم في أول درس أمام طلابه ـ في حي (باردو) وكتب لهم الابجدية الفرنسية واستنطقهم ، فارتفع صوت من بينهم وقال :

آه ! يتعل هين كذا وكذا ! •• لقد انتهينا من هذا !

ولم تكن لنا راحة أثناء ذلك الصيف ، بل واصلنا أعمالنا في ابتهاج شعبي لا نظير له ، وعقد المعلمون القدماء اجتماعات يتساءلون ما المصير ؟ واخذت الدولة تتشكل والتنظيمات تدبر ، واحتاجت العربية الى موقف الدفاع من جديد •

ثم جاءتني رسالة من الوزير المختص ـ انذاك العقيد محمدى السعيد بانني سميت (مفتشا عاما) للتعليم العربي ، فاسلمت الادارة الى الاستاذ عبد الحميد بحري أحد من اعتمدناهم أثناء الحرب •

ولكن هذه الوظيفة لم تكن الا فى ايام انتقالية ، فقد حذفت وجاءت تسمية أخرى من وزير التعليم وكان وزيرا واحدا لكل أنواع التعليم ـ كأستاذ فى (معهد الدراسات العربية) بكليـة الآداب بجامعة الجزائر ، وذلك أواخـر سنة 1962 ·

ومع مطلع السنة 1963 غادرت قسنطينة لاباشر عملى بهذا المعهد فوجدته ما زال فكرة فى الاذهان وشاركت فى اعداده حتى استوى على سوقه وبدأت الدراسة فيه فى آخر فبراير · ثم الغى وشيكا والحقت مهمته بكلية الآداب قبل ان ينتزع منها ـ هى بدورها ـ اسمها ·

11 ـ مدة عشر سنوات متتالية 63 ـ 1973 كنت فى كلية الآداب ، وكنت فى هذه المدة على اتصال بوزارة الشؤون الدينية متطوعا بالاضطلاع ببعض مهامها ، متعاونا مع جهازها ، وقمت بالقاء درس ليلة السابع والعشرين مـن رمضان ، كما عقدت بعض الرحلات مـع المسؤولين الى بعض الجهات ، ولمـا أسس المجلس الاسلامى الاعلى عام 1966 م كنت من أعضائه ·

وفى مستهل عام 1972 م جاءنى ذات يوم رسول من وزير التعليم الاصلى والشؤون الدينية يستدعينى لمقابلة السيد الوزير ، وقد استقبلنى بحضور الامـين العام بحفاوة ، ثم عرض عـلى ان أتعاون معـه فى القيـام بمسؤولية (رئيس المجلس الاسلامى الاعلى) ·

وكان هذا المجلس قـد أسس أوائل عـام 1966 وتولى رئاسته الشيـخ الصديق سعدى رحمه الله بكل كفاءة ونزاهة ، ثم تخلى عنه ، فانتخب لرئاسته الشيخ عباس بن الشيخ حسين فسار به مدة ـ كنت فيها أقوم بواجبى معه فى تناسق وتعاون ـ ثم انصرف عنه بارادته واختياره وبقى المجلس أكثر من ثلاث سنوات يسيره نائب الرئيس الشيخ سعيد صالحى أطال الله حياته ، وكل هؤلاء اخوانى وأساتذتى ـ وبعد محاورة واستفسارات اقتنعت بالعرض وقبلت المهمة ، وتحملت هذه المسؤولية الكبرى ·

وأول مهمة كلفت بها خارج الـوطن ان سافرت للمشاركة فى (مؤتمـر الفقه الاسلامى) الذى عقد بمدينة البيضاء من جمهورية ليبيا فى ربيع عام 1972، ولاول مرة أحضرمثل هذه المؤتمرات والملتقيات وأشاهد المناقشات العلمية

الحرة الحادة أحيانا ، واسمع لمحاضرات متوالية متتابعة قيمة واعجبت اثناءها بمناقشات فطاحل العلماء ومنهم المرحوم أبو زهرة ، والمرحوم على الخفيف ، والدكتور يوسف القرضاوى ، والاستاذ مصطفى الزرقاء وغيرهم ، واثناء تلك السنة نفسها كان ملتقى التعرف على الفكر الاسلامى السادس بالجزائر ، وحضره العلماء من الشرق والغرب ، مسلمين وغير مسلمين عرب ومستعربين ، واستطعت ان أشارك بالمناقشة فيه مشاركة طيبة فعالة ، ثم توالت هذه المؤتمرات فى الداخل وفى الخارج ، فسافرت لحضور كثير منها كممثل للجزائر أو كمدعو شخصى ، وتكرر السفر الى بعض العواصم التى أذكرها ، تونس (مرارا) والقيروان (مرارا) والقاهرة وليبيا (مرتين) ومكة (مرات) والرياض والطائف ولوكنو (بالهند) وكابل ونواقشوط (مرتين) وقرطبة واسطمبول (مرتين) وانقره، ونجامنا والكويت (مرتين) وبغداد، وطهران وبروكسيل(مرتين) وموسكو...الخ.وكانت مشاركتى بمحاضرات أو بتدخلات ومناقشات أو بأعمال فى اللجان ٠ وانها لمهمة عسيرة غير يسيرة ومسؤولية ثقيلة ، وقد انتخبت ـ دون طلب ترشيح ولا علم به ـ فى المجلس التأسيسى لرابطة العالم الاسلامى منذ عام 1394 هـ ، وكان المكان شاغرا منذ وفاة الامام الرئيس الابراهيمى رحمه الله ، ثم انتخبت بعد ذلك عضوا فى المجلس الاعلى العالمى للمساجد ، وأنا منتخب فيهما بالاسم لا بالوصف ، لان الذى ينتخب الاعضاء هو المجلس التأسيسى بعد التحرى الكامل عن المرشح ، وانما يقبل ترشيح اثنين من الاعضاء ولا يقبل ترشيح غير الاعضاء ٠

هذا قليل مما تم من الاعمال ، وما كان خارج الوطن ، اما فى داخل الوطن فان أعمال المجلس اليومية والشهرية والموسمية كثيرة ، وأنا وحدى لست شيئا مذكورا وانما يتم ذلك بتعاون كامل مع الاخوان الطيبين الصالحين الذين يعملون فى تكتم ، وبعد عن الاشهار ومع انكار للذات ، وهم يقومون بمجهودات وافرة فى تحقيق الغاية التى رسمت لهم فى مرسوم تأسيس المجلس ، وخصوصا فى ميدان الدعوة الاسلامية وتوعية الشعب بمبادىء الاسلام الصحيح وتنقية العقائد من الزيغ والفساد والحرص على بث قواعد السلوك والاستقامة فى السير ، واصدار الفتاوى الشرعية للدوائر الرسمية والافراد والجماعات الشعبية ٠

ومن أهم أعمالنا ـ فى الميدان الوطنى ـ اننا ـ كاعضاء فى جبهة التحرير الوطنى ـ شاركنا فى المؤتمر الرابع ، ثـم فى المؤتمر الاستثنائى ، ثـم فى المؤتمر الخامس ، فكانت كلمتنا فيهن مسموعة ، وسمعة ديننا ومكانته عند شعبنا ومناضلينا ـ مرفوعة ـ والحمد لله ٠٠

ثم اننا نعوذ بالله من تزكية أنفسنا ، بل نترك الحكم لنا أو علينا لامتنا ووطننا مفوضين الامر لربنا ، راضين بقضائه وقدره ٠ مطمئنين لعدله الكامل ، ورحمته الواسعة ، نسأله ـ ضارعين ـ السلامة فى ديننا ، وحسن الخاتمـة على الاسلام ، والنجاة لنا ولوالدينا وللمؤمنين يوم القيامة ، انه سميع قريب غنـى حميـــد ٠

خـاتمــة الخـاتمــة

38 ـ ونكتفى بهذا القدر مما أردناه من هذا الكتاب، ومن خاتمته التى وضعت لاتمام التعريف بالحركة الاصلاحية ، وبدعاة السنة وغزاة البدعة ، وبنـــاة النهضة القومية العربية الاسلامية ـ بعضهم على الاقل ـ فى هذه الحقبة من تاريخنا ، ممن لهم اتصال وثيق بابن باديس أثناء هذه المحنة القاسية ، وقد ذكرنا بعضهم بشىء مـن التفصيل فى صلب الكتاب ، منهم مبارك الميـــلى ، والعربى التبسى ، وأحمد بوشمال ، ومحمد صالح بن عتيق ، ومحمد العيـد ورمضان حمود ، والزاهرى ، والزواوى ، والاحمدى ، وكلهم شارك بشـىء ما فيما جـاء فى الكتاب ، وذكرنا فيـه ما يناسب المقـام عن بعض المناوئين المعارضين بكل موضوعية ، ثم ذكرنا فى هذه الخاتمة ابن باديس والابراهيمى وخير الدين ، وليس معنى هذا ان هؤلاء المذكورين كانوا وحدهم فى هـــذا الميدان ، بل بقى كثير من اخوانهم من عظماء الرجال ممن تركوا فى جيلهـم أعظم التأثير ـ ونذكر منهم على سبيل المثال لا الحصر ـ علامة الجزائر المصلح الكبير الشيخ ابراهيم بيوض رحمه الله ، فانه كان فى الجنوب ، وفى اخواننا الاباضية كابن باديس فى الشمال ، وفى أهل السنة ٠ حمل لواء السنة وقمع البدعة ، حيثما كان ويكفيه ـ قربة عند اللـه ـ انه استطاع ان يعيد صـلاة الجمعة لمساجد الاباضية بعد ان هجرتها طويلا ، وأى سنة أعظم من احيـاء الجمعة واحياء النداء اليها فى مدن المسلمين ؟ كما استطاع ان يقضى على كثير

من البدع التى شاعت فى قومه ، كما شاعت فى غيرهم ، وفرقت بينهم وبين اخوانهم الاقربين والابعدين ، وطالما أوذى فى اللـه بسبب مواقفه ، فثبـت وصبر شكر الله سعيه ، وجزاه جزاء الصابرين الشاكرين ·

وقد أمد اللـه فى عمره ، وبارك له ولامته فيه حتى ختم تفسير القـرآن الكريم ، القاء ودراسة وتدريسا ، كما ختمه قبله ابن باديس ، وكما ختمـه من قبلهما الشريف التلمسانى ، وكل ما جاء من هؤلاء العظماء الثلاثة ، مـن رجال أمتنا ، كان من هدى القرآن وبركته : (**كتابٌ انزلناه اليـك مبـاركٌ ليدَّبَّروا آياته وليتذكر أولو الألباب**) وكل ما جنته أمتنا من خيرات القرآن وثمراته · فان خير الحديث كتاب الله ، وخير الهدى هدى محمد ، وبعد قليل من ختمـه القرآن الكريم اختير ابن باديس لجوار ربـه · ولم يمر الا قليل وقت على ختم الشيخ ابراهيم بيوض ، والاحتفال به حتى لبى داعى الله ·

وعسى أن يدرس شبابنا المسلم آثـار رجاله ، ويحاول ان يعمل عملهم ، ويصبر صبرهم ويخدم دينه وأمته ووطنه خدمتهم ، وان يكون قدوته الحسنة فى كل أعماله وسيرته من كان قدوتهم الا وهو سيدنا ومولانا محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم الذى قال الله لنا فيه : (**لقد كان لكم فى رسولِ الله اسوةٌ حسنةٌ لمن كان يرجو الله واليومَ الآخر**) ·

فاذا عاش المؤمن نصير السنة ــ وهى خير الهدى ــ وقامع البدعة وهى شر الامور ، فقد وفق ورشد وعمل صالحا ثم اهتدى ·

نسأل اللـه ان يثبتنا بالقول الثابت فى الحياة الدنيا وفى الآخرة آمـين (ربنـا اغفر لنا ولاخواننا الذين سبقونا بالايمان ولا تجعل فى قلوبنا غلا للذين آمنوا ، ربنا انك رؤوف رحيـم) ·

الجـزائر فى :

20 ــ 4 ــ 1404 هـ. الموافق 23 ــ 1 ــ 1984 م

أحمـــد حمـــانـي

شكــرا ... يــا دار البعــث

أحسنت « دار البعث » للطباعة والنشر فى إقدامها على طبع هذا الكتاب وأجملت وقدمت مساعدات كثيرة ، وصبرت صبرا جميــلا ؛ فمن واجبى ان أتوجــه إليها بالشكر الخالص ، وإلى جميع من انتسب إليها، وخصوصا الأستاذ محمود ـ عبد الحميد ـ عيــاط مديرها ، والأديب الألمعى محمــد العيد ـ الهــانى ـ بستانجى نجل شيخنا المقرىء الكبير الشيخ عبد المجيد بستانجى رحمه الله ؛ فالأول اتسع صدره لطبع الكتاب ، والثانى اتسع صدره لمراجعته والقيام بتصحيح ملازمه بعناية تذكر له فتشكر، ولم يبخل علي بملاحظات ثمينة ، فإلى « دار البعث » وإلى عمالها والمشرفين عليها كلهم ، وإلى هذين الرجلــين الكريمين أوجــه شكري ، مفتخرا بأن مثلهما ما يزال فى أمتى . وليس بالكثــير أن يشكر المحسن على إحسانه ؛ ففى الحديث : « مــن لم يشكر الناس لم يشكر الله » صدق رسول الله صلى الله عليه وسلم .

فاللهم اجعلنا من الشاكرين ، وزدنا من نعمك الجلى ؟

الجزائر فى : 22 ربيع الآخر 1404 هـ
25 يناير 1984 م

« حمـــاني »

فهرس الجزء الثانى

القسم الخامس

المــؤلــف

